موسوعة

مرآة الحرمين الشريفين ﷺ

وجزيرة العرب

صنفها باللغة التركية العثمانية

أيوب صبري باشا

(المتوفى سنة ١٢٩٠هـ/١٨٩٠م)

أشرف على ترجمتها

الدكتور محمد حرب

الجزء الثالث

دار الآفاق العربية

طبعة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع الطيران) - مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٧٤٢٢

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 344 - 086 - 9

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤١ - ٨٣٣٨٢٤٢

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

مرآة مكة والمدينة وجزيرة العرب

قام بترجمتها

الدكتورة ماجدة مخلوف

الدكتور حسين مجيب المصري **الدكتور عبد العزيز عوض**

راجعها على نصها العثماني

أديب عبد المنان **على أوزلي**

راجعها وأعدها للنشر

محمود جيرة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد والثناء والمحامد لله سبحانه وتعالى الذى فاض نوره وتقدست ذاته والذى تجلت أنواره الفياضة فى سناء الوجود وتلألأت أنواره اللامعة فى عيون الشهود والذين اعترفوا بألوهيته إذ استجابوا قائلين «لله الواحد القهار» (غافر: ١٦) لسؤاله بديع المعنى وَالمآل «لمن الملك اليوم» سبحانه وتعالى جل شأنه قد جعل طيبة الطيبة مجتلى سلطنة الذى خلق من أجله الكون والمكان، وجعل ذلك الوادى المقدس نتيجة المفاجآت وملجأ الفلاح والنجاة لأفراد أمته القلقين، كما جعل لموسى وادى طوى منار الهدى عندما استجاب لأمره البليغ فى «اخلع نعليك» والصلاة والسلام، لحظة فلحظة، على صاحب الروضة الرضية ﷺ تلك الروضة التى تفوح منها روائح ورود رياض الثقلين، الصلاة والسلام عليه إذ ملأ عقول الباحثين عن الحقيقة بالهداية السرمدية، كما هدى الضالين وأفعم قلوبهم بعطور الرشد والسعادة، ولتهب نسمات رحمة الله سبحانه وتعالى على آله وأصحابه حراس العقيدة واليقين الذين كانوا كل واحد منهم مظلة الهداية والسلام لسكان الصحراء الذين ظلوا فى الفيافى وخزعبلاتها.

أما بعد ـ فلا يخفى على أنظار أصحاب الرأى المستنير أن وقائع الحرمين الشريفين التى حدثت فى عهد الأسلاف، والتى تحمل العبر والعظات، ظلت مدة مديدة مرتدية رداء اللغة العربية أمام أهل الرأى والمطالعة، لكن العثمانيين الذين كانوا ذوى دين وشوق إلهى ظلوا محرومين من القيام بمراسم الترحيب لهذين المشهدين على مراحل التوحيد، إذ ظلوا بعيدين عن أحداثهما لجهل معظمهم باللغة العربية الفصيحة واللغة الفارسية المزخرفة، وفى عصر السلطان الغازى

«عبد الحميد» العصر المبرور الذى شاهد نشر المعالى والعلوم، ظهرت إحدى هاتين الجملتين مرتدية ملابس اللغة العثمانية وذلك بإيعاز وتشجيع من صاحب السلطنة، تحت عنوان «مرآة مكة» أما الأخرى فلم يكتب لها الظهور لتقلب أحداث عجلات الزمان تقلب لون الحرباء.

وأخذ المطلعون على أحوال الحرمين الشريفين المقانع[١] من أصحاب الوجد يَرجوننى قائلين: «لتلبس تلك الحسناء العربية ملابس الفتاة الرومية»، كما أن الأصدقاء الكرام ضموا أصواتهم لرغبة هؤلاء إذ رأوا أن ظهور أحد شعارى التوحيد مكتسيًا بالزى العثمانى وترك الآخر على المحرومين من مشاهدة الروضة المطهرة واشتراكهم مع المحبين فى مجلس الصحبة ـ مما لا يتماشى مع شيمة العدل والتدين وبهذه البراعة فى الاستهلال دفعونى إلى القيام بهذا العمل، كما أننى أقبلت على هذا العمل مكررًا ببعض قدرتى وقلة حيلتى، آخذًا من كتاب الإمام السمهودى «خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى» هذا الكتاب الذى انتشر فى أرجاء العالم الأربعة حاويًا الأفكار البديعة والأخبار الشيقة مستمدا منه مادتى العلمية اللازمة لكتابتى، مضيفا إليه معلوماتى الشخصية وما حصلت عليه من الأخبار من تحقيقاتى الذاتية وبهذا ألبست تلك المحبوبة الجميلة ما قمت بتفصيله من الزى العثمانى، وبما أنه سيعكس أنوار عيون أصحاب الدين سميته «مرآة المدينة».

كما أن كتابى هذا الذى لا يخلو من الأخطاء نتيجة لقلة بضاعتى قد يبدو عديم القيمة والأهمية، ومع هذا فهو أول كتاب يشتمل على الأحوال العامة والخاصة للمدينة المنورة باللغة التركية، ومن هنا حاز شرف الأولية، كما أنه صدر فى عهد خلاصة السلالة العثمانية كهف الثقلين وخادم الحرمين ولى نعمتنا السلطان ابن السلطان ابن السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى وبهذا نال شرفًا آخر.

(١) العدول المرضيين.

فإذا ما نال هذا الكتاب شرف شمول نظرات السلطان الحكيمة سيكتب له قيمة سرمدية لا حد لها وبهذا الأمل أقدمه على عتبات نظرات الخليفة ظل الله على أرضه وأدعو الله أن يستجيب لدعائي هذا:

اللهم اجعل عرش ظلك الظاهر السلطان عبد الحميد خان مستقراً ما استمرت الدنيا قائمة، ومن الله التوفيق.

الوجهة الأولى

وتحتوى على عشر صور فى تعريف الأحوال الجغرافية لمدينة طيبة مهجر النبى ﷺ وتورد عادات أهلها.

فى ذكر الأحوال الجغرافية للمدينة الميمونة والبلدة الطاهرة وأوضاع أسوارها الجديدة والقديمة: طرزها وهيئاتها ومتانتها.

المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والتحية من الممالك المعمورة والبلاد المنتظمة، الثانية فى البلاد الحجازية، ولا يوجد بلد يشبهها من حيث المياه الجارية والرياض المتعددة والأبنية المنتظمة المزينة.

لم يهتم بها فى الزمن الجاهلى، كما ظلت فى صدر الإسلام لفترة طويلة فى حالة خراب، ولكن كلما تقدمت العصور الإسلامية وتجددت وترفت، أنفق السلاطين العظام أموالا زاخرة وبذلوا المساعى الجمة حتى أصبحت مدينة جديرة بمهجر سيد الأنبياء ـ عليه وعليهم التحايا ـ وذاع صيتها بذلك.

إن المدينة المذكورة والبلدة الطيبة المباركة تقع فوق واد مسطح مرتفع بين درجة ٢٥، ٢٠ دقيقة فى الشمال عرضا وبين درجة ٣٧، ٣ دقائق فى الشرق طولاً، ويحدها من الشمال جبل أحد ومن الشرق جبل الطبرى.

يروى أن عدد سكان المدينة المنورة وضواحيها يبلغ ثلاثين ألف نسمة إلا أنه لم يبق من ذرية الصحابة الكرام اليوم على أصح الروايات إلا رجل وبضع إناث، أما الباقون فقد أتى أجدادهم مجاورين واستوطنوا فى المدينة. لأن حجاج المسلمين يريدون أن ينالوا الأسرار الجليلة التى صدرت فى شفاعة النبى ﷺ فى حديثه: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[1] (حديث شريف) ويقبلون على زيارة «الروضة المطهرة» قبلة العاشقين والمتضرعين والمتوسلين بغية

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد، باب فيما بين القبر والمنبر: ٤/٨ - ٩. عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى، وعزاهما لأحمد بإسناد صحيح. إلا أنه قال: ما بين بيتى ومنبرى. .»، وعزاه لأحمد وأبو يعلى والبزار عن جابر بن عبد الله، وعزاه أيضًا للطبرانى عن ابن عمر، ورجاله ثقات.

نيل الشفاعة الموعودة ويدخلون فى «الحجرة المعطرة» حيث يحلو لبعضهم أن يظلوا مجاورين لهذه الأماكن المباركة. وقد بلغ عدد هؤلاء أو الذين تركوا ديارهم مع أولادهم وعيالهم محتاجين الإقامة مجاورين الرسول محبة فيه، بلغ عدد هؤلاء اليوم ألفين أو ثلاثة آلاف شخص[1]. وأولاد المجاورين الذين ولدوا وعاشوا فى المدينة الطاهرة، يعدون من أهل البلدة الطيبة، وبهذا يكون أغلب سكان المدينة من ذرية أسلاف المجاورين الذين تكاثروا جيلا بعد جيل وكونوا جماعة كبيرة واشتهر بعضهم بأولاد «برى» كما اشتهر بعضهم بأولاد السمهودى كما اشتهر الآخرون بأسماء أخرى.

إن الذوات الذين عرفوا باسم أولاد «برى» أصلهم من الغرب، وأبناء السمهودى من البلاد المصرية المجاورة، والآخرون ينتمى كل واحد منهم إلى بلد ما. تقع هذه البلدة السعيدة فى الجهة الشمالية الغربية من مكة المكرمة وعلى بعد أربعمائة كيلو متر منها، وعلى بعد مائة كيلو متر من الجانب الشرقى من البحر الأحمر وفى نهاية صحراء عظيمة، وطريقها البرى الواصل إلى مكة المعظمة عبارة عن صحراء رملية وجبال صخرية ووديان قابلة للزراعة.

وهى محاطة بسور على شكل قطع ناقصة وجميلة من جهاتها الأربعة، والجهات الأربعة لهذا السور محاطة بجبال متسلسلة ومحددة، وفى جهتها التى تهب منها رياح السموم قطعة واحدة من صخرة نصبت حولها قلعة قديمة ولكنها متينة تعرف بقلعة «أروج حصار».

وطول هذا السور «١٤٠٠٠ ذراع» تخمينا وارتفاعه عشرون ذراعا وسمكه عشرة أذرع، وأحجاره فى غاية الصلابة والمتانة، وله خمسة أبواب اشتهرت بأسماء: درب المصلى، درب الصغير، درب الشامى، درب السوارقية، درب البقيع.

درب المصلى: ويطلق عليه درب السويقة وباب السوق وباب المصر، وقد كتب

(١) فى زمن المؤلف.

فوق طاقته ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٣٠) وقد طرحت مبانيه وأسست من حجر أسود فى غاية الإحكام إلا أن بعض أماكنها أخذت تتشقق والباب المذكور فى الجهة الغربية من السور وفى جهة «مصلى عيد النبى» وما بينه وبين باب السلام «ستمائة خمسة وأربعون» ذراعا.

الدرب الصغير: ويقع بالقرب من حصن الأمير وفى جهة درب المصلى.

الدرب الشامى: ويطلق عليه الدرب الكبير أيضا.

درب البقيع: هو الباب الكبير الذى يقع فى الجهة الشرقية من السور، وهو الباب الذى يعرف بباب الجمعة، وبينه وبين باب جبريل مسافة أربعمائة ثلاثة وثلاثون ذراعا.

إخطار

الذراع الذى أذكره فى تعريف هذا السور هو الذراع المعمارى، ولكن فى قياس الحجرة المعطرة أو ساحة مسجد السعادة، اعتبر الذراع الذى يستخدم فى البلاد المصرية والحجازية، وعلى هذا يلزم أن يكون هذا المقياس مقياسا فى طول شبرين، لأن الذراع الآدمى ومقياس مصر والحجاز ذراع وثلث ذراع.

درب البقيع: ظل هذا الباب مسدودا إلى سنة خمس وسبعين وسبعمائة، وقام الملك الصالح المصرى بفتح هذا الباب فى خلال تلك السنة وأدخل السرور فى قلوب سكان هذه الجهة، ولكنه سده مرة أخرى بعد فترة، واندرس أساسه وانمحى شكله وبهذا أصبح عدد أبواب أسوار المدينة أربعة. ولما وفق والد السلطان كثير المحامد فى تجديد مسجد السعادة أمر بفتح الباب الشامى لتسهيل نقل أنقاض مبانى مسجد السعادة عند تجديده وبهذا أصبحت أبواب المدينة المنورة خمسة أبواب مرة أخرى.

إن الأبواب الخمسة أكثر الأبنية نظاما بالقياس للمبانى الموجودة فى البلاد

الحجازية، وكل واحد منها قد أسس وفتح تحت أبراج منقوشة بألوان متنوعة ومستحكمة بنيت لصد هجمات عربان البوادي، ويبعد كل واحد عن الآخر مسافة مَنزل رصاص وبنيت مطابقة لفن وقواعد بناء القلاع والحصون على شكل نصف دائرى، وصنع فوق جدران الأسوار بعض الأبراج وزرعت فى داخل المدينة وخارجها أشجار نخيل لا تعد ولا تحصى وذلك بمساعدة وفرة المياه وجودة الهواء.

ولم يكن فى عصر السعادة أسوار ولا مستحكمات، وكانت دور أجداد الأنصار من قبائل «الأوس والخزرج» متصلة بعضها ببعض مثل قرى متسلسلة، لذا كان شكل المدينة الطاهرة بلدة طولية جسيمة وقد وصل أحد أطرافها إلى قرية «قباء» التى تثير الشوق إليها. وقد دام عمارها الذى حدث فى عصر النبى ﷺ إلى واقعة الحرّة الشهيرة، وبعد ذلك آلت إلى الخراب تدريجيا، وبما أنها قد صغرت إلى أقصى حد فى عهد طائع الله بن المطيع لله العباسى، فقد أخذ العربان الذين يسكنون الصحراء يثورون من حين لآخر ويطوفون ويمضون ثم يغيرون على المدينة وينهبون أموال الأهالى ويستولون على كل ما يمتلكون، فأراد عضد الدولة[(١)] ابن بويه أن يحمى سكان دار السكينة وأموالهم من نهب أشقياء البدو وأن يخلصهم من تسلطهم، فأحاط تلك المدينة بسور متين فى سنة «٣٦٠هـ»[(٢)]، ودام السور الذى بناه عضد الدولة وأسسه ما يقرب من مائتى عام، إلا أنه لم يعمر ولم يصلح ولم يرمم لفترة طويلة فآلت أبراجه وجدرانه بالتدريج إلى الخراب واندرس حتى لم يبق أثر لأسسه، وأخذ العربان الذين لا يذعنون فى إزعاج الأهالى، لذا بنى صاحب رباط العجم[(٣)] «جمال الدين محمد بن أبى منصور» الأصفهانى سورا جديدا قويا فوق أنقاض السور القديم المندرس، وبهذا

(١) كان هذا الشخص وزير «طايع الله أبو شجاع ركن الدولة» ومن آثاره الخيرية سوق شيراز الذى يطلق عليه «سوق الأمير» ودار شفاء بغداد، وأضرحة الإمام على والإمام الحسين «رضى الله عنهما» فى النجف بكربلاء

(٢) يروى البعض أن السور المذكور قد طرح فى سنة «٣٦٣هـ ».

(٣) قد عرف موقع هذا الرباط فى الصورة الأولى من الوجهة الثانية عشرة.

أنقذ الأهالي الضعاف من شقاوة الأشقياء وذلك في سنة ٤٥٠هـ مع أن هناك روايات مختلفة كثيرة يتناقلها الناس بخصوص القلعة القديمة التي قام بتجديدها المرحوم جمال الدين فمن المحقق أن تلك القلعة هي التي جددها جمال الدين المذكور إذ قال شهاب الدين ابن أبي شامة في كتابه نقلا عن ابن الأثير:

بينما كان ابن الأثير يؤدي صلاة الجمعة في مسجد المدينة المنورة، رأى أن أحد الأشخاص يطيل في الدعاء لجمال الدين الأصفهاني فسأله عن سبب ذلك؟

فكان رد الرجل: إن أهل دار السكينة يدينون في كل وقت وآن وساعة بالدعاء لجمال الدين؛ وكيف لا يدعون له؟! أليس هو الذي أنقذ سكان مدينة الرسول من إساءة العربان ومضرة أهل العدوان، إذْ أحاط المدينة بالسور الذي تراه وكانوا قبل ذلك أسرى في أيادي العربان وكان أشقياء العرب يهاجمونهم في كل آن وينهبون أموالهم ويغتصبون حيواناتهم ويغيرون عليهم. ولسنا وحدنا نخصه بالدعاء حتى خطباء منبر السعادة يقولون في أثناء خطبهم اللهم صن حريم من صان حريم نبيك بالسور، محمد بن علي بن أبي منصور، فرحمه الله ورضي الله عنه.

إن رواية ابن أبي شامة هذه تؤيد القول الذي يحكي أن باني هذا السور ومجدده هو جمال الدين محمد بن أبي منصور.

ويجرح ابن خلكان القول الذي يقول إن هذا السور قد بني من قبل عضد الدولة قائلاً إن «إسحاق بن محمد الجعدي» هو الذي كان قد بنى سور المدينة القديم في خلال سنة مائتين وثلاث وستين، وكان للسور الذي بناه إسحاق بن محمد أربعة أبواب في ذلك الوقت يفتح أحدها إلى جهة مقبرة بقيع الغرقد والثاني إلى عضد الدولة وادي العقيق والثالث إلى قبور الشهداء والرابع يفتح إلى جهة الغرب؛ وقد خرب هذا السور الذي بناه إسحاق بن محمد، وهذا هو سبب نسبة السور القديم إلى عضد الدولة ابن بويه وحكم بهذا المقال أن السور القديم من آثار إسحاق بن محمد وبعض المؤرخين يؤيدون هذه الرواية أيضًا

قائلين إن الذى بنى السور القديم هو معز الدولة، وجدده فى سنة أربعمائة وخمسين صاحب رباط عجم جمال الدين الأصفهانى، وإن تمسك المؤرخون بادعائهم هذا إلا أن الرواة الذين نقلوا خبر ابن بويه من الأشخاص الذين يوثق فى أقوالهم وهذا يقتضى ترجيح هذه الرواية على الروايات الأخرى.

والمؤرخون الذين رأوا آثار خرائب السور القديم الذى بناه عضد الدولة ذهبوا إلى أن هذا السور يمتد من جبل سلع إلى وادى بطحان يحتوى فى داخله ما نسميه فى زماننا «بمسجد النبى» والذى كان مصلى العيد المصطفوى، ومبانيه وما حوله من جميع البيوت وبهذا ادعوا أن السور القديم كان سورًا عظيمًا.

وبعد أن جدد المرحوم جمال الدين سور المدينة وأنقذ الأهالى من أن يداسوا تحت سنابك خيول العربان وخلصهم من شرورهم، أخذ سكان مدينة الرسول يزيدون يومًا بعد يوم وبناء على هذا أصبح لازمًا بناء البيوت خارج السور وامتلك فقراء الناس قطعان من الأرض فى خارج السور وأخذ كل واحد منهم يبنى بيتًا على قدر طاقته، إلا أن أشقياء العربان الخبثاء أخذوا يزعجون فقراء السكان فى خارج السور كلما وجدوا فرصة نتيجة لما جبلوا عليه من الخسة إلى أن ورد إلى المدينة الشهيد «نور الدين» وقد ذهب الشهيد نور الدين بغتة إلى المدينة الزاخرة بالرحمة بناء على رؤيا رآها ـ كما ذكر فى الوجهة التاسعة والصورة الأولى ـ وانتهز أصحاب البيوت التى فى خارج السور الفرصة وقدموا طلبًا يفيد لجملة ما يأتى: يا أيها الملك! لم تبق لنا طاقة لتحمل غارات أشقياء العربان، إذ يغيرون علينا من حين لآخر ويستولون على حيواناتنا ويأسرون أولادنا وعيالنا، نرجو أن تنقذنا من شرور هؤلاء بأن تصدروا أمركم ببناء سور يحيط بمنازلنا، وما كان من الملك إلا أن أسعف رجاء الأهالى وأمر بهدم السور القديم الذى آل للسقوط والخراب وأسس سورًا جديدًا يحيط بالمنازل والمحال التى بنيت فيما بعد وما زال هذا السور مشهورًا إلى يومنا هذا، وهكذا أنقذ أصحاب المحلات الجديدة والبيوت من تسلط عربان الصحراء وإضرارهم وذلك فى سنة «٥٥٨».

وقد رأى فريق من المؤرخين فوق الباب الذى فتح فى جهة بقيع الغرقد من السور عبارة: «هذا ما أمر بعمله العبد الفقير إلى الله تعالى محمود بن زنكى بن أقسنقر غفر الله له، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة» وذهبوا إلى أن السور المذكور قد شيد من قبل محمود بن زنكى. ومن هنا لا شبهة فى أن السور المذكور من أثر بناء الشهيد نور الدين.

والشهيد نور الدين هو «محمد القاسم» ابن الملك المنصور عماد الدين بن أبى الجواد، زنكى أقسنقر.

وقد ولد فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ورحل عن دنيانا سنة تسع وستين وخمسمائة إلى عالم البقاء والخلود وبناء على هذا يكون قد مات وعمره أربع وخمسون سنة رحمه الله.

وقد أمن سور المدينة الطيبة الذى بناه الشهيد نور الدين السكان من تسلط العربان، وحافظ عليهم ما يقرب من مائة وخمسين عامًا، إلا أن تقلبات الزمان ومرور الأيام خربت السور الجديد وحفرة الخندق التى حفرت من قبل سعد بن ثابت وأخذت هجمات الأشقياء المتوالية تزعج سكنة دار الهجرة مرة أخرى، وعندئذ جدد الملك الصالح ابن الناصر قلاوون وهو من الملوك الشراكسة المصريين الأماكن الخربة من ذلك السور فى سنة ٧٥٥، كما شيد وأصلح السلطان قايتباى الأماكن التى خربت وانهدمت من ذلك السور.

شرع فى حفر الخندق سالف الذكر، بتشجيع سعد بن ثابت جماز من ولاة المدينة واتفاق الأهالى واتحاد الأعيان والسادات فى سنة ٧٥١ هجرية، إلا إنه تم حفره فى عهد وولاية فضل بن جماز الذى أصبح واليًا بعد موت سعد بن ثابت. وللأسف الشديد قد امتلأ ذلك الخندق بالأحجار الصغيرة نتيجة للإهمال وأصبح أرضًا مستوية حيث أنبتت بعض الخضر والفواكه.

وكما لم تجدد أى جهة من جهات السور منذ عصر الملك قايتباى المصرى إلى عصر السلطان سليمان بن السلطان سليم خان عليهما الرحمة والغفران، أخذت

أبراجه وجدرانه تتشقق وتنهار فانفتحت شقوق كبيرة وأخذ البدو يمارسون عاداتهم القديمة المألوفة فيمدون أياديهم إلى أموال الأهالى والمواشى وأخذوا يزعجون سكنة دار السكينة، مما دفع الأهالى إلى عرض أحوالهم على أعتاب السلطان سليمان وإعلامها فى سنة ٩٣٧ هجرية، فصدر الأمر السلطانى بتعمير سور المدينة القديم بشكل متين قوى وإنقاذ الأهالى الكرام من تسلط اللصوص، وتعيين من يقتضى تعيينهم من أجل هذا العمل على وجه السرعة وإرسالهم إلى دار الهجرة، وإشعار ذلك إلى والى ولاية مصر، وبناء على صدور الصحيفة التى تحوى الأمر السلطانى وإرسالها إلى والى مصر، تم تدبير الشخص الذى أنيطت به مهمة أمانة البناء كما دبرت المبالغ اللازمة، وتوجه مستصحبًا معه لوازم البناء إلى المدينة المنورة وتحرك من مصر لينال هذا الشرف وعندما وصل إلى دار الهجرة أخذ يقيس الأماكن التى تحتاج إلى التعمير والبناء من السور فتكشف له أن أربعة آلاف ذراع معمارى من الجدران فى حاجة إلى التأسيس والتشييد من جديد ماعدا الأبراج والدعائم، وكان ارتفاع هذا الجدار سبعة عشر ذراعًا وسمكه عشرة أذرع، وقد جلب أمين البناء العمال المطلوبين من المدينة المنورة، وابتدئ فى حفر الأساس فى أواسط سنة ٩٣٩. وقد بذل أقصى الجهود وأخلص المساعى فى بناء السور وقدمت التسهيلات اللازمة من جميع الجهات ومع ذلك لم يتم بناؤه. إلا فى ظرف سبع سنوات واكتمل فى أواخر سنة ٩٤٦ وفتحت للسور الخارجى أربعة أبواب وللسور الداخلى الذى يطلق عليه «القلعة الداخلية» بابان.

وكان أحد أبواب «القلعة الداخلية» مفتوحًا أو مغلقًا على صورة دائمة بينما كان الآخر قد صمم على أن يفتح ويغلق فى وقت الحاجة فقط لذلك أطلق عليه «الباب السرى».

وقد غطيت مصاريع أبواب القلعة الخارجية والداخلية بألواح حديدية بينما صُنِعَ «الباب السرى» من الحديد الخالص وقد رممت بروج القلعة الخارجية أكثر من بروج القلعة الداخلية، وعمقت حفرة الخندق وشيدت جدرانها قوية متينة على قدر الإمكان، وأجرى مقدار كاف من المياه من «عين الزرقاء» حتى لا يحرم

الأهالى فى داخل السور من المياه وفتح منهلان أحدهما خاص بالرجال والآخر بالنساء.

قال صاحب «مفتاح السعادة» أنفق السلطان سليمان لتجديد السور ستين ألف قطعة ذهبية وقال «السيد كبريت المدنى» أنفق مائة ألف قطعة ذهبية. وأرسل أربعة عشر ألف أردب من الحبوب مثل الأرز والحنطة والفول والشعير، وما لا يحصى ويعد من العدد والأدوات وكان ما أرسل من الآلات والحبوب والأدوات خارج الحساب المذكور.

ولم تنفق كل هذه النقود في تعمير السور فقط بل أنفقت أيضًا ـ كما سبق فى بحث تعمير الحرم النبوى وتفضيله ـ فى تقويض الجدار الغربى للمسجد النبوى ومئذنة «الشكلية» و«باب الرحمة» كلها من أساسها وتجديدها فيلزم أن تدخل النقود التى ذكرها صاحب كتاب مفتاح السعادة و «السيد كبريت». والبيت المذكور الذى يقول.

(أنظر إلى السلطان سليمان لقد بنى قلعة كسد الاسكندر فاطلب له الرحمة).

يؤكد أن السلطان سليمان ـ عليه رحمة الله المنان ـ هو الذى قام بتجديد سور المدينة المنورة، وصان أهلها من تسلط العربان، وهكذا يئس أشقياء العرب من التسلط على المدينة ونهب أموال الأهالى ومواشيهم ـ رحمه الله رحمة واسعة.

وبخصوص القلعة فإنه من المعلومات التى ذكرت هاهنا، يفهم أن المدينة المنورة كان لها سوران: الأول غربى والثانى شرقى وكانت حدود المدينة المذكورة محاطة بهذين السورين.

وكل من يسكن بين أحد السورين يطلق عليه مدنيًا، وقد جدد السور الغربى بالطوب اللبن فى أوائل الفترة الوهابية من قبل الأهالى على أسس السور القديم.

وجوب مراعاة حق جيران رسول الله ﷺ.

وقد قال سلطان الكائنات وهو يبين توصية جبريل خيراً بأهل المدينة. «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[١] (حديث شريف). وبناء على هذا يجب أن يخشى قول كلمات غير لائقة فى حق جيران رسول الله، وقد بين الرسول ﷺ وجوب شفاعته للشخص المدنى الذى يظل على إيمانه ويسلم روحه على تلك الحالة فى حديث روى عن الإمام الترمذى وابن ماجة والذى رواه ابن حبان عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها»[٢] ومن أجل هذا فمن واجب العباد الموحدين أن يحبوا أهل المدينة الميمونة وأن يظهروا لهم حيثما قابلوهم مظاهر التعظيم والتكريم. إن مراعاة جانب أهل المدينة كأنها توقير وتعظيم لسلطان الأنبياء ـ عليه أفضل التحايا ـ ولأجل نيل رضا النبى ﷺ قد أبدى «ملوك الأمويين والعباسيين والأيوبيين والشراكسة» أعظم توقير للحرمين الشريفين ورعواً جانب سكانها أعظم رعاية، وبناء على ما سوف يعرف فى الصور الآتية قد تركوا آثارًا خيرية كثيرة ستخلد أسماءهم فى صحيفة العالم.

وقد فاق السلاطين العثمانيون الملوك السابقين فى هذا الصدد إذ خصصوا لأهالى الحرمين ومجاوريهما جرايات مستوفية وتعيينات من الأشوان والمخازن المحلية، والمعاشات من وزارتى المالية والأوقاف وأنعموا عليهم بالصرر والهدايا وعملوا على تأمين راحتهم وإنقاذهم من غارات أشقياء العربان وأحيوا الآثار المسعودة بالتعمير والتجديد. ونذكر خاصة السلطان عبد المجيد خان ـ طيب الله

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب حديث رقم (٦٠١٤، ٦٠١٥) فتح البارى (١٠/ ٤٤١) ومسلم في كتاب البر والصلة حديث رقم (١٤/ ٢٦٢٤، ١٤١/ ٢٦٢٥ ص (٢٠٢٥) ط. عبد الباقى، باب الوصية بالجار.

(٢) صححه الترمذى والدار قطنى فى العلل الكبير بما يطول ذكره. انظر: إعلام الساجد، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

ثراه ـ كان المسجد النبوى قد أشرف على الخراب فى زمنه. كما بين ذلك فى الصورة الخاصة ـ فأمر السلطان بهدمه من أساسه وبنائه رصينًا متينًا محافظًا على زينته الخارجية. وقد شرع فى بناء المسجد بناء على رغبة السلطان وتم إنشاؤه فى ظرف اثنى عشر عاما، ولا شبهة أن السلطان المذكور قد أبهج روح رسول الله ﷺ بهذه الخدمة المفتخرة وبإظهار الحرمة والتوقير بسكنة الحرمين الشريفين الكرام.

وبما أن الرسول ﷺ العارف العالم برموز الحكم قد بين لزوم محبة أهل المدينة جيرانه بأحاديث كثيرة، فيجب عرض المحبة والمودة لأهل المدينة. ومن علامات العبودية الخاصة حُبُّ من يحبه الرسول ﷺ والابتعاد عمن لا يحبه. ومع كل هذا فمهما أظهر لسكان أهل المدينة من المحبة والوداد والأخوة، فلا يمكن مقابلة ما نراه فيهم من الرعاية والاحترام. والخدمة التى نقدمها لهم، هى إرسال صرة لهم مرة فى السنة مع أنهم يدعون لنا فى صلواتهم الخمسة أمام النبى ﷺ، وإنهم يلاطفون زوار رسول الله ﷺ غاية الملاطفة، وحيثما رأوهم يستفسرون عن أحوالهم ويحاولون إظهار أية خدمة لهم. وإنهم يخجلون من الواحد منهم الذى يخلو بيته من ضيوف فى مواسم الحج ويوبخونه قائلين معاتبين: «لو كنت رجلاً سعيدًا مستقيم الأطوار لبحثت عن ضيف وأطعمته» ومن عاداتهم أن يستقبلوا قوافل الحجاج فى ناحية جرف[1] وأن يظهر أطفالهم فرحهم وسرورهم بقدوم الزوار بإنشاد

سيد خواجه — يأكل دجاجة

فى صحن صينى — أنت سليمى

وإنهم يسارعون فى استضافة كل من يقابلونه من الزوار سواء أكان فى موسم الحج أو غيره بدعوته إلى منازلهم، وكلهم رجالهم ونساءهم ويطيب خواطر الضيوف، وإذا لم يكن عندهم قدرة لاستضافة من يدعونهم إلى دورهم

(١) جرف تبعد عن المدينة مسافة ساعتين.

يستدينون ليقوموا بواجب الضيافة، وإذا قورن ما يقدمه الزوار من النقود والهدايا بما يقدمه أهل المدينة من الرعاية فلا يساوى ما يقدمونه عشر معشار ما يرونه من حسن الرعاية وما يقدم لهم من الضيافة.

قد أقمت أنا مؤلف الكتاب فى سنة ١٢٨٩هـ فى الدار السعيدة دار ابن نقيب الأشراف، من السادات العلوية محمد علوى بافقى أفندى.

وكان معى تسعة من رفقائى، وكان سيد أفندى يحضر لنا فى اليوم مائدتين من الطعام كاملتين، وكان أصدقائى يتحدثون فى أثناء الطعام ويخوضون فى الحديث عن قيمة ما يقدم لهم قائلين إن مثل هذه المائدة يمكن تجهيزها بقطعة ذهبية. يعنى بمائة واثنين وثلاثين قرشًا. ولم يفارقنا سيد أفندى لحظة واحدة فى أثناء إقامتنا عنده، كما أنه لم يترك أثرًا فى المدينة لم يأخذنا إليه، وإذا انتقل بنا الكلام إلى السيدة والدته فمن العادات المرعية بين نساء المدينة أن تقوم أكبر السيدات سنًا بالطبخ، وألا يُدْخَلَ المطبخ دون وضوء. فالسيدة المذكورة لم تغادر المطبخ مدة إقامتنا تاركة النوم والراحة.

ويقتضى الوقوف على دقائق الأحوال فى المدينة وأسرارها، الإقامة فى المدينة فترة ما والاختلاط والائتلاف بوضيعها وشريفها، لذا لا يستطيع أن يعرف دقائق الأمور فى المدينة من يقيم بها يومين أو ثلاثة أيام.

البيت:

فيمحوك الله فى لحظة مثل الرماد

لا تطل يدك ولا لسانك لأهل تلك البلدة

فى ذكر وبيان كيفية دفن من أدركه الأجل فى المدينة الطاهرة.

فى مقابر البقيع، يصلون الصلاة التى حان وقتها ثم يصلون صلاة الجنازة ويخرجون الجنازة من باب جبريل وينقلونها بالتهليل والتوحيد إلى مقبرة البقيع حيث يدفنونها.

وإذا ما وجدت فى المسجد النبوى عدة جنازات سواء أكانت للرجال أو النساء، تصلى عليها فى جماعة واحدة ويصافحون أقارب الميت معزين، وهذه العادة سنة طيبة بقيت بعد وفاة سيدنا «الحسن بن على» رضى الله عنهما، لأن أخاه الحسين وقف بجانب باب مقبرة البقيع بعد دفن الحسن بعد وفاته وتقبل تعازى الناس بكل احترام.

ولما كان غسل الموتى من غير رخصة ممنوعًا منعًا باتًا وقد وضعت هذه القاعدة لمعرفة عدد الذين يموتون فى السنة بالمدينة المنورة، لذا تعطى من المحكمة للوفيات قطعة من تذكرة يطلق عليها «إجازة» ولا توجد فى المدينة الطاهرة مقابر متعددة، ومهما يكن المتوفون ينتسبون إلى أسر كبيرة فلابد أن يدفنوا فى مقبرة «بقيع الغرقد».

ومقبرة بقيع الغرقد ـ كما عُرِّفَتْ فى الصورة الثامنة من الوجهة الثالثة ـ خارج السور الذى ينسب إلى جمال الدين الأصفهانى وأمام باب الجمعة، لذا تخرج الجنائز من باب جبريل وتحمل عن طريق «باب الجمعة» إلى بقيع الغرقد ومقبرة بقيع الغرقد محاطة بسور وجدار فى ارتفاع ثلاثة أذرع ولها خمسة أبواب وفى داخلها أحد عشر ضريحًا.

ولما كانت تلك المقبرة الشريفة من أكثر المقابر بركة، فقد دفن فيها الذين

صعدوا إلى عليين وسكنوا قصور الخلد من بنات وأزواج النبى الطاهرات وأكثر أصحاب رسول الله ﷺ المهتدين وعطروا ترابها، ودفن فيها جميع الذين توفوا فى المدينة منذ عصر السعادة، وقد ثبت بناء على أصح الروايات دفن سبعة آلاف من الصحابة بقطع النظر عن التابعين وأتباع التابعين من الصلحاء والأتقياء.

فالجنائز التى تدفن فى مقبرة البقيع الشريف توضع فى لحد يسمى «قصقية» ولكل قصقية باب مستقل. وبناء على إخبار من اطلع على الأمور، أن لو فتحت قصقية الجنازة التى دفنت اليوم غدا لدفن جنازة أخرى فلا يبقى أثر من عظام الجنازة الأولى ولا تشم لها رائحة عفونة، وذلك من حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذه الحالة تصدق مآل الحديث النبوى ﷺ: «كأنهم ينشرون أهل البقيع مثل الورد فى رياض الجنان» (حديث شريف).

ليس فى المدينة تابوت خاص فالميت سواء أكان من الرجال أو النساء يدفن بكفنه، وتغلق أبواب وفتحات اللحود الجديدة التى صنعت من أجل الجنازة باللبن والتراب بعد الدفن.

والذين يتوفون فى المدينة المنورة ويدفنون فيها ينالون ثواب الشهيد الذى قتل فى سبيل الله كما ورد فى الخبر.

بينما كان الرسول ﷺ يوما فى البقيع جاء رجل من الخارج وقال وقد رأى قبرًا يحفر «ما أقبح مكان الشخص الذى سيلقى فى هذا القبر» فأجابه الرسول معاتبًا.

«ما أسوأ ما نطقت» وبهذا بين لذلك الصحابى أنه يجب أن يصحح ظنه وعقيدته فقال الصحابى: إننى أردت أن أقول لو كان هذا الرجل مات فى أثناء قتال العدو بدلاً من موته فى الفراش فأجابه الرسول بما معناه: ليس فى الدنيا بلد يماثل هذا البلد، فالذين يموتون هنا كأنهم يستشهدون[1] فى سبيل الله، عندى أن

(١) روى الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن عن سبيعة الأسلمية، أن رسول الله ﷺ قال:
«من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لا يموت بها أحدٌ إلا كنتُ له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة». (مجمع الزوائد ٣/٦٠٣).

المكان الذى سيكون قبرى بقعة لا تماثلها بقعة على وجه الأرض. (حديث شريف) وبين أن تلك المقبرة الشريفة مكان فى غاية الاحترام.

بيت

فـلتمت فـى قـرب أحمـد وجـواره
واكتسـب الحيـاة باقيـا فـى هـذا المكـان

ومن حكم عادات أهل المدينة زيارة البقيع الشريف، الصغار والكبار الرجال والنساء جميعًا فى ليلة الجمعة أى بعد عصر يوم الخميس بعد أداء صلاة العصر، ويضع جميع الزوار فوق القبور المعروفة ريحانًا ونباتات خضرًا، وبما أنهم يعتقدون أن هذا من جملة سنة الرسول السنية يخافون تركه.

منظومة

ذلك المتوجـه إلـى أرض البقيـع	**أحـد العـروش بـين المقـام الرفيع**
كل جـانب منهـا نـور يـزين الأرض	**كل تلك النجوم من تلك الجهات الأربع**
ولأن المنهى هو حصاد للربح المطلوب	**فـإن سـتارة الورد فتيلة لنور القلوب**

كان الرجال والنساء يزورون البقيع معًا فى الماضى، وقد ألغيت هذه الأصول وأخذ الرجال يجرون السنة المصونة بالذهاب إلى البقيع يوم الخميس بعد أداء صلاة الظهر كما أن النساء يذهبن يوم الجمعة بعد أداء صلاة الفجر.

توضح وتبين كيف يستقبل شهر رمضان الشريف ـ مظهر الغفران ـ من قبل أطفال المدينة وكيف يكون رمضان فى مدينة طيبة.

استقبال رمضان الشريف:

يجتمع أطفال المدينة الطاهرة ـ كنوع من ألعاب الأطفال ـ فى ميدان ما فى التاسع والعشرين من شهر شعبان كل سنة، وبعد ما يعينون من بينهم ثلاثة أطفال يتصفون بطلاقة اللسان ينصبون أحدهم شيخ الحرم والثانى قاضيًا والثالث أمير الحج، ويخرجون فى وقت الأصيل إلى خارج السور ويعودون ومعهم رمضان الشريف ويقال لهذه اللعبة بين سكان دار السكينة «استقبال الأطفال لرمضان الشريف».

وحيثما مد السمع وأنصت بالدقة فى حين الحيرة لمسجد الحرم النبوى الذى يصير وكأنه قد شعشعت فيه الأنوار كأنها أمواج البحار المتلاطمة تسمع اهتزازات أجنحة الملائكة العظام.

وعندما يحل وقت الإفطار وتطلق المدافع ويؤذن فوق المآذن يدعو أصحاب طعام الإفطار من على يمينهم ويسارهم ولا سيما الضيوف إلى الطعام بتعبير مخلص قائلين: «تفضلوا يا أيها الرفاق» ويحسنون ببقية الطعام إلى الزوار الغرباء وبعد خمس أو ست دقائق تتلى الإقامة فيقوم الجميع لأداء صلاة المغرب.

وبما أن تأخير الإقامة فى صلوات المغرب فى رمضان من العادات القديمة فالسادة المؤذنون يؤخرون الإقامة رعاية لتلك العادة الطيبة إلى ختام الإفطار.

وتتم مراسم الإفطار على الوجه المذكور وبعد أداء الصلاة يستصحب كل شخص من أهل المدينة واحدًا أو اثنين من الضيوف ويذهب إلى منزله وبعد الطعام يعود مرة أخرى إلى المسجد وبناء على هذه الأصول تقام فى حرم مسجد السعادة كل ليلة ما يقرب من مائة مائدة للإفطار.

مطالعة

ويُذكر ما يحدث فى بعض البلاد الإسلامية، ولا ذكرت سيما باب السعادة، من الإفطار قبل صلاة المغرب عادة أهل الحرمين الشريفين التى ذكرت ومن هنا يفهم أنه إنما اتخذت هذه العادة فى الممالك الإسلامية اقتداء بأهالى الحرمين الشريفين.

وفى هذه الأصول - أى فى عدم ملء المعدة بالطعام مرة واحدة، بل أكل الطعام بعد إفطار خفيف وأداء صلاة المغرب - منافع طبية عظيمة. لأن ملء المعدة الفارغة مرة واحدة يؤدى إلى صعوبة إجراء المعدة وظيفتها ويسوق إلى مشكلات وهذا مضر من جميع الوجوه، ومن المفيد تعويد المعدة على أداء وظيفتها بطعام خفيف.

صورة أداء صلاة التراويح:

بعد الآذان يؤدى المصلون صلاة العشاء فى جماعة واحدة. ثم يُشْرَعُ فى أداء صلاة التراويح وقد انقسمت جماعات المسلمين إلى أربعين أو خمسين فرقة. ولكل فرقة إمامها ومؤذنها وأمامهم شمعدانان كبيران وفوانيس متعددة والفوانيس التى أمام الفرق فى ألوان غير مختلفة وتفترق كل فرقة إلى جهة ما من المسجد فيختم بعضها القرآن فى أثناء صلاة التراويح ويؤدى بعضها صلاتهم بقراءة وتلاوة سور طويلة أو قصيرة. فبعض الأئمة يكبرون وبعض الأئمة يتلون القرآن وهذه الحالة المليئة بالفيوضات الإلهية تجذب الأنظار وتثير الحيرة وينجذب إليها الروحانيون للتأمل والمشاهدة وفى ختام التراويح يجرى مرسم موكب الشموع.

سبب إقامة موكب الشموع:

يضاف فى ليالى رمضان الشريفة إلى الشمعدانين الذهبيين اللذين يوقدان بشمع النحل فى الحجرة المطهرة فى الأيام العادية، ثمانية شمعدانات أخرى حتى تُضَاء الحجرة المطهرة بصورة عظيمة. ومن العادات المستحسنة أن يدعى ثمانية أشخاص من ذوى الهيئات من الخارج لإعادة الشمعدانات التى وضعت فى حجرة

السعادة إلى أماكنها فى المخزن، والقيام بهذا العمل والفوز بخدمة سيد الكونين من الأمور الصعبة ألا فليكتبه الله سبحانه وتعالى لجميعنا، لأن تلك الخدمة التى تستوجب المغفرة تنحصر فى أكابر المدينة المنورة من أعيانها وأشرافها وبعض الموظفين الكبار المحليين؛ وبناء على هذا يكتب لثمانية أشخاص تذاكر دعوة خاصة ويخطرون بوجودهم فى موكب الشموع.

والأشخاص الذين دعوا ليكونوا فى موكب الشموع يذهبون عقب أداء صلاة التراويح مع الخدم ويدخلون فى الحجرة التى فيها قبر الرسول الجليل ويأخذون الشمعدانات التى اعتيد إيقادها فى داخل الحجرة وينقلونها إلى خزانة الشموع[١] الكائنة فى شمال الحرم الشريف ويوصلونها.

(١) يطلق الخزينة بين أهل المدينة على الحجرة والمخزون.

فى بيان ترتيب وتشكيل موكب الشموع الذى اعتيد إجراؤه فى مسجد السعادة بعد صلاة التراويح.

بينما يحل وقت إجراء موكب الشموع يلبس شيخ الحرم ونائب الحرم[1] جلبابًا واسع الأكمام ويشدون وسطهم بشيلان خاصة للاستخدام فى مواكب الشموع ويرسلون أطرافها إلى الأسفل ثم يذهبون مع المدعوين بتذاكر الدعوة والذين لبسوا مثلها إلى أمام باب الحجرة المعطرة الذى يطلق عليه الباب الشامى ويدخل شيخ الحرم ونائبه فى داخل الحجرة المعطرة وبعد فترة يخرجان وقد حملا الشمعدانين الذهبيين والأغوات الخاصة بالحرم يحملون الشموع الخاصة الثمانية بليالى رمضان ويعودون بكل وقار وتعظيم لائق وتكريم فائق إلى الباب الشامى ويعطون الشمعدانات التى فى أيدى أغوات الحراسة إلى الموظفين الذين بقوا خارج الباب وينظمون صفوفهم والأشخاص المدعوين لحمل الشمعدانات يحمل كل واحد منهم الشمعدان الخاص به والذى أشير إليه فى تذكرة الدعوة ويأخذ الفراشون شموع مسجد السعادة والشموع التى مقابل المحراب الشريف ويسيرون منتظمين كل واحد منهم خلف الآخر يتقدمهم حاملو شموع الحجرة المعطرة وهم يصلون على النبى ويسلمون أثناء سيرهم فى وقار وتؤدة نحو مخزن الشموع وفى أثناء ذلك ينشد مؤذن رخيم الصوت قصائد فى نعت النبى ﷺ وهو يستقبل مرقده ـ عليه السلام ـ وفى ختام الموكب يدعون لملك الزمان ثم ينادون قائلين «الفاتحة».

(١) إن هؤلاء الأشخاص من رؤساء الأغوات الذين يطلق عليهم «خبرى» وضباطهم، قد رتبت أحوالهم وشئونهم فى الصورة التاسعة.

بينما ينظم موكب الشموع يقف أولاد الموحدين مجتمعين أمام حديقة النخيل[١] ويستقبلون الموكب ويأخذون الشموع التى فى أيدى المدعوين ويوصلونها إلى الحجرة التي يطلق عليها الخزانة، ثم يعودون.

لما كان هذا الموكب العالى يثير فى الناس حالة من الروحانية وشوق وشغف يصر أهالى دار السكينة على مشاهدة هذا الموكب.

(١) هذه الحديقة فى الساحة الرملية لمسجد السعادة.

فى تعريف طريقة أداء صلاة الفجر وصلاة العيد فى شهر رمضان.

صورة أداء صلاة الفجر:

وتبدأ كافة الجماعات الذين اشتركوا فى موكب الشموع وشاهدوه حتى انجلت قلوبهم فى العودة إلى المسجد وحدانا وزرافات قبل حلول وقت صلاة الفجر بساعة ونصف ساعة ويوقد كل واحد منهم شمعة ويواظبون فى تلاوة القرآن الكريم «ودلائل الخيرات»[1] وأحزابًا لطيفة وأذكار منيفة. فتئن أرجاء المسجد الشريف أنينًا بأصداء القراء التى تثير الشوق ونداءات وتأوهات للذاكرين. وتعم روائح الحجرة المعطرة والروضة المطهرة جميع الأركان. وينتعش الجميع وهم يشربون من الفيض الربانى ويلفهم الوجد والحيرة. والقصائد المتنوعة التى تقرأ فوق المآذن والصلوات التى تؤدى بين الصفوف والمحامد، والماء البارد الزلال الذى يقدم إلى العِطَاشِ الموحدين من قبل سقائى الخير يجدد الحياة.

وعندما تصل هذه الحالة من الوجد إلى حد الشوق والكمال ويأخذ المؤذنون فى النزول من المآذن يقف رئيس المؤذنين فى مواجهة نافذة الحجرة الطاهرة ويبدأ فى الأذان الداخلى قائلا الله أكبر ويسكت الحاضرون الكرام عن إصدار الصوت وقد عرفوا أن وقت صلاة الفجر قد حان. وهكذا تنتهى أعمال مشتاقى جمال النبى الجميل، وينهمك الأبرار وقد سمعوا صوت المؤذن «أشهد أن محمداً رسول الله» فى أداء صلاة الصبح مقتدين بالإمام الشافعى المذهب وبعد أداء الصلاة يشنفون أسماعهم بما يسمعون من الوعظ والنصائح من العلماء إلى وقت صلاة الأمام الحنفى[2].

(١) للشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولى السهلالى الشريف الحسنى المتوفى عام ٨٧٠ هجرية.

(٢) معلوم أن الشافعية يصلون الصبح لأول الوقت، أما الحنفية فيؤخرونها قليلاً إلى وقت الإسفار. والتبكير مذهب مالك والشافعى وأحمد والجمهور. وقال أبو حنيفة: الإسفار أفضل. انظر: شرح النووى على صحيح مسلم ٢/ ٩١٤ طبع دار الغد العربى

صورة أداء صلاة العيد:

بعدما تمضى أيام رمضان كما سبق تعريفه وبعد أداء صلاة العيد وانتهاء الخطبة والدعاء يتجه الناس عمومًا إلى الحجرة المعطرة للدعاء والتضرع. ويقفون أمام رسول الله ﷺ ليسلموا على النبى ﷺ ويعرض كل واحدمنهم ما فى ضميره على النبى ﷺ ويعود إلى بيته.

ومن عادة سكنة المدينة المنورة القديمة الاحتفال بالعيد ثلاثة أيام وثلاث ليال مثل أعياد دار السعادة، تطلق المدافع من القلعة الخارجية عند حلول الأوقات الخمسة وفى هذه الفترة يتزاور الناس ويقبل الصغير يد الكبير وينال دعوته الطيبة، وتقبيل الأيادى فى المدينة المنورة ليس قاصراً على الأعياد. إذ يقبل جماعة المصلين سواء أكان غنيًا أم فقيراً أيدى من فى يمينه ويساره.

في تعريف الهيئة الكاملة لمسجد السعادة في الوقت الحالي.

تقع مدينة مهجر الرسول ـ على صاحبها أفضل التحية ـ في نقطة متوسطة من المدينة الساحرة ويقع مضجع حبيب الله ـ أى الحجرة المعطرة التى كانت سببًا لاشتهار مدينة طيبة المقدسة ـ أمام الموقع الذى تطلق عليه «صفة أصحاب الصفة» وبالجانب الشرقى المتصل بالروضة المطهرة.

فالمؤرخون الذين قاسوا مساحة عرض المسجد الشريف المقدس اختلفوا فى أقوالهم ومن ضمن هؤلاء «مولانا عبد الرحمن» الجامى ـ قدس الله سره السامى ـ إذ قال فى أثره القيم[1] إن المسافة من حائط مسجد النبى الجنوبى إلى جداره الشمالى طولاً مائتان وخمسون ذراعًا وعرضه من الجدار الشرقى إلى جداره الغربى مائة وخمسون ذراعًا إلا أن طوله وعرضه فى عهد رسول الله ﷺ كل واحد منهما مائة ذراع. وأضاف «إننى قست الروضة المطهرة وصفة أهل الصفة كل واحدة على حدة وعددت أعمدتها الموجودة واحدًا واحدًا فوجدت طول الروضة المطهرة خمسة وثلاثين ذراعًا وطول الصفة الشريفة اثنى عشر ذراعًا ووجدت عرض الروضة المطهرة عشرين ذراعًا وعرض الصفة عشرة أذرع كما أخبر أن هذا الذراع ذراع شرعى.

قد قست أنا المؤلف ساحة مسجد السعادة من الخريطة المسطحة التى رسمت بعد أن قيست من قبل المهندسين الذين أرسلوا فى عهد السلطان عبد المجيد ـ طيب الله ثراه ـ بالذراع المعمارى فوجدت طول المسجد مائة وستة وخمسين ذراعًا وثمانية أصابع وعرضه جنوبًا سبعة وتسعين ذراعًا وثمانية عشر إصبعا وشمالاً

(١) للجامى مؤلفات كثيرة قيمة أهمها: نفحات الأنس، واللوائح، وشواهد النبوة، وغيرها.
وهو أحد شعراء إيران العظام فى العهد التيمورى، ومن خير المفكرين المسلمين تلقى علوم الحقيقة على مشيخة سعد الدين الكاشغرى شيخ الطريق النقشبندية وصحبه حتى مات عام (٨٦٠هـ)، فاتخذ الجامى مسكنه إلى جوار قبر شيخه ولم يفارقه إلا حاجًا لبيت الله الحرام مرتين إلى أن وافاه الأجل عام ٨٩٨هـ، ودفن مع شيخه سعد الدين الكاشغرى رحمه الله رحمة واسعة.

تسعة وثمانين ذراعًا وستة أصابع إلا أن الجدار الشرقى للمسجد قد زيد فى عهد السلطان المغفور له ما يقرب من ثمانية أذرع فوصل عرض جهته الجنوبية إلى مائة وخمسة أذرع معمارية.

وللمسجد الشريف خمسة أبواب هى: «باب السلام، باب الرحمة، باب جبريل، باب النساء، باب التوسل» ونافذتان تعرفان باسم «نافذة جبريل» و«نافذة المواجهة» وله خمسة محاريب تعرف باسم محراب النبى، محراب عثمان، المحراب السليمانى، محراب التهجد ومحراب النساء. و«باب التوسل» فتح فى عهد السلطان عبد المجيد.

وقد أطلقت هذه الأسماء لبيان الأماكن التى صليت بها، **فمحراب النبى** المكان المقدس الذى صلى فيه النبى ﷺ مؤتما لأصحابه، **ومحراب عثمان** المحراب الذى اتخذ فى عصر عثمان - رضى الله عنه - **والمحراب السليمانى** المحراب الذى صنعه السلطان سليمان بن السلطان سليم وخصه لأئمة المذهب الحنفى **ومحراب التهجد** هو المحل الذى كان يؤدى فيه الرسول ﷺ صلاة التهجد **ومحراب النساء** هو المكان الذى فى داخل باب النساء وفى مؤخرة حرم السعادة وخاص بالنساء والذى ميز بأقفاص خضراء، وقد أسس «محراب النساء» فى عصر السلطان عبد المجيد خان عصر المبرات عند تجديد مسجد السعادة الأخير.

ولمسجد السعادة فى جهاته الأربعة خمس مآذن، وفى داخل الحرم الشريف أربعمائة وثلاثة وعشرون عمودًا وله أربعون قبة؛ عشر منها كبيرة وست عشرة منها أبيض وأربع وستون منها متوسطة الحجم والباقية صغيرة، وله ألف وسبعمائة وواحد وتسعون قنديلاً، وخمسة وعشرون شمعدانًا، وثلاث عشرة ثريا، وتوقد مائتان واثنان وعشرون من القناديل المذكورة فى ليالى الأيام العادية والبقية فى إحياء ليالى السلطان الشريف وفى الزمن الذى قاسه فيه حضرة «الجامى» كان سبعة وعشرون من أعمدته مصنوعًا من الآجر الملون وسبعة وخمسون منها من الرخام وبعضها من الحجر العادى والبقية منحوتة من الخشب.

وعند التعمير الأخير يعنى عندما جدد المرحوم السلطان عبد المجيد المسجد وأحياه جعل جميع أعمدته من الرخام وخفض عدد الأساطين إلى «٣٢٧».

يقال للأعمدة المصنوعة من الرخام «أسطوانة» فأكثر الأعمدة المصنوعة من الآجر الملون فى داخل الروضة المطهرة وبعضها فى الأماكن الخاصة بإقامة خدمة الحجرة المسعودة والأساطين العادية فى مواقع أخرى.

مائة وأربعة وستون من هذه الأعمدة مربعة، ومائتان وتسعة وخمسون منها مستديرة، وفى التعمير الأخير قد جعل كلها مستديراً فأربعة وخمسون منها فى داخل جدران الجهات الأربعة واثنان وعشرون منها فى داخل الحجرة السعيدة وبيت فاطمة والباقى منها أبواب الحرم السعيد والجهات الأخرى.

يقال لإحدى المآذن «الرئيسية» وللثانية «باب السلام» وللثالثة «باب الرحمة» وللرابعة «المجيدية» وللخامسة «العزيزية» وكل هذه المآذن قصيرة الطول بالنسبة للأخريات وأعلى هذه المآذن المئذنة الرئيسية الخاصة برئيس المؤذنين وباب هذه المئذنة مقابل نافذة الحجرة المعطرة وعلى الركن الشرقى لجدران القبلة.

ويقع المرقد النبوى السعيد فى الجهة الشرقية من الجدار القبلى للمسجد الشريف والروضة المطهرة بين الحجرة المضيئة والمنبر المنير والقبر اللامع لفاطمة الزهراء - رضى الله عنها - يقع فى نهاية الحجرة المعطرة الشمالية.

يروى أن قبر السيدة فاطمة الزهراء فى حظيرة ضريح عباس بن عبد المطلب وبجانب قبره فى مقبرة بقيع الغرقد والذى يؤيد صحة هذه الرواية أكثر من الروايات الأخرى قراءة زوار البقيع اليوم الفاتحة لروح السيدة فاطمة وهم يزورون ضريح عباس بن عبد المطلب.

وأطراف الحجرة المعطرة محاطة بشبكة حديدية، ويطلق على المكان الذى يقع بين المنبر المنير والمكان الذى يرقد فيه رأس النبى «الروضة المطهرة»، وعلى الجهة اليمنى لقبر الرسول «المواجهة الشريفة» وعلى اليسار من قبر الرسول حيث محل إقامة خدام الحجرة الشريفة «الدكة»، وللربع الذى فى داخل الشبكة اللطيفة حيث قبر الرسول «الحجرة المعطرة».

ولما كانت الروضة المطهرة والمواجهة الشريفة والدكة اللطيفة خارج شبكة الحجرة المعطرة لا يستطيع الدخول فيها إلا العظماء والسادات والسعداء من أهل المدينة من طينة طيبة أما الزوار السعداء الآخرون فيقفون أمام نافذة المواجهة الشريفة التى فى خارج الشبكة المنورة ويؤدون مراسم الزيارة.

الجهة اليسرى من جدار القبلة ابتداء من باب السلام إلى سبيكة النور شبكة القبر الشريف مفروشة بالرخام، والجهة اليمنى لهذه الأرض المفروشة بالرخام إلى اتصال العمود الشرقى للشبكة اللطيفة أى جهة الاتصال بجدار القبلة محدود بالسور الخشبى[١] فى ارتفاع ذراع ونصف ذراع معمارى وحول محراب النبى والمحراب السليمانى من اليمين واليسار بابان ينفتحان إلى جهة الروضة المطهرة.

إن هذه الساحة الرخامية طريق خاص بالزوار الذين يريدون أن يذهبوا لزيارة الحجرة المعطرة وهو متسع قدر ذراع ونصف ذراع معمارى وهناك ساحة رخامية أخرى تنتهى إلى الساحة الرخامية لباب السلام من الجهة الداخلية وهذه الساحة الرخامية أيضًا طريق للزوار الذين يريدون أن يزوروا الحجرة المعطرة من باب الرحمة.

ويقع محراب النبى ﷺ بين شبكة مرقد السعادة الشريف والمنبر المنير وفى وسط الروضة المطهرة. وقد كتب فوق طاقتى البابين اللذين فى اليمين والشمال كتب فوق أحدهما الحديث النبوى «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[٢] (حديث شريف) وفوق طاقة الباب الآخر «من زارنى فى مماتى فكأنما زارنى فى حياتى»[٣] (حديث شريف)، وكتب فوق طاقى البابين على جانبى المحراب السليمانى الذى يقع فى جهة باب السلام من المنبر كتب فوق طاق أحدهما «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»[٤] وفوق طاق الثانى الآية الكريمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧).

---

(١) حينما لم يكن هذا السور الخشبى موجودًا كان ذلك المكان محدودًا بدواليب خدمة الحرم السعيد وعند التعمير الأخير فى عصر السلطان عبد المجيد صب ذلك السور من النحاس..

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والصغير والأوسط من طرق عن ابن عمر وكلها فيها ضعفاء.

انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٤/ ٢.

(٤) رواه البزار عن ابن عمر بإسناد فيه عبد الله بن إبراهيم الغفارى وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد ٤/ ٢.

وقد نقش بالذهب فوق كمر نافذة المواجهة السعيدة الحديث الشريف «إنما الأعمال بالنيات»[1].

الميدان الواقع فى شمال الحرم السعيد مفروش برمل أصفر وهذه الساحة مكشوفة وجهاته الأربعة مغطاة بقبة الفلك الربانى ويطلق على الجهة الجنوبية الشرقية وعلى محاذاة صفة أهل الصفة «روضة الرسول» ﷺ وهى حديقة مربعة الأضلاع قد أحيطت بسور خشبى جميل وفى داخل هذه الحديقة: نخلتان كبيرتان وستة من أشجار النخيل وشجرة تمر هندى وشجرة سدر وفى الطرف الذى تهب منه الرياح بئر ذات ماء حلو. وماء هذه البئر فى غاية اللذة وهو ماء مقبول لدى الأهالى وقيم مثل ماء زمزم.

وقد ذهب بعض الرواة إلى أن روضة الرسول هى حديقة الرسول ﷺ وأشجار النخيل التى فى داخلها قد غرسها بيده الشريفة، إلا أن روضة الرسول وحديقة السيدة فاطمة - رضى الله عنها - قد غرس بعض أشجار النخيل التى فى داخلها شيخ الخدمة «عزيز الدولة» وقال ابن جبير: إنه كان فيها فى وقت عزيز الدولة خمس عشرة شجرة. وقال مجد الدين اللغوى: كان فيها أكثر من خمس عشرة شجرة. وأشار ابن فرحون إلى أن أشجار النخيل هذه غرست قبل زمن عزيز الدولة.

هَمَّ بعض سادات المدينة ألا يستحسنوا وألا يستصوبوا فكرة غرس عزيز الدولة أشجار النخيل فى الساحة الرملية للحرم السعيد ولكنهم اختاروا الصمت مراعاة لخاطره وتوقيًا من سوء معاملته. وكانت الرياح العاصفة التى هبت فى عصر شيخ الخدمة ياقوت الرسول قد جففت هذه الأشجار، ولكنه انتزع الأشجار اليابسة وغرس مكانها أشجارًا جديدة.

واعترض الأهالى فى هذه المرة على غرسه لأشجار النخيل قائلين «قد ابتدعت

(١) أخرجه البخارى فى أول الصحيح حديث رقم (١) فتح البارى ١/ ١٥، باب بدء الوحى وأعاده فى باب ما جاء إنما الأعمال بالنية والحسبة...، حديث رقم (٥٤)، ومواضع أخرى فى صحيحه حديث ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣.

شيئًا جديدًا» إلا أنهم خسروا دعواهم، وأراد الشيخ طوعان أن يزيد عدد هذه الأشجار فى سنة ٨٧٣ ولكنه لم يوفق نتيجة لاعتراض الناس ومخالفتهم، ولما كانت هذه المسألة موضع اختلاف بين العلماء فلا قيمة لاعتراض الأهالى حينئذ. وقد حكم بعض العلماء بكراهية غرس الأشجار فى حرم مسجد السعادة بينما أباحه الآخرون.

قال مؤلف «زهر البساتين»: ويجوز غرسه مع الكراهة إذا لم تزعج أغصانها الجماعة وإذا غرس بنفسه فهو حرام.

«وقال ابن حجر» تنتفع الجماعة من ظلها واختلف فى حق ثمارها فحكم بعض العلماء قائلين: «فثمارها مباحة لجميع المسلمين مثل ثمار الأشجار التى تنبت فى المقابر» واعترض ابن حجر على هذا الحكم قائلاً: «بما أن غرسها جائز فهى ملك لمسجد السعادة فلا يجوز أكل ثمارها يجب أن تباع ويصرف ثمنها لأمور المسجد».

مازالت أشجار النخيل التى غرسها ياقوت الرسول موجودة وثمارها السنوية خاصة لأغوات حرم السعادة، وتظل أحيانا نخلة واحدة وأحيانًا تزيد وتصل إلى ثلاث أو أكثر من النخلات ويقتطف أغوات الحرم الشريف تمر هذه الأشجار ويهدونه إلى عظماء البلاد الإسلامية وأعيانها.

وقد جدد المسجد النبوى منذ الهجرة النبوية إلى الآن كما ذكر فى الوجهة السابعة سبع مرات وآخر مرة جدد وعمر فى «١١٢٧ و١٢٧٧» هـ.

وإنه لا ينكر ما بذل من الجهود وما أنفق من النقود فى سبيل تعمير وتجديد مبانى مسجد السعادة فى عهود الملوك الأموية والخلفاء العباسيين وملوك الشراكسة المصرين؛ إلا أن ما بذل من المساعى وما أنفق من النقود فى عهد السلاطين العثمانية الخالية من الجهود، ولا سيما فى عهد سلطنة الخليفة عبد المجيد خان والد سلطاننًا كثير المحامد، تفوق جميع الجهود التى بذلت فى عهد جميع الملوك السابقين ولا تقاس هممهم بهمم الحكام المسلمين السابقين.

في بيان وذكر أبواب حجرة السعادة المعطرة أبوابها وقناديلها وشمعداناتها وعدد خدمها المؤقتة والدائمة عناوينهم، ما معنى الفراشة والقسم، ترتيب، التأديب والمجازاة فى حق الأغوات نوبة الحراسة فى مسجد السعادة ليلاً، وتعريف أداء صلاة الفجر وذكر محاسن الأصول.

للحجرة المعطرة أربعة أبواب هى: باب فاطمة[1]، الباب الشامى[2]، باب الروضة[3]، باب الوفود[4] ولها أربعة وثمانون قنديلاً مثل النجوم.

وشمعدانان من الذهب وإن كانت أبوابها فى عصرنا أربعة إلا أن لها باب مسدود يطلق عليه «باب التوسل».

موقع الباب المسدود هو المحل المبارك الذى يوقف فيه فى الجهة المسعودة، وإذا ما دقق النظر قليلاً يفهم أن ذلك المكان مكان الباب القديم، ويروى أن نعش أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قد أدخل من هذا الباب.

وقد وضعت القناديل التى ذكرت سالفًا فى الأماكن المناسبة من الحجرة المنيفة ويوقد واحد من الشمعدانين الذهبيين لشرف رأس النبى ﷺ والآخر فى ناحية قدميه الشريفين. ويستخدم صنفان من الأغوات فى الحجرة المعطرة حتى لا تترك خالية ليلاً ونهارًا ويقال لأحد أفراد الصنف الأول «بطال» ولأفراد الصنف الآخر

(١) واسم آخر لهذا الباب هو باب على.

(٢) واسم آخر لهذا الباب هو باب عائشة.

(٣) يقال لهذا الباب: باب التوبة أيضًا.

(٤) وإن كان الاسم الآخر لهذا الباب «باب المواجهة» و«باب الإجابة»، وعلى قول آخر أن باب الوفود اسم قديم لباب الروضة.

ويفتح فى الشدة والكرب والمصائب وفى أوقات الفتح والغلاء للدعاء ويستجاب الدعاء مهما كان الدعاء ويظهر أثره فى وقته ومع ذلك فالدعاء فى حاجة إلى عقيدة صحيحة وإخلاص تام..

«خبزى» ويقوم بمراقبة انضباطهم وإدارتهم ضباط يطلق عليهم «البواب، حامل المفتاح» واسم أفراد أغوات البطالين «عجمى» وأفراد هذا الصنف أقل درجة من أفراد الخبزيين والخبزيون أقل درجة من طاقم «البوابين» وهؤلاء أقل من حاملى المفتاح الذى يقال لهم «السبعة الكبار» وكل واحد منهم يحترم الآخر ويطيعونهم حسب رتبهم.

وكان هؤلاء الخدم الذين يطلقون عليهم الأغوات لا يزيد عددهم ولا يقل عن ثمانين شخصًا ويؤخذ مكان الأغوات الذين يموتون من صنف الخبزيين أقدم الأغوات من صنف البطالين، ويؤخذ مكانهم ملازمى صنف البطال ستة عشر من الخبزيين بوابون ويحملون عناوين «نائب الحرم، مستسلم الحرم، خازن الحرم، نقيب الحرم» وفيهم أربعة ضباط وكان أكبرهم «شيخ الحرم» وكان يبعث ويعين من مقام الخلافة الجليل[1] وكانت المحافظة على الحجرة المعطرة تتبع نظامًا مستحسنًا وكان عدد البوابين عند نوبة الحراسة أربعة وكانوا يظلون فى داخل الحجرة المعطرة فى أثناء الحراسة وكانوا يقسمون فيما بينهم ما ينفحهم به الزوار فى أثناء الحراسة وكان الضباط يرقون إلى درجة أعلى حسب أقدميتهم.

وكانت من أحكام القواعد التى اتخذت أن يتواجد فى داخل الحجرة المعطرة تسعة وعشرون شخصًا من الحراس خمسة وعشرون منهم من أغوات الخبزيين أو أغوات البطال غير أربعة بوابين. والذين يخرجون من نوبة الحراسة يجلسون فوق صفة أصحاب الصفة على ركبهم يشغلون وقتهم بالذكر والتهليل وقراءة الأحزاب الشريفة والأوراد المباركة إلى أن تتم نوبة حراستهم وكان خدم الفراشة يدخلون فى داخل الحجرة المعطرة ويوقدون القناديل التى كلفوا إيقادها وخفضوا مؤخرًا عدد الأغوات إلى خمسة أشخاص وأبلغوا عدد الخدم الآخرين وزادوه إلى العدد الذى درج فى الفهرس الأسفل، وكان أحد الأغوات الخمسين مُسْتَسْلِمًا وأحدهم

(١) وظيفة شيخ الحرم الجليلة كانت خاصة بالأشخاص الذين يحرزون الأغوية فى باب السعادة ثم عمم ووجه فيما بعد إلى الوزراء ومشيرى العساكر السلطانية ذوى الاحترام.

نقيبًا واثنا عشر فيهم بوابًا وتسعة عشر منهم خبزيًا وأربعة عشر بطالاً وثلاثة منهم من أفراد الملازمين.

سبب وتاريخ استخدام الأغوات فى الحجرة المنيفة

يقول خير الدين إلياس المدنى نقلاً عن المرحوم فلاح الفلاح راويا: «لم يكن هناك أصول استخدام الأغوات فى الحجرة المعطرة إلى ظهور الدول التركية».

قد استحسن بعض المنتمين إلى الشهيد نور الدين لبعض الأسباب استخدام الأغوات فى الحجرة المنيفة وأبلغوا الأمر بواسطة بعض الأمراء الذين كشفوا الأمر إلى الشهيد نور الدين وأخذوا موافقته على هذا الأمر، وبناء عليه اختاروا اثنى عشر أغا كلهم من حفظة القران الكريم وأرسلوهم إلى المدينة المنورة. واشترطوا فيمن يعين مكان الذين يتوفون منهم فوق حفظه للقرآن الكريم أن يكون حبشيًا إن أمكن وإلا من أهل الروم وإذا لم يوجد أن يكون هنديًا وسقط حكم هذا الشرط بعد فترة فأرسلوا كلهم من الهنود ثم ترك أصول إرسالهم من الهند فعين الأغوات الحاليون وفق النظام الأخير.

وقد أبلغ صلاح الدين الأيوبى عدد الأغوات إلى أربعة وعشرين وعين شخصًا يسمى الشيخ بدر الدين ضابطًا عليهم ووقف إيراد بلدتى «نقادة وقيادة» عشر محاصيلها لإدارة الأغوات وإعاشتهم. وكان الأغوات الذين يستخدمون لذلك الوقت يخدمون حسبة لله ويتعايشون بالهدايا والعطايا التى يرسلها أصحاب البر والخير. وأخذ يطلق على شيخ الخدم بدر الدين الأسدى «شيخ الحرم» فزاد قدرًا ومكانة، وسواء كان الشيخ بدر الدين أو الأشخاص الذين أصبحوا فيما بعد شيوخًا للحرم كانوا يلاقون من موظفى المدينة المنورة ومن وزراء وأمراء المسلمين الذين يزورون المدينة المنورة احترامًا وتوقيرًا، وذلك تعظيمًا لصاحب الروضة «عليه وعلى آله أكمل التحية».

والنظام الذى وضعه صلاح الدين الأيوبى نُقِضَ فيما بعد وأرسل الأغوات إلى الحجرة المعطرة من قبل ملوك المغاربة والسودان وسلاطينها حتى تجاوز

عددهم مع توابعهم وعبيدهم مائتى شخص، وظهرت النفرة والعداوة بينهم وبين أهل المدينة حتى أدت هذه الحالة فى النهاية إلى قيام الجدال والقتال بينهم.

وقد دامت المنافرة بينهم فترة فى الواقع وأخذ عدد الأغوات فيما بعد يزيد وينقص ولم ينحصر إرسال الأغوات إلى الحجرة العطرة فى سلاطين المغاربة والسودان وسلاطينهم إذ أخذ بعض أصحاب الخير يشاورون عبيدا أو يوقفونهم لخدمة الحجرة المنيفة فاختلط جنس الأغوات وزاد فيما بينهم أصحاب الأخلاق الطيبة وتحولت العداوة التى بينهم وبين الأهالى إلى المودة والأخوة فانخفضت العداوة بينهم كليًا فتعاملوا فيما بينهم مثال الأخوة.

لأغوات مسجد السعادة والحجرة المنيفة وظائف شهرية مخصصة لكل واحد منهم حسب موقعه ومكانته ولهم نظم جارية وقوانين مرعية مثل حراسة المسجد والحجرة المطهرة وتنظيف القناديل وإيقادها وقضاء الليل فى داخل المسجد ولهم أرزاق ومرتبات معينة من قبل السلاطين العثمانيين الكرام. ولهم ثكنات موقوفة من قبل أصحاب البر والخيرات وحدائق ذات محاصيل ولهم صرر تبعث من قبل أصحاب البر فى جميع البلاد الإسلامية وتقسم هذه الصرر بعلم شيوخهم ورؤسائهم وتوزع عليهم كلهم. وجميع الأغوات الذين فى زماننا هم من أصحاب الصلاح والخير ويتسمون بالوقار ويوثق بهم. وإذا ظهرت من بعضهم الرعونة ـ حسب البشرية ـ فإنها لا تجاوز الدائرة المنجية للشريعة الغراء وبما أنهم يخدمون ويرعون ملك الكائنات ـ عليه أكمل الصلوات ـ يلزم ألا يؤاخذوا على ذلك فإذا ما أدوا وظائفهم فى وقار تام وأدب تام فلا يتصور عمل أشرف ببنى البشر من أعمالهم.

ينقسم الأغوات الذين ينحصر عملهم فى إيقاد القناديل وإطفائها إلى قسمين يقال لقسم منهم «سندبليس» والقسم الآخر «مكادة»، وبما أن كل جهات حرم السعادة قد عينت وخصصت لأفراد منهم فعندما يحل الوقت المعين ينشغل كل واحد منهم بعمله ولا يجوز لأى واحد منهم أن يوقد أو يطفئ قناديل الآخر

وبهذا لا يتدخلون في خدمات بعضهم بعضًا ولا توصف السرعة التي ينجزون بها أعمالهم.

تعريف مقدار خدمة الفراشة الشريفة الجليلة:

تطلق على الخدمة القيمة للكعبة المعظمة والحجرة المعطرة الفراشة الشريفة وقد هيئت هذه الخدمة ووضعت وفق عدد قناديل الحجرة الشريفة ومشاعلها.

قد رتب واضع خدمة الفراشة الجليلة مائة وأربعين قطعة من الفراشة على أن تكون كل قطعة منها أربعة وعشرين قيراطًا. وخص أربعة وعشرين قيراطًا منها بالخليفة العالي الشأن واثني عشر قيراطًا بأشراف مكة المكرمة وست قراريط بالمنتسبين للحجرة المعطرة وست قراريط لنقباء الفراشين وقسم كل قيراط من اثنتين وتسعين قطعة لخمسة أو ستة أو ثمانية أو عشر أشخاص فأوجد بهذا خمسة آلاف أو ستة آلاف من خدمة الفراشة السعيدة. وقد وضع هذا النظام في عصر الدولة العثمانية عصر الميراث للمشتاقين لخدمة رسول الله ﷺ التي تستوجب المفخرة وقد خصص لكل قيراط منها حبوب وافية لتكريم أهالي المدينة المنورة ومكة المعظمة، والحبوب التي خصصت لكل قيراط تعطى من قبل الشخص الذي نال هذا القيراط بالبراءة والإذن إلى الأشخاص الذين وكلهم لأداء الخدمة اللازمة من أهالي الحرمين. كما أن أصحاب الفراشة يرسلون كل عام إلى من وكلوهم من أهل الحرمين مقدارًا من الهدايا باسم «الصرة» غير الحبوب فوكلاء خدمة الفراشة من أهالي الحرمين يمضون أوقاتهم قانعين بما يأخذون من مرتبات من خزانة الأوقاف السلطانية، وما يرد إليهم من الصرر من موكليهم.

إن الخدمة الجليلة للفراشة قد قسمت إلى مائة وأربعين قطعة وجزءا كما سبق ذكره أعلاه ولكنها قسمت فيما بعد إلى سبعة آلاف قطعة أو ثمانية آلاف ووزعت على أهالي الممالك الإسلامية بإذن من السلطان وكل من نال ربع قيراط من خدمة الفراشة يوكل أحدًا من أهالي الحرمين - كما سبق ذكره - ويرسلون للأشخاص الذين وكلوهم صرة نقدية كل سنة، وبناء على هذا يمكن أن يوكل

فراش واحد من قبل عشرة أشخاص أو أزيد وبهذا يوجد من وظيفته أن يوقد «شمعة» أو «قنديلاً» كل خمسة عشر يومًا أو عشرين باسم موكله وبهذا يمكن لوكلاء الفراشة أن يتعايشوا بما يأخذون من الوقف السلطانى من المخصصات وما يرسله أصحاب البراءات العالية من الصرر.

أغلب أهالى الحرمين يتعايشون وفق ما حرر أعلاه والمشتاقون لخدمة النبى ﷺ يبتهجون ويتباهون بحصولهم على ربع قيراط من خدمة الفراشة الجليلة، وهذا يبين مدى رعاية السلاطين العثمانية للمرقد النبوى الجليل وحرم المسجد الحرام وعظم تقديرهم لها.

يطلق على رؤساء الوكلاء الذين تعهدوا بالقيام بخدمات الحجرة المعطرة بدلاً من أصحاب الفراشة الشريفة «شيخ الفراشين» وقد أمسك هذا الشخص دفترًا لتقييد أسماء الوكلاء وتسجيلها وقد تحققت أنه قد قيد فى الدفتر الحالى أسماء ما يقرب من ألف وكيل.

ولما كان الشيخ المشار إليه شخصًا عظيم القدر ذا صفات عالية عند أهل المدينة فمن وظائفه أن يدخل إلى الحجرة المنيرة عند إيقاد قناديلها مع شيخ الحرم ونائبه وخازن خزانة الحرم ومن وظيفته الإشراف على عشرين شخصًا هنديًا المعينين لتعمير الثريات والقناديل وترميمها وتنظيفها.

مقام أبى بكر وعمر رضى الله عنهما:

فى داخل الحجرة المعطرة وتحت الغطاء القماش المصرى المزركش لقبر السعادة. وحيثما وجد هذان القبران فى الحجرة المسعودة قد نسخ فوق قطعة القماش التى تغطى القبر اسم صاحبه كما أن اسم النبى الطاهر قد زين ونقش باللآلىء الغالية.

وأرضية الغطاء القماش أخضر اللون، وخطوطه بيضاء، وقد زين الغطاء ـ غير الأسماء السابقة ـ بالصلوات الشريفة وأسماء النبى ﷺ بخطوط نفيسة.

ولما كان غسل داخل الحجرة المعطرة كل سنة فى اليوم التاسع من ربيع الأول وفى غرة رجب الفرد والثامن عشر من ذى القعدة من الأصول المتبعة فإنها تُطَيَّبُ وتغسل فى الأيام المذكورة.

وإن كان قد خصص ثلاثة أيام لغسل الحجرة المعطرة إلا أن القيام بهذا العمل على ما هو المطلوب غير ممكن لذا أضيف لتلك الأيام المذكورة يوم لكل واحد منها ففى الأيام الأولى تنظف وتغسل الشمعدانات والقناديل. وفى اليوم الثانى ينظفون داخل الحجرة المنيفة وخارجها ويعطرونها وفق الأصول الآتية:ـ

صورة غسل حجرة السعادة

يقف أغوات الخبزيين العجمى كلهم أمام الباب الشامى منقسمين إلى ثلاث فرق ـ وذلك فى الأيام التى تغسل فيها وتمسح الحجرة المعطرة ـ وفى أيادى فرقة منهم مقاشط خاصة بالحجرة المعطرة والفرقة الثانية معهم مكانس مصنوعة من سعف النخيل والفرقة الثالثة يمسكون بقطع من الإسفنج الكبير ويرتب كلهم صفوفهم، ثم يفتحون الباب الشريف المذكور ويدخلون فى داخل الحجرة المعطرة بكل أدب وسكون يقشطون ما يلزم قشطه وبعد أن يكنسوها جيداً ويمسحونها بقطع الإسفنج ثم يخرجون واحداً تلو آخر خارج شبكة القبر الشريف يوزعون الباقى من الماء المستعمل على سادات سكان المدينة فينالون العطايا.

ويستمر الأغوات الذين فى داخل الحجرة الشريفة فى أثناء الغسل فى ذكر «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والأشخاص الذين اجتمعوا فى الحرم الشريف من أصحاب الشوق والإخلاص يصلون ويسلمون على النبى ﷺ فى صوت واحد، ولا يستطيع أصحاب الوجد أن يمسكوا دموعهم فى هذا الوقت الذى قد امتلأ فيه مسجد السعادة بالصفاء والدهشة والمهابة وهذه الحالة المليئة بالروحانية لا يمكن وصفها ولابد من رؤيتها رؤية العين.

الخدمة الدائمة للخدم:

لما كان نيل سعادة خدمة الحجرة المسعودة غير ممكن التصور لأنها خدمة عظيمة

الشأن فالذين ينالون هذه السعادة من الأمور الطبيعية بالنسبة لهم أن يقوموا بأعمالهم بالوجد والحب والحرص الشديد على أداء أعمالهم على خير وجه؛ لذا يجتمع الفراشون بمسجد السعادة والآخرون من المخلصين والمحبين بعد أداء الصلوات المكتوبة كل صباح أمام مخزن الزيت[1] الكائن فى نهاية مسجد السعادة فيدعون حسب العادة.

وبعد إتمام الدعاء يذهبون فى تؤدة إلى الروضة المعطرة وهم يصلون ويسلمون وقد أخذ كل خادم إناءً نحاسيًا صغيرًا ودستة من فتيل مزيت وبعد أن يعطوا لأربعة منهم إبريقًا مزينًا مملوءًا بزيت الزيتون.

ولما كان فى أيادى أغوات الحراسة الذين يسيرون أمام الفراشين عصيان ذات كلاليب فكل واحد منهم ينزل القناديل الخاصة به وبعد أن يغير[2] الفراشون الذين بجانبهم فتائلها يعلقونها فى أماكنها، ثم يصلون صلاة الإشراق ويعودون إلى أماكنهم. وبعد أن ينتهى الفراشون من مسح القناديل وتغيير فتائلها والكناسون من كنس الحرم الشريف ينادى أحد الخدم الذين اجتمعوا أمام الباب الشامى «يا كناس» وكأنه يريد أن يبين لزملائه أن وقت كنس الحجرة المعطرة قد حان، ويسرع الكناسون للاجتماع أمام الباب الشامى من الحجرة المعطرة ويدخلون فى الحجرة المنيفة ويكنسونها وهم يوحدون ويهللون ثم يخرجون.

تأديب الأغوات المتهمين:

من مقتضيات الأصول المرعية أن يقف الأغوات كلهم من خبزيين والعجمى حسب رتبهم مصطفين بعد الانتهاء من خدماتهم فى تنظيف الحجرة اللطيفة والمسجد الشريف، كما سبق تحريره، وذلك لتأديب الأغوات المتهمين. ويأتى الأغا الذى كانت عليه نوبة الحراسة بالمتهمين فى الميدان وينسحب إلى مكانه وعندئذ يتقدم أحد ضباط الأغوات عدة خطوات ويقدم للمتهم بعض النصائح ثم يأمر بإحضار العصا كما أن استجواب المتهمين ومحاكمتهم يتمان فى مكان آخر

(١) يقال لهذه الخزانة «خزانة التعمير» أيضًا.

(٢) إن سرعة إنزال القناديل وتعليقها مرة أخرى مهارة خاصة بخدمة الحجرة المعطرة.

وعند ثبوت التهمة يتم إحضار المتهم وضربه من مقتضيات القانون القديم الخاص بالأغوات.

ولما يُؤْتَى بالعصى يدخل المتهم بواسطة اثنين من الأغوات إلى خزانة الشموع التى تقع أمام الحجرة الشريفة وتدخل رجلاه فى الفلقة[1] ويؤخذ فى ضرب المتهم على رجليه والجهر بكلمة الشهادة عند الضرب بينما يقف الأغوات الآخرون خارج باب خزانة الشموع فى حالة انتباه.

ويأخذ المتهم الذى أدرجت رجلاه فى الفلقة فى الصياح والاستغاثة، وإذا وجد من يشفع له يُخلى سبيله وإذا لم يوجد من يشفع يضرب إلى أن يقول «الفاتحة» ويغلق باب خزانة الشموع بعد الفاتحة، ويجلس الأغوات الذين عليهم نوبة الحراسة فوق صفة أصحاب الصفة متجهين إلى القبلة بينما يذهب الذين أنهوا نوبة حراستهم إلى تناول الطعام بعد أن يمسحوا ظهرهم على العمود الذى يقع فى الجهة اليمنى لمحراب التهجد وتقبيل أيادى الحراس السابقين.

تأسف: يجهل التاريخ وقت اختراع بدعة ضرب الأغوات وتأديبهم فى داخل مسجد السعادة ولما أصبح هذا النظام فى حكم القانون ولم تفترضه أية جهة فمثل هذا العمل يعد بدعة، خارجًا عن دائرة الأدب، ومخالفًا لأحكام الشريعة؛ فقد أحضروا للفاروق الأعظم فتى يستحق الضرب والتأديب، ولما كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى داخل المسجد أمر بأن يخرج المتهم خارج المسجد حيث يضرب ويؤدب، أما فى زماننا فإن الأمر تجاوز حد ضرب وتربية الأغوات بعضهم بعضًا إلى ضرب شيوخ الخدمة وتأديب أى واحد منهم ارتكب هفوة حتى ولو كان أمام قبر الرسول دون خجل واستحياء، فيصرخ المضروبون ويولولون دون أن يراعوا الأدب فى المكان المقدس. وللأسف الشديد فإن السلوك الذى نهى عنه حضرة الفاروق قد أصبح بدعة مستحسنة بل أخذ حكم الطاعة والعبادة.

ذيل: سألت أحد أهالى المدينة الكرام قائلاً: «إن الضرب فى داخل الحرم

(١) الفَلَقَةُ: عود يتصل به حبلان كانت تُمْسَكُ بهما القدمان عند الضرب.

الشريف يخالف الآداب السلوكية يا ترى ضرب الأغوات ـ كما سبق ذكره ـ يستند إلى دليل موثوق؟

«فأجابنى ذلك الرجل على هذا الوجه: «فى الواقع ضرب الإنسان فى داخل مسجد النبى سوء أدب! ولكن لضرب الأغوات وتأديبهم فى داخل المسجد فائدتان:

١ـ **الفائدة الأولى**: إنقاذ واحد من جماعات المسلمين ـ من الزوار، أو المجاورين ـ المتهم من الضرب. إذا جاء وقبلَ يد الضارب يجب أن تقبل شفاعة هذا الرجل ورجاؤه وإن كان رجلا قليل الشأن ويعفى عن المتهم.

٢ـ **الفائدة الثانية**: أن يضرب المتهم فى داخل الأصناف فإذا ما ضرب المتهم خارج المسجد وفى مكان خفى فإن الأغوات قد يضربونه إلى أن يموت لما فطروا عليه من الرعونة والشدة! وإذا قال المتهم تحت الضرب وإننى لم أرتكب هذا الذنب، فإنكم تضربونى بدون وجه حق أو يخرج من فمه ـ كثيرًا ـ ألفاظا مخلة بالآداب فيستمرون فى ضربه قائلين: «إنك تعصى من هو أعلى منك رتبة».

قد شوهد تكرار الضرب حتى فى داخل المسجد عدة مرات!! وذات يوم قال شيخ الحرم شوكت باشا: «إن ضرب إنسان فى داخل مسجد السعادة مخل بالآداب. وبعد هذا اليوم فليبلغ عن كل من يرتكب جُرْمًا من قبل ضابطه ثم تشكل هيئة من ضباط الأغوات لاستجواب المتهم ثم يسجن ويؤدب ويضرب فى مكان مناسب».

وألغيت عادة تأديب المتهمين بهذا الشكل داخل مسجد السعادة. وأراد ضباط الأغوات أن يبينوا خطأ رأى شوكت باشا وردهم لهذه الفكرة فقالوا: «إن زمرة الأغوات تتكون من طائفة العجمى فإذا ما ترك هؤلاء أحرارًا يضلون كما يشاءون فيصعب الحفاظ على مسجد السعادة ولاسيما الحجرة المعطرة، فتقع الأمانات والأشياء النفيسة المباركة في يد السفلة. ومن هنا يقتضى الأمر تربية هؤلاء ولابد لهم أن يحترزوا من رؤسائهم» إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا شوكت باشا برأيهم. ولما أصبح عادل باشا شيخًا للحرم، كرر الأغوات مطالبهم السابقة

ورجوا منه أن يسمح لهم بإجراء أحكام عاداتهم السابقة وأصروا عليه. فقال لهم عادل باشا موافقًا: «اعملوا وتصرفوا وفق عاداتكم القديمة» والآن يتصرفون كما كانوا يتصرفون من قبل.

وعندما يقترب المساء وقبل حلول وقت صلاة المغرب بعشر دقائق يشير الموقدون إلى الفراش الذى عين لإيقاد الشموع والذى ينتظر تحت محفل المؤذنين فيعلن هذا الفراش بصوت مرتفع حلول الوقت قائلاً: «بسم الله» وعندئذ يجتمع الخَدَمَةُ كلهم وقد سمعوا الصوت عند شيخ الحرم النبوى ويقفون أمام قبر الرسول ﷺ، فيرفع شيخ الحرم يده داعيا وفقًا للأصول ويخرج من خزانة الشموع الشمعدانين الذهبيين فيعطى أحدهما لشيخ الحرم والآخر لنائب الحرم فيدخلان إلى حجرة السعادة، ويسيران فى داخل الحجرة المعطرة بكل أدب وتعظيم ويضع شيخ الحرم أحد الشمعدانين ناحية رأس النبى ﷺ والآخر ناحية قدميه، وبعد أن يتمسحا بقبة قبر الرسول ﷺ يخرجان. ثم يدخل شيخ الحرم إلى الحجرة الشريفة مرة أخرى بعد أن يعطى لشيخين شمعتين مدببتين لإيقاد قناديل الحجرة وإناءً مدببا من النحاس(١) لكل واحد منهما.

ومن القوانين القديمة ومقتضياتها أن من يضع الشمعدان الذى يوضع بجانب رأس النبى ﷺ هو شيخ الحرم وأن يدخله بذاته، كما أن الشمعدان الذى يوقد بجانب قدمى النبى ﷺ يدخل من قبل نائب الحرم ويخرج كذلك. كما أن القوانين المرعية أن يحمل خازن خزانة الحرم فى أثناء ذلك مبخرة وينهمك شيخ الفراشين بالدعاء؛ إلا أن نقل المبخرة الذى يستوجب الفخر وإن كان خاصًا بالخازن قد شوهد أحيانًا قاضى المدينة المنورة ومدير الحرم السعيد قد حملاها متناوبين.

بعد أن يؤدى شيخ الحرم ونائب الحرم مهمتهما مصلين مسلمين يعودان متقهقرين أحدهما من يمين القبر والآخر من يساره، وبما أن الأشخاص المكلفين بإيقاد القناديل يؤدون مهمتهم ومعهم المشار إليهما، يُؤَذِّنُ بعد ذلك وينصرف كل واحد إلى جهة لأداء الصلاة.

(١) تهدى هذه الأوانى من قبل أصحاب الخيرات.

إخطار

إن السعداء الذين يتواجدون فى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وهم يحملون البراءة السلطانية لخدمة الفراشة يستطيعون أن يؤدوا وظائفهم بأنفسهم بدلالة وكلائهم وذلك مثل إيقاد القناديل. انتهى.

وبعد أن تؤدى صلاة العشاء وتتفرق جماعة المصلين يغلق أغوات الخبزى والعجمى أبواب الحرم وقد أمسكوا فى أياديهم فوانيس ملونة ويخطرون من يصادفونهم من الأفراد بضرورة خروجهم من المسجد قائلين «بسم الله» أو «لا إله إلا الله» وبعد أن يغلقوا أبواب المسجد يستقبلون حجرة السعادة ويصيحون قائلين «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» وهم واقفون أمام باب الرحمة ويصلون على النبى ﷺ مجتمعين فى صوت واحد.

وروحانيته عندما تنضم آيات الفيوضات النبوية إلى سكون مسجد السعادة وهدوئه وروحانيته فإن المهابة والدهشة المعنوية اللتين تحدثهما الصلوات التى يطلقها الأغوات، تلك الصلوات المليئة بالوجد المحمدى تصيبان الإنسان بالقشعريرة وتوقفان شعر بدنه ترفرف روحه حول بدنه كأنها أثير، ولا يمكن لهؤلاء الذين يستمعون لهذه الأصداء التى تثير الأشواق إلا أن يبكوا وإن كانت قلوبهم قدت من صخر.

صورة تسكين الأغوات:

ينسحب الأغوات عقب الصلاة والسلام على محمد ﷺ إلى الساحة الرملية لحرم السعادة، ويناموِن فى مكان مخصوص لهم أمام باب النساء على وضع غريب، ولكل أغا فرش للنوم يشبه الخيمة، وحينما ينفردون للنوم يضع كل واحد منهم عمته فوق فراش النوم ثم يتجهون برءوسهم نحو الروضة المطهرة وبأرجلهم نحو باب النساء ونصف أجسامهم تحت الخيمة والنصف الآخر خارج الفراش الذى يشبه الخيمة. فإذا ما رأى أحد هذه العمم فوق الفراش يظن أن الأغوات قد وقفوا لأداء الصلاة مصطفين.

ومن أحكام القوانين القديمة أن يظل أحد الأغوات فى داخل مسجد السعادة لنوبة الحراسة وأن يفتح الباب كل ليلة لرئيس المؤذنين الذين يؤذنون قبل الصباح بثلاث ساعات من باب النساء وينادى مخاطبًا أغوات الحراسة قائلاً: «لا إله إلا الله»؛ فيجيب الأغا الذى فى نوبة الحراسة من الداخل «محمد رسول الله» العبارة المنجية ويفتح له الباب. وبعدما يفتح باب النساء ويضع الأغوات فرشهم فى المكان الخاص بها يقف رئيس المؤذنين أمام المئذنة الرئيسية يأخذ الدستور وهو يصلى على النبى ﷺ قائلاً: «اللهم صل وسلم وزد وأنعم وبارك على أسعد العرب والعجم إمام طيبة والحرم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم ورضى الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين الفاتحة»، ثم يصعد على المئذنة سابقة الذكر ويأخذ فى التهليل والتسبيح ويوقظ سكنة دار السكينة من نوم غفلتهم ثم يتبدد الصوت وهو رخيم حزين محرق فى الأذان والذين يسمعون الأذان يستيقظون ويتوضئون ويوقظون أهل البيت ثم يذهبون إلى المسجد الشريف ويواظبون فى قراءة الأذكار إلى أن يحين وقت الصلاة، وذلك لأداء الصلاة والسلام فوق المآذن إلى طلوع الفجر وبعد ذلك يؤذن للإعلان عن حلول وقت صلاة الفجر.

ومن أحكام القوانين الجارية بين الأغوات إغلاق باب النساء بعد دخول المؤذن وعندما يصل المؤذنون الآخرون يفتح الباب المذكور مرة أخرى ويغلق بعد دخولهم وتستغرق الأوقات غير أذان المغرب نصف ساعة وتستغرق التهاليل والتسليمات والتسابيح التى تلقى قبل صلاة الفجر ساعتين ونصف ساعة ويتناوب المؤذنون سواء كان فى الأذان أو التسابيح والتهاليل. ومن عادات أهل المدينة التى لا يطرأ عليها التغيير، صعود رئيس المؤذنين على المئذنة الرئيسية قبل طلوع الفجر بساعة، وإبقاء الأغوات القناديل والثريات عندما يبدأ المؤذن فى الصلاة والسلام، ووصول الأهالى واحدًا تلو آخر ليظلوا فى انتظار حلول وقت صلاة الفجر.

وفى الوقت الذى يمضى بين الأذانين ينهمك بعض الجماعة فى تلاوة القرآن وبعضها فى ذكر الله والبعض الآخر يسفحون دموع الندامة من عيونهم، ويحل

فى المسجد بإصدار أصوات الحفاظ همهمة تخرج أصحاب الوجد والإخلاص من شعورهم، وفى هذه الحالة من السعادة ينزل المؤذنون من المآذن وينادى الذين فى المحفل قائلين، الفاتحة، ويؤدى العلماء الكرام مع الجماعة ركعتى السنة وعند الإقامة يصلون فرض صلاة الفجر مقتدين بإمام المذهب الشافعى ثم يدعون ويبتهلون ثم تبدأ رحلة الوعظ والنصيحة ويستمع إلى القرآن الذى يتلوه الحفاظ المحترمون.

ويمضى الوقت على هذه الحالة ما يقرب من ساعة ثم ينادى أغوات نوبة الحراسة قائلين «الصلاة» فينهى العلماء دروسهم ونصائحهم ثم تقام الصلاة مرة أخرى فتصلى جماعة المذهب المالكى، وبعد أداء الصلاة والدعاء يفتح باب الحجرة ويلج شيخ الحرم ونائب الحرم فى الحجرة الطاهرة ويخرجان الشمعدانين منها ويدعوان بعد إطفاء القناديل.

خدمات خدم مسجد السعادة الدائمة والمؤقتة:

وكان للمسجد الشريف قديمًا غير أغوات حجرة السعادة مائة وعشرون شخصًا من الخدم والموظفين، وكانوا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هى «البوابون، الفراشون، والكناسون» وكان كل قسم تحت رياسة شيخ ما، كما كان يستخدم ثلاثون شخصًا من الخارج يطلق عليهم «وكلاء الخدم» وكان للمسجد الشريف فى تلك الأوقات خمسة وعشرون إمامًا حنفيًا، اثنا عشر إمامًا شافعيًا، وعشرون خطيبًا حنفيًا، وعشرة خطباء من المذهب الشافعى، وخطيب مالكى وآخر حنبلى، وخمسة وثلاثون مؤذنًا، وكان هؤلاء كلهم يؤدون خدماتهم بالمناوبة، ومع مرور الأيام زاد عدد الخدم حتى وصلوا إلى العدد الذى سيرى فى الفهرس الآتى:

الخطباء والأئمة فى الحرم النبوى الشريف

العدد	الشخص
٤٦	الخطباء الكرام «يقومون بالإمامة أيضًا بعض الأوقات»

٣٧	الأئمة الكرام
٣١	مراهقون
٣٤	صغير
١	نقيب
١٤٩	المجموع
١	شيخ
٣٨	رؤساء
٣٩	

مكبرو الحرم الشريف

١	شيخ
٢٥	مكبر
٢٦	المجموع
- ١٩[1]	
٧	
١	برقى
١	نقيب الرؤساء
١	موقت الحرم الشريف
٣	المجموع

(١) ربما أن من يقومون بمهمة الرؤساء وقد قيدوا فى صف الرؤساء طرحوا من هنا.

بوابو الحرم الشريف
٢ بواب باب الرحمة
٢ بواب باب السلام
٢ بواب باب النساء
٢ بواب باب التوسل
٢ بواب باب جبريل
١ بواب السور الخشبى

١١ المجموع

سقاءو الحرم الشريف

١ الشيخ
٩ السقاءون

١٠ المجموع
الحراس الذين يقفون مصطفين عندما يفتح باب الحجرة المعطرة صباحًا ومساءً
١ شيخ

استطراد

لم يكن فى صدر الإسلام أمام خطباء المدينة المنورة مؤذن منبر، وبعد ما احترق مسجد السعادة وخرب وضع نظام وجود أحد الأشخاص أطلق عليه مؤذن المحراب لحماية الخطباء من اعتداءات الأشقياء، وكان أكبر دافع لوضع هذا النظام هو اعتداء فرقة من غلاة الفرقة الإمامية وإساءتها، وقد استولت تلك الفرقة المذكورة على المدينة المنورة قبل الحريق وبالتدريج تغلب أفرادها على أفراد مذاهب الحق بالتدريج وسيطروا على مسجد السعادة وعلى جميع المساجد الأخرى والأضرحة التى أداروها وفق تعليمات وطقوس مذهب الرفض والإلحاد ومنعوا أصحاب المذهب الحق من الدخول فى مسجد السعادة وطبقوا فى المسائل الشرعية أحكام مذهبهم وحرفوا دقائق الكتب الفقهية كيفما شاءوا.

وانتزعوا زمام الحكم فى فترة ما واغتصبوا دور إفتاء مذاهب الحق، وتدخلوا فى الأحوال الشخصية لهذه المذاهب الحقة من حيث عقد النكاح وأخضعوا على الأحكام الفرعية لمذهبهم وأصبح لا يعقد النكاح دون الاستئذان من قضاة تلك الطائفة ودون وجود أحد أئمتهم. وطفح كيل أهل المدينة من مظالمهم التى لا تطاق وتشتتوا فى أطراف البلاد الأخرى فرادى ومثانى، واتحد أفراد الملاحدة واتفقوا على ألا يدخلوا أحدًا من علماء المذاهب الحقة فى دار الهجرة، وطردوا العلماء الذين فى داخل المدينة واحدا تلو آخر؛ وبهذا أصبحت المدينة المنورة تحت أيدى طائفة الرافضة وخلع كل واحد منهم برقع الحياء والأدب وخرجوا جميعًا من دائرة الشرع المنجية، وابتدعوا بدعًا كثيرة متعددة وارتكبوا مساوئ تستدعى غضب الله، وهكذا كانوا سببًا فى احتراق مسجد السعادة، حتى إنهم رأوا بعض الأبيات كتبت على جدران المسجد الباقية دون الاحتراق من قبل الرحمن وأخبروا ذلك وكانت الأبيات المشهودة تبين إساءات الطائفة المذكورة وقد سطرت أيضًا فى الصورة من الوجهة الأولى، ولما استمرت وقاحة هذه الطائفة بعد تجديد مسجد السعادة أيضًا قويت إرادة أحد ملوك «نصير» الشراكسة فعين مفتيًا لموحدى المذهب الحق فى المدينة المنورة، وهكذا أرسل إلى طيبة الطيبة المفتى «شاهى» من أفاضل الفقهاء، ولما وصل المفتى المرسل من «نصير» إلى المدينة رأى أن أفراد المذاهب الحقة لا حكم لهم فى المدينة المذكورة لأجل ذلك فضل أن يؤدى مهمته فى مسجد ينسب إلى أبى بكر الصديق وقد أصبح مسجد السعادة تحت سيطرة غلاة الملاحدة وأخذ يصلى هناك ليلاً ونهارًا يعظ وينصح الناس فى خفاء وعزلة، وقد ظهر فى أثناء ذلك كثير من الموحدين الذين احترقت أكبادهم بنار الغيرة على الإسلام، وبذل المفتى جهده للتغلب على طائفة الملاحدة واستطاع بتصرفه الحكيم أن يدخل فى المسجد الحرام مع جم غفير ممن التفوا حوله من أتباعه وأخذ يعظ هناك وينصح وبهذه الطريقة الأصيلة استطاع أن يزيد عدد أتباع جماعات المذهب الحق يومًا بعد يوم وبهذا ظهرت علامة إمكانية التغلب على الملاحدة.

ولما رأت الطائفة المذكورة ازدياد أتباع المذهب الحق أخذت تتبع المفتى حيثما يذهب وتؤذيه فى جسمه وترجمه بحجارة الجور والإهانة حيثما يعظ وينصح من المساجد، إلا أن المفتى قد فتح صدره بالصبر لتحمل اعتراضات الملاحدة وزاد من عدد جماعته يومًا بعد يوم وبهذه الطريقة استطاع أن يعظ ويخطب أحيانًا حتى فى مسجد السعادة إلا أن جور ملاحدة الإمامية وأذاهم زاد قدر سعيه وجهده إذ أخذوا يرجمونه حينما يخطب فى المسجد حتى وهو يستأذن النبى ﷺ واقفًا أمام قبره وتعرض إلى غير ذلك من الأذى والتعب حتى أصبح يخاف على نفسه فقلت جرأته ـ وفق عادات البشر ـ وأراد أن يحصر وظيفته ـ الإمامة والخطابة ـ فى المسجد الذى ينسب لاسم الصديق الأكبر ـ رضى الله عنه ـ ومع هذا لم يتركوه على راحته حتى فى مسجد أبى بكر ولم يستطع أن يؤدى مهمته مستريحًا.

وقد تأثر أفراد سادات المذاهب الحقة من هذا الوضع وثقل عليهم، لذا قرروا فى مجلس عقدوه لبحث هذا الموضوع أن يخطب المفتى فى مسجد السعادة فإذا ما التزمت الطائفة المذكورة طريقة الإساءة والأذى والتسلط كان له أن يقاومهم بالسلاح وقد كثر عددهم وعلى هذا عادوا يومًا لأداء الصلاة فى مسجد السعادة، وقد اتحد مردة دائرة الرفض والإلحاد على أن يؤذوا ويسيئوا للخطيب فى داخل جماعته إلا أنهم جبنوا عن ذلك لما وصلهم من اتفاق أهل المدينة على المقاومة وأنهم كلهم متسلحون وعلى هذا لم يستطيعوا أن يتسلطوا على الخطيب بالرجم بل أطالوا ألسنتهم وأظهروا خبثهم بهذا الشكل.

وأخذ المفتى بعد هذه الواقعة يكثر من خطبه ومواعظه فى مسجد السعادة. إلا أن هذا العمل أثار غيظ علماء الطائفة المذكورة وغضبهم لذا فكر عقلاء الأهالى أن يحموا شخص المفتى ذو المحاسن من سهام إهانة الأشقياء وعن سوء قصد الملاحدة وقرروا أن يسير أمام الخطيب المفتى حينما يقوم من مكانه الخاص ويتجه إلى منبر السعادة حارسًا وشخصًا آخر أطلقوا عليه مؤذن المنبر، وفى الواقع إن هذا القرار كان صائبًا ومناسبًا لوقته.

وبناء على ما عرف ـ فى الصورة العاشرة من الوجهة الثالثة ـ أن الأمور سارت على ذلك المنوال فترة ما إلا أن الأهالى تغلبوا على جماعة الملاحدة المكروهة وأخرجوهم كافة من بلدة المدينة المنورة المباركة إلا أن الأهالى قد أبقوا خدمة مؤذن المنبر لسبب ما، ومن ذلك الوقت أصبح من العادة أن يسير أمام خطباء الحرمين مؤذن منبر فى أيام الجمع والأعياد، والآن يوجد مؤذن منبر أمام الخطباء الذين يتجهون لإلقاء الخطبة رعاية لهذا النظام سواء أكان فى المدينة المنورة أو مكة المكرمة وفى بعض البلاد العربية.

ولا ينكر فوائد هذا النظام الشامل للمحاسن فإن كان مثل هذا النظام فى باب السعادة لما أصيب خطيب جامع الوالدة فى أقسراى بجرح فى أثناء خطبته.

مولد النبى ﷺ يحيى أهالى المدينة ليالى المولد الشريف فى داخل المسجد الشريف ويجتمعون فى حلقات قرب الصباح أمام «باب النساء» وبعد أن يحضروا كرسيًا إلى الساحة الرملية لحرم السعادة، يستمعون إلى المولد الشريف من قبل خمسة أشخاص ذوى أصوات رخيمة والشيخ الخطيب ويشربون الشراب الذى يوزع عادة ويعودون إلى منازلهم.

ويشرع فى قراءة القصيدة المذكورة مع طلوع شمس اليوم الثانى عشر من كل سنة وإن كان قُرَّاء المولد من أئمة مسجد السعادة إلا أن لهم وظائف أخرى، وقارئ المولد الأول خاص بقراءة منقبة مولد السعادة وإنه يصعد فوق كرسى موضوع فى ساحة الحرم الشريف الرملية ويقرأ حديثًا ثم يدعو لسلطان الزمان وينزل، ثم يصعد الثانى ويقرأ ولادة النبى ﷺ الباهرة، ويقرأ الثالث الرضاع، والرابع يقرأ جزءًا خاصًا بالهجرة السنية، والخامس يدعو، وهكذا يؤدى كل واحد منهم وظيفته.

فتح المحال فى يوم مولد النبى للبيع والشراء، والانشغال بأشياء أخرى ممنوع قطعيًا بين أهل المدينة المنورة، يلبس فى ذلك اليوم الفيروزى الكبير والصغير الغنى والفقير كلهم ملابس فاخرة ويحتفلون بالعيد ويهنئ بعضهم بعضًا قائلين

حينما يتقابلون إن هذا اليوم السعيد اليوم الذى ولد فيه سيد الكائنات إن أجسام الكائنات التى كانت ميتة تقريبًا تجددت حياتها، المواسم المقدمة الأخرى خلقت لحرمة هذا اليوم، وقد نزل القرآن الكريم المبين لأجل هذا النبى المختار هذا اليوم يوم العيد الأكبر، هيا نظهر أقصى ما نستطيع من الفرح والسرور ونعلن هذا اليوم بإطلاق المدافع من القلاع وتفجير حشو البارود.

زيارة مشهد حمزة: ولما كان من عادة سكان البلاد الحجازية زيارة ضريح سيدنا حمزة بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ فى الليلة الثانية عشرة من رجب الفرد من كل سنة، فيذهب أهالى المدينة الطاهرة لزيارة مشهد سيدنا حمزة فى الليلة الثانية عشرة من شهر رجب وبعد الزيارة ينتشرون فى الخيم التى نصبت بجوار مرقد الشهيد المشار إليه ويحتفلون إلى الصباح وهم يطلقون حشو البارود.

ويخرجون فى الثالث والعشرين من رجب لاستقبال قافلة الزوار الذين يطلق عليهم «الرجبية» إلى خارج المدينة، وهؤلاء يفدون من الأطراف والأكناف قاصدين الزيارة، وبما أن هؤلاء الزوار يأتون إلى دار الهجرة راكبين الهِجَانَ قد يطلق عليهم «ركاب» أيضًا.

وتتكون طائفة الرجبية من الزوار الذين يأتون من اليمن ومكة والطائف وأهالى البلاد العربية وخاصة من البلاد والقرى القريبة المجاورة لدار الهجرة، وكل هؤلاء يأتون راكبين الهجان ومعهم أولادهم وعيالهم وكل قبيلة قد رفعت عَلَمَهَا وجلبوا رئيس قبيلتهم أمامهم ويدخلون بالشوق والإخلاص داخل حرم السعادة وينالون شرف مسح وجوههم على عتبة مرتبة العرش النبوى ويتلون النعوت الشريفة والصلوات الشريفة ويبكون متأثرين بما يحدث هذا الموقف من أثر شديد فى نفوسهم.

عندما يدخل زوار الرجبية فى حرم السعادة يبكون قليلاً إذ ترق قلوبهم، يسفحون الدموع الدامية إلى حَدّ أن من يرونهم تذوب قلوبهم كالملح وإن كانت فى قساوة الحجر الأسود، إنهم يفدون إلى المدينة المنورة ويقتحمونها مزدحمين

حتى تكاد المدينة طيبة الشهيرة تمتلئ رحباتها يقيمون فى خشوع وخضوع ثلاثة أيام بلياليهن أمام قبر النبى ﷺ وينشدون القصائد والمدائح دون توقف وهى قصائد فى مدح النبى ﷺ ذات أثر بالغ فى النفوس وأناشيد دينية:

مـــرحبًا بــك يـــا محمـــد　　　　مـــرحبًا مـــرحبًا مـــــرحبًا

إلى آخره.

وينتحبون بشدة من أثر مهابة المجلس الذى يعقدونه في داخل حرم مسجد السعادة إذ يقف من يشهده شعر جسمه من غلبة المحبة المصطفوية عليه ويسفح من عيونه دموع الحيرة وهو صامت ساكن.

واليوم الرابع لورود الطائفة المذكورة تحل ليلة المعراج وبعد أداء صلاة العصر يوضع كرسى مزين فى ساحة باب الرحمة فيجلس عليه شخص رخيم الصوت جميله ويأخذ الشخص فى تلاوة منظومة «المعراجية» بصوت حزين ذات تأثير ويلقى فى قلوب السامعين نار الوجد والمحبة ويغادر الكرسى.

ويجتمع بمنطقة المعراج المبارك كافة أفراد الزوار من الرجبية وأعيان وأشراف البلدة فيمتلئ مسجد السعادة لآخره من الداخل والخارج حتى يكاد يتحول إلى ساحة عرفات ذات الفيوضات ويهتز كل ركن منه بصياح ونحيب الموحدين حتى غروب الشمس.

ولما كان ينتظر وقوع بعض الفوضى والفساد نتيجة لهذا الزحام الشديد قد وضع بعض العساكر ورجال الشرطة حتى يحولوا دون حدوث ذلك وتتشكل هذه الجماعة في الطرف الغربى من حديقة الرسول وقارئها شخص واحد منفرد. وسواء أكان فى الاحتفالات بالمعراج أو المولد الشريف تنصب خيمة فى خارج مسجد السعادة حيث تجهز المشروعات ويسقى الجماعات الذين فى داخل المسجد بأوان خاصة بالمياه. وتظل هذه الخيمة فى مكانها حتى تتفرق الجماعة تمامًا.

ومن العادات القديمة فى هذين الاحتفالين إرسال شراب حلو إلى منازل ألفين من الموظفين والأهالى ففى الوقت الذى ستزال فيه الخيمة ترسل إلى دائرة

المشيخة ودائرة نائب الحرم وإلى منازل الأغوات والأشخاص الآخرين وإلى العساكر السلطانية وإلى موظفى الحكومة وإلى أعيان البلاد وسادتهم إناءين أو ثلاثة أوان من الشراب وتتحمل كل هذه النفقات خزانة المديرية.

وبما أن وجود زوار آثار السعادة المصطفوية فى ليلة المعراج فى داخل المسجد النبوى من النظم المرعية فطائفة الرجبية يحتفلون فى داخل المسجد توأم الجنة ويزعجون أهالى المدينة بصياحهم وأنينهم حتى الصباح وبعد أن يصلوا صلاة الفجر مقتدين بإمام المذهب الشافعى وبعد أن يمر نصف ساعة من شروق الشمس يمتطون هجانهم ويعودون إلى بلادهم وبعد الوصول يقومون بإجراء مراسم التهنئة فيما بينهم.

ومن العادات القديمة الجارية بين الأهالى توديع طائفة الرجبية وتشييعهم ففى اليوم الذى ستغادر فيه الطائفة المذكورة يخرج عامة الأهالى إلى خارج القلعة ويعودون مبتهلين بالهم والبكاء وقد تأثروا بنياح المفارقين، وصياحهم، ويطلق بين العرب لهذه الزيارة «حج النبى».

الوجهة الثانية

وتعرف حكم شد الرحال إلى المدينة بغرض زيارة مسجد الرسول ﷺ وتفصيل الأحاديث النبوية التى وردت فى الدقة والعناية بآداب الزيارة والمجاورة وفى فضائل المسجد الشريف والمنبر اللطيف والروضة المنيفة.

ذكر الأحاديث الشريفة التى وردت بخصوص شد الرحال لزيارة مسجد الرسول ﷺ وآراء الفقهاء العظام وموقفهم فى هذا الباب.

وعد الرسول ﷺ بشفاعة أمته المخلصة عندما قال بأمر من الوحى «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»[1] (حديث شريف) وذلك لكل واحد من الذين يزورون قبره.

بما أن هذا الخبر اللطيف قد روى من قبل أئمة الرواة ابن خزيمة والبزار والدَّارَقُطْنِى والطبرانى عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فلا شك فى صحته.

ذو الشهامة يزورون المرقد لا يحرمون من ألطاف الله

لقد بشر أحمد بالشفاعة لتكن مجنونًا إذا لم تحظ بها

كما أن زوار الرسول ﷺ مبشرون بالحديث الشريف الذى روى مرفوعًا عن طريق عبد الرحمن بن زيد عن الإمام البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما. «من زار قبرى حلت له شفاعتى»[2] (حديث شريف)، «من جاءنى زائرًا لا يعلم له حاجة إلا زيارتى، كان حقًا على أن أكون له شفيعًا يوم القيامة»[3] (حديث شريف).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عمر، وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط، وقال: فيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف.

وبناء على هذا الحديث الشريف فلا شبهة فى أن النبى ﷺ سيشفع يوم القيامة المفزع للذين يشدون الرحال إلى المدينة المنورة لزيارته ـ عليه السلام ـ وقد نقل وروى أبو بكر بن المقرى فى «معجمه» مرفوعًا عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن طريق مسلمة بن سالم الجهنى هذا الحديث.

وكل من يزور الرسول ﷺ بعد الحج بناء على الخبر الصحيح «من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى»(١) (حديث شريف) يكون كمن شاهد الرسول ﷺ فى حياته، وبناء على قول ابن الجوزى ينال أجر مصاحبة الرسول ﷺ، وقد روى هذا الخبر الإمام الطبرانى فى كتابيه «الكبير» و«الأوسط» عن زوجة الليث عائشة بنت يونس وعائشة عن زوجها الليث كما أنه رواه عن حفص بن أبى دواد القارى، وبما أن ابن الجوزى قد أخبر أن لفظة «صحبنى» من جملة كلمات هذا الحديث الشريف فلا شك فى أن الذين يوفقون فى أداء الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ يكونون قد زاروا الرسول ﷺ فى حياته ونالوا شرف مصاحبته.

ومع ذلك فالذين يذهبون لأداء الحج ولا يزورون قبر الرسول بدون عذر شرعى يكونون قد جفوا الرسول ﷺ، وهذا قد ثبت بالخبر الصحيح الذى رواه الدارقطنى عن طريق نعمان بن شبل وهو «من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى» (حديث شريف) وقد نقل وروى الحديث المذكور نعمان بن شبل عن الإمام مالك والإمام مالك عن نافع عن ابن عمر «رضى الله عنهما» مرفوعًا.

---

(١) من طريق عائشة بنت يونس رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط قال الهيثمى فى المجمع: «عائشة بنت يونس لم أجد من ترجمها».
مجمع الزوائد ٤/ ٢ ومن طريق حفص بن أبى داود رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط. وحفص بن أبى داود وثقه أحمد وضعفه جماعة من الأئمة.

وقد اعترض بعض الرواة على هذا الحديث قائلين «إن نعمان بن شبل قد انفرد بهذا الحديث[1].

وإذا ما نظرنا إلى ما رواه الدارقطنى عن نافع مرفوعًا عن ابن عمر رضى الله عنهما، «من زارنى إلى المدينة كنت له شفيعًا أو شهيدًا» فالذين لا يزورون النبى ﷺ فمن البداهة أنهم يجفون الرسول ﷺ، لأن الحجاج الذين يذهبون إلى البلاد الحجازية ولا يزورون قبر الرسول ﷺ فكأنهم لم يهتموا بما جاء فى الحديث الشريف من الكرم واللطف والمروءة، لأن رغبة الرسول ﷺ فى الزيارة مبنية على أن ينال الزوار الأجر والمثوبة، لأن الحديث الشريف «من زار بيتى» وعلى قول «من زارنى كنت له شفيعًا أو شهيدًا ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة» الذى رواه أبو داود الطيالسى ـ رحمه الله ـ يؤكد الحديث الأول كما يؤكد مجافاة الذى لا يزور قبر الرسول ﷺ.

روى منهال بن عمرو عن سعيد بن المسيب: قد رأى بلال الحبشى بعد فتح بيت المقدس فى رؤياه النبى ﷺ وبناء على الأمر النبوى الذى يجب أن يطاع من الكائنات كلها ذهب إلى المدينة وشغل بزيارة قبر الرسول ﷺ.

عمر بن عبد العزيز الذى هو أعدل أهل السلوك وأزهد ملوك بنى أمية بينما كان مستقرًا ومقيمًا فى الشام يأمر بزيارة قبر الرسول ﷺ فى المدينة المنورة فيذهب ويزور قبر الرسول ويعرض سلامه وصلاته عليه.

أما الفاروق الأعظم عندما عاد من فتح بيت المقدس ذهب رأسًا إلى حجرة السعادة، فزارها وألقى السلام على صاحب الرسالة ثم عاد إلى بيته.

ويقول يزيد بن المهدى، وعندما كنت سأعود من جنة الشام إلى مدينة الإسلام

(١) قال ابن حبان فى كتابه «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين»:
النعمان بن شبل: من أهل البصرة، يروى عن أبى عوانة ومالك، أخبرنا عنه الحسن بن سفيان، يأتى عن الثقات بالطّامّات، وعن الأثبات بالمقلوبات، و أورد له هذا الحديث المذكور هنا.
أنظر: المجروحين لابن حبان ٣/ ٧٣، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٥.

زرت مجلس عمر بن عبد العزيز الذى كان أمير مصر، فقال لى الأمير عند توديعه: «يا يزيد عندما تصل إلى دار السلام قبة الإسلام وتزور قبر سلطان الرسالة ـ عليه أجمل التحية ـ أرجو أن تعرض سلامى وتحياتى لذلك الجوهرة الفريدة للكونين المدفونة تحت ثرى المدينة ذات عطر كالمسك».

وكان عبد الله بن عمر كلما يعود من سفر من أسفاره، كان يدخل فى الحجرة المعطرة ويزور الرسول الكريم ﷺ وبعده قبر الصديق وبعده والده ابن الخطاب ويسلم عليهم وهذه الرواية الصحيحة منقولة من الإمام نافع، إذ يخبرنا الإمام أن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان يعرض سلامه وتحاياه على الدرة اليتيمة التى تظهر فى داخل حزمتها المنورة الرسول ﷺ، وإننى قد رأيت ذاته السامية أكثر من مائة مرة وهو يقف فى حضور صاحب الرسالة يقول «السلام عليك يا رسول الله» ثم يقول السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبى ويشغل بالزيارة بهذه الطريقة، بيتى يوصل سلامه إلى المعرض المعلى للرسالة مشافهة ثم إلى رفيقى حياته ومشاركى حجرته الصديق الأكبر والفاروق الأعظم رضى الله عنهما، ثم يعود، وقد دخل على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يومًا ما فى المسجد الشريف فرأى مرقد فاطمة «رضى الله عنها» وبكى كثيرا وفى النهاية دخل فى الحجرة المعطرة وبعد أن بكى طويلاً قال «عليكما السلام يا أخوى ورحمة الله» وهكذا سلم على أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وعاد بعد ذلك؛ لأجل ذلك فالفقهاء العظام الذين يتشرفون بلقب حجج الإسلام يتجهون إلى المدينة المنورة بقصد زيارة قبر السعادة.

وبعد أن يصلوا إلى المسجد الشريف الذى يقابل البيت المعمور وهم محرمون وقد اهتزت جنباتهم من الابتهاج والفرح، يزورون الروضة الشريفة التى حسدها روض الجنان، ثم المنبر المنير، ثم القبر المنيف الذى يحتوى على الرسول ﷺ، ثم يزورون الأماكن التى سار فيها وتنزه والأماكن التى جلس فيها مستندا على

الأعمدة التى اتكأ عليها عند نزول الوحى، ثم يزورون ويتبركون برؤية الأماكن الخاصة بالأصحاب الكرام الذين اشتركوا فى بناء المسجد وصرفوا النقود فى تعميره وكذلك التابعين ذوى الشهرة ثم يذهبون إلى آثار الصلحاء وفقهاء الأمة الذين قد أدوا فريضة الحج، فذهاب الحجاج الآن إلى دار الهجرة مبنى على ما فعله الأسلاف.

وقد اختلف علماء الأسلاف فى أفضلية ذهاب الحجاج أولاً إلى المدينة أو العودة إليها من مكة بقصد زيارة قبر السعادة وقد التزم جانب أفضلية الذهاب إلى المدينة أولاً علقمة وأسود وعمرو بن ميمون، وقال الإمام أبو حنيفة «فالأحسن بالنسبة للحجاج الذهاب إلى مكة أولا ثم العودة إلى المدينة بعد عرفة» وقد رجح أبو الليث السمرقندى فى فتاويه القول الثانى على القول الأول، ولما كان عدد من الأئمة اقتنعوا بجواز القول الأول فصحته محققة أيضًا.

إخطار

قد أصبح فى زماننا من حكم العادة ذهاب الحجاج إلى المدينة ورجوعهم منها بين العيدين، ويعود بعض الحجاج إلى بلادهم عن طريق قناة السويس راكبين السفن بعد ذهابهم إلى المدينة بعد وقوفهم بعرفات مع أن الذين يذهبون إلى المدينة بعد عرفة بقصد الزيارة لا يستطيعون أن يبقوا فى المدينة إلا ساعة أو ساعتين ومع هذا يقفون معظم أوقاتهم فى ينبع البحر فى انتظار السفن ويتعرضون لمشكلات كثيرة كما وردت فى ذلك الأخبار الموثوقة، ومن هنا ينبغى على الحجاج الذهاب إلى مكة المعظمة أولاً ثم الذهاب إلى المدينة المنورة بين العيدين، والذهاب إلى المدينة بين العيدين بالنسبة للحجاج الذين يعودون بحرا إلى بلادهم، أما بالنسبة للحجاج الذين يعودون برا فمن الخير لهم أن يزوروا المدينة بعد العودة من عرفات.

نصيحة

كان الذهاب إلى الحج بحرا قبل خمس سنوات أو عشر أهون من حيث النفقات وأدعى للراحة البدنية، ولكن منذ ثلاث أو خمس سنوات تغير الحال فالعودة بحرا أصبحت أمرًا مضرًا ومهلكًا لأن المشكلات التى يتعرض لها الذاهبون والآيبون بحرًا فى مواقع الحجر الصحى زادت من النفقات بالإضافة إلى ضياع الوقت كما تتسبب فى التعب الجسمانى، فالحاج الذى يريد أن يعود بحرًا فى حاجة إلى ما لا يقل عن ثلاثة أشهر وإلى نفقات من خسمين أو ستين قطعة ذهبية من ذات المائة، فضلاً عن تخمين ما سيتعرض له من المحن والمشاق.

حتى لا يتعرض الحاج لكل هذه المصاعب والمتاعب منفقًا نفقات زائدة يجب عليه أن يذهب إلى أداء الحج بحرًا والعودة برا حتى لا يظل مدة طويلة فى الطريق كما أن الحجاج العائدين عن طريق البر لا يتعرضون لمشاق كثيرة ولا يتأخرون فى الطريق وبهذا ينالون شرف زيارة الآثار واجبة الزيارة.

وليس بقليل ما تتعرض له قوافل الزوار والتجار من مشاق عندما يذهبون من ينبع البحر إلى المدينة ومن المدينة إلى ينبع البحر، وكانت هذه القوافل قبل أربعمائة عام تذهب وتجيء عن طريق «ميناء الجار» ولا يقعون فى مخالب أشقياء العربان، ولكن لشدة الأسف استطاع العربان الذين يسكنون بجوار ينبع البحر أن يتغلبوا على العربان الذين يسكنون بجوار «ميناء الجار».

ووفقوا فى جعل ميناءهم ممر القوافل، ولكن إن كان الذهاب إلى المدينة من ميناء «الجار» يستغرق أربعة أيام فالذهاب من ميناء «ينبع» يستغرق خمسة أيام، فضلاً على ذلك ما يتعرض له المسافرون من متاعب ومخاوف، فالعربان الذين يسكنون فى ناحية «الجار» ليسوا من أهل الجفاء مثل عربان نواحى ينبع بل هم فى غاية الأنس والقناعة، وإذا أرست السفن مراسيها كما فى السابق فى ميناء الجار وانتقلت القوافل فى ذهابها وإيابها عن طريق منياء الجار، تكون قد نجت

من شرور عربان ينبع كما أنها قللت من النفقات، ويتوقف تحويل الطريق إلى ميناء «الجار» على إقامة عدة دكاكين وبعض المخازن ومواقع حراسة قوية وتأسيسها.

ولما كان ميناء «الجار» شبه جزيرة يستوعب كثيرًا من السفن كان فى البداية ميناء مأمونا للفلائك التى ترد من ديار مصر والحبشة، لأنه يقع فى مكان مأمون من المخاطر وهو أقرب الموانى إلى المدينة المنورة.

قد ثبتت زيارة القبر النبوى بإجماع الأمة وذلك بالأدلة التى أتى بها مؤلف «الشفاء الشريف» القاضى عياض والإمام النووى ومن أجل فقهاء الحنفية ابن الهمام ـ عليهم الرحمة والسلام ـ حتى اقتنع بعض النحارير الأكابر بوجوب زيارته، زيارة القبور سنة بإرادة صاحب الشريعة «عليه أكمل التحية» ولما كان قبر السعادة سيد القبور كما هو معروف وثابت فزيارته تكون قد ثبتت بالإجماع، وإن كانت زيارة الرسول المشفق على أمته «عليه أعظم التحية» لأصحاب البقيع وشهداء أحد تومئ بأن زيارة القبور منحصرة للرجال إلا أن الآية الجليلة الآتية آمرة بزيارة قبر السعادة **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾** (النساء: ٦٤).

وبما أن هذه الآية الكريمة تشمل النساء أيضًا ويستثنى فى هذه المسألة زيارة قبر الرسول الجليل؛ لذا يستحب العلماء الأعلام قراءة هذه الآية الكريمة عند زيارة القبر المصطفوى التى تستلزم المغفرة.

شد الرحال من قريب أو بعيد إلى المدينة المنورة بقصد زيارة مرقد السعادة خالصًا لوجه الله، قد أكد بأحاديث «من زار قبرى» و«من جاءنى زائرًا» لذا فزيارة القبور من جملة القربات وهذا برىء من الشبهات والزيارة وسيلة للقربة إذ ثبتت زيارة الرسول لشهداء أحد وهو مسافر من المدينة بالأقوال الصحيحة، وبناء على ذلك فمن يخرج إلى المدينة بأمل زيارة قبر الرسول ﷺ بنية خالصة، قد اتفق علماء الأسلاف أو مدققو الأخلاف على أن هذا العمل إحدى وسائل القربات إلى الله.

ولما كان الحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[١]، دليلاً كافيًا على أن الذهاب إلى المدينة لزيارة مرقد الرسول وسيلة للقربات فإن الذين لا يعرضون سلامهم وصلاتهم على محبوب الله سبحانه وتعالى يكونون قد تركوا الأفضل ويستحقون الملامة وجديرون بالهجاء والمذمة لتركهم الواجب.

هناك اختلاف أيضًا فى تعيين سبب شد الرحال لغير تلك المساجد المذكورة، قال بعض أئمة الرجال إن شد الرحال لزيارة غير هذه المساجد الثلاثة حرام، وقال بعضهم «إذا كانت الزيارة عن طريق النذر فهى حلال، ويقتضى النظر فى هذا الخصوص إلى نية المتعازم للسفر إذا كان القصد من شد الرحال أداء صلة الرحم أو الدين أو الأمور الخيرية جائز بل واجب، أما إذا لم يكن من الأمور الخيرية فحرام قطعيًا[٢].

كان الحسن بن على «رضى الله عنهما» ينهى من يشاهده من الزوار بالقرب من قبر الرسول أن يقتربوا أكثر من ذلك، وكان الإمام زين العابدين يحذر من التقرب لقبر الرسول ذاكرًا الحديث الذى يقول «لا تجعلوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنت»[٣] (حديث شريف).

هذه الأقوال تحمل على عدم تجاوز حد الاعتدال، حتى أن الإمام مالك كان يكره الجلوس كثيرًا بجانب مرقد السعادة، وكان الإمام زين العابدين فى أثناء زيارته لقبر الرسول ﷺ يقف بجانب العمود الذى يتصل بالروضة المطهرة ويصلى ويسلم وكأنه يومىء بأن المحل المذكور هو الجهة التى فيها رأس النبى الشريف، وكانت حجرات زوجات النبى المطهرات، قبل إلحاقها بالمسجد النبوى موقف زيارة

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/٣، وعزاه لأحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث ابى هريرة ورجال أحمد ثقات أثبات وكذلك روى من حديث أبى سعيد الخدرى، ومن حديث على، وابن عمر، وأبى الجعد الضمرى.

(٢) انظر فى المسألة: إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى ص ٢٦٧ وما بعدها.

(٣) رواه أبو يعلى وفيه حفص بن إبراهيم الجعفرى ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وبقية رجاله ثقات.

فكان الزائرون الواردون فى؟ صدر الإسلام يقفون فى ذلك المكان وهذا على قول أمام باب الحجرة المعطرة.

وسأل هارون بن موسى الهاروني جده علقمة قائلاً: «من أين كان يزار قبر الرسول قبل أن تلحق دور النبى ﷺ بمسجد الرسول؟» فأخذ الرد الآتى: «قد سد باب الحجرة المعطرة قبل وفاة السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فكان يزار القبر من أمام باب حجرة السيدة عائشة «وهذا منقول عن هارون، والواضح من الحديث ألا يعينوا لزيارة قبر الرسول وقتًا خاصًا كأوقات الأعياد، وكان اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور الأنبياء ويمضون أوقاتهم فى اللهو والطرب بجانب القبور. أو «عدم اللهو واللعب عند زيارة القبور وعقد مجالس الطرب والزينة»، ويجب أن يؤول بأن الذين عزموا على زيارة قبر الرسول يجب عليهم أن يسلموا على النبى ﷺ ويدعون له ثم يمضون بلا توقف وإن هذا التأويل أبلغ من توجيه الحافظ المنذرى وأحسن وهذا التأويل يعد أقوى الأقاويل من جهة التعظيم للرسول ﷺ، ومن هنا يجب على الزوار المسلمين أن يعرفوا أن زيارة قبر الرسول ﷺ من أفضل القربات والمستحبات المؤكدة، وأن يكثروا من شد الرحال لزيارته مرة بعد أخرى وبما أن العيد مرة واحدة فى السنة فلا يحصروا زيارة قبر الرسول لمرة واحدة فى العمر، بل عليهم أن يزوروه كلما استطاعوا ذلك وأن يعودوا دون أن يتوقفوا كثيرًا فى حضور قبر الرسول عليه السلام.

قال أبو حنيفة لما كانت زيارة قبر الرسول ﷺ من أفضل المندوبات وأكثر المستحبات تأكيدًا فالزيارة قريبة من الوجوب.

فالذين ينذرون بزيارة قبر الرسول يلزم عليهم الوفاء بنذورهم بناء على رأى الأئمة الشافعيين، وأما الذين ينذرون بزيارة القبور الأخرى فبناء على رأى بعضهم يجب الوفاء بنذورهم بالزيارة بينما الآخرون يرون عدم الوفاء بنذورهم ولكن القول الأول مرجح على القول الثانى(١).

(١) راجع فى المسألة: إعلام الساجد.. للزركشى ص ٢٦٧ وما بعدها.

في ذكر وبيان فضائل المسجد النبوى الشريف والمنبر اللطيف والروضة النبوية المنيفة.

قد وصف الله سبحانه وتعالى مسجد السعادة فى الآية الكريمة:

﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

كما أنه سبحانه بين طهارة هذا المسجد المنيف وجماعته وعرفها فى هذه الآية.

وإن كان العلماء قد اختلفوا فى تعيين أى مسجد نزلت فى حقه هذه الآية إلا أن المفسرين الكرام قد نقلوا أحاديث كثيرة لإثبات أن الآية نزلت فى حق مسجد المدينة المنورة كما استدلوا بنقل قول أبى سعيد الخدرى «إننى قلت لإمام الأنبياء» «عليه أكمل التحايا» ما المسجد الذى أسس على أركان التقوى فتلقيت الرد أنه المسجد الذى أتعبد فيه فى المدينة إن الآية الكريمة لمسجد أسس على التقوى نزلت فى حق مسجد المدينة.

وقال بعض العلماء قد تلا النبى ﷺ هذه الآية مخاطبًا أهل قباء وقال (إن الله يثنى عليكم)، وإذا ما نظر لهذا الحديث يلزم أن تكون تلك الآية قد نزلت فى حق مسجد قباء.

إلا أن المفسرين الكرام ردوا على هذا الادعاء قائلين «لما كان أهل قباء فى ذلك الوقت يداومون على الصلاة فى مسجد المدينة فإن هذه الرواية لا تجرح قول أبى سعيد الخدرى.

وقال أبو رشيد إن قول الجليل (من أول يوم) يلمح أن الآية الكريمة فى حق

مسجد قباء، إن قائد المجاهدين عليه سلام الله المعين عندما شرف المدينة المنورة كان أسس مسجد قباء، إلا إذا كانت كلمة يوم فى قوله تعالى (من أول يوم) تعنى فى ابتداء تأسيسه قد طرح على أركان التقوى.

وإذا تمعنا فى النظر فى الاختلافات الواقعة نستطيع أن نوفق بينها قائلين: «إن تلك الآية نزلت فى حق مسجد المدينة وتشمل مسجد قباء أيضًا»، وبما أن كلاهما قد أسسا على أركان التقوى نستطيع أن ندفع المنافاة والتعارض قائلين قد نزلت الآية الكريمة فى حق مسجد المدينة وكذلك فى حق مسجد قباء.

ومع هذا لو نظرنا لما يفيده الحديث الشريف (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) (حديث شريف) وبما أنه لا يجوز شد الرحال لغير مسجد المدينة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى فيثبت أن تلك الآية قد نزلت فى حق مسجد المدينة.

ينقل أئمة الأحاديث عدة أحاديث أخرى كلها تؤيد الحديث السالف الذكر، ولكن ألفاظها تخالف بعضها بعضا إذ تقول الأحاديث المنقولة لاختيار السفر فى أرض الغبراء الساحرة بوجود ثلاثة مساجد «أحدها الكعبة والآخر مسجدى والثالث المسجد الأقصى» والآخر «المساجد التى تستحق السفر إليها مسجدى هذا والبيت العتيق» وأحدها «إن المساجد التى تشد الرحال لزيارتها مسجد إبراهيم ومسجد محمد[1] ـ عليه سلام الله الأحد».

لما كانت بعض هذه الأحاديث لا تشمل على المسجد الأقصى وبعضها مشهورة بضعف روايتها يلزم ألا يهتم بها.

إن الصلاة فى المسجد الذى أسس على التقوى فى المدينة يفضل ثواب الصلاة التى تؤدى فى المسجد الأقصى ألف مرة فمسجد السعادة خير من جميع المساجد ماعدا المسجد الحرام، لأن النبى ﷺ آخر الأنبياء كما أن مسجد المدينة آخر مسجد لأنبياء.

رواية

أراد حضرة الأرقم ـ رضى الله عنه ـ أن يذهب إلى القدس الشريف لينال

(١) انظر: مجمع الزوائد ٤/ ٣ ـ ٤ باب قوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..».

الأجر والثواب بالصلاة فى البيت المقدس وبين الأمر للنبى ﷺ إذ مثل بين يديه عندما ذهب لتوديعه، فقال له الرسول مستفهما ليعرف ما فى ضميره «هل تذهب لأجل التجارة؟» فلما أجابه بقوله «بل أذهب لأصلى فى بيت المقدس لأنال الأجر والثواب» قال له: «إن صلاه تؤدى فى هذا المسجد خير من ألف صلاة تؤدى فى بيت المقدس من حيث الثواب» وعلى آخر «إن صلاة تؤدى فى مسجدى أفضل من ألف صلاة تؤدى فى جميع المساجد الموجودة على سطح الأرض غير المسجد الحرام» وعلى رواية «إن صلاة واحدة تؤدى فى بيت المقدس كألف صلاة تؤدى فى المساجد الأخرى غير المسجدين»(١)، ولا يعرف فضل وقدر هذه الصلاة غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومع ذلك لا تعادل الصلاة التى تؤدى فى المسجد الحرام، والمقصود بالمسجد الحرام البقعة المفخمة للكعبة المعظمة.

وبناء على هذا التفصيل فالصلاة الواحدة التى تقام فى بيت المقدس تساوى أجر ألف صلاة تؤدى فى المساجد الأخرى غير المسجد الحرام والمسجد النبوى وصلاة تؤدى فى المسجد النبوى فى المدينة تساوى ألف ألف صلاة تؤدى فى المساجد الأخرى.

فاستثناء المسجد الحرام قائم على أن الكعبة المعظمة مساوية من حيث الثواب لمسجد الرسول أو أن المسجد الحرام مفضل بالنسبة لمسجد المدينة أو فاضل يعنى أن الكعبة المعظمة ومسجد الرسول متساويان من حيث الفضيلة أو أن الكعبة المعظمة تفضله فالصلاة التى تقام فى المسجد الحرام أقل من الألف أو هو فاضل فالصلاة التى تقام فيه أكثر من الألف، قد رجح ابن بطال فى هذه المسالة الاحتمال الأول وقال بما أن تفضيل أحدهما على الآخر لن يكون بدون دليل فتبين تساويهما، والإمام مالك ذهب إلى صحة الاحتمال الثانى يعنى قرر أن المسجد الحرام مفضول، إلا أن الأصحاب الكرام أوهموا أن ثواب مكة المعظمة أكثر من ثواب المدينة المنورة معتمدين على سند الرواية التى نقل عن عمر بن

(١) انظر الأحاديث الواردة فى: مجمع الزوائد ٤/ ٤ ـ ٨.
والمسألة فى إعلام الساجد ص ١١٥ ـ ١٢٧، ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

الخطاب، لأن الحديث المميز الذى نقله أبو الدرداء وهو «فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفى مسجدى ألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة»(١).

وقال ابن ماجة: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا أبو الخطاب الدمشقى، حدثنا زُرَيق أبو عبد الله الألهانى، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل فى بيته بصلاة، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته فى المسجد الذى يُجَمَّعُ فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة»(٢).

إن هذا التفاضل فى الفرائض والنوافل على قول الإمام النووى وبناء على قول الإمام الطحاوى وسائر الأئمة المالكية إن هذا التفاضل فى حق الفرائض فقط ولما كان الحديث الشريف (أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة) يؤيد حكم القول الثانى يلزم أن يكون قول النووى من الأقوال الضعيفة، وقال الإمام أبو حنيفة ومالك إن تضاعف الثواب يشمل الفرائض فقط وأجاب الإمام الشافعى مبينا الدقائق فى هذا الأمر بما حاصله أن أفضلية الصلوات المؤداة فى البيت لا يمنع زيادة الثواب ومن هناك لا ينافى الواقع المدعى، فالفاضل بالنسبة للمفضول لا ينتج زيادة الثواب، فقد لا يوجد فى الفاضل الثواب الذى فى المفضول رحمة الله رحمة واسعة.

إخطار مهم

وإن كان تضاعف الأجر وزيادة الثواب فى حق الصلاة فى الأماكن الثلاثة متفق عليه بين العلماء إلا إنه لا يستلزم سقوط الصلوات الفائتة، يعنى أن الصلاة المؤداة فى المسجد الحرام لا تقوم مكان الصلوات المتروكة.

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن احتج به ابن عبد البر.
انظر: إعلام الساجد، ص ١١٧.

(٢) فى الزوائد: إسناده ضعيف؛ أبو الخطاب الدمشقى لا يعرف حاله، زريق فيه مقال، قال ابن حبان فى الضعَفَاء ينفرد بالأشياء لا يشبه حديث الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به إلا عند الوفاق.
انظر: سنن ابن ماجة حديث رقم ١٤١٣ ص ٤٥٣.

وإن كان العلماء الكرام متفقين فى تضاعف الأجر والثواب كذلك على كل أنواع العبادات والطاعات التى تؤدى سواء أكان فى المسجد الحرام أو مسجد سيد الأنام يتضاعف أجرها وثوابها، إن الحديث الذى رواه الإمام البيهقى عن جابر بن عبد الله وهو (الصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام وشهر رمضان فى مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام) والحديث الجليل الذى نقله الإمام الطبرى عن بلال بن الحارث (رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان) دليلان واضحان على أن العبادات والطاعات المتنوعة فى المساجد الثلاثة تتضاعف فى أجرها وثوابها.

المواقع التى تحوز الخاصية الجليلة لتضاعف الأجر والثواب فى المدينة المنورة حيث دفن كنز السعادة.

قد قصر بعض الذوات من أئمة الحديث تضاعف الثواب للعصر الذى عاش فيه إمام الأنبياء (عليه أكمل التحايا) على حدود المسجد الشريف الداخلية والتى بناها فى حياته، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا مدعاهم بأدلة واضحة، ومن هنا قد قرر أن الطاعات والعبادات المؤداة فى أى ناحية من نواحيها وفى كل مكان فى المسجد النبوى الشريف يتضاعف أجرها، إذ قال سيد الأبرار ـ عليه صلوات الله الستار ـ (لو مد هذا المسجد إلى باب دراى ما عدوت أن أصلى فيه وهذا مسجدى وما يزيد فيه فهو منه ولو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى وقال عمر بن الخطاب لو مد مسجد الرسول من الشامية وزيد فيه حتى يبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله ﷺ «ولو مد مسجد رسول الله ﷺ إلى ذى الحُليفة لكان منه» وقد وسع الأصحاب الكرام المسجد النبوى فى زمنه «ولما كانت هذه الأدلة تكفى لإثبات المدعى فالظاهر تضاعف الأجر والثواب فى أى موقع من مواقع المدينة الطاهرة ولأجل ذلك روى الإمام أحمد والطبرانى عن أنس بن مالك بواسطة رجال ثقاة

الحديث «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كُتِبَ له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق»(١).

كما روى ابن ماجة أيضًا عن أبى هريرة إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرجل كتب له حسنة ورجل تحط عنة خطيئة.

كما أن الإمام يحيى روى عن سهل بن سعدٍ من دخل مسجدى هذا يتعلم فيه خيرا ويعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومن دخل بغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه وهو لغير الله.

كما أن أبا سعيد المقبرى روى أيضًا عن رجال ثقاة يعتمد عليهم فى الحديث الشريف الذى يقول (لا أخال أن لكل رجل منكم مسجداً فى بيته فوالله لو صليتم فى بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سنته ولو تركتم سنته إذن لضللتم) إن هذه الأحاديث الشريفة والآثار المروية الأخرى لدليل كاف على أن يثبت ما يتمتع به المسجد الشريف من قدر ومزية، ومن هنا يقتضى أن يبقى إلى يوم القيامة تضاعف الأجر والثواب للطاعات فى كل موقع من مواقع البلدة المقدسة التى تحتوى على مسجد السعادة.

إخطار

إن الذين يوفقون فى زيارة مثل هذا المسجد يجب أن يعتبروا زيارة الروضة المطهرة ومنبر النبى المنيف غنيمة عظيمة وأن يبذلوا غاية جهدهم فى رعاية تلك الأماكن المقدسة وأداء الصلوات المكتوبة والنوافل فيها، لأن قائد الأنبياء (عليه أتم التحية) أخبرنا أن ما بين بيت عائشة الحجرة المعطرة والمنبر المنير روضة من رياض الجنة كما أن المنبر قائم فوق حوض الكوثر.

وإن كان فى تعريف الروضة المطهرة وتعيين حدودها اختلاف فى الألفاظ مثل (ما بين قبرى ومنبرى) وجاء فى بعض الأحاديث (ما بين بيتى ومنبرى) والأخرى (ما بين بيتى إلى منبرى) إلا أن كلها تؤدى نفس المعنى لأن مرقد السعادة فى داخل الحجرة المعطرة للسيدة عائشة، وإذن فليس هناك فرق بين بيت النبى والمرقد المصطفوى.

(١) انظر مجمع الزوائد ٤/٨.

وبناء على ما رواه الإمام أحمد بواسطة رجال ثقاة عن سهل بن سعد أن منبر السعادة قائم على ترعة تثير الشوق.

وبناء على قول أبى واقد الليثى أن أرجل المنبر فوق أرض الجنة الساحرة وأن الروضة المطهرة والمنبر المنير المزهر مهما مدحا وأثنى عليهما يستحقان ذلك، وقال معاذ بن الحارث من أصحاب النبى ﷺ الكرام إننى سمعت رسول الله ﷺ وهو فوق منبره يقول «إن قدمى على ترعة[(١)] من ترع الجنة» ونقل أبو سعيد الخدرى أنه سمع النبى ﷺ فى أثناء خطبة فوق منبره يقول «أنا قائم الساعة على[(٢)] حوضى» كما نقل ابن زبالة أن النبى ﷺ قال «أنا على الحوض[(٣)] الآية» كما نقل نافع بن جبر هذا الخبر الصحيح «أحد شقى المنبر على عقر الحوض فمن حلف عنده يمين فاجره يقطع بها حق امرىء مسلم فليتبوأ مقعده من النار» وروى أبو داود وابن حبان وحاكم هذا الحديث.

نقل النسائى حديث «من حلف عند منبرى هذا يمينا كاذبة استحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صَرْفٌ ولا عدل» ونقل الطبرانى حديث «منبرى على ترعة الجنة وما بين منبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة» وقد نقلا هذين الحديثين الشريفين ليعرفا أن الروضة المطهرة والحجرة المعطرة والمنبر اللطيف أماكن واجبة الاحترام.

بيان المصلى النبوى وبيان حدوده

قال خاتم الأنبياء ﷺ ليعين حدود مصلاه الميمونة «ما بين حجرتى ومصلاى روضة من رياض الجنة» ومن هنا اختلف علماء السلف فى تعيين حدود مصلى النبى ﷺ

(١) الترعة بمعنى البئر أو حديقة مرتفعة عن الأرض. وانظر مجمع الزوائد ٤/٨ ـ ٩.

(٢) العقر يقال للمكان الذى يشرب منه الماء أو على قول يطلق على خلف الحوض إذ ينبع ماء الحوض من هنا. وانظر فى هذا الحديث: المستدرك على الصحيحين ٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٨.

(٣) المقصود بهذا الحوض حوض الكوثر وبناء على ما جاء فى الحديث الشريف «زواياه سواء وأنه حوض متساوى الأضلاع مربع الشكل».

قال بعض الأئمة الكرام: المقصود بهذا اللفظ هو مسجد السعادة وقال الآخرون المقصود من المصلى هو مصلى العيد النبوى إذا ما نظر إلى ما رواه راوى الحديث الثانى عقب حديثه أن أباه يحيى قال إننى سمعت عندما، سمع سعد بن أبى وقاص هذا الحديث سارع بشراء بيت فخم بين المسجد الشريف ومصلى العيد وبالنظر أيضًا إلى ما قاله، جناح النجار كنت ذهبت مع عائشة بنت أبى وقاص إلى مكة فسألتنى ونحن نخرج من المدينة قائلة «يا جناح أين يقع المنزل الذى تسكنه؟» فلما أجبت قائلا «فى بلاط المدينة» فقالت: «أحذر من التفريط فى هذا المنزل لأن والدى سعد بن أبى وقاص كان يقول إنه سمع الرسول ﷺ يقول: «بين مسجدى ومصلاى روضة من رياض الجنة». ومن هنا يلزم المصلى التى وردت فى الأحاديث أن يكون مصلى العيد.

التوضيح: بما أن الموقع المسمى ببلاط قد عرف فى بحث (أرواق المدينة) فهو رصيف الجادة الواسعة الذى يبدأ من المسجد النبوى وينتهى عند مصلى العيد. وبما أنه قد ثبت أن ما بين مصلى العيد ومسجد السعادة روضة من رياض الجنة فمن هنا يلزم أن يكون مسجد السعادة كله الروضة المطهرة ويومئ ما ذكره طاهر بن يحيى وجناح النجار اقتضاء هذا الحكم.

وعلى هذا التقدير قد بين أفضل الناس (عليه الصلوات) أن منبر السعادة سيحشر يوم القيامة مثل سائر المخلوقات وأنه سيوضع فى محله الذى فيه الآن وأن الذين أدوا الصلاة بجانب المنبر ذى الفيوضات سيكونون كالذين أدوا الصلاة فى عقر الكوثر فالذين يداومون على أداء الصلاة فى الروضة المطهرة كأنهم يتعبدون فى جهة من حوض الكوثر وقاموا بأعمال صالحة تتيح لهم شرب الماء من ذلك الحوض، قد بين ذلك فى الأحاديث التى سطرت فيما سبق وبهذه الإشارة الواضحة رغب ضعفاء أمته للتعبد بجانب منبر السعادة وقد اتفق العلماء فى نقل منبر السعادة إلى عرصة العرصات فى يوم القيامة إلا أنهم اختلفوا فى كون المنقول المنبر الحالى أو سيخلق ويصنع منبر آخر لائق بخطيب منبر اللاهوت عليه السلام؟ قال فريق من العلماء إن المنبر الحالى سينقل كما هو إلى أرض

المحشر وأنه سيركز فى عقر حوض الكوثر وقد قرر فريق آخر أنه سيخلق منبر آخر قد رجح ذلك ابن عساكر ومن يوافقون رأيه من الأكابر كما أن ابن النجار قبل ذلك الرأى ونشره.

وقد حمل الإمام مالك فى بحث تعريف الروضة المقدسة الحديث السالف على ظاهره وقال: الروضة المطهرة روضة نفيسة من رياض الجنان، لأجل ذلك لن تمحى وتباد مثل المنازل الأخرى وستنقل إلى أرض الجنان الساحرة على هيئتها، وقد قبل أكثر العلماء هذا الرأى المصيب حتى قال برهان بن فرحون ناقلا عن ابن الجوزى وآخرين إن الصلوات التى تؤدى فى الروضة تستلزم دخول الجنة المطهرة وتنزل أقسام الرحمة فإنها مثل رياض الجنة من حيث المداومة فى العبادة فى الروضة المطهرة وملازمتها.

وقال إن استمرار النبى ﷺ فى العبادة والطاعة فى ذلك المكان المطهر محمول على هذا السر وبهذا أيد قول الإمام مالك.

وأن الحكم على موقع بأنه مسعود ومبارك يتوقف على أن ذلك الموقع قد اكتسب شرفا وسعادة بطاعات رسول الله ﷺوعباداته، وإذا قيل بمقتضى (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) إن العبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ حيثما تكون تؤدى إلى دخول الجنة يلزم منه أن تخصيص المنبر المنير والروضة المطهرة بزيادة الشرف الثابت بدلالة الأحاديث الصحيحة لا فائدة منه ولا قيمة له، وهذا لا يجوز، ومن هنا فمن الأولى أن يحكم أن الروضة المطهرة جزء من الجنة بناء على قول الإمام مالك كما يقال إن الحجر الأسود من حجارة الجنان.

يقول ابن زبالة إن أسامة بن زيد بن حارثة رأى ناقل الحديث إبراهيم مصليا فى ركن من أركان المسجد الشريف وبعد السلام أمسكه من يده وذهب به إلى المنبر الشريف وقال يلزم عليك أن تصلى ها هنا فمن المحتمل أن يكون هذا المكان بالذات من رياض الجنة، كما أن الحجر الأسعد من أحجار الجنة! إن الروضة المطهرة ستنقل إلى الجنة فى يوم الحشر إن هذه المزيه تدل على منزلة نبينا ﷺ،

كما تدل على متابعته لإبراهيم (على نبينا وعليه التسليم). قد أنعم الله سبحانه وتعالى على إبراهيم بالحجر الأسود وهو من حجارة الجنة كما أنعم على نبينا ﷺ بالروضة المطهرة.

كما لا يخفى على أهل الفهم والذوق أن هناك فرق بين التخصيص والتنصيص فإذا حمل الحديث السالف الذكر على ظاهره وفق قول الإمام مالك المختار فرجحان المدينة المنورة على سائر البلاد وفضلها ومزيتها يصل إلى درجة اليقين والثبوت نورها الله تعالى إلى يوم القيامة.

إن الروضة المطهرة التى ثبت بالبراهين المقنعة أنها جنة من رياض الجنان إلا أن العلماء قد اختلفوا فى تعيين وتعريف حدودها، فقال بعضهم إنها من المنبر المنير إلى أن يتصل بالجهة القبلية والشمالية من الجهة القبلية والشمالية للحجرة المعطرة بالتدريج.

ولما كان طول منبر السعادة خمسة أشبار تظهر الروضة المطهرة تقريبًا مثلثا ذى أربعة أضلاع، وبناء على هذا التعريف يلزم أن يكون داخل الخطوط الأربعة فى الشكل الأول الروضة المطهرة وبناءً على هذا يقتضى ألا تكون مقدارًا من الأرض التى توجد فى الجهة القبلية بين القبر الشريف والحجرة اللطيفة يعنى المحل الذى يتسع لصف من المصلين وألا يعد من الروضة المطهرة، مع أن هذا المكان الذى ما بين الصف الأول من الأساطين التى فى الجهة القبلية للروضة المقدسة والسور الخشبى الذى أمام محراب النبى ولما كان وجود مكان سجود النبى ﷺ يكسب الروضة المطهرة مزية فلا يحكم على صحة القول المذكور.

وقال بعض العلماء إن الجهات الأربعة للروضة المطهرة متساوية إلا أن محاذاة الحجرة المعطرة التى هى بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ من الشمال والجنوب فى محاذاة منبر السعادة فى الناحية الشمالية والجنوبية.

وبناء على ما يظهر فى الشكل الثانى فإنه عندما تعرض المنبر الشريف مع جدرانه ومسجد السعادة للحريق مرة ثانية ورئى تجديدهما سحب الجدار الجديد

ناحية الحجرة المعطرة وبهذا قد خرج عن محاذاة الجدار القديم قليلا ومد ناحية الجنوب وبهذا أخذت هيئة الروضة المطهرة شكلاً مربعا ولما كان المحل الملحق مسقفا فى عصر السعادة فحكم على أنه من الروضة المطهرة.

قد ذهب بعض الناس من المؤرخين العلماء إلى أن بعض محراب النبى ـ وعلى قول ـ كله أنه الطرف الخارجى للروضة المقدسة، ولم يرد دليل قوى يؤيد هذه الرواية وتردد العلماء قديما فى التصديق على أن يكون محراب النبى خارج الروضة المطهرة وبناء على هذا فلابد أن يكون المؤرخون مخطئين فى ذهابهم إلى هذا إذا ما نظر إلى الشكل الثالث بدقة يرى أن المصلى الشريف فى داخل الحجرة المعطرة فيفهم من أول نظرة أن الرأى الذى ذهب إليه حكم باطل.

وإن كان هناك اختلاف فى المسافة التى بين مرقد النبى والمنبر الشريف من حيث مساحته الذراعية إلا أن هذا الاختلاف فى تعيين مدى سمك جدران حجرة السعادة وقد ذهب فريق من المؤرخين إلى أن المسافة بين المنبر المنير ومرقد السعادة أربعة وخمسون ذراعا وستة أصابع وذهب فريق آخر إلى أن المسافة ثلاثة وخمسون ذراعا وستة وشبر واحد وفى الحقيقة أن المسافة ثلاثة وخمسون ذراعا وستة أصابع وبناء على هذا الحساب فإن الفريق الثانى قد قاسها من داخل الحجرة الشريفة.

الوجهة الثالثة

تحتوى على ثلاث صور فى تعريف أسماء المدينة الطاهرة وفضائلها التى ترجحها على البلاد الأخرى وخصائصها الفائقة وبعض أحكامها التى توحى بحكم جليلة.

فى بيان أسماء المدينة المنورة الجميلة وألقابها الجليلة (على صاحبها أفضل التحية).

ذكر العلماء الكرام للبلدة الطيبة دار هجرة النبى ﷺ ما يقرب من سبعة وتسعين اسما ساميا مستخرجين ذلك من الكتب المقدسة والأحاديث الشريفة، ومن الواضح أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ومن البديهى أن لتلك المدينة المفخمة أسماء كثيرة إلا أن مجد الدين اللغوى قد ذكر الأسماء التى اتفق عليها العلماء وميزها بحرف [ز] وهذه الأسماء لم تتجاوز سبعة، ولكننا كتبنا جميع الأسماء التى صادفتنا متبركين بها والأسماء التى ميزت بحرف [ز] أشرنا إليها بنفس الحرف كذلك وقد رتبناها حسب ترتيب حروف الهجاء وكتبناها:

حرف الهمزة:

١ـ أثرب: هذه الكلمة على وزن أسعد بفتح الهمزة، وفى فترة ما أبدلوها بياء وقالوا يثرب، وأثرب اسم شخص من أبناء سام بن نوح ـ عليه السلام ـ الذى سكن أول واحد فى أرض المدينة.

يثرب: لما كان لفظ يثرب يتضمن معنى الفساد فاستهجنه الواقف على الحكم الخفية (عليه أجمل التحية) فبدله طابه وطيبة وعند البعض أن النبى ﷺ ذكر هذه المدينة باسم (يثرب).

توجيه وجيه: إذا ما قيل أبقيت المدينة أولا باسمها القديم ثم استهجن ذلك الاسم فألغى نكون قد وفقنا بين الأقوال.

وعند أبى عبيدة أن يثرب، يطلق على جميع جوانب المدينة وهو المحل الذى يقع بين الناحية التى يطلق عليها «جرب وقناة»، و«يثرب» فى زماننا اسم موضع

يقع جهة مشهد حمزة (رضى الله عنه) وفى الطرف الشرقى لبركة نصر وبجانب العين الأزق، إن هذا المكان هو بستان النخيل الذى يعرف باسم «أثاب» وكان ساحة قرية بنى الحارثة، وقد نزلت الآية الكريمة الآتية:

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾. (الأحزاب: ١٣).

فى هذا الموضع فى يوم الأحزاب وكان مشركو قريش قد احتشدوا هناك لضرب خيامهم ونصبها وعلى هذا التقدير يقتضى أن يطلق اسم يثرب على هذا المكان أى محل بستان النخيل السالف الذكر، إلا أن نبى الله ﷺ أطلق اسم يثرب على مكان فى موقع «زباله» والذى يعرف إلى الآن بموقع يثرب والآية المذكورة قد نزلت فى حق منافقى المدينة.

٢, ٣ ـ أرض الله، أرض الهجرة: [ز] وهذا الاسم اللطيف الذى ثبت بالآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾. (النساء: ٩٧).

لأن بعض المفسرين فسر «الأرض الواسعة» بالساحة الواسعة للمدينة المنورة.

٤, ٥ ـ أكالة البلدان [ز]، أكالة القرى [ز]: إن هذين الاسمين يدلان على أن المدينة الطاهرة تفوق المدن الأخرى فى الفضل والمزية. وهما مستنبطان من الحديث الشريف «أمرت بقرية تأكل القرى»[(١)].

٦ـ الإيمان [ز] وهذا الاسم كناية عن أن تلك المدينة ستكون مظهر الإيمان ومصيره، وقد عين بالآية الجليلة:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي

(١) صحيح رواه مسلم حديث ١٠٠٦، باب المدينة تنفى شرارها.

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر: ٩).

وما قاله عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر «بما أن هذه المدينة مظهر الإيمان فتسمية الله ـ سبحانه وتعالى ـ لها بـ «دار إيمان» محمول على هذه النكتة.

حرف الباء:

٨،٧ ـ البارة [ز] وهذا يومئ بأن مدينة الرسول منبع فيض وبركات وأنها مصدر خير لجميع الكائنات.

٩، ١٠، ١١ ـ ومن أسمائها الشريفة بحْره، بُحَيرَة، بَحِيرَة [ز] وهذه الأسماء الثلاثة تدل على فضل وبركة تلك المدينة.

١٢ ـ بلاط [ز]: بمعنى الرصيف وكان اسم الرصيف القائم بين المسجد الشريف والسوق وفيما بعد أصبح من أسماء المدينة.

١٣ ـ بلد [ز]: هذا الاسم مأخوذ من قول الله تعالى:

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾. (البلد).

وقالت طائفة من المفسرين الكرام أن «بلد اسم مكة المكرمة» إلا أن طائفة أخرى قالت إنه اسم المدينة المنورة.

١٤ ـ بيت الرسول، ﷺ [ز]: وهذا الاسم ثابت بقول الله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾. (الأنفال: ٥)

لأن المقصود بالبيت المذكور فى الآية المدينة المنورة.

حرف التاء:

١٥، ١٦ ـ تَنْدَرْ [ز] تَيْدَرْ [ز]: وإن كان كلا الاسمين على وزن جعفر من أسماء

المدينة الجليلة إلا أن بناء على قراءة ابن عباس وابن جماعة يلزم أن يكون نيدر على أنه نداء وسيأتى ذكره فى حرف الراء.

حرف الجيم:

١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ ـ جابرة [ز] جبَار، جبَابَرة [ز] جَبَّارة: وينقلون أن هذه الأسماء مستخرجة من التوراة الشريفة.

٢١ ـ جزيرة العرب [ز]: وهذا الاسم ثابت بالحديث الشريف الذى يقول «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

حرف الحاء:

٢٣ ـ الحبيبة: وسبب تسميتها بهذا الاسم مدى حب حبيب الله لهذه المدينة.

٢٤ ـ حَرَم: وهذا الاسم ثابت بالحديث الشريف «المدينة حرم آمن» قال النبى ﷺ «إن حرم ابن آزر مكة المكرمة وحرمى المدينة وكل من يخيف ويحذر أهل المدينة سبحانه وتعالى يخيفه».

٢٥، ٢٦ ـ حرم رسول الله [ز]، حسنة: وهذا الاسم مأخوذ من الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. (النحل: ٤٢).

حرف الخاء:

٢٧، ٢٨ ـ خَيْرَه، خِيرَه: وهذان الاسمان اللطيفان ثابتان بالحديث «المدينة خير لهم».

حرف الدال:

٢٩، ٣٠، ٣١,٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧ ـ الدار [ز] دار الأبرار، دار الأخيار [ز] دار الإيمان [ز] دار السلام [ز] دار السنة [ز] دار السلامة [ز] دار الفتح [ز] دار الهجرة: ولما كانت هذه الأسماء من الأسماء المعروفة فوجه تسميتها

بها ظاهر. لأن جميع البلاد والأمصار قد فتحت وسخرت بسوق الجنود الأبرار من مدينة دار الهجرة، كما أن شمس السنة السنية أشرقت من آفاق المدينة وأضاءت أقطار العالم والممالك، لأن النبى ﷺ هاجر إلى المدينة بعد أن ظهرت الدعوة فى مكة المكرمة.

٣٨ ـ درع، الحصينة [ز]: ودرجة التسمية بهذا الاسم يعود على قول سلطان الدين ـ عليه صلوات الله المعين ـ «قد رأيت نفسى فى رؤيا داخل درع محكم الصنع وأولت هذا الدرع بأنه المدينة».

حرف الذال:

٣٩ ـ ذات الحجر [ز]: وسبب تسميتها بهذا الاسم وجود المدينة داخل جبال حجرية.

٤٠ ـ ذات الحرار [ز]: وسبب تسميتها بهذا الاسم أن المدينة محاطة بالتلال. إن كاهنا من كهنة اليمن الذى يطلق عليه ضافير الحميرى قال «كنت سألت عن أحد أفراد الجن فى أى بلاد أتحرى عن الدين الحق فقال هذا الجن: ابحث عن هذا الدين الحق فى الحرار»، وبهذا الاسم أومأ الجن إلى المدينة المنورة.

٤١ ـ ذات النخل [ز]: وقد ثبت هذا الاسم بالحديث الشريف «أريت دار هجرتى ذات نخل».

حرف السين:

٤٢ ـ سلق: إن هذا الاسم مسطور فى التوراة ويقرأ على ثلاثة وجوه سَلَق، سَلْق (٤٣) وسِلْق (٤٤) وكون هذا البلد فى موقع واسع وجبال بعيدة بعضها عن بعض ومتجاورة. وكونه ذا حرارة شديدَة فهذا هو وجه تسميتها بهذا الاسم. ويروى أن لفظ (سَلْقَهْ) يجمع بين معنى الوسع والحرارة.

٤٥ ـ سيدة البلاد [ز]: وقد نقل ابن عمر (رضى الله عنه) مرفوعا عن ـ النبى ﷺ ـ أنه قال «يا طيبة يا سيدة البلدان» وكان هذا الحديث الشريف سببا فى تسمية المدينة المنورة بهذا الاسم.

٤٦ ـ شافية [ز]: وهذا الاسم مأخوذ من الحديث الشريف «ترابها دواء من كل داء».

حرف الطاء:

٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ ـ طابَهْ، طَيبهَ، طَيِّبة، طائب [ز]: يروى أن هذه الأسماء منقولة من كتاب التوراة المقدسة ووجه تسميتها بهذا الاسم بناء على قول وهب بن منبه كونها ذات رائحة طيبة ولطهارتها من دنس الشرك والنفاق وانتسابها الطيب بهجرة الرسول الموقر، كما أن مطَيَّبه (٥١) وطبابا (٥٢) من أسماء المدينة الجليلة.

حرف الظاء:

٥٣، ٥٤ ـ ظيابا [ز] ظبابا: وقد سميت بهذين الاسمين لكونها قطعة مستطيلة مسعودَة فى أراضى الحجاز المقدسة.

حرف العين:

٥٥ ـ عاصمة: سبب تسميتها بهذا الاسم لأنها حمت المهاجرين الكرام عن تسلط الأعداء كالدرع أو لأنها معصومة من الطاعون والدجال.

٥٦ ـ عذراء: لأنها مصونة من شر الأشرار لرصانتها الجغرافية ومتانتها الطبيعية أو أنها تحمل معنى البكارة لأنها استسلمت للنبى ﷺ دون حرب وقتال. والاسم مأخوذ من التوراة.

٥٧ ـ عَرَاء [ز]: عدم ارتفاع مبانيها القديمة سبب تسميتها بهذا الاسم.

٥٨ ـ عروض: لكونها على أرض مستوية ولوجود أودية السيول ومجاريها فيها.

حرف الغين:

٥٩، ٦٠ ـ غراء [ز]: غالبه [ز]: وسبب تسميتها بهذين الاسمين تغلب قبيلتى الأوس والخزرج عندما نزلتا فى المدينة على طوائف اليهود. وتفوقها فى العهد الإسلامى على القرى الأخرى.

حرف الفاء:

٦١ ـ فاضحة [ز] سميت كذلك لتملكها خاصية فضح أهل البدعة.

حرف القاف:

٦٢ ـ قاصمة [ز]: وهذا الاسم منقول من التوراة سميت بهذا الاسم لهلاك الذين يسيئون إلى أهلها.

٦٣، ٦٤. ٦٥، ٦٦، ٦٧ ـ قرية [ز] قرية الأنصار [ز] قبة الإسلام، قرية الرسول، قلب الإيمان [ز] وجه تسميتها بهذه الأسماء ظاهر، إلا أن الدجال هو الذى سيطلقه عليها «قرية الرسول» لأنه عندما يصل إليها سيعرف أعوانه بأنها دار هجرة الرسول قائلا «هذه قرية ذلك الرجل».

حرف الميم:

٦٨ ـ مؤمنة [ز]: وقد أخذ هذا الاسم من التوراة ويومئ بأن سكنتها سينجون من شرور الأعداء الأشرار والأمراض والكوارث والطاعون والأوبئة ودخول الدجال.

٦٩ ـ ١٠٣ مباركة [ز] متبوئ الحلال والحرام [ز] مبين الحلال والحرام [ز] مجبورة، محبة، محبَّبة، محبوبة، محبورة، [ز] محرمة [ز] محروسة [ز] محفوفة [ز] محفوظة [ز] ممتازة [ز] مدخل صدق [ز] مدينة، مدينة الرسول، مرحومة، مرزوقة [ز] مسجد الأقصى [ز] مسكينة، مسلمة [ز] مضجع الرسول [ز] مطيبة، مرجية [ز] مقدسة [ز] مقر [ز] مكتان [ز] مكينة [ز] مهاجر الرسول [ز] موفية: ولا حاجة لتعريف وجه تسمية هذه الأسماء.

حرف النون:

١٠٤، ١٠٥، ١٠٦ ـ ناجية [ز] نبلاء [ز] نحر [ز] وسبب تسميتها ظاهر.

حرف الهاء:

١٠٧، ١٠٨ ـ هرزاء [ز] هز: بعض هذه الأسماء مأخوذة من التوراة الشريفة وبعضها من الكتب المقدسة الأخرى.

حرف الياء:

١٠٩، ١١٠، ١١١ ـ يثرب، يندد [ز]: إن هذه الأسماء الشريفة أخذت أكثرها من التوراة ومن الكتب الأخرى كما ذكر أعلاه وبناء على قول الدراوردى إن فى التوراة أربعون اسما آخر لدار الهجرة الطيبة ـ نورها الله تعالى إلى يوم القيامة ـ وبما أن أكثرها يتغير ويتميز بتخالف الحركات، لذا صرف علماء الأسلاف النظر عن ذكرها وعددها.

فى ذكر الروايات التى نقلت من الآثار الموثوقة والأخبار الصحيحة فى فضل ورجحان المدينة المنورة على سائر الممالك.

لا يخفى على أهل الرأى المخلصين أن التراب الطاهر الذى التصق بجسم نافع الكونين المحمدى فى المدينة المنورة أفضل من جميع بقاع الأرض وحتى من البيت الأعظم والعرش المعظم، ولأجل ذلك يفضل العلماء الأجلاء المضجع الجليل المقدس على السماء التى تفوق الأرض فى الأفضلية والرجحان.

وإن كان لا يشك فى أفضلية مكة المكرمة والمدينة المنورة على البلاد الأخرى ورجحانهما، إلا أن المسألة الأصلية فى رجحان أحدهما على الأخرى وترجيحها.

بعد أن اختلف علماء الأسلاف فى هذه المسألة كثيرا رأى عمر بن الخطاب وكثير من الذوات المحترمين من الأصحاب الكرام وعلماء البلدة المقدسة الطيبة تفضيل المدينة المنورة على مدينة مكة المعظمة وقال الإمام أحمد إن هذا الاختلاف فى الأماكن الأخرى من مكة المكرمة، لأن البقعة المحترمة (كعبة الله) أفضل من مرقد رسول الله.

وبهذا الحكم فضُلت مكة المكرمة على المدينة المنورة، قد رأى الإمام مالك صواب القول الأول وقال إن المدينة أفضل من مكة المكرمة لأن التراب الذى يلتصق بجسم صاحب الرسالة محمد ﷺ أشرف وأجل من رجحان جميع بقاع الأرض المنيرة، والفقرة الثانية من ادعائه أى أن التراب العاطر الذى يلتصق بجسم المصطفى ﷺ مفضل على جميع البقاع الأرضية قد صدقت من قبل جميع الأئمة.

إن البلدة المقدسة البطحاء قد اكتسبت شرفا سابقا بالاستناد إلى حضرة إبراهيم

وابنه إسماعيل ـ عليهما صلوات الله ـ إلا أن مجاورة حافظة الجواهر والبر والفضل ـ عليه التحية ـ بالغدو والآصال عندما أسندت إليه الرسالة أضافت علوا وشرفا لهذه البلدة وإن كان هذا لا يقبل الإنكار إلا أن شرف مجاورة النبى ﷺ قد زال بعد الهجرة، واكتسبت المدينة المنورة بالهجرة مزية حقيقية فوق العادة. وإذا قيل، لماذا لم تنل الأشياء الأخرى التى جاورت النبى ﷺ هذا الشرف ولعل الأفضلية ليست وقفا على الملاصقة بل إن هذه الأرض التى دفن فيها الرسول ﷺ أصبحت جزءا من جسم الرسول ولأجل ذلك كسبت المدينة المنورة أفضلية ورجحانا على الأماكن الأخرى لأن الملك الموكل بعجن طينة الإنسان قد قسمها إلى ثلاثة أقسام فيضع أحدها فى رحم الأم عند سقوط النطفة ويضع الثانى فى الأراضى الخصبة التى سيعيش عليها فى حياته، ويلقى بالقسم الثالث فى المكان الذى سيدفن فيه، ومادام التراب الذى التصق بأعضاء النبى المكرم قد كان جزءا انفصل من جسمه فمرقد صاحب الرسالة المؤيد بالفيض النبوى، يرجح قطعا من حيث الشرف على مكة المكرمة. وهذا هو سر رجحان تراب المدينة المنورة العاطر الذى التصق بالجسم النبوى الميمون، من المدينة التى دفنت فيها الرحمة، وحكمة هذه الأفضلية ترجع إلى أن أجر ومثوبات الأعمال الصالحة فى إحداهما أكثر من الأخرى.

وقال الرواة الذين أيدوا الإمام مالك فى رجحان المدينة المنورة على مكة المكرمة فى ضمن إثبات مدعاه ـ قال مؤلف كتاب الوفاء ـ نقلا عن كعب الأحبار - عندما أراد الله القادر المطلق أن يخلق ويوجد نور صاحب الرسالة الأقدس أمر جبريل الأمين أن يجهز ويهيئ العنصر المحمدى اللطيف ـ عليه أفضل التحية ـ وجد جبريل الأمين قبضة من التراب الأبيض وأحضره، ولما كان هذا التراب الطاهر موقع مرقد سيد البشر خمر وعجن جبريل ذلك التراب بماء الجنة الزلال وعرف أنه عنصر محبوب الله ـ عليه أجمل التحايا ـ وامتلأ عجبا إذ تأمل أهمية قدره وجلالة وعظمة وفضل جوهره، ولم يكن سكان عالم السماء حتى ذلك الوقت قد سمعوا حتى اسم أبى البشر ـ عليه سلام الله الأكبر.

وقال ابن جرير ونقل فى إثبات مدعاه أن كل شخص يدفن فى المكان الذى خلق منه وذلك من مقتضى الحكم الإلهى. ما قاله ابن سيرين إننى إذا أقسمت أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق النبى ﷺ وأبا بكر وعمر من نوع من تراب ثم ردهم إلى نفس التراب أكون قد أقسمت يمينا صادقا.

ونقل ما قاله ابن عباس آتيا بالحديث الشريف إن الطين العطر النبوى من تراب الكعبة المعظمة التى تمثل سرة الأرض. وقال العلماء الكرام إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما خاطب السماوات والأرض. ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (فصلت ١١).

فأول من لبى الخطاب الإلهى من الأرض أرض موقع الأنور الكعبة ومن السماء المكان الذى يحاذى البيت الأكرم ومع ذلك فإن التراب المطهر الذى استجاب من موقع الكعبة المعظمة كان التراب الذى اختلط بالعنصر النبوى وبالمادة اللطيفة المصطفوية، ثم انفصل عن أرض الغبراء المبسوطة من تراب الكعبة المكرمة ثم بسط وفرش وعلى هذه الرواية يقتضى الأمر أن يدفن ماء وطين ـ عليه سلام الله المعين ـ فى داخل الكعبة ودفنه فى تراب المدينة المنورة العاطرة أى دفن صاحب الرسالة فى مكان بعيد عن مكة المعظمة وإفراده يظهر عظمته وفضله وأنه متبوع وليس بتابع.

عندما تموجت مياه طوفان نوح وهاجت المياه فوق ذروة الكعبة فصلت الطينة الطاهرة النبوية ونقلت إلى المكان الذى يرقد فيه سيد الأنام الآن وهكذا ثبت أن المرقد المقدس للنبى ﷺ جزء من جسم النبى اللطيف، لأجل ذلك دفن فى هذا المكان فأصبح محل راحته مضجعه الأقدس الذى كان أصل طينته الطيبة.

ويثبت هذا المدعى ما يروى أن حضرة سليمان ـ على نبينا وعليه السلام ـ حينما مر من أرض يثرب محل مرقد السعادة قال إنه سيكون هنا مدفن ملك يثرب وبطحاء ـ عليه أفضل التحايا ـ وقد ترك ما يقرب من أربعمائة حبر من أحبار اليهود آراءًا قوية فى هذا الخصوص.

وإن كان يلزم أن يتساوى فضل ومزية الحرمين من حيث مبدأ الخلقة إلا أن

فصل أمواج الطوفان المادة النبوية اللطيفة من بطن الكعبة وحملها إلى مضجع السعادة القدسية، وبهذا الفضل والمزية رجحت المدينة المنورة من حيث جيرتها لمرقد السعادة الذى يحتوى على الجسم اللطيف النبوى يقتضى تفضيلها على مكة المعظمة.

عندما توفى صاحب المقام المحمود ـ عليه سلام الله الودود ـ اختلف العلماء فى المكان الذى يلزم دفنه فيه ـ عليه السلام ـ عندئذ قال سيدنا على «إن المكان الذى قبضت فيه نفس الرسول النفيسة أجمل وأفضل من جميع الأماكن التى على وجه الدنيا» وكان أبو بكر الصديق فى هذا المجلس وقال «سمعت من فم سيد الأخيار نفسه» أن الأنبياء يدفنون فى المكان الذى يقبضون فيه» وقد وافقت آراء الأصحاب الكرام رأى المشار إليهما ومن هنا قرروا دفنه فى منزله اللطيف، إن سبب تأكد العلماء الكرام وجرأتهم على تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة هو وقوفهم على هذا السر الجليل.

وإنه لاشك فى أن المحل الذى أحبه النبى ﷺ سيكون أحب عند الله عن سائر الأماكن. ألا يرجح المحل الذى أحبه الله سبحانه وتعالى واختاره النبى ﷺ على المكان الآخر؟ وفى هذه الحالة ألا يرجح مضجع السعادة المنيف على الكعبة المعظمة؟

قد دعا فخر الكونين ـ عليه أكمل التحايا ـ حينما كان يغادر مكة «يا إلهى مادمت أخرجتنى من مكان أحبه فأسكنى فى مكان تحبه!!» وإذا ما نظر إلى اتخاذ أرض يثرب بعد هذا الدعاء دار الهجرة النبوية بعد أن دعا قائلا «يا رب أسكنى فى بلاد تحبها» واختياره الإقامة لآخر عمره فى مدينة طيبة الشهيرة يظهر من هذا أن المدينة المنورة أحب إلى الله من البلاد الأخرى.

إنها تلك البلدة المقدسة قد هاجر إليها خلاصة الماء والتراب ـ عليه سلام الله خالق الأفلاك ـ وارتحل عن دنيانا فى هذه البلدة كما حرص أصحابه الكرام على الإقامة فيها، هل ينكر بعد كل هذا مزية رجحان هذه البلدة وأفضليتها على البلاد الأخرى؟

وقد رجح بعض العلماء مكة المكرمة على المدينة المنورة مستدلين بالأحاديث «إن مكة أحب بلاد الله إلى الله» و«إن مكة خير بلاد الله»، وإن كان الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعى رأيا هذا الرأى وصدقا العلماء المشار إليهم إلا أن هذين الحديثين قد صدرا قبل أفضلية مكة المكرمة ـ عند سائر الأئمة ـ طالما كان صاحب المعجزات مقيما فى مكة المكرمة، وقالوا إن رجحان المدينة دار السكينة بعد الهجرة وفضلها قد ثبتا بعد الهجرة.

وإن كان ثبت تضاعف الأجر والمثوبة فى مكة المكرمة إلا أن هذا الأمر لا يقتضى أفضليتها، فمثلا يلزم للذين يذهبون إلى عرفات أن يصلوا خمس أوقات فى منى، ومع هذا فإن مكة المكرمة أكثر ثوابًا وأجرا من الصلوات التى تؤدى فى منى وهذا الأمر محقق ومصدق لدى العلماء. ولأجل ذلك قال ابن عمر، إن تضاعف الثواب والأجر فى مكة ثابت ومع ذلك لا ترجح على المدينة دار السكينة وهكذا بين أن تضاعف الثواب لا يقتضى الأفضلية والرجحان وأن المفضول قد يرجح على الفاضل أحيانا.

وبناء على هذا الفهم الدقيق أجاب الإمام مالك على سؤال: أى الحرمين أولى بالمجاورة فى رأيك؟ فقال لهم بناء على رأيى إن المجاورة فى المدينة الطاهرة أولى من المجاورة فى مكة المقدسة وأوجب.

كيف لا تكون دار الهجرة المحترمة أفضل من مكة المكرمة وكيف لا تكون المجاورة فى تلك البلدة أحب وأجمل؟ وقد مر الجالس على سرير الأمراء المصطفى ـ عليه أكمل التحية ـ بكل شوارع تلك البلد. المباركة ذهابا وإيابا، بما أن جبريل الأمين نزل فى أكثر بقاعها باسطًا أجنحته وأوصل الوحى الجليل ومن هنا قال الواقف على خفايا الحكمة ـ عليه بدائع التحية ـ المدينة خير من مكة والمدينة أفضل من مكة، وقد أخبر بهذا الحديث الصحيح عن لزوم تفضيل المدينة المنورة على مكة المعظمة نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة.

الصورة الثالثة

في ذكر الأحاديث الشريفة التي وردت في حق الذين اختاروا الإقامة في المدينة الطاهرة والذين أحدثوا البدعة والمبدعين والذين يعاونونهم.

وقد فتح سلطان الرسالة ـ عليه أسمى التحية ـ فاه الشريف مبينا عظمة وقدر وفضل المدينة المنورة وقال ما معناه أنه سيأتي زمان على الناس سينقل فيه كل شخص أولاده وعياله وقومه وقبيلته إلى أماكن رخيصة وذات سعة في العيش وكما تدخل الثعابين في جحرها خائفة من أعدائها هكذا سينسحب نور الإيمان في ذلك الوقت من البلاد الأخرى وسيتوجه نحو مدينة دار السكينة، وأقسم بالله الذى نفسى بيده بأن الذين لا يقدرون عظمة وخيرية المدينة المنورة ولا يذعنون لذلك ويغادرون المدينة المنورة ويفارقونها إلى البلاد الأخرى فسيأتي مكانهم من هو خير منهم، وإن كل نفر يعرض عن المدينة ويهاجر إلى البلاد الأخرى إلا وبدله الله سبحانه وتعالى بشخص يرغب في الإقامة في المدينة ويصبر على بلائها وعنائها.

يعنى يرسل إليها من هم خير من القادرين، وكل من يتحمل ضيق وعناء وشدة دار السكينة فإنه ﷺ يشهد في يوم القيامة ذى الأهوال الشديدة على طاعة أهل الصبر ويبالغ في شفاعته لأمته.

ذهب حضرة سعيد مولى المهرى إلى أبى سعيد الخدرى عقب توالى الظلم والغدر أيام واقعة الحرة فشكى من ضيق الحال وكثرة العيال ونقل إليه رغبته في الهجرة إلى بلاد أخرى بهدف معايشة عياله وأولاده في رفاهية وسرور. فأجابه أبو سعيد الخدرى قائلا «أوه لحالك هذه إننى «لا أرى من المناسب أن تترك هذا البلد وتضحى به» فأورد له الحديث الشريف الذى يقول حق المدينة «لا يصبر على لأوائها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعا يوم القيامة»[1] وفى نفس ذلك الوقت

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٥٥، ٣/ ٢٩، ٦٩، وانظر مجمع الزوائد ٣/ ٣٠٠.

المشحون بالفيض الإلهى لقى شخص آخر عبد الله ابن عمر وقال «يا أبا عبد الرحمن. قد حل زمن زاد فيه الجور والظلم وزادت حالة العباد ضيقا واشتداداً وبناء على هذا فأنا أريد أن أهاجر إلى بلد ذى شهرة بالرخص». فذكر له عبد الله بن عمر الحديث الطويل سالف الذكر وقال له لا تفارق مكانك الذى أنت فيه ولو خطوة واحدة.

إن تفضل الآمر بالحكمة ـ عليه أفضل التحية ـ قائلا «أكون إما شفيعا أو شهيدا على من يتحملون بلايا المدينة المنورة بالصبر عليها» لا يشك فيه لأن معناه أكون شاهدا للمطيعين وشفيعا للعصاة ولما كانت هذه الشفاعة أخص من الشفاعة العامة فإن ذلك الحديث يدل على أن سكنة تلك المدينة المذكورة يتوفون على إيمانهم و معلوم أن الشفاعة ستكون فى حق أهل الإيمان.

إن تبشير متوفى المدينة جعل سكان دار السكينة رهن السرور ومما لاشك فيه أن الحديث الشريف (من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة)(١) سيسر الذين يؤثرون الفداء بأرواحهم فى المدينة المنورة، ويروى ابن عمر أن النبى ﷺ كان يدعو فى أثناء وجوده فى مكة قائلا «نرجو من المعطى ألا يتوفانا فى مكة المكرمة» وذلك عن صحبته له ـ عليه السلام ـ ويروى من مصدر موثوق أن صاحب الآيات ـ عليه أفضل التحيات ـ يقول «إن الذين لهم ملك فى المدينة يجب أن يحرصوا على المحافظة على أملاكهم وأن يسعى الذين لا يملكون شيئا فى المدينة لبذل الجهود على أن يمتلكوا شيئا فيها»، كما أنه ـ عليه السلام ـ نبه المهاجرين إلى البلدة الطيبة أن يهيئوا لأنفسهم ولو شجرة نخلة(٢) واحدة.

وقد روى الإمام الزهرى مرفوعًا «لا تتخذوا الأموال بمكة واتخذوها فى دار هجرتكم فإن الرجل مع ماله» كما روى ابن عمر الحديث اللطيف «لا تتخذوا من وراء الرق حاملا ولا ترتدوا على أعقابكم بعد الهجرة ولا تنكحوا بناتكم طلقاء

(١) عند الترمذى بلفظ: «مَنْ استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها» وفى رواية الطبرانى: «فإنه من مات بها كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة».
وقال: حسن صحيح. انظر: إعلام الساجد ص ٢٤٨، مجمع الزوائد ٣/٣٠٦.
(٢) راجع مجمع الزوائد ٣/٣٠١.

أهل مكة» وبهذا ينقلون أن النبى ﷺ حض على عدم امتلاك الأموال فى مكة بل فى المدينة لأن مال كل إنسان يكون بجانبه.

إن مدينة دار السكينة مثل[1] كير الحداد يفرق بين المخلصين من الموحدين وأهل النفاق وتفصل بينهما، كما أن الكير يفصل بين الحديد وخبثه وهكذا تفصل المدينة المنورة تمحص قذارة ووسخ أهل النفاق وتبعدهم عنها وتصفى وتبقى على أهل الإخلاص.

قال أحد الأعراب ـ وكان قد مرض بالمدينة ـ للرسول ﷺ يا رسول الله! أقلنى عن بيعتى[2].

فَأَبَى الرسول ﷺ وأعرض عنه، وغادر الأعرابى المدينة.

عندئذ قال خير البرايا ـ عليه أكمل التحايا ـ «وإن المدينة المنورة مثل كير الحداد يزيل الخبث ويصفى الطيب»[3] يفهم من هذا الحديث أن المدينة المنورة لا تقبل أهل الفساد والبدعة وتطردهم بعيدا، وما زالت هذه الخاصية فى المدينة الشهيرة ومشهورة بها.

وإن قال بعض الذوات أن الخاصية بالمدينة تنحصر فى عصر السعادة فبناء على حكم القول الشريف «لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها»[4] وبناء على ما قاله عمر بن عبد العزيز عندما كان يفارق المدينة المنورة «أخاف أن أكون من الذين تبعدهم المدينة وتطردهم» فخاصية المدينة المنورة ستستمر إلى ظهور الدجال، ولكن الأشخاص الذين ستطردهم المدينة هم الكفار الذين يتصفون بالخبث الكامل، أما العصاة الذين لم يصلوا إلى درجة الكفر ينقلون إلى أماكن مناسبة بواسطة الملائكة بعد ارتحالهم وموتهم، ويفهم من هذا أن أهل المدينة الذين لا

(١) يطلق الكير على موقد الحداد موقد المعادن.

(٢) الإقالة الادعاء بأن الإنسان قال شيئا وفى الحقيقة لم يقل شيئا كالافتراء.

(٣) الخبر فى الصحيحين: انظر صحيح مسلم ٣٢٩٦ فتح البارى ١٣/ ٢٠٠، ٢٠١ باب بيعة الأعراب، عمدة القارى ١٠ / ٢٤٥.

(٤) رواه الإمام مسلم فى صحيحه، كتاب الحج، باب المدينة تنفى شرارها، حديث ٣٢٩٣. ط دار الغد العربى.

يستحقون الشفاعة ينفون إلى أماكن أخرى لإزالة ومسح ذنوبهم أو أنهم يمحون ذنوبهم بزيادة أجورهم ومثوباتهم كما تفيد الآية الجليلة:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾. (هود: ١١٤).

أو أنها تظهر خباثة وفساد من فى قلوبهم الفساد والخبث.

وقد ثبت بحكم الأحاديث الشريفة أن الذين يحدثون البدعة فى المدينة أو يعينون على ذلك سيلعنون من قبل الرحمن، وأن صلوات مثل هؤلاء الرجال المفروضة ونوافلهم لن تقبل منهم فالآثام الصغيرة التى ترتكب فى المدينة المنورة تعد من الكبائر بناء على الإفادة العاتبة لله ـ سبحانه وتعالى ـ إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يمحو الذين يسيئون إلى أهل المدينة المنورة كما يذيب الماء الملح يذيبهم فى جهنم مثل الملح والرصاص[1].

هناك اختلاف فى مدلولى لفظى المحو والإذابة إذ قال بعضهم إن الذين يتعرضون بالسوء إلى أهل المدينة المنورة سيؤاخذون على فعلتهم يوم القيامة، كما حكم بعضهم على أن هؤلاء سيؤاخذون على أعمالهم فى حياتهم، وإذا ما نظر إلى تلف المسلم الذى يناقض اسمه ـ أى مسلم بن عقبة[2] ـ والذى تجرأ فى ارتكاب حادثة الحرم الشهيرة، وكذلك إلى تلف يزيد[3] المفضوح الذى عينه للقيام بهذه المهمة الحزينة متعاقبين ترى صحة مؤدى القول الثانى وأصالته، وإذا ما نظر إلى تأخير مؤاخذة بعض الظالمين يرى أن القول معقول كذلك، ولاسيما إذا نظرنا إلى مصير طوائف القرامطة الباغية، ولكننا إذا ما نظرنا إلى مصير المغاربة الذين كانوا سببا فى إحاطة الشهيد نور الدين مرقد السعادة بجدار من الرصاص وإلى مصير المخذولين الأذلة الذين أساءوا إلى المدينة إذ تعرضوا ـ إن عاجلا أو آجلا ـ إلى أنواع المصائب والبلايا يقتضى ترجيح صحة القول الثانى.

وبما أنه قد ثبت أن الجبابرة الذين أساءوا إلى دار الهجرة المدينة المنورة قد نالوا جزاءهم من الآلام والعذاب حتى كانوا عبرة لأمثالهم ومثار الانتباه فلا شبهة أنهم

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى حديث ٣٢٩٩ ط. دار الغد العربى. وإعلام الساجد، ص ٢٥٧.

(٢) أهلكه الله منصرفه عن المدينة.

(٣) هلك يزيد بن معاوية أثر إغزائه أهل المدينة.

سيصيرون إلى الدرك الأسفل من النار ويذوبون مثل الرصاص. وقال الفرد الأكمل والأجمل ـ عليه سلام الله عز وجل ـ «يا إلهى!! استعجل فى هلاك كل واحد يسيئ إلى أو إلى المدينة المنورة بلدى وحرمى، وكل من يظلم أهل المدينة يخيفهم فأخفه»(١)، وبهذا يومئ بهذا الدعاء أن الذين يظلمون أهل المدينة أو يخيفونهم سيتعرضون للعنة الله ومذمة الناس ويستحقونها.

الاستطراد: كان بُسْر بن أبى أرطاه أحد أمراء الفتنة، فلما قدم المدينة كان بصر جابر بن عبد الله قد ذهب، فقيل لجابر: لو تنحيت عنه؟ فخرج يمشى بين ابنيه فَنُكِّبَ. فقال: تعس مَنْ أخاف رسول الله ﷺ؛ فقال ابْنَاهُ أو أحدهما يا أبت وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى(٢).

إفادة مخصوصة: كان بُسْر بن أبى أرطأة ذهب إلى مكة لإجراء التعليمات التى يحملها فى خلال السنة التاسعة والثلاثين الهجرية بعد المرور بالمدينة المنورة، وأقدم على هتك حرمة الحرمين الشريفين على سبيل الإهانة. وبعد أن أتلف بسيف الغدر كثيرين من أهل الحرمين الذين لا يوافقونه فيما يرتكب وأعدمهم ثم ذهب إلى ديار اليمن وهناك أيضا جعل رءوس مئات من المسلمين ذوى العقيدة الطاهرة والمساكين ضحية سيفه الغادر الظالم. وكان أبو أيوب الأنصارى والى المدينة قد ترك دار السكينة المدينة المنورة فى اليوم الذى دخل ابن أرطأة فيها.

جمع ابن أرطأة أهالى المدينة المنورة فى مكان واحد وقال مخاطبا لهم «قد هرب أبو أيوب من هنا حتى لا يبايع معاوية ابن أبى سفيان مع أنى سأقبض عليه بأى طريقة كانت فأقتله! يجب عليكم كلكم أن تضعوا رءوسكم فى ربقة بيعة معاوية وأن تطيعوه، يجب عليكم أن تبحثوا عن جابر بن عبد الله وأن تسوقوه إلى، ! وقال يا أفراد بنى سليم. إذا لم تأتوا إلى بجابر لن أقبل بيعتكم وسأقتلكم كلكم بالسيف وسأظهر لكم سطوتى وجلادتى».

(١) انظر مجمع الزوائد ٣/٣٠٦.

(٢) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح: انظر: مجمع الزوائد ٣/٣٠٦.

بناء على ما حققه ابن عبد البر فيما كتبه أن الخائن ابن أبى أرطأة قد بعث لدعوة الناس إلى مبايعة معاوية وفى حالة عدم مبايعتهم فإنه مأذون أن يستخدم معهم الشدة والغلظة، مع أن الذين رأوا ما أظهره حضرة جابر من شجاعة فى هذا الموضوع أعجبوا بها وقالوا لا يستطيع أن يقبل هذه البيعة وانسحب إلى حرة بنى سليم رافضين عرضه واتحد جابر مع أفراد بنى سليم ونجى من يد غدر ابن أرطأة وظلمه. ومع هذا لما فهم حضرة جابر أنه لن ينجو من يد بُسْر إذا لم يبايع معاوية وأن غرض بُسْر الحقيقى كان أن يقبض على جابر مهما بذل فى سبيل ذلك من تضحيات أو مال وفعلا بدأ فى التحريات فى هذا الخصوص. ولما اطلع جابر على ذلك لقى أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ من أمهات المؤمنين وقال لها إن البيعة التى يطلبها بُسْر بيعة ضالة باطلة، ولكننى إذا رفضتها فلا شك بأنه سيقتلنى فما رأيكم فى هذا الخصوص؟ فقالت له: «على رأيى يجب أن تذهب بنفسك وتبايعه حتى تمنع وقوع نار الفتنة! فقد بعثت بابنى عبد الله[1] بن أبى سلمة أيضا لذلك وإنه سيذهب للمبايعة». وبما أن أم سلمة رضى الله عنها أفتت بلزوم البيعة فبايع مضطرا وهكذا نجى بنفسه من يد ظلم ابن أرطأة.

وكان من عادة رسول الله ﷺ أن يوصى برعاية أهل المدينة ويحذر من إخافتهم وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة ومن ضمن ما قاله أمير الممالك والشفقة ـ عليه أطيب التحية ـ «المدينة دار هجرتى والمكان الذى رحلت إليه، فمن واجب أمتى اجتناب الكبائر ومراعاة جانب جيرانى، وكل من لا يحترمهم ولا يرعاهم يسقيهم الله يوم القيامة من عصارة أهل النار. والحديث إن المدينة مهجرى ومضجعى! إننى سأبعث من هناك فالذى يليق بأمتى رعاية جيرانى والمحافظة عليهم! وكل من يحافظ على وصيتى فإننى سأكون له شهيدا يوم القيامة، والذين يضيعون وصاياى فالله سبحانه وتعالى يسقيهم يوم القيامة من

(١) عبد الله بن أبى سلمة هذا قد استشهد فى داخل الحرم النبوى من قبل مسلم بن عقبة فى وقعة الحرة إذ رفض أن يبايع يزيد.

والذى فى تاريخ الطبرى أنه عمر ابن أبى سلمة. تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٩.

حوض الخبال[1] ويرويهم».

والحديث «جعل الله سبحانه وتعالى المدينة دار هجرة لى! إننى سأبعث من المدينة وسأحشر منها، فيجب على أمتى اجتناب الكبائر والمحافظة على جيرانى وكل من يحترم أهل المدينة ويرعاهم فى سبيل حرمتى وتعظيمى أكون له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة. وكل من يضيع حرمتى فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يسقيه من حوض خبال».

وبناء على هذا حينما طلب المهدى العباسى من الإمام مالك أن يوصيه فقال له «أوصيك بالاعتراف بوحدانية الله وأن تبذل من لطفك وعطفك لأن الرسول ﷺ قال المدينة دار هجرتى، فى صحراء القيامة سأبعث من المدينة قبرى فى المدينة، وأهل المدينة جيرانى والواجب على أئمتى أن يتقيدوا بالمحافظة على أمتى! كل من يرعاهم ويحافظ عليهم يحافظون على حقوقى!

ومن يحافظ على حقوقى أكون شفيعا له فى يوم القيامة وشهيدا. والذين لا يحافظون على وصيتى يسقيهم الله من طينة الخبال يوم القيامة ويرويهم».

عندما زار الخليفة المهدى المدينة المنورة وذهب لزيارة الحجرة المعطرة، استقبله الإمام مالك وسادات البلد وأشرافه وجملة الأعيان وكبار موظفى الحكومة من عدة أميال من المدينة. وعندما رأى المهدى الإمام الجليل فاحتضنه وعانقه، ثم استدعى من معه واحدًا تلو الآخر وصافحهم بحرارة. وعندما رأى الإمام مدى التفات الخليفة لأهل المدينة ورعايته لهم وقف ناصحا له وقال يا أمير المؤمنين «إنك ستدخل الآن إلى المدينة وسترى فى يمينك ويسارك بعض الناس، وبما أن جميع هؤلاء الذين سيراهم بصرك من أحفاد المهاجرين والأنصار ـ رضى الله عنهم ـ فيلزم عليك أن تحيى كل واحد منهم متفردًا وتسلم عليهم وتعرض عليهم

(١) الخبال: عصارة أهل النار من العصاة وهو صديد وعرق أهل النار والحديث رواه الطبرانى فى الكبير على ما ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٣١٠. وفيه عبد السلام بن أبى الجنوب، وهو متروك قلت: وعبد السلام قال على بن المدينى: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: متروك، وضعفه الدارقطنى وجرحه ابن حبان. انظر الضعفاء الكبير للعقيلى ٢/ ١٥٠.

احترامك لهم، لأنه لا توجد على وجه الأرض عشيرة خير وأفضل منهم. كما لا توجد بلدة أفضل من بلادهم «وقد رد الإمام على سؤال المهدى الذى قال له» وما هو دليلك الذى تستند عليه فى هذا القول «وليس على وجه الأرض قبر معلوم لنبى من الأنبياء غير قبر الرسول ـ عليه السلام ـ وإن هذه الطائفة التى استوطنت على أطراف المرقد النبوى ففضلهم ورجحانهم على سكنة البلاد الأخرى ظاهران.

وإذا ما نظرت إلى نصائح الإمام مالك للخليفة المهدى وأمعنت النظر فيما قاله محبوب الأنبياء ـ عليه أعظم التحية: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1] يفهم بداهة أفضلية مجاورة قبر الرسول ـ ﷺ ـ اللامع. ورأيت ما للمدينة المنورة من الفضل والمزية، وأمكنك ترجيح سكنتها على سكنة مكة المكرمة التى تمتاز بتضاعف الأجر والمثوبة لسكانها.

وبناء على وصية الإمام مالك قد راعى الخليفة جانب سكان دار السكينة ولاطفهم وسرهم ببذل عطايا كثيرة لهم.

فلتسر روح المرحوم دده عاشق الرب فما أجمل منظومته هذه ذات المعانى الكثيرة فى مدح المدينة المنورة:

المدينــة هــى مدينــة المصطفــى الطاهرة

إنهـــا محـــل نظـــر الله المتـــكبر

المدينـــة هـــى منـــزل القـــرآن والـــوحى

وهـــى أيضـــا مهبـــط رســـول الله

المدينـــة هـــى مضـجع المخـــتار أحمـــد

وهى مطاف الإنس والجـن وأهـل السماء

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٨٥، ١٦٠ ومواضع كثيرة. وغيره من كتب السنن.

فــى حديثــه قــال فخــر العــالم

كــان ترابــك شــفاء للعليــل

المدينــة هــى منبــع الفيـض والإحســان

وهــى راويــة المحتــاج لمراجعـة الحقيقـة

المدينــة هــى فاتحــة بلــدان الإســلام

خصــوصا فـاتحــة أم القــرى

وهـى مكان الغفـران لقضــاة المــؤمنين

مدينــة محــو العصــيان والخــطأ

وهــى حديقــة الــورد وهــى فريــدة

وهـى كشـف الغطـاء عـن شهود المعرفة

تـرى هـل نفـس عيسى تـرابها الطــاهر

فهــى تعطـى الـروح للقـلب الميــت

أنت سريـد بيضــاء لموســى طــاهرة

أنـت مليئــة بالنــور للقـلب المظــلم

المدينــة مرقــد خيــر البشــر

وشــفيع المــؤمنين يــوم الجــزاء

أنــت سريــر ســلطنة النبــوة

المدينــة هــى العــرش المجتلــى

إنــه الحــريم المحــرم لــولاك لــولاك

فـالمدينــة مجتلــى ســر الأم

المدينــة دار الأنصــار والمهاجريــن

هـــذا مـكان الـدين والإيمـان والحيـــــاة

المدينـــــة هــــى ناشـــرة الرحمـة للعـالم

وخيـــرها دائـــم خاصـــــة لأهلهـــا

فـالـــذى يـــــراها مـــرة يتحســـر قائـــلا

ليتنى أراهـا مـرة أخـرى فلقاؤها محبوب

هكذا انظر كم من مشكلات يحلها ذلك السلطان فمن الصعب أن يحلها العالم فى الحقيقة وإن كان لا ينكر ما خص به أهل مكة من مزايا مثل تضاعف الأجر والثواب فيها ومجاورة بيت الله الوهاب إلا أن أهل المدينة يرجحون ويفضلون على أهل مكة بسبب مجاورتهم وقربهم من حبيب رب العزة والطبيب المداوى قلوب أمته، وتؤيد الحكم السابقة ما قاله أحمد بن حنبل لما سأل أبو بكر بن حماد «يا أبا عبد الله! ما هو أولى والأحب بالنسبة لك المجاورة فى مكة المكرمة أم السكنى فى المدينة المنورة؟» قال له «المجاورة أولى وأحب بالنسبة للذين يختارون السكنى بالمدينة صابرين على مصائبها وبلاياها».

والقول المختار فى هذا الموضوع أن اختيار المجاورة فى أى من البلدين مستحب لحبه ذلك البلد ولما يوجبه من مزية زيادة الأجر والثواب، إلا أن الذين ذهبوا إلى أولوية المجاورة فى المدينة على مكة المكرمة كرهوا مجاورة مكة المعظمة[(١)] رغبو فى الإقامة فى المدينة الأمينة وأحبوها.

(١) إنما كرهها من كرهها لأمور، منها: خوف الملل، وقلة الحرمة للانس وخوف ملابسة الذنوب، فإن الذنب فيها اقبح منه فى غيرها.

انظر: شرح النووى على مسلم باب الترغيب فى سكنى المدينة كتاب الحج ٤/ ٩٢٠ ط. دار الغد العربى.

الوجهة الرابعة

تشمل خمس صور تفصل أوائل حال المدينة المنورة وسكانها القدماء والقبائل التى انتشرت من سلالة «أوس بن ثعلبة» مساكنهم ومأواهم، والحروب التى قامت قبل الإسلام بين قبائل الأنصار.

فى ذكر أحوال المدينة الأولى وأطوار سكانها القدماء وأحوالهم.

بما أن أحوال الأقوام التى سكنت أرض يثرب السعيدة قبل الطوفان وشأنهم مجهولة فى نظر التاريخ فالمؤرخون أخبروا فقط عن أحوال القبائل التى سكنت فى المدينة المنورة بعد الطوفان، تكاثر أحفاد حضرة نوح «عليه السلام» وانقسموا إلى اثنتين وسبعين فرقة وانسحبت كل فرقة إلى المكان الذى اختارته وهاجر شخص يسمى «يثرب بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام» أو «يثرب بن قائنة مهلائيل بن أدم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام» وعلى رواية «عملاق بن أرفخشذ بن سام» من الفرق التى تتحدث باللغة العربية مع أسرته إلى أرض يثرب وبعد أن ظل هناك فترة رحل إلى مكان يسمى «جحفة» من ملحقات المدينة المنورة.

كانت جحفة إلى ذلك الوقت مكانا لا اسم له، وعقب ورود يثرب بن عبيل فى ذلك المكان أخذت الأمطار تنزل بغزارة وظهر سيل كبير وأجحف بنى يثرب فقيل لذلك الموقع «جحفة».

وأخبر المؤرخون أن هذه الهجرة تَتَزَامَنُ مَعَ حكومة كنعان بن حام من نماردة بنى حام، إلا أن المرحوم منجم باشى[1] قد ذهب إلى أن الطوفان قد وقع فى سنة ٦٧٩ وفى عهد إمارة فالغ بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح «عليه السلام».

وبناء على تدقيقات المؤرخين الذين قبلوا الرواية الثالثة أى الذين رووا أن الهجرة إلى أرض يثرب قد حدثت أولا فى عهد عملاق بن أرفخشذ بن سام وعندما كثر أولاد وأحفاد عملاق بن أرفخشذ والذى كان يشتهر بضخامة جسمه،

(١) أحمد بن لطف الله صاحب كتاب جامع الدول.

أظهر كل واحد منهم الكبر والغرور والنخوة وأخذوا يبنون منازل متينة هنا وهناك، فأوسعوا بلدة يثرب وعمروها، وحتى يزينوا أطرافها أخذوا يغرسون الأشجار حيثما وجدوا لذلك سبيلاً ومنذ أن ظهر من بينهم رجال يعرفون فن الزراعة، استولوا بكتائبهم على بلاد الحجاز والشام وتوسعوا فى حدودهم فاستولوا على ممالك البحرين وعمان، مثيرين الفزع والدهشة.

وأخذوا يحكمون البلاد التى استولوا عليها وأهالى القرى والمدن بصورة وحشية وظالمة.

يروى المؤرخون عن العمالقة الذين اشتهروا بضخامة أجسامهم أنهم كانوا يعيشون ما يقرب من مائتى عام وأن الغزلان كانت تربى صغارها فى فتحات مآقيهم.

ووصل ظلم أحفاد عملاق بن أرفخشذ إلى أنهم حتى اشتهروا بين القبائل «بجبابرة العمالقة» وأضروا سكان البلاد التى حواليهم وأوقعوا فيهم الخسائر تحت سنابك خيولهم، وزاد جورهم وأذاهم تدريجيا حتى أن أطفالهم الذين يلوثون الوجود كانوا يشرعون فى البغى والشقاوة وهم مازالوا فى مهدهم.

واشتد عندئذ الكفر والشقاوة بين القبائل الوحشية التى تنتسب إلى جبابرة تسمى «سقل وفالح» والتى ظهرت حينئذ فأشعلت نيران الشر والقتال حتى أوشك الأهالى الضعاف على الفناء والاضمحلال من جراء الأعمال الدامية لهؤلاء، فأرسلوا الرسل إلى سيدنا داود ـ عليه سلام الله الودود ـ يستمدون منه العون فساق عليهم كتائب الصولة والقوة فقتل أكثر رجالهم وأعدمهم وأسر نساءهم وأطفالهم وكبلهم بالحديد.

واستطاع أن ينجو بعض هؤلاء من الأبطال الذين بعثهم سيدنا داود منسحبين إلى قمم الجبال إلا أنهم عادوا بعد فترة إلى ناحية «جرف» وأخذوا فى ارتكاب الشقاوة كما فى السابق ولكن لحكمة ما ظهرت فى رقابهم دودة أودت بهم إلى دار البوار ماعدا امرأة تسمى «زهرة» وهكذا أصبحوا غذاء للنمل والثعابين.

ويروون أن المقبرة التى تحت سفوح الجبل مقابر هؤلاء الأشقياء. و«زهرة» التى نجت رقبتها من الداهية الدهياء التى أصيب بها هؤلاء القوم تعرضت لمرض الدودة الذي تعرض له قومها وتلفت، وكان يتوطن على أرض يثرب شخص آخر بعد انقراض هؤلاء القوم، وكثر أولاد هذا الشخص وأحفاده وانتشروا فى البلاد المجاورة حتى استولوا على البلاد الحجازية كلها وحكموا إلى التاريخ الذى أغرق فيه كليم الله ـ عليه السلام ـ الفراعنة فى بحر القلزم ولما كان هؤلاء قد تجرءوا على إضرار أهالى الممالك المجاورة وإزعاجهم بإيقاع أنواع الظلم والدناءة عليهم وبما أن موسى ـ عليه السلام ـ كان مُكَلَّفًا بمهنة تأديب جبابرة الحجاز وتنكيلهم، بعد أن اضمحل جبابرة مصر والشام. أرسل إلى أرض يثرب بمقدار كاف من الجنود وأوصى قيادة تلك الحملة بتعليمات خاصة فى أن يقتلوا جميع الرجال والذكور الذين بلغوا سن البلوغ وسبى طوائف النساء والأطفال وأسرهم وبعد أن ودع هؤلاء الجنود انتقل إلى إقليم البقاء.

وقد وصل الجنود الذين أرسلهم سيدنا موسى بعد فترة إلى ساحة يثرب الفياضة وأشعلوا دائرة القتال.

وتغلبوا ـ بعون الله وعنايته ـ على مشركى العمالقة وبناء على التعليمات التى معهم كبلوا من استطاعوا أن يمسكوا بهم من الأطفال والنساء بالسلاسل جعلوا الذكور علفا لحد السيف.

وكان ضمن الأسرى ابن حاكم الحجاز أرقم بن أرقم ولما كان هذا فتى فى غاية الحسن والجمال قرروا أن يعرضوه إلى عتبة كليم الله.

وأخذوه حيا إلى الشام حتى يعملوا وفق رأى القضاء الذى سيصدر من قبل العتبة النبوية.

وعندما وصلوا إلى الشام مغادرين المدينة استقبلهم الأهالى بكل احترام وتوقير وبعد أن أخبروهم بموت موسى قالوا «يا غزاة الدين»!! إذا ما قلنا بأنا لم نرض ولم نُسَرّ من خدماتكم لا نكون قد كذبنا لأنكم قد أذنبتم بمخالفتكم أوامر الله

ورسوله وبتأخير قتل ابن الأرقم تحركتم خلاف إرادة الوحي النبوى، ومن هنا نخاف أن ندخل العصاة والمذنبين فى بلادنا! اذهبوا بعد الآن حيثما شئتم، ولما كانت البلاد الحجازية أفضل البلاد فمن رأينا أن تعودوا إلى أرض يثرب وأن تقضوا حياتكم هناك إلى آخر أعماركم وأن تستقروا هناك.

وأراد الجنود أن يقنعوا أهل الشام بعرض أفكارهم وقراراتهم بخصوص ابن أرقم ولكنهم لم يوفقوا واضطروا أن يعودوا إلى يثرب وبعد فترة وصلوا إلى موضع يقال له «زهرة» وبعد مرور زمن نزلوا فى المدينة المنورة ونصبوا خيامهم فى محل قريب من «زغابة»[1].

وكان فى ضمن الجنود أبناء بنى قريظة و«إخوته» بنو هذال وعمرو وصريخ ونضير بن النَّحام ثم الخزرج بن الصريخ الذين يرتبط نسبهم بسلسلة نسب هارون عليه السلام.

ونزل هؤلاء فى أعالى المواقع التى تطلق عليها «مذينب ومهزول».

وفى حالة الأخذ بما ورد فى هذه الرواية فإن أقوام بنى إسرائيل الذين سكنوا أرض يثرب بعد العمالقة، لا مفر أن يكونوا هم الجنود الذين لم يقبلهم الشاميون بعد ارتحال موسى.

مع أن الرواية المنقولة عن سيدنا أبى هريرة تكذب هذا القول وتجرحه إذ تفضل المشار إليه قائلاً: «إن علماء بنى إسرائيل كانوا قد رأوا فى صفحات التوراة أن «أمير الأصفياء» ـ عليه أجمل التحايا ـ رسولنا الكريم سينقل إلى قرية كثيرة النخيل وسيهاجر إليها وأن اسمها يثرب وإنهم فكروا فى أن يجدوا هذه القرية وقرروا الإقامة فيها إذ خرجوا بعد واقعة «بُخْت نَصَّر» من الشام وتجولوا فى المدن التى تقع بين الشام واليمن مدينة بعد مدينة ولما رأوا أن المدينة المنورة هى المدينة التى تقع بين أشجار النخيل وأن اسمها يثرب فبقوا فى البلدة الطيبة منتظرين وقت هجرة الرسول ﷺ، وكان بينهم عدة أشخاص من حفدة هارون ـ

(١) زغابة موقع يقع بين حرة زهرة وسافلة ويسمى «القف» ويقال لهذا الموقع فى زماننا مجمع السيول.

عليه السلام ـ ولم يبلغ عمر هؤلاء العلماء إلى عصر السعادة واستدعوا أولادهم في حالة احتضارهم وأوصوهم قائلين: إذا أدركتم زمن ظهور نبي آخر الزمان فأسرعوا بتصديق نبوته وابذلوا أرواحكم في سبيله واخدموه بكل إخلاص ويا لشدة الأسف أن الذين أدركوا منهم عصر السعادة حسدوا الأنصار السابقين للتصديق وظلوا في الشقاوة الأبدية.

والذين يريدون أن يطلعوا على تفصيلات هذه الأمور نرجوهم أن يراجعوا الصفحة الثالثة والثمانين من كتاب «محمود السير» الذى طبع ونشر سنة ١٢٨٨.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن وجود بني إسرائيل في مدينة يثرب قبل العمالقة، وقالوا إن كليم الله ـ على نبينا وعليه التسليم ـ مر بيثرب بعد الحج ورأى بعض العلماء الذين كانوا في معيته السامية أن منظر أرض يثرب الطيبة يوافق أوصاف دار الهجرة التي ذكرت في التوراة بمدينة المصطفى واستدلوا بهذا على أنها المدينة المقدسة وسكنوا في مكان يسمى «بني قينقاع» ومع مرور الزمن أدخلوا سكان القرى المتجاورة من طوائف العرب في دين موسى وإن كان هذا المؤرخ أيد مدعاه بهذا المقال ولكن بناء على حكم ما نقله ابن أبي شيبة مرفوعا عن النبي ﷺ يقتضي أن تكون إقامة طوائف العماليق في المدينة المذكورة أقدم من بني إسرائيل، لأن موسى ـ عليه السلام ـ حينما مر مع أخيه هارون بيثرب أقام فوق قمة جبل أحد حتى يأمنا هجمات العمالقة، وهذا الخبر السديد يؤيد الأقوال التي تحكي توطن طائفة العمالقة في يثرب قبل بني إسرائيل.

في ذكر القبائل التي كانت في أرض يثرب وقت أن هاجر إليها الأوس والخزرج بن ثعلبة[١].

عندما هاجر الأوس والخزرج بن ثعلبة إلى المدينة المنورة كانوا من أفراد قبائل بني أنيف[٢] بن مزيد بن معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم.

بنو الجذماء[٣]، بنو قريظة، بنو قصيص، بنو ناعضة، بنو هذال، بنو عمرو، بنو نفير، بنو زعورا، بنو ثعلبة، أهل زهره، أهل جوانيه، بنو ماسكة، بنو محمم، بنو زيد، بنو قينقاع، بنو حجر، بنو عكوة، بنو نزاية، بنو شوط، بنو والج، بنو زبالة[٤] وبنو أنيفلة وبنو ناعضة[٥] وبنو قصيص من هؤلاء سكنوا في قرية «قيا» وفي قرية بني قريظة سكن بنو نضير[٦] في موقع نواعم وسكن بنو زعورا في قرية سبيل أم إبراهيم وبنو زيد[٧] في مكان يقال له «لات» وبنو قينقاع في مكان واقع في جهة العالية من جسر بطحا، وبنو زهرة وبنو ثعلبة[٨] في زهرة

(١) قبائل الأنصار كلها من سلالة هذين الشخصين.

(٢) أفراد هذه القبيلة كانوا بقايا أقوام العمالقة.

(٣) كان هؤلاء من أهل اليمن.

(٤) كان هؤلاء من طوائف اليهود.

(٥) كانت هذه القبيلة طائفة من أهل اليمن سكنوا إلى خلافة حضرة الفاروق في منازل شعب بني حرام، وفي خلافة ابن الخطاب حملهم من ذلك المكان وأسكنهم في حي مساجد الفتح.

(٦) وكان كعب بن الأشرف من مشاهير اليهود من صناديد بني النضير على رواية في ناحية «عهر» وكان منازل بني مزيد المتشعب من هذه القبيلة في «بني حاطمة» وكانت منازل بنو ناعمة بن هيم بن هشام وبني معاوية في موقع «بني أمية بن مزيد» وكان بنو ماسكة بجانبهم. ويروى أن الخرائب التي ترى الآن في الجهة القريبة من موقع يطلق عليه «ضيات» وفي قرية «مفر» من بقايا حصون تلك القبائل.

(٧) بناء على قول ابن زبالة إن سلسلة نسب هاتين القبيلتين تنتهي إلى جماعة يرتبط نسبهم بحضرة يوسف - عليه السلام - وهم من أجداد عبد الله بن سلام «رضي الله عنه العلام».

(٨) وكان فيطون الدون الذي اعتاد فض بكارة عرائس أهل المدينة، من رؤساء أفراد قبائل بني ثعلبة.

وبنو جوانية فى قرى الجوانية وبنو جذماء[١] بنى مقبر بَنى أشهل وقصر ابن عراك.

وكان بنو عكوة وبنو حارثة وبنو نزاية يسكنون فى قرية «ناس» وبنو زبالة فى قرية «عين فاطمة» وبلغوا إذ ذاك إلى ما يقرب من سبعين قبيلة[٢] إذ ارتبطوا واتحدوا واتفقوا مع جيرانهم من قبائل العربان واتخذت جماعة كل قبيلة برجًا فى حدود ثروته ويساره أو برجين وأسسوا حول هذه الأبراج بيوتًا منظمة ومنازل مستحكمة وشكلوا جماعة كبيرة بالنسبة لتلك الأوقات.

وكان لليهود إلى وقعة سيل العرم المشهورة تسع وخمسون قرية وقدر كثرة هذه القرى من النفوس، لذا كانوا متغلبين على القبائل الأخرى، ولكن بعد ظهور الوقعة المذكورة أخذت قوتهم وشوكتهم تزول وتنقرض ولاسيما فى عهد بنى ثعلبة صاروا يداسون تحت الأرجل.

وقد حدث سيل العرم نتيجة لهطول الأمطار لمدة طويلة، وعلى قول بسبب انهيار سد مأرب.

وعرف عمرو مزيقيا أبو ثعلبة خراب السد وتوقع انهياره قبل وقوعه كما سنبين فيما يأتى وترك وطنه.

عمرو مزيقيا ـ هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أو عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. وكان نقطة استناد أهالى اليمن فى كل الأمور وكان له ثلاثة عشر ولدًا[٣] من امرأته «طريفة الحميرية» من الكاهنات المهرة.

(١) نقل أفراد هذه القبيلة إلى مكان يسمى «راتج» فيما بعد.

(٢) وكان العشرون من القبائل المذكورة من بقايا العماليق واليهود والباقى من قبائل العربان ولكن طائفة اليهود كانت بالنسبة للأقوام الآخرين أكثر اجتماعًا ومدنًا.

(٣) وكان عشرة منهم يعيشون فى حياة أبيهم يعنى «ثعلبة (١) حارثة (٢) جفنة (٣) وداعة (٤) أبا حارثة (٥) الحارث (٦) عوف (٧) كعب (٨) مالك (٩) عمران (١٠) وكان الأوس والخزرج ابنى ثعلبة و«خزاعة» بنى حارثة و«غسان» ابن جفنة وكلهم كانوا من حفدة عمرو مزيقيا.

وبما أنه كان من أصحاب الثراء المفرط؛ كان يعيش حياة رفاهية ولا شك أن إلى عمرو مزيقيا ينتهى نسب أفراد قبائل اليمن، قد اختلف المؤرخون الأسلاف فى تعريف قحطان قال بعضهم أن قحطان هو بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح ـ عليه السلام ـ وقال بعض منهم أنه هود ـ عليه السلام ـ نفسه.

إن عمران أخو عمرو مزيقيا كان محروما من النعمة الجليلة للتناسل وكانت مهارته فى الكهانة معروفة لدى الجميع.

وقد تكهن يومًا بانهيار سد مأرب وخرابه وأخبر أخاه عمرو مزيقيا بذلك، وأيدت طريفة الحميرية ما قاله عمران ببعض العبارات المسجوعة قائلة: «إذا ظهرت الفئران حول السد فهى علامة انهياره» ونبئ يومًا أن الفئران التى ظهرت فى أماكن قريبة من السد، وأنها أخذت تحرك الحجارة التى لا يستطيع تحريكها خمسون أو ستون رجلاً وقلبها وحرقها وصدق عمرو مزيقيا ما قاله أخوه وأصبح رهنا لليأس والحرمان، وقال: «إن الفئران التى تتصف بهذه القدرة تستطيع أن تهدم وتخرب سد مأرب وقتما تشاء» وقد عرف يقينًا أن لا بقاء لهذا السد، وقد شغل هذا القلق فكره وفى نهاية الأمر كتم الأمر عن أهل سبأ وقرر فى نفسه أن يترك وطنه ويبيع ما يملكه؛ وأَوْلَمَ وليمة للأهالى عامة وأخذ المنازعة التى حدثت فى أثناء الطعام سببا لانفعاله وغضبه، وقال: «بما أن هذا الموضوع قد جرح شرفي وكبريائى فلا أستطيع أن أبقى فى هذه البلاد» ثم باع أمواله وأشياءه وأخذ القليلين ممن عرضوا عليه تبعيتهم من قبيلة بنى أزد وخرج تاركًا أرض سبأ.

ينقل المؤرخون سبب هجرة عمرو مزيقيا من بلاد سبأ على هذه الصورة أيضًا فيقولون:

قد تيقن عمرو مزيقيا أن بلاد سبأ سترضخ لاسم الله الجليل «القهار» وذلك سواء أكان من خلال ما سمع من أخيه الكاهن المشهور عمران، أو زوجته الكاهنة طريفة التى رأت الرؤى المفزعة أو مما استخرجا من علامات مخوفة بمقتضى كهانتهما، وهى أسباب كافية تؤدى إلى الهجرة إلى بلاد أخرى بأولاده

وعياله وأحفاده وتوابعه، وأخذ يبحث عن سبب يؤدى إلى الهجرة ويختلقه، وبناء على هذه الفكرة هيأ مأدبة دعا لها وجوه البلد وأعيانه كما أوجد فيها كثيرين من عامة الناس، وكان بين المدعوين رجل قد تيتم صغيرًا فبسط عمرو عليه حمايته وصحبه ورباه حتى أصبح فى زمن قصير من أغنياء أهالى مأرب الأوائل وتزوج باختيار عمرو وتصويبه واكتسب مكانة بين الأهالى، وقد دعا عمرو مزيقيا ذلك الشخص قبل إقامة المأدبة خفية وقال له منبها: «إننى سآمرك فى أثناء الطعام ببعض الأوامر فعليك أن تتحرك خلاف أوامرى، ويجب أن تخالف جميع أقوالى وإذا سببتك فقابلنى بالمثل وأظهر لى الخصومة قولاً وفعلاً وإذا لزم الأمر اصفعنى عدة صفعات!! وعندما أخبره الرجل أنه لن يستطيع أن يقوم بمثل هذا السلوك المشين ولن يتجرأ على ذلك، فرجا منه عمرو أن يوافق على اقتراحه مبينًا له أن هذا العمل سيكون محض خير فى حقه وحق عمرو، ولما حل يوم الوليمة وأخذ الأهالى يتوافدون زرافات، وشغلوا بالطعام وأخذوا يأكلون ويشربون متآنسين ومتحدثين، عندئذ أحضر عمرو مزيقيا الشخص الذى اتفق معه وطلب منه أن يهيئ بعض الأشياء اللازمة للمجلس وأن يحضرها ولكنه قوبل بمعاملة غير لائقة، فأظهر عمرو الحدة وبادر بضربه بالعصا التى فى يده مهددًا، إلا أن الرجل أخذ العصا من يد عمرو رئيس البلد ولكمه عدة لكمات، وساد الوجوم فى المجلس وسر بعض الناس اغْتَمَّ الآخرون، وقد تأثر عمرو مزيقيا من إهانته وعدم إعانة أولاده وأحفاده وأعوانه فأقسم على أنه سينتقل ويرتحل من سبأ. وأعلن أنه سيبيع كل ما يملكه ويهاجر إلى بلاد أخرى فى المجلس نفسه.

وطمع بعض من لهم نفوذ من الأهالى فى الرياسة كما طمع آخرون فى شراء أموال عمرو بثمن رخيص حتى يغتنوا ومن هنا أظهروا سرورهم من هجرة عمرو وأقبلوا على شراء ممتلكاته، كما أن عمرو أخذ معه أولاده وأحفاده وزوجاته ومن يتبعونه من أعوان وخرج من حدود بلاد سبأ.

وبناء على بعض الأقوال أن عمرو مزيقيا مات قبل ظهور «سيل العرم»[1]

(١) قد كتبت كيفية حدوث سيل العرم فى الصورة الثالثة بالوجهة الأولى من مرآة الجزيرة استطرادا.

واطلع ثعلبة ابنه على انهيار سد مأرب وهاجر من أرض سبأ، وأن الكاهنة طريفة ليست أمه بل زوجته.

وعلى رأى من يرجحون هذه الأقوال أن عامر أصبح رئيس قبيلة بعد وفاة أخيه عمرو مزيقيا وقام بإقامة وليمة عظيمة لأهالى سبأ وفى أثناء الطعام لطم ابن أخيه حارثة صفعة.

ولم يتحمل حارثة الإهانة التى تعرض لها على ملأ من الناس وعقد النية على ترك الوطن، وإن كان عامر ندم كثيرًا وقال: «يا حارثة إننى ضربتك فاضربنى أنت أيضًا» وأسرع يرجو منه ذلك مُلحًا حتى يهدئ ثائرة نفس ابن أخيه إلا أن حارثة لم يستطع أن يقنع ضميره بضرب عمه، وإهانته كما أنه لم يستطع أن يكظم غيظه وغضبه ومن هنا خرج من أرض سبأ مهاجرًا.

وأدت هجرة عمرو مزيقيا إلى انتشار الإشاعات بين الأعيان وقام والناس بعضهم ضد بعض؛ وفى أثناء ذلك هبطت الأمطار متتالية ولم تراعى منافذ السد وظهرت وقعة «سيل العرم» فانهار سد مأرب المشهور فغرق جملة الأهالى وهلكوا وخربت آثار تلك البلاد الميمونة وانمحت وأصبح ذلك السد الذى قام منذ عدة آلاف سنة خرابا يبابا ومسرحًا للبوم والغراب.

هاجر عمرو مزيقيا من أرض سبأ ومعه قبائل «بنو أزد، آل سدير، آل خزيمة»، وانتشر بنو أزد فى بلاد عمان، وآل وداعة فى «أرض همدان»، وبنو خزاعة فى «بطن مكة»، والأوس والخزرج فى أرض يثرب، وآل جفنة وآل غسان فى «البصرة»، وآل سدير فى «ممالك الشام»، وآل خزيمة فى «ديار العراق»، وهيأ كل هؤلاء حيث وجدوا أملاكًا وأراضى كافية لمعيشتهم وتوطنوا فيها.

وظل بعض أفراد قبيلة أزد على سواحل نهر يسمى غسان عندما هاجر عمرو مزيقيا من أرض سبأ تجول كثيرًا راغبًا فى إسكان القبائل التى فى رفقته فى مكان واسع المرعى كثير المياه هادئ وأدخل أهالى البلاد فى طاعته ووصل إلى حدود الميمونة كعبة الله، ونزل فى مكان مناسب وبعث ابنه ثعلبة إلى مكة المعظمة

وأفهم أهلها «أنه سيقيم فترة فى ساحة حرم الله السعيد». وقال ثعلبة ضمن ما قاله فى تليين أفكار الأهالى: «منذ أن خرجنا من موطننا بلاد سبأ حيثما مررنا بمكان سكَنَّا برضا أهله هناك حتى نجد لنا مكانًا يليق بإقامتنا، وبهذه الصورة وصلنا هنا فأذنوا لنا بالإقامة فى بلادكم فترة وعندما يصل أبناء قومنا إلى هذا المكان سيبعثون عدة أشخاص إلى الإمام ليبحثوا ويتحروا عن بلاد مناسبة وعندما يرد هؤلاء سيرتحلون من هنا، وعلى كل حال فنحن نريد عونكم» وبذل سعيه بهذه الطريقة ليكتسب رضا أهالى مكة، إلا أن أهالى مكة الذين كانوا من الطوائف المتسلطة والجراهمة العصاة الذين كانوا اغتصبوا حجابة الكعبة من أيدى بنى إسماعيل وحكومتها واعتادت على أن تمنع القبائل التى لا تريدها من الدخول إلى أرض مكة فأعادوا ثعلبة خائبًا إذ رفضوا طلبه.

وعندما اطلع عمرو مزيقيا على أفكار المكيين القاسية بعث ابنه مرة أخرى وهو يهدد قائلاً: «مهما كان الأمر فإننى قد هيأت السبل والأسباب لقتال الجراهمة حتى آخر نفر من قبيلتى لأدخل مدينة مكة المعظمة!!» والتقى ثعلبة للمرة الثانية بأعيان الجراهمة وصناديدهم وافتتح كلامه ذاكرًا أن والده قد تهيأ للحرب والقتال وقال: «لابد وأننا سنقيم فى بلدة مكة المفخمة المعظمة! إذا ما وافقتم على ذلك فإننا سنعرض عليكم مراسم شكرنا ونحمد لكم موقفكم! أما إذا أظهرتم الرفض والمخالفة والخصومة، سنستولى على مراعيكم وآباركم فى ظل قوة أدرعتنا وشجاعتنا وننتزع حكومة مكة الجليلة من أيديكم. ولن نعطى لأفراد قبيلتكم قطرة من الماء، إلا إذا رضيتم بشرب ما زاد عن حيواناتنا من مياه موحلة، أما إذا قابلتمونا بالمثل عندئذ سنشعل وطيس الوغى ونقاتلكم فنقهر أبطالكم وندمرهم ونكبل أطفالكم ونساءكم بالسلاسل».

وردت طائفة الجراهمة ثعلبة بالرفض مرة أخرى مستندين على كثرة عددهم وقوة نفوذهم واحتضنوا أسلحتهم وحاربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهارًا، ولكنهم انهزموا انهزامًا غير منتظر وتشتتوا وتفرقوا.

ودخل عمرو مزيقيا مستصحبًا أفراد قبيلته فى أرض حرم الله عقب انهزام الجراهمة، ونال شرف الإقامة فيها مدة طويلة وأقامت القبائل التى معه فى هذه الأراضى وأمضت فيها فترة ما، وتعرض فيما بعد أفراد القبائل الذين كانوا معه للحمى المحرقة ولم يتحملوا الإقامة فيها، وهاجر كل واحد منهم إلى بلدة ما، واستقر ثعلبة الذى أجرى السفارة لقبائل الجراهمة فى أثناء هذه الاضطرابات فى موقع مشهور بـ «ثعلبة» داخل أراضى الحجاز ووسع دائرة نفوذه وقوته.

وانقسم هؤلاء إلى بطون وفيرة وقبائل كثيرة، فذهب أحفاد عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس، وأولاد سائب بن قصى حفيد عوف بن الخزرج إلى بلاد عمان، وهاجر بعض من أبناء حارث بن الخزرج إلى بلاد أخرى فلم يكتب لهم أن يلتحقوا بزمرة الأنصار الجليلة، وظل بعض من أولاد جفنة بن عمرو بن مزيقيا فى المدينة فانخرطوا فى سلسلة الأنصار الذهبية.

وتوطن بعض أولاد الأخوين الأوس والخزرج فى قرى بنى إسرائيل كما سبق بعضهم فى أماكن خالية من آثار الحياة والعمران.

سبب ظهور وقعة مالك بن عجلان وصورة ظهورها:

كان فيطون[1] الثعلبى حاكم يهود المدينة، وقد اتخذ فى أواخر عهد حكومته عادة فاضحة وهى أن يستفرش العرائس اليهوديات قبل أن يستفرشهن أزواجهن.

وأراد أن يعمم هذه العادة الكريهة الإباحية بين قبيلتى الأوس والخزرج، وأراد مالك بن عجلان السالمى أن يزوج أخته وكان من قبيلة الخزرج إلا أنه لم يطق تكلف مالا يطاق من الذى أعلنه فيطون الدون والذى لا يخالف الدائرة المشروعة فحسب بل الطبيعة البشرية أيضًا وفضل ألا يزوج أخته لفترة ما.

ولكنه لم يستطع أن يتغلب على إلحاح النساء فتزيا بزى النساء وأوصل أخته إلى بيت فيطون واستطاع أن يصل إلى فيطون وقتل عدو العرض والشرف ذلك وبعد ذلك أخذ «رمق بن زيد» الخزرجى من بنى سالم وسافر إلى بلاد الشام

(١) يروى فى قول آخر أن اسم فيطون قطبون.

حيث لاقى أبا جبيلة، وشكا له مظالم يهود يثرب وبين له كيف قتل فيطون ثم قال له، إننى أخاف بعد الآن من العودة إلى المدينة.

قال بعض المؤرخين: «إن مالك بن عجلان» لم يَلْتَقِ فى الشام مع أبى جبيلة بل لاقى عبيد بن سالم بن مالك بن سالم من بنى سالم وعرض له فى ضميره، إلا أن هذا القول غير صحيح بالنسبة للقول الأول، لأن أبى جبيلة من أولاد جشم بن الخزرج، وقد هاجر إلى الشام لأسباب ما واكتسب ثقة الهيئة الحكومية وفرض احترامه على الناس وقد بلغ الواقعة كما جرت إلى ملك الشام وبين أنه قد أتى الوقت لتأديب يهود يثرب وتربيتهم الذين أزعجوا سكان بلاد الحجاز بما ارتكبوا من المظالم فيها. ثم أضاف بـ: إذا اقتضى سوق الجيوش إلى يثرب فإننى أريد أن أقوم بخدمة صغيرة للحكومة الشامية وذلك بأن أذهب شخصيًا إلى هناك، ولما كان أهل الشام أيضًا منزعجين من يهود المدينة، ولما وصلت حركات فيطون الباغية المتوحشة إلى درجة الثبوت قد استصوب سوق فرقة من الجنود بناء على قول أبى جبيلة لتأديب اليهود وإسناد قيادة ذلك الجيش إلى أبى جبيلة لما له من دراية بأمور يثرب. وفعلاً جهز العدد الكافى من الجنود وفوض أمرهم لأبى جبيلة، وفعلاً اصطحب الجنود الذين جهزوا واتجه نحو يثرب بلا توقف، ولما أراد أن يحافظ على جنود الشام وألا يعرضهم للقتل رأى أن يباغت العدو من جهة اليمن.

وكانت هذه الخطة مبنية على إقناع الأهالى بأن جنودا أرسلوا إلى اليمن، وفعلاً سار أبو جبيلة عدة أيام متجهًا إلى اليمن ثم غير طريقه وبعد مدة وصل إلى أرض يثرب ونصب خيامه فى موقع يقال له «ذى حرص» ودعا إليه أعيان اليهود وأعمل سيفه فى رقاب اليهود الذين استجابوا لدعوته. وقطع أنساب الرؤساء الذين سيتولون مناصب الحكومة منهم، وبناء على هذا قد تغلب أفراد قبيلة الخزرج والأوس على طوائف اليهود فى البلاد المقدسة وأصبح كل واحد منهم صاحب أملاك وأصبحت الحكومة فى أيديهم.

وقال بعض المؤرخين: «إن مالك بن عجلان استمد العون من ملك اليمن تبع الأصفر وساق الملك المشار إليه الجيوش إلى أرض يثرب وقتل اليهود وأهلكهم ثم عاد بعد أن كسا البيت الأعظم بالكسوة[1].

إذا ما نظرنا إلى وجود بعض المواقع تنسب إلى تبع الحميرى فى المدينة المنورة وإلى ثبوت كساء البيت المحترم يلزم أن تكون هذه الرواية مقارنة للصحة أو يلزم أن يكون أبو جبيلة وكذلك تبع الأصفر قد أدبا يهود المدينة.

(١) إن تفصيل هذه الواقعة مسطر فى الصورة الثالثة من الوجهة الرابعة «المرآة مكة».

فى ذكر بيان القرى والمحال التى أسسها أفراد قبائل بنى الأوس حول المدينة.

فى أثناء تغلب أفراد القبائل التى تشعبت من سلالة الأوس بن ثعلبة وأخيه الخزرج بقوه أبو جبيلة على طوائف اليهود انتشروا فى نواحى يثرب حتى هيأت كل قبيلة قرية لها، واتحدت عدة جماعات من كل بطن وأنشئوا منازل حيث أعجبهم وأسكنوا فيها أسرهم.

واختار الإقامة بنو عبد الأشهل ابن جشم بن الحارث وحارثة بن الحارث بن الخزرج الأصفر بن عمرو بن مالك بن أوس فى قرية تسمى «دار عبد الدار» يعنى «فى الربوة التى اشتهرت بالَحرَّة الشامية فى الجهة الشرقية من المدينة المنورة».

وابتدر كل واحد من الأفراد إلى تأسيس بيت حسب حاله وقدرته وهكذا أنشئوا حيًا كبيرًا وبنوا برجا عاليا ليكونوا آمنين إذا ما تعرضوا لهجمات الأعداء يعرف بـ «واقم» وترك أمر إدارة هذا البرج وأمر إدارة الناس الذين قرروا تحصين قراهم وحفظها لحصين بن سماك من مشايخ بنى عبد الأشهل.

بعد أن أقامت قبيلة بنى عبد الأشهل فى قرية «دار عبد الدار» فترة قامت بالاتفاق مع أفراد بنى ظفر ضد أبناء عمومتهم بنى حارثة الذين يشاركونهم سكنى قريتهم واستخدموا الخصومة والسيف لإخراجهم من القرية؛ ولما كان أفراد بنى حارثة من أصحاب البصيرة انتصروا على بنى عبد الأشهل وقتلوا رئيسهم سماك بن رافع وأخرجوا سواء أكان أفراد أسرة سماك المقتول أو كان أفراد قبيلته من برج «واقم» وطاردهم إلى ديار بنى سليم، وفى الأيام الأخيرة قام ابن سماك المقتول مطالبًا بدم أبيه وأخذ يحاصر ناحية بنى عبد الأشهل بالاتفاق مع قبائل بنى سليم ويُضيق عليهم الخناق، وبعد مقاتلة دامت فترة طويلة جعلوا بنى عبد

الأشهل يفرون إلى القرب من خيبر، وبعد هذا القتال بعام واحد تنازل ابن سماك عن دعواه ورضى أن يعود بنو حارثة إلى أرض يثرب، إلا أن بنى عبد الأشهل تشاءموا من النزول إلى نواحى دار عبد الدار وفضلوا النزول فى قرية «شيخان» فى الجهة الشرقية من «الحرة الشرقية».

وأنشأ بنو ظفر أحفاد كعب بن الخزرج الأصفر بن عمرو بن مالك بن الأوس قرى حول «مسجد البغلة» الذى يقع فى الجهة الشرقية من مقبرة بقيع الغرقد، يعنى بجوار قرى بنى عبد الأشهل كما أسس أخو كعب سالف الذكر والذين ينتسبون إلى عوف بن مالك ابن الأوس أنشئوا منازل فى ناحية «قباء» وبعد فترة انقسموا إلى جماعات عديدة وبطون كثيرة.

وقد بنى جماعات القبائل التى نزلت فى ناحية «قباء» أربعة عشر برجا حجريًا متينا وأحد هذه الأبراج الذى يقع فى الناحية الشرقية من مسجد قباء يعرف باسم «مسكبة» والآخر الذى يقع بجوار بئر غرس يعرف باسم «مستظل» وهذان البرجان مشهوران برصانة بنائهما بالنسبة للأبراج الأخرى لأنهما أسسا على غاية من المتانة والرصانة.

وقد اتحد أحفاد وأولاد امرئ القيس بن مالك ابن الأوس مع جماعات بنى واقف وبنى سليم ونزلوا فى الجهة الجنوبية من مسجد الفتح إلا أن أفراد بنى سليم انفصلوا عن جماعة بنى واقف وارتحلوا إلى قرى ابن عوف وانتقلوا إليها(١).

وسكن بنو وائل الذين ينتسبون إلى زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك فى القرى القريبة من مسجد «بنى وائل» كما استقر أولاد عمومتهم بنو أمية بن زيد فى نواحى «بنى أمية» كما استقر أولاد بنى عطية بن زيد فى ناحية «صفقة الواقعة أعلى منازل» بنى حبلى «وقد بنى كل واحد منهم منازل متينة وبعض

---

(١) إن سلالة بنى سليم قضت حياتها تحت الخيام إلى سنة ١٩٩ وكانت هذه السلالة تقدم ألف مبارز فى الحروب التى تقوم فى الجاهلية.

القلل الرصينة، وكان يقال لأفراد هذه الجماعات ـ يعنى القبائل بنو وائل، بنو أمية، بنو عطية فى ذلك التاريخ «جعادة».

ولما وقعت قرى بنى أمية بن زيد على جانب نهر صغير صدفة كانت حقولها خصبة ومنبتة وذات محاصيل وفيرة وكانت أكثر قيمة من أراضى القرى الأخرى كما أن لأفراد بنى عطية برجًا يسمى «شاشى» بين جدران مسجد قباء الجنوبية.

وسكن بنو سعد بن مرة بن مالك بن الأوس فى ناحية تسمى «راتج» كما أن بنى حطمة بن جشم بن مالك بن الأوس سكنوا بالقرب من «ماجشونية» يعنى فى أطراف قرى بنى حارث وفى المنازل الكائنة فى حى غرس، والخلاصة أن البطون التى انفصلت عن سلالة مالك بن أوس هى فروع القبائل التى ذكرت إلى الآن.

وكانت كل هذه الجماعات والقبائل تسكن فى المواقع التى ذكرت آنفًا والتى تقع أسفل أراضى يثرب.

في تعريف ووصف القرى والمنازل التى سكنها بعد تهيئتها أبناء قبائل الخزرج وجماعاتها في جوار مدينة الرسول.

توطن أولاد وأحفاد الحارث بن الخزرج بن ثعلبة فى أول الأمر فى الجهة الشرقية لوادى بطحان واستقر من هؤلاء جشم وزيد بن حارثة منفصلين عن أبيهما فى برج «الناحية» الذى يقع فى موقع «سخ»، وكان هذا البرج بعيداً عن مسجد السعادة مسافة ميل وكان فى داخل أقرب قرية إلى المسجد الشريف فى تلك الناحية.

وفارق خدارة بن عوف جده الحارث وسكن فى التلال التى يطلق عليها «حرار سعد» وفى الجهة الشامية منها، كما سكن ابن أخيه فى قرب مكان يسمى «بصة» وظل سالم بن عوف وأخوه غنم بن عوف بن عمرو بن الخزرج الأكبر أولاده وأحفاده فى أطراف «مسجد الجمعة» الواقع فى الحرة الغربية.

وكان لبنى خدارة برج يقال له «بئر البصة» كما كان لبنى سالم برج يطلق عليه «قواقل» وكان لكل واحد منهما برج متين ويروى أن برج «بئر البصة» قد أسس من قبل جد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه البارى.

واستقر بنو عطية من رؤساء بنى سالم بالقرب من مسجد «بنو عطية» فى ناحية قباء وجماعات بنى حبلى من أحفاد مالك بن سالم بن غنم بن عوف استقروا فى القرى الكائنة بين منازل بنى النجار وبنى ساعدة.

وكان لجماعات هاتين القبيلتين خلف المنازل التى يطلق عليها بيوت عبد الله بن أبى، برجًا يقال له «مزاحم» وكان فى غاية الجمال والمتانة.

وسكن جماعة بنى سليمة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة ابن زيد بن

جشم بن الخزرج فى الحرة الواقعة بين برج ناحية «بنى حرام» وبين مسجد القبلتين، وسكنت طائفة بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة فى جهة منازل بنى عبيد والمسجد السالف الذكر وبنوا مسجد القبلتين.

كما استقر أفراد بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة فوق الجبال القريبة من مسجد الحزب وأنشئوا برجًا متينًا فى الجهة الجنوبية من المسجد.

وتوطن بنو حرام بن كعب بن غنيم بن كعب بن سلمة فى جانب المسجد الصغير الواقع فى مكان يقال له «قاع» وفى جهة مقبرة بنى سليم فى جهة «حصار مزاد» وبنوا بجانب بئر جابر بن عتيك[1] برجًا منتظمًا.

وأقام أفراد بنى سلمة فى القرى سالفة الذكر، وتبعوا أمية بن حرام وعاشوا متآخين على قلب واحد وقالب واحد ولم يقم بعضهم ضد البعض مثل القبائل الأخرى؛ ولم تظهر بينهم آثار النفاق والشقاق ومن هنا أصبحوا من أثرياء العرب وأقويائهم فى أرض يثرب.

وأقام بنو بياضة وزريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأكبر، وبنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب.

وبنو عذراة[2]، وبنو أجدع[3] متفقين فى قرية دار بنى بياضة[4] الكائنة فى الجانب الشامى لقرى بنى سالم وفى الجهة الجنوبية من منازل بنى مازن وابتدروا فى بناء ما يقرب من عشرين برجًا لا بديل له.

وانفصل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر عن آبائهم وانتشروا فى عدة قرى؛ يعنى استقر بنو ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة وأبناء الحارث بن الخزرج بن ساعدة فى قرية «بنى ساعدة» الواقعة فى الجهة الشرقية من سوق المدينة المنورة،

(١) حفر سيدنا معاوية رضى الله عنه بئرًا أخرى إلى جوار تلك البئر.
(٢) هؤلاء بنو كعب بن مالك.
(٣) وهؤلاء بنو معاوية بن مالك بن غضب.
(٤) هذا المكان الحرة الغربية التى تنتهى عند بطحان.

واستقر بنو وقش وبنو عنان بن ثعلبة بن طريق بن الخزرج بن ساعدة بجوار «مسجد الراية» كما استقر بنو مالك بن النجار فى منازل «بنى النجار».

وكانت منازل بنى النجار فى تلك الأوقات فى جهة باب الرحمة للمسجد الشريف وعلى هذا التعريف كانت منازل بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار على الجانب الأيسر بجانب شارع باب الرحمة للمسجد الشريف، وكانت بيوت بنى مقالة على الجانب الأيمن من الشارع المذكور، وكان يسكن بنو مبذول بن عامر بن مالك بن النجار شرق بقيع الغرقد وبنو غنم فى الجهة الجنوبية منه.

وكانت منازل بنى عدى بن النجار فى الجهة الغربية من المسجد الشريف وكانت منازل بنى مازن بن النجار فى الجهة الشرقية من منازل زريق، وكان لأبناء عدى بن النجار فى ساحة المسجد الذى فى «دار نابغة» برج متين يسمى «زهرابة»، وإذا ما نظرنا إلى الأماكن التى أقيمت فيها منازل بنى النجار بعين الإمعان يفهم بداهة أن منازل بنى النجار أقيمت فى نقطة غاية فى الأهمية، وإلى هذه النقطة الدقيقة يشير الحديث الشريف النَّبوي الذى يقول: «خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفى كل دور الأنصار خير»[1] (حديث شريف).

(١) رواه البخارى فى مناقب الأنصار حديث (٣٧٨٩) باب فضل دور الأنصار ٧/ ١١٥ من فتح البارى.
ومسلم فى كتاب الفضائل، باب خير دور الأنصار، حديث رقم (٦٣٠٣) وما بعده ٧/ ٥٧٢ وما بعدها ط. دار الغد العربى. وغيرهما من أصحاب السنن.

فى تعريف رؤية الملاحم التى ظهرت قبل الإسلام بين قبائل الأنصار الكريمة والمعارك المشهورة.

انتصر أفراد القبائل الذين تشعبوا من سلالة الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بعد واقعة مالك بن عجلان، واختارت كل بطن قرية تسكن بها كما سطر آنفًا، وأخذ كل واحد من أفراد القبائل يحث الآخر فى تعمير الأملاك والأراضى وعاشوا متآخين فترة طويلة؛ ولكن ما ظهر بينهم فيما بعد من آثار النفاق والشقاق دفعتهم لاستخدام السيف والسنان ضد بعضهم حتى وصلت الحروب التى قامت بينهم قبل عصر السعادة بمائة وعشرين سنة إلى درجة تسلب عقول العقلاء ويروى المؤرخون أن الحرب آتية الذكر من أشهر معارك تلك القبائل المذكورة.

وقعة سمير ـ إن وقعة سمير أولى الملاحم المحزنة من بين الحروب التى وقعت بين قبائل الأنصار، ولما كان سبب حدوث هذه الواقعة رجل اسمه سمير من قبائل الأوس، قد اشتهرت تلك المعركة باسم وقعة سمير.

إن أصل الواقعة قتل سمير لأحد الأشخاص من الذين دخلوا فى حماية مالك بن عجلان الخزرجى يسمى كعبا بالاتفاق مع أحد أشرار بنى ثعلبة، وكان كعب هذا قد أحدث فتنة وفسادًا بين قبيلته الأصلية بنى ذبيان ثم هرب ناجيًا برقبته واحتمى بمالك بن عجلان.

ولما كان قتل شخص دخل تحت حماية أحد الأشخاص يعد مصيبة بين القبائل تلوث شرف مالك بن عجلان ومكانته، لهذا قام ابن عجلان بطلب دية كاملة من قاتل كعب وعند المخالفة لهذا التقدير أعلم أشرار بنى ثعلبة أن يستعدوا للقتال.

وكانت العادة المرعية في تلك الأوقات عند العرب أن يعطى لمقتول الحليف نصف دية المقتول النسيب لذلك قال رجال القبائل الأوسية التي ينتسب إليها سمير أن إعطاء دية النسيب(١) لقتيل الحليف(٢) مخالف لقانون العرب، وإنها ليست شيئا نعجز عن دفعه إلا أننا نخاف أن يظل كالعادة بين العرب وبناء على هذا نعطى دية الحليف حتى نقف دون احتمال وقوع هذه العادة، ولكن مالك بن عجلان أصر في ادعائه وطلبه، وحاول رئيس قبائل الأوس أحيحة بن الجلاح أن يقنع مالكًا حتى يحافظ على عادات العرب القديمة.

وطال الإصرار والمدافعة ونتج عن الحوار الجدال والمشاجرة، وتسلح الطرفان وشرع كل طرف في شتم الآخر وضربه وتضاربا ثماني ساعات أو عشر، وفي النهاية تغلب الأوس على الخزرج وعينوا منذر بن حرام النجاري الخزرجي جد حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ حكما للفصل بين المتخاصمين.

وأخبر مالك بن عجلان بأنه سيقبل الرأي الذي يقضي به ابن حرام وبحكمه، وبعد أن أخذ منذر بن حرام تأكيدات قوية من أفراد طرفي المحاربين بأنهم سيوافقون على الحكم الذي سيصدره، ثم خاطب الأوس وقال: «يلزم أن تدفع دية النسيب لكعب المقتول على أن يكون لهذه المرة فقط» وإن كان أفراد قبيلة الأوس وافقوا على هذا الحكم وقاموا بتنفيذه وفصلوا هذه الحرب بحكم المنذر إلا أن الطرفين قد غضب بعضهم من بعض وفي النهاية أحدثوا فيما بينهما ملحمة يوم الرحابة.

يوم الرحابة ـ حدثت هذه الواقعة بين بني حجبا من قبيلة الأوس وجماعات بني مازن من أقوام الخزرج وقد أدى إلى حدوث هذه الملحمة المؤلمة قتل كعب بن عمرو المازني من عشيرة مازن بن النجار من قبل بني حجبا، لأن كعب بن عمرو المازني كان يتلاقى من حين لآخر بباغية من نساء بني حجبا، وعندما اطلع بنو حجبا لوقاحة كعب ومجونه حاصروه يومًا في منزل تلك الفاجرة وقتلوه. وأسرع

(١) النسيب: يقال لمن هو من أصل القبيلة وذريتها.

(٢) الحليف: يقال للذين تعاهدوا وتحالفوا على أن يساعد بعضهم بعضًا.

عاصم بن عمرو أخو كعب يتفق مع أبطال بنى مازن فى المطالبة بثأر كعب وأعلن خصومته كما أن رجال بنى حجبا تهيئوا لأسباب القتال فاجتمع رجال الطرفين فى موقع رحابة وأخذوا يتقاتلون.

وقد تحمل رجال الأوس وتجلدوا فى ميدان المعركة وأظهروا بعض البطولات إلا أنهم لم يتحملوا هجمات رجال الخزرج الشديدة وفروا فى النهاية منهزمين، وانفصل رئيس قبيلة الأوس عن الفارين ودخل فى القلعة المشهورة بـ «ضحيان» مع أتباعه وأغلق أبوابها.

وكان أخو كعب المقتول عاصم بن عمرو يصر على أخذ ثأر أخيه من أحيحة بن الجلاح، وأخذ يبحث عن طريقة للوصول إلى أحيحة وقتله قائلاً: «إنه زمن الانتقام تمامًا» وأخذ يتجول حول ذلك الحصن فى الليالى، وفى ليلة ما كان أحيحة قد خرج من الحصن ليسترق السمع للأحداث وأطلق أمامه الكلاب للأطراف والأكناف وأخذ ينظر إلى أطرافه الأربعة نظرات متجسسة قائلاً: «يا ترى من أين يمكن أن يأتى العدو وقد هيأ عاصم بعض التمر وسار نحو حصن ضحيان ورمى عدة ثمرات لكل كلب يقابله حتى يمنعه من النباح واقترب من الحصن، ولكن أحيحة قد دخل حصنه وقد أقلقه نباح الكلاب أولا وسكوتها بعد ذلك ولكن عاصم قد رأى رغبة دخول أحيحة فى الحصن فأطلق من خلفه سهمًا ولكنه اصطدم بباب الحصن ولم يصب أحيحة ولما رأى ذلك هرب حتى ينجو من الوقوع فى أيدى الأوس.

ولما عرف أحيحة أن السهم الذى أطلق كان يقصده وأدرك أن غير عاصم لن يتجرأ على الاقتراب من الحصن بهذا القدر فجمع فتية القبيلة وأطلقهم من خلف عاصم إلا أن الوقت قد مر حتى يجتمع رجال القبيلة مما أعطى الفرصة لعاصم أن يصل إلى مقر قبيلته فلم يستطع رجال الأوس القبض على عاصم وعادوا وقد اغتاظ أفراد قبيلة أحيحة من فشلهم فى القبض على الفريسة التى أتت برجليها إلى الفخ وعودتهم يائسين وعلى إعطاء فرصة للفرار لعدو كبير قتلوا فى معركة رحابة أخاه كعب بن عمرو هذا.

ومن هنا عزموا على الانتقام من قبيلة الخزرج وذلك بمباغتتهم فى ليلة من الليالى وذلك بتصويب جميع أبطال القبيلة واتحاد رأيهم؛ إلا أن زوجته «سلمى بنت عمرو» النجارية أبلغت الأمر إلى أفراد قبيلتها أى أنها أيقظت الخزرج من نوم الغفلة وذلك بإظهار ما يضمره الأوس من شر لهم، ومن هنا لم يستطع أحيحة أن ينال غرضه، وغضب غضبًا شديدًا من زوجته وبسبب هذا الغضب طلق «سلمى» التى تتمتع بجمال بالغ حتى يتشفى منها؛ إلا أن هذا الغضب أدى إلى ارتباط السلسلة الذهبية النبوية ببنى النجار وكان سببًا ظاهرًا له، لأن هاشم بن عبد مناف الذى يحمل صفات النبى والجد الثانى له قد تزوج بمطلقة أحيحة «سلمى بنت عمرو» وقد حملت المشار إليها منه وولدت جد النبى ﷺ عبد المطلب.

سلمى ـ وكانت هذه الحادثة سببًا فى اشتهار سلمى «بمتدلية» إذ فهمت سلمى ليلة مباغتة الأوس لقبائل الخزرج من استعداداتهم ثم ربطت نفسها بحبل قوى وتدلت من الحصن بهذا الحبل وأخبرت قومها بأحداث الواقعة، وكان هذا العمل سببًا فى طلاقها واشتهارها بلقب «المتدلية» وتكمن فى هذا السر حكمتان خفيتان أولاهما عدم انتقال النور المحمدى إلى نساء الأجانب وثانيتهما ارتباط سلسلة القبائل الخزرجية بالسلسلة النبوية وهذا مما يسر واقعة الهجرة لما عرض عليه الأنصار الكرام من العون والنصرة والانقياد.

عندما طلق أحيحة سلمى كان هاشم بن عبد مناف قد اشتهر فى قطر الحجاز بالحسن والملاحة ولما كان يحتوى على الغرة الغراء من عالم النجابة واليُمْن ولما كانت شمس سيد الأبرار تلمع فيه كلما قابله علماء اليهود والنصارى المطلعون على محتويات الكتب السماوية يسلمون عليه ويصافحونه ويقبلون يديه معًا، وكانوا يعرضون عليه بناتهم للزواج.

وقد انتشر فى الجهات الأربع للعالم أن علماء العصر عرفوا بدلالة الصحف السماوية أن سيكون الجد الثانى لسيد العالم ﷺ ومن هنا كانوا يظهرون له التعظيم والتبجيل ويعرضون عليه بناتهم اللائى بلغن أقصى حد الملاحة والجمال.

ولما وصلت هذه الشائعة إلى أسماع قيصر ملك بلاد الروم أراد أن يدخل إحدى بنتيه المشتهرتين بالجمال المفرط فى العالم كله فى سلك جدات النبى الغاليات وأن يجعل هاشم بن عبد مناف صهراً له فبعث من يوصل هذا الخبر إلى هاشم يقول فيه: إن عندى بنتين يمكن أن يقال إن أما لم تلد فى مثل جمالهما كنت أود أن أزوجهما لشخص ظاهر الحسب وطاهر النسب ولما ثبت فى العالم كله والأقوام أصالة حسبك وطهارة نسبك فبعثت ببنتى لك فإذا عقدت نكاحك لإحداهما فتكون قد سررتنى كما أنك ترتبط بأسرتى السلطانية وتكتسب بهذا إعلاء قدر وميزة!!! وبعث عقب ذلك ببنتيه إلى ذلك المحبوب الذى حَيَّرَ الدنيا بحسنه.

وكان قصد ملك الروم من هذا أن يكون حما لهاشم بن عبد مناف وأن يكسب إحدى بنتيه شرف الصعود إلى درجة إحدى جدات النبى والتى تساوى شرفى الدنيا والآخرة.

وحينما وصلت بنتا ملك الروم إلى مكة المعظمة مال هاشم إلى أن يتزوج الاثنتين وبعد أن عرض طاعته وعبوديته لله أولا فوق جبل ثبير وبعده أمام الكعبة المعظمة وفق العادة الجاهلية فدخل بيت الزفاف وَفق الأصول، إلا أن حضرة جبريل نزل باسطًا أجنحته ورفع من ظهر هاشم نور النبوة وبهذا قد أعلم أنه لا يحتمل أن تكون صدور الروميات درة الوشاح لجوهر خاتم الأنبياء عليه أفضل التحايا الغالى. وكلما كان هاشم يفترش هاتين البنتين كان جبريل الأمين ينزع نور سيد الأنبياء من مشكاته التى وضع فيها.

دامت هذه الحالة التى تشتمل على الحكمة الإلهية فترة طويلة إلى أن رأى هاشم فى ليلة من الليالى فى رؤياه من يقول له: يا هاشم! يجب عليك أن تعقد نكاحك لسلمى بنت عمرو بن شريد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار بن تيم بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى من كرائم كبار النجارين.

ولما كان هاشم ذات سمات جميلة متهيأ للتحرك نحو سواد الشام المعظم بنية التجارة فمر مضطراً بمدينة طيبة، وتزوج من سلمى بنت عمرو النجارى كما أمر فى رؤياه وهكذا أنقذ مليحات عرب البادية الجميلات من عبث الطمع بالزواج به. انتهى.

كانت سلمى بوفرة عقلها وحلمها وشدة جمالها وسعة علمها خديجة الكبرى فى زمانها، وكان اسم والدتها عمرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار واسم جدتها سلمى بنت عبد الأشهل النجارية.

يوم السرارة ـ لم يستطع الخزرجيون أن يتحملوا هزيمة يوم الرحابة، وظلوا ينتظرون حدوث واقعة أخرى وفى نهاية الأمر اختلقوا ملحمة «يوم السرارة» حيث انتصروا وأصبحوا يتباهون على أفراد قبائل الأوس ويتفاخرون عليهم بنصرهم.

وقد ظهرت هذه الحرب الشهيرة بين بنى عوف بن أوس وبنى حارثة الخزرجى وقد قاد محاربى بنى عوف «خضير بن سماك» كما قاد بنى حارثة «عبد الله بن أبى بن سلول أبو الحباب»، وقد تلاقى أفراد القبيلتين فى مكان يسمى «سرارة» وتحاربوا أربعة أيام متتالية وفى نهاية الأمر انتصر الخزرجيون وتفرق الأوسيون منهزمين حتى يعدوا ليوم آخر وهو يوم «حصين».

يوم حرب حصين ـ وقعت هذه الملحمة العظيمة بين بنى وائل من قبائل الأوس وبنى مازن بن النجار من قبائل الخزرج ولم يتخل أى واحد من محاربى الطرفين عن الحرب وقد أصر رجال كل طرف على أن يوقعوا خسائر على الطرف الآخر تخرج عن العد والإحصاء.

يوم ربيع الظفرى ـ وقعت بعد فترة من حرب حصين وقعة «يوم ربيع الظفرى» بين ظفر الأوس وبنى مالك بن النجار الخزرجى، ولما كان رجال بنى النجار فى هذه الحرب متعبين ومرهقين فاتحدوا وتجمعوا فى يوم «فارع» حيث أخذوا

يشتمون بعضهم بعضا وأشعلوا نار الحرب وبذل كل واحد من الطرفين أقصى جهده ليتغلب على الطرف الآخر.

يوم فارع ـ كان قائد القبائل الأوسية فى يوم فارع معاذ بن نعمان بن امرئ القيس الأشهلى والد سعد من الأنصار الكرام وكان قائد القبائل الخزرجية عمرو بن الإطنابة ولم تترك الحرب والقتال إلا بعد تأدية الدية المقطوعة للغلام القضاعى الذى فى حماية معاذ بن نعمان دية أخيه الذى قتل من طرف ابن النجار، وشغلت هذه القبائل من حين لآخر بالقيام ضد بعضها إلا أن أى طرف من الطرفين لم يستطع أن ينتصر على الطرف الآخر انتصاراً قاطعًا لذا رفعا المخاصمة من بينهما بعد يوم فارع واتفقا ضد اليهود.

وعقدا روابط الصداقة بينهما وتركا العداوة بينهما وعاشا متآخين مدة طويلة يعرض كل طرف للطرف الآخر مظاهر المودة والمخادنة ولكن العلاقات بينهما قد ساءت وفسدت وذلك بسبب الدسائس التى ألقيت بينهما فتسببا فى ملحمة يوم الجسر[1] بعد وقعة حرب سمير بمائة سنة.

يوم الجسر ـ وسبب وقوع وقعة يوم الجسر قتل حاطب بن قيس يهوديًا تحت حماية يزيد بن الحارث الخزرجى.

وكان حاطب بن قيس من رؤساء أعيان قبائل الأوس وكان يكرم الضيوف ويقوم بتسوية حاجات غرباء البلد، وجاءه يومًا ضيف من بنى ذبيان وخرج معه إلى السوق ولمس أحد اليهود بظهر الضيف وأخذ يسخر منه وذلك بإيعاز وإلحاح من يزيد بن الحارث، ولم يتحمل ضيف حاطب هذه الإهانة والحقارة وصاح بصوت عال: «يا حاطب!! بينما أنت من أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة، فكيف يتجرأ يهود السوق بإهانة الضيف الذى التجأ إليك واحتمى بك وذلك بمس دبره وإظهار علامات الحقارة له والاستهزاء به هل تتحمل أن يهان ضيوفك بهذه

(١) يقال لهذه الواقعة «حرب حاطب» أيضا.

الدرجة؟!» وبناء على تأسف الضيف لما حدث فما كان من حاطب إلا أن قتل اليهودى متأثرًا من قول الضيف.

وقد مات اليهودى الذى قتله حاطب ضحية فى سبيل ابن الحارث وغضب ابن الحارث من ذلك أشد الغضب وتتبع حاطب إلا أنه لم ينجح فى الإمساك به بل قتل بريئًا خرج أمامه، وفى ذلك الوقت كان ينتمى إلى بنى معاوية ولم يكن له أى علم أو علاقة بقتل اليهودى وكأنه بهذا قد ثأر وانتقم ومن هنا اشتعلت نار الحرب والقتال بين القبيلتين.

والتقى بعض الفتيان من الخزرج والأوس على جسر ردم بنى الحارث وشرعوا فى قتال دام شديد، وكان قائد الأوس فى هذه الحرب خضير بن سماك الأشهلى، وقائد الخزرج عمرو بن نعمان البياضى، وقد انتصر الخزرج على الأوس.

يوم الربيع ـ بعد مرور وقت قصير بعد معركة جسر ردم بنى الحارث اجتمع كثير من الرجال من الخزرج والأوس أمام جدار عتيق يعرف بـ (ربيع) وفى ناحية «السفح» وقد تقاتلوا مدة طويلة وبشدة فإذا ما كان القتال دام أكثر من ذلك لما بقى فرد يتنفس من الفريقين، وعندما عرف رجال الأوس أن القتلى بجانبهم أكثر من القتلى الذين فى فريق الأعداء تركوا الحرب متفقين وهربوا من ميدان القتال ظانين أن رجال الخزرج لن يتبعوهم.

وكان من الأصول المرعية عند العرب أنه عندما تنهزم فرقة وتتشتت وتفر وتدخل فى مسكنها ألا يتتبعها الفريق الغالب، إلا أن رجال الخزرج لم يتذكروا هذه القاعدة فظلوا يطاردون الأوس ودخلوا فى قريتهم. فعرض الأوس المصالحة ولما رأوا أن عرضهم لم يقبل أدخلوا أطفالهم ونساءهم فى داخل الحصون وتحركوا وفقًا للقاعدة «النار ولا العار» وهجموا على أعدائهم مظهرين عليهم سطوة السيف متحدين. وحاربوا حربًا شعواء دامية، وقد خاف الخزرجيون وارتعبوا وأرادوا أن يتركوا الحرب وبما أنهم نقضوا الأصول والعادات أولا

فاستمر الأوسيون فى القتال وطاردوا عدوهم إلى بقيع الغرقد وشتتوا عدوهم وكسبوا الحرب كما انتصروا على الخزرجيين فى واقعة «يوم الفرس» التى حدثت بعد ذلك بقليل.

ويذكر المؤرخون العرب الحروب التى وقعت حول المدينة بعد يوم الفرس بـ «حرب الفجار» سبب ذلك تحرك أفراد قبيلة الأوس خلاف رأى القائد الذى يسمى الأشهلى وأبا أسيد من الأصحاب الكرام وكان قائد الأوس فى وقعة «يوم الفرس» وقد أرسل عقب الحرب سفيراً إلى الخزرج وأفهمهم أنه مستعد لعقد الصلح بشرط أن يدفع ديات قتلى الذين يزيد عددهم على قتلى الطرف الآخر، وقبل الخزرج اقتراح خضير الكتائب ولما تبين أن قتلى الأوس يزيد ثلاثة أنفار عن الخزرج قد أعطى إلى الأوس ثلاثة أنفار رهائن إلى أن تدفع الدية، وقد نقض الأوس العهد وقتلوا أحد الرهائن ومن هنا سميت الحرب التى حدثت واشتعلت بكل شدة بعد يوم الفرس حرب الفجار - ولكن الحروب التى وقعت فى المدينة لا تعد من حروب الفجار التى وقعت بين بنى كنانة وبنى قيس، لأن حروب الفجار بين بنى كنانة وبنى قيس قامت أربع مرات لأول مرة فى السنة العاشرة من الولادة النبوية والثانية فى السنة الثانية عشرة والثالثة فى السنة الرابعة عشرة والرابعة فى السنة العشرين وزمن وقوعها شهور «رجب، وذى الحجة، ومحرم، وصفر» وصادفت الأشهر الحرم ولما وعى المقاتلون ذلك قالوا متأسفين نادمين «قد فجرنا» وأطلق على هذه الحروب حروب الفجار.

يوم الحدائق - بدء حروب الفجار بالمدينة كان عقب وقعة يوم الفرس مع ملحمة يوم الحدائق وسبب هذه الحرب قتل أحد الرهائن التى أعطيت فى يوم الفرس، إذ قام الخزرجيون عامة للحرب، عقب نقض الأوس عهدهم بقتل أحد الرهائن واستطاعوا أن يضيقوا الخناق على الأوس بين بستانين نخيل المدينة وذلك لما رتَّبَهُ ونظمه قائدهم عبد الله بن أبى بن سلول من الدسائس والحيل، وأشعلوا نار الحرب وبذلوا كل جهدهم حتى شتتوا القبائل الأوسية وجرحوا قائدهم أبا قيس من عدة أماكن فى جسمه.

يوم المعبس والمضرس - وقعت معركة المعبس والمضرس بعد وقعة يوم الحدائق، وقد وقع هذا الجدال خلف جدارين، وقد تحشد رجال الأوس الذين نجوا يوم الحدائق خلف جدار يعرف «بمعبس» كما احتشد رجال الخزرج خلف جدار آخر يقال له «مضرس» وتحاربوا وتقاتلوا أسابيع وفى النهاية انهزم الأوسيون وتشتتوا وأغلقوا أبواب الأبراج التى كانت تعد من الحصون فى تلك العصور على أنفسهم وأطلق لهذه الحرب اسم يوم «معبس ومضرس» وبعد فترة رغبت جماعة بنى عوف فى عقد الصلح مع الخزرج ولكن بنى عبد الأشهل وبنى ظفر والرجال الآخرون الذين يوافقون رأيهم امتنعوا عن ذلك قائلين إننا لا نرضى بعقد صلح قبل أن ننتقم من الخزرجيين من هنا أخذ الخزرجيون يزعجون الأوس من حين لآخر ويطردونهم من مساكنهم؛ حتى إن جماعة بنى سلمة باغتت قرية بنى عبد الأشهل ونهبوا أموالهم وأصابوا سعد بن معاذ الأشهلى بالجروح وسببوا له الألم والمحنة.

وذهب رؤساء الأوس بعد نهب قرية بنى عبد الأشهل إلى مكة المعظمة بنية زيارة البيت الأكرم وفى نفس الوقت حرصوا على أن يعقدوا روابط الاتفاق والمعاهدة مع صناديد قريش ضد قبيلة الخزرج وفعلاً وجدوا كثيرين ممن يؤيدونهم، إلا أن أبا جهل اللئيم قد وصل لعلمه عقد اتفاق الأوس مع قريش فقابل أعيان قبيلة قريش الذين تعاهدوا مع الأوس فى دائرة دار الندوة وألقى فيهم هذه الكلمة التى تفتت الكبد إذ قال: كأنكم غافلون من مؤدى المثل الذى يقول: «ويل من أهل المنازل» بما أن الأوس من ذوى القدرة والنفوذ وأصحاب الثروة فإنهم سيطردونكم ويبعدونكم من مكة؛ ولا يخفى لكل من يعرف وقائع الأسلاف أن كل قوم باتوا فى بلاد قوم آخرين إلا وطردوهم من منازلهم وأخرجوهم من مأواهم، وأشار بهذه الكلمات إلى وجوب نقض المعاهدة، وقد جعلت كلمات أبى جهل القرشيين يندمون على عقد اتفاق مع الأوس ولكنهم لم تصل بهم الدناءة لارتكاب حقارة نقض المعاهدة وقالوا: «إننا قد عاهدنا الأوس! كيف نجسر على نقض عهدنا؟ هل هناك دناءة أعظم بين العرب من نقض العهد؟! وأرادوا أن

يسكتوا أبا جهل بهذه الكلمات، إلا أن أبا جهل قال اتركوا هذه النقطة من المسألة لي أنا، وخرج من دار الندوة وتلاقى مع الأوس وقال لهم: «يا أعيان قبائل الأوس! قد عقدتم العقد والميثاق مع القرشيين، وإننى لفى شدة الأسف لعدم وجودى فى ذلك المجلس! وإذا كنت وجدت فى هذا المجلس لكنت عاهدتكم أنا أيضًا، وكنت آتى لعونكم مع أبطال قريش! إذا قبلتم نعقد مقاولة أخرى لتحديد المعاهدة! أننا لا نخفى نساءنا وبناتنا عن بعض ونسمح لجوارينا بملاطفة الرجال بالسر فى أسواقنا! إذا اتفقتم معنا فى هذه الأفكار وسمحتم لنسائكم وجواريكم بملاطفتنا وملاعبتنا، فإننا نعينكم! وإذا لم توافقونا فى أفكارنا فمن العبث أن تنتظروا العون منا!!!.

وبهذه الكلمات قد كشف مسألة إباحة النساء التى كان يحترز منها أهالى المدينة، لأنه كان يعرف جيدًا أن الأوس ينفرون من هذه المسألة غير المشروعة ويتجنبونها.

وصرف الأوسيون النظر عن عون القرشيين إذ فهموا أفكار أبى جهل الضارة وعادوا إلى أرض يثرب وحرصوا على عقد اتفاق مع القبائل اليهودية وأحدثوا «يوم الفجار الثانى» تلك الملحمة الكبرى.

يوم الفجار الثانى ـ ظهرت واقعة يوم الفجار الثانى عقب عودة الأوس إلى المدينة، وذلك عندما عرف الخزرج أن الأوس قد عقدوا الاتفاق مع «بنى قريظة، وبنى النضير» من القبائل اليهودية فأرسلوا إليهم شخصًا يدعوهم إلى القتال معهم، فأجاب اليهود حتى لا تراق الدماء عبثًا: «إننا لم نتفق مع الأوس ولم نفكر فى أن نتفق معهم واضعين أيدينا فى أيديهم»، وأرسلوا أربعين نفرًا من اليهود رهائن حتى يطمئنوا الخزرج، ولكن بما أن قرى اليهود كانت منتظمة وفى أماكن حصينة طبيعية فإنهم طمعوا فى الحصول على قرى اليهود وأرسلوا رجلاً آخر يقول لهم: «اتركوا مواقعكم ابتداء من هذا اليوم وهاجروا إلى أماكن أخرى!» وإذا رفضتم فإننا سنقتل رهائنكم فأجابهم اليهود قائلين: «إننا لا نرى

سببًا يجبرنا للجلاء عن وطننا!!» إذا أجريتم الإهانة فاقتلوا رهائننا وقد غضب الخزرج من هذه الإجابة وتهوروا وقتلوا اليهودى[1] الذى كان فى حفظ عمرو ابن النعمان، ولما رأى اليهود هذا من الخزرج اتحدوا مع الأوس.

وهجموا على القبائل الخزرجية وأحدثوا قتالاً كبيرًا وهذا القتال ملحمة يوم الفجار الثانى.

عندما قتل عمرو بن النعمان الرهينة الذى كان تحت يده وأبرز الإهانة قال عبد الله بن أبى بن سلول لقاتل اليهودى «إنك غدرت» وتخلى عن الاتفاق كما أطلق الأوسيون الذين يتبعون ابن سلول سراح رهائنهم وأرسلوهم إلى قراهم.

يوم بعاث ـ قد اندلعت ملحمة يوم بعاث بشدة بعد يوم الفجار الثانى وبعد هذه الحرب لم يقع قتال قط بين قبائل الأوس والخزرج.

سبب حدوث وقعة يوم بعاث هو سبب وقوع ملحمة يوم الفجار الثانى؛ لأن قبائل بنى قريظة وبنى النضير اتحدت مع قبائل الأوس واتفقت معها وجلبت رجال قبائل مزينة حليفها وجمعتهم، كما أدخل الخزرجيون فى دائرة اتفاقهم حلفاءهم من بطون بنى أشجع وجهينة، وأخذ أفراد الطرفين يستعدون للقتال ويهيئون أدوات وآلات أربعين يومًا بعد حرب يوم الفجار الثانى وجهزوا مالا يحصى من الجيوش وتلاقوا فى النهاية فى مكان يسمى «بعاث» وشرعوا فى قتال شديد، وقد وقعت هذه الحرب فى شكل مفزع وصورة دامية.

وكان خضير الكتائب قائد الأوس وعمرو بن النعمان البياضى قائد القبائل الخزرجية، ولكن عبد الله بن أبى بن سلول ومن يتبعونه ومن كان تحت إدارة بنى حارثة كانوا على الحياد، وبذل أبطال الطرفين أقصى جهدهم وأظهروا غاية شجاعتهم وحرص كل واحد منهم على إهلاك الآخر وإتلافه، وطال القتال مدة وفى النهاية تفرقت فرق الأوسيين وشرعوا فى الهرب.

ولما رأى خضير بن سماك قائد الأوسيين أفراد المقاتلين الذين تحت قيادته أخذوا يفرون وقد تخلوا عن القتال وقد مالت أسباب النصر والظفر إلى طرف

(١) وقد قتل هذا اليهودى عمرو بن النعمان شخصيًا.

الخزرجيين قطعيًا، فغرز رمحه في رحله وبرك على الأرض مثل الجمل بناء على القاعدة العربية القديمة وقال: «إننى لا أرجع من هنا ما لم أقتل فإذا أردتم أن تتركونى فى حالتى هذه للعدو فاتركونى»، وأنشد بعض الأشعار المناسبة للموقف وهكذا شجع أبناء قبيلته، وقد أشفق رجال الأوس على حال خضير الذى يفكر فى وطنه وهو مجروح ويحرص على الدفاع عنه وحتى لا يتركوه ليد العدو وهو فى حالته هذه فاضطروا للثبات فى ميدان الوغى وأثبتوا شجاعتهم الفطرية بقتلهم قائد الخزرج عمرو بن النعمان[1] البياضى وهزموا عدوهم هزيمة شنعاء وأخذوا يتعقبونهم من خلفهم، وفى أثناء ذلك سمعوا صوتًا هاتفيًا يقول: «يا معشر الأوس لا يليق أن تقتلوا إخوانكم بهذا الشكل، إن مجاورتهم أولى من مجاورة اليهود» حينئذ تركوا الحرب ثم حملوا خضيرًا الذى شجعهم بكل تعظيم وأوصلوه إلى منزله.

وقد فرح خضير بن سماك فرحا لا حد له لانتصار الأوس على الخزرج على الصورة المطلوبة، إلا أن الجرح الذى أصيب به لم يكن قابلاً للالتئام فمات متأثرًا به بعد مرور وقت قليل.

وكان هزيمة الخزرج وتشتتهم شيئًا يبحث عنه الأوسيون ولا يجدونه؛ ولذا نهبوا الخزرجى الذى وقع تحت أيديهم وتركوه مجردًا من كل شىء وهدموا منازلهم وشتتوا أسرهم وهدموا وأحرقوا بساتين نخيلهم وبهذا أظهروا دناءتهم التى لا توصف وجرحوا ثابت بن قيس بن شماس الذى قبضوا عليه وكان ذلك الجرح شارة حريته وأسرعوا فى قطع نخيل بنى سلمة وإحراقها؛ وأسرع سعد بن معاذ الأشهلى حتى أنقذ نخيل قومه.

وأخذت أضواء شمس النبوة تضىء آفاق المدينة المنورة عقب وقعة يوم بعاث وشرعت الدعوة المحمدية تنير أرض يثرب والبطحاء وبدأ السلطان الذى ظهر جديدًا يرفع أستار الظلام والخصومة والعداوة بين قبائل الأوس والخزرج، ولم يُبْقِ لها أثرًا واتحد أفراد جميع القبائل التى تنتسب وتنتهى إلى ثعلبة بن عمرو مزيقيا واتفقوا جميعا فى نصرة الدين الأحمدى واتحدت كلمتهم.

(١) إن هذا الرجل هو الذى قتل الرهينة التى أخذت قبل يوم الفجار الثانى غدرًا.

الوجهة الخامسة

وتشمل ثلاث صور تعين إرسال مصعب ابن عمير إلى يثرب ليقوم بإمامة موحدى أهل المدينة ووقائع الهجرة النبوية التى تستلزم الفخر.

في ذكر بيعة السابقين من الأنصار للإسلام وفى دعوة مصعب بن عمير أهل المدينة إلى الإسلام.

بينما كان الأوس والخزرج يحاربون بعضهما كان النبى ﷺ رئيس الذاكرين لنعم الله يتلاقى مع الحجاج الواردين من أقطار العالم إلى مكة المعظمة ويدعوهم إلى الإسلام الذى فيه خيرهم فى حياتهم ومعادهم ويبلغهم أحكام الشريعة، وفى السنة الحادية والخمسين من ولادته السعيدة ذهب إلى صحراء منى حتى يلتقى مع الحجاج الواردين وفق عادته وتقابل مع بعض الأشخاص من قبيلة الخزرج الذين يطلبون الهداية فى سفح جبل «ثبير». ولما عرف أنهم من قبيلة الخزرج أخذهم إلى ركن ليحدثهم قليلاً ثم أخذ يبين الدين الحنيف ويعرفهم به وفق رجائهم وتلى لهم بعض الآيات الكريمة أيضًا، وكان الخزرجيون يرغبون فى الدخول من قديم فى حصن الإسلام المتين، وقالوا لابد أن يكون نبى آخر الزمان الذى ينتظر اليهود ظهور نوره وأرادوا أن يسبقوا اليهود فى يثرب فى التصديق وأسلموا بلا تردد وعادوا إلى المدينة وأخذوا يذكرون اسم النبى ﷺ وأوصافه فأسعدوا كل بيت وقصر.

إن الذين يقال عنهم الأنصار السابقون يعنى أول من أسلم من أهل المدينة هم هؤلاء الأشخاص الذين ذكرناهم؛ ولكن اختلف فى عددهم، بناء على أشهر الروايات تقدم فى الإسلام أسعد بن زرارة وستة أشخاص معه، ولكن عند البعض سبعة أشخاص(١) خمسة منهم من الخزرج واثنان من الأوس، رَغَّبهم فى سبق اليهود فى الإسلام ما سمعوه من اليهود: «إننا نبايع نبى آخر الزمان قبلكم»، لأن يهود يثرب كلما كانوا ينهزمون فى المناقشة والجدال مع قبائل

(١) انظر: تاريخ الطبرى ٢/٣٥٣، ابن هشام ٢/٦٩، ابن سعد ١/١/١٤٥، ابن عبد البر (الدرر) ص ٦٧. وهى بيعة العقبة الأولى.

الأوس والخزرج يقولون: «قد اقترب زمن ظهور سيد البشر ﷺ وإننا سنجعلكم علفًا للسيف بمعيته» ويعلقون انتقامهم إلى ظهور نور نبوة محمد ـ عليه وعلى آله صلوات الله الستار.

وفى العام المقبل أى فى السنة الثانية والخمسين من ولادة السلطان الجديد الذى سخرت له الرسالة ﷺ شرف أيضًا صحراء «منى» حتى يدعو الحجاج الواردين إلى الإسلام وليهديهم إلى طريق النور المستقيم ويرحب بحجاج القبائل، وتلا الآيات البينات للذين رأى فيهم استعدادًا لقبول الإسلام وتلاقى فى هذه المرة مع عشرة أنفار من قافلة المدينة عند العقبة عرضوا بيعتهم عليه بالشروط الآتية: «ألا يشركوا بالله، ألا يسرقوا وألا يقتلوا وألا يزنوا، وألا يفتروا على أحد وألا يرموه بالبهتان فى الحال والمستقبل، وألا يعصوا أوامر الشارع وأن يمتثلوا لأوامر النبى المطاعة فى العسر واليسر فى المنشط والمكره، وإن يحبوا النبى ﷺ بأن يقدموه على أنفسهم وألا ينازعوه فى أى شىء وأنه يقول الحق فى جميع الأحوال وألا يخافوا لومة لائم فى إظهار الأمر الحق».

وعقب هذه البيعة[١] فتح النبى ﷺ فمه الشريف ناصحًا وقال: «إذا ثبتم فى أقوالكم موفين بعهدكم لكم الجنة، أما إذا تركتم أحد هذه الأمور فالله ـ سبحانه وتعالى ـ إما يعفو أو يعذب ويعاقب».

عاد الذوات الكرام الذين قبلوا الإسلام وفق الشروط المحررة وبعد أن ودعوا الرسول ﷺ وعندما وصلوا إلى المدينة المنورة أخذوا يظهرون شعار الإسلام وبادروا فى أداء الصلاة هنا وهناك.

وبعث معهم بناء على رجاء الأنصار السابقين مصعب بن عمير[٢] حتى يصلى مع المسلمين وليعلمهم أحكام الشريعة الغراء وتلاوة القرآن الكريم على طريقة صحيحة، وأمروا بأن يختاروا أسعد بن زرارة من بينهم لإمامة صلاة الجمعة.

ونزل مصعب بن عمير فى الدار التى يسكن فيها أسعد بن زرارة ونال شرف الإمامة الغالية للأنصار الذين قبلوا الإسلام بجهود مصعب بن عمير وترغيبه.

(١) إن مصعب بن عمير أول من أطلق عليه لقب المقرى من الأصحاب الكرام.

(٢) وهى بيعة العقبة الثانية: انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٧٣، ابن سعد ١/ ١/ ١٤٧، وتاريخ الطبرى ٢/ ٣٥٥، وغيرها.

وقد أخذ أسعد بن زرارة مصعب بن عمير عقب أداء صلاة الجمعة الأولى[1] إلى بيوت الأنصار فى قرية بنى عبد الأشهل ومن هناك أخذه إلى قرية بنى ظفر القريبة من القرية السابقة وطلب من حضرة مصعب أن يدعو أهالى القريتين المذكورتين إلى مائدة الإسلام ذات الفوائد العميمة بينما هو جلس فى ركن من الأركان، وأخذ الناس يقبلون على قبول الإسلام بجهود أسعد بن زرارة وغيرته، واجتمعوا حول مصعب وأقبلوا على استماع القرآن الكريم منه؛ إلا أن سعد بن معاذ وأسيد بن حضير من أشراف بنى عبد الأشهل غارا من استجابة أهالى القرتين إلى دعوة مصعب ودخولهم إلى الإسلام فرادى وولوجهم فى دائرة الإيمان الباهرة ذات الفيوضات وأخذا بفكران فى أسباب إخراج أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير (رضى الله عنهما) من القريتين سالفتى الذكر.

وكان سعد بن معاذ ابن أخت أسعد بن زرارة، وأحنى سعد رأسه مدة مفكرًا قال رافعًا رأسه: «يا أسيد! إنك شريف بين القبائل ورجل مع علية القوم! فإنك ترى أن مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة (رضى الله عنهما) يحسبان نفسيهما من يمثلان الحق وبهذا يغفلان سادة رجال القرية! عليك أن تزجرهما وتزعجهما وتخرجهما من حدود قريتنا وتطردهما! إن أسعد بن زرارة ليس منا بعد الآن وهكذا شجع رفيقه أسيد بن حُضَيْر.

وأخذ أسيد بن حضير حربته وتوجه بكل شدة وحدة إلى المنزل الذى شرفه مصعب بالإقامة فيه، وكان أسعد بن زرارة قد ركز أنظاره إلى الأطراف والأكناف حتى يعرف كيف سيتحرك سعد بن معاذ، ولم يعجبه وجهة توجه أسيد، ولما أطلع أسعد بن زرارة مصعبًا على شأن أسيد قال مصعب بن عمير: إذا ما ألقى الله سبحانه وتعالى حب الإسلام فى قلبه تتيسر مهمتنا!! وبعد فترة وصل أسيد وقال وهو فى أشد غضبه ما غرضك من جلب مصعب بن عمير إلى قريتنا يا أسعد بن زرارة؟ وما هو قصدك من إضلال وخداع ضعفاء قومنا؟ إذا كانت لكم

(١) أول صلاة الجمعة التى صليت فى المدينة هى التى كانت الإمامة فيها لمصعب وكانت فى هَزم حرَّة بنى بياضة فى بقيع يقال له بقيع الخضمات ـ ويقال نقيع بالنون ـ وكانوا أربعين رجلاً.
انظر: الدر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر، ص ٦٩.

حاجة خاصة بكم بينها، وإلا فقوما وانصرفا من هنا وأراد أن يكدر أسعد بن زرارة بهذه الطريقة، إلا أن مصعب بن عمير قال له: «يا أسيد!! اجلس قليلاً واستمع إلى الأقوال التى سأقولها فإذا ما رأيتها معقولة تقبلها وإذا رأيتها كريهة ترفضها!!» فأجابه قائلاً: «فى الواقع إن قولك هذا حق» وجلس فى ركن من الأركان وآثار البشاشة التى شوهدت على بشرته كانت تدل قطعيا على أنه سيقبل الإسلام ويرضى به دينًا.

وحينما رأى ابن عمير جلوس أسيد بن حضير تلا عدة آيات كريمة ودعاه إلى مائدة الإسلام عميم النوال، وظهرت فى قلب أسيد بن حضير آثار المحبة والقبول، وقال: «ما أحسنها من أقوال! وما أوضحه من طريق هذا الطريق الحق! يا ترى ما التكاليف الشرعية التى يكلف بها الذين يريدون أن يدخلوا فى هذا الدين المختار؟» فأجابه مصعب قائلاً: «يجب على الذين يريدون الإسلام أن يغتسلوا أولا ثم يطهروا ملابسهم، ثم يعترفوا بوحدانية الله تعالى المطلقة ثم يصلوا».

وقد تأثر أسيد بن حضير من الإجابة الصحيحة وابتدر بتجديد ثيابه وفق تعليمات حضرة مصعب بن عمير وأقر بقلب نقى طاهر بتوحيد الله وتعلم أركان الصلاة ثم قال: «هناك بين قبائل الخزرج رجل شريف! إذا ما استطعتم أن تدخلوه فى دائرة الإسلام المنجية فثقوا تمامًا أن قبائل الخزرج كلها ستسلم. ها أنا ذاهب لأرسله إليكم، إن هذا الشخص ذات صفات مشحونة بالهداية هو سعد بن معاذ» قال هذا وقام وذهب.

ولما رأى سعد بن معاذ عودة أسيد بشوش الوجه ونور الإيمان يلمع فى وجهه أحس أنه صدق بالنبوة المحمدية وأدرك ذلك وقال لمن بجانبه من الأشراف: «إن الشخص القادم يشبه أسيد بن حضير، وإن مجيئه بهذا الشكل لا يسرنى، لا أظن إلا أنه قد عرض البيعة لمصعب بن عمير!! فليجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يخفى أمره هذا منا عندما يأتى، لننتظر حتى يصل إلينا» وقد وصل أسيد بمجرد ما انتهى من أقواله فاستجوبه قائلاً: «يا أسيد! ماذا فعلت؟ وكيف تعاملت

مع هذين الشخصين؟ فمنذ أن فارقتنا فأنا قلق» وتلقى من جانب أسيد الإجابة الآتية: «إننى لم أتنسم من أقوالهم رائحة الفساد والغاية السيئة، وأقسم بالله إن قوليهما لا يتعدى التعريف بالإله الواحد واجب الوجود ووصف صدق النبوة المحمدية وبيانها!!» وحينما أخذ سعد بن معاذ هذه الإجابة فتحول إلى قطعة من نار تحرق العالم من شدة حدته ووثب من مكانه وخطف حربته وتوجه إلى مكان المشار إليهما.

وقد ارتعد أسعد بن زرارة واضطرب حينما رأى سعد بن معاذ مقبلاً وهو ينشر إلى أطرافه شرارة الدهشة فأراه لمصعب قائلاً: «إن هذا الشخص المقبل هو من يسمى بسعد بن معاذ الأشهلى وإنه آت بغضب شديد! إذا كان هذا أيضًا يقبل الدين الحق ويصدق بنبوة النبى ﷺ لاشك فى أن القبائل الخزرجية كلها ستسلم كما قال أسيد بن حضير»، وعقب ذلك وصل سعد بن معاذ رافعًا قامته وقال: «يا أسعد! قد غضبت من جنبك شيئًا ننفر منه وهو منكر عندنا بدرجة لو لم تكن بيننا نسبة القرابة لكنت أهلكتك ورميتك فى حفرة الدمار بهذه الحَرْبَة السامة»، ثم كدر مصعب بن عمير بذكر ألفاظ غير لائقة، فرد عليه مصعب بن عمير دون أن يضطرب قائلاً: يا سعد! كان يجب عليك أن تجلس قليلاً حتى تسمع ما سأتلوه من الآيات الكريمة ثم ترد على وتجرحنى وتقبح كلامى، إلا أنك عاتبتنى وكدرتنى بأقوالك دون أن تعرف ما سوف أقوله لك وجرحت الأقوال الشرعية على العمى وقبحتها وعاتبتنى وقلت عن النبوة أنها ليست حقًا وقلت أننا نكره الأوامر، وهذا التصرف مناف لأحكام قانون المناظرة» وخجل سعد بن معاذ واستحيى مما قاله وقال: «فعلاً هذا ما كان يجب أن يكون! إننى لم أفكر فى هذه الأشياء وتجاوزت دائرة الأدب فأرجو أن تعفو عنى وأن تغفر لى سلوكى ثم جلس فى جهة ما» وقد ظهرت عليه دلائل قبول الإسلام إذ أخذ نور الإيمان يتلألأ فوق بشرته ويلمع. واطمأن مصعب بن عمير من حركات سعد بن معاذ الملائمة ثم تلا آية أو آيتين مناسبتين للموقف.

ثم دعاه إلى دار ضيافة الإسلام وكلفه أن يطهر جسمه وثيابه حتى يدخل فى الطريق المستقيم، فما كان من سعد بن معاذ إلا أن غير ملابسه واغتسل وفق

الصورة المسنونة ودخل فى حصن الإسلام المتين، ثم جمع أبناء قبيلته وقال لهم: «يا بنى عبد الأشهل إننى اقتنعت بصحة الإسلام وقبلته! بعد هذا يقتضى أن تسلموا كلكم!!!» وبهذه الطريقة رغب جميع بنى عبد الأشهل فى قبول الإسلام، وبناء على إلحاح سعد بن معاذ المتكرر وتشويقه دخل بنو عبد الأشهل جميعًا رجالاً ونساء فى دائرة الإسلام المنجية وبناء على هذا ترك مصعب بن عمير القرى المذكورة وانتقل إلى دار أسعد بن زرارة رضى الله عنهما منزل الهداية وظل هناك حتى أسلم جميع قبائل الأنصار.

وفى الوقت الذى دخل فيه بنو عبد الأشهل إلى دائرة الإسلام المنجية باغت أفراد بنى النجار دار أسعد بن زرارة (رضى الله عنه) وأخرجوا منها مصعب بن عمير، وهكذا أرادوا أن يزعجوا ويقلقوا مصعب بارتكاب هذه الشرور، إلا أن سعد بن معاذ أخذه تحت حمايته حيث ظل إلى أن أسلم صناديد القبائل مثل عمرو بن الجموح وإلى أن كسروا أوثانهم وأهانوها وأصبح مصعب وهو فى حماية سعد بن معاذ مشعلاً مُنِيرًا يهدى إلى طريق النجاة والسلامة وفى هذه الفترة دخل الأنصار الكرام كلهم فى حصن الإيمان المتين وظلوا ينتظرون الهجرة النبوية.

وقبل الهجرة النبوية المشحونة بالبركة أسلم قبائل الأنصار كلهم وكسروا أصنامهم وزاد عددهم بالنسبة لليهود، كما أنهم اكتسبوا شرفًا من الناحية الأخلاقية والتقاليد والمدنية وانتظموا وأصبحوا يعدون من أعيان أهالى أرض يثرب عامة وأشرافها إلا أن القبائل التى كانت تحت إدارة الشاعر «أبو قيس بن صيفىّ ابن الأصلت» ترددت فى قبول الدين المبين دين الإسلام وتلك القبائل هى: «بنو أمية بن زيد، وبنو خَطْمَة، وبنو وائل، وبنو واقد[1] «وظل أفرادها على دينهم القديم قرب وقائع بدر، أحد، والخندق» وذلك لعدم تخلى الشاعر المذكور عن ذم الدين الحنيف الأحمدى وتقبيحه، ولوم الذين أرادوا أن يسلموا وتوبيخهم.

(١) وفى ابن هشام «واقف»، وهنا «وافق»، وفى الدرر لابن عبد البر «واقد».

حكمة

إن إسلام الخزرج قبل قبائل الأوس يعود إلى أن الجدة الثانية لفخر الكائنات عليه أكمل التحيات سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن تيم بن النجار بن ثعلبة بن عمرو، وكانت من بنى النجار، من شعبة الخزرج إذ كانت علة القرابة سببًا فى السبق فى البيعة.

سبب كون النبى ﷺ أنصاريًا من الخزرج:

إن هاشم بن عبد مناف الذى نقل أسباب قرابة النبى ﷺ إلى القبائل الخزرجية والذى كان يسحر العالم بجماله الذى لا نظير له كما يقول المؤرخون إنه كان صاحب شهامة ومروءة لذلك عرف بـ «عمرو العلى» وكان قد مر بيثرب حينما كان ذاهبًا إلى الشام للتجارة وبنية التزوج من سلمى بنت عمرو النجارى بناء على الحكمة التى فى الرؤيا التى رآها والتى ذكرت فى الصورة السادسة من الوجهة الرابعة، ورأى بالصدفة سلمى وتعلق قلبه بجمالها الساحر ورائحة وجهها مثل السنبل وقال إنه يريد أن يتزوجها، كما أن سلمى حينما رأت جمال هاشم بن عبد مناف مثل البدر ولاسيما عندما رأت اللمعان الذى على جبينه لنور سيد البشر وعلمت أنه سيكون من أجداد النبى ﷺ.

وحينما أحست ذلك وأدركته؛ أومأت عارضة أن درة هذه الصلة الغالية ستكون موجب فخرها ومباهاتها إذ سيكون رَحِمُهَا صَدَفَةً لتلك الدرة الغالية، وبناء على رضا الطرفين أجرى عقد النكاح بشرط، إذا ما حبلت أن تضع حملها بين أقاربها.

لما كانت سلمى تعرف علم اليقين أن زوجها السابق أحيحة بن الجلاح سيطلقها كما ذكر آنفًا بالتفصيل ومع ذلك أخبرت الخزرج بالليلة التى سيباغت الأوس الخزرج ومن هنا اكتسبت إعجاب قومها بها وخيرت، مكافأة لها فى اختيار زوجها ولما كان هذا الخيار خلاف الأصول المرعية فى القبائل وعاداتها فلم يحدث مثل هذا لأية واحدة جميلة من بكارى كبار العرب.

ووفق ابن عبد مناف فى عقد النكاح وفق الدستور المسطور وسافر إلى الشام قبل الدخول بها وبعد مدة عاد إلى يثرب وزف إليها وأخذها إلى مكة المكرمة وحينما اقتربت ولادة عبد المطلب أخذها إلى يثرب حيث الاتفاق وسافر لأجل التجارة إلى الشام وارتحل إلى دار البقاء، فى بلدة غزة المشهورة وبما أن سلمى ولدت بعد فترة جد النبى الأول عبد المطلب ومن هنا أصبح النبى ﷺ أنصاريًا خزرجيًا من جهة جدته سلمى وأصبح من جهة أبيه عبد الله بن عبد المطلب قرشيًا هاشميًا مهاجرًا.

وعلى هذا التقدير فجناب سلمى الثانية من جدات النبى ﷺ وعمرو بن أحيحة أخو عبد المطلب لأمه كما أنه عم والد النبى ﷺ عبد الله من جهة والدته.

فى هجرة النبى ﷺ إلى دار الأمن المدينة المنورة.

بعد أن أدخل ـ بتوفيق الله وإرادته ـ مصعب بن عمير كما ذكر فى الصورة السابقة كافة قبائل الأنصار إلى الإسلام ذهب إلى مكة المكرمة فى السنة الثالثة والخمسين من ولادة النبى ﷺ ومعه خمسة وسبعون نفرًا من أهل المدينة والتقى بسلطان الرسل عليه صلوات الله فى اليوم الثانى من أيام التشريق من السنة المذكورة فى شعب عقبة وأسرع بتقديم من فى رفقته إلى النبى ﷺ بصورة عظيمة. وعقد البيعة(١) بناء على طلب رفقائه بشروط خاصة وذلك عندما يشرف النبى ﷺ بأنواره البهية المدينة المنورة أن يحموه مما يحمون منه أولادهم وعيالهم من الحادثات الكونية وأنهم سيبذلون له عونهم حتى إذا حاربوا فى سبيل ذلك ملوك العرب والعجم.

وعقب البيعة ـ التى شرحت ـ مد النبى ﷺ يده التى أظهرت المعجزات فبادر بمد يده أولاً أبو أمامة أسعد بن زرارة وعلى قول أبو الهيثم بن التيهان وعلى رواية أخرى براء بن معرور وقبل جميع الناس وعقدوا البيعة سبعين شخصًا أو ثلاثة وسبعين رجلاً شهمًا وامرأتين طاهرتى الذيل.

وكان أحد عشر منهم من القبائل الأوسية واثنين وستين منهم من خلفاء الخزرج الأربع وكانت إحدى النساء من سلالة بنى مازن وهى أم عمارة بنت كعب والأخرى أسماء بنت عمرو بن عدى التى ينتهى نسبها إلى بنى سلمة.

واختار النبى الأكرم عقب البيعة اثنى عشر رجلاً من رؤساء القبائل ثلاثة منهم من الأوس وتسعة منهم من الخزرج وقال لهم: «كما كفل حواريو عيسى الأقوام

(١) وهى بيعة العقبة الثالثة: انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٨١ تاريخ الطبرى ٢/ ٣٦٠ ابن سعد ١/ ١/ ١٤٨، والدُّرر لابن عبد البر ص ٧٠ ـ ٧١

الذين ينتسبون إليهم فيجب عليكم أن تكونوا كفلاء لأفراد قبيلتكم، وأخذ من كل واحد منهم إجابة تضمن كفالتهم فى أماكن مختلفة ثم فوق مجلس البيعة»، وبما أن تلك البيعة عقدت فى ظلام الليل حتى تخفى على قريش؛ إلا أن شيطانًا اسمه «ابن أزب العقبة» نادى قائلاً: «يا معشر قريش! فليكن فى علمكم أن حجاج المدينة أسرعت بعرض البيعة على ابن أخى أبى طالب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وبهذا هيئوا أسباب إشعال كانون الحرب معكم». وهكذا أعلن الأمر إلى مشركى مكة وأثار فى قلوب صناديد قريش الخوف والقلق وبناء على هذا ذهب بعض القرشيين صباحًا إلى خيام قافلة المدينة وقالوا: «يا رؤساء الأوس والخزرج إنه من المحقق عدم حدوث ما يعكر الصفو بيننا من آثار الخصومة والعداوة إلى الآن؛ إلا أنه قد انتشرت شائعة أنكم عرضتم بيعتكم على محمد ﷺ لتحاربونا؛ وإذا كانت هذه الأحداث صحيحة فإننا مستعدون دائمًا وفى كل آن لمحاربتكم ومقابلتكم!» وهكذا أسرعوا فى استيضاح الأمر ولم يستطيعوا أن يتخذوا أى خبر عن هذا الموضوع من مشركى المدينة وعادوا وقد أخذوا ردًا أن مثل هذا الاتفاق لم يتم.

وكان أحد الذين تصدى للإجابة فى الموضوع الذى يريده المكيون من أهل المدينة عبد الله بن أُبَىّ إذ قال: «يا معاشر قريش! إن ما تقولونه من القول إذا كان صحيحًا يحتاج إلى قوة كبيرة ومن الواضح أننا لا نملك تلك القدرة؛ فلم نقم مثل هذه البيعة وكما أننا لم نعلم شيئا عن هذه البيعة!! إذا كان لنا علم فى هذا الأمر فلنحترق فى نار اللات والعزى!!».

وقد نال الأنصار الكرام شرف المثول بين يدى سيد الأنام مرة ثانية ورجوا من النبى ﷺ تشريف المدينة المنورة، ولكن بما أن سيد الأبرار ـ عليه السلام ـ لم يرخص له بعد بالهجرة تحدث معهم على هذا المنهج: «إننى لم أتلق بعد الأمر الإلهى بالنسبة للهجرة إلا إننى أستطيع أن آذن بهجرة أصحابى وهكذا أفهمهم أن هجرته متوقعة على الوحى الإلهى ولكنه أذن بهجرة الأصحاب الكرام إلى المدينة المنورة، وبناء على هذا أسرع الأصحاب الكرام الذين يرغبون فى الهجرة إلى أرض يثرب ابتداء من بعد العودة من عرفات فى السنة المذكورة.

وكان أول الأصحاب الكرام الذين هاجروا إلى مكة زوج أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى، وكان هذا الشخص قد هاجر إلى الحبشة قبل بيعة العقبة بعام وعرف أن الأنصار السابقين قد أسلموا فعاد إلى مكة إلا أن مشركى قريش أزعجوه ولذا استفاد من الإذن النبوى فهاجر إلى مدينة الرسول ﷺ؛ وهاجر بعد أبى سلمة: عامر بن ربيعة وزوجته ليلى وعبد الله بن جحش وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وعمر بن الخطاب وأخوه زيد، وعقب ذلك طلحة وصهيب وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم ـ وتركوا مكة المكرمة وهاجروا إلى قرى المدينة المنورة ونصب كل واحد منهم خيمة فى موقع حيث أقام واستقر.

واختار الأصحاب الكرام الذين أخذوا الإذن بالهجرة بعد أن أوصوا بكتمان هجرتهم عن مشركى مكة المكرمة وإخفاء السفر والهجرة إلى المدينة المنورة قرب حلول العام الرابع والخمسين للولادة النبوية. قد انهمك الأصحاب الكرام بأمر الهجرة بدرجة عظيمة إذ لم يبق فى مكة المكرمة فى أوائل السنة المذكورة أحد من أصحاب الرسول ﷺ غير الصديق الأكبر وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما.

وقد استولى على مشركى مكة الخوف والقلق نتيجة لترك الأصحاب الكرام مكة المكرمة وأصبحت نفوسهم السوداء المكروهة مضطربة كأنها ديست بسنابك الخيل، وفى النهاية عقدوا مؤتمر الفساد وقالوا: «إذا هاجر محمد ـ عليه سلام الله الأحد ـ إلى يثرب واتفق مع أهلها فلا تكون نتيجته خيرًا فى حقنا». وبناء على هذا الرأى أغلقوا باب الندوة على أنفسهم وأخذوا يذاكرون هذا الأمر العسير لعلهم يجدون حلاً له.

ولم يقبل التهاميون الذين كانوا فرقة سيد الأبرار المخلصين فى مجلس شياطين الإنس هذا وقد دخل الإبليس اللعين فى شكل أبى مرة الشيخ النجدى الذى كان معروفًا لدى المشركين ووجد فى دائرة دار الندوة، وبعد مباحثات طويلة ومذاكرات كثيرة قرروا بناء على رأى أبى جهل وتصديق الشيخ النجدى القضاء

على ورد البساتين، واستصوبوا على أن يقطع الرسول ﷺ فى ليلة من الليالى وهو نائم وذلك بواسطة بعض الملاعين البدائيين الذين سيحيطون دار النبى ﷺ من جهاتها الأربع، وعقب هذا القرار نزل جبريل الأمين باسطًا أجنحته للنبى ﷺ وعرض عليه قرار هيئة الندوة وأفهمه أن وقت الهجرة إلى دار السكينة قد حان، عندئذ قرر النبى ﷺ أن يهاجر بعد أن يسلم الأمانات التى لديه إلى أصحابها.

فجعل على ينام على فراشه وأمنه من مكائد أعداء الدين، ونام ذلك البطل ذو قلب الأسد فى فراش الرسول ﷺ بائعًا نفسه لله ـ سبحانه وتعالى ـ ليحمى نفس النبى ﷺ النفيسة مستجيبًا لإرادة رسول الله ﷺ والتف ببردة رسول الله ﷺ الخضراء وراح فى نوم دون فتور، وأول من ضحى بنفسه فى سبيل إنقاذ حياة الرسول ﷺ من الأصحاب الكرام هو على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وتتضمن أبياته الآتية تلك النكتة اللطيفة.

عربى

وقيت بنفسى خير من وطئ الحصا
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الخلق إذ مكروا به
فنجاه ذو الطول الكريم من المكر
وبت أراعيهم متى ينشروننى
وقد وطنت نفسى على القتل والأسر
وبات رسول الله فى الغار آمنا
موقى وفى حفظ الإله وفى ستر

رواية

حتى الملائكة قد استحسنوا تضحية على بن أبى طالب هذه! إذ يقول الإمام الغزالى فى إحياء العلوم: «قد أوحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لجبريل وميكائيل ـ

عليهما السلام ـ فى الليلة التى نام فيها على بن أبى طالب على فراش النبى ﷺ» وقال لهما «فإذا ما جعلتكم إخوة وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأى واحد منكم كان يريد أن يكون عمره أطول من عمر أخيه؟»، عندئذ قال الله تعالى «إننى جعلت عليًا أخا لحبيبى، قد ضحى على الليلة بعمره لأجل أخيه وقدم موته على حياة أخيه، لماذا لم تصلا إلى درجته فى كمال الأخوة؟ مادامت فضيلة هذه تفوق فضيلتكم، اذهبا الليلة واحفظاه من أعدائه واحمياه».

وبناء على هذا الأمر الإلهى وقف جبريل أمام رأسه كما وقف ميكائيل أمام قدميه وشغلا بحفظه، حتى إن جبريل ـ عليه السلام ـ يهنئ تضحية على هذه قائلاً: «يا أيها السعيد ابن أبى طالب، إن الله تفاخر بك على ملائكته».

وقد اجتمع فى تلك الليلة بعد أن أظلم الجو أبو جهل وأبو لهب، أبى بن خلف وبنيه، منية ابن حجاج، النضر بن الحارث، عقبة بى أبى معيط، الحكم بن العاص، طلحة بن عدى من قبل هيئة دار الندوة.

وبعض الملاعين من سائر أقوام العرب وتحت قيادة بعضهم اجتمعوا لينفذوا الفكرة المستحيلة وهى إعدام حبيب العلام وحاشا وتوجهوا نحو منزل سلطان الأنبياء، ليقوموا بإجراء ما فى ضمائرهم من الفكرة الخبيثة، وأحاطوا ببيت النبى ﷺ من جميع جهاته حتى لا يفلت من أيديهم وحرسوه حتى الصباح متناوبين، وكان ترك إجراء هذا الأمر دسيسة مدبرة من أبى لهب حتى يعلم أبطال بنى عبد المطلب وشجعان بنى هاشم أن العرب متفقون فى إجراء هذا الأمر، مع أن سلطان بلاد الرسالة (عليه أقوى التحية) خرج بكل وقار وإجلال من بيته فاتحًا بابه مع أنه محاط بملاعين المشركين، وأخذ من الأرض حفنة من التراب وقرأ عليه سورة يس الجليلة ونثره فوق أذلة المشركين المحتشدين وخرج من بينهم كالروح السائرة وذهب إلى بيت الصديق الأكبر السعيد.

إن التراب المنثور فوق الكفار المحتقرين الذين يحيطون بدار النبى ذات الفيوضات الباهرة قد أعمى عيونهم بحكمة الله ـ تعالى ـ ولم يروا النبى ﷺ وكل من أصابه هذا التراب قد أصبحوا هدفًا للمرض والموت.

وكان الصديق الأكبر فى انتظار الهجرة(١) من مدة طويلة وقدم أحد الجملين اللذين يملكهما إلى قائد القوافل (عليه أقوى التحايا) بثمانمائة درهم.

كما نبه الدليل وعرفه أن يتواجد فى جبل الثور وهو عبد الله بن أريقط أو عبد الله بن أريقد من رجال قبيلة «دؤل» بعد ثلاثة أيام وخرج فى رفقة النبى ﷺ إلى الطريق ودخلا فى غار الثور خامس يوم الاثنين لبيعة الأنصار الأخيرة.

بعد أن ظل قائد جيش الأنبياء عليه سلام الله الأعلى فى غار الثور ثلاثة أيام توجه إلى المدينة المنورة يوم الاثنين(٢) الأول من شهر ربيع الأول وظهرت على يديه معجزات كثيرة فى أثناء الطريق.

وانحرفا عن الطريق المعهود الشهير سارا على شاطئ أرض عسفان مدة مديدة وفى النهاية وجهوا مطاياهم ناحية وادى القديد وبعد أن قطعوا مسافة قليلة فمروا بخيمة «أم معبد» الخزاعية التى كانت منصوبة فى ذلك الوادى.

كانت طائفة الجن أخبرت أهل مكة بنزول محمد ﷺ ضيفًا على أم معبد، إذ يروى عن أسماء بنت أبى بكر بن قحافة ـ رضى الله عنهما ـ أنها قالت: «عندما خرج النبى ﷺ من مكة المكرمة لم نستطع أن نحدد خط سيره»، وأتى إلى منزلنا عدة أشخاص من المشركين الذين يبحثون عنه ـ عليه السلام ـ ومعهم أبو جهل وسألونى عن والدى، وقد أجبناهم قائلين «والله إننا أيضًا لم نعرف بعد مكان وجودهم» فصفعنىَ أبو جهل على وجهى صفعة عندما تلقى منى هذه الإجابة وكانت صفعة الخبيث شديدة بدرجة أنها أوقعت قرطى من أذنى، ثم تلا أحد الأشخاص البيت الذى يقول:

جـــزى الله رب النـــاس خيـــر جـزائـــه
رفيقـــــين حــــلا خيمتـــى أم معبـــد

وإذ سمع صوت قائل البيت المذكور ولم ير شخصه قد فهمنا أن القائل من طائفة الجن كما فهمنا من مدلول البيت السابق أن الرسول الأكرم فى خيمة أم معبد.

(١) انظر فى حديث الهجرة: الطبرى ٢/ ٣٧٥، ابن هشام ٢/ ١٢٣ وابن سعد ١/ ١/ ١٥٣، والدرر ص ٨٠ وما بعدها.

(٢) هناك من يقول أنه كان يوم الخميس.

إخطار

إن العجائب والأمور الخارقة للعادة التى ظهرت من صاحب المعجزات فى خيمة أم معبد غير قابل للتعريف والتفصيل ولا داعى لذكرها هنا لأن أكثرها قد ذكرت وحكيت فى كتب السير، إلا أننا رأينا لزوم ذكر المعجزة الآتية المنقولة عن هند بنت الجون لأنها غير مذكورة فى كتب السير التركية.

المعجزة

قالت هند بنت الجون: «إن الرسول الأكرم ﷺ غسل يدى إعجازه الشريفتين فى خيمة خالتى أم معبد ثم تمضمض ثم نثر المياه التى ملأ بها فمه المبارك بجانب جذور شجرة العوسج[1] التى فى خارج الخيمة؛ ولما خرج الرسول الكريم من الخيمة وآن وقت الليل نمنا كالعادة.

ولما أصبح الصبح رأينا أن العوسج قد أصبح شجرة كبيرة مثمرة وعليها ثمار فى لون «الورس» وفى حلاوة العسل ذات رائحة طيبة، ولما ثبت بالتجربة أن الذين يأكلون من ثمار هذه الشجرة يشبعون إذا كانوا جائعين ويرتوون إذا كانوا عطشى ويشفون إذا كانوا مرضى، والنياق والنعاج التى تأكل أوراقها تدر لبنًا كثيرًا ومن هنا أطلقنا عليها اسم المباركة، ولما انتشرت هذه المعجزة بين عربان البادية فإذا ما كان فى أية قبيلة أصحاب الأمراض المزمنة كانوا يأتون لزيارة الشجرة ويأكلون من ثمارها فيشفون من أمراضهم، وبعد خمسة أو عشرة أعوام سقطت جميع ثمار الشجرة وذبلت أوراقها وعقب ذلك تلقينا خبر ارتحال الرسول ﷺ عن دنيانا، وبعد فترة نمت الشجرة وكبرت وأدمت كذلك ما يقرب من ثلاثين عامًا، فرأينا فى صباح يوم ما أن ثمارها سقطت وتحولت من أسفلها إلى أعلاها إلى شجرة الشوك، وذهبت عنها نضارتها واصفرت وإذا بعلى بن أبى طالب كان قد ارتحل عن دنيانا.

وبعد هذه الواقعة لم تثمر شجرة العوسج إلا أننا كنا نستفيد من أوراقها، وبعد

---

(١) هى شجرة شائكة إذا تناول أوراقها الجمال أصابها المرض.

مرور فترة من الزمن رأينا فى ليلة ما أن الدماء الغليظة تنبع من فروعها وذبلت أوراقها وسقط كلها، وهذا علامة شر ومن هنا أخذنا نستطلع الأحوال وننصت للأخبار فعرفنا بعد فترة استشهاد الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ وبعد هذه الحادثة لم تفلح شجرة العوسج وقد جفت هذه الشجرة من بعد ذلك من جذورها وانمحت.

(ربيع الأبرار للزمخشرى).

إن أم معبد بنت خالد الخزاعى من الأصحاب الكرام وزوجة أبى معبد الخزاعى وهى الصحابية «عاتكة الخزاعية».

وجاء بعد نهضة النبى ﷺ وخروجه من الخيمة زوج عاتكة أبو معبد ورأى فى داخل الخيمة كثيرًا من اللبن وهذا غير مأمول فقال متحيرًا: «يا أم معبد! ما سبب كثرة هذا اللبن مع أن أغنامنا فى مراعى بعيدة، وكلها خالية من الحمل ولا نملك حيوانًا يدر اللبن؟!»، ولما عَرفت أم معبد زوجها بما وقع وما يتصف به رسول الله ﷺ من شمائل ممتازة بعبارات بليغة فصيحة بالتفصيل أصبح أبو معبد عاشق محبوب الصمد غيابيًا وبعد مدة أسلم مع زوجته ونال شرف الصحبة، رضى الله عنهما.

ولما بحث مشركو قريش عن النبى ﷺ ولم يجدوه استولى عليهم اليأس والحرمان والحيرة ولم يدروا ماذا يفعلون، عندئذ أنشد الهاتف الغائب من فوق جبل أبى قبيس هذا البيت.

فإن يسلم السعدان يصبح محمد

من الأمن لا يخشى خلاف المخالف

وقالوا عندما استمعوه؛ ليتنا نعرف من هو سعد هذا، فألقى لمشركى قريش هذين البيتين وبهذا أفهمهم أن ملك خطة الرسالة ـ عليه أكمل التحية ـ قد شرف المدينة المنورة.

أيــا ســعد ســعد الأوس كــن أنت مانعًــا

ويــا ســعد ســـعد الخزرجـين الغـطارف

أجيبـــا إلـــى داعـــى الهـــدى تَمَنَّيَـــا

مـــن الله فـــى الفـــردوس زلفـــة عـارف

وكان طلحة أو الزبير بن العوام ـ رضى الله عنهما ـ من أهالى مكة عائدين من الشام فى تلك الآونة، وقد تلاقى بقائد جماعة الأصفياء ـ عليه سلام الله الأعلى ـ فى مكان بين الحرمين فعرض عليه عددين من الخرقة الشامية البيضاء علامة للإخلاص والمخادنة ورجاه أن يتفضل بقبولهما.

وقبل سيد الأتقياء (عليه أزكى التحية) هاتين الخرقتين من ذلك الشخص قصد تلطيفه فلبس إحداهما وألبس الأخرى لجناب الصديق واستمرا فى طريقهما.

عندما وصل خبر قيام النبى ﷺ إلى أهالى المدينة المنورة غشيهم بحر من الفرح والسرور ـ المهاجرين والأنصار ـ وكانوا يذهبون إلى مكان يسمى «حرة واقم» وضيعهم وشريفهم كل صباح حتى ينالوا قصب السبق وهم متجهون لتلك القبلة التى تبشر بالمستقبل السعيد إلا أنهم كانوا يعودون وقت الزوال غير متحملين حرارة الشمس الشديدة.

وفى يوم الاثنين من أول ربيع الأول أو الثانى عشر منه من السنة الهجرية الأولى كانوا قد خرجوا أيضًا لإجراء مراسم الاستقبال إلى الحرة المذكورة عند حلول وقت الزوال.

ورأى أحد اليهود الذين ظلوا خارج المدينة المنورة بغتة الموكب النبوى وبدلاً من أن يقول: «يا معشر الكرام! قد شرف الشخص الذى أجلتم أبصاركم مدة مديدة منتظرين وصوله السعيد»، قال على طريق التنظيم «هذا جدكم» يعنى ظل بمجرد الصدفة ذلك اليهودى المذكور خارج المدينة وبينما يرسل نظراته المتجسسة إلى الأطراف والأكناف إذا به يرى فى طريق مكة عدة أشخاص بملابس بيضاء قد

ظهروا منيرين الطريق وحينما أدرك أن الذى شرف النبى ورفيقه لم يمتلك صبره وصاح قائلاً: يا بنى قَيْلَة[1] هذا جدكم».

إن أخيار الأنصار وهم أفراد قبائل الأوس والخزرج قد سروا من الخبر الذى يجلب الصفاء والذى ينشره اليهودى بسرعة فتسلح جميعهم وامتطوا جيادهم حتى يكونوا فى شرف استقبال الركب المحمدى الذى يرسل أنواره كنور القمر وذهبوا إلى الحرة المذكورة من قبل وبعد أن نال كل واحد منهم شرف تقبيل قدم حبيب رب العزة قدم أهل المدينة الذين وصلوا واحدًا تلو الآخر بإيراد خطب مناسبة، وقد أظهر المستعدون لقبول الإيمان الفرح والسرور وخرجوا خارج المدينة كما أن اليهود والمشركين قد خرجوا خارج المدينة مغتاظين متنفرين حتى خلت دار الهجرة فى ذلك اليوم المنير من الناس.

وأحنى الأنصار البررة جباههم لتراب أقدام سيد الكونين وعرضوا على رَيَاحِيْنَ إخلاصهم وطاعتهم وأظهر كل واحد منهم فرحته وسروره على طريقته، وأنشد من كان شاعرًا فيهم ولاسيما الذين سروا من مقام سيدنا محمد فيهم قصائد مدح ممتازة للنبى ﷺ، فسر النبى ﷺ من هذه الحالة وتحرك فرحًا مسرورًا وإذ رأى موحدى أرض يثرب عامة حالة الفرحة والصفاء التى سادت الموقف أخذ كل واحد منهم يأتى بحركة تدل على عدم المبالاة إلا أنها كانت فى حدود الأدب، وفى الواقع فإن تلك الساعة كانت من أجل أهل المدينة المحظوظين كانت ساعة من مسرة خاصة بهم حتى إن سكان الملأ الأعلى قد خرجوا لمشاهدتها ونشرت الشمس وأرسلت أضواء الفرحة والمباهاة فوق أهل يثرب، وحينما تحرك الموكب النبوى من موقع الحَرَّة، تقدمه أبطال الأوس والخزرج وقاموا بمهمة الدلالة، ووصل الذات النبوى العالى إلى منازل بنى عمرو بن عوف، ونزل فى ظل نخلة وقام من هناك ليضع ظله الجليل فى منزل «كلثوم بن هِدْم» من العرب المعروفين أو فى منزل «طاهر بن يحيى» فى القرب من بئر غرس، وكان يقول للصحابة الذين يرجونه أن يشرف منازلهم «إننى سأذهب إلى منازل بنى النجار

(١) هم الأنصار؛ وقيلة اسم جَدَّة كانت لهم.

أخوال جدى عبد المطلب حتى أجاملهم» وكان ذلك اليوم السعيد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول والثانى عشر من شهر أيلول من يوم انتصار الإسكندر فى سنة ٩٣٣ وكان في وقت الظهر عند اشتداد الحرارة وكان قد مر منذ أن خرج من غار ثور إلى وصوله إلى قرية «قباء» ودخوله فيها اثنا عشر يوما.

بناء على هذا التقدير أنهم وصلوا إلى المدينة المنورة في اليوم الخامس عشر منذ خروجهم من مكة المكرمة. لأنهم دخلوا فى غار ثور يوم الاثنين وخرجوا منه بعد ثلاثة أيام وظلوا فى الطريق اثنى عشر يوما، إن هذه الرواية باعتبار دخول سرور الموجودات (عليه أفضل التحيات) فى داخل المدينة! إذ قطعوا المسافة التى بين غار ثور والمدينة المنورة فى تسعة أيام، لأنهم كانوا قد وصلوا إلى قرية «قباء» قبل انتقالهم إلى المدينة المنورة بثلاثة أيام، بناء على هذا الحساب قد تفضلوا بالإقامة فى قرية «قباء» ثلاثة أيام. ومع هذا قال بعض المؤرخين أنه ظل فى قرية قباء أحد عشر يومًا أو واحدًا وعشرين يومًا وقال ابن مالك ظل فى قباء أربعة عشر يوما وقول حضرة أنس يرجح على الأقوال الأخرى.

تصادف غريب ـ سئل أعلم الأنبياء ـ عليه أجمل التحايا ـ ما الحكمة من استمراركم فى صوم يوم الاثنين؟. فقال صاحب الرسالة: «إننى ولدت يوم الاثنين وأصبحت نبيًا يوم الاثنين» وهكذا بين أن يوم الاثنين من الأيام المباركة، وفى الواقع ذلك اليوم يوم منير مشحون بالسعادة، لأن باعث إيجاد العالم ﷺ ولد يوم الاثنين، ولبس عباءة الرسالة المزينة يوم الاثنين، كما أنه وضع الحجر الأسود فى مكانه يوم الاثنين عندما حرر القرشيون الكعبة المشرفة وأبعد النزاع بين القبائل. ووفق فى فتح مكة يوم الاثنين وشرف عالم العقبى يوم الاثنين، ونزلت سورة المائدة فى يوم الاثنين.

مسألة

وليست هناك شبهة أن يوم الاثنين من الأيام المباركة الشريفة، إلا أن أفضل الأيام وأكثرها بركة لدى العلماء أيام العشرة المباركة لذى الحجة، وقد اجتمعت

فى الأيام التى تكون فيها أمهات الطاعات والعبادات حتى إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أقسم بتلك الليالى إذ قال ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (سورة الفجر أية ٢)، إن الإمام القسطلانى قد قدم أيام ذى الحجة العشرة على أيام رمضان العشرة الأخيرة.

ويروى العلماء: كما أن هناك أيام فضلى لأيام الدنيا هناك أيام مباركة وفضلى لأيام الآخرة، وقالوا عن أفضل أيام الآخرة: هو اليوم الذى سيتجلى فيه خالق الكائنات ـ تعالى شأنه عن الرواية والإدراك ـ لأهل الجنة دون حجاب، رزقنا بلطفه وفضله.

قال أئمة الدين هناك ليالى فضلى مقابل الأيام الفضلى، قال بعض أئمة الشافعية إن أفضل الليالى هى ليلة اليوم الذى شرف فيه الرسول الأكرم الدنيا، وبعدها ليلة القدر، وبعدها ليلة الإسراء والمعراج، وبعدها ليلة عرفات وبعدها ليلة الجمعة، وبعدها ليلة نصف شعبان، وبعدها ليلة العيد، هذا ما أحصوه، كما فضل مؤلف «كتاب النهر» وأئمة أخرى ليلة «المزدلفة» على ليلة القدر ورجحوها. والله أعلم بالصواب. انتهى.

حينما جلس سلطان الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ فى ظل النخلة قد اختار السكوت، ومن هنا ذهب الذين لم يروا النبى ﷺ من الأنصار من قبل، إلى أن أبا بكر هو نَبِيُّ آخر الزمان؛ لأن الصديق الأكبر كان فى سن واحدة مع سيد البشر وغير هذا فهو كان يتحدث مع الأنصار الذين يأتون ويذهبون، إلى أن زال ظل النخلة واشتدت الحرارة تحت الشمس، فخلع الصديق الأعظم (رضى الله عنه الأكرم) خرقته التى أهداها له الزبير بن العوام فى أثناء الطريق وظلل بها على النبى ﷺ، فعرف أهل المدينة سيد الأنام من هذه الحركة وأخذوا يعظمونه ويحترمونه، وكان الخزرجيون يرغبون فى نزول النبى فى منازل الأوس، كما أن الأوسيين كانوا يودون نزول ـ النبى عليه السلام ـ فى دور الخزرج، وكان سبب ذلك وجود العداوة بين أبناء الأوس والخزرج.

وقتل أسعد بن زرارة فى واقعة «يوم بعاث» نبيل بن الحارث ومع ذلك بقدوم النبى الميمون تبدلت تلك العداوة فى تلك الساعة والحين إلى المودة والمحبة.

ظل الرسول الأكرم ـ عليه سلام الله الأعظم ـ فى منازل بنى عوف ما يقرب من أربع عشرة ليلة[1] وفى هذه الفترة أسس مسجد قباء وأخذ يصلى فى داخله مع أصحابه الكرام علنًا.

إن أول مسجد أسس فى الدولة الإسلامية الأبدية المعبد الذى طرح وبنى فى قرية قباء كما أن أول معبد شريف أقيمت فيه الصلاة علنًا هو ذلك المسجد الأقدس.

وبعد أن أتم سلطان الأنبياء بناء مسجد قباء ركب ناقته الخاصة وخرج إلى الطريق مستصحبًا بنى النجار وذلك ليشرف المدينة المنورة، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ولما وصل إلى قرية بنى سالم بن عوف حل وقت صلاة الجمعة فنزل مع مائة نفر الذين كانوا فى ركابه المستطاب فى وادى «ذى صلب» الكائن داخل وادى «رانونا» وأدوا الصلاة فى هذا الوادى بادى السعادة.

بما أن صلاة الجمعة قد أديت فى هذا الموقع من المدينة المنورة فقد أحيط ذلك الموقع بجدار منخفض وأطلق عليه مسجد الجمعة فيما بعد.

ولهذا المسجد اسم آخر هو «عبيب» ويقع فى الجهة اليمنى من الذين يذهبون إلى قباء.

وبعد أن أدى سيد الزاهدين ـ عليه سلام الله المعين ـ صلاة الجمعة امتطى ناقته واستمر فى طريقه. وبعد مرور وقت قصير وصل إلى المدينة المنورة ومر من أمام منازل أشراف المدينة المنورة الذين رجوه أن ينزل عندهم ولكنه استمر فى طريقه وفى أثناء ذلك كان يصيب باليأس الذين يمدون أيديهم إلى زمام ناقته القصواء حبًا فى نيل ضيافة النبى ﷺ إذ يقول: «إن زمام ناقتى مسلم ليد القدر

(١) هذه الرواية منقولة عن أنس بن مالك، وقال ابن زبالة أن صاحب الرسالة ظل فى منازل بنى عوف واحدًا وعشرين يومًا وفى بنى عروه أحد عشر يومًا.

لا تستطيع أن تتقدم خطوة من المكان الذى أمرت بأن تقف فيه، ولا تشغلوا أنفسكم ولا تتعبوها بغية ضيافتى واتركوا زمام ناقتى كما أمسك بزمام الناقة من سكان حى بنى سالم ومن أغنياء المدينة المنورة ورؤسائهم «عتبان بن مالك، ونوفل بن عبد الله بن مالك بن عجلان» و«عبادة بن الصَّامت بن نضلة» وقالوا: «يا رسول الله! بما أننا نفوق البطون الأخرى كثرة فى العدد ووفرة فى الغنى فنحن أقدر على رعايتكم» وطلبوا نزوله عندهم راجين إلا أن الرسول ﷺ أجاب قائلاً: «لا تتعرضوا لناقتى إذ إنها مأمورة من قبل الله تعرف مكان النزول».

وحينما وصل خطيب منبر الرسالة - عليه أكمل التحية - إلى مسجد بنى سالم، فألقى خطبة فى الأصحاب ذوى الاحترام الذين وجدوا فى ركاب النبى السلطانى ثم ركب راحلته وأمال زمامها إلى الجهة اليمنى من الطريق وكم كانت خطبته البليغة المعجبة فصيحة حتى إن سكان الملأ الأعلى صاحوا محسنين لها.

عندما وصل فى محاذاة منازل بنى حبلى أراد أن ينزل عند دار «عبد الله بن أبى»، إلا أنه أرخى عنان ناقته لعدم وجود صاحب الدار فى منزله وعندما وصل إلى محلات «سعد بن عبادة» وبنى ساعدة تلاقى مع «منذر بن عمرو» و«أبى دجانة» وفى الأمام مع «سعد بن الربيع» و«عبد الله ابن رواحة» و«بشر بن سعدة» وفى حى بنى بياضه مع «زياد بن وليد» و«فروة بن عمرو» و«عدى بن النجار» وإن كان هؤلاء أيضًا أرادوا أن يستضيفوه إلا أنهم تلقوا نفس الإجابة التى سبق ذكرها.

وأراد جمهور المؤرخين أن يثبتوا أن الضيافة قد عرضت على النبى ﷺ أولاً من بنى بياضة وبعدهم من بنى سالم وعقب ذلك من بنى عدى بن النجار إلا أن ابن إسحاق قال إنه قد عرض عليه ﷺ النزول أولاً من بنى سالم ثم بنى بياضه وبعدها من بنى الحارث وفى النهاية من بنى النجار. وكلما كان النبى يركب البراق - عليه صلوات الله الرزاق - يجيب الذين يرجونه النزول عندهم الإجابة سالفة الذكر كانت الناقة كريمة الأطوار تنظر يمينًا ويسارًا، ونهاية الأمر بركت أمام بئر جمل وعندئذ أحاط به أبطال بنى النجار وأخذوا يزورون النبى ﷺ.

وبعد أن وقفت الناقة عريقة الأصل أمام بئر «جمل» قليلاً، قامت وسارت وبركت أمام باب دار أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ الذى كان فى اتصال منزلى ابن عائذ وسعيد بن منصور، وبعد عدة دقائق قامت لتبرك مكان المنبر الحالى لمسجد السعادة وأخرجت صوتًا خاصًا بالنياق ومدت رقبتها عندئذ ترجل النبى ﷺ قائلاً: «هذا المنزل إن شاء الله»، وبناء على إذن الرسول ﷺ أخذه أبو أيوب الأنصارى إلى داره وقد ساعده زيد بن حارثة على حمل ملابسه عليه السلام ـ وأشياءه الخاصة.

عندما بركت ناقة النبى ﷺ أمام باب دار أبى أيوب الأنصارى خرجت جوارى بنى النجار فى الشوارع أخذن فى إنشاد.

نحـــن جـــوار مـــن بـــنى النجـــــار

يـــا حبـــذا محمـــد مـــن جـــــار

ويضربن الدفوف[1] وأخذن فى إظهار سرورهن وقال ذلك النبى محبوب العالم ﷺ لهن هل تحببننى؟ فقلن: «نعم وإننا نعلن عن سرورنا بهذه الطريقة» فقال: «ثلاث مرات أقسم بالله وإننى أحبكن» وعلى رواية «يعلم الله إننى أيضًا أحبكن» وزاد سرورهن بهذه الالتفاتة النبوية الكريمة فزدن فى إظهار علامات الفرح والابتهاج.

وقد زاد فرح وابتهاج أهالى دار الهجرة الكرام فى ذلك اليوم وقد تحولت دار القرار المدينة المنورة فى ذلك اليوم إلى منزل عرس وخرجت نساء الخدور إلى الشوارع وهن ينشدن:

طلـــــــع البـــــــــدر علينـــا

مـــــــن ثنيـــــات الـــــــوداع

وجـــــــب الشـــــــكر علينـــا

مـــــــا دعـــــــــــا لله داع

(١) حينما مر بنو إسرائيل من بحر فرعون كانت أخت موسى «كلثوم» أيضًا قد غنت وهى تضرب الدف للإعلان عن سرورها.

أيهـــــا المبعـــــوث فينـــــا
جئـــت بالأمــــــر المطــــاع
جئــــــت شــــرفت المدينـــة
مرحبًـــا يـــا خيــــــر داع

كما أن بعضهم أظهروا علامات سرورهم قائلين.

أشـــرق البـــــدر علينـــا
واختفـــت منـــــه البـــــدور
مثـــلك مـــا رأينــــــا
قـــط يـــا وجـــه الســـرور

لم يستطع سكان دار السكينة فى ذلك اليوم أن يتمالكوا حرية إرادتهم وأخذوا يظهرون فرحهم وسرورهم على طريقتهم ولاسيما الأطفال كانوا يهنئ بعضهم البعض ببشرى «جاء محمد رسول الله»، ولما لم ير كل الناس من شدة الازدحام صاحب الرسالة وجماله النبوى صعدوا فوق أسطح المنازل وأخذ يسأل بعضهم بعضًا، هذا هو محمد؟ هذا هو رسول الله.

لما كانت ثنية الوداع مكانًا فى الطرف الشامى من المدينة المنورة ذهب بعض المؤرخين إلى أن النبى ﷺ قد شرف المدينة المنورة من ناحية الشام؛ إلا أنهم مخطئون فى ذهابهم هذا؛ وفى الواقع وإن كانت ثنية الوداع فى ناحية الشام؛ إلا أن كل ثنية يودع فيها الناس بعضهم تسمى «ثنية الوداع» ومن هنا ففى المدينة عدة ثنيات للوداع، وليس هناك شك فى أن النبى ﷺ قد شرف مقبلاً من ناحية مكة المكرمة حتى إن مصراع «من ثنيات الوداع» يدل على أن المدينة المنورة عدة ثنيات.

إن منزل أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ السعيد كان قصرًا يجذب القلوب بناه تبع الحميرى لملك العالم ـ ﷺ ـ قبل وقوع الهجرة النبوية النافعة قبل سبعمائة سنة كما ذكر فى الصورة الثالثة من الوجهة الرابعة لمرآة مكة.

وفى أثناء انتقاله من يد لآخر أخذ كل واحد من ملاكه يضيف إليه زينة حتى وصل إلى يد خالد بن زيد وتحت تصرفه وبناء على هذا التقدير قد شرف سيد العرب والعجم المنزل الذى أسس وطرح من أجله منذ سبعمائة عام.

وكانت منازل بنى النجار فى ذلك العصر فى غاية المتانة بالنسبة لمنازل الأنصار، والمكان الذى بركت فيه الناقة وهى ترعى هو الساحة التى بنى فيها فيما بعد المسجد النبوى الشريف.

وكانت ساحة مسجد السعادة فى مائة ذراع طولاً وعرضًا وكان مكانًا مخصصًا لتجفيف البلح وكان يمتلكها يتيمان وسيمان ابنا رافع بن عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار واللذان تربيا فى حجر معاذ بن عفراء وعلى قول، أسعد بن زرارة وكان معاذ خال عبد المطلب بن هاشم، لأن كل واحد من أهل المدينة فى تلك الأوقات له ساحة لتجفيف البلح قدر حاله، وقد اشترى النبى ﷺ هذه الساحة بعشر قطع ذهبية وطرح عليها مسجده الشريف وأسسه.

قد امتلك منزل أبى أيوب الأنصارى عبدة بن أفلح وباعه فيما بعد لمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف قطعة ذهبية، وقد اشتراه بعد مدة الملك المظفر ابن أيوب بن شادى وهدمه وبنى على ساحته مدرسة مكتملة خاصة بعلماء المذاهب الأربعة وجعل فى داخلها مكتبة ووقف لها كتبًا كثيرة نفيسة متنوعة.

كما أوقف مشروطًا لتلك المدرسة والمكتبة بعض البساتين فى المدينة وعقارات متعددة فى الشام، كما اشترى كثيرًا من الدكاكين والأراضى فى بلده وأوقفها، ولكن لشدة الأسف! أن تقلبات الزمان قد محت ولم تترك اسمًا ولا ذكرًا لهذه الأشياء سواء أكانت تلك الكتب النفيسة التى أوقفها أو ما أوقفه من عقارات وأملاك شرط تعمير المدرسة وترميمها.

وكانت هذه المدرسة فى العصور القديمة عامرة ومشهورة بين الأهالى بالمدرسة «الشهابية» وقد خربت قبل عدة مئات من السنين، ويروى المؤرخون أن فى الميدان الصغير الذى كان فى داخل المدرسة «الشهابية» وفى الطرف الغربى

الجنوبى من الميدان محراب وكانت ساحة هذا المحراب مستناخا للناقة النبوية وأن الحجاج الرائحين والآتين كانوا يزورون ذلك المحراب. وأدخل المحراب الشريف فيما بعد داخل كوخ للمحافظة عليه، إلا أن المدرسة الشهابية قد حولت من صفة المدرسة ووضعت لهيئة زاوية، كما أن تلك الزاوية خربت ومن هنا اقتنع المخلصون الذين حرموا من زيارة مستناخ الناقة النبوية أن هذا الموقع سيخرب بعد مرور فترة من الزمن. وفى سنة ١٢٥٩هـ وجه الأمر السلطانى الصادر من أمانة البناء إلى عهدة شخص يسمى «خضير أفندى» هدمت تلك الزاوية وجددت فى صورة كاملة وتم التجديد فى أواخر ربيع الأول من سنة ١٢٦١هـ.

وفتح فى وسط الأبنية الجديدة منفذًا للريح كما فتحت فى ناحية الشارع نافذة كبيرة وبهذا دخلت زاوية الشهابية إلى هيئة تكية وكان أصحاب الاشتياق يزورونها، وهذه المدرسة تعرف فى أيامنا بـ الزاوية الجنيدية.

إن التوفيق فى إحياء هذا الأثر اللطيف الذى ظل معطلاً عن الزيارة منذ سنين وفيرة ستكون خدمة فريدة لصاحب الرسالة. إلا أن اتصاف خضير أفندى بضعف إخلاصه واعتقاده أضاع ذلك الأثر النبوى السعيد لأنه وسع محيط كوخ مستناخ ناقة الرسول عشرة أذرع وثلاثة أرباع ذراع طولاً وخمسة أذرع وربع عرضا ولم يضع علامة يستدل بها على نقطة مستناخ الناقة وبهذا ضاع الموقع اللطيف لذلك الأثر الشريف.

وكان غرض السلطان عبد المجيد من إحياء المدرسة الشهابية المحافظة على مستناخ الناقة النبوية الشريفة إلا أن الحقير خضير أفندى لاحظ عند تجديد المدرسة نظام وانتظام الأبنية وسعتها وبهذا ارتكب دناوة الإساءة ـ تجاوز الله من سيئته.

إخطار

ولم يمح أصحاب الخيرات المآثر الجليلة، مثل خضير أفندى، ولكنهم بنوا أبنية فى الأماكن التى ثبت ولو بقول ضعيف كونها من الآثار واتخذوها زوايا بنية خالصة وفكر صحيح، حتى يعبد فيها الله سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة.

في بيان وقائع سنين الهجرة وتفصيلاتها الإجمالية.

وعندما استقر النبى ﷺ وشرف المدينة طيبة وتم وقت اقتران فيض نوره عليه السلام. كان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة المكرمة، وذهب معهما عبد الله بن أبى بكر وهناك أخذوا معهم السيدة فاطمة وأم كلثوم وسودة وأسامة بن زيد وأم أيمن وأولاد وعيال الصديق الأعظم ـ رضى الله عنهم ـ ورجعوا إلى المدينة، وآخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وعقد مع طوائف اليهود المعاهدة، وقد عاش فى المدينة المنورة بالإجماع، ما يقرب من عشر سنين وارتحل عن دنيانا يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول والسنة الحادية عشرة من الهجرة، ومرض فى الأيام العشرة الأخيرة من شهر صفر من تلك السنة وارتحل فى ربيع الأول، وصلى عليه بدون إمام فى داخل الحجرة المعطرة على رواية أو فى داخل الروضة المطهرة على رواية أخرى.

ولم يستطع الأصحاب الكرام أن يقتنعوا بارتحال النبى عن دنيانا، وقد مدت أسماء بنت عميس يدها إلى ظهر النبى وعرفت أن خاتم النبوة قد رفع وحكمت أن روح النبى ﷺ قد قبضت.

وظهرت عندئذ بعض علامات الموت على أظفاره المباركة نوع من الزرقة يعنى بدء تغير لون أظفاره ـ عليه السلام ـ فحكم من قبل عامة الأصحاب الكرام أن النبى ﷺ قد ارتحل عن دنيانا ودفنوا نعشه المقدس اليوم الرابع من يوم ارتحاله وعلى قول فى الليلة الثالثة أو اليوم الرابع أو الثالث على رواية أخرى من يوم قبض روحه اللطيفة والمكان الذى قبضت فيه روحه ـ عليه السلام ـ وقد تنافس الأصحاب الكرام فى تعيين موقع دفن جثمانه الشريف ـ عليه السلام ـ طويلاً فقال بعضهم يدفن فى «البقيع الشريف» وقال بعضهم يدفن فى المسجد اللطيف،

وأخيراً قرروا دفنه فى داخل حجرته المعطرة. ودفنوه حيث قبضت روحه ـ عليه السلام ـ وقد سطر هذا القرار بناء على رأى مذكور فى الصورة الثانية من الوجهة الثالثة.

السنة الأولى للهجرة

* سنة بناء مسجد قباء: إن هذا المعبد كان سبب نزول الآية الكريمة ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ﴾ (التوبة: ١٠٨) وقد طرح أساس منبره المصون من الأندلس من طرف معمار منزل الدين عليه السلام.

* ومن أحداث تلك السنة: تأسيس مسجد المدينة.

* ورود فاطمة وأم كلثوم، وعائشة الصديقة، وأم أيمن[١] وأسامة بن زيد (رضى الله عنهم) وأم أيمن زوجة زيد بن حارثة ووالدة أسامة.

* وزفاف عائشة ـ رضى الله عنها ـ عقد على السيدة عائشة رضى الله عنها فى مكة المكرمة وعمرها ست سنوات وزفت فى السنة الأولى الهجرية.

* وفرض ركعات الصلاة حيث كانت الصلوات ركعتين فأصبحت أربع ركعات.

* المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد عقد خمسة وأربعون شخصًا من المهاجرين والأنصار روابط الأخوة على التعاون والتناصر.

* معاهدة اليهود ـ القصد من هؤلاء اليهود قبائل بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع ـ التى كانت تسكن فى أطراف المدينة الطاهرة وقد عقدت معاهدة بشرط ألا يعينوا أعداء الموحدين وألا يهينوا حلفاء المسلمين.

* نقل وباء الطاعون.

(١) كانت حاضنة الرسول الأكرم وأم أسامة بن زيد واسمها «بركة بنت ثعلبة». وكانت فى الأصل جارية حبشية مملوكة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت متزوجة بشخص اسمه عبيد الحبشى وكانت حاضنة النبى ﷺ ولما كان أيمن ابنها من صلب عبيد الحبشى فاشتهرت بالإضافة إليه. وتزوجت بعد عبيد الحبشى بزيد بن حارثة الذى أهدته خديجة إلى النبى ﷺ ومن صلبه جاء أسامة.

* نزول آيات القتال.

* بعث السرايا، وعقد رايات الغزوات، وقد صدرت في هذه السنة الأوامر الإلهية بسل السيوف لمخاذيل المشركين فتفضل - عليه الصلاة والسلام - بعقد رايات الغزوات وإرسال السرايا، والغزوات التى زينها بحضوره الشخصى (١٩) غزوة وقد حدث قتال فى تسع منها. والسرايا التى بعثها تحت قيادة أحد القواد (٤٧) غزوة أو سرية، ويروى أنها (٥٦) سرية.

لازمة - تطلق على الحروب التى قاد الكتائب فيها النبى ﷺ بالذات غزوة فى اصطلاح أهل السير، كما تطلق على الجيوش التى ساقها تحت قيادة أحد قواده سرية.

وعلى قول تطلق السرية على الجنود الذين يسيرون بالليل ويختفون نهاراً سرية، وعلى الذين يسيرون نهاراً تحت قيادة أحد القواد وجه تسميتها مأخوذ من كلمة السر، وسمى أهل السير الفرق العسكرية حسب مقدار الجنود وكميتهم الذين يساقون إلى الحروب «سرية»، «بعث»، «منسر»، «مقنب»، «كتيبة»، جيش وفريق، وجحفل، وخميس، والجيش العظيم، وقالوا للذين أرسلوا للجهاد ويقل عددهم عن ثلاثة «غزاة» وإذا كانوا راكبين «جزيرة» وإذا كان كلهم مشاة «بعث» وإذا كانوا من ثلاثين إلى أربعين نفراً وعلى قول من أربعين إلى ستين أومن مائة إلى مائتين من الفرقة الخيالة قالوا عنهم «المنسر» وقالوا لفرقة الفرسان بين مائة أو أربعمائة «مقنب» وإذا وصل الفرسان إلى خمسمائة «السرية» وألف نفر من المشاة «كتيبة» وفرقة مكونة من أربعة آلاف يطلق عليها «جيش»، «فريق» و«جحفل» والجيش المكون من اثنى عشرة ألف «خميس» ولأكثر من هذا قالوا عنه «الجيش العظيم».

* ومن أحداثها أيضًا: ولادة عبد الله بن الزبير.

* عقد لواء لحمزة بن عبد المطلب - إن أول الجنود الذين جهزوا فى الدولة الإسلامية الأبدية سرية حمزة بن عبد المطلب، وكانت تتكون من ثلاثين من

شجعان المهاجرين إذ تقابلوا مع القافلة القرشية التى تتكون من ٣٠٠ نفر وتحت قيادة أبى جهل ولكنهم صرفوا عن القتال بواسطة مجدى بن عمرو الجهمى.

* عقد لواء عبيدة بن الحارث، الجنود الذين بعثوا للمرة الثانية هم الذين كانوا تحت قيادة عبيدة بن الحارث، وكانوا ستين من المهاجرين إذ انتصروا فى موقع ودان الكائن فى بطن رابغ على أبى سفيان وعلى رأى آخر على جيوش قريش المائة تحت قيادة عكرمة بن أبى جهل وشتتوهم أيما تشتت، ويروى أن هذه السرية كانت فى الدفعة الأولى.

* عقد لواء سعد بن أبى وقاص قائد السرية التى أرسلت للمرة الثالثة، قد ذهب مع عشرين نفرا من المهاجرين وعاد دون أن يصادف أعداء الدين.

* وفاة أبى أمامة.

* وفاة أم كلثوم بنت هدم.

* هلاك وليد بن المغيرة.

* هلاك عاص بن وائل.

* إسلام سلمان.

* إسلام عبد الله بن سلام.

* إجراء اليهود عداوتهم فى حق محبوب الرب الودود.

وكان هؤلاء الأشخاص الذين أظهروا العداوة من أحبار اليهود وهم حُيَيِ بن أخطب، أبو رافع الأعور، كعب بن الأشرف، عبد الله ابن صوريا، زبير بن باطا، وليد بن أعصم، وهم هؤلاء الأنجاس المفسدون الذين ذهبوا إلى دار البوار كل واحد بطريقة ما كما هو مذكور فى أمهات كتب السير.

* التجاء المنافقين مثل أبى بن سلول مع آخرين من مَخْذُولى المنافقين إلى الإسلام عن طريق النفاق.

• سنة الأذان المحمدى:

المعلومات المهمة فى حق الأذان، إلى هذه السنة أنه كان يعلن عن وقت الأذان إذ ينادى المنادى قائلاً الصلاة جامعة، وفى خلال هذه السنة علم عبد الله

بن زيد فى رؤياه الأذان المحمدى وأصبح الأذان سنة على تلك الطريقة، إلا أن بعض كتب السير كتبت أن الواقعة المذكورة حدثت فى السنة الثانية الهجرية.

أول من أذن فى المدينة المنورة هو بلال الحبشى وأول من أذن فى مكة المكرمة حبيب ابن عبد الرحمن ـ رضى الله عنهما ـ وأول من أذن لصلاة الجمعة هو عبادة بن الصامت ـ وعلى قول هو أبو يعلى ـ وأول من أذن فى مصر فوق المئذنة هو شرحبيل بن عامر المرادى الصحابى.

والأذان الأول الذى يؤذن يوم الجمعة هو من سنة عثمان ـ رضى الله عنه ـ إذ كثر الناس فى عهده السامى وتفرقوا، وحتى يترك الناس أعمالهم ويسرعوا إلى المسجد الشريف اتخذ أن يتلى الأذان قبل الصلاة، وعين للقيام بهذه المهمة أشخاصًا مكلفين وموظفين بهذا الأمر، وكان هذا الأذان يؤدى إلى عهد أبان بن عثمان كالأذان الثانى فوق المحفل ومقصورة المسجد وقد أحدث أبان بن عثمان أصول أداء الأذان فوق المآذن.

كما أن أمراء بنى أمية أحدثوا عادة أداء الأذان ثلاثة أنفار معًا من فم واحد، ومازال هذا الأصل جاريًا فى البلاد العربية.

وأحدث ناصر الدين محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون فى خلال سنة ٧٠٠ الهجرية بتصويب المحتسب نجم الدين الطبندى وتشجيعه قراءة الصلاة والسلام قبل أذان الجمعة فوق المآذن، وكان قصده إسماع الناس قرب حلول وقت صلاة الجمعة، إلا أنه كان يقال (الصلاة والسلام على رسول الله) وبعد مرور ٦٧ سنة قرر الملك المنصور محمد بن مظفر بن ناصر الدين محمد بن قلاوون بناء على عرض وترتيب المحتسب صلاح الدين البرلسى أن يقال (الصلاة والسلام عليك يا رسول الله) وبعد مرور ٢٤ سنة قرر فى عهد الملك الصالح بن الأشرف شعبان بن حسين بن ناصر الدين محمد بن قلاوون أن تقرأ الصلاة عقب أذان صلوات الأوقات الخمسة ما عدا أيام الجمعة.

أصول التسبيح فوق المآذن:

كان موسى ـ على نبينا وعليه السلام ـ يسبح فى الأوقات المباركة وقبل أذان صلوات الصباح بصوت مرتفع، وقد عين حضرة داود موظفين خاصين للاحتفاظ بهذه الأصول وجعلهم يسبحون الله فى الثلث الأخير من الليل حتى قرب الفجر، واستمر هذا النظام حتى وفاة يحيى عليه السلام، وقام اليهود ضد عيسى ـ عليه السلام ـ عقب استشهاد يحيى ـ عليه السلام ـ وتسببوا فى إبطال نظام التسبيح وتركه والعمل حسب أحكام شرائع بنى إسرائيل.

وقد جرى أصول التسبيح فى العهد الإسلامى أولا فى مصر وفى وقت إمارة مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار الأنصارى، وفى سنة (٥٨)، لأن حضرة مسلمة قد صنع فى مسجد عمرو بن العاص مئذنة[1] واعتاد أن يعتكف فى هذا المسجد، وقال للمؤذن شرحبيل بن عامر فى أثناء اعتكافه يا شرحبيل، إننى أنزعج فى الصباح من دقات الناقوس، هل هناك حل لهذا الموضوع؟، فقال له نعم أبدأ فى الأذان من نصف الليل وأطيله إلى طلوع الفجر وبهذا سر مسلمة بن مخلد ووضع نظام قراءة الأذان من نصف الليل وبهذا النظام استطاع مسلمة بن مخلد أن يحافظ على سكينة قلبه درجة ما، وعندما أصبح أحمد بن طولون ملك مصر سنة (٢٥٤) رفع نظام أداء الأذان هكذا لفترة طويلة وعين مؤذنين متعددين وربط لهم المرتبات الخاصة ووضع نظام أن يصعدوا إلى المآذن قرب الصباح وأن يقرءوا القصائد الخاصة بالزهد والعشق الإلهى والأشعار، كما أن صلاح الدين الأيوبى قرر فى سنة (٥٦٨) قراءة القصائد والأناشيد الخاصة بالعقيدة الأشعرية بدلاً من الذكر والتسبيح.

ومازال حكم هذا النظام جاريًا فى جوامع مصر والشام.

السنة الثانية للهجرة

* عرس السيدة فاطمة رضى الله عنها.

* وغزوة أبواء، هذه الغزوة مقدمة الغزوات التى وجد فيها قائد المجاهدين

(١) إن المئذنة التى بنيت فى الجوامع والمساجد هى هذه المئذنة.

نبينا ﷺ بذاته، وبما أنها وقعت على بعد ستة أميال لناحية ودان اشتهرت بغزوة «ودان» كما ذكر فى بعض كتب المغازى أنها حدثت قبل السرايا سالفة الذكر.

* غزوة «بواط» وهى الغزوة الثانية التى وقعت فى خلال السنة المذكورة، وبما أنه لم يتصادف لقافلة قريش رجوع وبما أنه قد نصبت الخيام فى مكان يسمى «بواط» بالقرب من ينبع سميت بذلك الاسم.

* غزوة العشيرة وهى الغزوة الثالثة فى السنة المذكورة، وذهب إلى بلاد قبيلة بنى مُدْلِج فى ناحية ينبع وإلى منزل «عُشَيْرَة» لنهب القافلة التى تحت إدارة أبى سفيان التى تعود من الشام، ولما عرف أن القافلة قد فاتت رجع من هناك بعد عدة أيام، وقد لقب على المرتضى فى هذه الغزوة الغراء بكنية «أبى تراب».

* هجوم كرز بن فهر على المدينة.

* سرية بن أبى وقاص الثانية.

* سرية عبد الله بن جحش.

سل سيف جناب عبد الله مع ٨ ـ وعلى رأى ١٢ ـ نفر من المهاجرين وحربه الدامية مع قافلة قريش فى بطن نخلة وقهره لعمرو بن علاء الحضرمى وتدمير عثمان بن عبد الله، وأسر حكم بن الكيسانى وتكبيله بالسلاسل والاستيلاء على قافلة قريش، وهذه السرية هى أول سرية فى عصر السعادة حدث فيها قتل الأعداء وأخذ الأسرى واغتنام الأشياء.

* فرض الصيام.
* تحويل القبلة.
* وقعة بدر الأولى.
* غزوة بدر الكبرى.
* وجوب صدقة الفطر، أداء صلاة العيد.

* غزوة بنى قينقاع. كان يهود بنى قينقاع من القبائل اليهودية التى عقدت الصلح والاتفاق مع المسلمين فى السنة الأولى الهجرية وظلت ساكنة هادئة إلى

شوال من السنة الثانية الهجرية، ونقضت العهد فى خلال شهر شوال إذ قتلت مسلمًا فى سوق المدينة، فبناء على ذلك حوصرت حصونهم وضيق عليها الخناق مدة خمسة عشر يومًا وحوربت، وضبطت أملاكهم وصودرت أشياؤهم وأجلوا إلى ديار الشام.

* غزوة السويق.

* غزوة قرقرة الكُدْر، هناك من يروى أن الغزوة المذكورة وقعت فى السنة الثالثة.

* قتل عمير بن عدى العصماء[1].

* قتل سالم ابن عمير أبا غفل.

وفاة رقية بنت النبى عليه السلام.

السنة الثالثة الهجرية

* غزوة أنمار.

* سرية القردة.

كان زيد بن حارثة قائد سرية فى هذه الواقعة، فأغار على قافلة قريش فى مكان يسمى القردة واغتنم أمتعتها وأخرج ٢٥٠٠٠ ألف درهم خمسًا.

* قتل كعب من الأشرف اليهودى، كان هذا الرجل رئيس قبيلة عمرو بن عوف وكان يؤذى النبى ﷺ.

* زفاف عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ لما كان عثمان بن عفان تزوج برقية ثم بأم كلثوم ـ رضى الله عنهما ـ لقب بلقب ذى النورين.

* زفاف حفصة بنت عمر بن الخطاب وزينب بنت خزيمة رضى الله عنهما.

* وفاة السيدة زينب بعد مرور شهرين من زواجها.

* ولادة سبط النبى المكرم حضرة حسن بن على رضى الله عنهما.

* غزوة أحد.

(١) انظر خَبَرَهُ فى الإصابة ٥/ ٣٤ الترجمة رقم ٦٠٣٨.

* غزوة حمراء الأسد.

* استشهاد حمزة، استشهاد عمرو بن الجموح.

* استشهاد أنس بن النضير، استشهاد سعد بن الربيع رضى الله عنهم.

* تحريم الخمر، وهناك من يروى أن الخمر حرمت فى السنة الرابعة الهجرية.

السنة الرابعة الهجرية

* وقعة بئر معونة.

* غزوة بنى النضير.

* ولادة الإمام حسين السعيدة.

* غزوة الرجيع.

* بدر الموعود[1].

* زفاف أم سلمة، وزينب بنت جحش رضى الله عنهما.

* غزوة ذات الرقاع ويروى أن هذه الغزوة وقعت فى السنة الخامسة.

* استشهاد عامر بن فهيرة، استشهاد عاصم بن ثابت، وفاة عبد الله بن عثمان.

السنة الخامسة الهجرية

* غزوة دومة الجندل ويروى أن هذه الغزوة وقعت فى السنة السادسة.

* غزوة بنى المصطلق وهناك من يرى أن هذه الغزوة أيضًا وقعت فى السنة السادسة.

* رخصة التيمم.

* عتق سلمان الفارسى وتحريره.

* كسوف القمر.

* أداء صلاة الكسوف.

* وفود بلال بن الحارث المزنى، قدوم ضمام بن ثعلبة.

---

(١) قيل لها كذلك لأن أبا سفيان بن حرب كان قد نادى رسول الله ﷺ يوم أحد: موعدنا معكم بدر فى العام المقبل، فأمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه أن يجيبه بـ «نعم»، وكانت فى شعبان فى السنة الرابعة انظر: ابن هشام ٣/ ٣٣٠، ابن سعد ٢/ ١/ ٤٢، الطبرى ٢/ ٥٥٩، الدرر ص ١٦٨.

* غزوة المريسيع.
* قصة إفك عائشة رضى الله عنها المؤلمة.
* غزوة الخندق.
* غزوة بنى قريظة استشهاد سعد بن معاذ.
* استشهاد خلاد بن سويد.
* هلاك أمية بن الصلت.
* مبارزة على، ضيافة جابر بن عبد الله عقب غزوة الخندق.
* حكم سعد بن معاذ على بنى قريظة، وفاة أم سعد بن عبادة.
* سرية عبد الله بن أنيس.
* وقعة عرنة.
* إسلام عمرو بن العاص وخالد بن سنان.

السنة السادسة الهجرية

* أسر شمام بن أثال.
* كسوف الشمس.
* نزول حكم الظهار.
* سرية محمد بن مسلمة.
* غزوة بنى لحيان.
* فرض الحج على أصح الأقوال، وهناك من يدعى أن الحج فرض قبل الهجرة أو فى السنة السابعة أو الثامنة.
* سرية زيد بن حارثة.
* سرية حيدر.
* سرية عبد الرحمن بن عوف.
* صلح الحديبية. يروى أن هذا الصلح وقع فى السنة السابعة أو الثامنة من الهجرة.

* غزوة ذى قرد، يقال لهذه الغزوة غارة عيينة بن حصين الفزارى أيضًا.
* سرية عكّاشة.
* سرية أبى عبيدة.
* سرية خالد بن الوليد.
* سرية زيد بن حارثة.
* سرية كرز ابن جابر.
* استسقاء النبى (عليه السلام).
* وفاة أم رومان.
* وفاة عتبة بن أسد.
* ورود أبى نصير وأصحابه.
* زفاف جويرية بنت الحارث.
* إرسال الرسائل إلى الملوك، وهناك من يعد كتابة الرسائل من وقائع السنة السابعة.

السنة السابعة الهجرية

* قدوم مهاجرى الحبشة.
* وقعة فتح خيبر.
* زفاف أم حبيبة بنت أبى سفيان.
* عمرة القضاء.
* زفاف ميمونة بنت الحارث الهلالية.
* ورود مارية القبطية.
* سرية بشير بن سعد.
* سفر عمر بن الخطاب إلى قبائل هوازن.
* سرية غالب بن عبد الله.
* وفاة بشر بن البراء.
* وفاة ثويبة المرضعة.

* وفاة وليد بن الوليد.
* وفاة يسار الحبشى.
* غزوة ابن أبى العوجاء.
* تسميم الرسول.
* محاصرة وادى القرى.

السنة الثامنة الهجرية

* سرية غالب بن عبد الله.
* سرية شجاع بن وهب.
* اتخاذ النهر.
* سرية نوبة.
* غزوة ذات السلاسل.
* سرية الخَبَط.
* سرية أبى قتادة.
* فتح مكة المكرمة.
* غزوة بنى خزيمة.
* غزوة حنين.
* غزوة الطائف.
* قدوم وفد هوازن.
* ولادة إبراهيم بن الرسول.
* قدوم عروة بن مسعود.
* استشهاد جعفر بن أبى طالب.
* استشهاد زيد بن حارثة.
* استشهاد عبد الله بن رواحة.
* غزوة مؤتة.

* غلبة خالد بن الوليد.

* كشف أحوال قتلى مؤتة.

* زفاف زينب بنت رسول الله ـ رضى الله عنها ـ.

السنة التاسعة الهجرية

* إسلام كعب بن زهير.

* غزوة تبوك وهذه الغزوة آخر غزوات النبى ﷺ.

* سرية قتيبة.

* سرية الضحاك.

* سرية علقمة بن محرز.

* سرية على بن أبى طالب.

* سرية عكاشة.

* اعتزال النبى زوجاته.

* قدوم وفد ثقيف.

* قدوم وفد أسد.

* قدوم وفود الداريين.

* قدوم وفد تميم.

* ورود كتب الملوك.

* قدوم وفد بهرا، وفد بنى البكا ووفد بنى فزارة.

* وفاة النجاشى وصلاة النبى على النجاشى، وقعة إيلاء وقضية اللعان.

* وفاة أم كلثوم بنت النبى ـ رضى الله عنها ـ.

* قدوم أسعد بن تميم.

* حج أبى بكر.

* وفاة سهل بن البيضاء.

* رجم الغامدية.

* تأسيس وتخريب دار النفاق مسجد الضرار وهلاك رئيس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول.

السنة العاشرة الهجرية

* وفد نجران، ووفد عامر بن الطفيل.

* قدوم الجارود بن عمرو فى طائفة من قومه عبد القيس ووفد بنى حنيفة.

* قدوم زيد الخيل فى وفد طَىءّ.

* قدوم عدى بن حاتم.

* قدوم فروة بن مُسَيك.

* قدوم وفد زُبَيْد وعمرو بن معد يكرب.

* قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كِنْدة.

* بعث الأمراء على الصدقات ويروى أن هذا حدث فى خلال السنة الثانية للهجرة.

* وفد الأَزْد.

* حجة الوداع.

* سرية أسد الله على بن أبى طالب على اليمن.

السنة الحادية عشرة الهجرية

* تجهيز سرية أسامة بن زيد.

* وفد النخع.

* ظهور مسيلمة الكذاب.

* ظهور الأسود العنسى.

* مرض النبى ﷺ، وارتحال النبى ﷺ عن دنيانا.

الوجهة السادسة

وتشتمل على إحدى عشرة صورة تعرف بالتفصيل توسيع وتجديد المسجد الشريف ودار فاطمة رضى الله عنها السعيدة.

كما تعرف محل محراب النبى القديم والأساطين الشريفة وصفة أصحاب الصفة والمواقع المباركة الأخرى.

فى ذكر صورة طرح وتأسيس مسجد السعادة على صاحبه أفضل التحية.

سكن مؤسس مبانى أركان الدين الرصين ـ عليه سلام الله المعين ـ فى البيت الذى يملكه أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ ما يقرب من سبعة أشهر، أقام فيه متعبدًا وبعد ذلك استدعى أصحاب الساحة التى بركت فيها الناقة ذات الصفات الممدوحة «القَصْوَاء» فى المكان الأول لوح لهم قائلاً «إذا كنتم ترغبون فى بيع هذه الحظيرة لاشتريتها لأبنى عليها مسجدًا»، وبهذه البراعة بين لهم أنه يفكر فى شراء تلك الساحة، فعرض عليه «سهل وسهيل» سالفا الذكر ابنا رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك أن يتفضل بقبول تلك الساحة بدون ثمن، ورجوا النبى ﷺ فى ذلك وأصرا ولكن النبى ﷺ لم يستصوب أن يأخذ تلك الساحة مجانًا لأن صاحبيها كانا أطفالا، فجلب معاذ بن عفراء ـ وعلى قول آخر أسعد بن زرارة(١) ـ وأعطى له عشر قطع ذهبية(٢) ليسلمها لهما.

كانت هذه الساحة مقبرة فى أيام جاهلية العرب، وبيعت فيما بعد وانتقلت من يد لأخرى حتى انتقلت لملكية ابنى رافع بن عمرو، ولم تكن تلك الساحة مستوية الأرض، لذا قد تكونت عليها بعض مياه الأمطار وتراكمت على شكل مياه البرك، فأمر النبى ﷺ بتسطيح الأرض، وبعد إعداد لوازم البناء أرسى أساس المسجد، وفى العام الثانى الهجرى أكمل البناء فى شهر صفر الخير وسقفه بجريد النخل.

وكان لذلك المسجد الذى أسسه معمار ديوان الشريعة ـ عليه أفضل التحية ـ محراب واحد وثلاثة أبواب. وكان المحراب الشريف المذكور متجهًا إلى بيت

(١) الراجح أنه أسعد بن زرارة، إذ كان الغلامان يتيمين فى حجره، وكان أسعد بن زرارة يصلى فيه ويجمع قبل مقدم الرسول الله ﷺ، إلى المدينة انظرـ: إعلام الساجد، ص ٣٢٣.

(٢) وكانت هذه القطع الذهبية ثمن تلك الساحة فدفعها الصديق الأكبر على أنها من قبل رسول الله ﷺ.

المقدس، أى كان فى مكان البوابة التى يطلق عليها فى زماننا باب التوسل وكان أحد الأبواب فى مكان المحراب الشريف الحالى وكان الثانى مكان باب جبريل وكان الثالث حيث استقر باب الرحمة، واشتهر الباب الذي كان مكان المحراب الشريف بباب الحملة وكان خاصًا لدخول الجماعة وخروجها وكانت الأبواب الأخرى خاصة لدخول النبى ﷺ فى حجراته وكان البابان اللذان خصصا لدخول النبى ﷺ يعرف أحدهما فى العصر النبوى بباب «عثمان» والآخر بباب «عاتكة» وكان سمك جدران المسجد الشريف ثلاثة أذرع وكان عمق حفرة الأساس قريبًا من ثلاثة أذرع، وكان الأساس إلى الجدران الظاهرة من الأرض من الحجر وما يعلوه من اللبن، وكان السقف قد رفع فوق ستة أعمدة موزونة ثلاثة على يمين المنبر وثلاثة أخرى على يساره كل واحد فى حذاء الآخر وظلت الروضة المطهرة بين منبر السعادة والحجرة المنيفة.

وكان طول وعرض المسجد - توأم حرم الجنة - مائة ذراع لكل منهما، وبناء على بعض الأقوال أن طوله وعرضه أقل من مائة ذراع، إلا أن فريقًا من المؤرخين قالوا إن طول ساحة مسجد السعادة كان سبعين ذراعًا وكان عرضه ستين ذراعًا، وصنع الطين اللازم سواء أكان لأعمال الجدران أو فى صنع اللبن فى حفرة «بقيع خبخبة» الكائن فى اتصال بئر خالد بن زيد وفى جهة «بقيع الغرقد».

استطراد

خبخبة اسم شجرة نبتت من قبل الله أمام البئر سالفة الذكر؛ وكانت هذه الشجرة فى داخل مقبرة بقيع الغرقد وبجانب ضريح إبراهيم ابن الرسول - عليه وعلى أبيه التسليم - ويظل هذا المكان الآن فى الجهة اليمنى من زوار مقبرة البقيع.

وقد نسيت حفيرة خبخبة التى يلزم أن تكون بئر خالد بن زيد، اسمها ورسمها مع مرور الزمن ولم يبق أحد يعرف مكانها، إلا أن مصطفى عشقى أفندى من مجاورى المدينة المنورة المخلصين قد تحرى عنها مئات المرات متوسلاً من روح النبى ﷺ العون واستطاع أن يظهرها فى سنة ١٢٦٠هـ، والبئر المذكورة بجانب

مسجد يحيى بن طلحة بن عبيد الله، وهذا المسجد فى داخل الحديقة ذات النخيل التى تسمى حديقة أولاد صفى.

حديقة أولاد صفىّ:

بالخروج من باب البقيع الشريف حصن المدينة المنورة وبعد قطع مسافة ربع ميل من الطريق الذى يؤدى إلى مشهد حمزة يظهر بستان واسع، وهناك زقاق يتفرع إلى يمين البستان وعلى جهتى هذا الزقاق عدة بساتين والبستان الذى وقف لأغوات حرم السعادة يشتهر ببستان «أولاد صفى». وفى داخل الحديقة المذكورة بئر ينزل إليها بسلم ودرج، وفى الجهة الجنوبية منها مسجد لطيف على شكل منزل وفى طول ثمانية أذرع وكذلك العرض؛ هذا المسجد هو مسجد «يحيى بن طلحة» والبئر التى بجانبه بئر أبى أيوب الأنصارى المعروف باسم «خبخبة». انتهى.

بعد أن أتم النبى ﷺ بناء مسجد المدينة بنى تسع حجرات خاصة بزوجاته المطهرات على يمين مسجد السعادة ويساره وقد خص أقرب الحجرات - وهى الحجرة التى دفن فيها - بالسيدة عائشة - رضى الله عنها - كما خصص الحجرة الملاصقة بها للسيدة سودة[1] - رضى الله عنها - كما فتح طريقًا من دار عائشة، إلى المسجد الشريف.

يخبر المؤرخون عن مساحة المسجد الشريف بوجود أربع روايات: **الرواية الأولى**: أن الذراع فى تلك الوقت كان مقياسًا قريبًا من شبرين - أو أكثر منه قليلاً، وبناء على **الرواية الثانية**: أن كلاً من الطول والعرض كان مائة ذراع، وعلى **الرواية الثالثة**: أن كلاً من الطول والعرض كان يقل قليلاً عن المائة.

وبناء على ما تفيد **الرواية الرابعة** كان الطول والعرض يقلان عن مائة ذراع، وعندما حدث تحويل القبلة أبلغا إلى مائة ذراع.

رأى ومطالعة

عند بناء مسجد السعادة وتأسيسه كان طوله الشرقى فى نهاية الحجرة الشريفة،

(١) كانت حجرة سودة اللطيفة خلف دار عثمان بن عفان.

كما كان عرضه عند اتصال جدار الحجرة المعطرة مع الجدار الغربى، وبما أن هذا المكان لا يتجاوز سبعين أو ستين ذراعًا زيد إلى مائة ذراع عند تحويل القبلة.

وقد بنيت جدران مسجد السعادة أولاً على طراز «سميط» وبعده على طراز «سعيدة» وترك بدون سقف. ولما تبين للأصحاب الكرام فى فترة ما أنه لن يستطاع تحمل حرارة الشمس، فسقفوا المسجد بجريد النخل ولأجل الوقاية من الأمطار وضعت فوق سطح السقف أوراق الأشجار ثم وضعوا فوقها التراب وهكذا أحكموا بناءه امتثالاً لأوامر الرسول ﷺ.

إخطار

يطلق طراز «السميط» على نوع البناء الذى توضع فيه لبنة فوق لبنة، وطراز «السعيدة» هو وضع اثنتين من اللبنات بالعرض وإحداهما بالطول، ووضعها مناصفة فوق اللبنتين العرضيتين. وقد صنع اللبن اللازم لبناء مسجد السعادة رجل من حضرموت، ولما كان هذا الرجل بارعًا فى صنع اللبن عين من قبل النبى ﷺ لأداء هذه المهمة.

وقد صنع النبى ﷺ بانى قصر الإسلام القوى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد إتمام بناء الحجرات ظل محراب مسجد السعادة على أن تكون مأوى للمساكين ومسكنًا. والتى تعرف باسم «صُفّة أصحاب الصفة» وأسكن الغرباء الذين يأتون فى هذه الظلة وآواهم.

المكان الذى قيل عنه الظلة كان عريشة مصنوعة من جريد النخيل وكان مقرى الضيفان ـ ﷺ ـ يؤوى الغرباء والمحرومين فى هذا المكان، وعندما يحل المساء كان يطعم بعضهم كما يختار بعضهم ويرسلهم إلى بيوت الأنصار. وبعد أن أتم سيد العالمين بناء المسجد الشريف وحجرات بيوته أى فى خلال صفر الخير من السنة الثانية للهجرة انتقل بالعز والإقبال من دار أبى أيوب الأنصارى إلى البيت اللطيف الذى بنى له.

وبذل الأنصار الكرام غاية جهدهم وحرصوا على إجراء مراسم الضيافة للنبى

ﷺ طول فترة وجوده فى دار خالد بن زيد، وتناوبوا فى تقديم الأطعمة بل تباروا فيه وكانوا يلاطفون بعضهم قائلين «النوبة لى فى هذه الليلة وكان ثلاثة أو خمسة منهم يأخذون أطعمتهم ويذهبون عند النبى ﷺ، ولم تمر ليلة فى تلك المدة المذكورة إلا وكان فى مائدة الرسول ﷺ ثلاثة أو خمسة من أصحابه السعداء، وكانت امرأة تدعى «هديدة»(١) أول من قدمت الطعام، وعندما نالت «هديدة» شرف الحضور عند النبى ﷺ كانت تحمل فوق رأسها مائدة صغيرة فوقها خبز طازج واللبن الزبادى والزبد وأنزلت المائدة، وقالت: «إن والدتى ـ جاريتكم ـ هى التى أرسلت هذه الأشياء».

ودعا النبى ﷺ بالخير والبركة سواء أكان للطعام أو العفيفة التى جاءت بالطعام والأخرى التى أرسلت ثم قام بتناوله.

ثم قدمت مائدة سعد بن عبادة فى المرة الثانية، وكان فى هذه المائدة طعام الثريد المطبوخ حديثًا فتفضل بالتناول منه، وبعد هذا كانت تقام فى كل ليلة فى بيت أبى أيوب الأنصارى مائدة حيث يحضرها خمسة أو عشرة من الصحابة، ولما كانت والدة أبى أيوب الأنصارى هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج تطبخ بدون أن تضع الثوم والبصل وفق مزاج النبى ﷺ فالسلطان الجديد ـ عليه صلوات الله المجيد ـ كان يفضل الأطعمة التى تطبخها ويحبها.

عندما نوى طرح أساس المسجد الشريف نزل جبريل ـ عليه السلام ـ باسطًا أجنحته وأوصى النبى ﷺ أن يكون ارتفاع جدران الأبنية السعيدة سبعة أذرع(٢) وألا تنقش ولا تزين أية جهة من جهاتها وأن تكون مونتها من الطين وعندئذ أخذ النبى ﷺ قطعة من الحجر وشرع فى طرح الأساس وذكر اسم الله ثم أمر كلاً من أبى بكر الصديق وبعده عمر بن الخطاب وبعده عثمان بن عفان وبعده على بن أبى طالب حيدر الكرار أن يضعوا قطعة من الحجر فى الأساس وقال للذين سألوا عن حكمة ذلك إنها إشارة إلى ترتيب خلافة هؤلاء.

(١) لم أجدها فى الصحابيات «فالله أعلم».

(٢) هناك من يقول إنه أوصى بأن يكون ارتفاع الجدران خمسة أذرع.

تبين توسيع مسجد السعادة وتحويل المحراب الشريف.

وظلت أبنية المسجد الشريف التى أسسها بانى مبانى الشريعة (عليه أقوى التحية) فى خلال السنة الأولى الهجرية إلى رجب الفرد[1] من السنة الثانية الهجرية على هيئتها الأصلية، ولما أوحى قبل غزوة بدر الكبرى باتخاذ كعبة الله قبلة مرة أخرى فأمر النبى ﷺ بإغلاق باب المسجد الذى يتجه إلى مكة المكرمة[2] وفتح بابًا جديدًا مقابله أى فى الجدار الشامى لمسجد السعادة وبناء على هذا التقدير أنه قد صلى فى المدينة المنورة متجهًا إلى بيت المقدس ما يقرب من ستة عشر شهرًا[3].

إخطار

كان النبى ﷺ يستقبل كعبة الله عندما كان يصلى فى مكة المكرمة، وقبل هجرة النبى ﷺ بفترة أخذ أمر استقبال قبلة الأنبياء صخرة الله تأليفا لقلوب اليهود فاتخذ البيت المقدس قبلة، إلا أنه كلما كان يقوم للصلاة كان يستقبل الركن اليمانى حتى لا يستدير البيت المعظم. لأن وسط هذين الركنين يحاذى الجهة الجنوبية من البيت المقدس، وإن أراد أن يستقبل تلك الجهة بعد الهجرة لم يمكنه ذلك لتخالف الجهات فاضطر أن يستدير كعبة الله، إلا أن قلبه الشريف كان حزينًا ومنكسرًا بصورة دائمة، وحينما نزلت الآية الجليلة «فَوَلِّ وَجْهَكَ» يعنى حينما أمر باتخاذ المسجد الحرام قبلة الأنام. وأخذ يستقبل جهة ميزاب الرحمة من

(١) روى ابن حبيب بقاء المسجد الشريف على حاله القديم إلى يوم الثلاثاء من الخامس عشر من شهر شعبان للسنة الثانية من الهجرة.

(٢) اسم هذا الباب «باب التوسل».

(٣) قد ذهب فريق من المؤرخين إلى أن هذه المرة كانت سبعة عشر شهرًا والفريق الآخر على أنها كانت ثمانية عشر شهرًا.

بيت العزة، لأن الذين يستقبلون الكعبة المعظمة من المدينة المنورة يتجهون إلى جهة «حجر إسماعيل» من تلك البقعة المشرفة.

بينما كان النبى ﷺ صاحب القبلتين حينما أمر باستقبال بيت الله، كان يصلى الركعة الثالثة من صلاة الظهر متوجهًا إلى صخرة الله فتحول إلى ميزاب كعبة الله دون أن يخرج من الصلاة وكان ذلك فى مسجد حى بنى سلمة ومن هنا أطلق على هذا المسجد الشريف «مسجد القبلتين»، وإلى الآن لهذا المسجد محرابان ينظر أحدهما إلى الكعبة المعظمة والآخر إلى البيت المقدس ويقابل بعضهما البعض.

وبعد أن أتم معمار قصر الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ صلاة الظهر فى مسجد القبلتين شرف مسجد السعادة ونزل بعد وصول صاحب الرسالة بقليل جبريل الأمين باسطًا أجنحته وقال له: «إننى قد رفعت ما بين الحرمين من الأشجار والأحجار فعينوا مكان محراب مسجدكم الشريف ناظرًا إلى بيت الله».

ورأى حقائق الأشياء البيت المحترم رؤية العين، وعين موقع المحراب الشريف ولما كان لم يبق شىء يحول دون رؤية العيون النبوية ما بين الحرمين فأخبر أن موقع المحراب الشريف فى نقطة تقابل ميزاب الرحمة.

وقد وقعت هذه الواقعة الجميلة قبل ملحمة بدر الكبرى بشهرين. قال بعض المؤرخين «إن مسجد السعادة قد أسس على يد أسعد بن زرارة بدون سقف قبل الهجرة وكان عبارة عن أربعة جدران وكان محرابه فى الجدار الذى فى جهة البيت المقدس، وأن هذه الجدران كان يصلى فيها النبى ﷺ مع أصحابه وكان يجتمع فيها مع أصحابه من المؤمنين الذين يأتون من الأطراف»، إلا أنهم يخطئون فى رأيهم إذا أرادوا بذلك مسجد قباء، فهذا ليس بصحيح كما ذكرت تفصيلاته فى البحث الخاص به.

فى ذكر الأماكن السعيدة التى صلى فيها من المسجد الشريف إمامُ محراب الملكوت ـ عليه السلام.

بما أنه لم يكن محراب مخصوص لأداء الصلاة سواء أكان فى عصر السعادة أو فى عصر الخلفاء الراشدين قبل تحويل القبلة إلى الكعبة المعظمة كان سيد الزاهدين يؤدى فى مكان اسطوانة يطلق عليها الأسطوانة المخلقة أى فى النقطة التى فى الجهة الشامية من المكان الذى يؤدى فيه إلى الآن أئمة الحرم الشريف. وهذا المكان هو المكان الذى يقع فى الجهة اليسرى من المحراب الشريف، وفى وسط الروضة المطهرة والذى يعرف بأسطوانة عائشة، ولما كان إمام صفوف الأنبياء عليه أجمل التحايا استمر يصلى فى هذا المكان بعد تحويل القبلة أطلق على الأسطوانة المنسوبة للسيدة عائشة «أسطوانة النبى» أيضًا.

وتفضل إمام المتقين فيما بعد بأداء الصلاة فى المكان الذى عرف بـ «محراب النبى» وهذا المكان فى وسط الحجرة اللطيفة والمنبر المنير مع ميل إلى جهة منبر السعادة.

ولم يترك الخلفاء الراشدون والأئمة الكرام ذلك المحراب واستمروا يؤدون الصلاة فيه، واهتم صلحاء الأمة فى تتبع آثارهم، ونصبت اسطوانة حتى لا ينسى مكان مصلى النبى ﷺ ووضعوا المصحف الذى أرسله الحجاج الظالم على يمين تلك الأسطوانة، بعد أن وضعوه فى داخل صندوق.

يروى ابن النجار ناقلاً عن الإمام مالك أن الحجاج بن يوسف الثقفى أرسل إلى أمهات القرى مصحفًا، وكان المصحف الذى أرسله إلى المدينة المنورة مصحفًا لطيفًا موضوعًا فى داخل صندوق غاية فى الكبر ووصل الجهة اليمنى من الأسطوانة المذكورة على أن يكون علامة للمصلى النبوى الشريف وكان الذين

يزورون المصلى النبوى ـ عارفين مكانها ـ يصلون ويدعون عند الأسطوانة التى ركزت بجانب صندوق المصحف الشريف لتكون علامة لموقف النبى ﷺ عند أدائه الصلاة، يروى عن يزيد بن أبى عبيد المدنى ـ مولى سلمة بن الأكوع ـ قال: كنت أتى مع سلمة فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف، فقلت يا أبا مسلم! أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: فإنى رأيت النبى ﷺ يتحرى الصلاة عندها[1].

وفى رواية: أنه كان يأتى إلى سبحة الضحى فيعمد إلى الأسطوانة دون المصحف فيصلى قريبًا منها. . .،[2] الحديث.

وبناء على هذا كان يلزم أن تكون الأسطوانة المخلقة إما فى قرب قبلة النبى وإما فى قرب المحراب النبوى وعلى هذا يرجح القول الثانى وفق أقوى الأقوال، وبناء على ما ذكر آنفًا لم يكن فى عصر السعادة أو فى عهد الخلفاء الراشدين محراب مجوف.

مؤسس محراب مسجد السعادة:

وضع محراب مسجد السعادة عمر بن عبد العزيز، إذْ جمع فى عهد الوليد بن عبد الملك صناديق المهاجرين وكبار الأنصار وبعد أن صنع فى المحل الذى كان يصلى فيه النبى ﷺ محرابًا قال لهم لا تقولوا إن عمر بن عبد العزيز غير محرابنا، هذه هى قبلتكم، وحتى يلصق هذا المحراب بجدار مسجد السعادة، رفع حجرا من الجدار القديم ووضع مكانه حجرًا آخر، إن المحراب المجوف الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى حذاء الجدار الذى كان يصلى فيه النبى ﷺ، إذا لم يكن المشار إليه قد وضع المحراب المذكور لأصبح من الصعوبة بمكان معرفة موقع محراب النبى بل أصبح مستحيلاً.

---

(١) صحيح أخرجاه: البخارى فى كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانة حديث رقم (٥٠٢) الفتح ١:٥٧٧ ومسلم فى كتاب الصلاة حديث (١١١٥، ١١١٦)، باب دنو المصلى من السترة، شرح النووى مع صحيح مسلم ٢/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ط. دار الغد العربى.

(٢) هذه الرواية عند ابن ماجة حديث (١٤٣٠) كتاب الصلاة، باب ما جاء فى توطين المكان فى المسجد يصلى فيه ص (٤٥٩)، وقوله يأتى: يعنى سلمة بن الأكوع.
وقوله دون المصحف يعنِى قريبًا منه، وهو مصحف عثمان رضى الله عنه.

عندما يصلى فى المحراب الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى مصلى النبى ﷺ يظل المنبر المنير على منكب المصلى الأيمن، وبهذا لم يتغير موقف النبى ﷺ كما أن المنبر المنير لم يغير من مكانه ويظل صندوق المصحف الشريف الذى ذكر آنفًا، كسترة بين محراب النبى وأساطين مسجد السعادة.

وأراد المرحوم «آقشهرى» من مؤرخى المدينة المنورة أراد أن يعين موقع محراب النبى ﷺ قائلاً: «بما أن صندوق المصحف الشريف فى مكان المصلى النبوى يلزم أن يكون المصلى النبوى أمام المكان الذى يؤدى فيه أئمة عصرنا الصلاة والمكان الذى يؤدى فيه الأئمة فى عصرنا يقع فى الجهة الخلفية من مصلى النبى ﷺ، إلا أن قوله هذا ورأيه لا يسلم من الخطأ بالنسبة للأقوال الموثوقة الأخرى.

وفى الواقع لا ينكر أن بين محراب السعادة والقبلة يعنى جدار المحراب العثمانى فاصلة بمقدار عشرين ذراعًا وستة أصابع إلا أن هذه الفاصلة أضيفت بعد وفاة سيد البشر، وإذا ما نظر بدقة إلى تلك الفاصلة يحكم أن محراب السعادة فى مكانه القديم، لأن صندوق المصحف الشريف سالف الذكر كان فى مكان جدار القبلة القديمة، وقبل هدم هذا الجدار كان عرض المسجد الشريف واحدًا وعشرين ذراعًا وثمانية عشر أصبعًا.

وقال الإمام السمهودى فى كتابه الذى ألفه عن تاريخ المدينة والذى رأى لبنات الجدار القديم عند زيارته: «كان سمك جدار المسجد القديم الذى كان بين جدار المسجد الجنوبى والمصلى اللطيف أكثر من ذراع ونصف ذراع وبعد أن هدم الجدار المذكور أصبح عرض المسجد الشريف عشرين ذراعًا ستة أصابع ورفع صندوق المصحف الشريف فوق أساس هذا الجدار» وبهذا بين سمك الجدار الذى صنع فى عصر السعادة، وعرض مسجد السعادة فى أثناء هدم هذا الجدار وإذا ما أضيف إلى العرض الذى يصل إلى عشرين ذراعًا وستة أصابع سمك الجدار يكون العرض فى هذا التقدير واحدا وعشرين ذراعًا وثمانية عشر أصبعًا بالتمام.

إن تعريف الإمام السمهودى يعين لنا الموقع المنيف الذى أدى فيه إمام محراب الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ صلاته إذا ما وقف شخص جاعلاً باب المنبر المنير فى محاذاة منكبه الأيمن واستقبل محراب السعادة فالفاصلة التى تبقى بينه وبين

محل الجدار القديم هو المكان الذى أدى فيه النبى ﷺ صلاته، والمنبر الشريف الذى ذكر هنا هو المنبر القديم وهذا المنبر مع الإفريز المصنوع من حجارة أساس الحفرة على شكل حوض وعلى يمين هذا الإفريز ثلمة وعلى ويساره ثلمة وفوق هاتين الثلمتين آثار الرصاص وهما مكان التقاء أعمدة المنر المنير القديم.

نظم

عنـــد الصــــلاة ولِّ وجهــــك شـــطر المحـــراب..
وعنـــد الدعـــاء نكّـــسِ الـــرأس نحـو التـــراب..
انحـــنى منــــه حـــاجب ذات الوجــــه الجـــميل..
وبـدا الهـلال وهـو يجعـل سـمت مرقاتـه إلى العرش فى السماء..
وعـــلى العـــرش والـــكرسى عـــرشـه شـــــاء..
فـــى تـــلك اللحظـة لا تعقـــل لســـانك فـــى بـــكائك..
افتـــح شفتـــيك وفـــى شـــوق تـــرنم بغنائـــك..

السلام عليك يا خير الخلق.
السلام عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين.
السلام عليك يا سيد الخلائق أجمعين.
السلام عليك يا رسول الله.
السلام عليك يا من دنا فتدلى وكان منزله قاب قوسين أو أدنى.
السلام عليك يا من ذا الذى ما زاغ البصر وما طغى.
السلام عليك يا من أوحى إلى عبده ما أوحى.

السلام عليك ما جَدَّ الجديدان واختلفت الألوان والقطران واستقبل الفرقدان(١)، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين.

«فتوح الحرمين»

(١) هما نجمان متجاوران أحدهما: النجم القطبى، وهو قريب من القطب الشمالي، ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به، وهو المقصود فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة النحل / ١٦). المعجم انظر: الوجيز (فرقد) وغيره.

في تعريف جزعة مسجد السعادة والمحل القديم لمحراب النبى ﷺ.

كان فى الجهة الجنوبية لصندوق المصحف الشريف قبل أن يحترق المسجد النبوى لوحة[١] مصنوعة من الخشب تسمى «جزعة»[٢] وكانت كبيرة، وكان يطلق عليها في تلك الأوقات «خرزة فاطمة الزهراء» وتعود الرجال والنساء أن يجتمعوا خلف تلك اللوحة وكانت تقع بعض الأمور غير اللائقة.

وكانت امرأة تستند على هذه اللوحة فوقعت وانكشف مكان عورتها ومن هنا رفع زين الدين أحمد بن المصرى من أفاضل المجاورين الذى كان يشتهر باسم «ابن حنا» هذه اللوحة وهكذا منع من حدوث هذه الأشياء الغير لائقة خلفها وذلك فى سنة (٧٠١) هـ.

وكانت لوحة فضية سميكة على جدار محراب السعادة فى ذلك الوقت وكانت فى وسط هذه اللوحة مرآة جذابة، يروى أن هذه المرآة كانت ملكًا للسيدة «عائشة»، وكان فوق تلك اللوحة رخام مذهب وفى جهة ما من هذا الرخام «حدبة» فى حجم رأس الطفل وتحت الحدبة رخام منحوت ومصقول وعلى قاعدته وتر مغروس كان النبى إمام محراب الشريعة ـ عليه أعظم التحية ـ يتكئ عليه ويستتر بعد إتمام الصلاة، وبعد الحريق الثانى وسع محل المحراب القديم وغير وبدلوا المكان المقدس الذى أمام الصندوق الذى احتوى على المصحف الشريف وركزوا مكانه محرابًا مرتفعًا منحوتًا من الرخام وذلك فى سنة (٨٨٨)هـ وكان يقتضى إبقاء هذه الأماكن على حالها تعظيما لها إلا أن «شمس بن زمن» الحقير غير أكثر الآثار وبدلها ووضع مكانها المحراب الجديد.

---

(١) وكان الذين فى الجهة الشامية من هذه اللوحة لا يرون ما يجرى خلفها.

(٢) يقال الخرزة للمجوهرات مثل: ياقوت، زمرد، الماس، والخرزات اليمنية..

إخطار

إن العثور على المحراب القديم لأداء ركعتى التحية أمام محراب الملكوت وزيارته يقتضى الوقوف على الجهة اليمنى لمحراب النبى الحالى وجعل منكبه الأيسر فى محاذاة المحراب الشريف الأيمن.

وكان يلزم أن تؤخذ مبانى محراب السعادة إلى جهة المنبر المنير فأخذت وسحبت ناحية قبر السعادة وكان سببا فى هذا الخطأ تعنت شمس بن زين باجهل والذى كان أمين البناء بعد الحريق الثانى لمسجد السعادة.

بما أن المسافة بين المحراب الجديد والمنبر القديم أربعة عشر ذراعًا وشبرًا وكذلك المسافة بين الطرف الشرقى من أسطوانة التوبة ومنبر السعادة الحالى أربعة عشر ذراعًا وشبرًا فالذين يوفقون فى أداء الصلاة طبق التعريف السابق لاشك فى أنهم سيؤدون الصلاة فى الموقف النبوى لأن المسافة بين الحجرة المعطرة والمصلى النبوى ثمانية وثلاثين ذراعًا والمسافة بين المصلى الشريف ومنبر السعادة أربعة عشر ذراعًا وشبرًا يثبت أن المحل المذكور آنفًا مصلى النبى وبهذا يظل التغيير فى الجهة الشرقية فقط.

وبناء على هذا التعريف يلزم أن تكون المسافة بين قبر السعادة والمنبر المنير اثنين وخمسين ذراعًا وشبرًا وبما أن سمك قاعدة منبر السعادة ذراعان وثمانية عشر أصبعًا وإذا أضيف مقدار هذا السمك إلى المسافة ما بين قبر السعادة والمنبر المنير تكون المسافة بين القبر الجليل ومنبر الرسول خمسة وخمسين ذراعًا. وكان هناك عمود قريب من جدار القبلة قبل الحريق الثانى، وصندوق المصحف الشريف الذى تكرر ذكره مرات كثيرة كان خلف هذا العمود وكان الزوار الكرام يذهبون إلى أن هذه القطعة الخشبية قد انتحبت لفراق محبوب الخالق وأنها بقية «جذع النخلة»، ولأجل ذلك يحرصون على زيارته زيارة خاصة ويمسحونه بأيديهم.

هناك من يدعى أن ذهاب الزوار هذا خاطئ إلا أن الذين يخطئونهم هم المخطئون، لأن قطعة من النخيل أوصلت بالرصاص قد ظهرت بين الأساطين.

وإن ادعى مجد الدين اللغوى قائلاً: «إن قطعة النخلة التى يزورها الزوار ليست قطعة النخلة التى يظنونها بل أنها قطعة عادية من الخشب الذى ركز ليكون علامة على مصلى النبى، وقلعها» عز بن جماعة سنة (٧٥٥) وأراد بهذا أن يخطىء الزوار الذين يظنون أنها قطعة من النخلة المذكورة إلا أن العلماء الذين وجدوا فى عصر «عز بن جماعة صدقوا ما ذهب إليه الزوار» وقال «هذه القطعة من العمود من قطع النخلة التى أنتجت فى عصر السعادة» كما أثبتوا أن قطعة من اللبنة التى ظهرت فى أثناء تجديد مسجد السعادة من بقايا المبانى التى صنعت فى حياة النبى ﷺ.

تنبيه

كانت هناك فاصلة بين المكان الذى يصلى فيه سيد العالمين والجدار القبلى الذى بنى فى عصر النبوة تسمح بمرور شاة وإن هذه الفاصلة كانت المكان الذى يظل فى أثناء السجدة وبناء على هذا التعريف فالفاصلة بين النبى ﷺ والجدار وهو قائم كانت فى وسع ثلاثة أذرع، ومن هنا يقتضى للذين يريدون أن يؤدوا الصلاة فى محراب النبى تبركًا أن يتركوا فاصلة تسمح بالسجدة بين رءوسهم وجدار محراب السعادة. وقد كتب على حجر رخام منقوش من الطرف الأيمن من المحراب النبوى عبارة «هذا مصلى رسول الله ﷺ» وفوق هذه العبارة يعنى فى الجزء الأعلى من طاق المحراب الشريف خارجًا منه وبدءا من وسطه وسائرا من فوق الكمر إلى وسط الطرف الأيسر منه الآيات الشريفة «بسم الله الرحمن الرحيم».

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. (البقرة: ١٤٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (الأحزاب: ٥٦).

وفى الوسط الداخلى للمحراب المقدس سطر الآية المنيفة بخط قديم جلى مذهب.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (التوبة: ١١٢).

والآية الكريمة «التائبون الحامدون» بدأت من اليمين واتجهت إلى اليسار فى شكل مرتب.

وقد كتب فى أعلى طاق المحراب الشريف المذكور بخط غليظ جميل الآية الكريمة ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ (آل عمران: ٣٧) وعلى الطرف الأيسر منها الحديث الشريف قال النبى عليه الصلاة والسلام: «الصلاة عماد الدين» وفى اتصال هذا الحديث العبارة المنجية «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» وفوق الأسطوانة المخلقة المتصلة بالمحراب المسعود عبارة «هذه الأسطوانة المخلقة» وفى مكان مواجهة جدار محراب السعادة والجهة الجنوبية منه كتبت عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد؛ أمر بعمارة هذا المحراب الشريف النبوى العبد الفقير المعروف بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، خلد الله ملكه بتاريخ شهر ذى الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية».

وقد كتب فوق الباب المشبك المصنوع من النحاس والذى يفتح إلى الروضة المطهرة والذى يقع فى الجهة اليمنى من المحراب الشريف بخط جلى «قال النبى عليه الصلاة والسلام إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»، وفى الطرف الجنوبى للباب الذى ينظر إلى المحراب العثمانى وفى الجهة القبلية من الباب كتب الحديث الشريف «قال النبى عليه السلام؛ ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى» كما كتب على الباب الصغير النحاس المشبك الذى ينظر إلى الروضة المطهرة وباتصال الجهة اليسرى من الحديث «قال النبى عليه السلام؛ ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» (حديث شريف) وفى الطرف الجنوبى لهذا الباب

والذى ينظر إلى المحراب العثمانى المركوز فى الجدار الجنوبى لهذا الباب كتب الخبر الصحيح اللطيف «قال النبى ﷺ: من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى» (حديث شريف) بخط فى غاية الجمال والذى يجذب الأنظار إليه أنه قد كتب بخط جميل ومقبول، وكل الخطوط مطلية بذهب خالص العيار.

وقد حصلنا على نسخة من القصيدة الوصفية التى تحتوى على محاسن مسجد السعادة وآثاره المسعودة ومدائحه والتى ألقاها إبراهيم كاظم باشا من أجلة شعراء العصر فى مواجهة العتبة النبوية ورأينا تذييلها لهذه الصورة تبركا بها.

نعت شريف

بـــاركَ الله أيُّهـــا المعبـــدُ يـا مـن عنـد العـرش عتبتَـك

لا أوحـــش الله أيهـــا المكرم وفخـر الدنيـا روضـتك

أنـــت مســـجد ولـــكنك قبـلة الكعبـــة وبابـــــك

تحســـد الشـمس حـــلقته كمــا تحسـد السماء طاقتك

إنــك روضــة ولـكن النـار بجانبها تبدو وشـيكًا للعيان

إنهـا شـعلة شـجر تجـلى ورد روضـــة الـلا مـــكان

يـــا لهـــا مـــن ريـــاض إلهيـــة وتـــرابها الأقـــدس

يفخر العرش بوجوده من تراب الأرض إنها أرج الجنة

وســـيل دمـــع العـــين العاشـــق الولهـــان

شـــمعة تحـــوم روح جبـــريل حولهـــــا

والملائـــكة شـــوقًـــا إلـــى إيوانهـــــا

جـــواهر أرواح الخلائـــق فتـــات فيهـــــا

ويـــداس النـــاس كالرمـــال فـــى ســـاحتها

جامـــع حـــكمة لمحـــرابه أركـــــان

تقوست كأنها حاجب الحسان

لا يبلغ الروح الأمين ارتفاع المنبرين

إن الأفلاك والعقول تعدها مرقاتين مرقاتين

كأن شجرة الطور كل سارية ومغارة

تقدم لأهل العشق للتجلى أمارة

إنها برعم اللاهوت وليست قبة خضراء

لقد جعلها الله من شجرة الورد تشع الضياء

ما عسى أن أقول فى محشر الأرواح وكيف أصف

فى كل موضع منه إنسىٌ وجنىٌ معتكف

الفرق بينه وبين الجمع والانتشار

فالجمع فى المحشر يومًا وفيه خمس مرات

ليس ما يظهر فى أيامه زجاج بلورى

عين الملائكة إليه ترنو

كل مؤذن فيه بلبل يسجع سجعا

ويقول الله أكبر من ألقى إليه سمعا

تمزقت صدورهم واضطربت قلوبهم لمكنسته

وشعر حور الجنان مثل قلبى من الغبطة والحسد

على سقفه هل أنارت قباب

أم أنها على لجة القدرة حباب

الزفرات تحت قلنسوته إلى العرش تصل

وكأن روح المولوى كل شمعدان مشتعل

كلا بل إن كل شمعة جرح فى جنان

إن يـــد كــليم الله البيضـــاء تبـــدو للعيـــان

إن العليـــل ريحاهـــى أصـــل أنفـــاس المســيح

والوصـــال فـــى الهـــوى أصـــل للـــروح

إن فــــى دلـــو لبئـــر للشـــمس محـــوهـا

إذا مـــا أبـــدت فـــى الفـــلك خيـط شـعاع لهـــا

هديـــل حمامـــة يشـــنف مـــن الحـــور الآذان

ولوحـــة الرخـــا يثيـــر غيـــرة الجنـــان

مـا ضـر لـو كـانت أعـز مـن الـروح ذرة من ترابـه

إن ســـيد الـــكون والمـــكان فـــى رحابـــه

إنـــه مـــلك الدنيـــا يتـــبوأ سريـرهـــا

ولـــروح موســـى عصـــى يحرســـه بهـــا

ســـيد الدنيـــا ذلـــك العظـــيم

الـــذى وصـــف صفاتـــه الله الـــكريم

حبيـــب الله وجـــوده الأكـــرم الأمثـــل

وهـــو للإنـــس والجـــن موئـــل

لـــه سجايـــا عنـــد الله علمـــت

وفـــى اللـــوح المحفـــوظ بالقـــلم رقمـــت

مـلك تاجـه «لـى مـع الله» وســـلطان الديـــن

عبـــد مـــلك ماســـوا والرســـول الســـعيد

نـــور أوج الهدايـــة ومشـــرق نـــور الظهـــور

وعلـــة خـــلق مرايـــا فيهـــا للجمـــال ســـفور

فخـــر الأمم وســـيد المرســـلين

الرســـول الأكـــــرم خـــــاتم النبـــيين
أحمد الرسـل مـلاذ الأنبيـاء الـذى جعـل ذاتـــه
تحمـــل لوجـــــه الحـــــق مرآتــــــه
القابـــض بيـــده عـــلى قـــاب قوســـين
ومـــن يرمـــق وجهـــه عـــلى الـــدوام بالعـــين
مـــن الحـــق إن للماهـيـــة مـــاء جوهـــر
فيــــــــــــــه الله أمـــــــــــــر
لعلـه الطـاهر عـلى خيمـة العـرش هـلال يمتـد
وأثـر قدمـه لعـين روح الملائـكة مكحـلة الأسـمر
إذا أثـــر مـــاء لطـــف شـــربة فـــى النـــار
أصـــبح أصـــلا لحيـــاة الخـــلود كـــل الشـــرار
أمـــا إذا وقـــع عـــلى المـــاء شـــرار قهـــره
أصـــبح حبـــاب المـــاء تـــنور يقـــذف بنـــاره
وإن كـــان لمـــكنته فـــى إقلـيم العـدم سـحاب
أصـــبح جنـــــات ذلـــــك اليـــباب
وإذا مـــا بلغــــته منـــه بعوضـــا أعـــــان
كـــان لهـــا حـــكم الدنيـــا كســـليمان
وإذا مـــا نظـــر إلـــى بلبـــل حزيـــن السـر ليـــل
كـــان لنواحــــه مـــا لصـــــور إســـرافيل
مـــن نظـــر إلـــى جبـــينه وحـاجبـــه وأهدابـــه
رأى سـر الحـكمة فـى غورهـا والعـقل فـى لبابـــه
وإذا شـــاء أن يـكون لحـكمه صـفة الأضـداد فـى آن

بـــدا مـــــن ذلــــك تقلبـــــات الزمـــــان

هـــذا مـــا لشـــمس عدلـــــه مـــن آثــــار

فبـكل شـــعاع منـــها لمـــلك تدهـــــور وانهـــيار

للبلبـــــل موئــــل مـــــــن شــــوك حولـــــه

ويحمـى الشـمع مـن الريـح زجـاج مصبـاح حولــه

لقـد ألفـت إلــى مـالا يتناهـى مـن بعــد الصــحراء

يــد قدرتــه إذا مـا قدمت الكرة بالصولجان فى الهواء

يـــا رســــول الله لـــك الجمـــال مـــع الجـــلال

همـــا ربيـــع بـــلا خريـف وشـمس بــلا زوال

يـــا رســـول الله يــا مــن أنــت نَـبِىٌ آخـر الزمــان

بعثـــك رحمــــــة للعالمـــــــين الرحــــمان

إن نـــور وجهـــك مصبـاح محفـــل الكبريـــاء

غــدا نـــراك ووجــــنتك هـــى لـؤلـؤ الضــــياء

إذا وقــع غبـار مكحلتــك فـــى عـــين عـليـل

بــدت صــورة السـر الخفـــى برقـا فـى مرآتـــه

إذا اشتاقـــــت عينــى الباكيــــة شـــــفتك

بحـرا ومعدنـا للجواهـر واللآلـى مـع الدمـع صنعت

لا تحسبن أن قوس قزح يظهر بظهر المجرة فـى المسـاء

عبــــدك مقيــــد العنـــق هـــــو الســــماء

إذا مـــــا بـــــدا الهـــــلال فـــى الســـماء

فإلــــى هــــــلال حـــاجبــك الإيمــــاء

لا يبـــدو فـــى صـــدرى جـــراح منـــك بالسنان

وإن كـــان جـــرح فـــم فيـــه ألـــف لســـــان
حبـــذا ســكير العشـق الـذى لا يعـرف لــه صـهباء
ســــوى دمـــاء يزرفهـــا فـــى البـــكاء
وددت لـــى صديقًـــا أفضـــى إليـــه بســـرى
ما عسى أن أصنع إن سرى لا يفشو ولو انقضى عمرى
إن ألـــف جبريـــل فـــى ركابـــك مقيـــدون
أمـــا أنـــا فيوســف فـــى أســـرى المســـلمين
إن كـــاظم ســوف يبقـى إلـى آخـــر الزمـــان
مـــا دام وجـــد مـــرة مـع هـــذا القمـــر الاقتـران
رحـــماك يـا رسـول الله أعنى فلى زورق مـن أفـــار
تتقاذفـــه الأمـــواج فمالـــه مـــن قـــرار
مـــن شـــر هـذه الدنيـا التفـكر فـى هـول يـوم الحشر
وضـــيق ذات اليـــد مـــن ذلك الطـــالع الأنـــكد
لا يتحصـــل مـــن كـــل غـــمك وهـــمك مـــن نـــفع
لـــو اختلطـــت قطـرة المطر بـذرات العـالم أجـــمع
ارمقـــنى بنظـــرة مـــن رحـــمات
حتـــى يثـــير حـــالـــى غيـــرة حـدائـــق الجنـــات
تم الكـــلام وحـــان وقـــت للدعـــاء
فابســـط حجـــراً لحـاجتـــى والتجائـــى
مـــا دام نـــور الحـــق يتـــلألأ فـــى روضـــك
فالملائـــكة عـــلى الـــدوام تطـــوف بمســـجدك
يســـر العفـــو والغـــفران لأمـــتك
ولتســـعد وتقـــر عيـــنا بوصـــلك

تبين سبب تأسيس منبر مسجد النبى وصورته وجزع ونحيب النخلة[1].

لما كان مسجد المدينة الشريف خاليًا من المنبر لإلقاء الخطبة كان مؤسس مبانى الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ يقف طويلاً على رجله فى أثناء إلقائه الخطبة ويتعب كثيرًا، وتأثر الأصحاب الكرام من هذه الحالة فأتوا بنخلة وركزوها فى المحل الذى يلقى فيه خطيب منبر الرسالة ـ عليه أسنى التحية ـ ورجوه أن يتكئ عليها فى أثناء إلقائه الخطبة، وبعد فترة ألح أحد النجارين من المدينة المنورة وهو «باقوم الرومى» من عبيد سعيد بن العاص، لتميم الدارى من الصحابة والذى كان من معارفه وقال: «إذا أمكن الحصول على إذن من الرسول ﷺ لصنعت له منبرًا» وهكذا أومأ بأنه مستعد لصنع منبر لمسجد السعادة وعرض تميم الدارى الأمر على الرسول ﷺ واستحصل منه الإذن على أن يكون المنبر المصنوع ذا ثلاثة أرجل أو أربع وبعد صنعه عرضه على النبى ﷺ فأعجب به وأصبح منبره وصعد عليه لإلقاء خطبه.

وإذ ابتدر الرسول ﷺ فى إلقاء الخطبة صاعدًا على المنبر، فالنخلة التى استند عليها من سنين أخذت تنتحب وتصيح كالناقة التى فقدت وليدها وبعد فترة ما سقطت على الأرض وكادت أن تكون ألف قطعة.

وحينما رأى شفيق الكائنات ـ عليه أفضل التحيات ـ حالة النخلة هذه نزل من المنبر الجديد ودعا تلك النخلة واستجابت النخلة سالفة الذكر للدعوة النبوية شاقة الأرض فمسها بيده الشريفة المعجزة وأمرها أن تعود إلى حالتها الأولى فاستجابت لأمره ـ عليه السلام ـ ورجعت إلى مكانها الأول ووقفت معظمة الرسول فخاطبها الرسول قائلاً: «أيها النخلة! أين تريدين أن ترجعى إلى الحديقة التى قطعت

(١) انظر فتح البارى الحديث ٣٥٨٣ ـ ٣٥٨٥ وشرحه من كتاب المناقب.

منها؟ أم إلى رياض الفردوس، حيث تغرسين فى واحدة منها؟ فخيرتك فى اختيار أحد الأمرين، إذا أردت مكانك القديم أعيدك هناك! لتنمين وتكبرين وتثمرين كما كنت من قبل أما إذا أردت رياض الجنان أغرسك فى فردوس النعيم، حتى تستفيدى من أنهار الجنات وتجددين شبابك فى كل آن وتثمرين فيأكل من ثمارك أولياء الله» وبعد أن قال ضاحكًا «نعم قد فعلت»، فدفنها تحت المنبر الجديد وعلى قول على الجهة اليسرى منه أو فى المحل الذى كان مغروسا فيه.

مثنوى

قال النبى أيها العمود ماذا ترغب
قال قلبى من فراقك قد تلهب
منى لك عرشًا طلبت
وعلى منبرك عرشًا صنعت
تريد لك نخلة تزرع
وفى الشرق والغرب ثمرها يجمع
قال أريد أن يدوم لها البقاء
اسمع أيها الغافل لا تكن أدنى من البلهاء
فدفن هذا العمود فى التراب
ليبقى فيه إلى يوم الحساب

إن راوى هذه القصة المليئة بالعبر الحسن البصرى، يروى أن الأصحاب الكرام قد تعجبوا من قول النبى ﷺ «نعم قد فعلت» وسألوه عن تفسير ذلك، فأجابهم قائلاً: «إن ذلك الخشب الجاف قد اختار الجنة، وإننى وعدته بأن أسعفه فى تحقيق طلبه»، وكان حسن البصرى يبكى وهو يزين لسانه بالمقال الآتى: «يا عباد الله الذين فطرهم بالعقل والشعور! بينما تنتجب الأشجار الجافة لمفارقتها الرسول ﷺ، بينما نحن من أمته!! هل يليق بنا أن نظل ملتفين بستائر الغفلة».

وكانت تلك القطعة من النخلة فى يمين محراب النبى ﷺ وملتصقة بجدار القبلة، وفى وقتنا فى مكان قاعدة الشمعة التى على يمين محراب الأئمة.

وإن كان يروى أن هذه القاعدة توجد فى الجهة الجنوبية منها أسطوانة وهى فى مكان قطعة النخلة المذكورة إلا أن هذه الرواية غير صحيحة.

ويعرف المحدثون الكرام هذه الواقعة بحنين الجذع والجذع هو جسم الشجرة ابتداء من جذورها إلى فروعها، والحنين هو الأنين من شدة الشوق، وقد روى هذه الواقعة تسعة من الصحابة مثل أبى ابن كعب، جابر بن عبد الله، أنس بن مالك، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، سهل بن سعد أبو سعيد الخدرى، أم سلمة والمطلب بن أبى وداعة، أى أن الوقعة قد نقلت متواترة، لذا فلا شك فى صحتها.

استطراد

وقصة حنين الجزع وصورة وقوعها ذكرها الإمام البخارى[1] والنسائى والإمام أبو ـ داود عليه رحمة الله الودود ـ ناقلاً عن جناب جابر رضى الله عنه الذى قال: كان النبى ﷺ إذا خطب اتكأ إلى جذع من سوارى المسجد، فلما صنع المنبر فاستوى عليه، صاحت النخلة التى كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق فنزل عليه السلام حتى أخذها فضمها إليه، وكانت تئنّ أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت، قال النبى ـ عليه السلام ـ بكت على ما كانت تسمع من الذكر.

وقد صدقت الرواية بهذا الحديث الشريف يعنى أن حضرة جابر قال وهو يبسط تلك القصة بينما كان النبى ﷺ معلم العالم يخطب مستنداً لإحدى أساطين مسجد السعادة وهى جذع نخلة وكان يتحدث عن الأوامر والنواهى الشرعية وأحكامها ويوصلها إلى مسامع المسلمين، ولما توسطت شمس الإيمان كبد السماء وماج بحر حقائق الحكمة ودخل قبائل العرب والعجم بناء على السر الجليل الذى يقول «يدخلون فى دين الله أفواجا» واقتحموا شعار الإسلام وبعد ما كانت الفرقة الناجية المؤمنة قطرة فأصبحت بحراً وبعد أن كانت ذرة أصبحت شمساً

(١) فى كتاب المناقب الحديث، ٣٥٨٣ ـ ٣٥٨٥، باب علامات النبوة فى الإسلام.
فتح البارى ٦/ ٦٩٦ ـ ٦٩٨ ط. الريان.

وهكذا تزايدوا وكثروا فأصبح الذين يظلون فى آخر المسجد النبوى من البررة الكرام لا ينالون متعة رؤية وجه النبى الجميل ويتمتعون بصوت النبى ﷺ ويحرمون من فوائد فرائد ألفاظ حبيب الإله وذلك لشدة الزحام فصنعوا منبراً جديداً فصعد النبى ﷺ فوق المنبر وجلس عليه، عندئذ صاح العمود صيحة حنين حينًا وأن أنينًا آخر حتى كاد أن ينشق قطعتين وسمع أهل المجلس صيحة الجزع الأليمة بآذانهم، ونزل النبى ﷺ من المنبر رحمة بحال العمود الحزين وضمه بصدره وعانقه بكل رقة وشفقة. ومن هنا أخذ الجزع يبكى ويئن كصبى صغير وفى آخر الأمر سكن من تسلية الرسول ﷺ له كما يسكت الطفل عندما يسليه أبوه وأمه وانقطع عن الصيحة والأنين وبناء على خطب الرسول ﷺ فى أصحابه الكرام قال يا أمتى وأصحابى! قد أن هذا العمود وبكى لأنه تأثر من مفارقته ما سمعه من الذكر والتسبيح الخاصين بالأوصاف الإلهية. انتهى.

هذه المعجزة من المسائل المشهورة والمصدقة بين الأئمة. قد حكى مؤلف المناقب الشافعية ابن أبى حاتم نقلاً عن والده عن عمرو بن سَوَّاد عن والإمام الشافعى أن الإمام الشافعى قال: «إن النبى الأكرم قد أعطى الله له من المعجزات ما لم ينعم به على أحد من الأنبياء» وحكى ذلك فى صورة مفصلة. يقول عمرو بن سواد: «كنت قد قلت أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد أعطى معجزة إحياء الموتى» قال الإمام الجليل «وقد أنعم الله على النبى ﷺ بمعجزة حنين الجزع حتى سمع صوت الجذع، وهذا أكبر من معجزة إحياء الموتى»(1).

قد روى بكاء الجزع وأنينه وصيحته بسبب فراقه الأليم للنبى ﷺ، سواء أكان المؤرخون أو العلماء الذين شغلوا أوقاتهم من أئمة الحديث بنقل الأخبار النبوية وإخراجها، يعنى أن الأصحاب الكرام ـ رضى الله عنهم ـ الذين حضروا أحداث القصة المشروحة فى يوم وقوعها وسمعوا بآذانهم حديث حنين الجزع كأبناء البشر ونطقه وهو يعرض حاله للنبى ﷺ وأقاموا على ذلك بينة عادلة إلا أن زمرة

(1) انظر: فتح البارى ٦/٨٩٨.

المعتزلة والفلاسفة حملت حديث الأحجار والحبوب، والأشجار والنباتات على المجاز وتجرءوا على تأويل معجزة حنين الجزع وقالوا إن حنين جذع النخلة وأنينه قد أسمع للنبى ﷺ وأصحابه المختارين سماعا باطنيا وملكوتيا مع أن القول الصحيح سماع أنين ذلك العمود وصياحه ظاهرًا بالأذن، وبعض العلماء الذين يشغلون أنفسهم بتأويل هذا القول وتوجيهه ينكرون مثل المعتزلة والفلاسفة أن الجمادات والنباتات والحيوانات يعرفون الله ورسوله وأنها تسبح الله سبحانه وتعالى تسبيحًا حقيقيًا، لأن أكثر علماء الكلام الذين اختاروا مذهب المعتزلة والفلاسفة حملوا الكلام والصيحة اللذين ظهرا من الجزع على المجاز قطعيًا وقالوا، لم يكن فى الجزع شعور حتى يصدر منه صوت، يمكن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أظهر الكلام كمعجزة للنبى ﷺ فى ذلك الوقت، لأن النطق والكلام والتقديس والتسبيح والخوف والخشية فى حاجة إلى العقل والعقل فى حاجة إلى الحياة والحياة فى حاجة إلى اعتدال مزاج وجوارح وأجهزة مستعدة للنطق والكلام، وإن التسبيح فى قول الله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء / ٤٤) تسبيح بلسان الحال، وأولوا الخشية التى فى قول الله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤) إنها انقياد وطاعة بناء على فحوى أن الخشية مجاز عن الانقياد وحملوها على الانقياد كما حملوا ما صدر من عمود الحنان من صياح على المجاز.

مثنوى

قل ما تقول ما لم يكن من يعلمون
ولك أن ترد كل ما يقولون
ما أكثر هؤلاء المتشككين
وهم فى شكهم يعمهون

ومع هذا فقد رد أصحاب المشاهدة والمشايخ الصوفية كما بين فى تفسيرى معالم التنزيل، وأبى الليث ردًا قويًا على جماعات الفلاسفة والمعتزلة وأبطلوا تأويلاتهم فى هذا الخصوص وأظهروا الحقيقة.

مثنوى

فى مجلس وعظ يختص بالحاضرين
فيه ترى الشباب والشيوخ مزدحمين
وقع فى الحيرة أصحاب الرسول
من صيحة عمود ذى عرض وطول

وقد عَرف كاشف الأسرار مولانا جلال الدين الرومى وهو من كبار أهل المكاشفة والمشاهدة وبين فى كثير من مواقع كتابه المثنوى الشريف أن الجمادات والنباتات والحيوانات تنطق وتسبح وتهلل.

مثنوى

كما تعلم من يتجه بالخطا إلى الله اعلم
أنه من يقطع العلائق بينه وبين دنياه
كل من كانت له صلة بالله وجد
الحبيب وانقطع عن كل ما سواه

حكاية

قال أحد الأشخاص من كبار المشايخ لإخوانه حتى يبين لهم درجة فيكنون له من المحبة - بقدر إدراكهم وفهمهم - ويبين لهم ماهية المحبة فى الحقيقة ويرشدهم كلهم مرة واحدة: «إذا كنتم تحبوننى، اخرجوا لهذه الصحراء وهاتوا لى زهر الشتاء على قدر محبتكم لى»، وقد جمع كل واحد من الدراويش الذين خرجوا إلى الصحراء بنية خالصة لكسب محبة شيخهم ما استطاعوا وحملوه إليه. وقد أحضر أحد الدراويش غريب الأطوار وأكثرهم عشقًا وقلبه مكشوف وكبده محروق بنار الحب الإلهى نَبْتَةً واحدة جافة خالية من الرائحة وعرضها على

شيخه، وعندما قال له شيخه يا ترى أنك تحبنى بهذا القدر فقط؟ ألا ترى أن إخوانك أتى كل واحد منهم بحزم من الزهر؟، فقال له الدرويش: «يا سيدى إن الحقير يحبكم أكثر من جميع الإخوان، إلا أننى كلما مددت يدى لأقطف زهرة وجدتها مشغولة بذكر الله وتسبيحه ورأيت ذلك بعينى وسمعت بأذنى، ومن هنا خفت من أن أكون مانعًا فى الاستمرار فى تسبيحها وذكرها فلم أتجرأ على قطفها، وهذه النبتة التى تجرأت على تقديمها لك كانت قد فرغت عن التسبيح والتهليل فاصفرت وذبلت وجفت فأخذتها وأتيت بها!!!» وبهذا بين أن النباتات تسبح الله وتذكره وتنطق وهى حية فَصَّلَ ذلك. انتهى.

وخلاصة الكلام إذا أراد الإنسان أن يسمع نطق النباتات بأذنه حقيقة يجب عليه أن يرفع من نفسه الموانع المعنوية والحجب البشرية وستائر العقلانية وهو يسعى لمعاشه أن يزيلها من فوق أسماع روحه وأن يجرد بصيرته من غشاء الغفلة والعمى وغطاء البطالة والكسل وإلا فالذين قد سدت أسماع عقولهم بسدادة الغفلة فلابد وأن ينكروا ذلك السر الجليل حاملين ذلك على المجاز. انتهى.

استطراد

اختلف المؤرخون فى الشخص الذى صنع منبر السعادة وقال بعضهم «أنه من صنع معمارى الكعبة المعظمة باقوم»، وقال بعضهم صنعه نجار يسمى «ميمونة» وقال بعضهم صنعه عبد العباس، فقابله قائلاً: «بما أن حضرة عثمان بن عفان خليفة رسول الله ﷺ قد خلص من اختيار عمل مرهق صعب فمن هنا فله عليكم حقوق كثيرة! لو لم يكن عثمان بن عفان على الدرجة الثالثة من منبر خطيب الإسلام ﷺ الزم على ذات عظمتكم أن تخطبوا فى أسفل السافلين من قبر الأرض» وبهذه الإجابة الملح بأن طعن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - غير لائق؛ رحمة الله عليه رحمة واسعة.

في ذكر عدد المرات التي جدد فيها منبر السعادة وعدد المرات التي عمر.

ظل المنبر الشريف إلى عهد الحكم ابن أبى سفيان على الهيئة التى صنعها باقوم النجار، كما ذكر من قبل.

أراد معاوية عندما عاد من مكة المكرمة أن يأخذ المنبر الشريف إلى الشام بعد أن أضاف إليه درجتين إلا أنه لم يوفق فى ذلك، وأحد أسباب عدم نجاحه فيه بل سببه المستقل المهم هو كسوف الشمس؛ لأنه قد حدث كسوف مفزع، عندما أمر بفك المنبر الشريف وحله فأظلمت الدنيا حتى ظهرت النجوم فى السماء وتحولت مدينة الرسول إلى سجن مظلم واستولى الفزع والقلق على أهل المدينة وأخذوا يطلقون ألسنتهم ضد ابن أبى سفيان، وإذ رأى ابن أبى سفيان أن سكان دار السكينة سيقومون كلهم ضده وأن نقل منبر السعادة سيؤدى إلى شر عظيم وسيحطم القلوب، غير أفكاره بسرعة ومهد لها قائلاً: «ليس قصدى نقل المنبر الشريف إلى الشام! إذ رأيت بعض أجزاء منبر السعادة قد بليت بمرور الزمن، وخفت من سقوطه؛ لذا أردت أن أطهر وأسوى تحته وأن أصلح وأرمم أجزاءه التى مالت للسقوط والانهدام!!!» وبسط عذره بهذا الشكل فسكن من ثائرتهم وطمأن علماء المدينة بهذه الطريقة ثم قفل راجعا إلى الشام فى سنة ٤٩هـ.

وكان غرض معاوية من محاولة نقل منبر السعادة إلى الشام، بناء على قول ابن الأثير، هو أن يجافى أهل المدينة ويهينهم لأنهم تغافلوا عن قتل عثمان بن عفان وتهاونوا فى قتله، وحاول أن يأخذ عصا النبى ﷺ المحفوظة لدى سعد القرظى أيضًا، وكان أبو هريرة وجابر بن عبد الله قالا له لا يجوز انتزاع منبر النبى الذى وضعه بنفسه من مكانه إلا أنه لم يعر سمعًا لأقوالهما، إلا أن كسوف الشمس التى تنير العالم ـ كما عرف آنفًا ـ وظهور النجوم الزاهرة وانكشافها نهارا

جعله ترك التعرض لمنبر السعادة ولم يستطع أن ينفذ ما فى ضميره ومن هنا فهم أنه غير مصيب فى رأيه ومخطئ فى اجتهاده.

وقال بعض المؤرخين الذين ذهبوا إلى أن الذى أراد أن يقلع منبر السعادة من مكانه هو مروان بن الحكم.

أمر ابن أبى سفيان واليه فى المدينة المنورة مروان بن الحكم أن يقلع المنبر الشريف من مكانه وأن يرسل به إلى الشام وذلك من خلال الرسائل الخاصة، وقد فتح مروان ابن الحكم رسائل معاوية وقرأها وتجرأ أن يرسل بعض النجارين على أن ينتزعوا منبر السعادة من مكانه ليرسل إلى الشام، وذلك دون أن يخبر أحدا، إلا أن الجو اكفهر فجأة وأظلمت الدنيا حتى أصبحت العيون ترى عيونا كما أن عاصفة هوجاء ثارت وملأت قلوب الناس رعبًا فاستغرقوا فى بحار الهم والغم ومن هنا غير ابن الحكم رأيه بناء على هذا وغير الأمر الذى أصدره للنجارين وطلب منهم أن يضيفوا إلى المنبر ثلاث وعلى قول ست درجات وهكذا أوصل درجات المنبر إلى تسع درجات.

وأكثر المؤرخين على أن أحدًا لم يزد من درجات منبر السعادة قبل ابن الحكم كما أن أحدا من بعده لم يتجرأ على أن يقوم بهذا العمل المستكره وأثبتوا ذلك بإيراد أدلة مقنعة.

واستأذن المهدى العباسى الإمام مالك قائلاً: «إننى أريد أن أعيد المنبر الشريف لسابق عهده» وتصور أنه يستطيع أن يهدم الدرجات التى أضيفت من قبل مروان ابن الحكم وأراد أن يعيده لحالته الأولى على الهيئة التى صنعها باقوم النجار؛ إلا أنه قد تخلى عن فكرته هذه بناء على قول الإمام مالك: «قد صنع المنبر الشريف من خشب شجرة الطرفاء وسمر ما أضافه مروان على المنبر القديم» وبهذا قد أفهم المهدى أن ترك المنبر الشريف على حالته هذه لا يخلو من الحسنات، وبناء على هذه الرواية فإن الأمر يقتضى قبول الرواية الثانية وتصديقها، والتى مفادها أن مروان بن الحكم هو المتشبث بنقل منبر السعادة إلى الشام.

وقال ابن الأثير مبينًا أن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حاولا أن ينقلا المنبر الشريف إلى الشام إلا أنهما لم يوفقا فى ذلك، حينما أصبح عبد الملك بن مروان ملكا على بلاد الشام قام محاولا لنقل منبر السعادة إلى الشام إلا أن حضرة قبيصة بن ذؤيب قال له يا عبد الملك تذكر ما حدث فى عهد معاوية، وقرأ له الحديث الذى ورد فى حق المنبر الشريف.

وبناء على هذا تراجع عبد الملك عن فكرته هذه، وأراد الوليد بن عبد الملك أن يحقق فكرة أبيه فى أثناء حجه إلا أنه لم يوفق أيضًا فى مسعاه.

إن قاعدة منبر السعادة، الذى كان من اختراع باقوم ذراع مربع واحد وكان ارتفاعه ذراعين وكان له ثلاث درجات مع مقعده وتبتعد كل درجة عن الأخرى مقدار شبر واحد وفى الوسع شبرين وأضاف مروان بن الحكم فيما بعد لدرجاته ست درجات من الأسفل وبهذا ابلغ ارتفاعه إلى سبعة أذرع من حيث قاعدته كما أبلغ درجاته إلى تسع درجات؛ وبناء على هذا الحساب يلزم أن تصل درجات المنبر المنير مع مقعده إلى تسع درجات وارتفاعه إلى ستة أذرع، ولكن بما أن للمنبر القديم أساس طوله ذراع واحد فارتفاع المنبر ستة أذرع وطول سطحه ستة أذرع.

كان عرض باب المنبر القديم السعيد أى ما بين عموديه خمسة أشبار، وقد كسا مروان بن الحكم جميع درجات المنبر من جهاتها الأربع بخشب أبنوس فى غاية الرقة ما عدا الدرجة الثالثة التى كانت خاصة لجلوس النبى ﷺ، إذ غطاها بقطعة واحدة من خشب الأبنوس اللامعة كما رفع فوقها قبة حتى يحفظ مجلس النبى ﷺ من جلوس الآخرين.

والقباب المزينة التى ترفع فوق المنابر فى أيامنا هذه فكأنما للإشارة إلى الدرجة التى كان يجلس عليها صاحب الرسالة ﷺ.

قد قام الإمام البخارى «عليه رحمة البارى» بزيارة المنبر القديم الذى أعلى ارتفاعه وعمر درجاته مروان بن الحكم ذاتيًا وبين لأحبابه أن المنبر الشريف

محفوظ بألواح خشبية من الآبنوس وذكر لهم ذلك، وكان زوار تلك الأيام يحرصون على زيارة تلك اللوحة التى تشبه المسلة والتى وضعت فوق الدرجة الثالثة ويقتحمون المكان للتبرك، وهذا الحرص لاقتحام المكان يدل على أن المنبر القديم كان قد حفظ بألواح خشبية من الآبنوس.

وخلاصة القول بناء على تحقيقات المؤرخين ورواية الإمام البخارى وتعريفاتهم يثبت أن المنبر القديم قد رفع فوق المنبر الجديد الذى صنع فى عهد مروان بن الحكم، وقد أشرف المنبر الذى صنع فى عهد مروان بن الحكم على السقوط والخراب ومال للانهدام ومن هنا قد هدم حتى الأرض وجدد فى سنة ٥٧٨ هـ وقد صنع من قطع خشبه غير الصالحة للاستعمال أنشاطا وأرسل لأشراف المماليك والبلاد للتبرك بها.

قد وضعت لوحة خشبية أخرى فوق مستراح النبى فى المنبر المجدد وترك مكانًا مكشوفًا حتى يستطيع أن يتبرك به الناس وترك باب المنبر مفتوحًا أيام الجمع ليتبرك الناس بمستراح النبى وأغلقت بقية الأيام الأخرى، واحترق المنبر الشريف فى سنة ٦٥٤هـ مع مستراحه وظل المسجد الشريف بدون المنبر ومن هنا أرسل حاكم اليمن السلطان مظفر منبرًا جميلاً بعد سنتين من الحريق.

وكان للمنبر الذى أرسله الملك المظفر عمودان منحوتان من خشب الصندل فى غاية الجمال، وقد وضع اللآلئ مكان المنبر القديم وألقيت الخطب عليها ما يقرب من عشر سنوات، وفى سنة ٦٦٦هـ رفعوا هذا المنبر ووضعوا مكانه المنبر الذى أرسله «الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى».

وكان ارتفاع المنبر الذى أرسله ركن الدين البندقدارى أربعة أذرع وكان طوله يتجاوز سبعة أذرع وكان له تسع درجات وكان هذا المنبر بالنسبة للمنابر الأخرى ذات مميزات تستحق التقدير والثناء من وجوه شتى، وكان لهذا المنبر باب ذو مصراعين وفوق كل مصراع رمانة فضية وكانت الرمانتان تظهران فى داخل المسجد النبوى كجسمين فضيين محبوبين وكان فوق رمانة الباب الأيسر اسم صانعه وشهرته؛ وكان فى صحبة المنبر الشريف أحد صلحاء النجارين يطلق عليه

أبو بكر النجار حتى يضع المنبر فى مكانه ويركزه بالضبط، وكره هذا الشخص العود إلى بلاد مصر بعد أن وضع المنبر فى مكانه وظل فى المدينة المنورة إلى آخر عمره.

وقد وضع المنبر الذى أرسله ركن الدين البندقدارى فى مكانه ورصنت وأصلحت الأماكن التى تحتاج للترصين والإصلاح إلا أن أماكنه الملاصقة للأرض أخذت تَبْلَى فى سنة ٧٩٧ هـ وعلى هذا أرسل من قبل «الظاهر برقوق المصرى»[١] منبرًا فى غاية التزيين والترصيع وانتزع المنبر الذى أرسله «ركن الدين البندقدارى» من مكانه فى أواخر السنة المذكورة ووضع مكانه المنبر الذى أرسله «الظاهر برقوق» وبناء على هذا الحساب فإنه ما أمكن استخدام منبر ركن الدين البندقدارى الجميل أكثر من ١٣١ سنة.

وبعد أن وضع منبر «الظاهر برقوق المصرى» مكانه بثلاث وعشرين سنة أرسل «الشيخ المؤيد المصرى»[٢] منبرًا لطيف المظهر فرفع منبر برقوق ووضع مكانه منبر الشيخ المؤيد وذلك فى سنة ٨٢٠ هـ.

وكان المنبر الذى أرسل من قبل الشيخ المؤيد غاية فى جمال الصنعة ولا مثيل له ومزينًا وأجمل من المنبر القديم من حيث الصنعة ولكن لشدة الأسف قد احترق مع المسجد الشريف فى حريق سنة ٨٨٠ هـ وانمحى ذكره بعد وضعه فى مكانه لستين سنة.

وكان المنبر اللطيف سالف الذكر زاد ارتفاعا ستة أذرع وثمانية أصابع وكان طوله السطحى ثمانية أذرع واثنى عشر إصبعا وله تسع درجات وبين كل درجة فاصلة ذراع ونصف ذراع وكان موضوعًا فى جهة السور الخشبى الذى فى الناحية القبلية من الروضة المطهرة أى فى خارج الجدار القبلى الذى صنع فى عصر السعادة بثلاثة أذرع.

وظل مسجد المدينة بعد حريق ثمانمائة وثمانين مدة ست سنوات بدون منبر،

(١) هذا الشخص أول ملوك الشراكسة الذين حكموا مصر.

(٢) وكان الشيخ المؤيد رابع ملوك الشراكسة وكان معروفًا باسم الملك المؤيد الشيخ المحمودى الظاهرى.

وبما أن ملوك البلاد الإسلامية لم يرسلوا خلال هذه الفترة منبرًا ليوضع فى مسجد المدينة فبنى سكان دار السكينة فى مكان ما من المسجد منبرًا من اللبن ظانين أنه محل المنبر القديم وجصصوا داخله وخارجه وذلك فى سنة ٨٨٦ هـ وأخذ خطباء مسجد السعادة يخطبون فوق هذا المنبر، وبعد سنتين هدم هذا المنبر وقلع من مكانه وركز مكانه المنبر الذى أرسله «قايتباى» المصرى وبهذا تغير مكان المنبر الذى صنع فى عصر السعادة؛ لأن السلطان قايتباى المصرى كان قد صنع منبرًا حجريًا وأرسله، وذلك فى سنة (٨٨٨) هـ وقرر هدم المنبر الذى صنعه أهالى المدينة المنورة فى خلال شهر رجب الفرد من نفس العام، وحفروا الأساس ليوضع مكانه المنبر الجديد ولم يجدوا حيث حفروا أساس المنبر القديم فتركوا هذا المكان وحفروا مكانًا آخر؛ وظهرت بقية أساس المنبر القديم فى الجهة الشرقية من المكان المحفور للمرة الثانية، إلا أن القائمين لم يطمئنوا أن هذا المكان هو مكان الأساس القديم فتركوه وأمروا بحفر مكان آخر إلا أن علائم الأساس القديم لم تظهر فى هذا المكان أيضًا، وعلى هذا أصر شمس الدين بن زين متعمدًا على أن يوضع المنبر حيث حفر أول مرة أى فى المكان الذى بنى فيه أهل المدينة المنبر الترابى قبل سنتين مع أن أهل المدينة لم يفكروا فى التحرى عن أساس المنبر القديم كما أنهم لم يحاولوا بناء منبرهم على أساس المنبر القديم.

وقد أتى الإمام السمهودى بأدلة واضحة على أن المكان الذى حفر للمرة الثانية حيث وجدت بقايا الأساس القديم أنه المكان الذى وضع فيه باقوم النجار أساس المنبر الذى صنعه فى عصر السعادة، وبين أن المنبر الذى أرسله السلطان قايتباى المصرى يجب أن يوضع فوق تلك الحفرة وكسب فى هذا الصدد كثيرًا من المؤيدين له من العلماء إلا أن «شمس الدين بن زين» أصر على فكرته وتنفيذ رأيه الفج، وادعى أن أهل المدينة حينما بنوا منبرهم فى سنة ٨٨٦ هـ بالتخمين بنوه على أساس المنبر القديم، وعلى هذا يجب أن يوضع هذا المنبر فوق أساس منبر أهل المدينة ولن أتنازل عن هذا، وابتدأ فى تنفيذ رأيه وأمر بردم الحفرة التى أشار إليها الإمام السمهودى وركز المنبر فى المكان الذى حفر أولاً ثم ترك بناء على

الشك فيه، لأجل ذلك وضع المنبر الجديد بعيدًا عن أساس المنبر القديم بثلاثة وعشرين أصبعًا فى الجهة القبلية يعنى قد أدخل المنبر الجديد مقدار ٢٣ إصبعًا فى داخل الروضة المطهرة بناء على إصرار شمس الدين بن زين فضاقت ساحة الروضة المطهرة مقدار ٢٣ أصبعًا عن مساحتها الأصلية وخلاصة القول أن المنبر الجديد قد أدخل قدر خمسة أصابع من المنبر القديم إلى الجهة الشرقية من المسجد الشريف وضع طول المنبر الجديد السطحى أطول من طول المنبر العتيق قدر ثمانية عشر أصبعًا ومن هنا صغرت الروضة المطهرة قدر ٢٣ أصبعًا.

استخدم المنبر الذى وضعه السلطان قايتباى المصرى تحت نظارة شمس الدين بن زين ما يقرب من مائة واثنتى عشرة سنة ولم يتقدم أحد بهذه الفترة لصنع منبر آخر أو إرساله، ولكن السلطان مراد خان ـ عليه الرحمة والغفران ـ من السلاطين العثمانيين المعروفين بكثرة خيراته وميراثه أراد أن يقوم بخدمة خاصة بنية خالصة للمدينة المنورة؛ ولذا أرسل منبرًا مزينًا فى غاية الجمال والصنع وأرسل معه كثيرًا من النجارين المهرة والمهندسين المتفننين وأمر أن يوضع هذا المنبر مكان منبر السلطان قايتباى المصرى وأن يعمر ويجدد له ما يقتضى تعميره وتجديده من مسجد السعادة بهذه المناسبة.

وبين أهالى المدينة للسلطان أن مسجد السعادة ليس فى حاجة إلى التعمير والتجديد وإن كان تنفيذ الأمر السلطانى واجبًا على كل فرد إلا أن تجديد المسجد بدون مسوغ شرعى لا يجوز، إلا أن السلطان أمر مؤكدًا أن يوضع المنبر الجديد الذى أرسله فى المكان الذى عينه مطلقًا وأن تصلح الآثار الأخرى التى تحتاج التجديد والإصلاح ومن هنا قلعوا المنبر القديم ووضعوا مكانه المنبر الجديد الوارد من استانبول وذلك فى سنة ٩٩٨ هـ.

وكان للمنبر الذى أرسل من قبل السلطان مراد تسع درجات فى داخل بابه وثلاث درجات فى خارجه وكانت جملة درجاته اثنتى عشرة درجة ويصعد إلى

باب المنبر من الأرض بثلاث درجات وكانت ظلة علمه من الفضة وكان غطاؤه من جوخ أحمر وستارة بابه من الأطلس الأخضر.

بعد وضع المنبر الذى أرسل من باب السعادة فى مكانه نقل المنبر الذى أرسله السلطان قايتباى إلى مسجد قباء وبعد ما تم وضع ذلك المنبر فى مكانه، أصلحوا وعمروا المساجد التى تحتاج إلى الإصلاح وكذلك الأماكن المقدسة الأخرى، والمنبر الكائن الآن هو ما أرسله السلطان مراد خان ـ عليه الرحمة والغفران ـ من باب السعادة ومازال جديداً كأنه صنع اليوم.

قد جدد المنبر الذى صنعه وجدده مروان بن الحكم سنة ٥٧٨ هـ ومع ذلك جدد وبدل ثمانى مرات فى خلال ثلاثمائة وإحدى وسبعين سنة، وقد أرسل منبر السلطان مراد قبل يومنا هذا بـ ٣٠٣ سنة ومع ذلك ظل سليمًا متينًا وكأن النجارين قد انتهوا من صنعه اليوم، وإذا ما نظر لهذا يفهم مدى متانة هذا المنبر ورصانته.

إن المنبر اللطيف الذى أرسل ليوضع فى ساحة مسجد السعادة ذات الفيوضات بكل تعظيم وتوقير من باب السعادة صنع من رخام مجلى وحك أعلى طاقته هذا التاريخ بعبارة سلسلة.

أرسـل السـلطان مـراد بـن السـليم
مستزيـداً خيـر زاد للمعـاد
دام فـى أوج البـلاد سـلطاننا
آمنّـا فـى ظلـه خيـر البـلاد
نحـو رضـى المصطـفى صـلى الله عـلى
ربنـا الهـادى بـه كـل العـباد
منبـر قـد أسـست أركانـه
بالهـدى واليمـن مـن صـدق الفـؤاد

منبـــر يعـــلى الهـــدى أعــــــلاه

دام منصـــوراً لأصـــحاب الرشــــــاد

قــال سـعد ملهـماً تاريـخه سـلطان مـراد

منبــــر عمــــــر ســــــنة ٩٩٨

وبعد وضع منبر السلطان مراد فى موضعه تم نقل منبر السلطان قايتباى إلى مسجد قباء، وتمت إقامة مدرسة تقابل مسجد قباء ومدرسة أخرى بالقرب من مسجد الصديق، وتم بناء رباط وخصصت واردات كافية لمعاش سكانه، وبعد المحاسبة وجد أنه قد بقيت مبالغ كثيرة ورخام ولما تحقق ذلك استخدم هذا الرخام والعقود فى بناء محفل لمؤذنى حرم باب السعادة للتكبير محفلاً فى غاية الجمال فى سنة ٩٩٨ هـ.

إن مقصورة المؤذنين كانت مصنوعة من الرخام الخالص وبما أن مسجد السعادة كان خاليًا من المقصورة للمؤذنين فى ذلك الوقت، سر جميع مسلمى الأرض من بناء هذه المقصورة وقرءوا الفاتحة داعين للسلطان، ولما جدد والد السلطان كثير المحامد السلطان عبد المجيد بصورة أجمل من المقصورة سالفة الذكر أسس مكبرية من الخشب أيضًا فى سنة ١٢٦٧هـ.

والمقصورة الرخامية فى داخل الروضة المطهرة والمكبرية الخشبية فى نهاية الحرم الشريف، وإن كانت المقصورة الرخامية خاصة بالأيام العادية، والمقصورة الخشبية للتكبير خاصة بالمواسم وأيام الأعياد والحج إلا أنه فى الأعياد والمواسم يقوم المؤذنون بالتكبير فى كلتا المقصورتين ليسمعوا أصوات التكبير لجماعات المصلين كلهم.

إخطار

يطلق على الأماكن التى تمتد من صفة أصحاب الصفة إلى المئذنة السليمانية ومن هنا إلى المئذنة المجيدية ومن المئذنة المجيدية إلى باب الرحمة، تحت القبة وقد زينت نوافذ هذه وجميع القباب بالزجاج الملون ليمنع دخول المطر والغبار

وتركت أطراف بعضها مكشوفة لدخول الضوء والنور وكلها قد صنعت فى صورة محكمة رصينة قوية.

بدل الخلفاء العباسيون ستارة باب منبر السعادة وأعدوا ستارة من الحرير الأسود المنسوج واتخذوا تعليق الستارة السوداء عادة لهم، واستصوبوا ترك الستارة معلقة ليلاً ونهاراً وتركوا إجراء ذلك لشيخ خدم الحرم الشريف؛ وبعد ذلك تذكروا الحادث الذى وقع فى أيام عبد الله بن الزبير وقرروا أن تعلق الستارة فى أيام الجمع خائفين من وقوع تلك الحادثة مرة أخرى؛ لأنه حدث أن سرقت امرأة فى عهد عبد الله بن الزبير ستارة المنبر الشريف وأقيم عليها الحد الشرعى وقطعت يدها.

اعتاد البغداديون تجديد ستارة المنبر الشريف وكانوا يرسلون ستارة كل سنة، وتكاثرت مع مرور السنين الستائر فى خزانة النبى ومن هنا تقرر فى خلال سنة ١٣٨ هـ وفى عهد عبد الله الحارثى أمير المدينة إرسال ستارة كل ست سنوات مرة، وأرسلت فيما بعد كل سبع سنوات، وفيما بعد كل عشر سنوات. إلا أنه فى زماننا ترسل من عيد الجلوس إلى عيد الجلوس، إلا أن السلطان محمود بن عبد الحميد والسلطان عبد المجيد خان المرحومين أرسلا مرتين كل سنة.

كانت هذه الستائر ترسل إلى المدينة فى صورة غير منتظمة إلى دور إسماعيل بن محمد ناصر الصالحى من الملوك المصريين وهذا الشخص قد أخذ من بيت مال الحكومة المصرية قرية ووقفها لصنع كسوة لمنبر السعادة والحجر الشريف فى مصنعها وجعل ذلك من عاداته الحميدة وبناء على هذا كانت هذه الستائر تبدل كل خمس سنوات أو ست سنوات على قول آخر، أما فى زماننا فلا ترسل كسوة بل ترسل ستارة وكانت هذه الستائر تعلق يوم الجمعة إلى الانتهاء من إقامة صلاة الجمعة وبعد ذلك كانت ترفع بواسطة موظفين خاصين وتوضع فى المخزن الذى بجانب باب جبريل، وإن كان حفظ ستائر المحاريب والستائر التى تعلق فى شبكة حجرة السعادة حفظها فى المخزن سالف الذكر من الأصول المتبعة؛ إلا أنها لا

تعلق فى أيام الجمع بل ينحصر تعليقها على أيام مواسم الحج إذ تعلق عندما يأتى الزوار لزيارة المدينة المنورة وكانت هذه الستائر كلها مصنوعة من الأقمشة الغالية ونقشت على الأطلس الأخضر بخيوط من ذهب خالص العيار ونقشت عليها الأماكن الخاصة بتعليقها كما أن فى زواياها نقشت أسماء الخلفاء الراشدين.

إلى قرب تولى مشيخة شيخ الحرم المرحوم حافظ محمد باشا لم يكن تعليق الستائر فى شبكة السعادة من الأصول المتبعة ومن هنا كلما كنس مسجد السعادة امتلأت شبكة الحجرة الشريفة بالغبار، وبلغ المرحوم حافظ باشا والأهالى عتبة باب السلطان وعرض عليه أن تعلق حول شبكة السعادة ستارة كما أرسل مقاييس الستائر اللازم صنعها من حيث الطول والعرض والارتفاع.

وبناء على الأمر الصادر من السلطان صنعت ستائر من أطلس أخضر فى غاية جمال الصنع والزينة وأرسلت إلى المدينة المنورة فى سنة ١٢٨٢ هـ.

وكانت هذه الستائر مكونة من أربع قطع كل قطعة من جزئين منفصلين إلا أنها حينما وصلت إلى المدينة الطيبة كان حافظ باشا قد ودع الحياة، وقد سمر العدد الكافى من المسامير إلى الكمر التى تحمل قبة السعادة أى القبة الصغيرة الجميلة التى تحت القبة الخضراء وعلقت الستائر الواردة على هذه المسامير فى سنة ١٢٨٢هـ.

فى بيان الأساطين التى ركزت فى مسجد السعادة فى عصر النبى السامى ﷺ.

كانت الأساطين الأصلية لمسجد السعادة ثمانية أعمدة موزونة متساوية، وقد زيد مؤخراً عدد أساطين المسجد الشريف المنيفة إلا أننا سنذكر هنا عدد الأساطين الشريفة التى كانت فى عصر السعادة فقط وسنخبر عن عدد الأساطين التى فى زماننا فى ذيل الصورة على شكل استطراد.

١ـ **الأسطوانة المخلقة**: هى الأسطوانة الأولى التى كانت فى عصر النبوة والتى كانت علامة على مُصَلَّى النبى ﷺ وقد اشتهرت بالأسطوانة المخلقة لأنها قد عطرت بالطيب.

كانت النخلة التى يستند إليها سلطان الأنبياء ـ عليه أجمل التحايا ـ متصلة بهذه الأسطوانة، وبناء على ما عرف قبل هذه الصورة وفى الصورة السابقة كان كرسى الشمعة الذى يقع يمين الإمام الذي يقف على محراب النبى مكان النخلة التى سبق ذكرها.

كان سلمة بن الأكوع يصلى دائمًا فى هذا المكان اللطيف وإذا ما سئل عن سبب ذلك يجيب قائلاً: إننى رأيت النبى ﷺ يصلى فى هذا المكان، يروى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: «إن أقدس مكان لأداء النوافل هو المكان الذى كانت فيه الأسطوانة المخلقة»، إلا أن فى الفرائض يلزم أن تصلى فى الصف الأول، قد كتبت على هذا العمود «هذه الأسطوانة المخلقة وتعرف الأسطوانة المخلقة بهذه الكتابة من بين الأساطين وبعض أجزاء هذه الأسطوانة ملصقة بجدار المحراب النبوى».

٢ـ **أسطوانة عائشة**: ولهذه الأسطوانة الموزونة ثلاثة أسماء أخرى وهى:

«أسطوانة القرعة، وأسطوانة المهاجرين، وأسطوانة المخلق» وقد كتب عليها بخط جلى جميل: «هذه أسطوانة عائشة رضى الله عنها» وهذه العبارة قد ذُهِّبَتْ وزينت بحالة جيدة ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن هذه الأسطوانة لائقة بأن تكون أسطوانة عائشة.

إن هذا العمود المبارك كان فى وسط المسجد الشريف وكانت هذه الأسطوانة قبل توسيع المسجد الشريف الأسطوانة الثالثة من منبر السعادة كذلك الأسطوانة الثالثة من قبر الرسول وكذلك الثالثة من جدار القبلة وكذلك الأسطوانة الثالثة من جهة الشام، وكان فخر العالم ﷺ يؤدى صلاته فى هذا المكان المقدس بعد تحويل القبلة بعشرة أيام وكان يخاطب أصحابه مستندًا لهذا العمود، ونقل مكانه فيما بعد إلى المحراب القديم السعيد.

وقد اعتاد كل من الصديق والفاروق الأعظم وعبد الله بن الزبير بن العوام وعامر بن عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهم ـ أداء الصلاة بجانب هذا العمود كما اعتاد المهاجرون الكرام أن يجتمعوا محلقين حول هذا المكان ليتداولوا الأفكار، وقد قال ملك ممالك الرحمة ـ عليه أجمل التحية ـ فى حق الأسطوانة المذكورة «إن فى مسجدى بقعة إذا كان الناس يعرفون قيمة هذا المكان وقدره لكانوا يجرون القرعة ليصلوا إلى هذا المكان محرمين» وهذا القول كان سببًا فى اشتهار ذلك العمود بأسطوانة المهاجرين وأسطوانة القرعة.

عندما نقلت أمنا عائشة زوجة الرسول ﷺ هذا الحديث أسرع أبناء الأصحاب الكرام الذين كانوا عندها باستكشاف ذلك المكان إلا أنهم لم يجدوا ذلك المكان بعد ما بذلوا جهودًا مضنية وإذا بعبد الله بن الزبير كان قد ظل فى المكان المشار إليه ليعرف ذلك الموقع المبارك، وقال أبناء الصحابة من الممكن أن تكون السيدة عائشة قد عرفت بمكان تلك البقعة المباركة لعبد الله بن الزبير ومن هنا جلسوا فى مكان خفى بعد أن تشاوروا فيما بينهم ليروا أين سيصلى عبد الله بن الزبير بعد خروجه من بيت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وبعد مدة دخل عبد الله بن

الزبير فى مسجد السعادة واستقبل أسطوانة المهاجرين وعلى قول آخر صلى على يمين تلك الأسطوانة وعلى هذا فهموا أن تلك البقعة المباركة التى ذكرت فى الحديث الشريف المكان الذى ركبت فيه أسطوانة المهاجرين فاعتادوا الصلاة فى ذلك المكان طول حياتهم.

وذهب بعض الرواة إلى أن البقعة المباركة المذكورة فى الحديث الشريف فى وسط قبر السعادة والمنبر الشريف، وقالوا، إن الدعاء الذى يقال فى هذا المكان يستجاب ويقبل لدى الله سبحانه وتعالى.

٣ـ أسطوانة التوبة: يقال لهذا العمود الشريف أسطوانة أبو لبابة[١] أيضًا. وسبب تسميتها بهذا الاسم أنه ربط نفسه بهذه الأسطوانة، إذ كان أبو لبابة يتلاقى كثيرًا مع بنى قريظة فى الجاهلية.

ولما عجز بنو قريظة فى غزوة بنى قريظة عن مقابلة قائد كتيبة العز والعلا - ﷺ - طلبوا من النبى ﷺ راجين أن يرسل لهم أبا لبابة حتى يستعلموا منه طريق السلامة والنجاة، وقد استجاب لرجائهم فأرسل أبو لبابة داخل حصن بنى قريظة حيث استقبل بصيحات اليهود وعويلهم الرذيل ومزقوا وجوههم نادمين متحيرين وارتموا على الأرض من مكان لآخر وقالوا لأبى لبابة أبا لبابة! قل لنا الحقيقة حتى لا نضيع حقوقنا السابقة عليك، ما رأيك فى هذا الخصوص؟ هل نخرج من حصننا بناء على حكم محمد العالى؟ أم نستمر فى مقاومتنا؟ كيف ستنجو سفينة حياتنا؟ ما الرياح التى نتبعها حتى نرسل إلى ساحل السلامة؟ كيف يمكن النجاة من هذا الطوفان الذى سيغرق المال والثروة؟ وما الجهة التى يجب أن نتجه إليها حتى يمكن النجاة؟. وتعلقوا بأطراف ثوبه صائحين متضرعين.

وبما أن تعبيرات اليهود الرقيقة وكلماتهم التى تثير الشفقة والرحمة قد أثرت فى ضمير أبى لبابة فقال لهم: «يا قوم شؤم! ليس هناك طريق للسلامة غير الانصياع لحكم الرسول والخروج من الحصن وتسليم أنفسكم إلى الرسول ﷺ»

(١) أبو لبابة أخو بنى عمرو بن عوف بن الأوس.

وبعد هذه الإجابة أشار إلى حلقة، وكأنه يريد أن يلمح ويومئ أنهم حتى إذا خرجوا إلى الخارج من حصونهم ليسلموا أنفسهم لن ينجوا أن يكونوا طعمًا لحد السيف وكان غرضه من هذه الإشارة أن يشفق لحالة اليهود الميئوسة؛ ولكنه فى النهاية فهم الخطأ الذى وقع فيه سهوا وندم قائلاً يا ويلاه! إننى خنت الله ورسوله ثم عاد إلى المدينة المنورة دون أن يظهر لرسول الله، وجعل نفسه مقيدًا لتلك الأسطوانة، وقرر فى نفسه ألا يحل قيده حتى تقبل توبته وألا تطأ أقدامه حيث وجد بنو قريظة، حتى إن فى أوقات الصلاة كانت زوجته العفيفة تأتى وتحل قيوده وبعد أداء الصلاة كانت تربطه مرة أخرى، ودامت هذه الحالة أكثر من عشر ليال حتى أصاب أذنيه الصمم من صوت السلاسل وأصبحت عيناه لا تبصران ولما عرض أمره على قائد جنود الأنبياء ـ عليه أفضل التحايا.

وظل مربوطًا ست أو خمس عشرة ليلة على اختلاف الروايات إلى أن قبلت توبته وأبلغت الكيفية بالآية المنزلة للنبى ﷺ فتفضل النبى ﷺ، بحل سلاسل يديه المباركتين، حتى إن بعض الأصحاب الكرام قد أخطروا أبا لبابة بنزول الآية بخصوص إطلاق سراحه وأرادوا أن يفكوا سلاسله إلا أنه قد أقسم قائلاً لا، يجب أن يفك النبى السلاسل بذاته فلا أقبل أن يحلها الآخرون وبناء على هذا تلطف معدن الرحمة والشفقة بحل سلاسله بذاته وإطلاق سراحه، وأطلق بعد هذه الحادثة المشهورة على هذا العمود أسطوانة أبى لبابة بن المنذر.

قالت طائفة من المؤرخين إن سبب حدوث هذه الواقعة أى أن قيد أبى لبابة نفسه إلى أسطوانة التوبة وربطه نفسه هو تخلفه عن الاشتراك فى غزوة تبوك لأن النبى ﷺ عندما عاد قال لأبى لبابة لماذا تخلفت عن هذه الغزوة؟ فاضطرب أبو لبابة من السؤال ولم يجد جوابًا وذهب إلى الأسطوانة التى أمام غرفة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ وربط نفسه وأخذ يتجرع مصاعب الصبر والتحمل وأخذ يستغفر ما يقرب من سبعة أيام وفى النهاية نزلت الآية الكريمة التى تفيد قبول توبته فحلت سلاسله بواسطة السيدة أم سلمة، وقال بعضهم أيضًا إن ثمامة بن أثال الحنفى أيضًا قد قيد لتلك الأسطوانة.

كان إمام صف الأنبياء ـ عليه لوائح التحايا ـ كان يؤدى صلوات النوافل عند أسطوانة التوبة وفى كل صباح عقب الصلاة يتكئ على تلك الأسطوانة الموزونة ويحادث أصحابه.

وكان المساكين الضعفاء ومرضى المدينة والمسافرون والمؤلفة القلوب من الموحدين والمسلمون بلا مأوى ولا مسكن يجلسون بعد أداء صلاة الصبح وكان طبيب مرضى قلوب الأمة ـ عليه أطيب التحية ـ يشرف هذه الجماعة ويستند على تلك الأسطوانة ويقرأ الآيات التى نزلت تلك الليلة أو يفسر الرؤيا للذين رأوا الرؤيا فى تلك الليلة ويعرضونها على النبى ـ عليه السلام ـ ويستمر جالسًا فى ذلك المكان إلى طلوع الشمس.

وزادت تلك الجماعة وازدحم المكان إلى درجة لم يجد بعض الناس مكانًا للجلوس حتى أصبح التنفس صعبًا، وفى يوم من الأيام ضاق أشراف المدينة من كثرة الازدحام وتضايقوا، وأظهر بعض الناس سأمهم ومللهم فأنزل الله سبحانه وتعالى: «الآية الكريمة»

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. (الكهف: ٢٨).

فشغل الذين أظهروا مللهم وضيقهم بعرض ندمهم الشديد واستغفارهم.

كان سيد الخلق سيدنا محمد يعتكف بجانب هذه الأسطوانة وكان يأمر ببسط فراشه خلف أسطوانة أبى لبابة وفى رواية أخرى أن سرير فرشه يبسط فى الجهة القبلية من تلك الأسطوانة وكان يستند فى أيام اعتكافه على ذلك السرير. وبين أسطوانة التوبة والقبر الجليل أسطوانة أخرى.

وبناء على قول عبد الله بن عمر أن أسطوانة أبى لبابة هى الأسطوانة الثانية من جهة القبر النبوى والرابعة من جهة المنبر الشريف ومن جهة الساحة

الرملية الثالثة وتبعد عن المضجع النبوى عشرين ذراعًا، وتقع أسطوانة أبى لبابه بين أسطوانة عائشة والأسطوانة الملاصقة لشبكة الحجرة المعطرة وفى وقتنا هذا فهى الأسطوانة الرابعة من جهة المنبر المنير النبوى ومن جهة قبر النبى الجليل الثانية ومن الجهة القبلية الثالثة ومن جهة الساحة الرملية الأسطوانة الخامسة.

يروون وجود محراب بجانب عمود التوبة كعلامة مميزة له قبل الحريق إلا أن ذلك المحراب قد احترق فى الحريق الثانى ولم يصنع بعد ذلك، وإن كان قد ذهب بدر بن فرحون من علامة المؤرخين إلى أن المحراب وهو العلامة المميزة لأسطوانة التوبة كان ملاصقًا لشبكة حجرة السعادة إلا أن مؤرخى الأسلاف جرحوا رأى ابن فرحون وقالوا إن المحراب المذكور كان بجانب أسطوانة أبى لبابة، وأتوا بدلائل مقنعة تحمل على تصديق أقوالهم ومن هنا فقول ابن فرحون موضع شك وشبهة.

قد حُكَّت على هذه الأسطوانة بخط جلى نفيس عبارة «هذه أسطوانة أبى لبابة وتعرف بالتوبة» بذهب خالص العيار ونقشت بذهب.

٤ـ أسطوانة السرير:

وبما أنَّ سرير سيد البشر المصنوع من خشب النخلة بناء على قول الأكثرية كان بجانب الأسطوانة الرابعة ذات إعجاز ظل اسم هذه الأسطوانة أسطوانة السرير وكتب عليها بخط جلى نفيس عبارة «هذه أسطوانة السرير» حُلِّيَتْ بذهب والعمود المذكور بين القبر الشريف وقناديل الروضة المنيفة وبناء على تعريف الإمام السمهودى فهى الأسطوانة التى فى الجهة الشرقية من أسطوانة التوبة والملاصقة للشبكة السعيدة.

ظل السرير النبوى قبل توسيع المسجد الشريف فى صورة دائمة بجانب أسطوانة التوبة وبعد أن تفضل معمار بنيان الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ بتوسيع الجهة

الشرقية من المسجد الشريف نقل السرير بجانب أسطوانة السرير، والأسطوانات الثلاث التى عرفت قبل هذه الأسطوانة قد ركزت من جهة المنبر الشريف إلى جهة قبر السعادة فى صف واحد؛ وليست هناك أسطوانة ملاصقة بالشبكة الشريفة بين هذه الأسطوانات إلا هذه الأسطوانة النصفية أى الأسطوانة التى نحن بصدد تعريفها وهى أسطوانة السرير، وإن هذه الأسطوانة النصفية من المحقق أنها ركزت عندما أسس الأشرف قايتباى المصرى القبة الجسيمة فوق حجرة السعادة وبما أنها كانت تجاور حجرة السعادة كتبت عليها عبارة هذه أسطوانة السرير.

٥ـ **أسطوانة المحرس:** إن هذه الأسطوانة فى الجهة الشمالية من أسطوانة التوبة فالذين يذهبون من دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ إلى الروضة المطهرة تقابلهم هذه الأسطوانة. وكان سادات المدينة يجتمعون فى الأوائل لأداء صلواتهم بجانب هذه الأسطوانة.

ولما كان على بن أبى طالب يداوم على أداء الصلاة بجانبها وكان يقوم الليالى على حفظ النبى ﷺ من مكائد الأعداء بجانبها عرفت هذه الأسطوانة باسطوانة على بن أبى طالب كما نقش عليها بماء الذهب عبارة «هذه أسطوانة الحرس»، وذُهِّبَتْ.

٦ـ **أسطوانة الوفود:**[١] هذه الأسطوانة خلف أسطوانة المحرس من جهة الشمال أى أنها أمام المكان الذى أضيف إلى المسجد الشريف لتوسيعه، وفى اتصال الشبكة التى بين مربع القبر الجليل والحجرة المعطرة، وكان النبى ﷺ يستقبل وفود العرب أى السفراء الذين بعثتهم القبائل العربية بجانب هذه الأسطوانة وقد أدى اجتماع أفاضل الصحابة الكرام بجانب هذه الأسطوانة إلى اشتهارها بمجلس القلادة كانت أسطوانة الوفود قد نُقِش عليها عبارة بخط جلى لا مثيل له «هذه أسطوانة الوفود» وأطلق على باب الشبكة الذى بين أسطوانة المحرس وهذه الأسطوانة باب الوفود.

(١) أحد أسماء أسطوانة الوفود مجلس القلادة.

إخطار

مؤلف تاريخ «نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين» وهو آخر مؤرخى المدينة ومسقط رأسه مهجر النبى ـ عليه السلام ـ يقول مخطئًا المؤرخين القدماء فى الأساطين المأثورة، إن الذين عينوا الأساطين التى كتبت عليها أسماؤها مثل الوفود والمحرس يعنى الذين كتبوا على الأسطوانات هذه الأسطوانات أسطوانات الوفود والمحرس بما أنهم كلفوا كتابتها دون أن يطالعوا كتب ابن زبالة، ابن النجار، والمطرى والسمهودى من المؤرخين القدامى كذلك كتب المؤرخين الذين أتوا قرب الألف من الهجرة النبوية، لذلك ارتكبوا خطأ كبيرًا، وهاتان الأسطوانتان اللتان كتبا عليهما أسماءهما ليستا الوفود والمحرس المأثورتين إننى قمت بمطالعة عريضة وعميقة بقراءة كتب المتقدمين ورسائل المتأخرين، وطالعت تاريخى المطرى والإمام السمهودى وكتاب الجوهر المنظم للعلامة ابن حجر وشرح ابن علاء على إيضاح النووى «والدرة المضيئة» للعلامة على القارى «والذخر النافع» للعلامة محمد بن سليمان الكردى المدنى وأمررت نظرى على الآثار النفيسة للأشخاص الآخرين على حدة، وكل هذه الكتب من الآثار النادرة التى ألفها العلماء الأعلام من الحنفية والشافعية والمالكية، وكلها يصدق فكرى، وإن كان العلامة القليوبى يدعى صحة الأسماء التى كتبت على الأسطوانتين الوفود والمحرس إلا أنه أخطأ فى مذهبه هذا؛ إذ زار هذا الشخص المدينة المنورة ورأى الكتابة فوق هاتين الأسطوانتين وظن أنها كتبت بعد التحقيق فمن هنا أدرج فى كتابه ونقله بعينه، مع أن هذه الكتابات كتبت بناء على الأمر الصادر من السلطان سليم مع قصيدته التى نظمها بالذات على الأسطوانات عندما أمر بتعمير أسطوانات مسجد السعادة فى خلال سنة ألف وزار ابن حجر المكى المدينة ذاتيًا فى سنة ٩٥٦ هـ وألف كتابه نادر الذكر «الجوهر المنظم» ووجد الأسطوانتين المذكورتين بعد تدقيقات كثيرة وأدرجهما فى كتابه بعد ذلك، لأنه بالذات ولا العلماء الذين أتوا قبله لم يقتنعوا بصحة العبارات التى كانت مكتوبة عليها وبما أن العلامة ابن سليمان قد كتب أثره الذخر النافع فى المدينة سنة ١١٥٨ هـ، وكتب

عن الأسطوانتين السابقتين ما يؤكد تحقيقنا، وقد بين ابن سليمان فى كتابه المذكور ما كتب على هاتين الأسطوانتين ولم يعرف جهتهما، إذ قال: «إن أسطوانة المحرس التى خلف أسطوانة التوبة من الجهة الشمالية كتب عليها هذه أسطوانة على ـ رضى الله عنه ـ كما كتب على أسطوانة الوفود التى تقع خلف هذه الأسطوانة: «هذه أسطوانة الوفود» ويفهم من تعريف ابن سليمان أنه قد تبدلت مواقع الأسطوانتين وغيرت كتاباتها خطأ، إذ كتبت على الأسطوانة التى خلف أسطوانة السرير من الجهة الشمالية عبارة «هذه أسطوانة الحرس» والأسطوانة التى خلف هذه الأسطوانة من الجهة الشمالية كتبت عبارة «هذه أسطوانة الوفود» إن خطأ نقل هذه المكاتبات إلى الأسطوانتين سالفتى الذكر حدث من ذهاب ابن فرحون إلى أن الأسطوانة الملاصقة بالشبكة أسطوانة التوبة، لأن الذين كلفوا بكتابة هذه الكتابات ظنوا أن أسطوانتى الوفود والحرس خلف أسطوانة التوبة من الجهة الشمالية فكلفوا بكتابة العبارات السابقة فوق الأسطوانتين الملاصقتين خلف الشبكة وهذا يؤيد رأى ابن فرحون ويصدقه، مع أن الأسطوانة الملاصقة بالشبكة أسطوانة السرير، وإننى قد راجعت الباشا شيخ الحرمين لنقل هذه الكتابات إلى الأسطوانتين اللتين خلف أسطوانة التوبة بعد أن استشرت أفاضل علماء أهل المدينة وذلك فى سنة ١٢٨٧ هـ.

وقد استصوب فكرى سواء أكان أمين باشا أو قاضى المدينة محمد توفيق أفندى ولم يعيرا آذانًا صاغية لوشايات الفرقة المخالفة، ولكن بما أن أمين باشا قد انفصل عن المشيخة لم يتيسر تحقيق المرام.

٧ـ **أسطوانة مربعة القبر**: إن أسطوانة مربعة القبر الجليل فى مكان يطلق عليه مقام جبريل أى فى اتصال الانحراف الغربى الشمالى وهو عمود موزون.

وبما أنه بين أسطوانة الوفود وأسطوانة مربعة القبر الشريف وفى اتصال شبكة الحجرة المعطرة أسطوانة أخرى، فأسطوانة الوفود، الأسطوانة الأولى وأسطوانة مربعة القبر الثالثة والأسطوانة الموجودة بين الاثنين الأسطوانة الثانية بالنسبة

للأسطوانتين وبما أن باب دار سعادة السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كان بجانب أسطوانة مربعة القبر الجليل كان النبى ﷺ يفتح باب الدار المشار إليها كل صباح ويورد بالآية الجليلة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. (الأحزاب: ٣٣). وعلى قول يقول ملاطفًا كريمته المحترمة الصلاة الصلاة ويلمح أن الوقت قد حان لإيقاظ الحسنين لأداء الصلاة.

قال العلامة ابن سليمان يجب ألا ينسى أداء الصلاة فى هذا المكان؛ لأن باب دار السيدة فاطمة كان هنا، هذا ما قاله لى مسلم.

وبما أن أسطوانة مربعة القبر الجليل والأسطوانة غير المسماة سالفة الذكر قد أدخلتا داخل الحجرة المعطرة لا يستطيع الزوار الكرام أن يتنعموا بزيارة هاتين الأسطوانتين ومحراب فاطمة والأسطوانة التى تحمل هذا المحراب وبما أن ذلك المكان المذكور يحاذى قبر السعادة لا يستطيعون حتى أداء الصلاة فيه.

وكان علماء الأسلاف قد اعترضوا على عمل الشبكة التى تحيط بحجرة السعادة كما اعترضوا على غلق الأبواب التى تفتح لهذه الشبكة وسدها حين صنعها ولكن اعتراضهم لم يفد شيئًا.

٨ـ **أسطوانة التهجد**: بما أن إمام المجتهدين ـ عليه السلام ـ قد اعتاد أداء صلاة التهجد بجانب هذه الأسطوانة اشتهرت بأسطوانة التهجد.

كان سيد الأبرار بعد أداء صلاة العشاء وانصراف الأصحاب الكرام إلى منازلهم يفرش بجانب أسطوانة التهجد قطعة من الحصير ويداوم على أداء صلاة الليل، وكان ينصب فى هذا المكان خيمة من الحصير ويعتكف فيه فى الأيام العشرة الأخيرة من رمضان، وقد أطلع على هذا الأمر المدققون من الأصحاب فأخذوا يؤدون صلاة الليل مقتدين بالنبى والذين رأوهم فعلوا مثلهم فزاد عدد المصلين صلاة الليل مع مرور الأيام ورفع سيد الواقفين على أسرار الحكمة ﷺ حصيرته فى ليلة من الليالى ودخل إلى حجرته، وقال لأصحابه الكرام الذين

استقصوا على الأمر متأسفين: «خفت من أن تفرض عليكم صلاة الليل! لأنكم غير قادرين على أداء صلاة الليل». وهكذا بين لهم ما فى ضميره.

تقع أسطوانة التهجد خلف الجهة الشمالية من المنزل الخاص بالسيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وبنى فى المحل المذكور مؤخرًا محرابٌ أشار إلى المكان الذى كان يتهجد فيه النبى ﷺ والذين يستقبلون ذلك المحراب يكونوا قد جعلوا باب جبريل على شمالهم وباب الرحمة على يمينهم.

يخبرنا المؤرخون مؤكدين على صحة إقامة محراب فى المكان الذى كان يتهجد فيه النبى ﷺ وأنه قد أطلق على هذا المحراب محراب التهجد، فالذين يقفون فى محل المحراب المنير المذكور متجهين إلى جهة الشرق يلزم أن يظل باب جبريل على الجهة اليسرى منهم، إلا أن ذلك المقام ذا الفيوضات ظل فى داخل شبكة السعادة وقد كتبت عبارة: «هذا مُتَهَجَّد النبى ﷺ» فوق الرخام الذى وضع فوق طاق محراب التهجد الذى يرى خلف المحراب من خارج الشبكة وقد حدد هذا المحراب فى عهد الإمام السمهودى ووضع فوق قطعة الرخام سالفة الذكر رخام آخر وكتب عليه برز الأمر بتجديد أعمدة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى أعز الله أنظاره وتم ذلك على يد ابن الخواجة الشمس بن زمن وكتب فوق هذه العبارة تاريخ تعميره، إلا أن حريق سنة ٨٨٦ هـ قد محا الخطوط المنقوشة فوق الأعمدة وأزالها وأبدلت أساطين حجرة السعادة القديمة، وأسس مكان محراب التهجد القديم محراب جديد.

والمحراب الجديد ملاصق لمقبرة السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ من ناحية قدميها وترتفع مقدار ذراعين والمحل المعد للصلاة منخفض قليلاً وأعلاه عمودى وشكله مربع.

٩ـ **محراب باب الجنائز**: يقع هذا المحراب على يسار من يتجهوا إلى الجهة القبلية وبما أنه فى داخل شبكة السعادة فمن المتعسر زيارته، وبما أن المحراب الشريف مستور وتلك الجهات من شبكة السعادة مظلمة فسيضطر خدام المسجد أن

يفتحوا باب حجرة السعادة عندما يصنعون فتائل وزيوت قناديل المسجد، فالذين يريدون أن يسعدوا بزيارة المحراب الشريف ينتظرون فتح باب الحجرة اللطيفة كما سبق ذكره، لعلهم يوفقون في زيارته، وإلا فزيارته فى الأوقات العادية غير محتمله، إلا إذا وجدوا طريقًا آخر بإعطاء جوائز وفيرة أو بإيجاد واسطة ما، وفى جانب هذا المحراب المقدس وفى خارج شبكة السعادة محراب صغير أيضًا وما سبق ذكره عاليه بمحراب التهجد إنه ذلك المحراب الشريف وكتب على جناحه اليمين واليسار.

«أمر بعمارة هذا المتهجد الشريف العبد الفقير المعروف بالتقصير السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى نصره الله سنة ٨٨٨» كما كتب فوق طاقة المعلا بخط جلى «بسم الله الرحمن الرحيم» وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. (الإسراء: ٧٩).

كتبت تلك الآية مذهبة كما علقت فوق هذا الخط اللوحة المزينة التى كتبت بخط يد السلطان محمود خان العدلى ابن السلطان عبد الحميد خان المرحوم «حسبنا الله ونعم الوكيل».

إن المحراب الشريف الذى عرف على قدر الإمكان هو المحراب الذى يزوره الزوار متبركين على أنه محراب التهجد، وإن هذا الأثر الذى أثبت المؤرخون بالأدلة القطعية أنه أثر مقدس هو الأسطوانة النفيسة والمسعودة التى ظلت فى داخل الشبكة وقد جددت فى عصر السلطان عبد المجيد وكتب فوقها آية التهجد، ومع هذا ففضل كل مكان وموقع وشرفه غير قابل للاعتراض عليه، فأى مكان من المسجد لو شرف بالزيارة فمن المأمول الحصول على أجر عظيم ومكافأة روحية كبيرة.

إن الأعمدة التى كانت فى عصر السعادة تلك الأعمدة الثمانية التى ذكرناها وقد بلغ عددها فيما بعد إلى ثلاثمائة عمود وسبعة أعمدة، وكلما وجد مسوغ

شرعى لتوسعة المسجد الشريف زاد عدد أساطينه، ولكن بما أن المهاجرين والأنصار من الصحابة العظام قد تقيدوا ووصلوا حول هذه الأعمدة الثمانية فعلى الذين يريدون أن يزوروا حجرة السعادة أن يقفوا وأن يصلوا بجانب كل واحد من تلك الأعمدة الثمانية على حدة محرمين.

وفى الروضة المطهرة للنبى ﷺ ثلاثة صفوف من الأساطين التى لا تقدر بثمن على أن تدخل فيها بعض الأساطين المشروحة وفى كل صف أربعة أعمدة.

وقد كتبت فى عهد السلطان سليم خان الثالث فوق أربعة من هذه الأعمدة المباركة أربعة أبيات وعلى سبع منها بيتان وعلى واحد منها بيت واحد بديع التركيب وزينت بالتذهيب وهذه الأبيات فاضت بها قريحة السلطان سليم الثالث بن السلطان مصطفى خان الثالث وهى مما يدل على تقواه وورعه وشعار تدينه - عليهم الرحمة والغفران.

الأبيات التى سطرت على الأساطين الأربع من الصف الأول:

الأسطوانة الأولى(1)

السلام عليك يا مهبط الوحى الأمين
يا من يعشقك بروحه الروح الأمين

إنما الأرض على السماء فخرت
لأنها جسمك الطهور حوت

عماد شوكتك طاق الفلك
لذا أصبح الركن الركين بك

لتكن لسليم خان نعم المعين
إنه وطد الأساس للملك والدين

(1) هذه الأسطوانة الأولى بدءًا من منبر السعادة.

الأسطوانة الثانية(١)

يـــا مليـك الـكرم أيهـا السـلطان الـكريم

بعبـوديتـك يفخـــر السـلطان سـليم

كأنمـــا يتمســك بقائمــة عرشــك

وهـــو يعظـم أركـــان شـرعـــك

أنــا عبـد لـك جـد بالإحسان عـلى

وليـكن فـي الدنيـا والآخـرة لـدى

على روضتك المطهرة صلوات وصلوات

وعـلى كـل صـلاة تسـليمات وتسليمات

الأسطوانة الثالثة(٢)

يـــا زهـــرة روضـــة ديـــن الإســـلام

عليـــك فـــى كـــل لحظـة سـلام وسـلام

كيـــف لا يـكون مـــن الياقـــوت جسـد

ولقصـــرك مـــن الرخـــام عمــــد

طوبـــى للســلطان ســليم الأجـــل

الــذى أنجـــز هـــذا العمـــل الأمثـــل

أكرمـــه يـــا مـــن أنــت ســيد الــكرام

فاللطــف بالعبيــد مـــن الــكرام يــرام

الأسطوانة الرابعة(٣)

رفيـــع الروضـــة فخـــر الرســـالات

تحـــت عرشـــه روضـــة الجنـــات

---

(١) وهذه أيضًا الثانية بدءا من منبر السعادة.

(٢) هذه الأسطوانة هى الثالثة من ناحية المنبر.

(٣) هذه الأسطوانة هى الرابعة من ناحية المنبر.

أيمـــا إنســـان إلـــى عمـــودك نظـــر
أمـــن مـــن كـــل ضـــجر وكـــدر
سـليم خـان ابن مصـطفى خـــان المؤيـد
يـا حَـبَّذا مـــا قـــدم مـــن يـــد
هبـه يـــا رسـول الله بركتـك فـي دنيـاه
وأنلـــه ســـعادتك فـــي أخـــراه

إن الأساطين الآتية الذكر أمام محراب النبى وإنها مرتبة فى صف واحد من منبر السعادة إلى شبكة الحجرة المعطرة.

الأسطوانة الخامسة(١)

أجـــرى أن يـكتـب النعـت القـــلـم
واصـــفا بـــه رســـول الله الأعـــظم
حبـــذا حبـيب الحـق منقـطع القريـــن
كأنـــه ســـرة نـــور فـــى عـــين الناظريـــن

الأسطوانة السادسة(٢)

كانت ذاتـه الطاهـرة لخلق الكون السبب
بـين عـلو قـدره والعـرش الأعـلى نسب
حمـد الله الـذى جعـلنا مـن أمتـه قـدراً
أنـــى يـؤدى عـلى تـلك النعمـة شـكراً

الأسطوانة السابعة(٣)

شـــراء النـاس مـن أهـل الجـهل والـكفر
إن آمنـوا عرفـوا يـا لـه مـن قـــدر

(١) هذه الأسطوانة هى الخامسة من ناحية المنبر.
(٢) هذه الأسطوانة هى السادسة من ناحية المنبر.
(٣) هذه الأسطوانة هى السابعة من ناحية المنبر.

إثمـد بصرى مـا تحـت قدمـه مـن رغـام

غبـار طريقـه يبـدد يـوم الحـشر الظـلام

الأسطوانة الثامنة(1)

أنـت شـمس العالمـين يـا خيـر الرسل

شعار شمسك منه الدين والدنيا فى أبهى الحلل

أنـت لا تضـن عـلى عبدك بلطف ورحمة

يـا مـلك الـكون فاقـض لـه الحاجـات

وهذه الأساطين الأربع المباركة تقع أيضًا خلف الأسطوانات التى فى الصف الأول وتعد كذلك ابتداء من منبر السعادة.

الأسطوانة التاسعة(2)

ألهمت ذكـر ألـف صـفة مـن صـفاتـه

فنظمت نَعْتَـهُ الطاهـر أمـلا فـى شفاعتـه

كيـف أسـتطيع وصـفه بمـا بـه يليـق

الحـق مـن يصـفه بمـا هـو بـه حقيـق

الأسطوانة العاشرة(3)

يا معدن الكرم أطلقتنى من ظلمة الغم

أنا ملك ولكن لست من عبده من رحمة حرم

شمعة شوقى إليك لها فى القلب شعاع

وزاد بكرمك ما لها من حرقة واندلاع

(1) هذه الأسطوانة هى الثامنة من ناحية المنبر.

(2) هذه الأسطوانة هى التاسعة من ناحية المنبر.

(3) هذه الأسطوانة هى العاشرة من ناحية المنبر.

الأسطوانة الحادية عشرة[1]

في الأفلاك التسعة كل إنس وجن وملك له عبد
ونجدتـه كـان لـكل مليك ما له من سؤدد ومجد
فليـكن وردي دائـمًا ذكـرت صلاتـه
سـيد الرسـل إن بركتـه منحـنى

الأسطوانة الثانية عشرة

عـلى روحـه الطاهـرة ألف صـلاة وسلام
تلهمـنى الرجـا فـى نـيل رخصة شفاعتـه

إن هذه الأساطين الأربعة هى الأساطين المباركة التى فى الصف الثالث وبما أن الأسطوانة الثانية عشرة ملتصقة بمقصورة المؤذنين يطلق عليها أسطوانة المكبرين أيضًا.

استطراد

في زماننا هذا فى مسجد السعادة ٢٢٩ أسطوانة بما فيها الأساطين المباركة، خمس وعشرون منها فى داخل الروضة المطهرة وما حولها والبقية فى الجهات الأخرى من المسجد الشريف، ولكن أسس الركائز التى ظلت فى داخل الجدران لا تدخل فى هذا الحساب.

(١) هذه الأسطوانة هى الحادية عشرة من ناحية منبر السعادة.

فى ذكر وبيان المقام واجب الاحترام الذى يطلق عليه «الصُّفَّة» وأين تقع هذه الصفة فى مسجد السعادة ومما تتكون ومن هم الأشخاص الذين يطلق عليهم «أصحاب الصُّفَّة».

كانت الصفة الشريفة التى كانت محل إقامة أصحاب الصفة بناء على تحقيق المرحوم القاضى عياض وروايته فى نهاية مسجد المدينة السعيد الشمالى، وكان الصحابة الفقراء الذين يردوا إلى المدينة المنورة المهجر النبوى يسكنون فى الصفة الشريفة، وكانوا يعبدون الله ليلاً ونهارًا، لما كانت الصلاة تؤدى فى اتجاه البيت المقدس كان محراب المسجد الشريف مكان الصفة المسعودة، وبعد أن تحولت القبلة إلى مكة المعظمة أصبح ذلك المكان وقفًا لإقامة المهاجرين الغرباء، وبما أنه بعد تحويل القبلة لم يبق فى ذلك المكان محراب مخصوص فعقب تحويل القبلة صنع فى ذلك المكان مظلة لإقامة الأصحاب الغرباء واعتاد بناء على ذلك أن يقيم فى هذه المظلة من لا مأوى ولا سكن ولا عيال ولا أولاد لهم.

وكما أوضحنا فى الصورة الأولى من الوجهة السادسة عندما تكاثر المهاجرون الكرام الذين لا صلة لهم بأهالى المدينة رأى النبى ﷺ الذى يطيب خاطر أمته أنْ يؤوى هؤلاء الضعفاء فى هذا المكان المبارك ويحدثهم ويخفف عنهم كربهم ويرفع من معنوياتهم إلى أعلى مكانة، ولما زاد إحسان النبى ﷺ لمهاجرى دار ضيافة المدينة ولسكان الصفة المباركة ساعةً بعد ساعة حتى تمنى أهالى المدينة وأغنياء المهاجرين أن يكونوا من أصحاب الصفة، وأخذ فقراء المدينة يداومون على الإقامة مع أهل الصفة حتى يشاركوا أهل الصفة فيما يتناولونه من آيات الغفران، وهكذا عدوا من أصحاب الصفة وبناء على ذلك كان العبيد الذين يحررهم النبى ﷺ ويعتقهم والذين كانوا يفتخرون بخدمة النبى يصرون على ألا ينفصلوا عن قرب النبى لأجل ذلك يفضلون أن يصبحوا من أصحاب الصفة كما كان يعد

أقرباء سلطان الدين والسادات والأنصار والمهاجرون وأشخاص آخرون أن يجلسوا ويحادثوا أصحاب الصفة من أقصى آمالهم، وبهذا أدخلوا ضمن الجماعة السعيدة من أصحاب الصفة وعدوا منهم.

وكان فَقْرُ أصحاب الصفة وشدة حاجاتهم فى حالة تجل عن الوصف، وبناء على ما يرويه الصحابى أبو هريرة كان بينهم بعض الأشخاص الذين كادوا أن يكونوا عراة من شدة حاجتهم وإنهم استطاعوا أن يتداركوا بعد آلاف المشقات والصعوبة قطعة من قماش لا تكاد تستر محال عوراتهم، ولم تكن قطعة القماش التى اتخذوها ملابس على طول واحد إذ كان بعضها أميل إلى الطول وكان بعضها قصير، وكانوا يسترون بها ما تحت خصورهم، وكان الذين لهم أقمشة قصيرة يغطون بها جسمهم من خصورها إلى ركبهم فقط ومن كان قطع أقمشتهم أطول كانوا يغطون إلى سيقانهم، وكان أداء الصلاة بهذه الحالة وفقًا للآداب الشرعية يكاد أن يكون مستحيلاً لأجل ذلك كانوا يدخلون قطع القماش ما بين سيقانهم بصعوبة كالإزار وبهذا ينقذون صلواتهم من الكراهة وبعد أداء الصلاة كانوا يلفون بهذه الأقمشة خصورهم.

وكانت أقوات أصحاب الصفة اليومية من الأشياء الرخيصة مثل البلح، إلا أنهم عندما تقوم الحروب كانوا يشاركون فيها غالبًا وكانوا يقاتلون فى منتهى الشجاعة.

قال أحد فضلاء الأصحاب وهو فضالة بن عبد الله: كنت أصلى يومًا فى زاوية من الزوايا الشمالية من المسجد، وفجأة قام أصحاب الصفة على أرجلهم ووقفوا وقفة الاحترام والتعظيم وفى سكوت تام، إذ كان سلطان عرش الدين - عليه صلوات الله المعين قد شرف المكان، وقال فريد العالم ﷺ فى أثناء تقربه من صفوف أهل الصفة، «لو وقفتم على مدى حب الله لكم لتمنيتم أن تزدادوا فقرا وحاجة».

وكان أصحاب الصفة فى غاية الفقر وكانوا فى حاجة إلى نصف لقمة من الخبز ومن هنا كان معدن السخاء ـ عليه وعلى آله أصفى التحايا ـ يطعمهم صباحًا

ومساءًا وكان الأصحاب الأغنياء يمتثلون لأوامر النبى ﷺ التى يطيعها العالم كله ويصحبون معهم اثنين أو ثلاثة من هؤلاء إلى منازلهم لإطعامهم كل على قدر ثروته.

وإن كان ما يرويه حضرة فضالة كافيًا لإيضاح مدى فقر أصحاب الصفة وشدة جوعهم وشدة تحملهم للحاجة والفقر إلا أن أبا هريرة بما أنه كان معينًا للاطلاع على أحوالهم وشئونهم من قبل الرسول ﷺ؛ لذا فهو يعرف أحوالهم أكثر من الأصحاب الآخرين.

يتفضل حضرة أبو هريرة قائلاً: «رأيت أن بين رفقائى سبعين نفرًا كانوا عراة تمام العرى إذ لم يكن معهم إزار أو رداء وإن كان بعضهم قد وجد قطعة من القماش وستروا أماكن عوراتهم إلا أن أكثرهم لم يستطيعوا العثور على قطعة قماش قديمة فغطوا أمامهم بأيديهم وستروا عوراتهم بهذا الشكل.

أقسم بالله الذى لا إله غيره ـ تعالى شأنه عما يقولون ـ إننى لم أستطع أن أتحمل يومًا الجوع وأسندت بطنى على الأرض متصورًا أنه يساعدنى على الصبر والتحمل ومع مرور الزمن اشتد جوعى وزاد اضطراب جسمى فالتقطت من الأرض حجرًا وشددت به بطنى، كان غرضى أن أجد حلاً للجوع وقد وصلت حالتى لدرجة أنى يئست من الحياة، وخرجت إلى الطريق لعلى أجد أحدًا من أهل المروءة يمر من الطريق، وبعد وقت قصير ظهر الصديق الأكبر وبعده ظهر الواقف على أسرار البشر، ونظر إلى بابتسامة تبعث الحياة وأجال نظره ثم قال: «تَعَالَ يا أبا هريرة» فمشيت خلفه ودخلت بيته بعد الاستئذان ووجد قدحًا من اللبن وسأل عن الذى أتى بهذا اللبن فقيل له إن أحد خدم الحرم أهداه وقدمه، ثم توجه إلى بالحديث قائلاً: «إن هذا اللبن من حق أصحاب الصفة! اذهب وَائْتِ بجميع إخوانك إلى هنا، إنكم ضيوف المسلمين الأعزاء والمحترمين؛ إنكم لا تملكون أهلاً ولا عيالاً ولا أموالاً وليس لكم مأوى ولا مسكن!» وكان جوعى قد تجاوز حده ورأيت اللبن فى القدح قليلاً ومن هنا قلت يا رسول الله كيف يشبع قدح من اللبن هؤلاء! إنهم سبعون رجلاً بالتمام والكمال وأردت بهذا أن

أشير إلى عدم كفاية اللبن، إلا أننى قد أخذت منه الجواب المعجز إذ قال: «ما عليك إلا أن تأتى بهم فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ينعم بالبركة للبن» فذهبت إلى أصحاب الصفة وسحبتهم خلفى حتى عفرت وجهى بتراب أرجل الرسول ﷺ وشربنا من ذلك اللبن حتى شبعت بطوننا وقدح اللبن ينتقل من يد إلى يد ولم تنقص قطرة من لبن القدح، إلا أننا لم نستطع أن نشرب أكثر مما شربنا وقد شبعنا إلى درجة أنه بعد أن شربنا بحرص الجائع أصبحنا نتنفس بصعوبة.

يفهم من تعريف أبى هريرة هذا أن فقر أصحاب الصفة وشدة حاجتهم لم يكونا ينقصان من قدرهم لدى النبى ﷺ بل كان يزيد قدرهم عنده كلما زاد فقرهم وحاجتهم وكلما كان حامى دين الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشرف مسجد السعادة كان يلاطف المشار إليهم ويطيب خاطرهم بالحديث إليهم وعقب الصلوات كان يستدعى كل واحد منهم على حدة إلى مجلسه مجلس الملائكة ويستفسر عن أحوالهم.

فى الوقت الذى أخذت القبائل ترسل سفراءها لغرض قبول الإسلام، وعندما كثر القرشيون فى المدينة دار السكينة متحيرين بين قبول الإسلام ورده، حسد أشراف قريش ما يظهره النبى ﷺ نحو أهل الصفة من آيات المودة وأخذوا يتقولون فى طرد المشار إليهم من المجلس النبوى وإبعادهم منه، حتى إن الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى والآخرين نالوا شرف حضور المجلس النبوى ورأوا أن ثلاثين من أصحاب بدر الفقراء يحيطون بالنبى ﷺ كهالة القمر فأخذتهم العزة والغرور بالإثم وخرجوا عن شعورهم ووعيهم وقالوا: «يا رسول الله أبعد عن مجلسك العالى ابن مسعود، وبلال الحبشى ومقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وصهيب بن سنان الربيعى وأمثالهم من الغرباء! إننا من العظماء الذين يرعى جانبهم بين الأقوام القرشية فيجب رعاية جانبنا، نحن نتحادث مع ذاتك الكريمة ونستفسر عن الإسلام ونستمع إلى الأحاديث والقرآن، إن الوفود العربية تأتى وتذهب بكثرة ويروننا بين أسافل الناس، وإن هذه الحالة تجلب لنا العار!! إننا ذوو قدر وتوقير بين الناس، فإذا ما

خصص لنا مكان عال يصدق سفراء أقوام العرب فضلنا ورحمائنا على الفقراء!» وتباهوا وتفاخروا بمثل هذه الكلمات.

وقال سيدنا سرور الأنام ـ عليه الصلاة والسلام ـ «إننى لا أستطيع أن أطرد المؤمنين من مجلسى» مجيبًا، إلا أنهم قالوا إن مجالسة الفقراء تجلب لنا العار والحقارة والخجل، على الأقل فكلما نأتى إلى مجلسك فلينصرف هؤلاء الفقراء من مجلسك متعللين بأى سبب كان إذا ما روعى هذا النظام فنحن نعرض انقيادنا وطاعتنا لك وأرادوا بهذا النهج أن يحصلوا على رضا النبى ﷺ وأن يعطى لهم عهدًا بذلك وإذ رجوا ذلك أحضر معدن الحلم والكرم ﷺ سيدنا على حيدر الكرار ليكتب لهم عهدًا وفق مطالب المذكورين، ولكن عقب ذلك أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الآية التى تقول **﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**. (الأنعام: ٥٢). فصرف النبى ﷺ النظر عن كتابة العهد وأحضر أصحاب الصفة ـ رضى الله عنهم ـ وقرأ عليهم الآية التى نزلت فى حقهم.

استطراد

كان فى ذلك الوقت بين القبائل العربية وخاصة بين شعبتى بنى أمية بَنى مخزوم كثير من الحمقى انتعلوا الغطرسة والتكبر والتعظم وهم من الطائفة العرشية.

وقد وصل الغرور ببعضهم حد أنهم لم يجدوا فى هذه الدنيا الواسعة رجلاً يستحق مصاحبتهم وقالوا: «لا يداننا إلا فرقدا[1] السماء».

وإنهم لم يدركوا أن الكبر يجلب غضب الحق ويستوجب نفرة الخلق وأنه عندما ينفر الناس من أحد لن يستطيع أن يعيش حياة طبيعية سليمة وبناء على القول الذى يقول فى حق المتكبر: «الكبر على أهل الكبر صدقة» فكل الناس سينظرون إليه بالحقارة ومن هنا لن تستقيم حياته.

(١) الفرقدان: نجمان ظاهران فى مكان ثابت تقريبًا يهتدى بهما ليلاً. أحدهما النجم القطبى، وآخر بجانبه.

أنعم أشرف الأنبياء سيدنا محمد على وائل بن حجر واقتطع له قطعة من الأرض وكلف حضرة معاوية بكتابة وثيقة بملكيتها وأن يرى حدود هذا الموقع؛ وبعد أن أخذ وائل قطعة الورقة التى سطرت عليها ملكيته للأرض ركب جمله وخرج مع حضرة معاوية إلى الطريق.

وقطعا مسافة لا بأس بها، وكان معاوية ماشيًا على قدميه لأنه لا يمتلك جملاً ولما اشتدت حرارة الشمس مع مرور الوقت وأصبح المشى فوق التحمل استأذن معاوية من وائل أن يكون رديفه فى ركوب الجمل كما جرت العادة بين العرب، وكان هذا الرجاء قد جرح عظمة وائل وكبره إذ قال له يا معاوية إنك لست جديراً بأن تكون رديفًا لواحد من أعاظم العرب وأشرافهم وعندئذ قال له معاوية إذا كان كذلك فأعرنى نعليك فإنهما أكثر متانة من نعلى حتى لا تؤذى قدماى فقال له وائل: «يا ابن أبى سفيان، إننى لست رجلاً بخيلاً؛ ولكن الملوك الذين فى حوالينا إذا ما سمعوا الخبر سيؤذى كبريائى، كفى لك شرفا بأن تسير فى ظل جملى»، وبهذا بين له أنه لن يتنازل حتى عن نعليه، وبعد مدة استولى على عظمة وائل وأرضه جيوش الفقر وتبدلت أحواله بينما أصبح معاوية بن أبى سفيان واليا على معظم سواد الشام، وسافر ابن حجر إلى الشام ليشتكى تقلبات الزمان الظالمة وتلاقى بمعاوية مضطرًا، فاستقبله معاوية باحترام عظيم وأجلسه على سريره الخاص وسره بأن أجزل له العطاء ولم يتذكر الواقعة السابقة بل أخجل ابن حجر وأومأ له بأن الذين يتخلقون بالأخلاق المحمدية يتصفون بهذه المزايا العظيمة.

إذا ما وازنا مقابلة معاوية الجميلة لابن حجر فى ضمائرنا نحكم أن أخلاق أشراف القبائل العربية قد تبدلت فى عصر السعادة تبدلاً جذريًا.

قد فهم متكبرو الطوائف العربية أن الكبر والعظمة من الصِّفَات التى توجب غضب رب العزة وأنهم لاشك قد أصلحوا من أخلاقهم فى عصر النبى ﷺ إلا أن المرويات الآتية تثبت أنه كلما ابتعد عصر السعادة حدثت تحويلات كبيرة فى حال متكبرى العرب وشأنهم.

مثال ـ عندما قيل فى عصر الخلفاء العباسيين لأحد المتكبرين من بنى عبد الدار لماذا لا تسافر إلى الخليفة وتعمل على كسب حسن توجهه نحو قبيلتنا؟ فأجاب أخاف ألا يتحمل الجسر الذى سأعبر عليه أو الجمل الذى سأركبه ثقل شرفى ومزيتى وكأنه أراد أن يرمى إلى أن الخليفة إذا ما قصر فى حسن قبولى ورعايتى سيؤذى كبرى.

وكان الحجاج بن أرطأة من متكبرى العرب القدماء يتجنب الصلاة مع الجماعة، ويقول للذين يسألونه عن عدم إتيانه إلى المسجد لأداء الصلاة مع الجماعة إننى أخجل أن يقف على جانبى رجال بسطاء لأداء الصلاة.

وكان كبر ابن ثوابه يفوق جميع تكبر جميع متكبرى العرب وكان تعاظمه ونخوته أشنع وأقبح بدرجات عن غرور الحجاج بن أرطأة وهذا الأحمق الذى كان من عظماء العرب إذا ما أضطر لمكالمة أحد الزراع كان يغسل فاه بعد المكالمة.

لمؤلفه الفقير:

إذا مـا عـرف المتـكبر مضـرة كبـــره

بقبضـة الندامـة يضـــرب صــــدره

«انتهى»

فهؤلاء وأمثالهم من المتكبرين من رجال قبائل العرب والمتعاظمين كانوا يعدون وجود جماعات أصحاب الصفة فى مجلس السعادة حقارة لهم وإقلالاً من شأنهم؛ لذا سعوا معهم بطردهم منه؛ وكانت لهم وسائلهم وحيلهم الشيطانية وفى النهاية أطلعوا النبى ﷺ على ما فى ضمائرهم وطلبوا كتابة عهد بذلك؛ ولكن هذه الجماعة العظيمة كانت قد انصرفت سواء أكانت عن الدنيا أو عن مكاسبها كلية ولازموا مسجد السعادة وادموا فى عبادة رب العزة ومن هنا لم يستطع هؤلاء المتكبرون ترويج أفكارهم المسمومة، وقد صدقت الآية الجليلة (ولا تطرد الذين...) (الأنعام: ٥٢) صدقهم وصفاء قلوبهم، ويعد بعض الناس عدد أهل الصفة أربعمائة نفر ويوصلهم البعض إلى ستمائة نفر، وبناء على تدقيق أبى نعيم الأصفهانى فى مؤلفه «حلية الأولياء» بغض النظر عما ورد فى أسماء

أصحاب الصفة من الاختلافات أن بعض أصحاب الصفة قد تأهلوا وتركوا الإقامة فى الصفة الشريفة كما أن بعضهم خرجوا للسياحة ولم يقيموا فيها فى صورة دائمة ومن هنا لا يمكن تعيين عددهم بالضبط: ولكن سواء أكان المتزوجون فيهم أو مَنْ خرجوا للسياحة كانوا يعدون موجودين فى الصفة ويتساوون حسب المزية فى درجة واحدة، وكان بينهم من لهم نفوذ ومن يراعى جانبهم وكان أبو هريرة، كما أشير أعلاه، يعد رئيسهم ونقيبهم. حتى إن أبا هريرة كان يتولى تفقد أحوالهم والاستفسار عن شأنهم بموجب الأمر النبوى ويعرض أحوالهم إلى السدة النبوية وكان يعمل وفق الأوامر التى تصدر من النبى ﷺ.

أصحاب الصفة الذين أورد أبو نعيم أسماءهم الجميلة ومناقبهم الجليلة من بين هؤلاء:

أوس بن أوس الثقفى، أسماء ابن حارثة الأسلمى، أبو عبد الله ثوبان بن بجدد، أبو سعد ثابت بن وديعة الأوسى، أبو ذر جندب بن جنادة الغفارى، أبو عبد الرحمن جرهد الأسلمى، أبو سريحه حذيفة بن أسيد الغفارى، أبو عبد الله حارثه بن النعمان الأنصارى، أبو عبد الله سلمان الفارسى، أبو عبد الرحمن سفينة، أبو كبشه سليم الفارس، أبو هريرة عبد الرحمن الدوسى، أبو رزين أبو فراس الأسلمى، ابن الخصاصية، بشير بن يزيد، أبو عبيده عامر بن عبد الله الجراح، أبو مويهبة، أبو ريحانة شمعون الأزدى، وبرة، نضلة بن عبيد الأسلمى، أبو عسيب أحمر، أبو عيسى بن مريم بن سالم، أبو اليقظان عمار بن ياسر، بلال بن رباح الحبشى، ثابت بن الضحاك الأشهلى، جرهم أبو ثعلبه الحسينى، جعيل بن شرأفة الضميرى الغفارى، جارية بن حُميل الأشجعى، حبيب بن زيد الأنصارى، حازم بن حرملة الأسلمى، حنظلة بن أبى عامر، حجاج بن عمرو المازنى، حكم بن عمرو الثمالى(١)، حرملة بن إياس، خُبَيْبُ بن إِسَافِ الخزرجى، الحسين بن على بن أبى طالب، حجاج بن عمرو الأسلمى،

(١) انظر الإصابة ٢/ ٨٠ ترجمة رقم ٢٠٩٩، وقبلها ٢/ ٣٠ ترجمة رقم ١٧٨٢.

خباب بن الأرت التَّميْمىّ، خنيس بن حذافة السهمى، خالد بن زيد الخزرجى، خريم بن أوس الطائى، دكين بن سعيد الخثعمى، رفاعة بن عبد المنذر الأوسى، زيد بن الخطاب العدوى، سعد بن مالك أبو وقاص الزهرى، سعيد بن عامر الجُمَحّى، سعد بن مالك الخزرجى، سالم بن عبيد، سالم بن عمرو الأنصارى، سائب بن خلاد، سالم مولى أبى حذيفة، شداد بن أسيد السلمى، صالح شقران الحبشى، صفوان بن دهب الفهرى، صهيب بن سنان الرومى، طخفة بن قيس الغفارى؛ طلحة بن عمرو البصرى، عبد الله بن ذو البجادين المزنى، عبد الله بن حرام السلمى، عبد الله بن مسعود الهذلى، عبد الله بن عبد الأسد المخزومى، عبد الله بن حرام السلمى، عبد الله بن زيد الجهنى، عبد الله بن أنيس الجهنى، عبد الله بن حارث الزيدى، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن قرط الأزدى الثمالى، عبد الرحمن بن جبير الحارثى، عتبة بن غزوان، عقبة بن عامر الجهنى، عباد بن خالد الغفارى، عمرو بن تغلب النمرى، عويم بن ساعدة الأوسى، عويمر بن عامر الخزرجى، عبيد بن سليم، عكاشة بن محصن الأسدى، عرباض بن سارية السلمى، عبد الله بن حبيش الخثعمى، عتبة بن عبد السلمى، عتبة بن النُّــدَّر السلمى، عمرو بن عبسة السلمى، عبادة بن قرط الليثى، عياض بن حِمَارٍ المجاشعى، عبد الله بن طهفة الغفارى، عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، عبد الله بن منذر الجهنى، فضالة بن عبيد الأوسى العمرى، فرات بن حيان البكرى العجلى، كعب بن عمرو الخزرجى، كعب بن عمر السلمى، كناز بن حصين الغنوى، كنانة بن حصين العدوى أبو المدينة، مصعب بن عمير العبدرى، مقداد بن الأسود، مسطح بن أثاثه القرشى، مسعود بن ربيعة الهونى، معاذ بن الحارث النجارى، معاوية بن الحكم السلمى، مسعود بن ربيعة القارى وهو الهونى المتقدم، واثلة بن الأسقع الليثى، وابصة بن معبد الأسدى، هلال بن مولى المغيرة، هند بن حارثة بن هند، هبيب[1] بن يسار ـ رضى الله عنهم الستار.

(١) لم أجد فى الصحابة بهذا الأسم إلا هبيب بن مُغْفِل. انظر: الإصابة ٦/ ٢٨١ الترجمة ٨٩٣٥.

كيفية إعاشة أصحاب الصفة:

تعرضت أشجار النخيل فى أواخر عهد السعادة لنوع من الآفات وأشجار النخيل التى أصابها الآفة عندما أشرفت على إظهار ثمارها ذبلت أزهارها وبليت وسقطت على الأرض وأصابت الآفة خمسة وتسعين فى المائة من النخيل، وبهذا الشكل كان رأسمال الملاك وثروتهم قد ذهبا هباء ومُحيا تمامًا. وقام الزراع للقضاء على هذه الآفة بآلاف المحاولات حتى يجدوا حلاً سريعًا لهذه الآفة، وقاموا فى سبيل ذلك ببعض التضحيات إلا أن سعيهم وجهودهم ذهبت هباء، وإذا ما دامت هذه الحالة أصبح احتمال الحصول على المحاصيل من حدائق المدينة مستحيلاً، ومن هنا راجعوا طبيب الكائنات ـ عليه أسبغ التحيات ـ راجين أن يجد دواء لدائهم. فما كان من النبى ﷺ الواقف على أسرار الحكمة إلا أن اتخذ قرارًا بأن يأتى كل من أصابت الآفة نخيله بعنقود من البلح صدقة خالصة لأصحاب الصفة وبنية صحيحة، وامتثل للأمر النبوى معاذ بن جبل من سادات الأصحاب وكان أول من امتثل وأسرع بقطف عنقود من البلح الطازج وأتى به إلى مسجد السعادة وبما أن الآفة انقطعت من حديقة معاذ بن جبل إثر هذا العمل وأبلغ الأهالى الرسول ﷺ أصدر النبى ﷺ تعليماته أن يأتى كل من ابتلى بالآفة بعنقود بلح لتوزيعه على أصحاب الصفة وأعلن ذلك على الزراع.

ومن هنا اتخذ أصحاب الحدائق عادة ألا يطعموا أولادهم وعيالهم قبل أن يقدموا عنقودا من البلح لأصحاب الصفة، واستمر أصحاب اليسار والثروة بعد زوال الآفة فى تقديم البلح إلى مسجد السعادة كصدقة لأهل الصفة متبركين وعدوا هذا العمل كنفع عام ومن هنا تنافسوا فى هذا العمل المبارك.

وتولى معاذ بن جبل بحفظ ما يقدم من البلح وأخذ يوزعه على أصحاب الصفة فى أوقات معينة مخصوصة، وكان محمد بن مسلمة من أكابر الصحابة معروفًا بالسماحة والسجايا السامية وكان رجلاً فاضلاً يسلك دائمًا أحسن المسالك، إذ كان فى باكورة مواسم البلح يأتى بعناقيد البلح التى يجمعها ويضعها

بين عمودين من أعمدة المسجد ومن رأى ذلك اتخذ عادة الإتيان ببعض عناقيد البلح ويضعها بجانب عناقيد البلح المشار إليه، ولما كان هذا النظام الحسن سببًا فى إعاشة أصحاب الصفة وتسهيل حياتهم فقد تعمم تقديم البلح حتى أصبح كقانون البلد، وعمل زراع البلد بهذا القانون ذو الفرائد واستمروا على ذلك فى عصر السعادة وهكذا أطعموا حضرات أصحاب الصفة.

وعندما كثرت عناقيد البلح فى مسجد السعادة ربط معاذ بن جبل بين الأعمدة التى تراكمت فيها العناقيد حبلاً وعلق عليه العناقيد وكان الأصحاب الكرام يهزون العناقيد بعصيهم ويدعون أصحاب الصفة وبعد تناول البلح كان أصحاب الصفة ينصرفون إلى الأروقة التى صنعت من أجلهم فى نهاية مسجد السعادة من جهة الشمال حيث يمضون أوقاتهم فى الطاعة والعبادة.

واستمر توزيع البلح بهذه الصورة إلى أزمنة الخلفاء الراشدين، ولكن فيما بعد كثرت حقول البلح وكثر الغرباء من الوافدين إلى المدينة حيث أصبحت الصفة الخاصة بأصحاب الصفة لا تتسع لإيوائهم ومن هنا أخذ ولاة المدينة المنورة ما يتبرع به الزراع من بلح التبرك وباعوا بعضه واشتروا بعض قرب الماء والنعال وأشياء أخرى وأخذوا يطعمون الفقراء الوافدين فى مواسم الحج طول إقامتهم حسب النظام السابق وأسعدوهم عند عودتهم بإعطاء كل واحد منهم قربة ماء ومقدارًا من البلح، وقد ألغى الولاة المتأخرون النظام السابق وأحالوا إدارة الزوار الفقراء إلى دار الضيافة النبوية، وبما أنه لم يبق الآن فى المدينة المنورة، لا الزراع الذين يقدمون البلح لإطعامهم ولا القادرون الذين يعنون بإطعام الفقراء ويفكرون فيه ومن هنا فالفقراء الذين نفدت نقودهم وطعامهم لم يجدوا إلا صاحب الرسالة عليه أكمل التحية يعرضون عليه حاجتهم وهكذا ينالون مطالبهم كما سيفصل فى المقال الذى فى خاتمة الكتاب.

ومكان المظلة والرواق اللذان صنعا خصيصًا من أجل أصحاب الصفة الذين يعيشون كما سبق ذكره فى الجهة الشمالية من محراب التهجد وتقع هذه الصفة

المسعودة بين محراب التهجد الشريف إلى باب جبريل تظل مقصورة محراب التهجد فى الجهة اليمنى ومقصورة صفة أصحاب الصفة المباركة فى الجهة اليسرى.

وأراد الأسلاف الكرام أن يحافظوا على مكان الصفة الشريف إلى يوم القيامة وبهذا التفكير المصيب رفعوا الصفة عن سطح المسجد الشريف بمقدار ذراع واحد وأحاطوا أطرافها بسور خشبى فى ارتفاع نصف ذراع وخصصوها لجلوس أغوات حجرة السعادة، ويقيم الزوار الأفاضل وشيخ الحرم والآخرون من الذوات الكرام ليصلوا الصلوات المفروضة فى صفة أصحاب الصفة كما أن حراس الحجرة المعطرة يمضون أوقات نوبتهم فى هذا المكان الجميل بقراءة أورادهم الخاصة، إن هذا المكان موضع مبارك فى غاية اللطف والروحانية ولا ينكر أهمية الصلوات التى تؤدى فى هذا المكان لشرفه إلا أن أداء الصلاة فى الروضة المطهرة ما دام يجد الإنسان مكانًا خاليًا أفضل من الصلاة فى الصُّفَّة. ولكن فى حالة ازدحام الروضة المطهرة بالمصلين وعدم وجود مكان للصلاة تؤدى الصلاة فى مقصورة أصحاب الصفة، وإذا ما تذكر الإنسان تراحم أحوال أصحاب الصفة ومناقبهم وفضائلهم فلابد أن يقدر أهمية موقع ذلك المكان.

وكيف لا يبعث هذا المكان صفاء وسكونًا للقلب؟ فمحراب التهجد أمامه ودار السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ خلف محراب التهجد والروضة المطهرة فى الجهة الشرقية القبلية منه وحجرة النبى ﷺ المعطرة فى التقاء الروضة المقدسة من الجهة الغربية.

في تعريف الحجرة النبوية المعطرة.

ترك بانى أساس الشريعة عديم الاندراس ـ عليه أكمل التحية ـ عندما تفضل بوضع أسس مسجد المدينة مكانًا خاليًا فى جهة من جهات المسجد ليبنى عليه لزوجاته المطهرات أمهات المؤمنين حجرة عالية لكل واحدة منهن، وبعد ما تم بناء المسجد الشريف ابتدر ببناء دارين للسيدتين سودة وعائشة[1] ـ رضى الله عنهما ـ وسواء أكانت عمق هاتين الدارين أو حجرات زوجات النبى الأخريات كاملة ملكًا لحارثة بن النعمان، أو قدم حضرة حارثة العَرْصَةَ المذكورة للنبى ﷺ ورحل إلى مكان آخر وهكذا نال شرف مجاورة النبى ﷺ الغالية لمدة مديدة.

وقد كان لحارثة بن النعمان أولاً عَرْصَةُ الدارين سالفتى الذكر ورحل إلى الدار التى على اتصال بهذه الساحة، وتعود أن يعطى قطعة أرض للنبى ﷺ كلما احتاج لبناء دار ويرحل هو إلى دار أخرى وبهذه الطريقة كان قد تنازل عن جميع ما يملكه من الأرض عندما تم بناء حجرات زوجات النبى ﷺ.

إن الحجرات التسعة التى أسسها النبى ﷺ لزوجاته كان بعضها مبنيًا من الحجر والطين اللبن وبعضها من جذوع النخيل قد طلى فوقها بالطين وصنعت أسقفها جميعًا من جريد النخيل، وكان ارتفاع جدرانها عامة فى حدود ثلاثة أذرع، وكانت بين دار السيدة عائشة وباب الرحمة، أى حجرات نسائه جميعًا كانت فى الجهة القبلية والشرقية والجهة الشمالية للمسجد الشريف، والدار التى كان يحبها النبى ﷺ وأكثر ما كان يسكن ويقيم فيها كانت دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكان يفتح بابها إلى الساحة الرملية وكان مصراعه مصنوعًا من خشب العرعر أو من خشب الساج على قول آخر، وكان الأصحاب الكرام والتابعين يدخلون فى

(١) عندما بنى مسجد السعادة لم تكن للنبى ﷺ إلا زوجتان.

حجرات النبى بعد ارتحاله عن دنيانا ويؤدون فيها ركعات التحية ويذكرون المحاسن النبوية وينتحبون متحسرين كما أن المشتاقين للجمال المحمدى يؤدون صلاة الجمعة في داخلها، وهذا التصرف دليل كاف للدلالة على مدى حب أصحاب النبى الكرام لرسولهم.

حكاية

رأى النبى ﷺ يومًا من الأيام ثوبان - رضى الله عنه - فى غاية الهم والغم وهو واقف فى حضرته فسأله قائلاً: «يا ثوبان مالى أراك فى هذه الدرجة من الحزن والهم؟» فتحضر حضرة ثوبان للإجابة قائلاً «يا رسول الله إنك ستكون فى مقام عال مع الأنبياء الكرام! ففكرت ماذا سيكون إلى فى ذلك الوقت إذا سأحرم من رؤية جمالك الكامل، ومن أجل ذلك ملأنى الهم والغم» وبناء على قوله هذا نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾. الآية (٦٩: النساء) ويروون هذه القصة فى حق زيد بن عبد ربه أيضًا، كان زيد يحب النبى ﷺ حبًّا جمًّا، وعندما ارتحل النبى ﷺ كان زيد مشغولاً فى حديقته، وعندما جاء ابنه وأخبره بهذا الخبر المؤثر رفع يديه عاليًا وقال: «يا رب أزل نور عينى!!! حتى لا تريا بعد وجه رسول الله ﷺ أحدا!» وأصاب سهم دعائه هدفه فعميت عيناه من تلك اللحظة؛ رضى الله عنه.

حكاية أخرى

كان زيد بن الدثنة من الذين يحبون الرسول الأكرم حبًا مفرطًا، ولما وقع فى يد مشركى مكة وأخرجوه من الحرم ليعيدوه جاء أبو سفيان وقال: «يا زيد قل لى بالله لما كنت تود أن يكون مكانك محمد وضرب عنقه بدل عنقك وتعود أنت إلى عيالك» فأجابه قائلاً: «يا أبا سفيان لو شاكت شوكة الرسول ﷺ حيث يجلس وكنت أنا بين أولادى وعيالى، لكنت تألمت من ذلك» فقال أبو سفيان، إننى لم أر أحدًا من أبناء آدم يحب أحدًا كما يحب أصحاب محمد محمدًا وهكذا أظهر.. شدة تعجبه. انتهى.

لما زادت الجماعات الإسلامية ووصل الأمر إلى درجة أنهم ملئوا حرم المسجد الشريف هدموا الحجرات العليا كلها وألحقوها بالمسجد الشريف، وكانت هذه الحجرات فى عهدة إحدى زوجات النبى المطهرات إلا أن دار زينب ـ رضى الله عنها آلت إلى أم سلمة ـ بعد رحيل الأولى، كما أن دار سودة ـ رضى الله عنها ـ آلت إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ كما أن دار صفية ـ رضى الله عنها ـ بعد مضى بعض الوقت بيعت إلى معاوية من قبل أوليائها.

كما أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أعطت الدار التى انتقلت إليها لعبد الله بن الزبير بشرط أن يقيم فيها بذاته.

وكانت السيدة سودة قد أوصت فى حياتها بإعطاء دارها لعائشة، إلا أن ابن أبى سفيان اشترى دار والدتنا صفية من ورثتها بمائة وثمانين ألف درهم.

يروى بعض المؤرخين أن حضرة معاوية اشترى دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى رواية بمائة وثمانين ألف درهم وفى رواية أخرى بثمانين ألف درهم فقط وكانت دار حفصة أصبحت من ميراث عبد الله بن عمر فانتزعها منه الحجاج الظالم بالقوة ليلحقها بالمسجد، إلا أن رواية شراء ابن أبى سفيان من عائشة غير صحيحة، لأن عائشة وهبت تلك الدار المذكورة وملكتها لعبد الله بن الزبير فقدم من شدة فرحته لأمنا المذكورة هدية حمل خمسة جمال كما رجاها ألا تُغادرها مادامت حية.

في تعريف دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ السعيدة.

كان بين حجرتى السيدة فاطمة وعائشة ـ رضى الله عنهما ـ حيث تقيمان باب صغير، وكانت دار النبى ﷺ الطاهرة متصلة بهذا الباب الصغير، وكانت دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ مائلة نحو الحجرة المعطرة، ومن هنا كلما وجد نبينا ﷺ فى داره الطاهرة كان يستفسر عن حال السيدة فاطمة؛ وفى ليلة من الليالى حدث قيل وقال بين عائشة وفاطمة ـ رضى الله عنهما ـ فغضبت السيدة فاطمة من عائشة ـ رضى الله عنهما ـ ورجت من النبى ﷺ أن يسد ذلك الباب الصغير، وبناء على ذلك سد النبى ﷺ ذلك الباب.

ودار فاطمة فى الجهة القبلية من محراب التهجد الذى يقع فى الجهة الشامية من الحجرة النبوية وبابها أمام مربعة القبر الجليل ولما كانت فخر النساء ـ رضى الله عنها ـ زفت فى داخل هذه الحجرة فأحيط حولها، لأجل التعظيم بسور خشبى، واستخدم فترة كالمقصورة وأخذ مؤخرًا داخل شبكة السعادة.

وبالنظر لهيئة مسجد السعادة الحالية فإن دار فاطمة بين مربع القبر الجليل وأسطوانة محراب التهجد وقد أصبحت ذاتها العالية عروسًا بجانب أسطوانة محراب التهجد، ومن هنا فهذا المكان من جميع الوجوه جدير بالتعظيم والتقديس، والدار التى نحن فى صدد تعريفها بين باب دارى عثمان بن عفان وأسماء بنت حسن بن عبد الله وجهتها الشامية فى طرف باب النساء.

وكلما عاد النبى ﷺ من سفر كان يدخل أولاً فى المسجد وبعد أن يصلى ركعتين يزور حجرة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ثم يزور حجرات زوجاته بالترتيب، كل هذه الروايات مروية عن الحسن البصرى الذى كان من أجلة

التابعين، كان يقول هذا الذات السامى كلما يتحدث عن الحجرات النبوية «إننى قد زرت حجرات زوجات النبى المطهرات قبل البلوغ وكنت أستطيع أن أمسك بيدى أسقف الحجرات بالرغم من صغر سنى».

وبهذا القول كان يبين مدى انخفاض الحجرات العليا عندما أسست؛ رحمة الله عليه.

فى تعريف كيفية إغلاق الأبواب التى تواجه مسجد النبى فى عصر السعادة.

كان لكل واحد من المنازل التى تحيط بالمسجد الشريف فى عصر السعادة بابان كان يواجه أحدهما المسجد الشريف والآخر ينظر إلى جهات أخرى، وبناء عليه كان أصحاب تلك البيوت يستطيعون أن ينظروا داخل المسجد الشريف وقتما شاءوا. وصعد النبى ﷺ قبل ارتحاله إلى دار البقاء وقال: «إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خير عبده بين ذاته الوحدانية وبين زهرة الدنيا فاختار عبده ذاته الإلهية، وذلك قوله ﷺ: «لو كنت خيرت أن أتخذ غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ خليلاً لاتخذت أبا بكر الصديق خليلاً لما له من أيادى على أن أسعدنى بصحبته وساعدنى بماله، ومع ذلك بيننا الأخوة والمودة الإسلامية، وأوصيكم بأن تسدوا جميع الأبواب الناظرة إلى مسجدى غير باب أبى بكر الصديق»، وكانت الخطبة مؤثرة ذات معان بليغة وفى هذه الخطبة أمر بإغلاق جميع الأبواب الناظرة إلى المسجد الشريف إلا أنه حدث عقب هذه الخطبة بين الأصحاب قيل وقال ووصل ذلك إلى الرسول ﷺ.

وبناء على ذلك استدعى يومًا أصحابه وقال لهم قد سمعت أن الخطبة التى ألقيتها بالأمس بها أمر بأن تسد جميع الأبواب غير باب أبى بكر أدى إلى شيوع القيل والقال! إن النور الذى أبصره يقينى والذى أشاهده فى باب أبى بكر لا أشاهده فى أبواب سائر الأصحاب وكلمة العبد التى ذكرت فى الخطبة السابقة كانت المقصود بها الذات النبوى، وقد فهم أبو بكر الأمر، وعرف أن الوقت قد آن لانتقال الرسول ﷺ إلى الآخرة وتشريفها وإن أشار لذلك فى مبدأ الخطبة، ومن هنا حزن حزنًا شديدًا وأخذ يبكى بكاء شديدًا من شدة ألمه حتى تحير وتعجب الأصحاب الذين فى المسجد، ولما أمر الرسول ﷺ بسد الأبواب الناظرة

إلى المسجد فى خطبته الثانية فأسرع الأصحاب بسدها كلها وقال بعض الرواة إن الباب الذى استثنى عن السد هو باب على بن أبى طالب، ولما كان بيته بجانب المسجد لم يكن له باب آخر، ونقلوا بخصوص سد الأبواب كثيرًا من الأحاديث المتباينة، وقد ورد فى بعض تلك الأحاديث استثناء باب أبى بكر الصديق وفى الأحاديث الأخرى استثناء باب على بن أبى طالب، وإذا ما قيل إن الأمر الذى صدر بسد الأبواب كان فى خطبتين استثنى فى الأولى سد باب أبى بكر الصديق وفى الثانية باب على بن أبى طالب، وبهذا نكون قد وفقنا بين الروايات المختلفة، وكان الأمر بسد الأبواب كان نظرًا لما سيحدث من الانقلابات فى الأزمنة الآتية، لأنه كان قد فتح لجميع المنازل التى حول المسجد أبوابا تنظر إلى المسجد الحرام، فإذا لم تكن الأبواب قد سدت كانت المنافسة التى ظهرت قليلاً رويدًا كانت تؤدى إلى توسيع المنازل وعندئذ ستلتصق جدران المنازل بجدران مسجد السعادة، وهذا قد يؤدى إلى الحريق، كما أن صياح الأطفال ومشاجرتهم كانت ستسلب راحة بال جماعات المصلين كما أن ترك تلك الأبواب مفتوحة ستؤدى إلى محاذير مضرة، وإذا ما قيل إن فى هذه الحالة كان يقتضى الأَمْرُ سد باب على بن أبى طالب كغيره من الأبواب التى طلب ﷺ سدها فما السبب فى تركه مفتوحًا؟ أجيب: إن دار على بن أبى طالب كانت متصلة بالمسجد الشريف ولم يكن لها باب آخر يفتح إلى جهات أخرى وبما أنه كان محتاجًا لباب للدخول والخروج ترك بابه مفتوحًا.

وقد انزعج الأصحاب الكرام من انسداد الأبواب وتأثروا متألمين ومن هنا أخذوا من النبى ﷺ إذنًا بفتح نوافذ صغيرة فى بيوتهم، وسدوا أبوابهم وفتحوا نوافذ صغيرة، ولكن النبى ﷺ أمر قبل وفاته بسد تلك النوافذ أيضًا وترك نافذة أبى بكر الصديق مفتوحة، وكأنه ألمح بهذه الإشارة الخفية لزوم بيعة المشار إليه والإسراع بتصديق خلافته.

الوجهة السابعة

تجمع خمس صور تبين وتظهر عدد المرات التى جددت فيها حدود المسجد النبوى ووسعت ومن الذين حددوها وأشكال القبور الثلاثة فى حالتها الحاضرة.

في ذكر توسيع مسجد الرسول لأول مرة.

انشغل حضرة الصديق فى زمن خلافته بحركات الردة التى ظهرت بين العربان فى شكل مفزع مخيف ولم يهتم بتجديد مسجد الرسول وتوسيعه إلا أنه أصلح وعمر بعض أماكنه، وتكاثرت فيما بعد الجماعات الإسلامية حتى أصبح المسجد الشريف لا يستوعبها، واستدعى الفاروق الأعظم فى السنة السابعة عشرة كبار المهاجرين والأصحاب وقال لهم: «إننى كنت قد سمعت من فم النبى ﷺ المحسن قوله يلزم توسيع المسجد الشريف» ولما رأيت الآن بعين الافتخار والمباهاة تكاثر الجماعات الإسلامية فأرغب فى توسيع حرم ساحة المسجد الشريف وقد تلقى العموم هذا الرأى بالاستحسان وتحمسوا له، وبناء على ذلك هدم الجدار القبلى دون أن يمس جهة حجرات النبى وسحب الجدار إلى الخلف ما يقرب من عشرة أذرع ووسع مسجد السعادة بقدر استيعاب الجماعات الإسلامية التى فى عهده وأعلى جدرانه قليلاً، وأعلى أخشاب سقفه مقدار ذراعين وعلى قول آخر مقدار ثلاثة أذرع، وفتح ستة أبواب اثنان منهما فى جهة باب السلام واثنان فى جهة باب جبريل والاثنان الآخران فى جهة باب النساء، كما أنه بنى جدران المسجد بحجارة منحوتة قدر ارتفاع ذراعين من الأرض.

وبناء عليه قد اكتسب مسجد السعادة فى ذلك الوقت شهرة بنظامه وانتظامه يمكن أن يقال إنه بالنسبة لزمنه أنه فوق العادة، وبلغ طول سطحه الداخلى أربعين ومائة وعمقه عشرين ومائة ذراع، وقد أضيف إلى المسجد فى هذا التعمير لتوسيعه من الجهة القبلية والشامية أرض تقترب من ثلاثين ذراعًا.

قال بعض الرواة إن الجهة القبلية من المسجد النبوى كانت فى طول أحد عشر ذراعًا ومن الجهة القبلية إلى الجدار الشامى كان فى امتداد ما يقرب من أربعين ذراعًا، فى ذلك الوقت وعلى هذا الحساب يكون حضرة الفاروق قد أضاف

عشرين ذراعًا عرضًا؛ وبعد أن أنهى حضرة الفاروق عمليات التجديد والتعمير والتوسيع فرش جهة باب النساء بالرمل وجعلها مثل الساحة الرملية للمسجد الحرام، وكانت الساحة الرملية لمسجد السعادة متصلة بالرباط المنسوب لخالد بن الوليد وكان الصحابة الكرام يجتمعون فى هذه الساحة لإنشاد الشعر، وكانت هذه العادة غير مذمومة اقتداء بالرسول ﷺ الذى وضع كرسيًا فى المسجد الشريف لحسان بن ثابت وجعله يلقى القصائد فى ذم الكفار، إلا أن هذه العادة أسئ استخدامها فيما بعد إذ أخذ فى إنشاد الأشعار فى كل مكان من المسجد بطريقة غير لائقة خارجة عن توقير المسجد واحترامه؛ لذا تأثر حضرة الفاروق من هذه الحالة وألغى عادة إنشاد الشعر فى مسجد الرسول توأم حرم الجنة وفى ذلك الوقت رأى سائب بن يزيد قد تَمدَّد فى المسجد وظل نائمًا فأيقظه وهو غاضب أشد الغضب وقال له: «لو لم تكن من أهل الطائف أى من قبائل مكة المعظمة لأوسعتك ضربًا». وعاتبه بهذه الأقوال ثم فرش فى منتهى الجهة الشامية من المسجد الشريف رملاً وحصر ذلك المكان لإقامة من يريدون إلقاء الشعر وفصله عن الحرم الشريف، وكان الجدار الذى أقامه حضرة الفاروق وما نصبه من الأساطين قد بنى على شكل مستحسن مطبوع، وكان أسفل الجدران من الحجارة وأعلاها من اللبن.

إن الأساطين التى فى الصف الأول خارج السور الخشبى الذى فى الجهة القبلية من الروضة المطهرة حتى الآن من الأساطين التى نصبها عمر بن الخطاب، وبعد الحريق قد جددت على الشكل السابق وقد حولها السلطان عبد المجيد خان إلى الرخام وقويت وبدت فى غاية المتانة.

استدعى حضرة الفاروق قبل أن يشرع فى توسيع المسجد العباس بن عبد المطلب ومهد لطلبه قائلاً: يا عباس قد كثر المسلمون بفضل الله ولطفه وإحسانه، ومن هنا ظهرت الحاجة الشرعية لتوسيع المسجد. قد اشتريت جميع المنازل التى حول المسجد كلها ودفعت ثمنها، ولم تظل إلا دور أمهات المؤمنين ودارك، إننى أستحى أن أشترى دور أمهات المؤمنين التى تضارع الثريا؛ ولكننى آمل أن آخذ دارك، إذا ما بعتم دفعت لكم ثمنها وإذا ما تبرعتم بها أعرض لكم

شكرى وحمدى، وبهذه المقدمة طلب منه داره، فأجابه العباس: «قد أعطانى الرسول ﷺ ساحة هذه الدار وساعدنى فى بنائها متنازلاً؛ وأنى لكم الحق فى مطالبتى بها وأنت تعرف هذه الأمور؟!» وبعدما أدارا كئوس الحوار فترة أحالوا الأمر لفصل القضية لحكم أبى بن كعب من أفاضل الصحابة؛ وفتح أبى بن كعب فمه ناقلاً عن النبى ﷺ أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ جل شأنه عن الشبيه ـ أن يبنى داود ـ عليه السلام ـ مسجدًا وطلب منه ذلك، وخط داود ـ عليه السلام ـ حول عَرْصَة بيت المقدس خطا مربع الأضلاع دائرًا ما دار، وبما أنه سيتخذ هذه الساحة مسجدًا فإنه يأمل أن يشترى جميع المنازل التى تقع فى داخل الدائرة التى خطها.

وأنبأ أصحاب الدور بذلك، وتقبل جميع أصحاب البيوت التى فى داخل الدائرة عرض النبى داود قبولاً حسنًا وقبلوا أن يتنازلوا عن دورهم إلا واحدا منهم خالف داود ـ عليه السلام ـ ورفض إعطاء منزله فبين له داود ـ عليه سلام الله الودود ـ أنه سيقدر لمنزله قيمة وسيدفع له هذا الثمن المقدر ويستولى على بيته جبرًا، عندئذ صدر من الله ـ سبحانه ـ خطابه معاتبًا يا داود هل تريد أن تدخل مالاً مغصوبًا فى البيت الذى ستؤسسه من أجلى وهذا لا يليق، وبهذا الخطاب أقلق داود عليه السلام، وهكذا جعل أبى بن كعب الحق بجانب العباس بن عبد المطلب، وقد سر العباس بن عبد المطلب من حكاية أبى بن كعب المحايدة وتنازل عن داره للمسجد الشريف بلا مقابل متبركًا. وتقع هذه الدار فى مكان الأعمدة التى فى الصف الأول ابتداء من المنبر المنير والتى تنتهى إلى باب السلام فى مكان العمود الخامس من تلك الأعمدة التى ألحقت بمسجد السعادة والمكان المواجه لها دار مروان بن الحكم.

ويروى البعض أن الدار التى كانت مثار المنازعة فى أخذها وشرائها هى الساحة التى كان النبى ﷺ قد اختارها لجعفر بن أبى طالب الذى كان فى الحبشة، واشترى نصف هذه الساحة عمر بن الخطاب واشترى نصفها الآخر عثمان بن عفان وألحقها بالمسجد الشريف، ويروون أن عمر بن الخطاب دفع لنصف هذه الساحة ألف درهم ومائة ثمنًا لها.

فى ذكر كيفية تجديد مسجد السعادة وتوسيعه للمرة الثانية.

ظل مسجد السعادة ثلاث عشرة سنة وفى قول ثمانى عشرة سنة على الهيئة التى جددها الفاروق الأعظم إلا أن عدد المسلمين زاد رويدًا رويدًا حتى أصبح الحرم الشريف لايستوعبهم؛ ولأجل ذلك هدم عثمان بن عفان مبانيه كلية فى السنة التاسعة والعشرين أو السنة الثلاثين وفى رواية فى السنة الحادية والثلاثين أو فى نهاية سِنِىٍّ خلافته فى خلال شهر ربيع الأول من السنة الخامسة والثلاثين ووسعه وجدده على أجمل شكل وهيئة منتظمة كما بنى لنفسه مقصورة وأتم عمليات البناء فى ظرف عشرة أشهر وهذا التعمير يعد التوسعة الثانية للمسجد الشريف.

يبين بعض المؤرخين لهدم مسجد السعادة وتجديده أسبابًا عدة، أحد هذه الأسباب بل أهمها قول بعض أهالى المدينة من أصحاب العز والمثول إن الجماعات يظلون خارج المسجد يوم الجمعة ولايستطيعون أداء الصلاة، فإذا ما وسع مسجد السعادة قليلاً لاستوعب كل الجماعات الآتين للصلاة وقد استحسن عثمان بن عفان رأى من يريدون توسيع مسجد السعادة واستشار أصحاب الشورى، ثم قرر أن يهدم المسجد الشريف كله، وتوسيعه، وصعد يومًا بعد أداء صلاة الظهر على منبر السعادة وألقى خطبة بليغة تحوى المعانى التالية يا أصحاب رسول الله، إننى سأجدد المسجد الشريف وأوسعه بعد هدمه، وقد تذاكرت مع أصحاب الشورى فى هذا الخصوص، فاستصوب كلهم رأيى وأقروا أن الحرم السعيد فى حاجة إلى التوسيع والتجديد. وقال للذين رفعوا قامتهم معترضين:[(١)] «إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول الذين يبنون مسجدًا لوجه الله فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سينعم

(١) وكان غرض المعترضين تجديد المسجد بلا زينة لأن الكل كان يتمنى توسيع المسجد وتجديده.

عليهم فى الجنة مثل المسجد الذى أسسوه فى الدنيا وسيتبعنى سلفى فى هذا الخصوص وإننى سأموت وأقلده فى هذا، وأسكتهم بهذه الإجابة الصائبة. وقد أدت الخطبة التى ألقاها عثمان إلى قيل وقال إلا أن الجميع قد اتفق فى الاجتماع العام على لزوم توسيع المسجد وتوسيعه على صورة مطبوعة جميلة وصدقوه وبناء عليه جلب الخليفة القدر الكافى من العمال وابتدر بهدم المسجد بذاته وهو صائم، وترك الجهة الشرقية من المسجد على حالها، وهدم الجدار القبلى كاملاً ووسعت هذه الجهة وجدد جدران جهاتها الأربعة بحجارة منقوشة بعد هدمها ونصب عموداً ذات قاعدة مربعة فى الجهة الغربية يعنى فى جهة «باب السلام». إن هذا العمود هو السابع إذا ما عد ابتداء من منبر السعادة ناحية باب السلام، وقد جعلت قاعدته مربعة للدلالة على أن هذا المكان منتهى توسيع حضرة عثمان مبتدأ تجديد الوليد بن عبد الملك، وقد بلغ طول المسجد فى هذا التعمير إلى ١٦٠ أو ١٧٠ ذراعًا وعرضه إلى ١٥٠ ذراعًا أى أن عثمان بن عفان قد وسع مسجد السعادة ثلاثين ذراعًا عرضًا وعشرين ذراعًا طولاً وأبقى على جميع أبوابه القديمة.

وتوجد فى الجهة الشامية من المسجد الشريف منازل أبى سبرة بن أبى رهم وعمار بن ياسر وطلحة بن عبيد الله ومنزل حفصة بنت عمر بن الخطاب من زوجات النبى ﷺ، وفى الجهة القبلية منزل العباس بن عبد المطلب، واشتهرت تلك المنازل كلها برصانتها فوق العادة ومتانتها، قد اشترى حضرة عثمان جميع هذه المنازل وأرضى أصحابها بطريقة ما وطيب خواطرهم وألحقها بساحة مسجد السعادة المشحون بالفيض.

ولما قالت له زوجة الرسول حفصة بنت عمر ـ رضى الله عنهما ـ إذا ضممتم منزلى هذا إلى المسجد الشريف فأين المنزل الذى سأقيم فيه أجابها قائلاً سنجد لك منزلاً ونفتح له طريقًا خاصًا يفضى إلى مسجد السعادة وأعطاها دار عبد الله بن عمر وفتح منها طريقًا واسعًا يفضى إلى المسجد وهكذا أرضى أمنا حفصة ـ رضى الله عنها ـ وطيب خاطرها.

وكانت عمارة عثمان بن عفان للمسجد أن بدل الأعمدة الخشبية بالأبنية من

اللبن وبدل الأعمدة المبنية باللبن بالحجر وجعل السقف من خشب الساج وجمع الجهة القبلية إلى شبكة الحجرة المعطرة، كما بنى المحراب المقدس الذى يشتهر «بالمحراب العثمانى» وهو من الآثار الجليلة التى زيدت فى المسجد وفى الجهة اليمنى من طاق ذلك المحراب الشريف كتب اسم الجلالة وفى الجهة اليسرى منه اسم النبى الطاهر وفى وسط هاذين الاسمين كتب اسم الجلالة الآخر.

والمحراب العثمانى فى وسط الجدار القبلى للحرم الشريف وفى الجهة اليمنى منه كتبت أربعة أسطر كتابة بخط جلى نفيس وفى السطر الأول من هذه الكتابات الآيات ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦) وفى السطر الثانى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ١٤٤) وفى السطر الثالث ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤) وفى السطر الرابع الحديث (قال رسول الله ﷺ، إن سركم أن تقبل صلواتكم فليؤمكم علماؤكم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم وفى رواية فليؤمكم خياركم) (حديث شريف) وكل هذه الكتابات قد زخرفت والحديث الذى سطر فى السطر الرابع قد كتب على ثلاثة أسطر ذات أربع زوايا، وفى الجهة اليسارية كما فى الجهة اليمنى أربعة السطر من الكتابة كتب على السطر الأول منها قول الله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ إلى قوله ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٨) وعلى السطر الثانى ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (البقرة: ١٤٤) وعلى السطر الثالث ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤) وكتب على السطر الرابع (قال رسول الله ﷺ (أقيموا صفوفكم فإنما تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة وحاذوا بين المناكب ولينوا بأيدى إخوانكم وسدوا الخلل ولا تجعلوا فرجة للشيطان فمن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله عز وجل) (حديث شريف) والسطور الأولى من هذه الكتابات كتب بالخط الكوفى وكلها مزخرفة ومطلية بالذهب.

وقد كتبت قصيدة البردة البليغة فى داخل القباب التى فى الصفين الأولين دائرًا

ما دار، وتمتد هذه القباب فى داخل حرم السعادة ابتداء من باب السلام إلى الجدار الشرقى الملاصق للمئذنة الرئيسية ذلك الجدار الذى به المحراب الأقدس المذكور، وقد بدأت هذه القصيدة البديعة من جهة باب السلام وتمت فى مواجهة السعادة التى تتصل بالجدار الشرقى ولأجل ذلك كتبت فى داخل بعض القباب المتبقية سورة يس وسورة الملك كما كتب فى بعضها الآيات القرآنية المناسبة ورئى فى سنة ١١٩٨هـ فى جدران محراب عثمان علامات السقوط والأنهيار وأبلغ الأمر سريعا إلى السلطان عبد الحميد خان ـ طاب ثراه ـ بن السلطان أحمد خان فأمر بتجديده وتزيينه وأرسل الشخص الذى كلف بالبناء بلا تأخير إلى المدينة المنورة، وكشف هذا الشخص وتفقد المحراب المذكور مع سادات البلد وأشرافه وموظفى الدولة وبناء على القرار المتخذ أنزلت الحجارة الرخامية التى على طرفى المحراب المذكور ودون أن يفسدوا ما عليها من تاريخ قايتباى المصرى، وجددوا ما يلزم تجديده من الجدران القبلية ورتبوا تاريخ الملك قايتباى على شرطين ووضعوه فى مكانه كتبوا ما بين التاريخ المذكور بسم الله سورة الضحى الكريمة وكتبوا فى خاتمتها (صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ﷺ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله عنهم وعن سادات أصحاب رسول الله أجمعين) وكتب فوق هذا التاريخ القصيدة البليغة (بنور الله أشرقت الدنيا، ففى نوره كل يحيى ويذهب وكتب فوق هذه القصيدة بعد بسم الله الآية الكريمة) ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ إلى قوله ﴿**وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (البقرة: ١٢٥) والآية الكريمة ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ**﴾ إلى قوله ﴿**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (إبراهيم: ٣٧) وفى نهايتها الآيات البينات ﴿ **سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ (يس: ٥٨)، ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة: ١٢٨)، ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ**﴾ إلى قوله ﴿**وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ**﴾ (آل عمران: ٣٦) وكتبوا على ذيولها الآية الكريمة ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ**

تعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢) ولذيلها بدء من الآية ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا﴾ إلى قوله ﴿عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: ٤٠) وبعدها القول الجليل ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣) وكتبت الآية الكريمة ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ﴾ وقد كتبت هذه الآيات الكريمة مرتبة على سطر واحد وانتهى السطر الطويل بخاتمة (صدق الله العظيم) كتبه الفقير نقشى الأسكدارى غفرت ذنوبه سنة ١١٩٨ هـ، وكتب فوق طاقة المحراب الشريف المذكور بعد البسملة الآية الكريمة ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾ إلى قول الله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (الأحزاب: ٤٠) وقول الله تعالى بعد البسملة ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ﴾ إلى قول الله تعالى ﴿مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨) وكتب فى ذيلها (اللهم شفع هذا النبى فى مجدده السلطان عبد الحميد خان نصره الله)، هذه الجملة الدعائية وكتب على يمين المحراب الشريف بعد البسملة الآية ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ١٤٤).

وكتب فى نهايتها على سطرين الحديث الشريف (قال رسول الله ﷺ إن سركم أن تقبل صلواتكم فليؤمكم) إلى آخر الحديث وعلى طرفى هذا الحديث الشريف كتبت أسماء النبى ﷺ وكتبت على الجهة اليسرى من المحراب الشريف المذكور (قال رسول الله ﷺ أقيموا صفوفكم) إلى آخر الحديث وقد وشحت أطراف هذا الحديث الشريف أيضًا بأسماء النبى الشريفة وقد زينت أعلى وأسفل هذه السطور بأحجار منقوشة من الصينى.

وهذا هو تاريخ قايتباى المصرى الذى أنزل دون أن يفسد ويتضرر فى أول التجديد ثم وضع فى مكانه فى ختامه دون إضرار.

بعد البسملة (إنما يعمر مساجد الله) إلى قول الله الجليل (عنده أجر عظيم) صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم أمر بعمارة الحرم النبوى الشريف بعد

احتراقه فى ليلة صباحها عند ثالث عشر رمضان المعظم قد جرى تعميره سنة ثمانمائة وثمانين، سيدنا ومولانا العبد الفقير المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير خادم الحرمين الشريفين الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره وذلك بنظارة العبد الفقير محمد بن زمن وأنشأ العمارة بالحرمين الأمير سنقر الحالى وذلك فى أيام الأمير شيخ الحرم الشريف غفر الله لهم. (بسم الله الرحمن الرحيم، إن الذين ينفقون أموالهم) إلى قوله الشريف (واسع عليم) صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ورضى الله عن الصحابة أجمعين، أمر بعمارة هذا الحرم النبوى الشريف المعظم من فضل الله تعالى الفقير الملك المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتباى وناظر العمارة محمد بن الزمن بمباشرة القاسم الفقير شيخ الحرم وأمير السادات الحالى سنقر غفر الله لهم وكان الفراغ من عمارة هذا الحرم الشريف فى شهر رمضان سنة ثمانمائة وثمانين.

مقصورة مسجد السعادة

تطلق المقصورة على المحافل التى تصنع فى محاذاة المحاريب فى المساجد الشريفة من أجل الملوك.

وفى يمين ويسار أبواب المساجد عند الدخول مقصورتان وقد أحدثت هاتان المقصورتان قبل عصرنا بقليل.

وذهب المؤرخون إلى أن أول من أنشأ مقصورة مسجد الرسول هو عثمان بن عفان (رضى الله عنه الرحمن) وقالوا بأن عثمان بن عفان عندما جدد المسجد الشريف طرح مقصورة أمام الجدار القبلى لمسجد السعادة أعلى من أرض المسجد مقدار ذراعين وكانت أطرافها مشبكة واختص بها نفسه حتى ينجو من شرور الخونة الذين اعتدوا على عمر الفاروق وأخذ يجرى الإمامة فى داخل هذه المقصورة، ويُرْوَى أن مروان بن الحكم هو الذى بنى هذه المقصورة ويعللون

ذلك بقيام «دب»[1] التهامى ضده؛ لأن مروان بن الحكم كان قد أرسل إلى تهامة جابيًا وكان هذا الموظف قد ظلم واحدًا من آل تهامة يُسَمَّى دُبًّا وحمله ما لا يطاق وجعله يمل حياته؛ ودب هذا قد تحير فيما يعمله وفى النهاية قرر قتل مروان بن الحكم وإعدامه، وذهب إلى المدينة ولكنه لم يوفق فى قصده وقبض عليه فى داخل المسجد، استنطقه مروان ووجه إليه سؤالاً لماذا أقدمت على هذا الأمر الوخيم وأردت قتلى؟! فقال له: «إنك كنت قد أرسلت إلى تهامة عاملاً ظالمًا، وبمجرد وصول هذا الرجل قد اغتصب زادى وذخيرتى واستولى على كل ما فى يدى وترك أولادى وعيالى جائعين بدون دواء وأنا أقسمت على قتل الآمر الذى أرسل هذا العامل، وهذا هو سبب الإقدام على قتلك». وبعد هذه الإجابة حبس الرجل وسجنه وبنى من خوفه مقصورة وهيأ مقدارًا كافيًا من الحجارة المنقوشة وصنع مقصورة وأوصل أطرافها ودعمها.

ويروى أن حضرة معاوية صنع هذه المقصورة ليحمى نفسه من غدر برك بن عبد الله من الخوارج.

واستهجن فيما بعد عمر بن عبد العزيز وجود مقصورة فى داخل المسجد فأمر بهدمها، إلا أن فريقًا من المؤرخين قالوا: إن المقصورة التى صنعها ابن أبى سفيان جددها محمد المهدى بالله ابن أبى جعفر المنصور متخذًا خشب الساج فى تجديدها، وإذا كانت هذه الرواية صحيحة ينبغى ألا يهدم عمر بن عبد العزيز المقصورة التى صنعها معاوية بن أبى سفيان، والمقصورة الآن هى الأماكن التى خصصت لأداء الملوك الصلاة فيها وهو المحل الموقر الذى يطلق عليه المحفل السلطانى، ويوجد فى جميع المساجد الكبيرة ويلاصق جدار القبلة وفى الجهة اليمنى أو اليسرى من المحاريب.

---

(١) بناء على تحقيق بعض الرواة أن اسم «دب» كان ذبابا.

في ذكر كيفية تجديد مسجد الرسول ﷺ وتوسيعه للمرة الثالثة.

وسع المسجد النبوى فى المرة الثالثة الوليد بن عبد الملك وجدده، وظل المسجد الشريف إلى قرب عهد عبد الملك الشامى على الحالة والهيئة التى صنعها عثمان بن عفان وظل فى حالته تلك واسعًا متين البناء لا يحتاج للتعمير، إلا أن الوليد ابن عبد الملك رغب فى توسيع مسجد السعادة وتجديده على شكل أكثر نظامًا وزينه فى طرز جديد، فكتب إلى حاكم القسطنطينية فيلبوس طالبًا منه أن يرسل مقدارًا كافيًا من العمال المتفننين المهرة وقدرًا كافيًا من الفسيفساء الجميلة، فأرسل فيلبوس ثمانين نفرًا من مهرة العمال المشهورين نصفهم من القبط والنصف الآخر من الروم كما أرسل ثريًا نادرة تساوى أربعين ألف دينار.

وسر الوليد بن عبد الملك من ورود الثريا والعمال المرسلين من القسطنطينية وأرسل هؤلاء العمال و النقود والمواد اللازمة لتجديد مسجد الرسول إلى ابن أخيه عمر ابن عبد العزيز[1] وأعطى رسالة مستفزة للشخص الذى كلفه بإيصال الأشياء المذكورة يقول فيها أرسلت إليكم النقود واللوازم الكافية لتجديد مسجد الرسول وتوسيعه وبعض العمال، وعند وصول هذه الأشياء اشتر منازل الزوجات المطهرات للنبى ﷺ ثم منازل المحترمين من الناس واشرع فى تجديد المسجد وتوسيعه على هذا الأساس وأعط بدلات قيمة المنازل التى اشتريتها، وإذا وجد من يخالف بيع منازلهم وإعطائه فأظهر لهم القوة الجبرية واهدم منازل هؤلاء الأشخاص وخربها، وإذا رفضوا أخذ المبالغ المقدرة فوزع النقود على فقراء

(١) وكان عمر بن عبد العزيز فى ذلك الوقت والى الحجاز ويقيم فى المدينة المنورة. وكان جده مروان بن الحكم وكان اسم والدته ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو الإمام الجليل وخامس الخلفاء الراشدين العادل، وحكم ما يقرب من سنتين وخمسة أشهر ولما كان عمره أربعين عاما ارتحل عن دنيانا فى مكان يسمى دير سمعان من أرض حمص ليسكن فى عرش الآخرة.

الأرض وتصدق بها سريعًا، ولما وصل الشخص المكلف بهذه المهمة من الخليفة إلى عمر بن عبد العزيز فى المدينة المنورة أعطاه رسالة الوليد فتسلم اللوازم والأشياء المرسلة بموجب سجل وأخذها وجمع سادات المدينة وعظماءها والأشراف.

وأحضرهم وأظهر لهم الرسالة الى أرسلها الوليد بن عبد الملك وأوصاهم بأن يوافقوا على إجراء ما جاء فى مضمون هذه الرسالة وقال لهم: «إن كان مندرجات هذه الرسالة تحتوى على وجوب إجراء بعض الأمور الصعبة وغير اللائقة فيجب السكوت عليها، لأن واقعة الحرة لم تزل قريبة منا ولم يمر وقت طويل حتى تنسى».

وبما أن رسالة الوليد قد أقلقت سادات المدينة الكرام ولاسيما جملة هدم حجرات نساء النبى العليا، فإن المضرة أصابت أذهانهم بالسوء فأسرعوا بتشكيل مجلس عام أداروا كئوس المذاكرة وأقداح المحاورة، وأبدى كل فرد رأيه فى حرية تامة فالتزموا فكر عدم السماح بهدم الحجرات وأصروا عليه، ولكن بعض القلقين من بينهم أرادوا أن يقنعوا هيئة الشورى قائلين: «إن الطريق الذى أراه لنا عمر بن عبد العزيز موافق للعقل والحكمة، إذا ما خالفنا رأيه السديد نكون لم نستفد بعد من واقعة الحَرَّة الأليمة ولم ننتبه بعد، وبدلاً من أن نعرض الروضة المطهرة للتلويث تحت أقدام الشاميين النجسة فمن الخير أن نوافق على أمر الوليد». وبذلوا جهودًا لذلك وساد المجلس هدوء طويل وبعده وافقوا على توسيع مسجد السعادة كما أراد الوليد قائلين: «إذا رفضنا نكون قد عرضنا الروضة المطهرة للتلويث وسلمنا أولادنا وعيالنا بأيدينا إلى أيادى الأعداء» وذلك حتى لا يتسببوا فى واقعة حرة أخرى، وعرضوا رسالة ابن عبد الملك للناس جميعًا سائرين من الحى إلى الحى وأعلنوا القرار الواقع وأشاعوه.

وكان أهل المدينة يريدون أن يتركوا للأخلاق أثرًا عظيما يبين طرفًا من حياة سلطان عرش الإسلام ـ عليه السلام ـ يبين طريقة معيشة النبى ـ عليه السلام ـ ومن هنا كان رفضهم الهدم لحجرات نساء النبى ﷺ.

ولـم يفكر الوليد فى مثل هذه الأمور الدقيقة بل طلب من عمر بن عبد العزيز هدم حجرات زوجات النبى ﷺ وإدخالها فى ساحة المسجد وهذا الطلب قد ملأ القلوب باليأس وجلب الحزن والهم والغم للجميع ومن هنا رجوا من عمر بن عبد العزيز أن يطلب من الوليد بن عبد الملك أن يترك حجرات نساء النبى ﷺ على حالها حتى يراها الزوار والحجاج ويعرضون عن زخارف الدنيا، وعرض عمر بن عبد العزيز ما اتفق عليه فقهاء المدينة وأجمعوا عليه، ولكن الوليد لم يرجع عن رأيه وأمر بأن تهدم مطلقًا، فاضطر هنا عمر بن عبد العزيز إلى تنفيذ أمر وليد ولكنه أبقى حجرة السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ولـم يهدمها.

وحينما عرضت رسالة الوليد الغير مهذبة الأسلوب على سكان دار السكينة فلا يمكن وصف ما أحدثته الرسالة من هياج بين أهل المدينة فى ذلك اليوم، وأخذ الذين سمعوا بهدم حجرات الآيات النبوية أخذوا يبكون وينتحبون ويصيحون بحالة قد ترق لها حتى الجمادات، وقد انسحب كل واحد منهم فى ناحية وأخذ يبكى مهمومًا حتى أقلقوا من بالملأ الأعلى وغشيتهم بحار الهموم، وقد بلغ مقدار ما أظهره الوليد من الوقاحة فى هذا الشأن درجة أنه أراد أن يشرف بنفسه على هذا العمل دون أن يهدم الحجرات ويثير القيل والقال، فذهب محرما إلى مكة المكرمة بنية الحج ومر بالمدينة عند العودة، ولما رأى أن الحجرات المطهرة قد هدمت كلها بالقوة وأبقى حجرة فاطمة دون هدم فغضب غضبًا شديداً واعتلى المنبر السعيد وألقى خطبة شنيعة.

وكان القائم على دار سعادة السيدة فاطمة فى ذلك الوقت هو «محسن بن الحسن بن على بن أبى طالب» ـ رضى الله عنهم ـ وكان محسنا يجلس فى منزله ويستمع إلى خطبة الوليد من نافذته.

وبما أن موقف محسن بن الحسن هذا أثار خصومة الوليد وغضبه نزل من على منبر الرسول وقال لابن أخيه عمر بن عبد العزيز، بما أنك هدمت جميع حجرات نساء النبى فمن غير المناسب أن تبقى على منزل فاطمة ـ رضى الله عنها ـ قائمًا، ولهذا آمرك أن تهدمه أيضًا وعلى قول، نزل من على المنبر النبوى وأمر بهدم

ذلك البيت السعيد وأجاب على محسن بن الحسن الذى قال كيف تهدم البيت وأنا لن أخرج منه؟ أجاب إذن أهدمه على رأسك ثم أحضر مقدارًا كافيًا من العمال وأخذ فى هدم المنزل، فرأى الناس أن الوليد مصر على عناده ومحسن صابر وثابت فى عدم الخروج من ذلك المنزل، فأخذوا ينصحون محسنًا بالخروج حتى لا تحدث نكبة أخرى للموحدين تظل ذكراها إلى يوم القيامة وأرضوه وأخرجوه مع جميع أفراد أسرته ونُقِلُوا إلى دار لا عيب فيها يقال لها دار على فى ذلك الوقت.

وينقل بعض المؤرخين هذه الواقعة بشكل آخر؛ إذ يقولون: «كان الوليد بن عبد الملك وصلته الأخبار وهو فى الشام بعدم هدم منزل فاطمة السعيد، فأرسل تعليماته إلى والى الحجاز عمر بن عبد العزيز بالإسراع فى هدمه لإدخاله فى حرم المسجد الشريف». فأعطى عمر بن عبد العزيز محسن بن الحسن بن على وفاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب مبلغ ثمانية آلاف دينار، وبما أنهما لم يرضيا فآثر السكوت متأدبًا، وكتب ردا على رسالة الوليد يقول فيه: «قد أعطيت لأصحاب بيت السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ محسن بن الحسن وبنت عمه فاطمة بنت الحسين ـ رضى الله عنهم ـ ثماينة آلاف دينار فلم يقبلاه وبما أنك، صاحب الإمارة، تعرف أنهما من أعاظم سادات البتول، فلا يجوز أن نتجاوز حدودنا معهما وتعاملهما معاملة الناس العاديين وألح له أن ترك ذلك البيت القيم على حاله أنسب، وكان عمر بن عبد العزيز يأمل أن يسكت الوليد بناء على هذه الرسالة، إلا أن الوليد قد غضب غضبًا شديدًا من محسن ابن الحسن بعد استلامه رسالة عمر بن عبد العزيز وكتب رسالة مسهبة أخرى قال فيها «يجب أن يرضى هذان أيضًا ولا محالة وإذا لم يرضيا يجب أن تستعمل القوة الجبرية لأخذ منزلهما وهدمه» فأحضر عمر بن عبد العزيز المشار إليهما وأرضاهما ونقلهما إلى دار على المستقرة فى القرب من الحرة الشرقية وآواهما.

وجمع عمر بن عبد العزيز لبنات هذه الدار السعيدة ولبنات حجرات زوجات النبى ـ رضى الله عنهن ـ السليمة عند هدمها مع لبنات جدران مسجد الرسول، أى

جمع لبنات مسجد الرسول مع أنقاض حجرات نساء النبى فى مكان واحد ثم نقلهن إلى مكان يطلق عليه حرة حيث بنى لنفسه من هذه اللبنات دارا متبركًا بها.

يقول الإمام السمهودى بناء على المعلومات الموثوقة التى حصل عليها، إن الجرأة[1] التى اتصف بها الوليد فى تجديد مسجد الرسول وأظهرها وكذلك فى هدم منزل فاطمة السعيد ـ رضى الله عنها ـ آتية من أن جاسوسًا قال له: «إن فى المدينة شخص مليح المنظر ملائكى الوجه ومادام هذا الشخص ساكنًا فى المكان الذي فيه فلا يمكن أن تسيطر على أهل المدينة» لأن الوليد كان يرسل كل سنة جاسوسًا إلى المدينة ليطلع على أطوار أهل المدينة وأعمالهم، فقال له أحد جواسيسه الذين يأتون إلى المدينة ويذهبون «يا وليد! قد اطلعت فى المدينة على شيء، ومادام هذا الشيء باقيًا هناك فلن ينفذ حكمك على المدينة والأرض» وعندما استوضح الوليد الأمر أجابه قائلا: «وجدت يومًا فى مسجد الرسول، هناك فى الجهة الغربية من المسجد مكانًا وكان متصلاً به ومستورًا، وفى أوقات الصلاة ترفع ستارة ذلك المكان ويصلى من بداخله مؤتمين بالإمام، وبعد أداء الصلاة يرخون الستارة، فأثار هذا العمل فضولى فألقيت نظرة لذلك المكان الذى يشبه الفردوس فرأيت فى داخله رجلاً ذا وجه ملائكى محبوبًا ممدوح الأخلاق، وكان في يده مكحلة، والأخرى مرآة، فسألت عن كنهه، فقيل لى إنه محسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، والمكان الأنور الذى فيه داره التى انتقلت إليه من والدته وأظهروا له احترامهم، ومادام هذا الرجل فى داخل المسجد وظل منزله السعيد فى داخل المسجد كما هو الآن لا أظن أن حكمك سيسرى فى المدينة دار الميمنة».

ولما سأله الوليد قائلاً «وما هو الحل والتدبير؟» أجابه «إلحاق منزل فاطمة بالمسجد بوسيلة تجديد مسجد السعادة» فأمر الوليد عمر بن عبد العزيز توا بإجراء ما يقتضى بخصوص هذا الموضوع، ولم يكن منزل حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ إلى تلك الواقعة قد أخذ منها وبعد أخذ عمر بن عبد العزيز دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وضمها إلى ساحة مساحة المسجد النبوى استدعى

(١) قد ذكرت الأسباب التى جرأت الوليد بهذا القدر فى آخر هذه الصورة بالاستطراد.

أسرة عمر بن الخطاب وخاطبهم قائلاً: «قد أمر الوليد بن عبد الملك بإدخال منزل حفصة ـ رضى الله عنها ـ الجميل فى ساحة مسجد السعادة والذى يوجد على يمين الباب الصغير الخاص بآل عمر إذ تعرفون أن أبناء السبيل لا يراعون حرمة المكان وهم يمرون من بين المرقد النبوى الجميل والذى يقع بين منزل المشار إليها وحجرة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهذا غير لائق ويخالف قواعد الأدب والتعظيم وكان دهليز القبر الجليل ممرًا لأبناء السبيل، ومن هنا أخذت المكان الذى كان ممرًا وألحقته بالمسجد الشريف حتى أمنع تلك التصرفات التى لا تتسم بالرعاية لحرمة المقدسات، وعلى هذا يقتضى إلحاق دار حفصة ـ رضى الله عنها ـ بالمسجد الشريف أيضًا»، وبهذه المقدمة طلب حجرة حفصة، ولما قال آل عمر إننا نتحاشى ونحترز من بيع بيت حفصة بالنقود أجابهم قائلاً إننى أريد أن أضم ساحته إلى مسجد السعادة فقالوا له ذلك أمر يخصك ولكننا نريد طريقًا خاصًا بنا عندئذ أمر بهدم ذلك المنزل وإلحاقه بمسجد السعادة وفتح طريقًا من أجل آل عمر وبهذا جعلهم رهن الفرح والسرور.

وكان طريق آل عمر القديم شديد الضيق يكاد لا يسمح بمرور شخص واحد، ولكن المشار إليه فتح طريقًا واسعًا فقدره الأهل وأثنوا عليه.

ويرى البعض أن الحجاج بن يوسف الثقفى أراد أن يأخذ ذلك المنزل الذى يشبه الثريا من عبد الله بن عبد الله ولما قال له عبد الله إننى لا أستطيع أن أبيع بيت رسول الله طمعًا فى ثمن قليل، أجاب الحجاج لابد أن أهدم ذلك المنزل وأخرجه فقال له إنك لا تستطيع أن تهدمه إلا إذا هدمته فوق رأسى، إننى لن أخرج من دارى حتى تستطيع أن تهدمه وعندما أخذ الحجاج هذا الرد منه أحضر عمالاً وأخذ يهدم فى المنزل وعبد الله بن عبد الله فى داخله، وإن كان عبد الله بن عبد الله أصر على عدم الخروج إلا أن أفراد بنى عدى توسطوا فى الموضوع وقالوا يا عبد الله مازلنا إلى الآن فى أشد الألم من نار فراق المرحوم والدك، فكيف لنا الصبر على النار التى ستفجعنا بها ذاتك السامية وأخرجوا المشار إليه.

ظن الحجاج الصفيق أن عمله هذا أى إخراج عبد الله من بيته نجاحًا كبيرًا

فأخبر الوليد بن عبد الملك بما فعله، وأجابه الوليد بأن يعطى النقود التى قدرت ثمنًا لبيت حفصة إلى عبد الله وفى حالة رفضها أن تصرف تلك النقود فى أمور مسجد السعادة، إلا أن عمر بن عبد العزيز أعطى الجزء الذى لم يدخل فى ساحة مسجد السعادة لعبد الله بن عبد الله وفتح طريقًا منتهيًا إلى مسجد السعادة كما فتح بوابة من بيت المشار إليها إلى الطريق المذكورة وهكذا طيب خاطر عبد الله.

ويفهم من كل هذه الروايات أن الوليد بن عبد الملك هو الذى اشترى الحجرات؛ إلا أن زين المراغى نقل رواية عن الإمام السهيلى تبين أن تلك المنازل قد اشتريت فى زمن عبد الملك بن مروان وأدخلت فى مسجد السعادة إلا أنها لم تهدم تبركًا بها، ويتحقق من كل هذه الروايات أن عبد الملك ابن مروان سمح للمسلمين أن يدخلوا فى الحجرات ليؤدوا الصلاة فيها، كما أن ابنه الوليد هدمها كلها وضم ساحتها إلى مسجد السعادة وقد ثبت عن المؤرخين أن الناس كانوا يدخلون أيام الجمع فى حجرات زوجات النبى ويصلون فيها.

وبعدما انتهت منازعات إعطاء البيوت كما سبق شرحه، هدم عمر بن عبد العزيز المنازل المشتراة وسطح ساحتها وضمها إلى مسجد السعادة، وابتدر فى وضع أساس البناء المقدس وبنى جدار القبلة فى مكانه الأول وجدار جهة باب السلام أوصل إلى الأسطوانة المربعة كما سحب جدار جهة الشام إلى العمود العاشر من الأساطين المربعة للقبر الجليل، وإذا عد هذا العمود من أعمدة الجدار الشامى فهو الرابع، وأضاف إلى الجهة الغربية أسطوانتين[1]، وبهذا أوصل طول مسجد السعادة إلى ١٦٧ ذراعًا وعرضه إلى ١٣٥ ذراعًا.

وعند البعض أوصل طول مسجد السعادة إلى ٢٠٠ ذراع وعرض الطرف الشامى إلى ١٨٠ ذراعًا وعرض الطرف القبلى إلى ٢٠٠ ذراع وأدخل قبر النبى الجليل ومقبرتى الشيخين الجليلين فى داخل المسجد وإدخال القبرين الشريفين فى المسجد الشريف يومئ إلى اتخاذ المقابر مسجدًا وهو أمر غير مسموح شرعًا من

(١) كان مكان أحد هاتين الأسطوانتين ساحات حجرات نساء النبى وثلاثة منازل لعبد الرحمن بن عوف يقال لها قرائين

هنا اعترض على ذلك من قبل سعيد بن المسيب بعض الاعتراض إلا أن أحدًا لم يعر له أذنًا.

وقد استخدمت الأحجار المنحوتة فى بناء الجدران كما أن الأعمدة قد دعمت بالحديد والنحاس وعلقت الثريا التى أرسلها الحاكم فيلبوس من القسطنطينية فى جهة مناسبة وزينت الجدران من الداخل والخارج برخام مجلى والذهب والفسيفساء، كما أن أسفل الأعمدة وأعلاها ذهبت بأنواع مختلفة من الذهب كما زينت عتبات الأبواب.

معجزة جليلة: قال أحد عمال الروم الذين أرسلهم فيلبوس لزملائه إننى سأتبول فوق قبر محمد ﷺ الذى يحترمه المسلمون أعظم احترام ويعزونه كثيرًا وأخذ يحل حزامه ولكن زملاءه منعوه عن ذلك فلم يستطع أن ينفذ ما فى ضميره، وبعد دقيقتين من هذا الحوار غير اللائق وقع هذا الشخص سخيف الأفكار على أم رأسه وذهب إلى دار البوار وبناء على ذلك أسلم جميع زملائه.

وقطع عمر بن عبد العزيز واقتلع أشجار النخيل التى فى نهاية الجدار الشرقى للمسجد الشريف وأبطل نظام إقامة صلاة الجنازات فى داخل المسجد وألغاه(١)، وأتم بناء مسجد السعادة فى خلال سنة إحدى وتسعين(٢) وعرض الأمر على الوليد بن عبد الملك، وسافر وليد بن عبد الملك محرمًا بنية الحج إلى مكة المعظمة، ومر بعد الحج بالمدينة المنورة وأَجَال نَظَرَهُ فى حرم السعادة وأمر بأن تهدم جميع سقوف مسجد السعادة وأن يصنع سَقْفٌ جديد مثل سقف المقصورة، فأجابه عمر بن عبد العزيز قائلا: «إن هذا المكان الذى لم يعجبك قد صنع بإنفاق خمسة وأربعين ألف دينار، واستنفذت كل المبالغ التى فى بيت مال المسلمين ولن تستطيع خزانة المسلمين أن تدفع مبلغًا مثل هذا من أجل إرشائك» وقد انزعج وليد من هذه الإجابة وقال له «ما هذه الخسة؟ كأنك أنفقت هذا المال من جيبك» وأظهر غضبه بهذا العتاب وخاطب أبان بن عثمان الذى كان بجانبه «كيف ترى

(١) كان فى ذلك الوقت فى نهاية الجدار الشرقى للمسجد نخلتان وكانت صلاة الجنازة تؤدى بالقرب منهما.

(٢) شرع فى تجديد المسجد الشريف سنة ٨٨ وتم بناؤه فى سنة ٩١.

هذا المسجد في حالته هذه وحالته القديمة» فأجابه قائلاً: «كان يشبه فى حالته الأولى المسجد والآن تحول إلى كنيسة»، وعلى هذا عزل ابن أخيه من ولاية الحجاز وشفى صدره بهذه الطريقة.

فائدة التوكل: عند عودة الوليد بن عبد الملك من الحج استقبله عمر بن عبد العزيز من وجهاء البلد وأعيانه وأدخله إلى المسجد الشريف رأسًا وزار الوليد جهات المسجد الأربعة وأدى صلاة التحية فى بعض أماكنه، وكانوا قد أخلوا المسجد من الناس حتى يزور الوليد المسجد بمفرده إلا أن سعيد بن المسيب ظل فى ركن من أركان المسجد وقد لبس أسمى الألبسة.

وكان عمر بن عبد العزيز يغير طريقه وسيره فى داخل المسجد حتى يخفى سعيد بن المسيب عن أنظار الوليد إلا أنه لمح سعيد بن المسيب وقال من هذا الشخص؟ ألا يكون سعيد بن المسيب؟ وقال عمر بن عبد العزيز لو كان قد عرفك لكان يقوم ويحييك، بما أن بصره ضعيف لم يستطع أن يعرف سيادتك!!! قال الوليد إننى أعرف أنه لا يعادينا، وإنه رجل عالم تقى، لنذهب ونزوره وذهب إلى المكان الذى يجلس فيه سعيد بن المسيب وسلم عليه وسأله عن أحواله وصحته ثم ودعه، ومدحه بعده قائلاً إن هذا الرجل أفقه الناس. وأمر بتغطية قبر السعادة بقطعة قماش لطيفة.

كان عمر بن عبد العزيز عُين واليًا للمدينة مكان الأول المعزول هشام بن إسماعيل سنة ٨٦ الهجرية، وعزل في أواسط سنة ٩٣ الهجرية على الصورة التى ستذكر فيما بعد وعلى هذا الحساب قد دامت ولايته بين ما يقرب من سبع سنين، وقد عاش آل دار الهجرة فى تلك الفترة تحت حمايته فى أمن وراحة وطمأنينة وناموا مستقرين، وحينما جاء عمر بن عبد العزيز إلى المدينة نزل فى دار مروان واستقبل الذين أتوا لتحيته بسلامة الوصول فى هذه الدار، ولما حل وقت الظهر أدى فريضة الظهر ثم استدعى عروة بن الزبير، أبا بكر بن أبى خيثمة، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، سليمان بن يسار، قاسم بن محمد، سالم بن عبد الله ابن عمر، عبد الله بن عبيد الله بن

عمر، عبد الله بن عامر ابن ربيعة، خارجة بن زيد من فقهاء المدينة وقال لهم إننى دعوتكم لأرجو عونكم فى تدبير أمور الحكومة وإدارتها.

وإذا لم ينضم إلى رأيى رأيكم جميعًا أو بعضكم فلن أتخذ أى قرار قط، وبناء عليه فإذا استمعتم إلى أى شىء يخرج عن الحدود الشرعية فعليكم فى المسارعة بإخطارى وشارك الفقهاء المشار إليهم بالمشاورة والمذاكرة.

وحتى ذلك التاريخ لم يكن لمسجد السعادة لا محراب ولاشرفات، فأحاط عمر بن عبد العزيز حوائط مبانى المسجد دائرًا ما يدور بالشرفات، وقوى ميزابه ودعمه وما برز من السقف بأن صب عليها الرصاص وبعد ذلك نصب محرابًا فى غاية الجمال.

وإن كان جمهور المؤرخين يصدقون أن عمر بن عبد العزيز هو أول من أمر بصنع محراب لمسجد السعادة، إلا أنهم اختلفوا فيمن صنع الشرفات، إذ قال بعض المؤرخين، إن الذى أمر بصنع شرفات مسجد السعادة هو عبد الواحد بن عبد الله النصرى والي المدينة فى سنة أربعمائة هجرية، وبما أنها احترقت فى الحريق الأول جددها فى سنة ٧٦٧ هـ الأشرف شعبان بن حسين بن محمد من ولاة المدينة إلا أن أكثر مؤرخى المدينة ولا سيما المشهورين منهم الذين يؤيدون أقوالهم بالأدلة الموثوقة ترددوا فى تصديق هذه الرواية وقروا أن الشرفات أيضًا من آثار عمر بن عبد العزيز.

المآذن: حتى عصر عمر بن عبد العزيز لم تكن للمسجد النبوى الشريف مئذنة وقد أمر المشار إليه بصنع أربع مآذن على زوايا المسجد الأربع على أن تكون مئذنتى زاويتى جُدْرَان القبلة أعلى قليلا من مئذنتى زاويتى جُدْرَان الجهة الشامية، وبهذا كان هو مؤسس مآذن مسجد الرسول إلا أن بعد ذلك غيرت أى فى خلال السنة الهجرية (٩١) أمر سليمان بن عبد الملك بهدم مئذنة باب السلام، لسفسطة تزعم أن المؤذنين يرون أهل دائرتى وعلى هذا ظل مسجد السعادة قائمًا بثلاث مآذن لمدة ستمائة وخمسة عشر عاما.

مطالعة

كان أمر هدم مئذنة باب السلام قد صدر من سليمان بن عبد الملك لأن تلك المئذنة تصادف اتصالها بمنزل مروان بن الحكم، هل من الممكن ألا يتأسف إنسان لمثل هؤلاء الحكام الذين يحافظون على حرمة منازلهم بهذه الدرجة ثم يقدمون على هدم حجرات النساء الطاهرات؟ وهل هناك وقاحة أكبر من ذلك؟

انتهى.

وكان ارتفاع هذه المآذن الثلاث - كل واحدة منها - ستين ذراعًا وكان سطح قاعدة كل واحدة منها أربعة وستين ذراعًا مربعًا وكان ارتفاع المئذنة الحبشية فى الزاوية الغربية خمسين ذراعًا، وعلى قول البعض أن المئذنتين اللتين على زاويتى الجدار الشامى كانتا قصيرتين على شكل أبراج، وكانت المئذنتان اللتان على الجدار القبلى طويلتين مثل مآذن عصرنا هذا.

وقال بعض المؤرخين إذا ما قيست هذه المآذن من قاعدتها إلى أعلى قمتها فإن المئذنة، الرئيسية يبلغ ارتفاعها ١٢٠ ذراعًا والشرقية يعنى السنجارية ٧٩ ذراعًا والمئذنة الغربية أى الحبشية ٧٢ ذراعًا، إلا أن شيخ الخدمة في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملوك المصرية كافور المظفرى الحريرى(١) جدد بناء المئذنة التى هدمها سليمان بن عبد الملك فى سنة ٧٠٦ هـ فأصبح المسجد الشريف ذا أربع مآذن بعد أن ظل إلى سنة ٦١٥هـ بثلاث مآذن بهدم سليمان بن عبد الملك مئذنة باب السلام، وبينما كان يحفر أساس مئذنة باب السلام ظهر باب صغير يفتح إلى باب مروان وكان هذا الباب منخفضًا عن سطح المسجد الشريف قدر قامة رجل وكان مصراعه المصنوع من خشب الساج لم يبل بعد، وعندما عمقوا الحفرة أكثر من ذلك وجدوا مجرى ماء لا يعلم منتهاه، وكان هذا المجرى قد أدخل من ساحة الحرم الشريف الرملية القديمة ولما كان لون الرمال المفروشة فى هذا المكان شديد السمرة فهم أنه قد جيء به من جبل سلع.

(١) كان هذا الشخص قد عين شيخ الخدمة بعد أن مات عزيز الدولة.

وأصبحت مئذنة باب السلام المجددة أعلى من جميع المآذن الأخرى، أى بلغ ارتفاعها إلى ٩٥ ذراعًا إلا أن مئذنته الرئيسية قد أعليت عندما جددت بعد الحريق الثانى حتى بلغت مائة ذراع وبهذا أصبحت أعلى من مئذنة باب السلام، ولما كان السلطان قايتباى المصرى قد عمر المئذنة الرئيسية بشكل جميل فى سنة ٨٩٠ هـ وأعلى ارتفاعها عشرين ذراعًا فتجاوز طول هذه المئذنة ١٢٠ ذراعًا ثم بنيت بعد ذلك مئذنة أخرى بجانب باب الرحمة(١) فبلغ عدد مآذن مسجد السعادة إلى خمسة.

ولما كانت مآذن مسجد السعادة قد عمرت ورممت عامة فى زمان السلطان عبد المجيد خان الذى تميز بالأعمال الخيرية تذكر تلك المآذن فى زمننا بأسماء الأبواب الرئيسية، باب السلام، باب الرحمة، المجيدية والعزيزية، ويُعْلن فى شهر رمضان حلول وقت الإمساك بواسطة قناديل المئذنة الرئيسية لأن فى أعلى المئذنة الرئيسية بكرات مربوطة وعندما ينزل رئيس المؤذنين من فوق المئذنة فى ليالى رمضان يرفع فوق ذروة المئذنة بواسطة تلك البكرات ثلاثة قناديل وعقب ذلك تطلق مدافع الإمساك.

كان يطلق فيما مضى على مئذنة العزيزية الحبشية وعلى مئذنة المجيدية السنجارية وفيما بعد أطلق عليها الشكلية، ولما جدد السلطان عبد المجيد مئذنة السنجارية كأنه بناها من جديد فعرفت تلك المئذنة باسمه، أى أطلق عليها المجيدية وكان يطلق على مئذنة الحبشية السليمانية من سنة ٩٤٠هـ إلى سنة ١٢٧٧هـ، ولما كانت هذه المئذنة قد عمرت فى صورة تامة كاملة فى عهد عبد العزيز خان وأوائل سلطنته أطلق عليها العزيزية كما ذكر فى الوجهة العاشرة والصورة الثالثة منها، ولما كان المسجد النبوى خاليًا من المآذن فى عصر الرسول لأجل ذلك كان بلال يصعد فوق سطح إحدى المنازل القريبة من منازل بنى النجار ويؤذن، وكان ذلك المنزل عاليا مباركًا وكانت صاحبته امرأة من بنات بنى النجار، وقال بعض المؤرخين كان بلال يؤذن فيما بعد صاعدًا فوق الأسطوانة

(١) بانى هذه المئذنة قايتباى المصرى.

العالية التى كانت بجانب عتبة المنزل الذى انتقل إلى ملكية عبد الله بن عمر، وقال المؤرخون الذين ادعوا هذا أن تلك الأسطوانة كانت مربعة الشكل تابعة للمنزل الذى يعرف فيما بعد بدار عبد الله بن عبد الله والذى يعرف فى زماننا بدار العشرة واشتهرت باسم أسطوانة المعمار.

صورة أداء صلاة الجنازة فى مسجد السعادة وسبب منعه

بعدما أتم عمر بن عبد العزيز بناء مسجد السعادة على أكمل وجه، عين حارسًا حتى يحافظ على نظافة المسجد الدائمة وأمره بألا يدخل الجنازات فى داخل المسجد ومن وقتها كانت صلوات الجنازات تؤدى خارج المسجد وإن كان هناك من اعترض على ذلك وخالفوا الأوامر إلا أن من كان يدخل جنازته إلى داخل المسجد تخرج إلى خارجه، وكان الذين يلحون على إبقاء جنازتهم داخل المسجد يضربون ويهانون، وظهر هذا النظام فى عصر الوليد بن عبد الملك وصلاة الجنائز إلى ذلك التاريخ كانت تؤدى فى داخل المسجد الشريف، وكانت صلوات بعض الذوات الذين توفوا فى عصر السعادة تؤدى أمام الحجرة النبوية ومن هنا كان أهل المدينة يضيقون بهذا المنع، لأن عمر الفاروق صلى على جنازة الصديق كما صلى حضرة صهيب على جنازة عمر الفاروق أمام المنبر المنير، كما أن جنازات بعض الصحابة أدخلت إلى داخل المسجد للصلاة عليها.

وإن كانوا فى ذلك الوقت قد التزموا جانب عدم إدخال الجنازة إلى مسجد السعادة؛ حتى إن بعض الصحابة أرادوا أن يعترضوا على طلب زوجة الرسول عائشة ـ رضى الله عنها ـ قائلة لابد أن تؤدى صلاة جنازة سعد بن أبى وقاص فى داخل المسجد أولا أنها قالت عجبًا لكم! ما أسرع ما نسيتم أن رسول الله ﷺ كان قد صلى على جنازتى سهل بن بيضاء، وعقب ذلك على أخيه فى داخل المسجد الشريف وأخجلت بهذا العتاب الذين يتحدثون بدون تفكير، ولما كان أهل المدينة واقفين على هذه الدقائق تمام الوقوف فلم يستحسنوا قانون المنع الذى وضع من أجل الجنازات.

ومع مرور الأيام لم يبق حكم لهذا المنع وقرر أن تصلى على جنازات السادات العلوية والأشراف في داخل الروضة المطهرة وعلى جنازات العامة خلف الجدار الشرقى للمسجد الشريف وأموات خاصة الناس تؤخذ داخل الحرم ثم قرر أن يصلى على جميع جنازات المسلمين داخل المسجد الشريف فى الروضة المقدسة ما عدا جنازات طوائف الخوارج(١) ومازال هذا النظام ذو المحاسن الشاملة باق. فتؤخذ جنائز من مات فى المدينة داخل الروضة المطهرة وتصلى عليها صلاة الجنازة إذا لم يكن الميت من طائفة الخوارج.

وإن كان هذا النظام قد اتخذ صيانة لحق رسول الله ﷺ بما أن رجل الميت الذى سيصلى عليه ستوجه ناحية الرأس النبوى الشريف فهذا مناف للآداب الإسلامية، ولأجل ذلك كان بعض الذوات من علماء المدينة يوصون بأداء صلاة الجنائز فى موضع الجنائز وكان سبب منع أداء صلاة الجنازة لعمر بن عبد العزيز فى داخل المسجد هذه الفكرة وكأنه كان ينبئ إلى رعاية النعش النبوى العالى، وكما لم يكن فى عصر النبوة مكانًا خاصًا لأداء صلاة الجنازة كان النبى ﷺ يعود الذين يحتضرون وبعد وفاتهم يعود إلى مسجد السعادة ثم يذهب ويؤدى صلاة جنازاتهم.

وقد رأى الأصحاب الكرام فيما بعد أن هذا الأمر شاق على النبى ﷺ فوضعوا نظام الصلاة على الموتى فى موضع الجنائز بعد الاستئذان من النبى ﷺ.

وفي إستانبول يطلق موضع الجنائز على المكان الذى يسمى بمصلى وكان موضع الجنائز فى عصر السعادة فى مكان بين نخلتين كائن فى الجهة الشرقية من مسجد السعادة ولما رأى عمر بن عبد العزيز أن أداء صلاة الجنائز فى الروضة المطهرة إساءة إلى النبى ﷺ، اشترى المكان المذكور من أصحابه وقطع أشجار النخيل وألح إلى أنه يجب أن تؤدى صلاة الجنائز فى هذا المكان والذين لا يقبلون هذا الأمر كان يزجرهم ويهددهم بالضرب والإهانة.

(١) الذى منع إدخال جنازات الخوارج فى داخل المسجد هو طاهر جقمق المصرى.

وصلى إمام محراب الدين - ﷺ - فى هذا المكان كثيراً من صلوات الجنائز وأصبح فى حكم العادة بين الأصحاب أن تؤدى صلاة الجنازة فى الموضع المذكور قرب وفاة سعد بن أبى وقاص.

وبما أن النبى ﷺ كان يصلى نادرًا صلاة الجنائز فى داخل مسجد السعادة بناء على الواقع الذى أخطرت به السيدة عائشة، أجاز أئمة المذاهب الثلاثة الصلاة على الجنائز فى داخل المسجد كما بينه ابن حجر بعد التدقيق، وإن كان أئمة الحنفية يعترضون على ذلك إلا أنهم يجيزون تقليد أئمة المذاهب الثلاثة بشرط أداء صلاة الجنائز فى الحرمين فقط، وبناء على هذا يؤتى بالجنائز داخل مسجد السعادة ويصلى عليها فى المحراب العثمانى ثم تمرر من داخل الروضة المطهرة وتدفن فى القبر الذى فى البقيع الشريف، كما أن أموات الغرباء تغسل وتجهز وتكفن فى مكان يسمى شر شورة وتصلى على جنازاتهم خارج المسجد وفى جهة باب جبريل ثم تدفن فى البقيع.

ولكن جنائز الخوارج لا يصلى عليها فى المصلى، إنما يصلى عليها فى خارج المدينة فى مكان خاص بهم بواسطة جماعاتهم وبما أنه لا يشاركهم فى ذلك شخص غريب عنهم فلا يطلع أحد من غيرهم على كيفية الصلاة والتكفين والدفن.

اللائحة: قال علماء المذهب الحنفى كما ذكر آنفا بما أن المساجد قد بنيت لأداء الصلوات الخمس من هنا يلزم أداء صلاة الجنائز خارجها ولكن أئمة المذهب الشافعى رأوا أداء صلاة الجنائز فى داخل المسجد أولى. وقال الإمام أبو يوسف: «أداء صلاة الجنائز فى داخل المسجد اقتداء بأهل الحرمين الشريفين» وأفتى بناء على قوله.

وبما أن الصلوات التى تؤدى للجنائز فى داخل أحد الحرمين ستتميز بكثرة الجماعة وسيكون ذلك موضع شرف للميت فلا يعترض على أداء أهل الحرمين الشريفين صلوات الجنائز بهما إذ يغلب على الظن أن الجنائز التى دخلت فى

الروضة المطهرة دخلت الجنة في الدنيا ويؤمل من اللطف الإلهى ألا يخرج من الجنة من دخل فيها.

ومن هنا ندعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن الذى يصلى على جنازته فى داخل أحد الحرمين أن ينعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه بالجنة وأن ينال شفاعة حبيب رب العزة، ألا فليجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ مؤلف هذا الكتاب من زمرة هؤلاء السعداء؛ آمين بحرمة سيد المرسلين.

ويروى المؤرخون بخصوص هذا الموضوع أقوالاً كثيرة، يقول ابن النجار فى كتابه مازال نظام أداء صلاة الجنائز فى الحرمين فى موضع الجنائز باقيًا، إلا من يرغب من سادة العلويين والسادة والأعيان الذين يراعى خاطرهم يصلى على جنازتهم فى داخل المسجد النبوى، وغير هؤلاء من عامة الناس يصلى على جنازتهم خلف الجدار الشرقى لمسجد السعادة ويظل قبر الرسول ﷺ على يمين الإمام الذى يؤم الناس.

وقال الإمام السمهودى موضحًا إن ما ذكره ابن النجار سقط عن الحكم الآن، أما الآن فمعظم الجنازات تدخل فى المسجد النبوى وتصلى صلاة جنازاتهم فيه، إلا أن جنازات الأعيان والوجهاء يصلى عليها بين منبر السعادة وقبر الرسول كرعاية خاصة لهم، وتؤدى صلوات جنائز عامة الناس أمام الروضة المطهرة، وفى سنة ٨٤٢ هـ منع إدخال جنائز الخوارج فى داخل مسجد السعادة بناء على الأمر الذى ورد من الملك جقمق إلا إذا كان بينهم أسرة علوية وماتوا يصلى على جنازاتهم فى داخل المسجد ومازالت هذه العادة جارية فتدخل جنازات أفراد المذاهب الحقة عامة فى المسجد ويصلى عليها ما عدا أموات الفقراء والغرباء يصلى على جنازاتهم فى المكان الذى ذكر من قبل.

ويدخل أهل المدينة جنازاتهم فى المسجد الشريف من باب الرحمة وإن كانت منازلهم فى جهات أخرى. وغرضهم من ذلك التيمن وتمنى رحمة الله والتفاؤل.

وتمرر الجنازة من باب الرحمة يُؤتى بها فى مواجهة قبر الرسول، وبعد أن

يستشفع من الرسول ﷺ يضعون الجنازة فى مواجهة قبر الصديق وبعد مواجهة قبر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ ثم توصل أمام المحراب العثمانى حيث يصلى عليها ثم يمر بين الروضة المطهرة وتخرج من باب جبريل وتدخل فى مقبرة بقيع الغرقد، والجنازة التى يصلى عليها أمام المحراب العثمانى تظل رجلاها فى يسار الإمام وإذا ما صلوا عليها فى داخل الروضة المطهرة يجعلون رجليها يمين الإمام حتى يكون رأس الجنازة ناحية قبر السعادة.

وهذا النظام خاص بالشافعية وإذا صلى للجنائز، سواء أكانت فى داخل الروضة المطهرة أو أمام المحراب العثمانى يجعلون الجنازة دائمًا على الشكل المذكور. إلا أن وضع جنازة المرأة التى يصلى عليها فى الروضة المطهرة لا يكون على وضع الذكور، إنهم يجعلون رأسها فى يسار الإمام؟ لأن فى وضع رجليها نحو قبر السعادة إساءة للأدب.

قال الإمام السمهودى فى كتابه «ذروة الوفاء» وإن لم يكن أداء صلاة الجنازة فى الروضة المطهرة بدعة إلا أنه يقتضى ألا تمد رجلا الجنازة التى تقام لها الصلاة ناحية قبر السعادة».

وكانت أول جنازة تستوقف فى مواجهة قبر السعادة للاستشفاع جنازة سبط النبى الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ لأنه كان قد أوصى أخاه الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ قائلاً: «إذا لم يسمحوا بدفن جنازتى بحجرة السعادة فخذوها إلى مواجهة الحجرة حيث تقفون بها قليلاً ثم ادفنى بجانب والدتى فى البقيع» ولما كان سيدنا الحسين أوفى بوصية أخيه أصبح أخذ الجنازة أمام قبر الرسول ﷺ وطلب الشفاعة منه ـ عليه السلام ـ عادة بين أهل المدينة.

استطراد

ظهرت عداوة بنى أمية للسادة الكرام منذ الوقائع المؤسفة التى برزت على منصة الأحداث منذ أن اعتلى على بن أبى طالب عرش الخلافة، إذ يعتقد هؤلاء الأشقياء ويزعمون أنهم من فروع أحفاد عبد مناف بن قصى ويلزم ألا يزيد فضل

وشرف وسيادة أبناء عبد المطلب بن هاشم على فضل وشرف وسيادة أبناء أمية بن عبد شمس ومع أنهم يعرفون جيدًا أن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لا يعادل ولا يماثل هاشم بن عبد مناف كما أن حرب بن أمية لا يعادل عبد المطلب بن هاشم وأن أبو سفيان صخر لا يماثل أبا طالب وأن عبد الملك بن مروان لا يعادل أبناء السبطين العظام ومع هذا كانوا يسعون إلى إخفاء فضائل حيدر الجليلة ومناقبه الجميلة.

ولجئوا فى هذا السبيل إلى حيل ودسائس كثيرة حتى يقنعوا الناس بصواب أفكارهم وتصوراتهم ولما كانت حكومة بنى أمية أسست على فكرة حمل الناس على نسيان خصال المرتضى ذات الدلائل الباهرة أخذوا يضيقون على الذين ينتسبون إلى آل النبى وأسرته ذات الأركان الرصينة ويزعجونهم كما أنهم منعوا ذكر اسم فارس المشارق والمغارب أبى الحسنين على بن أبى طالب فى أى مكان لأى إنسان طول مدة حكمهم، ومنعوا ذكر محاسن أهل البيت فى المحافل والمجالس.

وإن قتل البطلين المكرمين بصورة شنيعة، وحبس الذين يؤيدون على بن أبى طالب والذين يثنون على أهل البيت ويمدحونهم مدة طويلة، وإخراج محسن بن الحسن وفاطمة بنت الحسين ـ رضى الله عنهم ـ من المنزل الذى كانا يسكنان فيه فى حقارة وامتهان وهدم البيت الذى ينسب إلى فاطمة ـ رضى الله عنها ـ بدون إرضاء أصحابه وتطييب خاطرهم وجعل المدينة المنورة منهبًا للشوام ووقوع أمثال هذه الإساءات والسماح لها كل هذه نتيجة مؤلمة لتلك الدعوى الباطلة.

وكان غرض الوليد الأساس ومن تبعوا غرض الوليد الذى جدد مسجد السعادة نبى الزهد فى الدنيا والابتعاد عن زينتها، والإبقاء على سلطنة الدنيا سريعة الزوال فى يد الأمويين والسعى من أجل ذلك، مع أن كل هذه المساعى من الوليد أو ممن سبقوه من الحكام أو أتوا بعده كانت سببًا فى زيادة شرف أهل البيت وتعالى أفضالهم وغلبة شهرتهم وبناء على هذا كانت هذه الكيفية مثارا لوفور وقاحة الأمويين وانتشار فضائحهم.

ولا يقل العباسيون فى تحقير العلويين عن الأمويين، ومن الأعمال غير اللائقة والحركات الوحشية فى عهد بنى العباس؛ حتى لا يخرجوا زمام الخلافة من أيديهم وهو خيال محال، سقوا بقايا الأئمة الكرام من آل البيت سم الهلاك قتلوا أولادهم وأحفادهم وساموهم أنواع التعذيب الذى لا يخطر على البال.

وإن كانت الآثار النبوية الصريحة والأخبار المصطفوية الصحيحة التى تزين الصدور والسطور زائدة عن العدّ والإحصاء فى المناقب الجليلة التى تفوق إدراك عقول البشر لوارث العلوم النبوية حضرة الإمام على ـ كرم الله وجهه ورضى الله عنه ـ إلا أننا لو نظرنا إلى صفحة من صفحات التاريخ نظرة إمعان وجدنا أن عهد السلاطين العثمانيين مصون عن الجور ورأينا أن أكثر السادات العظام كانوا قبل سلاطين آل عثمان نافرين من الملوك ومغضوب عليهم من السلاطين الذين يفتقرون إلى السلوك الإسلامى، والمقالة الآتية موازنة واضحة فى هذه المسألة.

موازنة تاريخية

إن الموازنة بين طرق المعاملة لآل بيت النبوة الذين اكتسبت بهم مكة المكرمة والمدينة المنورة القدسية من قبل الخلافات المتقدمة مثل الخلافة الأموية والعباسية والفاطمية والخلافة العثمانية تكون مدارًا عظيمًا على إثبات قياسها بالرعاية التامة لمنصب الخلافة الجليلة حاملة لقب خادم الحرمين الشريفين.

كما أن هذه الموازنة تظهر مامدى صدق روايات بعض المؤرخين القدماء؛ لأن حكم الشىء الذى يقال له التاريخ لا يثبت عن طريق الرواية فقط بل يجب أن تؤيد الأقوال التى قيلت فى التاريخ والمدائح والثناءات لابد وأن تتحول إلى الأفعال، لأن الأقوال التى لا تؤيد بالأفعال تظل ألفاظا لا معنى لها.

إن الأعمال التخريبية التى قام بها القادة مثل ابن ارطأة والحجاج الظالم ومسلم بن عقبة على مكة المكرمة والمدينة المنورة فى عهد الأمويين قد وصل إلى درجة التواتر، حتى إننا نرى تفصيلها من قبيل إعلام المعلوم، وإن معاملة القادة

مثل الحجاج الظالم وابن أرطأة ومسلم ـ يفتضح اسمه ـ معاملة حسنة لسادات الحرمين الشريفين وأشرافها يقتضى عدها من الأمور المستغربة.

وإلا فمن المحال أن ينتظر خير عندما يذكر أسماء الحجاج الظالم وابن أرطأة ومسلم لأجل الآل والمحال المباركة وهذا ما يميزه حتى أصحاب العقول القاصرة ويفرقونه إن الجرم الذى ارتكبه عبد الملك بن مروان الأموى ضد الكعبة المكرمة عندما أراد قتل ابن الزبير قد وصل إلى درجة الإخلال بسلامة البيت المعظم الذى روعى جانبه حتى فى عهد الجاهلية، إن سيف الجور والتعدى الذى سحبه من غمده دون مراعاة امتياز المكان وقدسيته لم يقتل فقط جناب ابن الزبير بل قتل آلافا من الذوات الكرام وسفح دماءهم وأجرى هذه الشدة ضد المبانى المقدسة عَمَّتْهَا حتى لم تترك مساجد جليلة ولا آثار شريفة دون التخريب والتدمير.

وأظهر سليمان بن عبد الملك، وهو أقل خلفاء الأمويين إساءة عداوته بهدم مئذنة باب السلام لمجرد حجة قربها من بيته الفاخر وأنها تكشفه.

واشتهر من الأمويين وخاصة الوليد بن عبد الملك بظلمه لآل البيت إذ حول إلى الحجاز قوة تخريبية إحدى المرات وأمر أن تهدم منازل زوجات النبى ﷺ على رءوس أصحابها وهم بداخل المنازل وكيف يتفق تخريب هذه المنازل ومبادئ الإسلام وكيف يتقبل محبو آل البيت مثل هذه الأعمال؟ ولا يعد ما قام به الوليد الظلم الوحيد الذى ارتكبه الأمويون إذ يجب أن يتذكر ما ساقه يزيد بن معاوية على دار الهجرة من الجنود الفاجرين الذين اعملوا سيوفهم فى رقاب أحد عشر ألفا وسبعمائة من المدنيين والذى ثبت بروايات متواترة.

وكان ضمن هؤلاء كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وكثير من التابعين والبقية الباقية من أولاد وأحفاد صحابة النبى ﷺ وكان سبعمائة منهم يحفظون القرآن الكريم.

وسيق بقية آل المدينة إلى خارج المدينة وقد قيدت أياديهم وأرجلهم بسلاسل الجور ولم تحل أكبالهم من رقابهم وأيديهم إلا بعدما أقسموا أنهم سيسيرون وفق

إرادة الملك الأموى وقد استحى المحررون الخوض فى تفصيل ما ارتكب فى أثناء تلك المظالم من انتزاع الأصحاب الكرام وإباحة أعراض النساء للجنود.

وبما أن الملل الإسلامية لم ترض فى صورة عامة عن الأمويين يلزم ألا يستغرب من مثل هذه الأعمال التى صدرت منهم ولكنه من الضرورة بمكان الاستغراب مما صدر من الخلفاء العباسيين من المساوئ فى هذا السبيل، هذا هو السفاح الذى أراد أن يعلن عن سطوته الملوكية على الجميع، بعد ضعفه وعجزه اللذين قد يجران استخفاف الناس له يعذب الآلاف ويؤذى لدرجة القتل ولم يَنْجُ أهل الحجاز المباركة من هذا الظلم الذى يعد أوائل مظالم العهد العباسى، وحينما سبقت الجنود فى زمن المنصور إلى المدينة للقبض على أحد المخالفين وهو على الرضا من السادة الكرام وقد قبض عليه مع أولاده وعياله وأصحابه ومحبيه وقتلهم جميعًا واحدًا تلو آخر ولم يكتف بذلك بل أراق دماء كثير من آل المدينة الآمنة ودخلت هذه الحادثة ضمن الأحداث التى أبكت آل الحرمين دما بدل الدموع.

ولم يتأخر آل عباس بعد المنصور عن منافسة السادة الكرام من آل النبى ﷺ والسبب الأصلى للمنافسة بينهما ما أشير إليه فى الاستطراد السابق، شرف النسب إذ حسدوا السادات الكرام الذين يعدون من آل النبى وأولاده بدون واسطة رأسا، وادعوا أنهم يتفوقون عليهم نسبًا وأقبلوا كلما وجدوا فرصة على أن يعدموا السادة الكرام إما بالسم وإما بالخنق وجعلوا هذا دينهم.

ولم يكن السادات الذين اكتسبوا شهرة طيبة فى سبيل الاستشهاد من النوادر، كما أن العباسيين الذين لوثوا سمعتهم بإيقاع المظالم عليهم لم تبق أعمالهم فى حكم النوادر. وكان أحد أسباب إهانة العباسيين لآل بيت النبى قضية الاستيلاء على ما يمتلكه هؤلاء من الأملاك والأراضى حول مكة المكرمة والمدينة المنورة بمد يد الاغتصاب إليها، وبناء عليه فإن أى واحد من آل البيت يقع فى يد العباسيين الغادرة تقع أملاكه تحت يد اغتصاب غادرة، ومن هنا ساءت أحوال السادات

الكرام يومًا بعد يوم. حتى هارون الرشيد الذى اشتهر بين الخلفاء العباسيين بالقوة والعظمة والشوكة لم يخل عهده من الظلم واللوث والتحقير لمشكلة نور الإسلام، إذ قبض على الإمام موسى الكاظم فى مسجد السعادة بملابسه الليلية بكل عنف وشدة وقيد رجليه وكبل من رقبته بالسلاسل وأرسل إلى البصرة فعاقبه عيسى بن جعفر بن المنصور بإلقائه فى السجن.

وقد بعث أبو جعفر المنصور العباسى إلى المدينة فرقة عسكرية قوامها أربعة آلاف جندى تحت قيادة عمه عيسى بن موسى، وأمره بأن يقبض على النفس الزكية من أبناء على بن أبى طالب وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وجعله شهيدًا مع ثلاثمائة من أشراف الحرمين وسادتهم بأن قتلهم بسيف الغدر، وضم فوق هذا الظلم تحقير الموتى بأن منع دفن هؤلاء الشهداء فى مقابر المسلمين وأمر بدفنهم فى مقابر اليهود. وكأن هذا التصرف مدادًا للافتخار إذ جاء برءوس الشهداء إلى بغداد وشهر بهم بأن غرس الرءوس على رءوس الأوتاد وهذا العمل من المظالم الملعونة التى تجعل أصحاب الحمية الإسلامية يتقيئون دمًا، ونضيف لهذه الفاجعة أنه فى أثناء تلك الأحداث رجح بأن يقتل بعض السادة والأشراف فى بغداد بدلاً من المدينة وذلك تهديدًا لأهل بغداد وكان من ضمن هؤلاء والد النفس الزكية عبد الله وقد استشهد هؤلاء فى بغداد بطريقة لا تليق حتى بالمجرمين وسط أذى عظيم وتعذيب شديد.

وإننا نكتفى بذكر هذه الأمثلة فيما تعرض له الحرمان الشريفان وأهاليهما وأشرافهما تحت حكم خلفاء الدولة الأموية والعباسية من الجور والظلم والتحقير، ولما كانت غايتنا الأصلية هى بيان ما قام به سلاطين آل عثمان نحو الأماكن المباركة قبلة المسلمين ونحو السادة الكرام والأشراف ذوى المقام العالى من معاملات طيبة جميلة وجليلة سنسرع فى تحويل القول إلى ذلك الوادى، ولا يظن أن الحقارة اقتصرت على ما ذكرناه، فقد اغتر بعض منهم بتمزيق القرآن وافتخر قسم منهم بمسألة خلق القرآن وهكذا كان الأمويون والعباسيون دائمًا فى منافسة شديدة مع آل النبى ﷺ وكانوا يستفيدون من أقل شيء للإخلال ـ حاشا

ـ بشأنهم، وإذا ما نظرنا إلى طورهم الدائم كانت الإساءة إليهم، وإن وجد من بينهم من لم يسئ إلى أحد، إلا أنهم كذلك لم يحسنوا لأحد وهذا ما يجب أن نعتبر به.

والحقيقة أن العباسيين، ما عدا بضعة منهم لم يقوموا بخدمة عظيمة للحرمين الشريفين، وأهم هذه الأعمال تعمير السيدة زبيدة للعين المنسوبة إليها وتعبيد الطريق من بغداد إلى مكة فوق الصحراء يستطيع أن يسير عليها حتى الأعمى ويعد من الأعمال السهلة التى لا تقاس بالطرق المعبدة فى الأماكن الجبلية من بلادنا.

وقد حكم الفاطميون، مكة والمدينة باغتصاب عنوان الخلافة قبل أن تنتقل الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين إلا أنهم عدوا أنفسهم من أولاد النبى بشرط عدم علم مدى أحقيتهم فى ذلك ومع ذلك لم يتركوا فساداً لم يرتكبوه، مثل ارتكاب الأشراف الذين فى منصب الإمارة جميع أنواع الجور لإبعاد الشريف الآخر من منصبه إذ كانوا ضحايا لمؤامرة الفاطميين، أو وجود شريفين فى منصب الإمارة فى نفس الوقت من الأحوال التى حدثت بسبب الفاطميين.

وعندما نصل إلى العائلة العثمانية عالية العنوان، نجد أن أولاد أرطغرل اعتادوا حتى قبل تسلم السلطان سليم خان عصا الخلافة وصولجان السلطة على أن يرسلوا مستلزمات المحبة والإسلام وذلك بإرسال الصرة إلى الحرمين الشريفين، وقد ثبت بما قيد فى صفحات التاريخ أنهم بعد أن نالوا لقب الخلافة بعد فتحهم مصر، لم يسيئوا فى استخدام سلطتهم واستقلال حكومتهم الذى نالوه فى ظل الدولة المحمدية وذلك بإظهار قوتهم وعرضها على أهالى الأماكن المقدسة كما فعل الملوك السابقون كما أنهم لم يخدموا الحرمين الشريفين من أجل الأغراض الدنيوية مخالفين بذلك الشريعة الغراء الأحمدية جاحدين لمآثرها، بل ليخدموا الحرمين الشريفين حق الخدمة بدون أى غرض دنيوى.

حتى يروى أن السلطان سليم خان حينما أحضر أمامه مكنسة من المكانس

الخاصة داخل البيت المعظم رفع تلك المكنسة عاليًا كأنه يريد أن يعلقها على تاجه وبهذا أظهر أن هذا هو شأن من يلقب بخادم الحرمين المحترمين، وأن هذا الاحترام حركة مناسبة لما أظهره أجداده الأماجد من غيرة نحو الحرمين الشريفين كما أن أولاده وأحفاده ذوى الأصول العريقة اتخذوه قدوة لهم.

ولم يسمع من أحد عن وقوع أى قدر من الجفاء والجور ولو بمقدار ذرة صغيرة سواء أكان على الحرمين المحترمين أو الأرض الحرام من قبل الأسرة العالية بعنوان السلطنة السنية بل على العكس فإن كافة آل عثمان قد بذلوا خدمات حسنة قليلة كانت أو كثيرة وهذه الأعمال تزين صفحات شكر لتاريخ المحال المقدسة، ونحن نقول إذ نذكر ببعض هذه الأعمال:

كانت عين عرفات قد سدت تقريبًا سدًا كليا فى عهد السلطان سليمان خان، وأوشك أهل مكة الذين تعودوا على أن يرووا ظمأهم من مائها اللذيذ على الهلاك مثل شهداء كربلاء من العطش، فتحمل ذلك السلطان الخير نفقات باهظة فطهر عين عرفات وأجراها إلى مكة المكرمة بعد تطهيرها وتوسيعها، ومن ذلك الوقت إلى زماننا هذا فالعين المذكورة هى التى تروى وتسقى مكة المكرمة ولما خربت فى الأيام الأخيرة كان تجديدها وتعميرها بصورة أفضل وتوسيعها من نصيب ملكنا السلطان عبد الحميد خان الذى مازال جالسًا على الأريكة السلطانية القوية، إن هذا الماء الزلال الذى به الحياة لم يسق مكة المكرمة فقط ويرويها بل كاد أن يغرقها بفضله وهذا ما سيشهد به من رأوا العين المذكورة رؤية العين.

والحكم الذى ينطبق على عين عرفات فى مكة المكرمة هو نفس الحكم الذى ينطبق على عين الزرقاء فى المدينة المنورة، ولما كانت هذه العين أيضًا على وشك الانسداد فقد طهر مجراها ووسع قدر ضعفه فى عهد السلطان عبد المجيد خان الغازى والد سلطاننا كثير المحامد.

ولم يكتب لأية دولة إسلامية القيام بمثل هذين العملين الذين قامت بهما الدولة العثمانية التى لا تنكر خدماتها فى أحياء الحرمين الشريفين ومع هذا فلما

أشرفت مبانى البيت الأعظم على الانهيار والخراب فى سنة ١٠٤٢ الهجرية فتجديده من أساس مبانيه قد انتظم ضمن جملة الأعمال التى قام بها السلاطين العثمانيين وهذه الخدمة لم تتيسر لأية واحدة من الدول الإسلامية وكانت من نصيب دولتنا وولى نعمتنا والتى ترفع شأن آل عثمان إلى أعلى عليين.

ولما كان غرضنا هنا عقد مقارنة بين الخلافات المتقدمة والخلافة الجليلة والإسلامية العثمانية فيما قدمت من الخدمات الجليلة للحرمين الشريفين وإلا فالتفصيل ذكر ودرج فى الصورة الثالثة من الوجهة التاسعة فى قسم مرآة المدينة من مرآة الحرمين، فالذين يريدون أن يعرفوا مدى ما وصلت إليه محبة السلاطين العثمانيين للنبى ﷺ صاحب الرسالة ووفرة عبوديتهم عليهم أن يراجعوا الوجهة المذكورة.

ولما كان عرض الحال الذى قدمه السلطان محمود خان إلى عتبة صاحب الرسالة العالية بمناسبة إهدائه شمعدان إلى الحجرة المعطرة سنة ١٢٣٥ هـ يدل على محبة ذلك السلطان وإخلاصه فرأينا إدراجه فى هذا المكان.

لقد تجرأت بإهداء هذا الشمعدان يارسول الله

وغرضى هو خدمة الدرجة العليا يارسول الله

ولا تليق بروضتك هديتى المتواضعة أنا العاجز

لتشملنى بإحسانك وعنايتك بقبولها يارسول الله

فمـــن غــــيرك أكشـــف بـــه يارســـــول الله

فالإحسان والمروءة من ديدنـــك يارســـــول الله

دخيلك الأمان ثم الأمان قد وقفت علـى عتبتك

فلترحمـــــنى وتشفـــع لـــى يارســـــــــــول الله

فاستصحـب محمـــود عـــدلى فـــى الداريـن

فالدولة لك فى الأولـــى والآخـــرة يارســول الله

إن التضرع الذى صدر من السلطان محمود خان فى عرض الحال هذا على شكل منظوم من مقتضيات التضرع الذى يليق بالمسلمين وتذلل المحبين من شأن الأسرة العثمانية ولا مجال لقياسها بسلوك الملوك الآخرين الذى اتسم دائمًا بالتكبر والتفاخر، وخارج عن حد إمكانية مقارنتهما بسلوك الملوك الآخرين.

ولما كان ما قام به السلطان محمود من تعمير مجرد تعمير لم يصل إلى درجة التزيين يليق بشأن الحرمين الشريفين إذ لم تسمح مشاغله الكثيرة بهذا العمل، ويلزمنا أن ندقق النظر فيما نقوله من كلمة «مشاغل» ولم تكن هذه المشاغل عبارة عن الألفاظ المجردة، بل كان العصيان الذى عم فى مصر، وألبانية، وإلغاء الانكشارية، وهجمات روسيا، وكانت مشكلة واحدة منها كافية لأن تترك عدة السلاطين العظام عاجزين عن العمل، وهذه المشاغل التى فى خلالها قام السلطان محمود بإجراء تعميرات كانت كافية لجعل مكة والمدينة أجمل من ذى قبل، إلا أن عبد المجيد خان لم يكتف بذلك، فتح جيب حميته وسماحته ليعمر من جديد مكة والمدينة ويزينهما ويكمل تجديدهما على أكمل وجه.

ولا تكفى هذه المقالة المختصرة لتعداد المساجد المباركة التى قام بتزيينها فى أثناء هذا العمل، وحتى نكون قد قلنا كلامًا للعموم نقول: «إن جميع المساجد التى توجد فى تلك الجهات من المسجد النبوى قد أخذت حصتها من التزيين الذى وفق إلى إجرائه السلطان عبد المجيد خان».

والمسكنة التى أظهرها السلطان عبد المجيد فى أثناء الترتيبات الجليلة الجميلة فاقت المسكنة التى أظهرها والده وبهذا أثبت أنه خير خلف للسلطان محمود العدلى.

وقد كتب بخط يده تحت الذى سيفرش فى الحجرة المنيفة اسمه وشهرته بعبارات تدل على الذلة وصفحات متواضعة وبهذه الصورة يكون قد مسح وجهه على ذلك التراب بالواسطة.

ولاسيما أنه لم يقبل الأوصاف السلطانية والتعبيرات الملوكية التى كتبت على

قطعة تاريخية ونظمت، على أن يعلق فوق طاق باب السلام بما أن السلطنة خاصة بصاحب الرسالة حضرة محمد فى الدارين فاستحى من عرض خدمته أمام النبى ﷺ بصفته السلطانية، وإن مبلغ هذا التعظيم للنبى ﷺ لم ير فى أحد من الملوك ما عدا السلاطين العثمانية.

وبما أن الخلافة تستلزم الخدمة والحماية، فالموازنة التى عقدناها بين الخلافات المتقدمة والخلافة العثمانية تبين لنا بالبداهة أى الخلافتين كان أكثر رعاية لهذا الشأن.

ولكن سلطاننا الكريم سلطان المسلمين وقرة عين آل عثمان ملك ملوكنا الغازى الذى لا يُدَانى، السلطان عبد الحميد خان الثانى قد فاق والده فى تعظيمه للحرمين الشريفين والذى جلب لهما الشفاعة ﷺ، على أسلافه من الملوك حقًا.

وقبل أن نعرض الخدمات التى قام بها ولى نعمتنا فى حق الحرمين المعظمين المحترمين نذكرهم بمراعاة جانب آل الأماكن المباركة، وقد بلغت مروءته السلطانية ولطفه الملوكى إلى الدرجة القصوى ليس فقط فى حق آل بيت رسول الله ﷺ رأسًا بل لكافة أصحاب اللياقة من آل الحرمين المباركين، إذ دعا بعض هؤلاء إلى باب السعادة فى صورة خاصة وأقامهم بجانب سلطنته وأنعم عليهم بمرتبات مستوفاة وأحسن إليهم فجعلهم كلهم ممتنين بكرمه ولطفه وهذه المزية لم تُر إلا فى آثار هذا السلطان العادل كالفاروق، وعندما نعرج على بحث التعميرات والتزيينات فتعمير المسجد الحرام وتزيينه اللذان يصلان إلى درجة إبهار العيون من الآثار الحميدة لذلك السلطان، كما أن تزيينه لضريح خديجة الكبرى ومولد النبى ومولد فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ترك الذين قارنوا حالتها الأولى بحالتها الحالية فى حالة الذهول، وقد ذكر إجراؤه لعين عرفات إلى مكة المكرمة من قبل، وأما الصهريج وعين الماء ذات الستة عشر صنبورًا اللذان بناهما فى منى فقد أحيت آلافا من الحجاج كل عام خلا الأرض.

وكان ما أحصيناه من الأشياء التي يفتخر بتعميرها وتزيينها أحد الملوك ليس كل ما قام به إذ كان سلطاننا القوى حريصًا على حب التعمير مثل والده فشملت حميته الدينية المبسوطة كافة الآثار الجليلة للحرمين، فقد عَمّر مقام يحيى ـ عليه السلام ـ واجب الاحترام وضريح السيد بلال وأضرحة الأنبياء الآخرين، ومقامات الأولياء ورتبها وزينها لا يشك في خدمة من تلك الخدمات، وإحياؤه وإنشاؤه زاوية لا مثيل لها بدلاً من التكية الخربة بعد ٥٠٠ عام.

وبناء على المعلومات التي أمدنا بها الإمام تقى الدين عبد الرحمن أبو الفرح الحواسبى فى حق هذا المقام فى كتابه النفيس: «ترياق المحبين فى ذكر طبقات المشايخ العارفين»، أن التكية الرفاعية أربعة مبان متداخلة بعضها فى بعض وكانت قد بنيت على أربعة آلاف عقدة، وكان مائة ألف زائر يجتمع فيها وكانت التكية تستوعبهم كلهم، وكانت سماحة القطب الجليل وكرمه يكفيان لإطعام الضيوف كلهم وكان يطعم فى التكية الشريفة ما عدا هؤلاء المجتمعين عشرون ألفا من المريدين، وإن كانت قضية الإطعام هذه تعلن عن وجود ثروة عظيمة فى الميدان إلا أن انتفاع الشيخ وأولاده وأخلافه الكرام ندعه جانبًا إذ كانوا بسطاء بدرجة لا تفرقهم عن مريديه، وفى هذه الحالة لا يشك أن تلك الثروة مجرد رزق للفقراء وأنهم مفتقرون لذلك الرزق. والغرض من هذا الإيضاح هو لفت الأنظار إلى الزاوية الرفاعية وعرض أهميتها وأهمية أحبائها من قبل السلطان وبناء على ذلك نستمر فى الإيضاح ونقيد الآتى: «قد تولى المعين مهمة الإرشاد فى سنة ٥٤٠ الهجرية وقد بلغ عدد الرسائل التى تلقاها من مريديه الذين وصلوا إلى أربعين فردًا بعد سبع سنوات، سبعمائة ألف رسالة، وكثرة إرشاداته لهذه الدرجة هى محل موازنة للفيوضات الإلهية التى وهبها الله لذلك الشخص عالى المقام، وقد بنى التكية بناء على توسع جمعية وكثرة مريديه وقد قيد فى التواريخ أنه لم يبق فرد فريد فى قرى ومدن، واسط وبطايح من لم يمد يد العون لهذه التكية.

وكان سبب انقراض تلك التكية الوباء الذى ظهر فى سنة ثمانمائة الهجرية؛ وبما أن الوباء المذكور لم يترك قرية أو مدينة فى نواحى واسط وبطايح دون أن

يهلك أهاليها، وكان سببًا فى هلاك عمومى ومن هنا قد خربت التكية الرفاعية أيضًا ومن ذلك الوقت إلى زماننا هذا لم يوفق أحد فى تعميرها وها هو ذا سلطاننا الغازى عبد الحميد خان الثانى ييسر له تعميرها.

إن لذلك المقام الجليل أهمية سياسية غير أهميتها الروحانية ومن هنا احتاج بيان ذلك للتفصيلات الآتية:

وكانت بلدة واسط تشمل على بطايح، فم الصلح، نهر دقلى، حدادية، عثمانية، ملحا، رقة، داور دان، برقة الجوز، هرث، شحينة، حارزة، همامية، أونية، بدورة، جعرا، فاروث من المدن الشهيرة والنواحى المعمورة وحينما ساق المستنصر بالله معدن الحاكم بأمر الله المنصور جيشا إلى نواحى بغداد للاستيلاء عليهم ظل سكان واسط من فرط جهلهم فى الضلالة، وحينما كان المصريون يهزون هزًا تحت قيادة بساسيرى الذى تجرأ على أن يخترع بدعة حى على خير العمل بدلاً من حى على الفلاح فى الأذان المحمدى يهزون نواحى واسط والبصرة دخل معظم سكانها فى دائرة الإلحاد والرفض وكادت تلك المنطقة الواسعة أن تخرج من تحت إدارة دار الخلافة فى بغداد.

واستطاع القائم بأمر الله عبد الله السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين أن يقبض على بساسيرى ويقتله ووفق فى كسر شوكة المستنصر بالله العلوى وقوته ونصب السيد يحيى المكى المغربى الحسينى نقيبًا للأشراف فى البصرة - وهذا الشخص عالى القدر أول من شرف البصرة من السادات الحسينية والجد الأمجد للسيد أحمد الرفاعى الكبير، ولما كان هذا الشخص عالى القدر يشتهر بالصلاح والزهد واتباع الأثر المميز للنبى ﷺ ومقتديًا بأبيه عينه نقيبًا للأشراف حتى يطفئ بالشريعة الغراء وما بها من ماء الحياة نار الرفض والإلحاد التى انتشرت فى أطراف واسط وبغداد وعين خط حركة بإعطائه أمرًا بذلك.

إن التوفيق الذى حدث بجهود السيد يحيى المكى ليس فقط طرد ودفع الرفض والإلحاد كليا من تلك النواحى، بل إعداد مئات من الذوات الكرام الذين كانوا

ثمرة إرشاد التكية الرفاعية والتى أصبحت فيما بعد منبع العلماء ومنشأ الأولياء وضمن هؤلاء الذوات الكرام شيخ الكل الحافظ الإمام تقى الدين الواسطى، وشيخ الطوائف وإمام الطرائق تاج العارفين أبى محمد طلحة الشنبكى الأنصارى الحدادى الحسينى، والأستاذ الكبير شيخ القوم الإمام الأجل أبى بكر بن هواز البطايحى، والفقيه الصوفى أبو محمد الداور دانى والشاعر الشهيد أبو الغنايم نجم الدين الهرثى الواسطى وشيخ البقرى الصوفى. الجاروزى، والشيخ حسين بن الحليم المحدث الجليل والحافظ قاسم بن محمد الشافعى الواسطى، والحافظ قاسم بن الحجاج الواسطى والشيخ الكبير أبو بكر الهمدانى والحافظ شيخ الإسلام جمال الدين أبى محمد الخطيب الأونيوى الفقيه والشيخ الكبير ثابت بن الصالح الحدادى الصوفى، والإمام الحافظ المفسر وحجة المحدثين عز الدين أحمد بن محيى الدين إبراهيم ابن الشيخ عمر أبى الفرج الفاروثى الواسطى والعلامة ابن سعدويه الواسطى وأبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار الواسطى، وتقى الدين إبراهيم بن على الواسطى، والحافظ الإمام الكبير تقى الدين عبد الرحمن الأنصارى الواسطى، وشيخ القراء الإمام المحدث أبو القراء محمد بن الحسين الواسطى، والعلامة مجد الدين يحيى بن الربيع الواسطى والحافظ ابن محمد الواسطى، والإمام مهذب الدولة سيد على بن عثمان الرفاعى الواسطى، وأخوه، والسيد عبد الرحيم، قدس الله أسرارهم.

والمؤرخون مثل: الذهبى والبرازانى، وابن كثير، وابن خلكان والعينى، وابن حوزى، وابن شحنة والصفدى، وابن حماد، وابن المهذب والآخرون قد زينوا الصحائف بترجمة أحوالهم.

وهكذا كانت التكية الرفاعية موقعًا مهما عاليا وظلت متساوية مع الأرض مئات السنين وهذا ما أثار نخوة السلطان الدينية وحميته الإسلامية وقد عنى بإحيائها على أحسن صورة وأجملها فى هذه المرة ويرجى أن يعيد هذا التعمير والتجديد أهمية التكية الأولى.

وقد أراد السلطان صاحب الحكمة أن يوضح مدى رعايته للقطب الجليل واحترامه له فأمر بألا يجند أولاد السادة الذين من سلالة أحمد الرفاعى، كما أمر بإعمار حول مرقده المبارك بإسكانه بالناس، وهذا التوفيق العظيم أثار رضا وسرور جميع سكان البلاد العراقية من القبائل والعشائر واستفادوا من هذا التعمير؛ لذا بعث إلى مقام الخلافة الجليلة نقيب الأشراف فى ولاية البصرة السلطانية والسكان فى التكية الرفاعية السيد سعيد أفندى وعشرون شخصًا من أكابر السادات الرفاعية ببرقية عارضين عليه شكرهم وثناءهم، إن هذا الكرم السلطانى الذى لا مثيل له لدليل واضح على عودة العمار والانتعاش اللذين كانت تتمتع بهما واسط وبطائح وما حولها، كما يذكر لنا التاريخ.

وفى ضمن إنشاءات سلطاننا العظيم التى وفق فيها ثكنتان للمشاة وثكنة للمدفعية فى مكة المكرمة المسميتان بغيرتية والحميدية نسبة لاسمه ودائرة حكومية ومركز كبير للشرطة، ولما كانت مكة المكرمة قد تعرضت لهجمات الأشقياء والظالمين فى عهد الدول الإسلامية الأخرى فإن هذه الإنشاءات السياسية والعسكرية ستؤمن هذه البلاد وبهذا نستطيع أن نقول إن هذه المدينة المباركة ستظل مصونة من هجمات الأشرار إلى الأبد.

والآن إن حمل لقب خادم الحرمين الشريفين يقتضى القيام بمثل هذه الحماية الجليلة والخدمات المهمة ومن هنا يتضح أن أية دولة إسلامية أخرى لم تقم بإحياء منبع زلال الإسلام مثل السلاطين العثمانيين ولما كان سلطاننا قد تفوق على أسلافه الكرام فى هذا الخصوص فمن واجبنا نحن العثمانيين بل من واجب جميع المسلمين الذين يسكنون على وجه البسيطة أن يرفعوا أياديهم بدعاء الخير المترتب على ما قدمته الذات السلطانية من خدمات شاكرين له.

فى تعريف تجديد مسجد السعادة وكيفية توسيعه للمرة الرابعة

وقد وسع المسجد الشريف للمدينة للمرة الرابعة المهدى بالله ابن أبى جعفر المنصور من خلفاء بغداد.

كتب حضرة حسن بن زيد بعد تجديد الوليد بن عبد الملك مسجد السعادة رسالة إلى أبى جعفر المنصور وهو ثانى الخلفاء العباسيين وبين له أن بعض أماكن مسجد السعادة فى حاجة إلى التعمير والترميم، وذكر له إذا ما أضيف إليه بعض المحال فى الجهة الشرقية أن قبر السعادة الجليل سيظل فى نقطة تتوسط مسجد السعادة.

ورغب المنصور أن يوسع المسجد ويجدده فى صورة طبيعية فأسند إلى الحسن بن زيد أمانة البناء وأمره أن يجدده ويوسعه كما يريد، ولما توفى عقب ذلك لم يشرع الحسن بن زيد فى إجراء عمليات التجديد، وفى ذلك الوقت سافر المهدى بن أبى جعفر إلى مكة المكرمة محرمًا بنية، الحج، وبعد الحج أسند ولاية المدينة إلى جعفر بن سليمان وأمره بأن يُعين، عبد الله بن عاصم بن عمر ابن عبد العزيز الذى أحال له أمانة البناء لتوسيع مسجد السعادة أن يعينه ماديًا ومعنويًا وعاد إلى دار الخلافة بغداد فى سنة ١٦٠.

ومات عبد الله بن عاصم مؤخرًا وعين مكانه عبد الله بن موسى الحمصى وقد أسرع المشار إليه إلى القيام بمهمتهما وأضافوا ابتداء من العمود الخامس عشر من الجهة الشامية إلى باب النساء فى مربع قبر السعادة خمسة عشر عمودا وجعلوا

قاعدة العمود الخامس عشر القديم مربعًا لتكون علامة على مبدأ تجديد المهدى وأبلغوا طول الجهات الثلاث لحرم السعادة إلى ٣٠٠ ذراعًا وعرضه إلى مائة وثمانين ذراعا.

إخطار

إن الذراع الذى ذكر إلى الآن والذى سيذكر فيما بعد والذى يسمى ذراعا آدميا فى البلاد العربية هذا الذراع يساوى سبعة أجزاء من ثمانية من المقياس الحديدى الذى يستعمل إلى الآن فى البلاد المصرية والبلاد الحجازية وقدره شبر تقريبًا، ويطلق على ضعف مثله أو على أربعة أشبار ذراع معمارى انتهى.

والمنازل التى ألحقت بمسجد السعادة كانت دور خادم الآخرة عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف وشرحبيل بن حسنة ومسور بن مخرمة وكان يطلق فى ذلك الوقت على دار ابن مسعود دار قرى وعلى دار ابن عوف دار ملكية.

وشرعت فى هذا التعمير فى خلال سنة ١٦١ وأتم سنة ١٦٥ وسد باب عمر بن الخطاب الذى فتحه عمر بن عبد العزيز ناظر دار حفصة - رضى الله عنها - والمقصورة التى بناها عثمان ابن عفان أو مروان بن الحكم قد جددت وزينت فى صورة مطلوبة.

وإن كان ما ألحقه المهدى القدر الذى حرر آنفا إلا أن الأماكن التى جددت قد زينت فى صورة فوق التعريف وذُهِّبَ ونقش طلاؤها وقد زينت جميع أماكنها على طراز جديد وثمين وفرشت؛ ولكن للأسف الشديد قد احترق كل شيء ولم يبق له أثر. وقال بعض المؤرخين إن الخليفة المأمون كان قد وسع المسجد الشريف وزينه فى سنة ٢٠٢هـ إلا أن المأمون لم يُضِفْ شيئًا لمسجد السعادة واكتفى بتجديد بعض أماكنه وتعمير المواقع التى تحتاج إلى ذلك.

وبعد تعمير المأمون كانت الحكومات البغدادية ترسل إلى ولاة المدينة المبالغ الكافية والأوامر الأكيدة ويصلحون الأماكن المحتاجة للتعمير والتسوية؛ ولما

أصبح الناصر لدين الله خليفة جعل من عادته أن يرسل كل سنة ألف قطعة ذهبية وبعض العمال المهرة واتبع الخلفاء الذين أتوا بعده أثر الناصر لدين الله، وكان أجر عمال اليومية يزيد على ألف قطعة ذهبية وتؤدى من قبل حكومة المدينة وكلما احتاجت مبانى مسجد السعادة والآثار المسعودة إلى التعمير ترمم بلا استئذان.

وتعهد الملوك المصريون بتعمير الحرمين بعد انقراض الخلفاء العباسيين، وقاموا بترميم السبيل بهمم عظيمة وخدمات جليلة، والملك الأشرف قايتباى كان أكثر من خدم الحرمين الشريفين من سلاطين مصر وانتقلت خدمة الحرمين الشريفين بعد انقراض هؤلاء إلى السلاطين العثمانيين ـ أيد الله ملكهم إلى يوم الآخرة ـ وقد قام السلاطين المشار إليهم بخدمات جليلة تخجل أرواح ملوك الأسلاف كما سيذكر فيما بعد.

فى تعريف الحجرة المعطرة والقبور الثلاثة المنورة

إن الموقع الذى يطلق عليه الحجرة المعطرة هو الساحة المباركة لحجرة حبيبة حبيب الله السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ـ رضى الله عنها وعن أبيها ـ وهذا القبر ظاهر الأنوار يصدق عليه هذا البيت الذى يثير الأشواق.

إنـه قطعـة مـن الجنـة   المسكن الممزوج بالرحمة

إنه هبة العرش المشرف والفرش واللوح والقلم وكان ارتفاعها فى حياة الرسول ثمانية أذرع وأكثر من ستة أذرع فى العرض وكان لها بابان هما باب الرحمة. والحجرة اللطيفة كانت قد بنيت باللبن ومن سعف النخيل وظلت على تلك الحال إلى قرب خلافة عمر الفاروق، وأراد عمر بن الخطاب أن يعرض تعظيمه وتوقيره للسيدة عائشة فأحاطها بسور منخفض وقد هدم هذا الجدار والسور عبد الله بن الزبير فيما بعد وقد دعت الحاجة إلى تجديده.

كان الجدار الذى أحاط به عمر بن الخطاب حول المقبرة النبوية والذى جدده عبد الله بن الزبير مكشوفا وكان له باب فى الجهة الشامية للدخول منه لزيارة قبر الرسول ﷺ. كان ريحانة النبى السيد الحسن بن على قد أوصى أخاه حين احتضاره أن تؤخذ جنازته داخل المربع الذى فيه قبر الرسول وتعرض هناك قد أوصى بذلك أخاه الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ وقد أخذ حضرة الحسين ـ رضى الله عنه ـ جنازة أخيه كما ذكر فى ذيل الصورة الثالثة من هذه الوجهة بناء على وصيته إلى مربع قبر الرسول لإيفاء الوصية وقد ظن بعض السفلة أن حضرة الحسين يريد أن يدفن أخاه فى داخل حجرة السعادة فقاموا ومنعوا إدخال الجنازة

فى داخل المربع وأوصلوا المنازعة إلى درجة المقاتلة؛ وفى النهاية انتهى الأمر بتدخل بعض الذوات ذوى الهمة نهاية حسنة ودفن حضرة الحسن فى مقبرة بقيع الغرقد، وحتى لا يحدث مثل هذه الأمور أغلق باب مربع قبر السعادة وسد تمامًا.

ولما كانت هذه الواقعة من تدبير الوليد إذ رفع الجدار الذى كان يحيط بمربع قبر السعادة وغطاه وهكذا أخفى القبور الشريفة عن أعين الخلق وسترها، وكان غايته كما ذكر عاليه ألا يُتْرَكَ مجال فيما بعد لإيقاع الفتنة والفساد.

وعندما أعلى الجدار المذكور وسقف وكان باب المربع قد سد من قبل فى الواقعة المؤسفة فنمت فى داخل كل إنسان أمنية زيارة قبر رسول الإنس والجن من داخل السور الذى بنى ورفع.

الحجرة المسعودة: يعنى الدار المقدسة التى تنسب للسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت دويرة صغيرة ولم يكن سقفها عاليًا حتى لايمسه ولا يتبرك به إنسان بيده، وقال حسن البصرى سواء أكانت فى حق هذه الحجرة اللطيفة أو حجرات النبى الأخرى، كنت فى طفولتى أدخل فى حجرات زوجات النبى المطهرات وكنت أرفع يدى وأمسك بأسقفها، كانت جميع منازل النبى حجرات معطرة صغيرة وقد روى هذا القول موثقًا، وكانت كل حجرة مصنوعة من اللبن وسعاف النخيل، وكان فوق أبوابها ستائر قديمة من الملس، هذا ما رواه كما روى أن للحجرة المعطرة بابين يفتح أحدهما ناحية الغرب والآخر ناحية الشام وكانت الأبواب ذات مصراع واحد مصنوع من خشب شجر الساج أو العرعر والباب الذى يسمى الآن باب محرس من الأبواب التى كانت فى عصر السعادة.

وكان بين بيت حضرة الصديقة ـ رضى الله عنها ـ وبيت حفصة ـ رضى الله عنها ـ طريق[1] وكانتا كلما تتلاقيان تتحدثان معًا.

وكان بيت حضرة حفصة ـ رضى الله عنها ـ الذى ذكر فى الجهة اليمنى لنافذة آل عمر التى ذكرت أعلاها وساحة هذه الدار المسعودة هى الموقف الذى يزوره زوار زماننا سواء أكانوا فى داخل الشبكة أو خارج الشبكة.

(١) هذا المكان الآن موقع القبر الجليل.

وحينما ارتحل النبى ﷺ شرع أهل المدينة عقب ذلك يأخذون من ترابه العنبرى مقدارًا من التراب للاستشفاء وبهذا جعلوا قبر الرسول منقوبا محفورًا، ولما كانت هذه الحال مخلة بأدب التعظيم، فقامت الصديقة ـ رضى الله عنها ـ ببناء حائط حول مضجع السعادة حتى يحافظ عليه، وقام أصحاب الإخلاص بثقب هذا الحائط أيضًا إلا أن الصديقة قد سدت هذه الثغرة أيضًا ومن هنا ظل قبر الرسول فى جهة من الجدار المبنى وذاتها السامية فى جهة أخرى من الجدار، وبهذا قسمت الحجرة المعطرة إلى جزأين، وكانت المشار إليها حينما تزور قبر الرسول وتنظفه بالكنس لم تكن تتستر وتظل مكشوفة، ولما توفى والدها ودفن بجانب النبى ﷺ ظلت على تلك الحالة إذ كانت تدخل فى الحجرة بدون حجاب، ولكن بعد ما دفن فيها عمر بن الخطاب بعد موته كلما كانت تذهب ناحية قبر السعادة كانت تتستر لأن حضرة الفاروق لم يكن محرما، أى أنها لم تزر الحجرة بعد دفن عمر فيها مكشوفة دون حجاب.

وظل مربع مرقد السعادة إلى أن وسع عمر بن عبد العزيز المسجد الشريف على الهيئة التى جددها عبد الله بن الزبير عليها يعنى ظل مكشوفا وبالباب، وقد أحاط عمر بن عبد العزيز كما سبق ذكره أعلاه، السور المنخفض الذى بناه عمر بن الخطاب حول مرقد السعادة بجدار متين؛ وحتى لا يكون هذا الحائط شبيهًا بالكعبة المعظمة بناه على شكل شبه مثلث.

ولما كان الجدار الذى أقامه عمر بن عبد العزيز فى غاية الارتفاع ومسقوفًا فكانت رؤية القبور من الخارج غير ممكنة، وقد جعل أحد جهات ذلك الجدار على شكل شبه مثلث بناء على رأى عروة بن الزبير واجتهاده، إذ تذكر الوليد بن عبد الملك الإهانة التى لحقت بالحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ من أسافل الناس بسبب جنازة أخيه الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ وفكر فى إحاطة مربع مرقد السعادة بجدار قوى الأساس ليحجب القبور الثلاثة عن أعين الناس، ويخيفها وكتب الأمر والكيفية إلى أمير المدينة عمر بن عبد العزيز، وحينما أخذ عمر بن عبد العزيز الرسالة التى كتبت بهذا الخصوص استهجن تنفيذ هذا الأمر

غير اللائق مع ذلك راجع عروة ابن الزبير قائلاً له: «إننى أحترز من إحراز هذا الأمر الخطير ولكن الوليد يصر على ذلك، فما رأيك فى هذا الخصوص فأجابه عروة قائلاً: «ما دام الوليد يصر كما أن مولانا يرغب فى تنفيذ أمر الوليد مع الكراهية له، يجب أن تأمر أن يكون البناء الذى سيبنى على شكل شبه مثلث ويتجه طرفها المدبب ناحية بيت السيدة فاطمة»، وكان الوليد أمر فى الرسالة التى كتبها هدم الحجرات العاليات وضم ساحاتها إلى مسجد السعادة، وقد فكر عمر بن عبد العزيز فى هذا الأمر كثيرًا وفى يوم من الأيام جلس فى مكان مناسب فى حيرة واضطراب وأصدر أمره بهدم الحجرات العاليات وهدم سكان أهل المدينة وهم ينتحبون ويصيحون من الحسرة وجعلوها أثرا بعد العين وشرعوا فى وضع الأساس وفق رأى عمر بن عبد العزيز وتعريفه.

وفى أثناء هدم الجهة التى فيها المدفن الأقدس لحجرة السعادة انهارت الجهة الشامية من الجدار الذى أقامه عبد الله بن الزبير قضاء وقدرًا ونتيجة لذلك سقط مقدار من السور القديم الذى كانت أقامته حضرة الصديقة، ولما ظهرت فى داخل مربع قبر السعادة ثلاثة قبور قد فرش فوقها بالرمل قال عمر بن عبد العزيز، «إن هذه القبور هى قبور الرسول ﷺ الذى نال حياة أبدية وأبى بكر وعمر رضى الله عنهم، يا مزاحم[1] يجب أن تسوى هذا المكان بنفسك ذاتها». ثم ظهَرت عليه علامات الندامة وقال لا، لا، إننى سأسويه بنفسى وسواه بنفسه، إلا أنه فى أثناء ذلك قد سقطت الجهة الشرقية لأحد القبور وانتشرت رائحة طيبة فى شوارع دار السكينة وستر ذلك المكان بقطعة قماش وجدد ذلك المكان فى اليوم الثانى تجديدا جيدا.

قال عبد الله بن محمد: «كان جدى عقيل يذهب إلى مسجد السعادة فى الثلث الأخير من الليل وبعد أن يسلم على النبى الجليل يدخل إلى الحرم الشريف، وفى ليلة من الليالى توجه إلى مسجد السعادة وشم رائحة طيبة لم

(١) مزاحم هو عبد لعمر بن عبد العزيز.

يشمها طيلة عمره أمام بيت المغيرة بن شعبة رائحة تثير الأشواق وتسحر القلوب فمثل وغاب عن نفسه، وإذا بتلك الليلة كانت الليلة العجيبة التى تهدم فيها بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ وظهرت القبور الثلاثة المشحونة بالنور! واقترب جدى وهو مغمور بهذه الفرحة والابتهاج من مرقد السعادة ورأى أن الجدار الشرقى لمربع القبر الجليل قد انهار وأن عمر بن عبد العزيز كان منهمكًا بتعليق ستارة للجهة المنهارة من مربع القبر وعرف أن الرائحة التى غمرت دار الهجرة المدينة المنورة قد انتشرت من مرقد السعادة وعندئذ عاد إلى بيته وجمعنا حوله وأخبرنا بما حدث».

واستدعى عمر بن عبد العزيز صباح الليلة التى انهار فيها جدار مربع قبر السعادة ابن الوردان(١) وأمره بأن يدخل فى داخل مربع قبر السعادة ليعاين ويتفقد الجدار المنهار، ولما بين له ابن الوردان أنه فى حاجة إلى من يعينه فى داخل المربع فشمر عمر بن عبد العزيز ساعديه وأراد أن يدخل فى داخل المربع، ولما رأى قاسم بن محمد وسالم بن عبد الله يستعدان أيضًا قال لهما: «لماذا تستعدان؟» فأجاباه قائلين: «نريد أن نعين ابن الوردان».

فقال إننى أحترز أن أقلق أهل القبور بكثرة الازدحام؛ يامزاحمَ ادخل بمفردك وأعن ابن الوردان وبهذا تخلى عن الدخول بنفسه وبموقفه هذا أراد أن يومئ ويشير إلى عدم جواز دخول الشخصين الذين رغبا فى الدخول فى مربع قبر السعادة. وبينما كان ابن الوردان منهمكًا بإجراء اللازم بعد أن وجد أساس الجدار المنهار قد رأى فى داخل القبر الشريف الذى سقط من صدمة الجدار المنهار قدمين توأمين فانسحب إلى جهة وأخذ يرتعش من الخوف والفزع وقلق، واضطرب اضطرابًا شديدًا.

وعندما رأى عمر بن عبد العزيز قلق ابن الوردان واضطرابه فتقدم إلى الأمام ليتحقق من الأمر فرأى فى داخل القبر الشريف الذى كان تهدم من قبل القدمين

(١) كان هذا الشخص فى ذلك الوقت رئيس المعماريين للأبنية المقدسة.

الشريفين، القبر الذى كان فى اتصال أساس مربع قبر السعادة فرجع وهو فى شدة الدهشة وغاب عن شعوره ووعيه.

وكان عبد الله بن عبيد الله جهة قبر عمر بن الخطاب لامع الأنوار، وعرف الأمر الذى أخاف ابن الوردانى وملأ قلب عمر بن عبد العزيز بالرهبة والقلق وقال أى عمر! لا تخف! إن القدمين اللذين رأيتهما فهما قدما جدك عمر بن الخطاب وكانا قد بقيا فى داخل أساس جدار الحجرة المنيفة، وهكذا وضح الأمر عندئذ قال عمر بن عبد العزيز لابن الوردان، يا ابن وردان! خف واستر ما رأيته ـ أى قدمى ابن الخطاب ـ وبهذا القول أظهر فرحته وسروره؛ لأنه كان قد ظن أن القدمين اللذين رآهما قدمى رسول الله ﷺ من هنا استولت عليه الحيرة والدهشة. وبعد أن بنى ابن الوردان الجدار المنهار، أحاط الجهات الأربع للجدار القديم بحائط أعلى وأوضح من الجدار الأول، وسقف مربع قبر السعادة كسابق عهده ثم أمر ببناء الباب الذى كان قد سد عقب الحوادث التى وقعت ضد جنازة الحسين بن على، بشكل متين محكم وصبغه والجدران التى كانت جددت فى عصر عبد الله بن الزبير كانت قد بنيت بحجارة سوداء صبغت صبغة جيدة وجعلت الجهة القبلية أكثر ارتفاعًا من الجهات الأخرى وسُد باب الرحمة الذى فى الجهة الشامية.

ولم تكن الفاصلة التى كانت بين الحائط القديم والحائط الذى مده عمر بن عبد العزيز متساوية فى جهاته الأربعة، فقد كانت الجهة الشرقية ذراعين، والطرف الغربى ذراع واحد، والطرف القبلى شبرًا واحدًا، أما جهة الشام فكانت واسعة جدًا وبما أن عمر بن عبد العزيز أمر بطلاء الجهات الأربع لجدران حجرة السعادة طلاء جيدًا وأخفى الباب المسدود بحيث لا يميز فمن هنا لم يستطع أحد أن يعين مكان الباب المذكور.

وإن يروى المؤرخون أن أبا غسان قال: «قد عمر سقف مسجد السعادة سنة ١٩٣ هـ، وإننا كنا قد عرفنا مكان الباب المسدود إلا أن الإمام السمهودى قال قد

جدد المسجد الشريف والحجرة اللطيفة فى زماننا وعمر، ولكن ما أمكن أن يُعَيّن الباب المسدود فضلاً عن مكانه وهذا القول يؤيد الرواية الأولى ويؤكدها، وإن كان غرض الإمام السمهودى أن يشير إلى أن الباب المسدود قد أصبح مجهول المكان بمرور الزمان فمن المحتمل أن يكون قد شوهد مكان الباب المذكور فى سنة ١٩٣هـ حتى يقترن قول أبى غسان بالصحة.

يقول أبو غسان وهو يخبرنا أن الفاصلة التى بين الجدار الذى مده عمر بن عبد العزيز وجدار الحجرة المعطرة القديمة قد مسحت سنة ١٩٣: «قد مسحت، فى زماننا، الفاصلة التى بين جدران الحجرة المقدسة ووجد طرفها الشرقى ٣ أذرع وطرفها الغربى ذراعًا واحدًا وبلغت فى هذا الوقت الجهة الشرقية من الطرف القبلى ذراعًا واحدًا، إلا أن جميع أماكن هذه الجهة لم تكن متساوية فالمحل القريب من وجهة السعادة كان فى اتساع شبر والأسفل منه فترة ما بين الإبهام والسبابة ـ وكانت نهاية الجدار الشرقى ضيقة بحيث لا تسمح بالمرور.

وكان بعض أماكن جدار الحجرة الشريفة القديم قد انهارت تقريبًا فى سنة خمسمائة أو ٦١٣ أو ٦٤٠ وعمرت مستأذنًا من مركز الخلافة وأصلحت دون تأخير، وبينما كان الجدار ينهار فى خلال سنة ٥٢٠ سمع صوت من داخل مربع القبر الجليل إلا أن سكان أهل المدينة لم يتجرءوا أن يخبروا به أحدًا رعاية للنبى ﷺ مدة أربعينَ عامًا، وفى النهاية أخبروا وعرضوا الأمر فى سنة ٥٧٠ على المستضىء بالله العباسى.

وبناء على القرار الذى اتخذه المجلس الذى عقده المستضىء بالله سنة ٥٧٠ تحت رياسته والذى ضم أكابر العلماء وأفاضل الفقهاء أمر واليه فى المدينة أن يُدخل فى داخل حجرة السعادة واحدًا من فضلاء خدام الحرم النبوى ومتبحريهم لأجل الفحص، واتحدت آراء أهل المدينة على أن يوكل هذا الأمر إلى شخص زاهد من بنى العباس يسمى بدر الدين.

ودخل حضرة بدر الدين من الباب الصغير الذى فتح فى الجهة الشرقية إلى

الحجرة الشريفة ورأى أن بعض الأماكن فى الجهة الغربية من السور القديم الذى فى داخل الجدار الذى بنى فى عصر عمر بن عبد العزيز قد انهار، فصنع مقداراً كافيًا من اللبن من تراب مسجد السعادة وعمرت الأماكن المنهدمة من الجدار وأخذ منه الصحن الخشبى الذى وجده بجانب الجدار المنهار وأخرجه وبعثه إلى بغداد، وكان هذا الصحن قد ظل فى داخل الجدار الذى جدده عبد الله بن الزبير، ولما انهار الجدار انكسر أحد جوانبه وظل الباقى فى داخل الجدار فبدر الدين الضعيف أخذ معه الجزء المنكسر فيه كما أخذ من تراب الجدار المنهار قدرًا من التراب بقصد التبرك فقط وذهب، وقد عرضت الكيفية إلى مقام الخلافة الجليلة مفصلاً من قبل إلى المدينة.

اليوم السعيد الذى دخل فيه بدر الدين إلى بغداد كان عيدًا كبيرًا وعظيمًا فترك الجميع أعمالهم واستقبلوا جناب بدر الدين وأوصلوه إلى دار السلام فى تعظيم وتوفير واحترام.

وقد سمع أيضًا فى سنة ٥٤٨ هـ صوت انهيار الجدار فى داخل الحجرة المعطرة الشريفة وأبلغ الأهالى أمير المدينة قاسم بن مهنى الحسينى، وأمر قاسم بن مهنى بإنزال شخص يتصف بالزهد والصلاح والعفة والاستقامة ومتدينًا فى داخل القبر الجليل وقد قوبل هذا الرأى الرزين باتفاق الجميع ورئى أن من المناسب تعيين عمر النسائى الموصلى من المشايخ الصوفية وأفاضل المجاورين والذى عرف فى المدينة بالزهد التام والتدين والتقى وبلغ المشار إليه الفاضل بهذا الأمر(١).

ولما كان حضرة عمر النسائى مصابًا بمرض سلس البول استمهل لبعض الوقت حتى يستجمع قوة بدنه لتكفى للدخول والخروج فى قبر السعادة، وذلك بالتريض.

وبعد ذلك ربط حضرته بحبل وأخذ معه شمعةً وأدوات أخرى لازمة ودخل فى الفاصلة التى بين غطاء مربع قبر السعادة وحجرة السعادة ومن هناك من قبة

(١) يروى بعض الرواة أنه قد جعل بجانب عمر النسائى هارون المشانى وشخص آخر.

الحجرة أى من المتنفس الذى فوق سقف الحجرة المنورة إلى داخل مربع القبر وأوقد الشمعة وألقى نظرة حول القبور ورأى أن بعض الأتربة قد سقطت من سقف الحجرة، فكنس التراب المذكور بلحيته وخرج من حيث دخل.

المعجزة: قد نجا حضرة عمر النسائى بعد خروجه من حجرة السعادة من علة سلس البول وعاد إلى آخر عمره مستريحًا.

قال ابن النجار «شَمَّ قاسم بن مهنى الحسينى فى سنة ٥٥٤ هـ فى ربيع الآخر من تلك السنة رائحة عفنة من داخل الحجرة الشريفة فأنزل بيان الاسم من خدمة الحجرة الشريفة، وأصغى الموصلى بقولى المسجد الشريف والشيخ هارون الشادى من أفاضل الزمان فى داخل الحجرة المنيفة ووجد الذوات المشار إليهم بين الفاصلة التى بين الجدران جيفة هرة ميتة وأخرجوها، وكان اليوم الذى دخل فيه هؤلاء داخل حجرة السعادة وخرجوا منها يوم الجمعة الحادى عشر من ربيع الآخر من السنة المذكورة، وبعد ذلك إلى زماننا هذا لم يدخل أحد فى قبر السعادة ولم يخرج، وأراد بهذه الرواية أن يسقط القول الذى قيل فى حق عمر النسائى عن الاعتبار وليس بعيداً أن تكون الحكاية التى نقلت عن عمر النسائى نفس القصة التى رواها ابن النجار إلا أنها رويت بطرق مختلفة.

وإن كانت أبنية الحجرة المعطرة مربعة إلا أن هناك من يدعى أنها مخمسة، مع أن الإمام السمهودى الذى يرد ادعاءات هؤلاء ويخرجها قائلا: «إن أبنية الحجرة المعطرة المقدسة مربعة، فالذين اعتقدوا أنها مخمسة قد أخطئوا، إننى دخلت فى داخل الحجرة الشريفة وقمت بمسحها بنفسى».

وبناء على حسابى داخل الجهة الشامية من حجرة السعادة أحد عشر ذراعا بثلاثة أرباع ذراع وكل واحد من عرض الشرقى والغربى سبعة أذرع خمسة أرباع ذراع وعلى كل حال فهذا الحساب يشير إلى مقارنته لمسح ابن شيبة ويحيى، وعرض الجهات الثلاث غير داخل الجدار القديم الشرقى الذى حدد ذراع ونصف ذراع وعقدتان كما أن الجدار الشرقى المجدد ذراع وخمسة أرباع، وارتفاع

الجدران ثلاثة أذرع وثلاثة أرباع لكل جهة، إلا أن بعض أماكنها قد رفعت قليلاً وبما أن أعلاها قد صنع من الآجر قدر ذراع واحد قد فهم أنه قد أضيف فيها بعد.

السور الخشبى الذى حول حجرة السعادة، لم يكن أى شىء حول الجدار الخارجى لحجرة السعادة حتى عصر جمال الدين الأصفهانى وقد أحاط جمال الدين الأصفهانى الجدار الذى بناه عمر بن عبد العزيز حول الحجرة المعطرة بسور مصنوع من خشب شجرة الصندل والآبنوس، وأوصل ارتفاع هذا السور إلى سقف المسجد الشريف وألصقه به، إلا أنه قد احترق فى الحريق الأول كما سيحرر فى الصورة الثامنة من الوجهة الثامنة فجدد سنة ٦٦٨هـ وسمى بالمقصورة وبعد ذلك قد جدد وعمر مراراً. انتهى.

جدران أبنية الحجرة المعطرة القديمة أعلى من الجدران التى مدها عمر بن عبد العزيز قدر خمسة عشر ذراعًا بما أن أرض الجدار الجديد أعلى من أرضية الجدار القديمة فمن هنا تظهر الجدران فى ارتفاع واحد. وبناء على أرجح الروايات بين الجدارين فاصلة ما تقرب من ذراع ونصف ذراع.

والجدار الذى مده عمر بن عبد العزيز ـ كما يرى فى الشكل الآتى: مثلث الشكل فى الجهة الشمالية وهذا الشكل المثلث ما بين الجدار القديم والجديد فالفاصلة التى تمتد من الزاوية الشمالية إلى الجدار القديم ثمانية أذرع، وكان فوق سقف الحجرة المعطرة اللطيف قطعة قماش مشمع على شكل الخيمة وكان فوق هذا الغطاء سقف مسجد السعادة وفوق هذا السقف يعنى فوق سقف المسجد الشريف باب[1] صغير وبين القماش المشمع وسقف المسجد فاصلة قدر ذراعين، الشكل والهيئة التى ذكرت كانت الحالة التى عليها قبل الحريق الأول؛ لأن ما بين سقف المسجد الشريف وغطاء الحجرة المعطرة قد أغلق ببعض الألواح الخشبية التى كُسِيَتْ بالمشمع وفتحت نافذة وسط سقف الحجرة الشريفة تسمى قبة النور[2] وأغلق بالقفل بعد الحريق، وإن كان بعض المؤرخين قالوا كان يدخل للفاصلة

(١) إن المنفس الذى وسم أعلاه، بـ «قبة الحجرة» عبارة عن هذا الباب الصغير.

(٢) كان يقال لهذه النافذة قبل الحريق قبة حجرة قبر النبى ﷺ.

التى بين الجدار القديم والجديد من الباب الصغير الذى فتح فى سقف حجرة السعادة إنهم لم يصيبوا الحقيقة فى ذهابهم هذا وابتعدوا عن الصحة.

وإن أراد ابن رشد أن يرد الأقوال المشهورة إذ ادعى أنه لم يكن فوق القبر الجليل سقف وقال لم يكن قديمًا فوق القبر الشريف سقف غير سقف مسجد السعادة، وبما أنه قد مات سنة ٥٢٠هـ فادعاؤه هذا يشير إلى هيئة المسجد الشريف قبل الحريق، ومع هذا فرواية الإمام مالك ـ عليه الرحمة ـ بخصوص الكسوة الشريفة تؤيد أن الحجرة المعطرة كانت مسقوفة قبل الحريق الأول، حتى إنهم وجدوا بقية ميزاب السقف العتيق عندما كانوا يجددون المسجد فى عصر الأشرف قايتباى وبهذه العلامة والدليل حكموا أن حجرة السعادة كانت مسقوفة فى الصدر الأول وأن الميزاب العتيق كان مصنوعًا من خشب شجرة الساج، جاء فى صحيح الدارمى أنه قد وقع فى حياة السيدة عائشة الصديقة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى قحط وغلاء اشتكى الناس ذلك لذاتها السامية ورجوها أن تجد لها حلاً.

قالت السيدة عائشة: «افتحوا نافذة فوق قبر السعادة حيث لا يبقى شىء يحول بين سقف القبر الجليل وبين السماء! وبهذا أمرت أن تفتح نافذة صغيرة فوق سقف القبر الجليل وقد استحسن أهل المدينة رأى والدتنا المشار إليها وقرروا فى النهاية فتح نافذة صغيرة فوق قبر السعادة وأطلق عليها «قبة النور»، «قبة المجرة».

وفى أثناء فتح سكان المدينة، بناء على توصية الصديقة ـ النافذة فوق قبر الرسول ظهرت فى السماء علامات المطر وأخذ المطر فى النزول وغرقت الغبراء بالمياه ونمت الحشائش فى الأودية والصحارى وأخذت الدواب فى الرعى. وقد سر أهل المدينة من هذه الحالة وسموا تلك السنة بـ (عام الفتق) وكانوا بعد ذلك كلما احتاجوا إلى شىء أو المطر فتحوا النافذة التى فوق قبر الرسول، وقد دام هذا النظام إلى الحريق الثانى، حتى إنهم كانوا قد فتحوا منفذًا فوق القبة الخضراء المصنوعة من الحجر كالحالة السابقة بعد الحريق الأول، وتركوا فيما بعد هذه

الأصول، لسبب ما، وأخذوا يدعون فاتحين باب الرحمة المقابل لوجه النبى ﷺ في مقصورة النور التى تحيط بالحجرة المعطرة، ودام هذا النظام إلى عهد شاهين إلى وقوع الحريق الثانى لأن شاهين الجمالى قد بنى فوق سقف مسجد السعادة قبة حجرية كما فتح فوق ذروتها نافذة وركب عليها قفصًا حديديًا كما ركب فوق النافذة التي صنعت فوق سقف الحجرة الشريفة اللطيفة قفصًا آخر، وركب فى وسطه منفسا مغلقًا، وكلما كان أهل المدينة يتعرضون لداهية دهياء يفتحون ذلك المنفس، بما أنهم كانوا يستسقون واقفين بجانب المنفس المذكور فى سنين القحط والغلاء.

وإن كانت قبة النور التى هى نافذة قبة السعادة موجودة فى أيامنا هذه إلا أن نظام فتحها لأجل الدعاء غير حاصل، والآن يدعون فاتحين الباب المعلا الذى يطلق عليه باب الوفود الذى يقابل أسطوانة الوفود التى توجد فى جهة الروضة المطهرة من حجرة السعادة، وبناء على ما أخبره مسنو المدينة وأصحاب العلم أنه كلما دعى وذلك الباب مفتوح فلابد أن يظهر أثر الاستجابة سريعًا.

قد اختلف مؤرخو الأسلاف كثيرًا فى تعيين مراقد المدفونين فى داخل الحجرة المعطرة وفى نهاية القيل والقال بينوا اقتضاء تصديق سبع روايات، وادعت كل فرقة صحة روايات رواتها ولكننا حينما رأينا أن أربعًا من هذه الروايات لا تستند على حجة قوية تركناها وذكرنا صور الروايات الثلاث المؤيدة بأقوى الأقوال.

الصورة الأولى: أن قبر النبى الأقدس أمام قبرى حضرة الصديق وعمر بن الخطاب قليلاً، يعنى أن رأس الصديق الأكبر فى محاذاة منكبى الرسول ﷺ ورأس الفاروق الأعظم فى محاذاة منكبى جانب الصديق الأعظم ولما كانت هذه الصورة أكثر وجاهة وافق على تصديقها وصحتها أغلب العلماء.

كان الوليد بن عبد الملك قد ذهب إلى المدينة المنورة فى أثناء تجديده لمسجد السعادة ليرى مدى متانة صنعه ورصانته وليرى إذا كان منزل فاطمة ـ رضى الله

عنها ـ قد ألحق بساحة المسجد أو لم يلحق، وفى أثناء المعاينة أمسك بيد عمر بن عبد العزيز وسأله مشيرًا إلى حجرة السعادة هل أبو بكر وعمر وسيد البشر فى هذه الحجرة؟ فرد عليه قائلا نعم قال: أين عثمان بن عفان؟ أننى لا أغادر هذا المكان إلى أن أخرج هذين الشخصين من الحجرة المعطرة، وأنقلهما إلى مكان آخر وظل واقفًا فترة لينفذ ما فى ضميره، فقال له: عمر بن عبد العزيز عندما استشهد عثمان بن عفان كان الناس مشغولين بإطفاء نار الفتنة وكانوا يدفنونه قطعا فى حجرة السعادة إذا كان الاستقرار سائدًا وبهذا القول أومأ إلى أن رأى الوليد غير صحيح، وبعد أن سمع الوليد هذا القول سكت قليلاً وتخلى عن إيفاء ما فى ضميره.

الشكل الأول

قبر النبى ﷺ

قبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الصورة الثانية: كما نرى فى الشكل الآتى:

أن رأس أبى بكر الصديق فى محاذاة منكبى رسول الله ﷺ وأن رأس عمر بن الخطاب فى وصف قدمى النبى ﷺ الأنورين قد صدق أبو داود والحاكم هذه الصورة ورجحاها على الصورة الأخرى ومن هنا أراد بعض الذوات ترجيح الصورة الثانية على الصورة الأولى، إلا أن قاسم بن محمد بن أبى بكر قال: لأصحابه؛ حينما كنت أزور القبر الجليل كنت أرى رأس جدى أبى بكر خلف منكبى الرسول ﷺ وأرى رجليه فى محاذاة رأس الفاروق الأعظم وقول قاسم هذا يؤيد حكم الرواية التى ترجح الصورة الأولى على الصورة الثانية لأن جناب قاسم بن محمد ذهب إلى بيت أخت أبيه عائشة ـ رضى الله عنها ـ وقال لها: «يا أم المؤمنين، إذا أذنت لى سأزور القبور الثلاثة وفتحت أمنا المشار إليها باب مدفن السعادة وسمحت لابن أخيها قاسم بن محمد بالزيارة».

وبناء على رواية قاسم بن محمد فإن القبور الثلاثة منفصلة عن بعضها قليلاً وفرش فوقها برمل أحمر ذات حصاة كبيرة جلبت من وادى الحمراء.

الشكل الثانى

قبر النبى ﷺ / قبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الصورة الثالثة: وبناء على ما يرى فى الشكل الآتى أن رأس الصديق المبارك فى محاذاة قدمى سلطان عرش الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقبر عمر بن الخطاب لامع الأنوار خلف قبر النبى ﷺ هذا ما روى عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أمنا إلا أن رواة هذا القول مجروحون بتهمة النسيان وهذا ما يحكم عنهم.

الشكل الثالث

قبر النبى ﷺ / قبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهذا الشكل يكذب ويخرج القول الذى روى بأن قدمى عمر بن الخطاب رئيتا فى أساس الجدار الذى تهدم فى عصر عمر بن عبد العزيز، لأن الجدار الذى سقط فى ذلك الوقت كان الجدار الشرقى وإن كانت هذه الرواية قد رويت ونقلت عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ فبناء على هذه الرواية يقتضى أن يكون القدمان اللذان ظهرا قدمى جناب الصديق المباركين ولما كانت هذه الصورة تثير الشك والشبهة فأبو داود والحاكم قد صدقا الصورة الأولى والثانية وترددا فى صحة الصورة الثالثة.

وقول عبد الله الذى كان عنده معلومات صحيحة عن قبر عمر بن الخطاب لامع الأنوار من بين القبور الثلاث لعمر بن عبد العزيز: «يا عمر! لا تخف إن القدمين الشريفين اللتين رأيتهما قدما جدك عمر بن الخطاب كانتا قد ظلتا داخل

أساس الحجرة المنيفة» يصدق صحة الصورة الثانية، ويصرح بأن الرواية الثالثة ليست صحيحة ولما كان مكان الجدار الشرقي الذى سقط فى ناحية الركن الشامى لابد وأن ترجح الرواية الأولى على الصور الأخرى.

الهيئة المرئية للقبور الثلاث المقدسة فوق الأرض:

وقد انقسم المؤرخون على فرقتين فى تعيين شكل القبر الجليل هل هو مسنم[1] أم مستو قال الفريق الأول إن قبر السعادة مسنم وهو مثل المقابر التى نعرفها أعلى من الأرض قليلاً وعاليه مدبب قليلاً وقال الفريق الثانى ليس بمسنم ولكنه مستو ومع هذا فالفريقان صادقان فى أقوالهما إذ الذين يدعون أنه مستوهم الذين شاهدوا شكله الأول والذين قالوا مسنم شاهدوا طرزه الجديد؛ لأن المرقد الشريف ظل مستويا إلى قرب عهد عمر بن عبد العزيز؛ فعندما تهدم الجدار الشرقى لحجرة السعادة فسنم القبر الجليل المنيف، وكان قبرا الشيخين إلى سقوط الجدار الشرقى مستويين وجعل سقوط الجدار الشرقى قبريهما مسنمين.

وعند إجالة النظر لهذه الصور الثلاثة يرى فى داخل حجرة السعادة مكانا خاليا يكفى لدفن جنازة، ويروى أن هذا المكان سيكون مدفن عيسى بن مريم، وكان كل من عبد الرحمن بن عوف وحضرة الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ استحصلا على إذن بدفنهما فى هذا المكان الخالى من السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ولكنهما عندما توفيا اعترض أمراء بنى أمية على ذلك ودُفنت جنازتاهما فى بقيع الغرقد، وهذه حكمة تؤيد أن الاعتراض كان بسبب أن هذا المكان مدفن عيسى.

شبكة قبر السعادة

حجرة السعادة ـ كما عرف آنفا طراز وهيئة ـ فوقها قبة كبيرة وحولها ـ دائرا ما دار ـ سور شبكى أخضر اللّون، إن القفص الذى يحيط بممر قبر السعادة مصنوع من الصلب، إلا أن واجهتها حيث يقف الزوار على شكل باب صغير مصنوع من

(١) المسنم يعنى كظهر السمكة.

الفضة وقد سطرت على طاقة العبارة المنجية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والزوار الكرام يزورون القبر من خارج هذا القفص ويطلقون على هذا القفص شبكة قبر السعادة.

وإن كان بين القفص الذى عُرف والمرقد السعيد مكانًا خاليًا لإيقاد الشمعدانات ليلاً إلا أن الجهة التى فيها مرقد السعادة قد غطيت بقماش ذهبى فلا يستطيع أن يرى داخل الغطاء فرد فريد.

والغطاء المزركش الذى فوق مرقد السعادة قد نسج على أعلى مستوى من الدقة والمهارة فهو قطعة قماش نادر ـ كتب عليها نسجا العبارة البديعة الله محمد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين وبعض أسماء النبى.

روايــة

يروى عن كعب الأحبار أنه قال: أنه سيتواجد فى حجرة السعادة كل يوم إلى صباح يوم الحشر ما يقرب من سبعين ألف ملك لعرض باقات ورد الصلاة والسلام من هنا يتنزل كل يوم من السماء سبعون ألف ملك يظلون يقومون بالصلاة والسلام وفى غروب الشمس يعرجون إلى السماء ويهبط مكانهم نفس العدد يظلون حتى الصباح يصلون ويسلمون.

الوجهة الثامنة

وتحتوى على تسع صور وتشمل تفصيلات

عن علامات رأس النبى الشريف ومقام جبريل الأمين السامى

وكيف تحفظ وتعلق الهدايا الواردة

وفى أى عصر وتاريخ أسست القبة الخضراء ومقصورة القبر الحديدية

فى ذكر علامة الجهة
التى يوجد فيها رأس الرسول ﷺ

كانت العلامة الفارقة لرأس النبى الشريف فى الصدر الأول صندوقًا مغطى بألواح فضية، وكان هذا الصندوق بجانب العمود الملاصق لجدار القبر وكان ذلك العمود فى منتهى الناحية الغربية لجدار الحجرة المعطرة وفى محاذاة أسطوانة التوبة وأسطوانة السرير، وزمن وضع ذلك الصندوق وتاريخه يكاد يكون مجهولاً فى نظر التاريخ إلا أنهم يروون أنه قد وضع قبل حريق سنة خمسمائة وثمانين رواية قوية ولا شك فى صحة هذه الرواية، وكانت فى جهة رأس الرسول شجرة مزينة فوق الصندوق الصغير تحيط بالأسطوانة المثبتة بجانب الرأس، ولما احترقت هذه الشجرة من الصندوق فى الحريق الثانى ركزوا مكانها عمودا رخاميا وكتبوا عليه بخط جميل البسملة الشريفة والصلوات المنيفة ووضعوا بجانب العمود صندوقًا صغيرًا، والآن فعلامة الرأس الشريف النبوى هذا العمود.

ومازال ذلك الصندوق الصغير موجودًا ولكنه تحت غطاء قبر السعادة، ويوضع فيه كل سنة خشب الصندل الهندى ويؤخذ القديم منه وبقيت هذه العادة من عهد عمر بن الخطاب وقد حفظ بالصندوق ماء الورد والعنبر والصندل لتبخير المسجد والأشياء الأخرى فى داخل ذلك الصندوق وقد أصبح وضع الأشياء المذكورة فى داخل ذلك الصندوق فى حكم العادة لدى الخلفاء والملوك الذين بعده؛ ولكن مسجد السعادة اتسع وكثرت تلك الأشياء الواردة لتبخير المسجد فاستصوبوا وضع تلك الأشياء فى أماكن أخرى مكتفيًا بوضع الصندل الهندى فقط داخل ذلك الصندوق علامة رأس النبى الشريف ﷺ.

أصول تجديد الصندل: هناك نظام جميل بين أغوات حرم السعادة خاص بصورة تجديد الصندل الموضوع فى داخل الصندوق، وهذا النظام جار إلى يومنا هذا، عندما يحين الوقت المعين للتجديد تولم وليمة ويقدم طعام من قبل شيخ الحرم أو نائبه فى دائرة الحرم لبعض أهل حرم المدينة.

ولكن جميع المدعوات من النساء يطحن الصندل المجهز وهن يصلين ويسلمن على النبى بالفقرات المسجوعة طحنًا جيدًا قبل الطعام وعندما تنتشر رائحته إلى الجهات الأربعة يخلطنه بماء الورد أو أنواع أخرى من العطور وفى ختام ذلك يتناولن الطعام الذى أعده صاحب البيت ويرسلن ما جهزنه إلى أغوات الحجرة المعطرة ليضعوه فى الصندوق الذى تحت غطاء قبر السعادة، ويعبئ الأغوات الصندوق المذكور بالصندل الجديد بعد أن يفرغوه من الصندل القديم وفى أثناء ذلك يهللون ويكبرون ويصلون على النبى ﷺ ويسلمون ويرسلون الصندل القديم لأحبائهم للتبرك.

والفقرات المسجوعة التى ترددها النساء فى أثناء وجودهن فى جمعية دق الصندل الذى يستلزم المفخرة هى: لما بدينا * على النبى صلينا * العادة يا سادة.

والوقت المعين لتجديد الصندل الليلة التاسعة عشرة من ذى القعدة كل سنة، وبعدما يدق بأدوات مزينة ويغربل بغرابيل فضية يمزج بعطور مثل ماء الورد، عنبر ودهان الورد ثم يعجن كالعجين ثم يوضع فى صحون ذهبية وفضية ويحمل إلى حجرة السعادة التى تغسل وفى اليوم الثانى يدخل فى داخل شبكة السعادة فى موكب خاص، ولا يدخل من هذا الموكب فى داخل حجرة السعادة غير شيخ الحرم، ونائبه، وخازن الحرم.

والصندوق الذى يضعون فيه الصندل تحت عقد الجدار الذى بناه عمر بن عبد العزيز والغطاء الذهبى لقبر السعادة فوق هذا العقد فالصندل الجديد يوضع من ناحية الرأس الشريف النبوى للقبة التى تحيط بمرقد النبى الجليل.

وليس الصندوق الذى يوضع فيه الصندل هو الصندوق الخاص بوضع المصحف الشريف عليه بل هو الصندوق الذى وضع بجانب أسطوانة السرير فى داخل المقصورة، وإن كان بعض الرواة يروون أن المصحف الشريف الذى يوضع فوق ذلك الصندوق هو المصحف الذى كان فى يد حضرة عثمان بن عفان حين استشهاده، إلا أن هذه الرواية غير صحيحة.

وبناء على قول ابن النجار أو بعض كتب تاريخ المدينة أن ذلك المصحف المنيف هو الذى أرسله الحجاج من الشام وكان قد وضع فوق الصندوق الذى أمامه المصلى؛ لأن مصحف الشهيد عثمان انتقل إلى يد ابنه خالد وظل فى يد أولاده من بعده.

وبناء على القول الذى نقله بعض مشايخ الشام لابن قتيبة أن المصحف المذكور نقل إلى أرض طوس فى فترة ما، كما ادعى الإمام مالك أن البلد الذى يوجد فيه ذلك المصحف غير معروف، مع أن ابن سلام قال: «إننى رأيت فى خزانة بعض الأمراء المصحف الذى تحدث عنه الإمام مالك حتى كان فى بعض أماكنه آثار دم وبهذا أراد أبو جعفر النحاس أن يرد رواية الإمام مالك وادعائه، إلا أن احتمال الحصول على ذلك المصحف المنيف بعد موت الإمام وإرساله إلى المدينة جائز ومن هنا فهناك نظر فى تخريج رواية الإمام مالك، وإن كان فى زماننا ثلاثة مصاحف فى كل من المدينة ومكة المكرمة ومصر وعلى الآية الكريمة:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

آثار دماء، إلا أن هذه المصاحف ليست المصحف الشريف الذى لطخ بالدم فى أثناء شهادة حضرة عثمان بل أنها مصاحف كتبت تقليداً لذلك المصحف والآية الجليلة لونت بلون أحمر فى لون الدم. وبناء على ذلك فالمصاحف الموجودة سواء أكانت فى المدينة أو مكة أو مصر باسم المصحف العثمانى فهى المصاحف التى أرسلها الحجاج إلى بلاد مختلفة، لأن عند استشهاد عثمان بن عفان كان

يمسك بين يديه مصحفًا واحدًا، وغير هذه المصاحف ففي مسجد السعادة كثير من المصاحف التى كتبت بخط نفيس جميل مزينة مذهبة بأجمل الزينة والتى أرسلت من الملوك والسلاطين، وأصحاب الخير.

وأجزاء لطيفة من القرآن الكريم، ومن ضمن هذه المصاحف مصحف مرسل فى سنة (١٢٥٠) هـ بين المصاحف المرسلة من ملوك الهند كهدية مصحف فى غاية الكبر فى الحجم وحتى يزار عند إهدائه وضع فوق كرسى خاص بجانب باب السلام وأغلق بالقفل من الأعلى، إلا أنه نقل عند التعمير الأخير مع كرسيه إلى المخزن القريب من الباب المذكور، وقد حُررت فى الوجهة الخاصة أسماء مهدى هذا المصحف والمصاحف الأخرى وتاريخ إهدائها وعددها وصفاتها.

الصورة الثانية

ترى وتعرف علامة جهة وجه النبى اللطيف

فى الجهة القبلية من الشبكة الشريفة التى تحيط بحجرة السعادة مسمار ساطع الأنوار من فضة علامة جهة وجه النبى ﷺ هى هذا المسمار الذى يبعد عن الزاوية الغربية قدر خمسة أذرع، وقد بين علماء الأسلاف جهة وجه السعادة قائلين: «كل من يقف تحت القنديل الذى فى مواجهة رأس السعادة واستقبل العمود الرخامى يكون قد توجه إلى الوجه اللطيف النبوى، إلا أن هذا التعريف خاص بوضع الحجرة النبوية قبل الحريق إذ لم يكن حينئذ فى محاذاة وجه السعادة إلا قنديل واحد معلق، وبما أن القناديل كثرت فيما بعد فما كان يعرف أى القناديل المعلقة يلزم الوقوف تحتها. والآن فمن يريد أن يكون فى مواجهة وجه السعادة، يقتضى أن يستقبل العمود الأحمر الرخامى فى محاذاة مسمار الفضة، إن هذا المسمار علامة الوجه الشريف، وقد سقط المسمار المذكور سنة (٧١٠) هـ وخلا المكان منه فترة وبعد عشر سنوات وضع فى مكانه سنة (٧٢٠) هـ. وعندما فرش رخام أرضيته الحجرة المعطرة فى (٢٣٢) نزع المسمار المذكور وعندما تم الفرش وسوى أضيف ثلاثة مسامير فضية أخرى بحيث وضع أحدها فى الجدار القبلى والاثنان فى الجدار الغربى ووضعت الأربعة كلها مرة واحدة فى أماكنها، وللأسف الشديد احترقت المسامير الثلاثة الجديدة وبقى المسمار القديم، وبما أن الشخص الذى كان أمين البناء قد ركب على باب المقصورة قفصًا غليظ الصنع كما كان لا يمكن رؤية المسمار العتيق ولا تشخيص وتمييز مكان مواجهة رأس السعادة، وكان زوار ذلك الوقت يقفون فى الجهة القبلية ويستقبلون قبر السعادة وبِحِسٍّ وجدانى يشيرون إلى جهة المسمار القديم قائلين

إن هذه الجهة هى جهة وجه النبى ﷺ، إلا أن شاهين الشجاعى الذى عين أمينًا للبناء فى عهد السلطان قايتباى المصرى قد بدل قفص المقصورة ذلك بالنحاس وأظهر المسمار المذكور وأبرزه فأبهج زوار مرقد السعادة وملأهم فرحًا وسرورًا. رحمه الله.

في تعريف مقام جبريل الأمين وتعيينه.

كان مقام جبريل الأمين السامى بجانب مربع القبر الشريف، إن ذلك المسمار الفضى الذى وضع لتعيين المقام الشريف وعلامة خاصة لذلك كان فى انحراف زاوية الجدار الشمالى لمربع الحجرة الشريفة، وفى النهاية سقط ذلك المسمار ولم يوضع فى موضعه مرة أخرى وستر مكانه، من هنا ليست هناك علامة خاصة بمقام جبريل، ويعد هذا المكان ـ بناء على قول ابن جبير ـ من الحجرة المعطرة النبوية، ومن هنا يطلق على الغطاء الذى وضع فوقها مهبط جبريل ـ عليه السلام ـ إذ يدعى أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان ينزل غالبًا فى هذا المكان المقدس باسطًا أجنحته.

اختلف المؤرخون فى وجه تسمية هذا المكان المقدس، وقال بعضهم إن جبريل ـ عليه السلام ـ ظهر فى هذا المكان فى غزوة بنى قريظة، وقال بعضهم تسمى كذلك لقربه من باب جبريل، ومن المحتمل أن باب جبريل كان أولاً متصلاً بهذا المقام الشريف ثم نقل إلى مكانه الأول.

فرش حجرة السعادة وتعميرها وتجديدها

كان فى الزمن القديم حجر ألصق بالجدار القريب بمربع القبر الجليل، ويروى أن النبى ﷺ كان كلما زار دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كان يصلى بجانب ذلك الحجر نظير الجوهرة، وعلى قول آخر أن أمنا فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كانت تؤدى الصلوات الخمسة بجانب ذلك الحجر.

ويروى أن ذلك الموقع اللطيف هو المكان المنيف الذى ولد فيه السبطان المحترمان. وبناء على ذلك كلما أحس الحسين بن عبد الله بجسمه بمرض أو وجع كان يذهب ويحك محل الوجع بذلك الحجر ويحظى بالبرء والشفاء عقب ذلك، ولكن لشدة الأسف عندما فرش داخل الحجرة المعطرة بالرخام ضاع ذلك الحجر ولم يعثر عليه بعد، وفى الأوائل لم يكن فى داخل أو خارج حجرة السعادة فرش رخامى؛ وفى سنة (٢٣٢) هـ وفى عصر المتوكل بالله العباسى فرش داخل الحجرة الشريفة وخارجها بالرخام من قبل إسحاق بن سلمة من كبار معماريى ذلك العصر، وفى سنة ٥٨٤ هـ جدد حجرة السعادة قرب الحريق الأول فى غاية الرصانة والزينة.

ومد جمال الدين المشار إليه حول أطراف الحجرة المقدسة الأربعة جدار فى ارتفاع قامة إنسان من الرخام، ولم يمس أية جهة من الحجرة أحد إلا أنها جددت فى سنة (٨٨١)هـ[1] وسنة (٨٨٧) هـ [2] مرتين على صورة مطلوبة.

وكان الفرش الرخامى سواء أكان فى داخل حجرة السعادة أو خارجها أو الأماكن الأخرى من المسجد الشريف كل هذا فرش بعد الحريق الثانى؛ ولم يكن إلى ذلك الحريق فرش رخامى فى غير مكان المحراب العثمانى، والآن الفرش

(١) كان قبل الحريق الأول.

(٢) كان بعد الحريق الثانى وجدد من قبل الأشرف قايتباى المصرى.

الرخامى على يمينه ويساره، وحولت جميع الأماكن التى بين مآذن الركن الشرقى والغربى والأعمدة التى حول باب السلام والمنبر المنيف والحجرة اللطيفة ومحفل المؤذن إلى أعمدة رخامية، فى أزمنة الظاهر جقمق والسلطان قايتباى المصرى، وإن كان داخل الحجرة المعطرة فى عهد قايتباى المصرى قد فرش بالرخام إلا أن السلطان مراد الرابع قد بدل جميع قطع الرخام تلك بالقيشانى وجدد السلطان عبد الحميد جميع قطع القيشانى التى فرشها السلطان مراد مزينة بقطع أخرى بشكل أجمل.

ينقل عن أحد الذوات الذين قاموا بأنفسهم بتعمير الحرم النبوى الشريف فى العمارة الأخيرة ـ إذ كان من موظفى الحرم النبوى الشريف ـ هذه الحكاية الغريبة: «لما كان السلطان عبد المجيد خان ـ عليه الرحمة والغفران ـ قد أرسل جميع الأشياء اللازمة لفرش حجرة السعادة من باب السعادة وأمر بأن تفرش هذه الأشياء من قبل الأشخاص الذين كسبوا احترام الأرض والذين عرفوا بينهم بالزهد والتقوى ومن هنا فرشها الأشخاص الذين عرفوا بشدة تدينهم وبسماتهم الفاضلة من بين آل المدينة إذ كان اثنان أو ثلاثة منهم يدخلونها مناوبة».

قال راوى هذه الحكاية الغريبة: «قمت أنا أيضًا بهذه الخدمة المقدسة، وكنت يومًا عجزت عن أن أضع إحدى قطع القيشانى فى مكانها، فأتيت بشمعة وعاينت مكانها، فرأيت أن قطعة القيشانى مزينة مجلاة وكانت خالية من العيوب، فقلبت ظهرها فوجدت أنها محلاة ومصقلة مثل وجهها وقد سطرت فى وسطها عبارة» المست عبد المجيد؛ «فنظرت إلى القطعة فكانت كتلك التى افتقدتها».

ألا فَلْيُنِلْ الله ـ سبحانه وتعالى ـ شفاعة الحبيب الأكرم ذلك السلطان المشار إليه، وإن كانت تلك الحكاية صحيحة يفهم منها مدى حب الملوك العثمانيين لسلطان الأنبياء ـ عليه أفضل التحايا ـ ولاسيما السلطان عبد المجيد خان ـ جعل الله مثواه الجنة ـ ومدى إخلاصهم فى هذا الحب، من تلك الحكاية الغريبة.

ذيل

ولما رويت الحكاية الآتية تأييدًا لصحة الرواية الغريبة التى ذكرت فأدرجناها هنا لتوضيح المدعى.

حكاية

قال أحد الذين يثنون على والد السلطان كثير المحامد إنه سمع هذه الحكاية من الكاتب السلطانى الأسبق فريد أفندى ذاتيًا: «قد اعتاد السلطان عبد المجيد خان ـ جعل الله مثواه الجنة ـ فى مرض موته أن يقرأ المعروضات التى ترسل إليه من الباب العالى فى حجرة نومه وهو مستلق على فراشه، وأن يُضَبِّط أوامره السلطانية، ويومًا ما ظهرت بين المعروضات بعض الأوراق الخاصة بالمدينة المنورة فأمر أن يؤتى بمخدتين توضعان على جانبيه ثم جلس على ركبتيه واضعًا يديه عليهما فى أدب، مع أنه كان عاجزًا عن القيام من الفرش ليقرأ تلك الأوراق حتى غير المهمة منها وأمر رأسًا بإجراء ما يقتضى إجراؤه، ثم غير وضعه وأعيد رأسه إلى الوسادة؛ رحمة الله عليه رحمة واسعة.

فى تعريف ستارة الحجرة المعطرة.

كان جمال الدين الأصفهانى قد صنع حول حجرة السعادة سورا مشبكا من خشب الصندل والأبنوس، كما سبق ذكره فى الصورة الخامسة من الوجهة السابقة، وقد دامت هذه الشبكة الخشبية فترة، وفى سنة ٥٦٦ هـ جهز حسين بن أبى الهيجاء صهر صالح الوزير - من وزراء الملوك المصريين - ستارة من الحرير الأبيض مزركشة وأرسلها إلى المدينة المنورة تتعلق تبركًا فى حجرة السعادة، تحدوه نية خالصة. وبعد استأذن أمير المدينة المنورة قاسم بن مهنى المستضئ بأمر الله العباسى وعلق تلك الستارة فى حجرة السعادة.

كانت تلك الستارة البيضاء منسوجة من الحرير الأحمر والأصفر ومزينة بخرز مختلف الألوان ومطرزة بلآلئ ذات قيمة غالية، وسطرت على حزامها المصنوع من الحرير منسوجًا بالحرير الأحمر سورة يس الشريفة؛ ولما أرسل بعد سنتين من بغداد دار الخلافة ستارة نفيسة أخرى منسوجة بحرير بنفسجى وخيوط ذهبية فأنزلت الستارة التى أرسلت من طرف حسن بن أبى الهيجاء وعلقت الستارة الجديدة. وأرسلت الستارة القديمة إلى مشهد على بن أبى طالب؛ وكانت عبارة المستضئ بالله مكتوبة على الستارة التى أرسلت من بغداد، وكانت هذه الستارة بنفسجية اللون وكانت على أطرافها أطر قد رصت بلآلئ وكتبت على جوانبها أسماء النبى ﷺ، كما أن الناصر لدين الله أرسل ستارة منسوجة من حرير أسود فى أثناء خلافته كما أن والدته أرسلت ستارة أخرى جميلة عقب ذلك، وبما أن هاتين الستارتين علقتا فوق بعضهما فاجتمعت فوق حجرة السعادة ثلاث ستائر فى وقت واحد وظلت حجرة السعادة إلى عصر هارون الرشيد بالستارتين اللتين أهداهما المستضئ بأمر الله والناصر لدين الله، وزار هارون الرشيد مع والدته

الخيزران القبر النبوى الجليل وعلقا على الحجرة الشريفة ستارة نفيسة وأظهرا احترامهما ورعايتهما لهذه الحجرة وذلك فى سنة (١٧٠)هـ.

واشترى الملك الصالح بن الناصر محمد المصرى فى سنة (٧٦٠) هـ ثلاث قرى من قرى مصر المعمورة، وأوقفها بشرط أن يصنع بإيرادها كسوة للحجرة المعطرة والكعبة المعظمة وعلى أن يكون لون هذه الستارة أسود ويشغل بالحرير الأبيض وأن تحاط بإطار مصنوع ومطرز بخيوط ذهبية وأن يحيط طولها وعرضها بحجرة السعادة، وكان يبعث بعد ذلك كل خمس سنوات كسوة للكعبة المعظمة وحجرة السعادة.

وقال تقى الدين الفاسى وزين المراغى من المؤرخين، وترسل كل ست سنوات إلى الحجرة الشريفة ستارة من قماش أسود ويكتب فوق هذه الستارة بعض الآيات الشريفة بحرير أبيض وكانت طرزها (شراشيبها) مصنوعة من خيوط ذهبية (صرمه) وكان حكم الكسوة القديمة فى حكم الكسوة القديمة للكعبة الشريفة وتقسم بين الخدم[1]، ولكنهما قالا بأن الستارة الخاصة بمنبر السعادة يشترط فى صنعها أن تكون بيضاء اللون.

وقد اتخذت عادة إرسال ستائر خضراء فيما بعد إلا أنه قد أرسلت ستائر فى ألوان أخرى حتى إنه قد أرسل فى سنة ١٢٩٧هـ من باب السعادة مع محمل الشام ستارة مطرزة مزينة فى غاية الجمال ذات حزام أحمر، وكان فوق الستارة التى أرسلت من باب السعادة قطعًا مزينة من الأطلس الأحمر كتب فوق كل قطعة اسمًا من أسماء النبى ﷺ واسم المرحوم السلطان عبد المجيد خان وإن كانت هذه الستارة أرسلت فى عهد عبد العزيز خان وأهديت؛ إلا أنها كانت قد صنعت فى عهد السلطان عبد المجيد المميز بالبر والخير، والآن ترسل ستائر غير ستارة قبر السعادة، إلى تابوت فاطمة ومحاريب القبلة الثلاثة وباب مئذنة جدار القبلة الرئيسى ومقام جبريل والألوان الخمسة.

(١) بما أن بحث تقسيم الكسوة قد ذكر بدقة مفصلاً فى صورة بيان جواز تقسيم الكسوة من (مرآة مكة المكرمة) نوصى الذين يريدون أن يقفوا على ذلك أن يطالعوا ذلك الكتاب.

وكلها فى شكل واحد عام، كما أن هذه الأقمشة يطلق عليها بين الأهالى ستارة تعلق فى أماكنها من أول رجب إلى نهايته ومن عشرين ذي القعدة إلى عشرين من محرم الحرام وفى غير هذه المواسم تحفظ فى دواليب حجرة السعادة.

وفى كل جهة من جهات الحجرة المعطرة ولاسيما على أبوابها وعلى المنبر المنير النبوى ستائر وتعليق هذه الستائر خاصة بالأيام التى ذكرت، وكل هذه الستائر من قماش أطلس أخضر وعليه خطوط جميلة وأزهار مرسومة.

أصول تعليق ستارة قبر السعادة وتجديدها

والقاعدة تغيير ستارة حجرة السعادة كل ثلاثين عامًا أو أربعين عاما وعندما يراد تعليق الستارة الجديدة يصعد فوق مربع قبر السعادة لامع الأنوار من السلم الملاصق لأعمدة الجدار الذى تحت الستارة القديمة والذى أقامه عمر بن عبد العزيز ويربطون حبال الستارة الجديدة بالحلقان الخاصة لتعليق الستائر ويحلون حبال الستارة القديمة ويعلقون الستارة الجديدة فى محلها الخاص وينزلون الستارة القديمة.

وعندما يراد إنزال الستارة القديمة يقف الشخص الذى صعد فوق الجدار ليربط حبال الستارة الجديدة على أرض الحجرة وينتظر بجانب الطرف الشامى من الشبكة السعيدة، فتؤخذ الستارة القديمة على الأرض من حيث يقف هذا الشخص رويدًا رويدًا.

ومن العادات القديمة المرعية أن يكون الشخص الذى يصعد فوق جدار مربع قبر السعادة الذى تحت الستارة القديمة وكذلك الشخص الذى يكلف بالصعود فوق الجدار الشريف لإنزال الستارة القديمة أن يكونا من أغوات حجرة السعادة المسنين والمعروفين بالصلاح، ولا يخرج هذان الشخصان من حجرة السعادة قبل أن يكنسا التراب المتراكم بين قبر السعادة والستارة القديمة منذ أعوام طويلة.

الجوهر الشريف ـ الجوهر الشريف يطلق على التراب الذى يخرج من كناسة ما بين قبر السعادة والستارة القديمة بين الأرض ولما كان هذا التراب قد جاور مربع

قبر السعادة ما يقرب من ثلاثين عاما أو أربعين عاما ومن هنا اكتسب التوقير والقداسة.

وكل من ينال شرف هذه الخدمة التى تدعو إلى الفخر من أغوات الحرم يشترون ثلاثة أو أربعة من العبيد ويحررونهم، وإن كان من يحرر أكثر من هؤلاء فالذين لا يستطيعون ذلك يذبحون ثلاثة أو أربعة قرابين ويتصدقون بلحمها.

تعريف حجرة السعادة بالإجمال ـ قد عرفت الحجرة المعطرة بالتفصيل فى الوجهة الخاصة بها. إلا أن هذا التفصيل لم يكن بشكل متسلسل بل كتب كل ما جاءت المناسبة، لذلك استصوبنا إضافة بند خاص بعنوان (تعريف حجرة السعادة مجملاً) متذكرين لزوم تعريف الحجرة المعطرة بحيث يفهمها كل فرد فهمًا جيدًا.

الحجرة المعطرة ـ هى دار أمنا السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ لما كان النبى ﷺ قد ارتحل فى داخل هذه الدار السعيدة عن الدنيا كان قد دفن فى المحل الذى فيه قبضت روحه الشريفة.

وأحاط عمر الفاروق هذه الدار حتى يحافظ على هيئتها الأصلية بجدار، ومد عمر بن عبد العزيز خارج جدار عمر بن الخطاب جدارًا آخر، ولكن حتى لا يكون على شكل الكعبة المعظمة ذات أربع زوايا دبب الجهة التى تقع ناحية الساحة الرملية لمسجد السعادة على شكل مثلث؛ وبنى فوق سقفه قبة غاية فى الصغر وأطلق على هذه القبة قبة الحجرة، قبة النور وعلى القبة الكبيرة التى فوق هذه القبة الخضراء والكسوة الشريفة التى ترسل من قبل الملوك إلى قبر السعادة تغرس فوق تلك القبة الصغيرة.

وقد مد فيما بعد حول حجرة السعادة قفص ويطلق على هذا القفص شبكة السعادة وفى داخل شبكة السعادة ستارة خضراء وفى خارجها ستائر ذات أهداب من خيوط ذهبية وفى غاية الجمال والزينة وتطلق عليها ستارة والستائر الخضراء تعلق من عند العقود التى تحمل القبة الخضراء.

وشبكة السعادة مصنوعة من حديد عادى ومدهون باللون الأخضر وتتكون من الشبكة ودار السيدة عائشة. التى هى مربع قبر السعادة أى ما بين الجدران

الأربعة يطلق عليه الحجرة المعطرة ولكنها فى الأصل داخل دار السيدة عائشة. ويقال للجهة القبلية من شبكة السعادة المواجهة الشريفة وعلى جهتها الغربية قدم السعادة وعلى جهتها الشرقية الروضة المطهرة على طرفها الشامى دار فاطمة السعيدة وقد نسجت فوق شبكة المواجهة بسلك أصفر شبكات صغيرة وكتبت فوق كل واحدة من هذه الشبكات عبارة لا إله إلا الله الملك الحق المبين، سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين.

وتطلق على الأبواب التى فى الجهة الشرقية من شبكة حجرة السعادة والغربية والشامية أبواب الحجرة ومفاتيحها من الفضة.

لا يستطيع أحد أن يدخل فى حجرة السعادة غير أغوات الحرم الشريف، إلا أن من يريدون أن يزوروا النبى ﷺ من داخل الشبكة يستطيعون أن يدخلوا مع الأغوات الذين يدخلون داخل الشبكة قبل عشرين دقيقة من صلاة المغرب لإيقاد القناديل.

ولا يستطيع أن يعرف ما بين الكسوة الشريفة والجدار الذى مده عمر بن عبد العزيز لا أغوات الحرم الشريف ولا أى شخص آخر، لأنه لا يوجد بين هذا الجدار والجدار الذى سبق تعريفه آنفا منفذ من باب أو نافذة غير تلك القبة الصغيرة التى سبق ذكرها، إلا أنه فتح ثقب صغير لتلك القبة فوق محاذاة قبر السعادة وحتى يمنع دخول الحمام أو الحيوانات الأخرى أو سقوطها قد سد بقفص منسوج بالسلك.

وبناء على بعض الروايات أن قبة النور داخل هذا الثقب؛ والغاية من فتح هذا الثقب ألا يترك حائل بين مرقد السعادة والسماء وحتى يؤمن هذا الأمر فتح منفذ آخر للقبة الخضراء فى محاذاة ذلك الثقب وعندما تكون الشمس المنيرة فى وسط النهار تدخل أشعتها إلى منفذ القبة الخضراء بين هذا المنفذ إلى منفذ قبة الحجرة ومن هنا ينشر الضوء فوق قبر السعادة وينير داخل مربع قبر السعادة، ولما كان المطر ينزل كان ولابد أن ينزل فوق قبر السعادة.

والفرجة التى بين شبكة السعادة وبيت فاطمة قد فرشت بالرخام والجهة العليا من هذه الفرجة حصرت لتعليق الأشياء التى يتبرك بها.

بين حجرة السعادة ودار السيدة فاطمة شبكة حديدية وفى هذه الشبكة باب صغير تدخل منه الشمعدانات التى اتخذ إدخالها إلى حجرة السعادة ليلاً عادة، وهى من الذهب.

لحجرة السعادة مائة قنديل ذات سلاسل ذهبية وفضية كما أن حول مرقد فاطمة أربعون قنديلاً ذات سلاسل ذهبية وفضية وهذه القناديل توقد كل ليلة؛ الكسوة التى فوق مرقد السيدة فاطمة هى كنفس الكسوة التى فى حجرة السعادة والأعلام التى ركزت على طرفى المزار الشريف قد زينت ورصعت بمجوهرات متنوعة، وهذه الأعلام قد أهديت من قبل والدة السلطان عبد العزيز ـ أسكنه الله فسيح جناته.

في تعريف صورة تخليق[1] حجرة السعادة.

ذهبت والدة هارون الرشيد من خلفاء بنى العباس السيدة خيزران إلى الحجاز سنة (١٧٠) هـ وذلك بنية أداء فريضة الحج وهى محرمة وعند عودتها مرت بالمدينة وتسمى مؤنسة حتى تشرف على ذلك العمل.

وكانت مؤنسة تلك قد وضعت نظامًا معينًا لتخليق قبر السعادة وأسطوانة التوبة، وعلامة مصلى النبى ﷺ بناء على التعليمات التى وجهت إليها.

وقال إبراهيم بن فضل من صلحاء العصر لمؤنسة (إنك أبدعت قاعدة لم تر من قبل، وهذا شيء لا احتمال لنا بقبوله!!!) وأراد بهذا أن يمنع استمرار هذا النظام، إلا أن المشار إليها قالت له: هذا العمل ليس من رأيى، مادامت والدة الخليفة ترغب فى ذلك فلابد من أن نستمر فى ذلك، وبهذه الإجابة ردت ما عارضه إبراهيم بن فضل ومع هذا فقد تركت هذه القاعدة بعد مرور بعض الوقت.

(١) تركيب رائحة طيبة من الزعفران والمسك وصندل يقال له خلوق واستعمال هذا التركيب يقال له تخليق.

فى بيان وتعريف قناديل الحجرة الشريفة.

لا يعرف مهدى القناديل الذهبية والفضية ووقت إهدائها وتعليقها لمسجد السعادة والحجرة المعطرة، وقال: ابن النجار بعد أن أجرى التدقيقات التامة وهو يبين ويعرف عدد تلك القناديل وأنواعها وأماكن تعليقها.

كان فى صدر الإسلام بين شبكة الحجرة المنيفة والجدار القبلى للمسجد الشريف[1] أكثر من أربعين قنديلا معلقا على سقف المسجد الشريف، وكان بعض هذه القناديل من الذهب والأخرى مصنوعة من الفضة وكان بعضها كبيراً وكان بعضها فى حجم صغير وكانت أهديت من قبل حكام الزمان والأصدقاء المخلصين. وكان أحد هذه القناديل مصنوعًا من البلور والآخر من الذهب كانا ثريتين فى غاية من الجمال وكان مرغوبًا فيهما لعدم وجود مثيل لهما فى ذلك العصر، وفيما بعد زادت رغبة أهل الإيمان فى إهداء القناديل إلى الحجرة المعطرة وزادت القناديل التى وردت حتى ضاقت الحجرة النبوية بها حتى لم يَبْقَ مكان فى داخلها لتعليق القناديل فيها.

وحينما رأى السادة وموظفو الحكومة أن الهدايا ترد واحدة تلو أخرى ولم يبق فى داخل حجرة السعادة مكان لتعليق القناديل، عندها أخذوا يخرجون القناديل القديمة فى قبة المسجد الشريف، والهدايا التى أرسلت فى خلال سنة (٨١٠) هـ زادت إلى حد أنه إذا سرقت إحداها فلا يعرف الشيء المسروق أى وصلت الهدايا المرسلة بحيث تزيد على العد والإحصاء، ومن هنا رأى المشار إليهم من أصحاب الرأى حفظ هذه القناديل فى داخل الصناديق المعدة لها حتى يحموها من سرقة عربان البادية الذين يردون فى مواسم الحج على أن يخرجوها فى الليالى المباركة

(١) وكان هذا المكان مواجهة السعادة، وهو المحل الذي يقف فيه زوار قبر السعادة.

لإيقادها مناوبة، ولكن حدث فى الوقت الذى قرر تنفيذ القرار السابق أن الشريف حسين بن عجلان الحسينى الذى عين لإمارة الحجاز من قبل ملك مصر الناصر فرج لبعض الأسباب عزل والى المدينة حجاز بن هبة الحجاز بن منصور الحسينى ونصب مكانه ثابت بن نصير المنصورى واليًا وعينه، إلا أن ثابت بن نصير مات قبل الوصول إلى المدينة، وعرف حجاز بن هبة الحجاز، أنه سيعين مكان ثابت بن نصير المتوفى شخص آخر بعزله، فأظهر عصيانه وضم إلى تبعيته بعض العربان الجهلة الحمقى وداس على شرف الإسلام ونهب منازل أعيان المدينة وسادتها بإغراء كلاب العربان ونباحهم.

واستولوا على القناديل الذهبية والفضية التى فى داخل مسجد السعادة والتى توضع بعد فى الصناديق المعدة لذلك وبهذه الطريقة أعلنوا عن عداوتهم وأظهروا شقاوتهم. هل أكتفى حجاز بن هبة بهذا القدر من الشقاوة واقتنع بها؟!! لا ـ وبعد هذه الوقاحة والسفالة أحضر سلمًا خاصًا لإنزال القناديل المعلقة وستارة مرقد السعادة الثمينة ولكنه لم يوفق فى ذلك وأخذ ستائر أبواب الحجرة المعطرة التى فى الخزانة النبوية وهرب من المدينة المنورة سنة (٨١١)هـ.

وإن كانت الحكومة المصرية استطاعت أن تقبض على السافل حجاز بن هبة بعد سنتين وقتلته إلا أن ذلك الخائن لم يكشف عن الأماكن التى دفن فيها الأشياء المنهوبة سواء أكان وقت عصيانه أو وقت استجوابه ومن هنا لم يخرج شىء منها إلى حيز الوجود.

والأشياء التى نهبها حجاز بن هبة الحجاز من مسجد السعادة صندوقان ذهبيان، خزانة صغيرة ذات درجين المملوءة بالذهب، وقناديل من الفضة تزن سبعة عشر قنطارا و٧٤٨٥ درهمًا.

وتراكمت كثير من الهدايا فى خزينة حجرة السعادة بعد هذه الواقعة الأليمة إلى سنة (٨٢٤) الهجرية فى ظرف ثلاث عشرة سنة إلا أن عزيز بن هبازع الذى كان واليا فى خلال تلك السنة استولى على هذه الهدايا قائلاً: «فلتبق هذه

الأشياء عندى على طريق الأمانة ولم يبق شيئًا سواء أكان فى الحجرة المقدسة أو الخزانة النبوية، وسيق عزيز بن هبازع تحت الحراسة إلى مصر بناء على إخبار بعض الذوات من السادات، وفى أثناء الاستجواب والتعذيب لم يؤخذ منه شيء. مع أنه قد ثبت بأدلة قاطعة أنه استولى على تلك الأشياء الثمينة وبناء على ذلك ظل مسجونا إلى أن توفى.

ومن سنة ٨٢٤ هـ إلى سنة ٨٦٠ هـ لم يمد أحد يد الإساءة والعدوان إلى ما أهدى إلى حجرة السعادة من قناديل ذهبية أو فضية، وفى خلال ٨٦٠ هـ مضى إلى المدينة المنورة شخصان بقصد زيارة المرقد الجليل وهما دبوس بن سعد الحسينى الطفيلى وبرغوث بن ثبير بن جريس الحسينى، إن هذين الخبيثين قد مدا نظرهما بالطمع إلى القناديل المعلقة فى حجرة السعادة، وفى الليلة السابعة والعشرين من ذى الحجة من سنة ٨٦٠ هـ دخلا فى الدار التى يطلق عليها «دار شباك»[١] وعرجا من هناك إلى جدار مسجد السعادة ودخلا من تحت الطنف داخل المسجد الشريف طمعًا فى سرقة قناديل قيمة وذلك بأخذ قنديل من بين كل قنديلين، وبما أن القناديل كانت كثيرة ومعلقة ملاصقة بعضها لبعض لم يحس أحد لمدة طويلة أن القناديل سرقت من مسجد السعادة وأخيرًا فهم الأمر وقبض على الرجلين وأخذ ما فى أيديهم من قناديل وقتلوهما جزاء وفاقا.

غريبة

عندما سرق برغوث المنحوس قناديل مسجد السعادة هرب إلى ينبع ولما عرف ذلك كتب إلى مديرية ينبع البحر وألقى القبض عليه وألقى فى السجن إن هذا الشخص أليف الشقاوة هرب من سجن ينبع البحر وعاد إلى المدينة وحرص على أن يختفى فى مكان خفى.

إلا أن محل اختفائه أبلغ إلى الحكومة فقبض عليه وأخذت القناديل التى تحت

(١) إن ساحة سبيل المدرسة الشرقية الملاصقة لباب الرحمة كانت فى ذلك الوقت مكان «دار شباك» وكان هذا المنزل فى اتصال سقف مسجد السعادة وكانت دارا غير مسكونة.

يده ثم أرسل إلى دار البوار، وعندما ألقى السارق المذكور إلى السجن فى المدينة المنورة لاستجوابه سأله أحد المسجونين يا برغوث! بينما نجوت هاربا من سجن ينبع البحر ما سبب مجيئك إلى المدينة؟

فأجابه قائلا فى الواقع هذا سؤال وجيه مع أننى حينما هربت من سجن ينبع البحر وأردت أن ألجأ إلى الجبال كلما اتجهت إلى جهة ما قوبلت بسد حديدى سديد أمامى، كأن هناك من يدفعنى ناحية المدينة المنورة ويشوقنى للذهاب إليها وكلما توجهت ناحية المدينة أحسست فى قلبى انشراحا عجيبا، إننى لم آت هنا طلبا للمدينة ولم أتوجه أبدا ناحية طريق المدينة وللأسف الشديد وجدت نفسى وأنا أجول هنا وهناك، فى داخل حصن المدينة فاضطررت لأن أختفى فى جهة ما وأنا نفسى متحير فى الموضوع. انتهى.

وقد رأى شمس الدين زين الذى أرسل إلى المدينة المنورة من مصر مسندا إليه مهمة إمارة البناء قبل الحريق الثانى أن القناديل الذهبية والفضية قد كثرت فى مسجد السعادة وأن اللصوص يسرقونها كلما وجدوا فرصة سانحة أن يرسل القناديل التى تفيض عن الحاجة إلى مصر القاهرة لتذاب هناك وتضرب سككا لإنفاقها فى تجديد وتعمير مبانى مسجد السعادة وعرض ذلك على السلطان قايتباى المصرى وأعلمه وقد حازت تلك الفكرة من القبول لدى الحكومة المصرية وكتبت إلى والى ولاية المدينة بعمل ما يقتضى إجراؤه ومنها جمع كل ما أهدى إلى حجرة السعادة من الأشياء الثمينة ما عدا الستائر المهداة من قبل الملوك العلية واللوحة المرصعة والمزينة بالجواهر المعلقة على جدار ضريح السعادة وإرسالها إلى خزانة مصر فى سنة (٨٨٤) هـ.

وأنفق ما ضرب من المسكوكات فى تعمير الأبنية السعيدة، إلا أنهم ـ فى رأى ـ خالفوا أحكام الشريعة الإسلامية الغراء لأن الإمام السبكى يقول فى كتابه «تنزيل السكينة على قناديل المدينة»: «يجوز إهداء القناديل القيمة إلى حجرة السعادة وتعليقها إلا أن استيلاء الحكومة عليها لصرف قيمتها إلى مسجد السعادة غير جائز».

يدعى بعض المؤرخين بناء على ما تلقوه من المنابع الموثوقة من الأدلة المروية أنه عندما أخرجت تلك القناديل من خزانة حجرة السعادة قد احتفظ أحد المشايخ من مشايخ الحرم النبوى المرعى الخاطر ببعض تلك المعاليق وأنفقها فى وجوه البر والخير. وبعد عهد شمس بن زمن اتخذ ملوك الزمان مرة عادة إهداء الهدايا إلى حجرة السعادة ومن هذا القبيل ما أرسله إلى المدينة المنورة ناصر بن محمد بن قلاوون المصرى فى زمن سلطنته قنديلا فى غاية الجمال فى الصنع وفى الزينة ليعلق فى وسط قبة حجرة السعادة.

وفعلا علق ذلك القنديل وفق رأى ذلك الملك وتصويبه فى قبة الحجرة المسعودة ثم علق فى مكان مقابل محراب النبى بناء على استئذان شيخ الحرم شاهين جمالى بعد فترة.

كان ذلك القنديل الذى لا مثيل له قد صنع من صلب مذهب مزينا فى غاية الزينة وكتب على أطرافه دائرا ما دار قد جاء بهذا القنديل محمد بن قلاوون وعلقه وكلما أوقد كان يصدر من صقل صنعه نور مشع كأنه مصباح مصنوع من الجوهر وكان يغشى داخل حرم السعادة بأمواج الأنوار.

وإن كانت القناديل التى قدمت بعد ناصر بن قلاوون لا يعرف من أهداها ولا تاريخ إهدائها إلا أنه فى عصر الإمام السمهودى كان فى الحجرة المعطرة ثلاثون قنديلا من ذهب والباقى من الفضة ويبلغ عدد القناديل الكلية إلى ثلاثمائة خمسة وسبعين قنديلا وكان ثقل القناديل الفضية ستة وأربعين ألفا وأربعمائة ألف درهم، وورد فوق هذا فى سنة (٨٦٧) هـ ذهبا فى ثقل (١١٥٥) درهم ذهبا فى ثقل (٨٨٥) درهم فضة، ومن سنة (٨٦٢) إلى سنة (٨٦٩) ذهب فى ثقل (٢٢٥) درهم وقناديل فضية فى ثقل (١٢٧٥) درهما كما ورد فى سنة ثمانمائة إحدى وثلاثين (٤٢) درهما ذهبا و(٩٥٠) درهما من الفضة وبعده بسنة (١١٥٥) درهما فضة وفى ثمانمائة ثلاثة وثمانين ورد (٢٠) درهما ذهبا و(١١١٣) درهما

من الفضة وفى سنة ثمانمائة أربع وثمانين أيضًا (٧٤٥) درهمًا من قنديل فضى وفى ظرف هذه المدة أرسلت (١٣٠٠٠) قطعة عملة ذهبية وظل مهدى هذه المبالغ مجهولا فى نظر التاريخ ويا للأسف!! أن أمير المدينة حسن بن الزبير بن المنصور قام فى سنة (٩٠١) هـ ضد شريف مكة محمد بن بركات وأعد بعض المجرمين المسلحين فى السادس من ربيع الأول من نفس السنة وفى وقت الظهر دخل الحرم الشريف وقد أعد أدوات الحفر مثل الفأس والمجرفة وكسر باب خزانة حجرة السعادة ونهب جميع تلك الأشياء الثمينة كما أخذ مبلغ (١٣٠٠٠) المحفوظ فى الخزانة لصرفه على لوازم مسجد السعادة وانسحب إلى قلعته التى تسمى حصن الأمير ومعه تلك الأموال وأحضر الصياغ من السوق وأذاب جميع القناديل المصنوعة من الذهب والفضة.

وأدخل حسن بن الزبير كثيرا من أراذل الناس فى الحرم الشريف لينهبوا الخزانة النبوية وحملهم ما اغتصبه من القناديل كما حمل حصانين وبغلا بما اغتصبه ولما كان قد بقى تسعة أجولة من الفضة جاء بالحمالين من السوق وحملهم بها، هذا ما يروون.

قد جمع بعد هذا الحادث الحزين كثيرا من الأشياء النفيسة تزيد على العد والإحصاء فى حجرة السعادة وقد ذهب أكثر هذه الأشياء فى فتنة (١٠٩٩) وذلك بسبب إساءة محافظ جدة فى ذلك الوقت محمد بك أبو الشوارب.

لأن الشريف أحمد بن زيد الذى نال منصب الإمارة الجليلة فى عصر السلطان أحمد خان الثانى ابن السلطان إبراهيم مرض فى سنة (١٠٩٩) هـ واستدعى أشراف مكة قبل وفاته ووصاهم بأن ينصبوا نائبا له باتفاقهم قبل أن يرد الأمر من السلطان بذلك وأن يبذلوا جهودهم لحفظ حوالى الحجاز وحراسته بهذه الطريقة، ونصب محافظ جدة أبو الشوارب نائبا قبل أن ترد الإرادة السنية من باب السعادة وذلك باتفاق الأشراف ووصية الشريف أحمد بن زيد.

وأخذ ـ ليس من الشريف الذى بعث الأهالى طلبا إلى باب السعادة يرشحونه

لمنصب الإمارة متحدثين عن صلاحيته واستحقاقه للإمارة وتنصيبه شريفا، بل من خصمه الذى يناصبه العداء وهو الشريف أحمد بن غالب كثيرا من الأموال وقدم بعض ما أخذه من النقود الذهبية لأعيان مصر راجيا منهم أن يعملوا على إرسال الأمر العالى بإمارة الحجاز باسم أحمد بن غالب، وحتى لا يطلع الأشراف على هذا الأمر وكيفية سير الأمور أبرز أمر سلطانى مزيف وهرب الشريف القائم مقام (النائب) إلى اليمن وهكذا قد حصل الشريف أحمد بن غالب على منصب الإمارة قبل أن يرد الأمر السلطانى بذلك وأخذ يمد يده إلى أموال الأهالى بحرص شديد وتكتم فاستولى على جميع أموال التجار من سكان مكة المكرمة المجاورين وقتل كثيرين منهم فأخافهم، أرسل رسله إلى المدينة المنورة واغتصب كثيرا من النقود والمجوهرات عن طريق القرض، ثم هرب إلى البلاد العثمانية حتى ينجو من سطوة السلطان القاهرة.

أخذ الشريف أحمد بن غالب فى هذه الواقعة واغتصب كل ما جمع فى الخزانة النبوية من أشياء غالية نفيسة والمعاليق كلها، إلا أنه لم يستطع أن يمد يده للوحة الكوكب الدرى التى كان قدمها السلطان أحمد خان الثالث ابن السلطان محمد خان الرابع بعد أن نظمها.

إن الجوهر الذى يلمع ليلا والذى يشتهر بالكوكب الدرى ظل ماكثا من سنين طويلة فى الناحية التى تواجه الوجه النبوى الكريم من جدار ضريح السعادة لامع الأنوار فجلبه السلطان المشار إليه إلى خزانته على وجه التبرك وأرسل مكانه لوحة ذات جوهر منير.

كان السلطان أحمد خان الثالث أضاف إلى اللوحة المرصعة قطعة كبيرة من الماس، وكانت هذه القطعة من الماس بشدة لمعانها تملأ الجدار بالنور والضياء ومن هنا أطلق عليها (شب چراغ) أى منير الليل وكانت قد اشتريت فى عصر والد السلطان محمد خان الثالث بخمسين ألف دينار خالص العيار وقد أهداها بعد أن وضعها فوق لوحة ذهبية وزين أطرافها (٢٢٧) قطعة ذى قيمة من قطع ما سبق

لتعليقها مكان الكوكب الدرى وهو يقول بدلا ما تكون زينة الدنيا الزائلة أى بدلا ما يصنع منها فصا لخاتم يلبسه على إصبع أخرى أن تكون زادًا للآخرة وذخيرة عافية وكان قد أرسلها مع حسن باشا الذى كلفه توصيل ميزاب الرحمة وأشياء أخرى لبيت الله.

وأكمل حسن باشا مهمته الخاصة بمكة المعظمة أوصل تلك اللوحة المرصعة نادرة المثال إلى دار الهجرة النبوية ووضعها على جدار المرقد النبوى ساطع الأنوار وقلع الجوهر والكوكب الدرى، الذى اكتسب قيمته بوجوده فى ذلك المحل ذو المكانة العالية واكتسب شرفًا بقطع النظر عن قيمته المادية التى لا تدانى اللوحة المشار إليها وحمله إلى باب السعادة وأتى به.

وقد نقل مؤرخو الإسلام كل واحد منهم طريقا خاصا به ولكن أصح الروايات فيما بينهم رواية مؤلف «نزهة الناظرين» إذ قال والكوكب الدرى، قطعة من الماس الفاخرة وأصغر قليلا من بيض الحمام، وتحتها قطعة من الماس الأخرى وإن هذه الأخرى أكبر من الجوهرة التى فوقها، ويقدرون قيمة الكبيرة منها بثمانين ألف قطعة ذهبية.

قال العلامة الشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى فى كتابه «كانوا وضعوا الكوكب الدرى مكان المسمار الفضى أى وضعوه فى محاذاة مواجهة السعادة، كان المسمار المذكور مزينا بالذهب وكان فوق رخام أحمر اللون وكان يقال لهذا الرخام الكوكب الدرى أيضا والمسافة بين هذا الرخام والمبدأ الغربى لحجرة السعادة خمسة أذرع وكل من يستقبل هذا الكوكب يكون قد اتجه نحو وجه السعادة والذين يريدون أن يعرضوا على النبى صلوات كباقات الورد ويريدون أن يقفوا فى هذا المكان عليهم أن يتخذوا الكوكب المذكور أمامهم، وما من مؤرخ أنكر أن هذا المكان يحاذى وجه السعادة إلا أن الشبكة التى مدت حول الحجرة الشريفة حالت دون رؤية ذلك المكان».

والآن إذا وقف أمام المصراع الأيمن لباب الشبكة الذى يسمى باب التوبة، نكون قد وجدنا فى مكان يحاذى وجه السعادة.

وكان السلطان مراد بن السلطان أحمد خان بعث مع السلحدار مصطفى باشا فى سنة ألف وأربعين لوحة مزينة، وبما أن هذه اللوحة كانت مزينة بجواهر متنوعة علقت تحت الكوكب الدرى أى على جدار ضريح السعادة، وفى سنة ١١٥٤ جاء إلى المدينة مشير جيش بلغراد على بن عبدى باشا وهو أمير حاج لمحمل الشام، وقدم المذكور عدة قطع جواهر مرصعة من جملة غنائم بلغراد إلى حجرة السعادة وعلقوا تلك الجواهر تحت اللوحة التى وردت فى تاريخ ١٠٤٠. وكان قد كتب على هذه اللوحة التى وضعت عليها تلك الجواهر أسماء النبى ﷺ وكريمته فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - وأسماء أصحابه الأربع المختارين الشريفة - رضى الله عنهم -.

وإنه مما لاشك فيه أن حجرة سيد الأنبياء - عليه ألمع التحايا - المعطرة من أسباب الاحتشامات الإضافية أى أن المرقد النبوى السعيد ذا نور باهر لا يحتاج إلى تزينه بالذهب والنقود إلا أن غرض المرحوم السلطان الذى اعتاد على الإخلاص أن يوقف إلى الحجرة المعطرة أثرًا يكفى ثمنه لتعمير وتجديد مبانى الحرمين الشريفين فلا أحوجنا الله لذلك. انتهى.

وعرض على حجرة السعادة بعد واقعة الشريف أحمد بن غالب من قبل الملوك العثمانيين أيضا هدايا كثيرة وقدمت حتى إن السلطان محمود خان الأول ابن السلطان مصطفى خان الثانى أهدى فى سنة ١١٦٢هـ مائدتين مزينتين بالذهب وعدد من الشمعدانات الذهبية وثريا ذكر شكلها وهيئتها فى الوجهة الحادية عشر والصورة الثالثة منها ثريا لا مثيل لها.

وقد قدم فيما بعد من قبل السلاطين الآخرين كثير من التحف النفيسة النادرة وكثير من ثريات مرصعة ذات سلاسل ذهبية وشمعدانات ذات جواهر وكثير من سلاسل مرصعة لتعليق الثريات فزينت سواء أكان ضريح السعادة أو خزانة حرم

الرسالة حتى صارت فى غاية الروعة وبهذا قد تراكمت فى الحجرة المنورة ذات الفيوضات الباهرة أشياء نفيسة وثمنية أكثر من العصور السابقة.

وكان فى خدمة الحجرة الطاهرة ضابط يسمى «مستلم» مكلف بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من النفائس التى سُرِقت من دار السكينة وقام ذلك الشخص بمهمته وأنقذ بعض ما يمكن إنقاذه، وبعث السلطان محمود رسولاً خاصًا لجلب ما أضير من قطعتين من الثريا المرصعتين بالزمرد والجوهر إلى إستانبول وبعد تعميرهما أعادهما إلى موقعهما المحترمين كما أرسل معهما ثلاث قطع من الثريا نفيسة من عنده دليلاً على مناقبه العالية.

وكانت إحدى الثريتين اللتين بعثهما السلطان محمود بعد صنعها مرصعة بماسة عريضة على مينا زرقاء وبنية ومزينة بالطغراء ذات سلسلة ذهبية وطرة على شكل بيض النعامة والأخرى قد رصعت من قطع الماس فوق الذهب وذات قطع ثلاث من الزمرد وذات طرة لؤلئى وسلسلة ذهبية.

ولها أرضية مصنوعة من قطعة واحدة من زمرد حتى يعلق عليها وأعلاها مرصع بالماس والياقوت على شكل غطاء علبة وذات تعليقه على شكل تاج، وكانت الثالثة على أرضية من مينا بنفسجي وعليها قطع مصنوعة من ماس «روزة» ذات سلسلة ذهبية وطرة لؤلؤية وعلى شكل بيض النعامة.

ولما كانت تلك الثريات غاية فى النفاسة والقيمة استقبلت فى حين وصولها إلى مدينة الرسول بتعظيم كامل وتفخيم وتبجيل وعلقت فى الأماكن المناسبة، كما أهدى فيما بعد السلطان عبد المجيد خان زوجا من شمعدان مرصعتين بالذهب وذات سمات ملكية تليق بالخليفة.

وهذه الأشياء سواء أكانت القناديل والثريات أو ما أرسل من طرف السلطان مراد الرابع والسلطان أحمد خان ـ عليهم الرحمة والغفران ـ من القناديل الذهبية والشمعدانات أو ما أرسله السلطان عبد المجيد خان والسلطان الحالى صاحب المفاخر من شمعدانات مرصعة من الذهب والفضة وأشياء أخرى ذات قيمة

موجودة كلها فى الخزانة النبوية، وتوقد بالمناوبة فى الحجرة المعطرة بصاحب الرسالة. وعلى كل حال فقد كتب عن مقدار هذه الأشياء وكميتها، وأنواعها وأجناسها فى صور الوجهة التاسعة كل واحد على حدة.

وإن كان مؤلف «نزهة الناظر» يذكر أن الكوكب الدرى الذى أخذ أهدى إلى شاه إيران وأرسله هذا بدوره بعد مدة إلى حجرة السعادة وفى زماننا تحت قباب مسجد السعادة ستمائة وعشرون قنديلاً غير قناديل الحجرة المعطرة، وسلاسل المعلقة منها فى الجهة القبلية من الجدار من فضة خالصة، وما علق منها فى الجهات الأخرى سلاسلها من النحاس الأصفر وبين أعمدة شبكة حجرة السعادة مائة قنديل وستة والقناديل التى فى مواجهة القبر عددها واحد وثلاثون ومرصعة وقد علقت بسلاسل بعضها ذهب خالص والبقية بسلاسل فضية.

وما علق على يمين ويسار السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ من قناديل ذات سلاسل فضية تدخل هذا الصف.

والشمعدانات الذهبية التى أهديت من قبل والد الخليفة كثير المحامد فى سنة (١٢٧٤) هـ تدخل كل ليلة قبل صلاة المغرب إلى حجرة السعادة وتوقد مناوبة من قبل شيخ الحرم ونائبه ومدير الخزانة، وينحصر إيقادها فى ليالى الجمع لقضاة المدينة، وتظل تلك الشمعدانات موقدة حتى الصباح فى الوجهة الشريفة وفى وقت السحر تخرج بواسطة الخدم وتوضع فى المخزن الذى يتصل بحجرة الأغوات وغير هذه القناديل كثير من الثريات وسواء أكانت هذه أو بعض القناديل المزينة معلقة فى حرم السعادة وبعضها محفوظة فى المخازن.

وتطلق على الثريات والقناديل المزينة المعلقة فى اصطلاح أهل المدينة (زينة الحرم)، ومن جملة ذلك ما علق فى وسط القباب التى من باب السلام إلى مواجهة السعادة من ثريات، يُوقد كل ليلة فى كل ثريا خمس شموع أو قنديل هذه قاعدة متبعة. وقد زين مسجد السعادة فى صورة كاملة وذلك بتعليق ثريا ذات أربعين شمعة فى قبة المحراب العثمانى وفى أسفل منها ثريا ذات ثلاثين

شمعة وفى محاذاة المواجهة الشريفة وفى جهة قدم السعادة ثريات متعددة من الفضة والفوانيس، وفى الساحة الخالية بين باب فاطمة وحجرة الأغوات وفى الروضة المطهرة ولاسيما جهة محراب النبى ومن باب السلام إلى باب الرحمة قد علقت كثير من الثريات البلورية والفوانيس، وكل هذه الثريات ذات شموع وإن كان بعضها أكبر من الأخرى إلا أن الثريا التى وضعت فى نقطة قريبة من قبر فاطمة ـ رضى الله عنها ـ لامع الأنوار أكبر الثريات جميعا لها أمكنة لوضع سبعين شمعة، وإن كان هناك شمعدانان من ثريا مذهبين إلا أن إيقادهما وتسريجهما كان يقتصر على ليالى المواسم والأعياد.

ومن باب السلام إلى المئذنة الرئيسية ومنها إلى مئذنتى المجيدية والعزيزية ومن هذه المآذن إلى القباب الموجودة إلى باب السلام قناديل معلقة بسلاسل فضية وتحت العقود التى تتصل دائرًا مادار بالساحة الرملية قناديل ذات سلاسل من النحاس الأصفر التى كانت قبل ذلك من الفضة ولكن بعضها سرقت من مؤخر حرم السعادة فنقلت البقية من السلاسل الفضية المعلقة إلى الخزانة النبوية وعلقت مكانها سلاسل من النحاس الأصفر.

ويبلغ عدد القناديل التى توقد سواء أكان فى الأماكن التى ذكرت أو فى داخل الأبواب وخارجها إلى ستمائة وأربعين قنديلا وتوقد فى ثلاثمائة منها الشموع وتسرج بقيتها بزيت زيتون، أما الفوانيس التى ركزت على السور الخشبى الذى بين حدود الحرم الشريف وشموع المحاريب الشريفة والشموع الخاصة بقراءة أجزاء القرآن فى الروضة المطهرة وقناديل الحجرة المعطرة والقناديل التى توقد فى ليالى رمضان والمواسم وفى الليالى التى تصل المحامل فيها إلى المدينة والقناديل التى توقد حتى الصباح فوق المآذن يصل عددها إلى ثمانمائة قنديل وهو خارج هذا الحساب.

في تعريف الشبكة الشريفة التي تحيط بالحجرة المعطرة ودار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ السعيدة.

تصور السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس المصرى الذى أدى فريضة الحج سنة ٦٦٧هـ أن يحيط الحجرة الشريفة بسور خشبى بشرط أن تؤدى الصلاة بداخله وعند عودته إلى مصر أمر بصنع ذلك السور الخشبى وفق رأيه وبعثه إلى المدينةالمنورة فى سنة ٦٦٨هـ فأحاط حجرة السعادة دائرا ما دار بشبكة خشبية فى ارتفاع قامة رجل وأطلقوا لهذه الشبكة المقصورة ولما استحال أداء صلاة حيث تم الشبكة أراد العلماء أن يصرف النظر عن وضع هذه الشبكة وبلغوا بعد ذلك مُعَرِّضين بهذا العمل محاولين أن يثيروا الأهالى إلا أن أحدًا لم يعر أذنا صاغية لتلك التبليغات والتعريضات.

وكانت للشبكة التى تطلق عليها المقصورة ثلاثة أبواب يفتح أحدها إلى الجهة الشرقية والآخر إلى الجهة الغربية والثالث إلى الجهة القبلية، وبعد ست وعشرين سنة رفع زين الدين كتبغا العادل الشبكة التى أرسلها الظاهر ركن الدين إلى سقف المسجد وفى سنة (٧٢٩) هـ فتح باب آخر إلى الجهة الشامية، وفى سنة ٨٥٣ هـ يعنى فى عهد الظاهر حسن المصرى صنع سقف لطيف أمام الباب الذى فتح مجددا عرضه ستة أذرع وفرش ساحته الأرضية برخام مجلى، واحترقت كل هذه الأشياء فى حريق ٨٨٦ هـ ومن هنا صنعت شبكة جهتها القبلية مصنوعة من النحاس وجهاتها الأخرى الثلاث من الحديد شبكة ملاصقة لسقف المسجد الشريف وغطى أعلاها بقفص مصنوع من أسلاك نحاسية.

والشبكة التى صنعت وفق التعريف المشروح كان بابها فى الجهة القبلية من خشب الساج وأبوابها الأخرى مصنوعة من ألواح حديدية، وقد بدلت مصاريع

الشبكة الشريفة مؤخرا بأقفاص مصنوعة من النحاس وصنعت شبكة أخرى للجهة الشامية من المقصورة وكان ما بين الشبكة الجديدة وحجرة السعادة منفصلا، وكان لهذه الشبكة بابان أحدهما على يمين مثلث الحجرة الشريفة والآخر على اليسار، ولأن جزءًا من حجرة السعادة ظل فى داخل الشبكة التى صنعت مؤخرا كان الدخول إلى شبكة الحجرة الشريفة من شبكة ذلك المثلث وتحفظ دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ السعيدة بهذه الصورة.

وقد سرد بعض المؤرخين بعض الأدلة والبراهين حتى لا يحملوا الظاهر ركن الدين جريرة استحالة الصلاة فى بعض أماكن الروضة المطهرة بسبب هذه الشبكة وقالوا إن الظاهر ركن الدين قد أمر بصنع تلك الشبكة تغطيا للحجرة الشريفة ومقتديا فى ذلك بعمر بن عبد العزيز وذكروا أن هذه الأدلة غير قابلة للاعتراض عليها إلا أن خطأ هؤلاء الذين يرون هذا الرأى واضح، لأن عمر بن عبد العزيز أحاط مدفن السعادة بجدار حتى لا يشبه البيت الحرام وترك أبواب هذا الجدار مفتوحة ليكون لأداء الناس الصلاة فى داخله فى غير مواسم الحج وهذا لا ينكره أحد.

وكانت أبواب الشبكة التى أرسلت من قبل الظاهر ركن الدين مغلقة فى عهد برسباى لغير أرباب اليسار والثروة.

وبناء على ذلك فالذين يدخلون فى الحجرة المعطرة معدودون ويزورونها خفية ليلا، وإن أرسل كثير من الطلبات لرفع مثل هذه البدعة إلا أن جميع هذه الطلبات قوبلت بالصمت والسكوت ولم يستجب إلى ماطلبه الراجون وكان الفساد هو السبب فى ظهور هذه البدعة السيئة فى ذلك العصر لأن كل امرأة كانت يرخص لها فى جميع الأوقات بالدخول فى داخل المقصورة وكان ذلك قاعدة ذلك العصر كُنَّ يصحبن معهن أولادهن وكان الأولاد بحكم طفولتهم يلعبون فى داخل المقصورة ويحطمون ما بأيديهم فيملئون الحجرة المعطرة بالكناسة، وبناء على ذلك اتخذت بدعة عدم إدخال الزوار فى داخل الحجرة المعطرة حتى تحفظ داخل المقصورة الشريفة نظيفة وكم كتبوا من طلبات راجين

رفع السور إلا أنهم فهموا استحالة ذلك وتمنوا على الأقل أن تظل أبواب السور مفتوحة، وفى الواقع أن إنشاء هذه المقصورة منع كثيرا من الشرور.

وقال المؤرخ ابن فرحون وهو يعرف الشرور التى حدثت بعد صنع شبكة المقصورة «ووقت فتح الأبواب كان شر المقصورة التى أحدثت فى الطرف الغربى من حجرة السعادة شرا عامًّا، ولما كانت طائفة الإمامية قد اعتادت أن تجتمع داخل هذه المقصورة لأداء الصلاة وكانوا يظنون أن المقصورة مكان صنع من أجلهم وخاص بهم، من هنا كانوا يشقون صفوف المصلين ويمرون من أمامهم ولا يراعون الأصول.

وفى الواقع قد ندم صانع المقصورة وقد رأى هذه الحالات إلا أن الأمر كان قد حدث ومن هنا لم يملك غير السكوت».

والطائفة الرذيلة التى حصرت داخل المقصورة لجماعتها كان أفرادها يؤذنون بصوت عال ويقولون بدلا من «حى على الصلاة»، «حى على خير العمل» وكان مدرسوهم يعقدون الحلقات ويعظون ويبذلون جهدهم لنشر مذهب الرفض والإباحة وتعميمه، وفى الحقيقة قد انكسر نفوذ الطائفة المذكورة ولم تبق لهم أى قيمة، إذ فتحت أبواب المقصورة وضم بعض أماكنها إلى حجرة السعادة.

وكان ركن الدين بيبرس قد بنى هذه المقصورة بنية عرض تعظيمه وتوقيره لحجرة السعادة، ولكن القضية قد انعكست لأن طائفة الإمامية اتخذت شبكة المقصورة نقطة اجتماع لها.

وبعد أحداث شبكة المقصورة بأربعة وستين سنة يعنى فى سنة ٧٣٢ هـ الهجرية ذهب الملك الناصر إلى الحج أيضا ومر بالمدينة المنورة حين العودة وأمر بغلق أبواب الحجرة المعطرة متبعًا آثار أسلافه فظهرت فى عهده بدعة منع الدخول فى حجرة السعادة فى غير أوقات تعمير القناديل.

ولما ظلت دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ومقام جبريل داخل شبكة حجرة السعادة حرم الناس من زيارتها، وكان سبب حرمان الناس من زيارة دار فاطمة

ـ رضى الله عنها ـ ومقام جبريل قاضى الشام نجم الدين أفندى، إذ جاء نجم الدين أفندى لأداء الحج مع قافلة الشام ورأى اقتحام الناس حجرة السعادة مزدحمين فأفتى بغلق الأبواب، وإن كان ولى الدين العراقى أفتى بعد فترة بفتح الأبواب ففتحت أبواب الحجرة الشريفة إلا أن نجم الدين أفندى أفتى فتوى جديدة فى سنة ٨٢٨ هـ وأغلق أبواب حجرة السعادة.

واستصوب فى تلك الفترة الإمام السمهودى أن تظل أبواب الحجرة الشريفة مفتوحة لزيارة الناس، ووقف كثير من علماء المدينة الميمونة ضد الفتوى الصادرة من قاضى الشام نجم الدين أفندى وأيدوا الفتوى التى أصدرها ولى الدين أفندى العراقى وصدقوا الإمام السمهودى إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا موظفى الحكومة فظلت أبواب الحجرة المعطرة مغلقة.

قال الإمام السمهودى لأحد أحبابه وهو يبين وجهة نظره فى فتح أبواب الحجرة المعطرة «يا أخى، إن إغلاق أبواب حجرة السعادة يؤدى إلى تعطيل ذلك المكان والناس يمسون هذا المكان أو ذاك بنية الاستعارة ويعطون ظهورهم لشبكة السعادة وهذا غير لائق، ورأيى أن تفتح أبواب حجرة السعادة حتى يحال بين الناس وبين ارتكاب الحرام، وهذا موافق لحكم الشرع وبهذا ندفع المكروه، وكنت أبحث عن طريقة للحصول على إرادة سنية من الملك الأشرف قايتباى الذى أتى إلى المدينة سنة ٨٨٠ هـ للزيارة لفتح أبواب حجرة السعادة وقد قام بأداء مراسم الزيارة من مكان قريب من باب السلام ناهيك عن دخول الحجرة المعطرة، وفى النهاية تقربت منه وقلت له بعد أن مهدت بمقدمة مناسبة لو كنت دخلت فى الحجرة المعطرة لنلت من الفوائد الدينية والدنيوية وأردت بهذا النهج الإشارة إلى لزوم دخوله إلى الحجرة المعطرة.

فقال لى «إذا أمكن زيارة صاحب الرسالة ـ عليه السلام ـ من مكان أبعد لما تجرأت أن أقترب منه بهذا القرار» ولما سمعت رد قايتباى المصرى هذا اضطررت للسكوت وإذا كنت قلت له لو أمرت برفع بدعة إغلاق الأبواب كان من البديهى أن إجابته بجواب الرفض وهذا لا يحتاج إلى تفكير عميق. انتهى.

إن فكرة الإمام السمهودى هذه صحيحة جدا ومخلصة، إلا أن ذاته الفاضلة لو أدرك العصور التى ظلت أبواب حجرة السعادة مغلقة ولم يعن فيها تطهير حرم السعادة وتنظيفه مع وجود كثيرين من الخدم لمسجد السعادة والأوقات التى تعقد فيها حلقات الاجتماعات حيث يجلس فيها كما يجلس فى الأسواق وحيث ينم فيها هذا أو ذاك العصر الذى يسكت فيه عن هذه البدعة الموظفون الشرعيون والسياسيون لو أدرك تلك العصور لاشك فى أنه كان سيحكم بإصابة القاضى نجم الدين فى فتواه.

وقد أطلق على الشبكة التى أمر بصنعها الظاهر ركن الدين المقصورة فى ذلك الوقت ولكن فيما بعد ترك اسم المقصورة وأطلق عليها الشبكة ولداخلها الحجرة المعطرة ولأبواب المقصورة أبواب الحجرة وللقناديل المعلقة داخل هذه الشبكة قناديل الحجرة المعطرة(١).

تعريف شكل شبكة السعادة وما عليها من خطوط: إن الشبكة التى تحيط بالحجرة المعطرة دائرًا مادار ذات أربعة زوايا وقد صنعت فى غاية الإتقان فى الصنع وفى هيئة مكلفة ودقيقة.

وتتكون جهاتها الشرقية والغربية كل واحدة منها من ست قطع وجهاتها الجنوبية والشمالية كل واحدة منها من ثلاث قطع أى أنها كلها تتكون من ثمانى عشرة قطعة شبكة وفى كل زاوية من زواياها باب ذو فيوضات وكان يطلق على الباب الذى ينظر جهة الشرق أى الباب الذى يوجد فى الجهة الشرقية من الشبكة باب فاطمة من الأبواب الثلاثة التى فتحت للمقصورة فى عهد الظاهر ركن الدين وباب المعلا هذا يفتح ناحية البقيع ويروى أنه قبر السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ يوجد فى داخل هذا الباب ويطلق على الباب الذى فى الجهة الغربية من الحجرة المعطرة باب الوفود وباب التوبة، والباب الذى بباب الوفود ينظر داخل الروضة المطهرة ووجه تسميته بهذا الاسم استقبال وفود العرب ومساكن القبائل فى هذا المكان فى عصر النبى ﷺ وإكرامهم وإطعامهم فيه، والباب اللطيف

(١) مازالت إلى الآن معروفة بهذا الاسم.

الذى يقع فى الجهة الجنوبية للحجرة الشريفة يطلق عليه باب المواجهة والباب الذى يقع فى الطرف الشمالى يعرف بباب التوسل[1].

وينظر باب المواجهة نحو جدار القبلة وباب التوسل الذى فتح فى سنة (٢٩) هـ ناحية محراب التهجد ينظر ناحية الشام أى إلى مؤخرة حرم السعادة وتوجد فى يمين باب التوسل ويساره لوحة علقت فى عهد السلطان قايتباى وقد حُكت عليها بالذهب العبارة المباركة «لا إله إلا الله الملك الحق المبين، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين». الشبكة ذات الثمانى عشرة قطعة التى شرحت وفصلت جهاتها قد كتب بخط قديم جلي فوق جهاتها العليا دائرا ما دار القصيدة البليغة الآتية وإن هذه القصيدة للثناء من الآثار الجليلة التى وفق فى تسطيرها السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان سنة (١١٩١) هـ وقد حررت بدءًا من الجهة الخارجية لشبكة حجرة السعادة ومن الناحية التى تنظر إلى الجدار القبلى.

القصيدة

يـا سيدى يـا رسـول الله خـذ بيـدى	مـالى سواك ولا الـورى إلـى أحـد
فـأنت نـور الهـدى فـى كـل كائنـة	وأنت سـر النـدى يا خـير معتمـد
وأنت حقـا غيـاث الخـلق أجمعهم	وأنت هـادى الورى لله ذى السـؤدد
يـا من يقـوم مقـام الحمـد منفـردًا	للواحـد الفرد لـم يولـد ولـم يـلد
يـا مـن تفجـرت الأنهـار نابـعة	من أصبعـه فـأروى الجيـش بالمـدد
إنـى إذا مسـنى مـا يـرو عـنى	أقول يـا سـيد السـادات يا سندى
كـن لى شـفيعا إلى الرحمن من زلل	يوافين على بمـا لا كـان فى خلـدى
وانظر بعـين الرضى لـى دائمـا أبـدا	واستر بفضـلك تقصيرى مدى الأمد

(١) يقال لهذا الباب: الباب الشامى أيضا.

واعطف علـى بعفـو منك يشملنى فـإننى عنـك يا مـولاى لـم أحـد
إني توسـلت بـالمختـار أشـرف مـن رقى السمـوات سر الواحـد الأحـد
رب الجمـال تعـالـى الله خالقـه فمـثله فـى جميـع الخلق لـم أجـد
خير الخـلائق أعـلا المرسـلين ذرى ذخر الأنـام وهـاديهـم إلـى الرشـد
بـه التجـأت لَعَلَّ الله يغفـر لـى هـذا الـذى هـو فى ظنى ومعتقدى
فمدحـه لم يـزل لأبى مـدى عمـرى وحبُّـه عـند رب العـرش مستنـدى
علـيه أزكى صـلاة لـم تـزل أبـدًا مـع السـلام بـلا حصـر ولا عـدد
والآل والصحـب أهـل المجـد قاطبـةً بحر السـماح وأهـل الجـود والكـرم

هناك فى الجهة القبلية من حجرة السعادة أى فى الجهة التى يطلق عليها «مواجهة السعادة»، ثلاث شبكات نورية كل واحدة من هذه الشبكات ذات مصراعين وعلى طرز أقفاص أربعة صفوف وهى محفورة وفوق الحفر (أويمة) قد حفرت العبارة المنجية (لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) وكذلك قد سطرت العبارة سالفة الذكر فى سطرين على باب مواجهة السعادة الذى يطلق عليه باب المواجهة الصغير والذى يوجد فى وسط الشبكة الثانية.

محراب التهجد: يقع محراب التهجد فى وسط ثلاث قطع من التى تقع من الجهة الشمالية من حجرة السعادة وكتب فى نطاق مقعر المحراب الشريف المذكور وطاقه الذهبى بخط جلى الآية الكريمة ﴿ **فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء: ٨٠] وعلى جهته اليمنى كتب بخط كوفى ﴿ **نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الصف: ١٣) يا محمد.

على جهته اليسرى كتب أيضا بخط كوفى الآية الكريمة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وكلها منقوشة بذهب خالص العيار كما كتبت الآية الكريمة بخط كوفى على يمين الباب الذى يسمى باب التوسل أو الباب الشامى وهو فى الشبكة الأولى من الشبكات الثلاث.

﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف : ١٣)

كما كتبت فوق الجدار المتصل بالشبكة الثالثة بخط كوفى الآية الكريمة المنيفة ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ وكتب فوق الجدار المتصل بالشبكة الأولى التى تقع فى الطرف الغربى من حجرة السعادة ﴿ **اللهم صل على سيدنا محمد الذى أخبر فى صحيح الخبر أن حول العرش ستين ألف عالم يستغفرون لمحب أبى بكر وعمر ويلعنون مبغض أبى بكر وعمر** ﴾ كما كتب فى الذيل هذا الحديث قال النبى عليه الصلاة والسلام: «ما بين بيتى ومنبرى، روضة من رياض الجنة، ومنبرى على ترعة من ترع الجنة»[1] الخبر الصحيح اللطيف، وعلقت لوحة مذهبة مزينة تحتوى على القطعة الآتية البديعة، على الأسطوانة التى بين الحجرة المقدسة ومحراب النبى.

القطعة

هذا الرسول المجتبى الذى هو أيضا رحمة للعالمين.

قال جبريل الأمين إذ زار روضته:

لتفخر الأرض على الأفلاك قائلة..

فىَّ دفن الرسول هذه هى جنات عدن.. فادخلوها خالدين.

---

(١) سبق تخريجه.

فى ذكر قبة حجرة السعادة

قبل أن يحترق مسجد مدينة دار السكينة لم تكن فوق الحجرة المعطرة قبة منفصلة فبنى فوق سقف مسجد السعادة جدار من اللبن ارتفاع ذراع ونصف ذراع ليكون علامة على الحجرة المنيفة وموقع مدفن السعادة.

بنى السلطان الصالح قلاوون المصرى فى سنة (٦٧٨) هـ قبة جميلة قاعدتها مربعة وسطحها مثمن وغطى فوقها بالرصاص.

وصنع حول القبة المذكورة سورًا خشبيا حتى يرى مكان الجدار سالف الذكر علامة الحجرة المنيفة، كما أحاط ما بين سقف المسجد والقبة الجديدة بشبكة خشبية وكانت عقود القبة المذكورة فوق أعمدة الحجرة المعطرة التى تحاذى أسطوانة الصندوق، ووقعت منافرة أدت إلى القيل والقال بين أحمد كمال ابن هارون عبد القوى الربعي الذى أشرف على بناء هذه القبة وبين ولاة المدينة، وصادر والى المدينة علم الدين الشجاعى أموال أحمد كمال كلها وهدم بيته وخربه وبين أن من لا ينفذ أمر ولاة المدينة يتعرضون للعقاب وهذه هى عادة مرعية بين ولاة المدينة ثم اقتلع أحجار البيت الذى هدمه وبنى بها مدرسة المنصورية.

وكان غرض أحمد كمال بن هارون من هذه الخدمة أداء عمل خالص لصاحب الرسالة بناء على الأمر الذى تلقاه من الحكومة المصرية، ولا شبهة فى ذلك، ولكنه إذ سمح لبعض النجارين القيام بحركات غير لائقة فوق مرقد السعادة من هنا يقتضى أن يقع تحت براثن العقوبة.

وظلت قبة الحجرة المعطرة التى بناها السلطان الصالح قلاوون إلى عصر الملك

الناصر حسن بن محمد قلاوون على هيئتها الأصلية وفى هذه الفترة لم تمد إليها يد الإصلاح والتعمير.

حتى إن غطاءها الرصاص قد فسد وخرب وأخذت مياه الأمطار تنفذ من خلاله ومن هنا جدده الملك الناصر أول مرة فى خلال سنة (٧٥٥) هـ كما جددها شعبان حسين بن محمد فى خلال سنة (٧٦٥) هـ مرة ثانية وفى آخر الأمر جددها الملك الظاهر جقمق المصرى تحت إشراف أمير برديك فى غاية المتانة وأصلحها وعمرها، ولما احترقت فى الحريق الثانى جددها السلطان قايتباى بانيا جدرانها من حجارة سوداء وأعمدتها من حجارة بيضاء منحوتة جددها فى غاية المتانة وفوق المطلوب وذلك فى سنة (٨٨٧) هـ.

وبناء على هذا التقدير فإن قبة الحجرة المعطرة كانت من الخشب فى الصدر الأول ثم حولت إلى البناء الحجرى فى عهد قايتباى المصرى.

وروى الإمام السمهودى أن القبة التى تحولت إلى البناء الحجرى كان ارتفاعها من أعلى قمتها ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع وبناء على هذا حالت دون رؤية كسوة مرقد السعادة.

الوجهة التاسعة

وتحتوى على ثمانى صور

تذكر وتفصل ما علق فى داخل الحجرة المصطفوية اللطيفة

وبعض أوصاف وتعريفات الأشياء المباركة النفيسة والمتنوعة

التى حفظت فى أماكن مخصوصة والتى تستخدم وقت الاقتضاء

وأسماء واقفيها المعروفين وشهرتهم

في تعريف المصاحف الشريفة والأجزاء القرآنية اللطيفة وكتب الأدعية الموجودة في الخزينة النبوية.

١- مصحف شريف بالخط الكوفى قطعه كبير، فى حالة كاملة جيدة ومحفوظ داخل ستارة مذهبة من القماش وهو علامة لأثر قلم جامع القرآن حضرة عثمان بن عفان.

٢- مصحف شريف فى شكل مجلة أى فى هيئة طويلة ومحفوظ داخل كيس مصنوع من المخمل ذو لون قرمزى داكن قد كتبت سورة الفاتحة وسورة البقرة فى الصفحة الأولى منها بالخط الكوفى الجلى وغاية فى الزينة ومذهب فى حجم يميل إلى الكبر ولا يعرف كاتبه ولا واقفه.

٣- مصحف شريف فى حجم يميل إلى الكبر صورة تذهيبه تجذب الأنظار لجمال زينتها وصغرها، لم يكتب أسماء كاتبيه ولكن بناء على شهادة السادة أنيس المولوى ونورى قرر بخط الشيخ حمد الله الذى عرف، بابن الشيخ.

٤- مصحف شريف قطعه كبير ووقف الشيخ أحمد بن عبد الله بن على بن عثمان، وبخط ميرزا أحمد التبريزى، قد أهدى وعرض من قبل شخص غير معروف الاسم فى سنة ١١٢١ هـ قد بذل أقصى الجهد فى تجليده وتذهيبه، وطرز خطه إيرانى ووقف الحاج محمد رضا وكاتبه مجهول وذات قطعة كبيرة جداً ومقبولة للطبع.

٥- مصحف شريف قطعه كبير وطرز خطه لاهورى صورة تذهيبه وتزيينه فى غاية الجمال واسم كاتبه وشهرته مجهول وقف محمد ارونك من ملوك الهند.

٦- مصحف شريف حجمه كبير خطه لاهورى تذهيبه وتزيينه فى غاية الروعة واقفه وكاتبه مجهولان.

٧- مصحف شريف قطعه كبير وعنوانه مذهب أبيض وفى غاية الزينة والتكلفة قد كتبت فاتحته الشريفة في الصفحة الأولى والثانية بخط ثلث ومذهب أبيض. والصفحات الأخرى منه إما سطراه كتبا بحبر بنفسجي وسطره ذهب وإما سطراه كتبا بذهب وسطره بحبر أحمر وبخط ثلث كذلك وسطوره الأخرى كتبت بحبر عادى وبخط إيرانى قديم وبدون أسماء كُتّابه فكاتبه مجهول، وقد وقف لروضة يحيى ـ على نبينا وعليه السلام ـ فى الجامع الأموى الشريف لتلاوته هناك وفى سنة ١٢١٥هـ أخذ من أحمد بن محمد بن زرون وقدم إلى الحجرة المعطرة من قبل الحاج مصطفى أغا.

٨- مصحف شريف كبير الحجم ولاهورى الخط وقد كتب بين سطوره بالحبر الأحمر والأسود بخط جلى وكل صفحاته ذات ستة أسطر وكل جهاته مذهبة فى صورة جميلة وواقفه من نواب الهند زواق خان ابن شيرخان إلا أن كاتبه مجهول.

٩- مصحف شريف كتب أحد أسطره بالذهب والآخر بحبر بنفسجى وحيثما ذهب رسم وزين فى روعة من الصنعة.

١٠- مصحف شريف لا يعرف كاتبه ولا واقفه ذات قطع كبيرة وصفحاته حمراء.

١١- مصحف شريف قطعه كبير، وكتابة صفحاته حمراء اللون واقفه مجهول بعض أماكنه من الأول والآخر ناقص غير تام.

١٢- مصحف شريف نفيس الخط وزينته الذهبية صنعت فى مهارة لا توصف وحجم قطعه كبير ولطيف وقف المرحوم بشير أغا من أغوات باب السعادة وأثر قلم ابن خواجة محمد أفندى.

١٣- مصحف شريف قد فسر آيات بين سطوره باللغة الفارسية عذب البيان وحجم قطعه كبير.

١٤- مصحف شريف كبير القطع وبعض سطوره جلية وذات جاذبية واقفه معلوم وصفحاته غير مذهبة وهو أثر لطيف وقد كتبه الشيخ محمد سزيدى.

١٥- مصحف شريف وقف محمد على خان خطه جلى واضح وكبير القطع ومجهول الكاتب.

١٦- مصحف شريف خط ابن الحلاق حاجى إبراهيم بن محمد وكل ثلاثة أسطر من صفحاته كتبت بحبر أسود وبنفسجى وأحمر وبخط الثلث والسطور الأخرى التى كتبت على ورق نصفه ذى لون سكرى والنصف الآخر على ورق ذى لون وردى قد خط بالنسخ.

قد ذُهِبَ وزين بطريقة جميلة وهو كبير الحجم مستحسن واقفه رئيسة نساء السلطان عبد الحميد خان الأول (روحشاه قادين).

١٧- مصحف شريف قد كتب بخط نسخ عريض قليلا ومذهب وحجم قطعه يميل إلى الكبر ولم يكتب اسم كاتبه ووافقه المرحوم عباس أغا من أغوات باب السعادة.

١٨- مصحف شريف قد كتب بخط نسخ عريض منظم ومذهب بصورة جميلة ومزين حجم قطعه كبير وكاتبه مصطفى بن مجدى بن الحاج يوسف أفندى.

١٩- مصحف شريف خطه لاهورى وصورة زينته وتجميله ذات صنعة متقنة وكتب على نوع من الورق يشبه الحرير ووقف وأهدى من قبل شخص يسمى محمد نظم الدولة وهو نسخة لطيفة ذات حجم كبير، وبما أن اسم كاتبه لم يذكر فهو مجهول الكاتب.

٢٠- مصحف شريف طرز خطه جلي ونفيس رسومه وتزيينه وتذهيبه تجذب الأشواق وقدم من طرف ابن الصدر الأعظم محمد باشا سليم أغا من رؤساء الحجاب في الباب العالي، وإن كان قطعه كبير إلا أن كاتبه مجهول.

٢١- مصحف شريف خطوطه جلية وأماكن وقفه مذهبة وكتابته حمراء وخاتمته طالبة من اسم كاتبه وحجمه كبير واقفه الملك قايتباى من ملوك مصر.

٢٢- مصحف شريف حجم قطعه كبير وأماكن وقوفه مع أطر زوايا صفحاته مذهبة وكتب على صفحات الورق سكرى اللون وقف تابع أمير اللواء مرجان أغا.

٢٣- مصحف شريف قطعه مائل إلى الكبر وكتب على ورق آبادى وخال عن الزينة العارضة جميل فى بساطة وقف الشيخ شاكر السمرقندى.

٢٤- مصحف شريف له تفسير بالفارسية بين سطوره بسيط وجميل وحجم قطعه كبير وجميل ووقف الشيخ كول محمد أفندى.

٢٥- مصحف شريف قد أهدى فى سنة ١٢٩٢هـ من طرف بيفم القدس قطعه مائل إلى الكبر وهو نسخة مباركة قد طلى عنوانه بلون بنفسجي وجهاته المذهبة فى غاية الزينة والجمال صفحات الاثنين منها بنفسجى الثالث أحمر اللون.

٢٦- مصحف شريف كتابة صفحاته اثنتان منها ذات إكليل وإحداها بنفسجية مزينة بثلاثة خطوط وديباجته ذات تكلفة ومذهبة وحجم قطعه كبير وحسن وطرز الخط فارسي، وأعلى الصفحات وأطرافها ذات حاشية فى أصول القراءة والتعريف به وليس عليه اسم كاتبه أو إشارة أخرى مجهول الواقف والكاتب.

٢٧- مصحف شريف قد كتب بخط نسخ نفيس بطرز جميل وقد سطر اثنان من سطوره بحبر بنفسجي والاثنان الآخران بحبر أحمر قان وقد زين ما بين كل

سطرين بلون بنفسجي ونقشه وواقفه جلاء بن عودلة المغربي وذات حجم كبير.

٢٨- مصحف شريف قد أهدى من قبل الحاج صالح[١] ابن إبراهيم رئيس مهندسى أبنية السعادة فى سنة ١٢٧٩هـ وهو أثر قيم من قطع كبير وطرز خطه عربى وأطراف صفحاته حمراء اللون.

٢٩- مصحف شريف وقف محمد سعيد أغا من غلمان المتصرف الأسبق لأورفة شلبي باشا وبخط ملا محمد البغدادي وقطعه كبير وديباجته مذهبة وثلاثة أسطر من صفحاته مكتوب بخط الثلث والباقى بالنسخ والخط الثلث كتب بالذهب.

٣٠- مصحف شريف واقفه وكاتبه مجهولان وحجم قطعه كبير وطبيعي وديباجته مذهبة، وصفحاته ذات عشرة أسطر وما بين كل سطرين خطان أحمران ترك فى أوله وآخره ورق أبيض خال من الكتابة يكفى لكتابة جزء فى كل منهما وقد صنع هذا الورق من حرير صنع على طريقة بخارية[٢] وجلده طبيعي.

٣١- مصحف شريف حجم قطعه متوسط وما سطر فى ديباجته من سورة الفاتحة ناقص من أوله إلى قوله تعالى ﴿ **رب العالمين** ﴾ وقد التصقت صفحاته الأولى والثالثة فى بعض وقد كتب بطرز خط قريب من الثلث وذات خمسة أسطر والجزء الثانى بخط النسخ ذات ثلاثة أسطر كتب فى طرز عجيب وقد كتب على هامش صفحة من جزئه الرابع واقفه وهو محمد بن محمود بن عبد الله الشيرازى المعروف بالحاج عطا وختم بالآية الجليلة ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم** ﴾.

٣٢- مصحف شريف سطر إلى سورة يونس بخط النسخ وحجم قطعه كبير، وصفحته الأولى مذهبة وكتبت صفحاته الأخرى قد رتبت على أن

(١) المشار إليه مدرس اللغة الفارسية والتاريخ فى المدرسة الحربية السلطانية وهو القائم مقام صالح بك.
(٢) نسبة إلى بخارى إحدى المدن الإسلامية فى أواسط آسيا.

يكتب سطر منها بحبر ذات لون أحمر داكن والسطر الآخر بحبر بنفسجي ولما كان خاليا من اسم كاتبه أو أى إشارة أخرى فهو مجهول الواقف والكاتب.

٣٣- مصحف شريف قد نظم ورتب على أن يكون سطراه باللون الأحمر الثانى وواحد منه باللون البنفسجى على ثلاثة خطوط وعلى هامش كتابة صفحاته قد قيدت بعض الروايات الخاصة بخواص القرآن والموثوقة وذات قطعة مائلة للكبر وبما أنه قد كتب فى أكثر من مكان محمد خالون خان بن محمد على بن عبد الله داد هو واقفه فى سنة ١٢٩١هـ كما أن طرز خطه على قاعدة النسخ فهم أن واقفه سالف الذكر محمد خالون خان بن محمد على خان ابن محمد على بن عبد الله داد.

٣٤- مصحف شريف قطعه مائل إلى الكبر وقد زينت جميع جهات صفحاته بألوان بنفسجية وصفراء وخضراء ومذهبة بالذهب وذيل كل سطر تراجم بعبارة فارسية وغير ذلك كتب على هوامش صفحاته التفسير الحسنى.

٣٥- مصحف شريف وهذا أيضا من وقف محمد خالون سالف الذكر وأثر قلم الحافظ محمد يوسف ابن محمد ساكين كون عيسى، قطعه مائل إلى الكبر، وقد ذهبت صفحته الأولى والثانية على الطريقة الهندية، ونقش ما بين سطور كل صفحة بحبر أحمر اللون وخارج كتاباته حررت بعض فوائد القرآن وخواصه.

٣٦- مصحف شريف قد كتب إلى الآية الجليلة ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ [الكهف: ٥٩] وأصول كتابته وتذهيبه فى غاية دقة الصنع والجمال وديباجته مزينة وفقا للقاعدة الهندية وكل نقطه قد وضعت وحررت بالذهب قطعه كبير وصفحاته كلها تسعة أسطر كتبت بخط الثلث وقد خطط على أطراف كل صحيفة سبعة خطوط ذهبية وهو خال عن إشارة إلى كاتبه وواقفه فهما مجهولان.

٣٧- مصحف شريف حجم قطعه كبير، وقد كتب بخط الثلث الجلى ديباجته وخاتمته مزينتان ومذهبتان بطريقة مكلفة وقد رسمت الفاتحة الشريفة على صفحتيه الأولى والثانية فوق شمس ذهبية بخط أبيض وقد نظمت صفحاته الأخرى على أساس أحد عشر سطرا وكل ما بين سطريه مذهب وأطرافها ملونة ومزينة بخط أو خطين ولما كان خاليا من اسم كاتبه وواقفه فهما مجهولان.

٣٨- مصحف شريف قد أهدى من طرف الشيخ سموأل الداغستانى فى سنة (١٢٨٧) هـ كاتبه علاء الدين التبريزى وأوراقه سميكة وآبادية وقطعته كبيرة وديباجته مذهبة فى صورة دقيقة ومزينة وقد كتبت الألفاظ الشريفة (إياك نعبد وإياك نستعين، (ويقيمون الصلاة) وثلاثة أسطر من صفحاته الأخرى كتبت بخط الثلث مذهبة وأسطره الأخرى كتبت بخط النسخ وبحبر أسود عادى.

٣٩- مصحف شريف فى شكل مجلة وفى داخل كيس أخضر مصنوع من المخمل، خطه كوفى وقطعه متوسط وهيئته مائلة إلى الزينة وهو من وقف المرحوم نجال أفندى المترجم الأسبق لديوان الترجمة السلطانية كما أنه بخط يده.

٤٠- مصحف شريف حجم قطعه غاية فى الصغر وجلده زيتونى حسن وصفحاته مزينة ومذهبة كما هو مطلوب، وبمحفظته والسلاسل التى ربطت بالمحفظة من ذهب خالص، وهو أثر قلم شعبان بن محمد أفندى ووقف من قبل خورشيد أفندى مدير تعميرات المدينة المنورة فى سنة (١٠٤١) هـ.

٤١- مصحف شريف وهو يفتح من طوله وله أطراف فضية فى داخل محفظة صغير وذات قطعة طبيعية، وهو المصحف الذى كتبه مير محمد بن التبريزى سنة ٩٨٣ هـ وقطعه يوسفى وصفحاته سورتى الفاتحة والبقرة مذهبة وما بين سطورها قد زين باللون الأحمر والبنفسجى وجميع الآيات التى تجمعها هاتان

السورتان قد كتبت على أرضية صنعت من ذهب داكن بذهب فاتح اللون وكتب داخل الحلقات التى خارج الكتابة كلمة (عشر بخط كوفى).

٤٢- مصحف شريف وهو وقف أحمد عطاء الله أفندى وخط مصطفى خلوصى أفندى قطع متوسط وإكليلى الكتابة.

٤٣- مصحف شريف هذا أيضا من آثار أحمد عطاء الله أفندى وقطعه متوسط وكتابه صفحاته إكليلية.

٤٤- مصحف شريف مذهب متوسط القطع بخط النسخ من وقف المرحوم عبدى أغا من متوقى عبد القادر باشا.

٤٥- مصحف شريف كتب بالحبر الأحمر وخط النسخ صغير القطع وغير مذهب ووقف صالح بن محمد أفندى.

٤٦- مصحف شريف متوسط القطع خطه على طرز عربى وغير مذهب من وقف درويش محمد أفندى.

٤٧- مصحف شريف متوسط القطع خطه عربى وغير مذهب، هدية الحاج برهان بن الحاج على أفندى ذو كتابة بالحبر الأحمر إلا أن كاتبه وواقفه غير معلوم.

٤٨- مصحف شريف قد كتبت الصفحة الأولى لسورة الفاتحة وكذلك الصفحة الأولى من سورة البقرة بالذهب وزينت بلون بنفسجى وعلى أطراف كل صفحة مقرات منقوشة بلون بنفسجى وكتب بقلم فى غاية الدقة وبطرز فارسى ذات أربعة أسطر قطعه غاية فى الصغر وهو أثر مبارك هدية المرحوم محمد أغا من أغوات دار السعادة.

٤٩- مصحف شريف وقف شيخ الحرم الأسبق المرحوم طيفور بن عبد الغفور أغا أفندى وقد رتبت صفحاته من خمسة عشر سطرا وكل جهاته مزينة مذهبة متوسط القطع.

٥٠- مصحف شريف خطه خط الحافظ محمد شكرى أفندى كتابته عريضة نوعا ما ومذهبة وقد رتبت صفحاته على أساس خمسة عشر سطرا ديباجته ذات طرز هندى ومزينة وما بين سطور كل صفحة لون باللون الأصفر والأسود وحجمه طبيعى للغاية ومستحسن.

٥١- مصحف شريف خطه عادى غليظ ومتوسط القطع مذهب وقف محمد فيضى نهرى من بخارى.

٥٢- مصحف شريف خط محمد نقى الشوشرى متوسط القطع مذهب الأوراق تنقصه ثلاث صفحات من أوله وواقفه مجهول.

٥٣- مصحف شريف وقف السيد الحاج محمد أمين بن صالح بن حسين أفندى وخطه مصطفى ده ده ابن الشيخ حمد الله المشهور وهو مذهب قطع متوسط.

٥٤- مصحف شريف وقف مرجان أغا القلعوى من أتباع محمد على باشا المصرى وأثر قلم حسن فوزى السروجى صغير القطع مذهب.

٥٥- مصحف شريف وقف محبوب أغا من أتباع الإمرة الأولى لمحمد على باشا المصرى كذلك وخط إسحق نورى بن مصطفى، مذهب قطع صغير صفحاته ذات عشرين سطرا.

٥٦- مصحف شريف وقف خديجة بنت الشيخ درويش أنس آل عبد السلام الخاتون وخط الشيخ عبد الشكور المولوى قطعه صغير بسيط فى غاية من الجمال.

٥٧- مصحف شريف وقف باقى زاده الحاج إبراهيم ابن الحاج عثمان أفندى وخط إبراهيم شوقى أفندى صغير القطع أوراقه مذهبة ورتبت صفحاته على أن تكون لآياتها هوامش.

٥٨- مصحف شريف خطه لاهورى قطعه صغير يعنى يوسفى وقف جب بن

حسين الهندى. صفحتاه الأولى والثانية وخاتمته فى غاية من الزينة وفيما بين السطور مذهب ومستحسن.

٥٩- مصحف شريف ـ متوسط القطع كاتبه صالح أفندى، واقفه مجهول وصفحاته مذهبة.

٦٠- مصحف شريف ـ طرز خطه عثمانى الرسم، وصفحات أوراقه مذهبة، أثر لا يدانى، وقف المرحوم بسيم آغا نائب الحرم وأثر سيد على شكرى.

٦١- مصحف شريف ـ وقف حليلة المرحوم نافذ باشا «زيبا هانم» قد كتب بخط النسخ النفيس ومنقوش بالذهب وألوان مختلفة من الزينة وقد سطرت هوامش صفحاته أصول القراءات السبع دون اسم كاتبه.

٦٢- مصحف شريف ـ ذات قاعدة الخط القديم متوسط القطع به جداول حمراء وخط هداية الله ابن عبد الرحمن أفندى وواقفه مجهول.

٦٣- مصحف شريف ـ مسطور بخط عربى عادى قطع متوسط وقف حامد بن على أفندى دون اسم كاتبه.

٦٤- مصحف شريف ـ وقف محمد باشا قبودان المحيطات ـ رحمه الله ـ وخط مصطفى ابن عمر أفندى من حى «أبواب» صفحاته ذات خمسة عشر سطرا مذهبة قطعه صغير وهو أثر نفيس.

٦٥- مصحف شريف ـ كتب وفق القاعدة المصرية خال من اسم كاتبه وغير مذهب ووقف مبروك المرئى مالكى المذهب.

٦٦- مصحف شريف وقف أحمد بن على بن سليمان آر بنود، كتب بخط النسخ الوزيرى الواضح خال من اسم كاتبه قد وقف فى الرابع من شهر صفر الخير سنة ١٢٥٤هـ.

٦٧- مصحف شريف وقف السيدة عاتكة بنت الشيخ عبد اللطيف خطه غاية فى القدم وصفحاته خمسة عشر سطراً وذات كتابة إكليلية وخال من اسم كاتبه.

٦٨- مصحف شريف وقف محمد خالون بن محمد على خان بن محمد على بن عبد الله داد وخط محمد عارف بن الحاج محمد فاضل بن الشيخ عيسى وقف سنة ١٢٩١.

٦٩- مصحف شريف وقف محمد أفندى الأنقروى وذو خط قديم مختلط ولا يعرف كاتبه وقد استصلحت صحيفته الأولى والثانية والثالثة بإلصاق ورق.

٧٠- مصحف شريف ـ طرز خطه مغربى، ورقه فستقى حركاته حمراء خال عن اسم كاتبه قد وقف يوم الثامن عشر من صفر الخير سنة ١٢٨٦هـ من شخص مجهول الاسم.

٧١- مصحف شريف ـ قد ألصق على صفحاته الأولى والثانية والثالثة بل على أغلب صفحاته ورق ووقف سنة ١٢١٢هـ من قبل بيفم القدس ولم يذكر اسم كاتبه وذات أحد عشر سطرا فى كل صفحة.

٧٢- مصحف شريف ـ قد ألحق على صفحاته الأولى والثانية وعلى سور البقرة بدءا من بسملته إلى الآية الجليلة ﴿ **وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ وقد كتبت صفحاته على أن يكون فى كل صفحة خمسة عشر سطرا وكاتبه وواقفه مجهولان.

٧٣- مصحف شريف ـ وقف عمر بن صالح بن فهير صفحاته ذات أحد عشر سطرا وما بين كل سطرين ذات خط أحمر ولا يعرف كاتبه صفحتاه الأولى والثانية مذهبتان.

٧٤- مصحف شريف ـ وقف حسين العياط خط درويش حسن الشركسى وصفحاته ذات خمسة عشر سطرا ذهبت بالإكليل.

٧٥- مصحف شريف ـ نسخة شريفة ذات خط متفرق كاتبه وواقفه مجهولان.

٧٦- مصحف شريف ـ وقف سيد حسن كوسه الدمشقى وخط الحاج حسين أفندى خطه على الطراز الشامى وأطراف صفحاته قد زينت بخطين أحمرين وذات خمسة عشر سطرا فى الصفحة.

٧٧- مصحف شريف ـ وقف ابن البغدادى الحاج شعبان ابن الحاج صالح أفندى وخط محمد قاسم ابن الحاج محمد التبريزى اثنا عشر سطرا فى الصفحة وقد ذهب بقلم صنعت وديباجته منظمة وفقا للترتيب الهندى.

٧٨- مصحف شريف ـ وقف زاهدة خانم زوجة المرحوم الشيخ شموئيل الداغستانى وخط محمد الكاظمى وقد رتبت صفحاته على أربعة عشر سطرا وأطرافه غير مذهبة وأهدى سنة (١٢٨٨) هـ.

٧٩- مصحف شريف ـ وقف السيدة حفيظة بنت عبد المتعال الرشيدى، وخط عبد الله وصفى أفندى صفحاته ذات خمسة عشر سطرا وذهبت أطرافها بالإكليل.

٨٠- مصحف شريف ـ خط محمد حامد أفندى بطلب حميد الدين خان، طرز لاهورى صفحاته ذات خمسة عشر سطرا قد طلى داخل صفحاته بالذهب وأطرافه مقطوعة مجهول الواقف.

٨١- مصحف شريف ـ وقف الشيخ عبد الله الفردى وخطه مغربى قطعه كبير وسورة الفاتحة مفقودة خال من اسم كاتبه.

٨٢- مصحف شريف ـ كتبت سورة فاتحته مؤخرا، واسم واقفه منسى وصفحاته ذات أحد عشر سطرًا وكتاباته سطران منها ذات خط أحمر وسطر أزرق ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] وهذه الآية آخر ما فى المصحف.

٨٣- مصحف شريف ـ وقف الشيخ أبو نواز وخط الفقير ميثور ذات اثنى عشر سطرًا فى الصفحة وإكليلى فى الكتابة وكتب سنة (٥٠٦) هـ.

٨٤- مصحف شريف ـ خطه لاهورى وجلى، وقد فقدت سوره كلها ماعدا الأنبياء إلى سورة الإخلاص، مجهول الكاتب والواقف وصفحاته ذات أحد عشر سطرا، وعلى أطرافها حاشية فى تعريف أصول القراءة وغير مذهب، وفى غاية الكبر فى قطعه.

٨٥- مصحف شريف ـ واقفه وكاتبه حسن على خان الحيدرى الآبادى ابن المرحوم على ياور خان الأصفهانى خطه جلى وذات طرز ريحانى وحجم قطعه مائل للكبر وصفحاته ذات خمسة عشر سطرا وغير مذهب وفى ظهر فاتحته مسطور دعاء ختم القرآن.

٨٦- مصحف شريف ـ صفحاته ذات عشرة أسطر قطعه صغير وفارسى الخط كاتبه وواقفه مجهولان وكتب سنة ١٢١١ هـ وفى خاتمته اكتملت بهذه الجملة «استفت بهذا الكلام».

٨٧- مصحف شريف ـ وقف الحاج أحمد شعبان ابن الحاج حسين السعيدى وخطه مغربى مقلد وقطعه وزيرى وخال من اسم كاتبه.

٨٨- مصحف شريف ـ أجزاؤه ما بعد الجزء السادس عشر مفقودة واقفه غير معروف واسم كاتبه مسطور فى نهاية دعاء ختم القرآن الذى كتب بخط التعليق، وكاتبه محمد جعفر بن الشيخ غلام حسين وطرز خطه نسخ يميل إلى السمك وخطان من كتابته بحبر أحمر وواحد باللون البنفسجى.

٨٩- مصحف شريف ـ وقف السيدة خديجة بنت مختار وخط «حاجى بابا بن ميكائيل بن اغا جاى أفندى خطه ورسومه الذهبية على طرز داغستانى داخل صفحاته ذات إكليل وعلى كتابته جدول أحمر اللون وخط على فراغ هذا الجدول خط آخر أحمر اللون وكتب فى سنة (١٢٨٢) هـ.

٩٠- مصحف شريف ـ وقف الحاج حبيب وطرز خطه لاهورى خال من اسم كاتبه، الصفحة الأولى والثانية من الصفحات وما بين سطور هاتين الصفحتين مزين بالإكليل وكتابات صفحاته الأخرى منقوشة بجدول لازوردى وجدولين باللون الأحمر وقد ختم أوله وآخره بكلمة «وقف» نسخة بيعية ذات حجم كبير.

٩١- مصحف شريف ـ وقف بيد السيدة خديجة بنت الشيخ موسى جلبى متولية ماردينى زاده سيد محمد رشيد، فى عام ١١١٤هـ خال من اسم كاتبه

وأسلوب خطه الريحانى والصفحتان الأولى والثانية أهلكتا بصورة كبيرة وقد حددت صفحته الأخيرة وهو أثر لطيف كبير الحجم.

٩٢- مصحف شريف ـ كتاباته وما بين سطور كل صفحة ذات جداول مزدوجة وأوراقه بنفسجية اللون وجلده أخضر مطبوع مجهول الكاتب والواقف.

٩٣- مصحف شريف ـ كتابة صفحاته ذات جداول مزدوجة ووقف الخان «إيمان خان ابن ككران خال من اسم كاتبه.

٩٤- مصحف شريف ـ قد خط على أطراف صفحاته ثلاثة خطوط اثنان منها أحمر اللون وواحد منها لازوردى ومدت خارج هذه الخطوط بإصبعين خط لازوردى ورسم فى ذيل خاتمته شكل شطرنج وهو كلام قديم ذات قطعة متوسطة وكاتبه مجهول.

٩٥- مصحف شريف ـ وقف شخص يدعى عبد الله بن عبد الله وكل صفحاته ذات جداول، أحمر اللون، قطعه كبير، خال من اسم كاتبه، وقف (١٢٨٥) وكلام قديم كتب وفق القاعدة الخطية المصرية.

٩٦- مصحف شريف ـ وقف السيدة فاطمة بنت عبد الله، خال من اسم كاتبه وقد جددت واستصلحت بعض الأوراق فى أوله وآخره.

٩٧- مصحف شريف ـ صفحاته ذات عشرة أسطر ووقف الحاج عبد الرزاق الكوينى الحنبلى وجزؤه الأول والثانى مفقودان وقطعه كبير وخال من اسم كاتبه.

٩٨- مصحف شريف ـ متنوع الخط والأوراق ووقف من قبل عبد الوهاب بن سليمان فى سنة (١٢٧٣) هـ وهو أثر لطيف مجهول اسم كاتبه.

٩٩- مصحف شريف ـ ناقص الصفحات مجهول الكاتب والواقف وخطه يوافق القاعدة المصرية فى الكتابة وصفحاته ذات خمسة عشر سطرا.

١٠٠- مصحف شريف ـ صفحاته ذات خمسة عشر سطرا مجرى الخط وخال من اسم كاتبه، أهداه محمد حبار في سنة (١٢٨٦)هـ.

١٠١- مصحف شريف ـ لاهورى الخط ووزيرى القطع أى مستطيل وما بين صفحته الأولى وصفحته الثانية مذهب وعلى قدر من الزينة وبين سطرى صفحاته الأخرى تراجم فارسي العبارة وعلى أطراف كتابته كتب بعض ما يستفاد منه مثل أسباب نزول الآيات وعلى ظهر الصفحة الأخيرة كتب البيت الآتى بالفارسية تم تحرير وكتابة القرآن المجيد فى ظل السلطان ذو السيرة المليئة بالنور فى سنة جلوسه ولم يبين اسم الكاتب والواقف.

١٠٢- مصحف شريف ـ خطه هندى وكتاباته ذات خطين أحمرين وصفحاته ذات اثنى عشر سطرا. واقفه بيفم القدس كاتبه مجهول أهدى سنة ١٢١٢هـ وعرض، بما أن بعض صفحاته فى الآخر قد فسدت وأصلحت بورق خارجى.

١٠٣- مصحف شريف ـ صفحاته ذات أربعة عشر سطرا صفحتاه الأولى والثانية مذهبتان على طريقة هندية وخطه أبيض، وقد ألصق ورق فى بعض أماكنه وكتبت على أطراف الكتابة أسباب النزول وبعض الفوائد القرآنية بخط التعليق وأسلوب خطوطه فارسى وقد كتبت خلف ديباجته وظهرها. عبارة الطالب محمد خان وهو ممهور بخاتم محكوم، خال من اسم كاتبه وقف وأهدى سنة ١١١٥هـ.

١٠٤- مصحف شريف ـ صفحاته ذات أحد عشر سطرا وليس هناك أى علامة لكاتبه وواقفه ولما بلى بدرجة كبيرة جُلِّدَ وقطعت أطرافه كليا.

١٠٥- مصحف شريف ـ ذات غطاء قماش وبلى بدرجة لا يمكن قراءته ومن هنا دفن من قبل المجلد فى البقيع.

١٠٦- مصحف شريف ـ أصابت علامات القدم صفحاته الأولى والأخيرة وقف من قبل سعدية بنت العنبرة خاتون لم يذكر اسم كاتبه وصغير الحجم.

١٠٧- مصحف شريف ـ وقف بيفم القدس اسم كاتبه غير مذكور صفحاته ذات اثنى عشر سطرا كتاباته ذات ثلاث جداول اثنان منها أحمر اللون وواحد منها لازوردى وفى شكل طولى على شكل مجلة وطرز خطه تقليد للقاعدة الهندية.

١٠٨- مصحف شريف ـ وقف أحمد بن الشيخ عبد القادر صفحاته ذات أربعة أسطر لم يذكر اسم كاتبه، صغير الحجم ناقص الأول والآخر بمقدار ما.

١٠٩- مصحف شريف ـ وقف الحاج رجب بن الحاج صالح بك وخط عبد الرحمن بن عثمان الشطارى أفندى نقش أوائله بإكليل ولازورد أخضر من الألوان مرتب الصفحات بخمسة عشر سطرًا، ووقف سنة ١٢٦٥هـ.

١١٠- مصحف شريف ـ واقفه ريحان أغا الدرينى وكتاباته ذات خطين ولم يذكر اسم كاتبه وقف سنة ١٢٨٤ وبعض أوراقه مفقودة لذا حدد.

١١١- مصحف شريف ـ وقف السيدة عائشة بنت أزمير صفحاته ذات تسعة أسطر كاتبه غير مذكور وما فوق الآية الكريمة «هنالك الولاية لله الحق» ناقص.

١١٢- مصحف شريف ـ بعض أماكن من أوله وآخره ناقص لا اسم لكاتبه قد أصلح بعض صفحاته ونسى ذكر اسم واقفه.

١١٣- مصحف شريف ـ خطه مغربى وصفحاته ذات أحد عشر سطرًا واثنتين من كتاباته ذات جداول أحمر اللون وحداتها لازوردى وذات ثلاثة خطوط ومستطيلة ولكن ذات قطعة غليظة لا اسم لكاتبه وواقفه مجهول.

١١٤- مصحف شريف ـ صفحاته ذات عشرة أسطر وخطه لعلى بن الشيخ أحمد عصفور واقفه مجهول.

١١٥- مصحف شريف ـ كاتبه مجهول وما بعد سورة الكهف مفقود وقف بلال آغا.

١١٦- مصحف شريف ـ خطه خمسة عشر سطرًا قطعه صغير، مجهول الكاتب والواقف.

١١٧- مصحف شريف ـ وقف كريمة الحاج أحمد الفخر صفحاته ذات خمسة عشر سطرا وبخط مصرى مجهول الكاتب.

١١٨- مصحف شريف ـ صفحاته ذات سبعة عشر سطرا ووقف الشيخ بلال مجهول الكاتب.

١١٩- مصحف شريف ـ صفحاته ذات ثمانية عشر سطرا وكتاباتها ذات خط واحد ذهبى وذات ثلاثة خطوط سوداء وبدون اسم كاتبه وقد كتب فى بعض أماكنه عبارة «هذا وقف الروضة فاقرءوا» ومجهول الواقف.

١٢٠- مصحف شريف ـ صفحاته ذات خمسة عشر سطرا وذات كتابة إكليلية ولم يذكر اسم كاتبه وقف الحاجة بنت حواء المصرية.

١٢١- مصحف شريف ـ صفحاته ذات ثلاثة عشر سطرًا ذات كتابة لازوردية، قد زينت ديباجته وذهبت على الطريقة الهندية مجهول الكاتب والواقف.

١٢٢- مصحف شريف ـ خط نعمت خانم وصفحاته ذات ثلاثة عشر سطرا وكتاباته ذات جدولين وبعض أوراقه من أوله مفقودة وواقفه غير معلوم.

١٢٣- مصحف شريف ـ صفحته اثنا عشر سطرا وبين كل سطرين جدول مزدوج، قطعه كبير، مجهول الكاتب والواهب والواقف.

١٢٤- مصحف شريف ـ قد زينت ديباجته على الطريقة الهندية وقد كتبت على أطراف كتاباته بخط التعليق بعض الشروح وذيول سطوره مترجمة وأوائل بعض سوره مصنعة ومشغولة وصفحاته ذات أحد عشر سطرا مجهولة الواقف والكاتب.

١٢٥- مصحف شريف ـ جلده هندى الشكل وصفحته الأولى لازوردية الحبر مصنعة وصفحاته ذات خمسة عشر سطرا وأطراف كتاباته ذات ترجمة

فارسية ذات قطعة مائلة إلى الكبر وخط سيد جعفر أفندى واقفه مجهول.

١٢٦- مصحف شريف ـ وقف الخان شريف رمضان وصفحاته ذات تسعة أسطر مجهول الكاتب وينقصه سورة الفاتحة.

١٢٧- مصحف شريف ـ صفحاته ذات اثنى عشر سطرا، خطه مصرى واقفه وكاتبه مجهولان أكثر أماكن صفحاته التى تمسك باليد قد أصلحت أوراقها.

١٢٨- مصحف شريف ـ وقف الست المصونة وخط أحمد ابن محمد أفندى صفحاته ذات اثنى عشر سطرا.

١٢٩- مصحف شريف ـ خط مسعدة بنت مبارك بن أحمد زكوان وذات ثلاثة عشر سطرا واقفه مجهول ونصفه ناقص.

١٣٠- مصحف شريف ـ قد طرزت سورة الفاتحة والصفحة الأولى من سورة البقرة والصفحات التى كتبت عليها المعوذتان بحبر ذهبى ولازوردى وأطراف صفحاته الأخرى قدر نصف إصبع قد أثر فيه الماء وكل صفحاته ذات أحد عشر سطرا ولا اسم لكاتبه وختم ذيله بالعبارة الآتية «كنج شاه، نور خان فيروز معز الدولة معين بهادر عباسى» وموقع باسم عبد الغنى خان عباسى.

١٣١- مصحف شريف ـ من آثار «قلس صزا نشار» الهندى وعبد الباقى وطرزه فارسى مذهب ذات إحدى وثلاثين ورقة وصفحاته ذات واحد وأربعين سطرا ولون ورقه سكرى وأطراف كتاباته أزرق فاتح واقفه مجهول.

١٣٢- مصحف شريف ـ فد طبع فى مطبعة سيد عفداد ابن سيد عدل الأفغانى، وذو قطعة مستطيلة وفى ذيول سطوره تفسير فارسى واقفه وكاتبه مجهولان.

أجزاء القرآن الشريفة:

٣٠ جزء - كبير أوسط، صغير القطع لا اسم لكاتبه مطبوع بخط النسخ واقفه مجهول.

٣٠ جزء ـ وقف أمير الحاج عبد الرحمن كتخدا من جبل الأرز لا اسم لكاتب وعلى هوامشها كتبت أصول القراءات السبعة.

٣٠ جزء ـ كذلك من وقف عبد الرحمن كتخدا من جبل الإوز وخط على البغدادى وعلى هوامشها تفسير البيضاوى وبه إشارة إلى القراءات السبع وفى غاية الزينة والتذهيب.

٣٠ جزء ـ صفحاته ذات تسعة أسطر وذات خط عادى وذات كتابة حمراء لا اسم لكاتبه ووقف عبد الله المعصرانى.

٣٠ جزء ـ صفحاته ذات خمسة عشر سطرا صغير القطع فى غاية النفاسة مذهب لا اسم لكاتبه ووقف سعدى أفندى المدير الأسبق للحرم النبوى الشريف.

٣٠ جزء ـ وقف وكيل الخزانة عبد الغنى آغا وخط على شكرى صفحاته ذات أحد عشر سطرا وكتابته حمراء اللون وأماكن وقوفه مذهب بالإكليل صغير القطع.

٣٠ جزء ـ متوسط القطع، وذات جدول بال وأحمر اللون لا اسم لكاتبه وقف المرحوم سنان باشا.

٣٠ جزء ـ وقف أمير الأمراء إبراهيم كتخدا أثر قلم على أفندى ابن رضوان ومذهب.

٣٠ جزء ـ رءوس سوره مذهب على الطريقة الهندية وآخر كل آية مفسر باللغة الفارسية وصفحاته ذات سبعة أسطر لا اسم لكاتبه وقف محمد خالون بن محمد على خان بن عبد الله داد.

١ جزء ـ جزء (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا اسم لكاتبه وقف شخص اسمه كنج موسى بن محمد الترشيال بهجت مليار.

٤ جزء ـ وقف الحاج «أحمد بن الحاج عربى الأكش» وخط محمد بن أحمد صفحاته ذات ستة عشر سطرا وأسلوب خطه مغربى.

٣٠ جزء ـ وقف من قبل السيد محمد بن سيد عبد الرزاق الشيخ البراورى فى سنة ١٢٨٧هـ كاتبه مجهول صفحاته ذات أحد عشر سطرا.

٣٠ جزء ـ وقف من قبل «محمد نورى بك» فى سنة ١٢٦٤هـ، وكان أمير آلاى الفرسان الأول للجيش السلطاني فى البلاد، مجهول ناسخه، وصفحاتها تضم أحد عشر سطرا.

١٧ جزء ـ وقف كبير الشاويشية الأسبق أمير احمد من أتباع حسين آغا من جبل الأرز مكتوبة بخط النسخ، وصفحاتها ذات تسعة أسطر، مجهولة الناسخ.

٦ جزء ـ وقف الخازنة «خديجة نورسته» مجهولة الناسخ وصفحاتها ذات تسعة أسطر.

٢٩ جزء ـ وقف الحاج عبد الصمد بن على الدمشقى، وخطها على الطراز المصرى وصفحاتها ذات ثلاثة عشر سطرا، مجهولة الناسخ.

٢٦ جزء ـ هى الأجزاء الشريفة التى أهداها شيخ الحرم أحمد أغا فى سنة ١١٢٠هـ وهى من القطع الصغير، وذات خمسة عشر سطرا، ولا تحمل اسم ناسخها.

٤١ جزء ـ وقف محمد سيد مصطفى وصفحاتها ذات خمسة عشر سطرا، ومن القطع الصغير، مجهولة الناسخ.

٢٩ جزء ـ مصرية الخط، وصفحاتها ذات خمسة عشر سطرا، وقد كتب فى بعض مواضعها عبارة: «هذا الوقف إلى المدينة الطيبة فاقرءوها فى المسجد»؛ ناسخها وكاتبها مجهول.

١٤ جزء ـ وقف حاصر أبى عبد النبى، مجهولة الناسخ، وصفحاتها ذات تسعة أسطر وكتب فى بعض مواضها عبارة «وقف لله»، مجهولة الناسخ والواقف.

١ جزء ـ كتب فى بعض صفحاته عبارة: «وقف الحرم النبوى» وطرز خطه تقليدا للقاعدة المصرية وهو مجهول الواقف والناسخ.

١ جزء ـ وقف الحاج محمود عبد المجيد وأسطر صفحاته سبعة، وهو مجهول الناسخ.

٧ أجزاء ـ وقف أحمد أفندى ـ من أمراء ألوية الجيوش المصرية، أسطر صفحاته تسعة، وهى مجهولة الناسخ.

١ جزء ـ وقف الحاج محمود بن أحمد وأسطر ثلاثة من صفحاته مكتوبة بالخط الثلث والباقى بخط النسخ، ومجهول الناسخ.

١ جزء ـ وقف محمد من جبل الأرز صفحاته ذات سبعة أسطر ومكتوبة على هامشه باللون الأحمر أصول القراءة وناسخه غير معروف.

١٢ جزء ـ وقف خديجة بنت عبد الحى وصفحاته ذات سبعة أسطر، ولا تحمل اسم ناسخها.

٣١ جزء ـ كاتبها وواقفها مجهولان.

٣١ جزء ـ كتب على هامشها بعض الأدعية، مجهولة الواقف والناسخ.

١ جزء ـ وقف الحاج عبد الله أغا، لا يعرف ناسخها.

١ جزء ـ وقف الأمير عثمان كتخدا من جبل الأرز باسم (السيدة شيوه كار البيضاء) وصفحاتها ذات تسعة أسطر وقد كتب على هامش صفحاته بخط أحمر وأخضر أصول القراءة، مجهول الناسخ.

٤ جزء ـ وقد كتب من أول (إنا لنحن الغالبون) (سورة الشعراء) إلى الآية الكريمة (إليه راجعون) ومن سورة بنى إسرائيل إلى (فسوف يكون لزاما)

ومن سورة (ق) إلى آخرها تقريبا وصفحاته ذات خمسة أسطر وكتاباته ذات خط إكليلى.

٢ جزء - من آية (التوراة والإنجيل وأخلق لكم من الطين) إلى آية (فى طغيانهم يعمهون) ومن آية (لن تنالوا البر) إلى آية (إذ أعجبتكم كثرتكم) كتبت بحبر ذهبى وبخط الثلث وصفحاته ذات خمسة أسطر ومصنع غاية التصنيع ومذهب وقد رسمت خاتمته من طرف كاتبه (زكريا ابن عبد الله بن محمد بن محمود بدر الهمدانى ومهديه غير معروف).

٣٠ جزء - ذات أحد عشر سطرا وذات كتابة بخطين من اللون الأحمر وقف مرجان آغا لا اسم لكاتبه.

٣٠ جزء - ديباجته مذهبة وصفحاته ذات تسعة أسطر كتب بخط جميل واقفه وكاتبه مجهولان.

٢٢ جزء - وقف شيخ الحرم الحاج أحمد آغا كتب بخط نسخ جميل وكتاباته ذات جدول إكليلى ولا اسم لكاتبه.

٢٧ جزء - مطبوع وصفحاته ذات ثلاثة عشر سطرا واقفه وكاتبه مجهول.

٢٠ جزء - صفحاته ذات تسعة أسطر وخطه ذات قاعدة مصرية ولا اسم لكاتبه واقفه سنان باشا.

٩ أجزاء - صفحاتها فى أحد عشر سطرا، وبخط النسخ وقف عثمان آغا رئيس القصابين لايوجد اسم كاتبه.

١٤ جزء - صفحاتها فى تسعة أسطر وذو كتابة إكليلية وهو وقف يحيى أفندى رئيس المستحفظين مجهول الكاتب.

٢٥ جزء - وقف مصطفى آغا أمين الخزينة الأسبق للحرم الشريف صفحاتها فى عشرة أسطر كاتبه غير معروف.

٥ أجزاء ـ الأجزاء التى وقفها حسين بن أحمد الخضرى فى عام ٢٣٥هـ أو هى ذات خط مصرى وصفحاتها فى ثلاثة عشر أسطر ولا اسم لكاتبها.

١٣ جزء ـ لا اسم لواقفها ولا اسم لكاتبها.

وهكذا يكون عدد مجموع الأجزاء التى كتبت (٧١٥).

الدلائل[1] الشريفة

١ دليل ـ بخط محمد مختار بن مالك بن أحمد أفندى وخطه ذو طرز مغربى واقفه غير معلوم.

١٦ دليل ـ واقفها وكاتبها غير معروفين كتاباتها مطبوعة.

١ دليل ـ وقف إحصاء بن محمد القبين ذو خط مغربى كاتبه مجهول.

١ دليل ـ واقفه وكاتبه مجهولان مغربى الخط ومجموع الدلائل الشريفة ثلاثون عددا.

(١) بقصد به كتاب دلائل الخيرات للشيخ الجازولى العارف المحقق أبو عبد الله محمد بن سليمان السهلالى الشريف الحسنى المتوفى ٨٧٠ هـ.
قبره بالمغرب يزار، وهو كائن بحى رياض العروس بمدينة مراكش.

في تعريف وذكر وتفصيل جنس الأشياء النفيسة ومقدار الأشياء المحفوظة فى داخل حجرة السعادة المشحونة بالنور.

عـــدد

(١) مسبحة ـ فى ناحية رأس سيدتنا فاطمة (رضى الله عنها) ذات قطعة كبيرة جوهر مرجان مقدمتها من ذهب، وذات خمسمائة حبة ثمينة، لا يعرف عاملها وواقفها.

(١) مسبحة ـ بدون مقدمة، ذات قطعة كبيرة و ٣٩٥ حبة مجوهرة مرجان واقفها وصانعها مجهولان، ومحفوظة فى ناحية رأس السيدة الزهراء رضى الله عنها.

(١) مسبحة ـ ذات قطعة متوسطة و٩٣ حبة، لا مقدم لها مجوهرة بالمرجان واقفها وصانعها مجهولان ومحفوظة فى جهة رأس السيدة فاطمة رضى الله عنها.

(١) مسبحة ـ مقدمتها وعلامتها مصنوعة من لآلى صغيرة ذات (شراشيب) وبعض حباتها من الزمرد ذات قطعة متوسطة ذات مائة حبة لؤلؤ.

(١) مسبحة ـ لا نظير لها لا يعرف واقفها محفوظة كذلك فى ناحية رأس السيدة فاطمة.

(١) مسبحة ـ أطرافها ذات علامات فضية، (شرشوبها) من الحرير المخلوط بالقصب (الحرير المقصب) ذات قطعة كبيرة وذات مائة حبة، أهدى ووقف من قبل تاجر هندى مجهول.

مسبحة من العنبر تحفظ كذلك ناحية رأس السيدة المشار إليها، انتهى.

الأشياء المتنوعة

عـــدد

(١) غلاف مصحف، مرصع بالفيروز والياقوت، ومغلف بالذهب، واقفه مجهول، ومحفوظ داخل صندوق محكم.

(١) حافظة مصحف، صنعت من الفيروز والياقوت والزمرد، مغلفة بالذهب، واقفها مجهول، ومحفوظة كذلك داخل صندوق.

(١) حافظة مصحف مصنوعة من الفيروز والياقوت واللؤلؤ، مغلفة بالذهب، واقفها مجهول ومحفوظة فى داخل صندوق.

(١) حافظة مصحف مرصعة كذلك بالفيروز والياقوت واللؤلؤ، متقنة الصنع، وغلافها من الذهب، واقفها مجهول، وموضوعة داخل صندوق متين.

(١) حلة مغلفة بقطعة واحدة من الفضة، مقدمة من رئيس السعادة عمر آغا فى سنة ١٢٣١هـ، محفوظة داخل حافظة ذات زخارف.

(١) رحلة مجهول واقفها، مغطاة بمخمل أحمر، وبعض مواضعها مصنوع من الفضة وهى فى غاية الزينة والفخامة.

(١) مروحة واقفها غير معروف، وذات طبقة صغيرة مرصعة بجواهر مثل الياقوت والزمرد، مغلفة بالذهب.

(٢) مروحتان: مقابضهما مغطاة بالفضة، مجهول واقفهما.

(٣) مراوح: مجهول واقفها، مقابضها صنعت على الطراز الهندى، إحداهما مصنوعة من ريش ذيل الطاووس، والأخرى من الشعر والأخيرة لا وجود لنظيرها فى زماننا هذا.

عـــدد

(١) سيف ـ قبضته محاطة بالذهب، حديدى القاعدة واقفه وصانعه غير معروفين.

(١) سيف ـ قبضته فضية، قاعدته ذو كتابة ذهبية على الحديد، وصنعه على الطريقة الشرقية غير معروف الواقف.

(١) جكمجة (صندوق صغير) ـ مصنوعة من الصدف ذات ست زوايا رسومها ونقوشها صينية على طريقة هندية، الماس ـ لا يعرف عياره ومقداره لصغر حجم الذهب.

(٢) سواران ـ واقفه مجهول صنع على طرز خاص بأهالى الأناضول.

(١) مرجان ـ مجهول الواقف، لطيفة المنظر ذات ثلاثة أفرع.

(١) خاتم ـ كحة لك واقفه مجهول قد صنع على شكل شفاف.

(١) قرط ـ من الفضة صنع الأناضول.

(١) قرط ـ من الذهب ومن صنع الأناضول.

(١) السوار[١] ـ ذات قطعة صغيرة مجهول الواقف.

(٣) حلقات[١] قد صنعت من سلك فضى رفيع واقفه مجهول.

(١) قرطان ـ يقال لهذا النوع من القرط عند العرب «ريشمى» صورة صنعه فى غاية الغرابة[٢].

(٢) لافتتان ـ لوزى الشكل فى طرزه وفى وسط كل منها قطعة نقود من ذات عشرين (بارة) وحوالى كل واحد منهما إحدى عشرة سلسلة.

---

(١) قد علقت فوق هذا السوار والحلقان خمسة أعداد من ذهب الربعية وثلاثة أعداد من ذهب السلطان محمود.

(٢) إن هذه الأقراط ذات نسج وأماكنها التى تعلق منها إلى الآن ذات زينة بحجارة الفيروز.

عـدد

(٣) ذهب ـ هى من الزينات الخاصة بالصبيان تعلق على رأس الأطفال لوقايتهم من إصابة العين بالحسد وعلى كل واحد منها كتابة أحدها صغير والثانى متوسط والآخر صغير واهبهما المعلمان إبراهيم وعمر الشاميان.

(١) قلادة ـ مصنوعة من ثلاثة مثاقيل من الذهب، ومرتبة من رسم شعيرة عددها (٨٦) حبة فى ثقل تسعة دراهم ونصف درهم وقد أهديت من قبل مفتى اللاذقية مجهول الاسم وكريمته مجهولة الاسم أيضا.

الأشياء المذكورة المتنوعة محفوظة فى داخل صندوق مصنوع من النحاس وفى داخل الحجرة المعطرة.

في ذكر وبيان جنس ومقدار الأشياء التى تبرع بها والتى علقت فى داخل الحجرة المعطرة التى تعدل الجنة.

(١) كوكب درى ـ قطعة من الماس ذات حجم كبير ذات أربع زوايا موضوع فوق قاعدة ذهبية وهى فى الموقع المتصل بضريح السعادة فى الواجهة النبوية الشريفة، قد سطر على الجوهر المذكور عبارة «سلطان أحمد بن محمد»(١) وكان تحت هذا الجوهر قطعة كبيرة من الماس رسمت على شكل نصف بيضة وقد زينت جوانبها بالياقوت وتحت هذا الماس ماسة أخرى ثبتت على قاعدة من ذهب أبيض وتحتها جوهرة أخرى أهديت من قبل السلحدار مصطفى باشا ووضعتا على قاعدة من ذهب أبيض وبما أن كل هذه الجواهر تبرق وتلمع بشدة سميت المجموعة الكوكب الدرى واشتهرت به.

يقول مؤلف «أثمار التواريخ» شمعى أفندى بناء على تحقيق «قد شريت قطعة الماس التى تسمى «كوكب درى» بخمسين ألف ذهب موضوعة وسط لوحة ذهبية تتكون من ٢٢٧ قطعة ذى قيمة من الجواهر».

(١) لوحة ذهبية ـ أهديت من قبل صاحبة البر والإحسان (عادلة) السلطانة علية الشأن وهى حرم المرحوم محمد على باشا قبطان البحر الأسبق وكريمة السلطان محمود خان الثانى بن السلطان عبد الحميد خان الأول، وهى معلقة فى مواجهة السعادة وطرفاها مرتبان بشرائط مرصعة كما أن وسطها مزين بأزهار مرصعة وفي وسطها كلمة التوحيد الجليلة قد نقشت فوق

(١) هو بانى الجامع الذى شرع فى بنائه سنة ١٠١٨ وتم بناؤه سنة ١٠٣٦ وهو السلطان الغازى أحمد بن السلطان محمد خان الثالث.

الذهب بأغلى أنواع الملبس وكتبت ذات سلسلة ذهبية وذات ذوائب من اللؤلؤ فى زنة[1] خمسة وأربعين صفا وفى شكل بيضة النعامة.

(١) تعليقة ذهبية ـ هدية حضرة السلطان سليم خان الثالث بن السلطان مصطفى خان الثانى، وهى مزينة بأحجار الفلمنك على مبينة خضراء ولازوردية، ومرصعة بثلاث قطع من الطغراء السلطانية وذات سلسلة ذهبية وذات ذوائب من اللؤلؤ فى زنة خمسين صفًا وفى صورة بيضة النعامة.

(١) تعليقة كبيرة من الزمرد ـ وهى هدية من حضرة السلطان مصطفى خان الثانى بن السلطان أحمد خان الثالث وهى ذات ثلاث زوايا، وفى زاويتين منها عقد ذهبية مرصعة ، وفوق كل عقدة مزين بالماس فى شكل القبة ومربوطة بالسلاسل، وقد عقد فوق السلاسل بأزرار من الياقوت، ورأس التعليقة الأصلى المرصع تحت تلك الأزرار التى سبق ذكرها تحتها وفوقها أنه واحد وخمسين صفحة ذات ذوائب ياقوتية.

(١) تعليقة كبيرة من الزمرد ـ هدية السلطان أحمد خان الأول ابن السلطان محمد خان الثالث وهى ذات ست زوايا وذات زرين وفوقها على شكل قبة مزين بالماس والياقوت وقد ربطت قبته من فوقها بسلسلة ذهبية إلى حجر من الفلمنك[2] وسلسلتها ذات زاويتين وصف عليها صفان من قطع الماس قد صنعت قاعدتها من ست قطع حجمها متوسط وفى وسط القاعدة كتبت عبارة (السلطان أحمد خان الأول بن السلطان محمد خان الثانى سنة ١٠٦٩هـ وبين الزرين كتبت جملة (قيمتها ٦٠٠٠ قطعة ذهبية).

(١) تعليقة من الجوهر وهى هدية ممتازة محاطة بالذهب من طرف السلطان عبد الحميد خان الأول، الأبيات رأس تعليقة مزينة ومرصعة بأحجار الماس وفوق رأس التعليقة حبة من الزمرد مستديرة تقريبًا فى زنة خمسة وعشرين

(١) طارطى زنة (صف واحد) ويساوى ٤٥ ديزى مثقالا واحدا، وكلما قل ديزى زنة المثقال كلما زادت قيمته.

(٢) يقال لحجر الفلمنك السفلى ذات ست قطع، والأوسط ذات اثنتى عشرة قطعة، والعلوى ذات ثمانى عشرة قطعة ويعرف ذات اثنتى عشرة قطعة بالنصف، وذات ثمانى عشرة قطعة بالكامل.

قيراطا وفوق هذه الحبة صينية ذهبية وفوق هذا الحجر الزمردى قطعة كبيرة عريضة وفوق هذا الحجر زمردة معيوبة وأخرى مرصعة كبيرة وفى اتصالها رأس تعليقة أخرى صنعت أطرافها بنوع من الماس وعلى اسم ناجى القادرى وفوق جناحى ١٤ عددا من اللؤلؤ ذات حجم متوسط وكبير وأحدهما ذات زنة سبعة عشر صفا من اللؤلؤ والآخر ذات ثلاثة وستين عددا بين اللؤلؤ الكبير، وعددان من الذوائب ذات زنة مائة تسع وعشرين من اللآلى، وفى رأس كل شرشوبة زمردة مستقلة كبيرة وسلسلة طويلة ذات ثلاثة أشياء من الفضة، ومسبحة ذات خمس وأربعين حبة من اللؤلؤ، وقد سقطت إحدى حبات الزمرد التى أحصيت ولكنها محفوظة فى مكانها.

(١) تعليقة مرصعة ـ واقفها غير معلوم إلا أن رسمها وشكلها ونفاسة صنعها تدل على أنها وقف أحد السلاطين العثمانيين السعيد، وهى ذات ستة أعداد من الزمرد وذات أزرار مرصعة وزنها ثمان وأربعون صفا ذات شراشيب لؤلؤية مزينة بست قطع من الماس ولا سلسلة لها وثلاثة من أزرارها ذات ست زوايا وكبيرة وواحد منها مستو واثنان منها مقوس، إلا أنها أصغر من حيث القطعة من ذات الزوايا.

(١) تعليقة مرصعة ـ واقفها مجهول وشكلها على رأس الراية غلاف أحد طرفيها ذهب والآخر فضة ومزين بالياقوت والزمرد والفيروز واللؤلؤ ورصع وسطها بجوهر نفيس تشبه حجر (روقو قونجق)[١] ذات حجر نجفى وذات حبتين من نجف وذات سلسلة فضية.

(١) تعليقة مرصعة ـ ذات غطاء ذهبى وعلى طراز نوع من الأزهار التى تشبه السمك مجهولة الواقف.

(١) تعليقة مرصعة ـ يفهم من هيئتها المرئية أنها صناعة الهند، فى وسطها نوع

(١) (روقوقونجق) هو حجر بنفسجى اللون ويعبر عنه الصناع باسم (جيرتوقوم).

من جوهر كبير يشبه الحجر الذى يطلق عليه سيلان[1] وفوق هذا الجوهر حجر أصغر من نوع الحجر الذى على لون سيلان وتحت الجوهر الكبير حجر فى خمس حجمه ولكنه من نفس النوع، وحول الجوهر الكبير عددان من الجوهر الذى يطلق عليه (كبيرى[2]) أحدهما مقوس والآخر مستو والكبيرى من جنس الياقوت وعددان آخران من الزمرد الفاتح وبعض اليواقيت صغيرة الحجم وتحتها جوهر ذات خمس قطع شبيه بالزمرد الزبرجد الصغير وعدد من جواهر الماس وزر من الزمرد يزن ذيله خمسة قراريط يقينًا، وفوق هذا الزر خمس قطع من حجر (روزه) وكلها من الزبرجد والفيروز وفوقها ياقوت وفوقها زمرد وياقوت وقد زينت تسع قطع من سلاسلها الفضية التى تربط بين أجزاء بعضها ببعض بقطع زبرجد صغيرة.

(١) تعليقة مرصعة ـ مجهولة الواقف مصنوعة على شكل سلسلة الساعة القديمة أولها وأخيرها ووسطها زينت بحبات اللؤلؤ والزمرد الصغيرة.

(١) تعليقة مرصعة ـ وقف السيدة نورس، زوجة المرحوم نافذ باشا وهى ذات أحجار من الفلمنك مرصعة على مينا مشبك وذات نجوم خضر وذات ثلاث وردات وست زهرات لوز، وخاتم ومدى وكلها مشغول بحجر الفلمنك وذات سلاسل فضية.

(١) تعليقة مرصعة ـ وهى من السيدة فاطمة كريمة المرحوم نافذ باشا وهى ذات سلاسل من الفضة، وذات أحجار من الفلمنك مرصعة على مينا خضراء مشبكة، وذات نقوش، ومع هذا فهى ذات ثلاث وردات وستة أعداد من زهر اللوز فى الصنع ولها زر مثل خاتم على شكل ورد وكل هذا مزين بحجر الفلمنك.

(١) تعليقة مرصعة ـ فهى أثر نادر من آثار المرحوم السلطان محمد خان الثانى بن

(١) من ناحية القيمة فإنه أغلى من النجف وهو جوهر قرمزى اللون فاقع.

(٢) وهو من نوع الياقوت وهو جوهر أحمر اللون فاقع.

السلطان عبد الحميد خان الأول ومزينة بحجر الفلمنك وهى ذات ورود عددها ثمان وثلاثون منها الكبير والصغير ومع ذلك فهى مزينة وذات زرائر زنتها ثلاثة عشر صفا وذات ذوائب لؤلؤية وذات سلاسل ذهبية.

(١) تعليقة مرصعة ـ فهى هدية قيمة من السلطانة مهرشاه والدة المرحوم السلطان سليم خان الثالث ابن السلطان مصطفى خان الثالث على شكل قنديل بللورى وذات سلسلة ذهبية ومزينة بحجارة الفلمنك وروزه ذات ستة وجوه وكلها مرصعة بالذهب.

(١) تعليقة مرصعة ـ واقفها غير معروف وهى من الذهب المشبك بأكملها ذات ستة أوجه مرصعة بأحجار الماس والزمرد والياقوت وعلاقتها مزينة بالزمرد الصغير وذات سلسلة ذهبية.

(١) تعليقة مرصعة مجهولة الواقف كذلك، مصنوعة مع غطائها من الذهب وقد صنعت جهاتها الثلاث من قطع الماس والزمرد والياقوت والجهة اليسرى منها كذلك غطائها قد زينت من زنة أربعة وخمسين صفا ستة من صفوفها ذات ذوائب لؤلؤية.

(١) تعليقة مرصعة ـ مجهولة الواقف كذلك، قد صنعت سلسلتها من الذهب وعلى طرفيها عدد واحد كبير وفى وسطها ثلاثة أعداد صغيرة من الزمرد وعلى شكل القمر النصفى.

(١) تعليقة مرصعة مجهولة الواقف كذلك، مشبكة الصنع وعلّاقتها مرصعة زنة صفين وذات ستة وثلاثين عدد من اللؤلؤ وذات اثنى عشرة وجه من ما بين الفلمنك وذات سلسلة ذهبية.

(١) تعليقة مرصعة ـ مجهولة الواقف مصنوعة من الفضة وقد زينت وسطها بِصَف وأسفلها بصفين من قطع الماس والأواتب المعلقة على أطرافها على شكل القمر تنتهى بثلاثة أحجار ومكان العلاَّقات مرسوم بالشروط ومشبك ومزين.

(١) تعليقة مرصعة ـ مجهولة الواقف ومصنوعة من فُضة مشبكة ذات رسم خاتم وردى ذات خمس عشرة قطعة وذات ستة وجوه قد زينت بحجر الفلمنك وذات نقوش.

(١) تعليقة مرصعة ـ وقفت من طرف مصطفى بك ابن تحسين بك من صدور عظام السلطان أحمد خان الثالث بن سلطان محمد ذات ست شموع مغطى وذات سلسلة، وهى محلاة فى بعض أماكنها بالياقوت والزمرد وأعلاها بالفضة وفى وسطها طوق مزين بالياقوت والزمرد كذلك قاعدتها، وهى نجفة على شكل إناء ماء.

(١) تعليقة مرصعة ـ مجهولة الواقف أسفلها مشبك وذات أزهار بارزة على شكل القمر حولها وذات سلسلة ذهبية وذات علاَّقة ذهبية فى قيمة ثلاثة صفوف.

(٢) تعليقة مرصعة ـ هدية المرحومة السلطانة ريحانة فى سنة ١٢٢٨هـ وهى مصنوعة من الذهب ذات لون ليلاقى فاتح ولها مينا لازوردى وذات غطاء ذهبى ولها سلسلة ذهبية.

(١) تعليقة مرصعة ـ هدية السلطانة أسماء زوجة قبطان البحر حسين باشا الصغير وكريمة السلطان عبد الحميد خان الأول بن السلطان أحمد خان الثالث، ذات زخرفة ذهبية مشبكة على شكل ثريا ستة فروع ذات قطعة متوسطة.

(١) تعليقة مرصعة ـ وقف السيدة نوفدان رئيسة نساء السلطان محمود خان الثانى مشبكة فمها على شكل نصف الشمس وذات شراشيب فضية ومصنوعة من الفضة.

(١) تعليقة مرصعة ـ هدية السيدة نوفدان أيضا مصنوعة من الفضة وهى على شكل الزهرية ومحل القنديل مشبك وذات صنعة بارزة وقد عقد وسطها بعقدة الستارة بصورة فنية وذات شراشيب فضية وذات سلسلة فضية.

(١) تعليقة مرصعة ـ هدية السلطان أحمد خان الثالث حلقها زمردة فى شكل ورقة شجرة ووسطها مزين بالياقوت ذات طوق ذهبى وسلسلة ذهبية فى شكل قلة ماء.

(١) تعليقة مرصعة ـ قد قدمت من طرف السيدة قمر الثانية من حرم حضرة السلطان محمود خان الثانى وهى مشبكة على رسم سطل وذات علاقات على شكل سمك «بلامود» مصنوعة من الفضة.

(١) تعليقة مرصعة ـ هى الهدية العلية من السيدة أسماء السلطانة سالفة الذكر كريمة السلطان عبد الحميد خان الأول وهى ذات أزهار مبرزة وشبكة وحللها ذات أوراق مثل أوراق الملفوف وذات سلسلة على شكل أوراق الشجر ومحل شراشيبها ذات علاّقات فضية وقطعتها كبيرة.

(١) تعليقة مرصعة ـ هدية السيدة عشق بيجان والدة السلطان صالحة عليه الشأن زوجة خليل رفعت باشا رئيس الهند السابق وكريمة السلطان محمود خان الثانى ممولة من الفضة وفى شكل السطل وذات تعليقة على شكل سمك «بلامود» وذات صنعة راقية.

(١) تعليقة مرصعة ـ قدمت من طرف والدة السلطان عبد المجيد خان والد الخليفة كثير المحامد ومصنوعة من الفضة ذات ثلاثة قناديل وسلاسلها ذات زخرفة ذهبية ذات قطعة متوسطة ومعلقة ناحية رأس السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وصلى الله وسلم على أبيها.

(٢) تعليقة قنديل ـ واقفها مجهول مصنوعة من الفضة المشبكة ذات غطاء ومائلة للعرض إحداها متوسطة والأخرى صغيرة وهى مكسورة غير صالحة للاستخدام.

(١) تعليقة من الفضة ـ وقف مصطفى بك ابن تحسين بك من الصدور العظام ابن المحصل الأسبق لقبرص الحاج محمود آغا الشامى ذات ست شموع ذات غطاء وسلسلة.

(٣) تعليقات فضة ـ واقفها مجهول مصنوعة من الفضة على طرز قديم ذات سلسلة فضية كمثرى الشكل متوسط القطعة جميلة الصنع.

(٢) تعليقتان من النحاس ـ مجهولتا الواقف مصنوعتان من النحاس أحدهما عادية على شكل كرة بسيطة جميلة والأخرى مزينة بمائة وأربعة أعداد من حجر عتيق على رسم زاوية مصنوعة فى بلاد الغرب.

(١) تعليقة فضة ـ قدمت من طرف «غلام عباسى رو أمين جيد آباديى» من أهالى الهند: وصنعت على طرز هندى أسفلها من الفضة ولكنها قديمة.

(١) تعليقة قنديل من الفضة ـ وقف المرحوم خسرو باشا من وزراء محمود خان الثانى ذات ثلاث شموع ومشبكة وذات زخرفة ذهبية قطعتها مائلة للكبر.

(٢) تعليقة إناء القهوة ـ وقف محمد طيفور آغا مصنوعتان من نحاس مموه بالزنك.

(١) تعليقة من فضة ـ واقفها مراد ميرزا ومعلقة على صندوق فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) وصنعت على شكل زهرة من ستة وأربعين درهم فضة ومحكوك أعلاها عبارة بالفارسية «من أتباع إيران مدير النواب العلاة، نواب الشرف والاحترام سلطنة السلطان مراد ميرزا».

(١) فانوس من الزجاج ـ عضادته من الفضة واقفه الحاج على أفندى ابن السائس.

(١) طرة ـ مغلفة بالذهب ومزينة بأربعين ياقوتة وخمس وعشرين زمردة زنة صفين من لؤلؤ مجهول الواقف الزمردة فى وسطها مائلة إلى الكبر وصناعته قديمة.

(١) تعليقة قنديل من الذهب ـ مجهولة الواقف مصنوعة من الذهب المشبك ذات شراشيب من اللؤلؤ زنة تسعة صفوف.

(١) تعليقة قنديل من الذهب ـ واقفها غير معلوم كذلك مصنوعة من الذهب صغير الحجم.

(١) تعليقة قنديل من الفضة ـ واقفها مجهول كذلك مصنوعة من الفضة ذات سلسلة مزخرفة بالذهب.

(١) تعليقة قنديل من الفضة ـ من وقف إبراهيم آغا محافظ ينبع ومن رؤساء بوابى الباب العالى، وعلى شكل الثريا وذات أماكن للشموع وسلسلتها ذات غطاء.

(٦) تعليقة قنديل من الفضة ـ مجهولة الواقف وعلى طرز قنديل زجاجى وقد صنعت مع سلاسلها من الفضة العادية.

(١) تعليقة قنديل من الفضة ـ أهدى القنديل الأول من قبل سلطانة فاطمة والآخر من زينب خانم الصغيرة والثالث من السيدة خوشياد والرابع من السيدة (دل سرا) والخامس من الحاضنة بأدره والسادس من الحاضنة تفافل وهى شبكة مصنوعة من الفضة ذات صنعة قديمة ومتوسطة القطعة.

(٩) تعليقة قنديل من الفضة ـ واقفوها مجهولون مصنوع من الفضة بعضها شبك وبعضها دقيق الصنع وفوق علاَّقة أحدها عدد علق واحد من الذهب الفازى وكلها تقريبًا قديم الصنعة ذات قطع صغيرة ومتوسطة.

٥٩٧ سلسلة من الفضة ـ من هدايا السلطان محمود خان الثانى بن السلطان عبد الحميد خان الأول على أحد أطراف كل واحدة من محافظها عبارة «خادم الحرمين الشريفين ٢٥٣» وأطرافها الأخرى كتبت طغراء غراء «محمد العدلى» وقد علقت ثلاثمائة وثلاثون منها داخل الحرم الشريف ووضعت مائتان وأربع وستون فى خزينة حجرة السعادة داخل صناديق.

٣٩ سلسلة فضة ـ هدية من خديجة سلطان كريمة حضرة السلطان مصطفى خان الثانى ابن السلطان أحمد خان الثالث وكتب عليها اسم المشار إليها.

١٥ سلسلة فضية ـ مقدمة من قبل شيخ الحرم الأسبق حافظ عيسى آغا.

٢١ سلسلة فضية ـ وقف من عنبر آغا شيخ الحرم الأسبق.

١١ سلسلة فضية ـ قدمت من قبل وكيل الخزانة على جوهر آغا الإبرى.

٥٠ سلسلة فضية ـ قدمت من قبل مصطفى بن رجب آغا.

٧١ سلسلة فضية ـ واقفوها غير معروفين.

٧٥ سلسلة ذهبية ـ قدمت من قبل السلطان محمود خان الثانى وخاصة بالقناديل المعلقة فى حجرة السعادة.

(٤) أكرة رأس الشبكة ـ هدية السلطانة «برتوبياله» والدة المرحوم السلطان عبد العزيز خان أوجهها ذات رسوم نصف قمر وأطرافها مزينة بماس برلنت ومصنوعة من فضة خالصة وموضوعة على زوايا صندوق قبر والدتنا فاطمة (رضى الله عنها).

(٢) وفى بيفم القدس من حكام الهند من فضة خالصة وهى شكل دبوس «آلة حرب» وفى ثقل مائة وتسعين درهما.

(١) رأس راية وقف بيفم القدس كذلك وهو من فضة فى رسم كف «المخلب» وهو فى وزن مائتين وأربع وعشرين ونصف درهم.

(١) خاتم ورد واقفه مجهول وهو مصنوع من سبع قطع من الماس وحجرين من الفلمنك وفى وسطه قطعة ماسة برلنت ذات خمسة قراريط وأطرافها مزينة بتسعة أعداد من قطع الماس «برلنت»[١] ذات أحجام صغيرة وكبيرة.

(١) إبر مجوهرة هدي السيدة الثانية خوشيار من حرم السلطان محمود خان الثانى ذات خمسة وثلاثين قيراطا مرصعة بأربعة أعداد من ماسة «برلنت» وسطها مزين بحجر ذات قيراطين ونصف قيراط وعلى شكل زهرة.

(١) إبر مجوهرة هدية فاطمة هانم المتواضعة زوجة عبد العزيز بك من ضباط دار الهندسة السلطانية مزينة بحجر «روزه» وعلى شكل نجمة.

(١) إبر مجوهرة وقف السيدة نورس زوجة المرحوم نافذ باشا ناظر المالية الأسبق

(١) يقال لدى الصياغ على الدرجة الأولى من ما س(برلنت) لوندره أو إنجلترا وعلى الدرجة الثانية منه قراوانة.

وهى فى ثقل ثمانية عشر قيراطا ومزينة بحجر من الماس ومصنوعة من الفضة وهى فى رسم زهرة من تسعة فروع.

(١) إبر مجوهرة قد قدر من طرف نيبة هانم والدة والى مصر الأسبق المرحوم عباس باشا، قد ركبت قطعة ماس برلنت على فضة وفى رسم زهرة.

(١) زهرة من الماس أرسلت من قبل بفم القدس من حكام الهند ذات شراشيب بثلاثة عشر صفا من اللؤلؤ وما بين اللآلئ وأطرافها مشغول بقطع من الزمرد وأعاليها مشغولة بقطع واحدة من حجر الياقوت كما أن لوحتها قد شغلت فوق مينا خضراء بماس هندى وسرتها مزينة بماسة برلنت لوندريه فى زنة قيراطين ونصف قيراط وموضوعة فوق أوراق زمردية فهى تحفة بديعة المنظر.

(١) دبوس مجوهر (بروش) قد أرسل ليعلق على صندوق قبر السيدة فاطمة ـ ـ رضى الله عنها ـ والدتنا من قبل الحاضنة الخازنة شمس وهو أثر نادر قد زين وسطه بحجر زمرد كبير الحجم وحول هذه الزمردة زهرة ذات أربعة أوراق صغيرة وخمسة أوراق كبيرة وجهة الزهرة اليمنى ذات أوراق كبيرة وصغيرة وأعلاها على شكل برعم الورد ومتشعب على ثلاثة أفرع من الذهب ومزين بماسة لوندره ذى مقبض مرصع وقطعته كبيرة طبيعية.

(١) إبرة مجوهرة مرسلة من طرف مدير نواب سلطنة السلطان مراد ميرزا من أتباع الإيران لتعلق على صندوق والدتنا المشار إليها مزينة بحجارة ذات ثقل قيراطين ونصف من ٦٨ عددا من حجارة روزه.

(١) اللوحة المجوهرة هدية علية لحضرة صاحبة البر والإحسان السلطانة عالية الشأن الزوجة الجليلة للمرحوم محمد على باشا قبطان البحر الأسبق وكريمة السلطان محمود خان الثانى جعل مثواه الجنة قد صنعت السلسلة التى ستعلق بها من الفضة وعلى زواياها الأربع زهرة مزخرفة بماس برلنت وكتب بديباجتها لفظ الجلالة بخط نفيس على حجر منحوت من معدن النجف الذى

يظهر فى الجبل الأحمر بالمدينة، وقد رصعت أطراف هذا الحجر باثنى عشر عددا من الياقوت الأحمر وأطراف هذه اليواقت زينت بقطع ماسات كثيرة وذيلها مرصعة بجواهر البرلنت بعض أبيات فى رثاء كما زين أسفلها.

(٢٢) لوحة الحلقة الشريفة أهديت من قبل السيدة نوفدان من حريم السلطان محمود خان الثانى أطرافها مزخرفة ذات إطار فضى وداخلها مشغول باللؤلؤ وبالخيوط الذهبية على المُخَمَّل الأخضر وظهرها مصنوع من الفضة ومزخرف، كبيرة الحجم وعليها صورة الشمس وجهاتها الأربعة ذات قضبان فضية وفرقها مزينة بيرلنت لوندره حيث رسم اسم النبى ﷺ.

في ذكر وتعريف أطقم البخور والسكات من الفضة والذهب والمحفوظة في داخل الحجرة المعطرة والتي تخرج كلما اقتضت الحاجة إليها.

عــدد

(٣) أدوات البخور المجوهرة واقفها مجهول، مصنوع من الذهب المجرى وأوراقها التي تحت قنينة الماء وأعلاها مزينة ببرلنت قراوانة في وزن خمسة وعشرين قيراطا وتتكون من ٣٩٥ درهم من الذهب وإحداها قنينة ماء والثانية مجمرة والثالثة صينية.

(١) قنينة ماء من الذهب وقف السيدة خوشيار من حريم السلطان محمود خان الثاني وسطها ربطت بستارة من برلنت والورقة السفلية من أعلاها ذات أزرار من برلنت ومجموعها معمول من أربع وثمانين درهم من الذهب وهي منقوشة بمهارة.

(١) مجموعة ذهبية هذه أيضا هدية المشار إليها وهي ذات أربعة أرجل وأطرافها ذات نقش ملتو أسود وموضوعة على صينية ذهبية ومصنوعة من ٢٠٣ درهم من الذهب وأوراق أزرارها مزينة ببرلنت قراوانه وهي ذات منظر عجيب وغاية في الجمال.

(١) عُلْبَة بخور مجوهرة هدية لا نظير لها للسيدة خوشيار من حريم السلطان محمود خان الثاني والتي صيغت من الذهب ذات تسعة وثلاثين درهما وزينت العلبة من فوقها باثني عشر عددا زنة كل واحد منه في ثقل وزن حبة ونصف حبة من حبات القمح كما زينت أطرافها ببرلنت في ثقل ثلاثة عشر

قيراطا من برلنت شبيه بكثير من طوباج[1] وداخل غطائها مزين بمينا ذى لون لطيف وخارج الغطاء ذات أرضية وردى اللون وعليه رسم موقع رأس الرأى فى إستانبول.

(٥) مجموعة البخور مع الصوانى.

الذهب	عدد	
٧٠٧	١	صينية طولانية.
٢٨٦	١	قنينة ماء مع قاعدة ذات قوائم أرجل القواعد.
٤١٧	٢	مبخرة مع قواعدها ذات قوائم ذات مينا.
٧٦	١	مبخرة مع قاعدة من الساج خشب ساج.
١٤٨٦	٥	

وتلك الأشياء الغالية ذات مينا خضراء ولازوردية وأزهار منسوجة وهى مصنوعة فوق الذهب وكلها فوق صينية طولية مزينة بمينا أزرق غليظ ومهداة من طرف كلزار هانم والدة المرحوم إلهامى باشا بن عباس باشا والى مصر الأسبق.

(٤) مباخر وقنينة ماء من الذهب.

الذهب	عدد	
٣٧٠	١	مبخرة مع.
١١٢	١	قنينة ماء جميلة.
١١٠	١	قنينة ماء منقوضة.
٣٧٦	١	مبخرة.
٩٦٨	٤	

الأشياء النفيسة المذكورة أهديت وعرضت من قبل خديجة سلطان كريمة المرحوم مصطفى خان الثانى.

(١) الطوباج: نوع من الجوهر يشبه النجف، أبيض اللون.

(٢) قنينة ماء ومبخرة من الذهب هدية والى مصر الأسبق المرحوم عباس باشا موضوع على منضدة ذات قوائم ذهبية وأرضية مينا وردية اللون وأعاليها ذات أوراق ذهبية من مينا وأسافلها ذهب على أرضية ميناء أزرق.

(٤) قنينة فضية ومبخرة.

٢ قنية ذات قوائم وأوراق ٢ مبخرة ذات منضدة ٤	الأشياء النفيسة التى ذكرت قدمت فى عام ١٢٧٤هـ من قبل برستو قادين الرابعة من الحرم السلطانى للمرحوم السلطان عبد المجيد خان.

(٤) قنينة ماء ومبخرة من الفضة

٢ قنينة ذات قوائم وذات أوراق ٢ مبخرة ذات منضدة ٤	قد أهديت الأشياء المذكورة من قبل والده المرحوم السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٧٤هـ ومصنوع من فضة خالصة.

(٢) قنينة ماء ومبخرة من الفضة

١ قنينة ذات قوائم وأراق ١ مبخرة ذات منضدة ٢	هدية شايسته هانم الثالثة من حريم السلطان عبد المجيد خان من الفضة ومزخرفة وكبيرة الحجم.

(٤) ٢ قنينة ماء

٢ مبخرة ذات منضدة ٤	هدية خوشيار هانم من حرم السلطان محمود خان الثانى

(٤) قنينة ماء ومبخرة

١ صينية من الفضة ١ مبخرة كبيرة ذات منضدة ٢ مبخرة صغيرة ذات منضدة ٤	من تبركات النفيسة رأفت هانم من حريم السلطان سليم خان الثالث.

(١٠) قنينة ماء ومبخرة من الفضة.

٤ مبخرة كبيرة أغطيتها مزينة ٢ قنينة ماء بالورد ٤ شمعدان بخور صغير إلى حد ما والمباخر مزخرفة وأسفلها ذات طرة مزدانة بالجوهر وذات أوراق سداسية.	هدية جليلة تفضلت بإهدائها إلى الروضة المطهرة فى عام ١٢٧٤هـ عادلة سلطان صاحبة البر والإحسان كريمة المرحوم السلطان محمود خان.

(٢) قنينة ماء ومبخرة من الفضة.

١ قنينة ماء كبيرة ١ مبخرة حدما ٢	هدية قدمتها ذواقة الطعام المعلمة لبابه فى عام ١٢٤٠هـ صناعة قديمة ومنقوشة.

(٢) قنينة ماء ورد ومبخرة من الفضة.

١ قنينة ماء ١ مبخرة ٢	هدية زوجة أمين المعادن حافظ مصطفى باشا خواجة أمنية هانم وذات صنع قديم.

(٢) قنينة ماء ومبخرة من الفضة.

١ قنينة ماء ١ مبخرة ٢	مجهولة الواقف على شكل الفستق وشم عادى.

(٤) قنينة ماء ورد ومبخرة من الفضة.

٢ قنينة ماء ورد ٢ مبخرة ٤	وقف من فاطمة قادين وهى صغيرة الحجم

(٣) قنينة ماء ورد ومبخرة. ٢ قنينة ماء ١ مبخرة ٣	وقف بسيم أغا المصاحب صغير الحجم
(٢) قنينة ماء ورد ومبخرة ١ قنينة ماء ١ مبخرة وذات صنع قديم ٢	وقف سنبل أغا رئيس أغوات السلطانة هبة الله.
(٢) قنينة ماء ورد ومبخرة ١ قنينة ماء ١ مبخرة ٢	واقفها غير معروف ذات صناعة هندية كبيرة طويلة وأسفلها مصنوع من الفضة.
(١) ومبخرة من الفضة ١ مبخرة عنبر	أهدى فى سنة ١٢٣٥ من قبل على أغا رئيس الحلاقين ذات طرز قديم فى الصنع.
(١) مبخرة من الفضة ١ مبخرة كبيرة	واقفها غير معروف ذات صنعة قديمة
(١) مبخرة من الفضة ١ مبخرة صغيرة	واقفها مجهول ذات صنعة قديمة.
(١) مبخرة فضة ١ مبخرة	قدمت من طرف الحاضنة كلفرين صغيرة الحجم وقديمة الصنع.
(١) مبخرة فضية ١ مبخرة	واقفها مجهول ذات صنعة قديمة وبدون غطاء.

(١) مبخرة ذهبية

١ مبخرة	مصنوعة من ذهب مشبك وقف لأزاد على محمد بك مدير أعمال والى مصر الأسبق محمد على باشا.

(٤) ومبخرة وقنينة ماء من الفضة

٣ مبخرة	أغا باب السعادة محمد طيفور أهداها سنة ١٢٦٠ صغيرة الحجم ومزخرفة بالذهب.
١ قنينة ماء	
٤	

(١) مبخرة من الفضة

١ مبخرة	واقفها غير معلوم

(١) علبة بخور فضية

١ علبة البخور	واقفها غير معروف

(١) شمعدان البخور من الذهب هدية السلطان مراد خان الرابع بن السلطان أحمد خان الأول مصنوعة من الذهب موضوعة فوق منضدة ذات ثلاث قوائم ومصنوعة من تسعين مثقالا من الذهب ومشجرة ذات تسعة فروع.

(١) تعليقة بخور من الفضة واقفها غير معروف وهى ذات زخرفة ذهبية وسلسلة فضية.

(١) تعليقة بخور من الفضة أرسلت من قبل رئيس الخزنة فى سنة ١٢٤٠هـ وهى مجهولة الاسم ذات نقوش ذهبية مشبكة على طرز قديم وذات سلسلة فضية.

(١) تعليقة بخور فضة أرسلت من قبل السلطان عبد الحميد خان الأول فى سنة ١١٩١هـ ذات سلسلة فضية وزخرفة ذهبية وصناعة دار سك النقود السلطانية العامرة.

(٤) مباخر فضية ومناضدها

٢ مبخرة ٢ منضدة ـــ ٤	الهدية التى عرضها الهندى حبيب فى سنة ١٢٧١هـ صناعة هندية ذات غطاء مشبك وذات مقبض داخلها ومكان نارها فى غاية الدقة فى الصنعة.

(١) مبخرة فضية غير معروفة الواقف على شكل شمعدان

(١) تعليقة مبخرة ذهبية كذلك واقفها مجهول ذات ثلاث سلاسل ذهبية وفى ثقل ٦٨٤ درهما وعلى شكل تعليقة القهوة.

(١) مبخرة فضية واقفها مجهول أيضا وهى على شكل فانوس توضع على القاعدة ومصنوعة من الفضة مشبكة، وأعلاها نجف على شكل اسم (على) ومزينة بقطع الماس الصغيرة وفى غاية الغرابة.

(١) علبة خشب عود مصنوعة من الفضة هدية من نقش فلك هانم وهى ذات مقبض منقوش.

(١) علبة بخور واقفها مجهول وهى مصنوعة من الخشب العادى وهى ذات غطاء من الفضة.

(١) طبق بخور من الفضة أهدى من قبلالرستو هانم فى عام ١٢٧٤هـ وهى من الحرم السلطانى للمرحوم السلطان عبد المجيد خان وهو صغير الحجم.

(١) صينية بخور من الفضة وهى ذات قطعة متوسطة تم تقديمها من قبل فاطمة هانم زوجة المرحوم طوسون باشا شيخ الحرم الأسبق.

(٤) صينية بخور من الفضة من الهدايا التى أرسلت فى عام ١٢٧٤هـ من قبل عادلة سلطان كثيرة البر والإحسان كريمة السلطان محمود خان الثانى واثنتان منها صغيرة والأخرى متوسطة.

(١) صينية بخور من الفضة هدية من السيدة شايسة وهى من حريم المرحوم السلطان عبد المجيد وهى طولية الشكل.

(١) صينية بخور من الفضة وهى هدية من بروتوبيالة سلطان والدة المرحوم السلطان عبد العزيز خان وهى مربعة طولية ولونها أبيض وذات مقبض.

(١) صينية بخور من الفضة وهى هدية من السيدة برستو من الحرم السلطانى للمرحوم السلطان عبد المجيد خان ولونها أبيض وذات مقبضين.

(١) جاروف نار فضى من أجل البخور هدية من إحدى حريم السلطان عبد المجيد وواحد منها مشبك جميعه وواحد منها فتحته الأمامية مشبكة ومذهبة والآخر بدون مقبض ومكسور.

فى ذكر تفصيل الشمعدانات والأشياء الأخرى المحفوظة فى داخل حجرة السعادة جنسها ومقدارها والتى تستخدم كلما دعت الحاجة إلى استعمالها.

(٢) شمعدان من الذهب.

١ شمعدان مع مكان للشمع	هدية والدة السلطان محمود خان الثانى
١ مائدة الشمعدان	ذات قطعة متوسطة وقد صنع مع مائدته
٢	من الذهب.

(٢) شمعدان ذهبى ذات قطعة متوسطة وهما شمعدانان متوسطان للحرم أرسلا من والى مصر الأسبق محمد على باشا مصنوعان من الذهب ويجهل مكان شمعة أحدهما.

(١٢) شمعدان ذهبى مجوهر مع فتحة شمعدان ومنضدة وشمعدان

٢ شمعدان ١ كبير

١ وسط

٢

٢ شمعدان

٤ منضدة لفتحة الشمعدان محفورة أطرافها على شكل صينية

٢ قمع شمعدان

١٠

٢ قمع الشمعدان المزخرف على شكل صينية هدية المعلمة شوق نهال الخازنة.

١٢

وقد أرسل إضافة إلى القمعين اللذين سمحا بإرسالهما للمعلمة شوق نهال، عشرة أطقم من الشمعدانات كاملة من طرف والد الخليفة كثير المحامد السلطان عبد المجيد خان.

وكانت الشمعدانات مزينة (١٦٢٨٢) بعدد من حجارة برلنت وقد رتبت ورصعت على شكل جميل وتكلف صنع هذه الشمعدانات مائة وخمسين ومائة ألف من قطع الذهب المجيدية من ذات فئة مائة مجيدية كل قطعة، ويروى أهل المدينة ويبينون أنهم لم يروا إلى ذلك الوقت شمعدانا أرسل إلى الحجرة المعطرة فى هذه القيمة الباهظة. وقد أوصلت هذه الشمعدانات خلال سنة (١٢٧٤هـ) إلى المدينة المنورة حيث كان فى استقبالها جميع رجال الدولة والحكومة وكبراؤها وكان استقبالا رائعا فوق العادة، ووضع أحد الشمعدانات فى نقطة محاذية للرأس النبوى الشريف والآخر فى نقطة محاذية لقدمى النبى الشريفين.

وقد أحضر تلك الشمعدانات أمير آلاى إبراهيم بك من رجال القصر السلطانى، ولما كان إبراهيم بك يستعد للسفر إلى المدينة استدعاه السلطان عبد المجيد وأمره بأن يقول عندما يقف أمام النبى ﷺ رسول الله!! إن هذه الأشياء هدية من أحد أفراد أمتك المذنب عبد المجيد ويرجو أن تتلطف بقبولها، وهذا ما حكاه المشار إليه بذاته.

(٨) مع طقم الشمعدان الذهبى.

٢ شمعدان

٢ منضدة متوسطة القطعة

٢ منضدة ذات قطعة كبيرة

٢ منضدة جلدية فى قطع كبيرة

٨

إن هذه الهدايا ذات ثمانى قطع مرسلة من قبل السلطان محمود خان الثانى

وكل الشمعدانان من قطعة متوسطة ومصنوعة من الذهب الخالص ومن شمعدانات المحراب وكان يوضع أحدهما على رأس النبى والآخر على قدمى النبى ﷺ ويوقدان فى الليالى من قبل شيخ الحرم أو نائبه كما أنهما كانا يرفقان بواسطتهما.

(٤) شمعدان من الفضة ورحلة

٢	شمعدان	أهديت من قبل السيدة إينجو زوجة والى مصر الأسبق المرحوم سعيد باشا.
٢	رحلة	

(٥٥) شمعدان وقمع فضى ونحاس.

فضـة		نحاس		
٢٨	شمعدان البخور	١٠	شمعدان	نقوشها البارزة من النحاس
٧	منضدة فضية	١٠	منضدة جلدية	
٣٥		٢٠		

وهذه الأشياء من وقف المرحوم السلطان أحمد خان الأول وهى صنع قديم ومزخرف وكتب فوق الطغراء هذه العبارة وقف حضرة السلطان أحمد خان فى المدينة.

(١) المبخرة ذات تعليقة من فضة

١	مبخرة ذات تعليقة ٧٥٢	وقف السلطان عبد المجيد خان مزخرفة ذات أربع سلاسل فضية

(١) مبخرة فضية

١	مبخرة ٢١٠	هدية سنية من السيدة لطفيار الثانية من الحرم السلطانى للمرحوم السلطان عبد المجيد فى عام ١٢٨٤هـ وهى مصنعة بالنقوش ذات قبة مستديرة ذات ستة ثقوب وزواياها مدموغة وفوق منضدتها كتب اسم من وقفتها.

(١) مبخرة فضية — هدية شوق أفزا هانم من حرم السلطان محمود خان الثانى

(٢) مبخرة — من الفضة وذات زخارف وحول منضدتها ٩٦٠ مشبكك وذات قوائم ثلاث على شكل خرشوف لها نجفة مجدولة.

(٦) مبخرة وقنينة ماء فضيتان

عـــدد

٦٤٠ ٥ ٤ مبخرة كبيرة وقف عادلة سلطان كريمة المرحوم السلطان محمود
١ ٢ قنينة ماء السلطان محمود خان الثانى قد سطر ٢٢٣ ٦ ٦
فوقها من خيرات السلطانة خيريه.

(٢) المنضدة مع شمعدان فضى

٢ المنضدة وشمعدان — أهدى من قبل الخليفة واضح الشرف السلطانى سنة ١٢٩٤هـ بعلم نائب الحرم على أن يوقدا ليلا ونهاراً مناوبة فى داخل الحجرة المعطرة النبوية.

(٢) شمعدان فضى

٢ شمعدان ذات قطعة متوسطة بدون منضدة كتب عليـه (مـن خيرات المرحوم محمد على باشا سنة ١٢٨١هـ).

والحقيقة أنه مع عدم وجود إشارة خاصة فإنه مأمول أن تكون هذه الهدايا قد أرسلت من قبل زوجته الجليلة إذ كان الباشا المشار إليه قبطان البحار الأسبق.

(٢) شمعدان فضى

٢ شمعدان محراب كبير هدية والى مصر محمد على باشا قد حكت عليهما عبارة العبد المذنب محمد على والى مصر سنة ١٢٢٨هـ).

(٧) شمعدان فضى

٧ شمعدان كبير ذات قمع هدية والى مصر الأسبق المرحوم عباس باشا قدمت سنة ١٢٦٨هـ.

(٢) منضدة شمعدان فضية

٧ منضدة شمعدان هدية السلطان عبد المجيد خان المرحوم ذات غلاف خشبى وقدمت خاصة للمشعدانات السبع التى بعثها عباس باشا والتى ذكرت سابقا.

(١) شمعدان فضى

١ شمعدان متوسط القطعة هدية زوجة والى مصر الأسبق محمد على باشا أمينة هانم صنعته قديمة وذات مناضد تحت مكان وضع الشموع.

(٢) شمعدان فضى منضدة ذات مسامير من نحاس أصفر.

٤ شمعدان ذات قطعة كبيرة مجهول الواقف مصنوع من الفضة اثنان بدون منضدة منقوش ذات فتحات وأماكن للشموع.

٢ منضدة ذات مسامير من نحاس أصفر.

(١) شمعدان من الفضة هدية من السيدة خوشيار وهى من الحرم السلطانى للمرحوم السلطان محمود خان الثانى وهى ذات ثلاثة أماكن للشموع ومنضدته قطعة واحدة معه وذات مجرى من الفضة وهى فى قطعة متوسطة.

(١) شمعدان من الفضة أهدى من قبل رقيقة هانم سنة ١٢٤٣هـ زوجة المرحوم عثمان باشا ابن أمين مخزن والى طربزون أسفله من الفضة وأعمدته من النحاس الأصفر.

(١) شمعدان من الفضة واقفه غير معروف وهو فى قطعة واحدة متوسطة صناعة قديمة ذات أماكن للشموع.

(٢) شمعدان للبخور الهدية التى قدمها على أغا رئيس الحلاقين فى سنة ١٢٣٥هـ.

(١) شمعدان فضى قدم تبركا من قبل سارة هانم الكلكشلى سنة ١٢٤٧هـ.

(٣) شمعدان فضى مصنوع من فضة صناعة قديمة مجهول الواقف.

(١) شمعدان فضى مجهول الواقف صغير الحجم صناعة قديمة.

(٢) شمعدان فضى.

١ ذات قطعة متوسطة هدية والى مصر الأسبق محمد على باشا

١ ذات مسامير فضة ينقصه المسماران

منضدة قديمة الصنع

(١) شمعدان فضى مجهول الواقف مصنوع من الفضة ذات أماكن للشموع وذات نقوش ذهبية.

(١) شمعدان من طومباق مجهول الواقف ومصنوع من الطومباق.

(٢) مقراض شمع من الفضة هدية من أمينة هانم زوجة المرحوم محمد على باشا والى مصر الأسبق وهما مصنوعان من الفضة الخالصة.

(١) مقراض شمع من الفضة واقفه مجهول وهو مصنوع فى رسم الطائر.

(٢) مقراض شمع من الفضة.

١ مقراض مغلفان بفضة واقفاهما مجهولان.

١ منضدة

(٢٧) ممسكة فتيلة القنديل الفضة واقفها مجهول وذات ثلاث قوائم مصنوعة من الفضة.

(٢) مزيتة أهديت من قبل الحاج إسماعيل بن الحاج حبيب سيد مشبكة وطولية ومربعة قد رصعت أطراف خزينتها بأربعة أوراق فى شكل المكحلة ذات ميل فى حجم البندقة صنعت ذات قوائم مستديرة كروية.

(٢) شمعدان بخور من الفضة مجهول الواقف ثلاثى الوجه.

(٢) مبخرة وقنينة فضيتان.

عدد			
١	١٦٥	مبخرة	هدية نوفدان هانم من السراى
١	١٠٤	قنينة	وقدمت سنة ١٢٨٤هـ.
٢	٢٦٩		

(٢) قنينة ماء ذات جواهر مرسلة من طرف (نواب إسكندر بيغم) من حكام الهند عن طريق سيف الدولة على حسين خان، وهى مصنوعة مزينة بالماس والياقوت والهندى على مينا هندية الصنع خضراء ولازوردية وأحمر وفى أعلاها سبع زمردات صغيرة وياقوت.

(١) معطرة ذات جواهر والذهب مرسلة أيضا من قبل المشار إليه ومصنوعة من ذهب خالص والصينية التى تحتها ذات ميناء أخضر فاتح وأحمر هندى الصنع والميناء الأخضر والأحمر ذات أزهار وأطرافها من ميناء أخضر مشغولة بالماس وذات اثنتى وثلاثين ورقة مرصعة ومكان العطر مشغول بماس هندى فوق مينا لازوردى وعلى شكل شجرة كبيرة.

(٢) قنينة ماء ومبخرة فضيتان.

١ قنينة بالغطاء هدية زوجة أمين بك كاتب القصر السلطانى.

١ مبخرة الأول فتحتها لوذى الشكل وأطراف صينيتها ذات نقوش بارزة محفورة وغطاء المزيتة ذات أزهار وذات مقابض وبعض أجزائها مزخرفة.

(١) المزيتة الذهبية هدية عبد بواسع خان الشهم قد ثبتت فوق صينيتها وغطاؤها ذات سلاسل ومصنوعة من ٦٣ مثقال من ذهب.

(٢) مبخرة فضية مرسلة من قبل الشريفة زبيدة هانم وقد صنعت من ٥١٦ درهم

من ذهب خالص، وهى حليلة تحسين بك من أعضاء ديوان المحاكمات الأسبق. وذات صينية وحولها مشغول بقلم فنان وفوقها المبخرة التى ستوضع عليها خشب العود، ذات ثلاث قوائم كمثرية الشكل، وأعلاها ذات أوراق صغيرة وذات بروز فستقى، وبعض أماكنها مزخرفة.

(٢) قنينة ماء ورد، وهما كذلك مرسلتان من قبل زبيدة هانم، وهما من الفضة الخالصة، ويزنا ٣٢٩ درهمًا، وهما على شكل كمثرى، وعليها نقوش وزخارف بالذهب.

(١) مبخرة من الفضة وهى مرسلة من قبل شب اهنك قادين أفندى، من الدائرة السلطانية للسلطان عبد العزيز خان رحمه الله وتزن ٣٣٢ درهما ولها قاعدة من الفضة ومقبض وموقدها كذلك من الفضة.

(١) مبخرة من الفضة وهى كذلك من إهداء المشار إليها وتزن ١٥٥ درهما وينحصر استخدامها على إحراق أعواد البخور.

(٢) علبتا بخور من الفضة هى وقف محمد كامل أغا غلام الباب الرئيسى لوالدة السلطان الرتونياله ومن حريم المرحوم السلطان محمود خان الثانى ومصنوعتان من ١٣٠ درهم من الفضة.

(٢) مبخرتان ذهبيتان أرسلا من قبل نواب رانبور كلب على خان من حكام الهند ومصنوعتان من أربعمائة وأربعين درهما من المعمول على طريقة هندية.

(٤) مقراض الشمع الذهبى.

٢ كبير واقفوها مجهولون داخل أحدها مغلف بالحديد.

١ وسط وواحد منها مكسور المقبض.

١ صغير

٤

(١) شمعدان من الفضة مصنوع من فضة النقود وهو ذو قطعة كبيرة.

(٣) شمعدان من الفضة وصينية

١ شمعدان كبير هدية نازلى هانم كريمة محمد على باشا والى مصر الأسبق ذات قطعة كبيرة.

٢ صينية من الفضة مبرزة

(٢) شمعدان من طومباق منقوش.

(٢) شمعدان مصنوع من حجر آسكى شهر.

(١) شمعدان مصنوع ومنقوش بخطوط سوداء.

(٤) شمعدان قديم من طومباق.

(١) شمعدان صناعة هندية مصنوع من الفضة.

(٢) شمعدان البخور مصنوع من النحاس.

(٢) شمعدان من الرجاجة من طومباق مصبوب.

(١) شمعدان بخور من النحاس الأصفر تذكار على أغا بن موسى.

(٢) كذلك تذكار سليم أغا من أدرنه.

(١) شمعدان بخور من النحاس الأصفر هدية أسعد أغا رئيس المدفعية.

(١) كذلك واقفه مجهول.

(١١) مقراض الشمع كبيرة وصغيرة واقفوها وأجناسها مجهولة.

(١) قنديل معلق هدية السيدة بسيمة زوجة ابن درويش باشا المتوفى إسكندر بك أسفله مصنوع من الفضة فى زنة ٢١ درهم مطوق وعليه نسج من السلك الأصفر والبلّور ذو سلسلة.

(٢) ثريا من البلور هدية الشيخة نورس زوجة وزير المالية الأسبق المرحوم نافذ باشا مشغول على بلور وردى اللون أزهار صفراء بالقلم ذات ثلاث عقد

وذات سلسلة وفوق السلاسل مغطى وحول أغطيتها والعقد علقت ثريات فى طول إصبع وعلى شكل زهرية.

(٢) شمعدان من الفضة مع مقراض.

١ شمعدان وقف محمد عادل والحاج حسين الهندى وتحت إدارة أمين مكتبة الروضة المطهرة النبوية على أن توقد فيها ٢ ٢٤٠٠جـ شمعدان من طومباق ١ متوسط القطعة رسم محمودى محل شموعه وذات ثلاثة نقوش

١ مقراض.

قنينة ماء ٥ من الطومباق ومزخرفة واقفاها مجهولان

(٢) خشب العود على دهن الورد

١ علبة خشب عود وقف عاصم بك بن راش جاويش.

١ علبة خشب دهن الورد مصنوعة بنوع من الزجاج.

(٤) إبريق ومقراض وإناء ماء

١ ٣٨٠ جـ هدية عبد الواسع خان ذات هيئة جميلة على طراز هندى.

٢ ٦٥ جـ شهابة منذ صيغ غطاء الإناء فى ١ ٨٥

١ ٨٥ جـ

* * *

فى تعريف الأشياء الفضية النفيسة ـ جنسها ومقدارها ـ المحفوظة فى خزينة الحجرة المعطرة الجليلة.

(٢) طست فضى وإبريق

١ إبريق أرسلت من قبل حليلة المرحوم طوسون باشا فى سنة ١٢٦٥هـ من

١ طست ذو غطاء آثار نفيسة منقوشة

٢

(٢) طست فضى وإبريق

١ إبريق هديـة أبى البركات الهندى من التبركات الهندية المرغوبة

١ طست ذو غطاء

٢

(٩) إبريق فضى وسطل

٣ إبريق زيت الزيتون من الآثار المبروكة التى تركتها خديجة

٦ سطل سلطان كريمة المرحوم السلطان مصطفى خان الثالث سنة ١٢٣٢هـ.

٩

(١) إبريق زيت زيتون مصنوع من الفضة وقف السيدة فاطمة دليزر فى سنة ١٢٣٢هـ.

(١) جاروف فضى مزخرف الهدية التى أرسلها المعلم جورى خازن السلطان محمود خان الثانى.

(١) جاروف فضى الهدية الغالية لوالدة المرحوم عباس باشا النيه هانم.

(٢) إناء مسك (مسكية فى زنة ثلاثمائة درهم) وقف رئيس أغوات عادله سلطان علية الشأن باسم أغا.

(٦) مسكية أهديت سنة ١٢٣٤ من قبل الحاج مصطفى رشيد أفندى.

(١) دواة فضية هدية السلطانة خديجة كريمة السلطان مصطفى خان الثالث.

(٢) رأس علم فضى تذكار من والى مصر الأسبق المرحوم سعيد باشا.

(١) رأس راية من النحاس الأصفر مجهول الواقف مزخرف.

(١٠) أكرة صندوق فضى.

٤ ذات فتحات ست على شكل كمثرى وقف المعلمة خديجة.

٦ هدية كريمة إبراهيم باشا صهر السلطان السيدة خديجة سنة ١١٦٣هـ.

١٠

(١) جاروف نار فضى وقف الشيخ حسن أغا.

(٣) قفل فضى معلق وقف السلطان أحمد خان الأول سطر عليه اسم المشار إليه.

(١) قفل فضى معلق القفل الكبير الذى أرسله السلطان محمود خان الثانى صنعته قديمة.

(١) قفل معلق فولاذى واقفه مجهول مصنوع من فولاذ قديم غاية فى الصنعة عليه زخارف ذهبية.

(٨) مفتاح فى داخل محفظة وهو صنع قديم واقفه غير معلوم.

(٢) علم من الفضة علم راية أرسل من طرف المرحوم السلطان محمود الثانى فى عام ١٢٣٢هـ.

(٥) منخل من الفضة.

جـ	عدد	
٥٢٠	١	خاص لنخل خشب الصندل هدية برتونياله والدة سلطان
٥٧٢	١	
٥٧٠	١	
٤٧٥	١	
٥٩٥	١	
٢٧٣٢	٥	

(٤) منخل من الفضة

جـ	عدد	
١٠٠	١	كبير إلى حدما خاص بنخل صندل حجرة السعادة
٩٥٠	١	مختلف وهى هدايا والدة سلطان برتونياله
١٣٥٠	٢	صغير
٢٤٠٠	٤	

(١٠) صينية مع غطاء من الفضة

٥ صينية تلك أيضا وقف المشار إليها

٥ غطاء مزخرف بقلم

١٠

(٤) طست مع غطاء من النحاس مزخرف

٢ طست كبير أرسلت من قبل المشار إليها أيضا

٢ غطاء ذو مقبض مثل ظهر السمك

٤

(١٠) صينية مع غطاء من الفضة

٥	صينية للصندل	أهديت من قبل السيدة برستو من الحريم السلطانى
٥	غطاء ذو قفص مزخرف	زوجة عبد المجيد خان سنة ١٢٧٤هـ.
١٠		

(٢) علم فضى أرسل من قبل السلطان عبد المجيد خان مصنوع من فضة خالصة مزخرف يوضعان على جهتى باب منبر السعادة فى أيام الجمعة مع رايتيهما.

(١٤) محاط فضى خالص لتعليق قناديل حجرة السعادة رءوسها ونهايتها بالفضة واقفوها غير معروفين.

(٤) طست فضى مع الكوب

٢	طست أوسط	خاص بغسل القناديل أهدتها زوجة السلطان سليم
٢	كوز	سليم خان الثالث الزوجة الرابعة

(١) مكنسة فضية مصنوعة من ٣٥٠ درهم من الفضة هدية والدة السلطان بورتونياله.

(١) مكنسة فضية مقبضها من الفضة أهدتها والدة والى مصر الأسبق عباس باشا النبه هانم سنة ١٢٦٦.

(٢) قدر فضى

١	قدر	خاص بإطفاء الشموع التى توقد فى حجرة السعادة ذات
١	قدر	مقبض وغطاء أهدى أحدهما من السلطان عبد المجيد
٢		خان والآخر من السيدة أروفتان

طاسة فضية ومجمرة نحاسية

١	طاسة من فضة رديئة
٦	مجمرة من النحاس واقفهما مجهولان
٧	

(١) إناء ماء فضى مجهول الواقف وعلى شكل فيل لهذا يحفظ فى دار خازن الحرم النبوى سالم أغا.

(٥) مقبض نحاس.

(١) زمزمية كبيرة من النحاس واقفوها غير معروفين.

(١) إبريق ذو زخارف من النحاس الأصفر.

(١) سطل من نحاس.

(٣) مجمرة مصنوعة من النحاس إحداها بدون مقبض واقفوها غير معروفين.

(١٨) قدر مصنوعة من النحاس من صنع هندى على شكل دلو.

فى تعريف وتفصيل الستائر والأغطية التى تغطى أبواب حجرة السعادة والمقامات المنيفة الأخرى مقدارها وأنواعها.

(١١) ستارة خاصة بأبواب الحجرة النبوية الشريفة وهى الكسوة العتيقة والستائر مشغولة بالخيوط الذهبية الثقيلة على أطلس أخضر اللون.

(٢) راية خاصة بمنبر السعادة مشغولة بخيوط ذهبية فوق أطلس ثقيل.

(١) ستارة هى الستارة القديمة الداخلية لحجرة السعادة قد شغلت على أطلس أخضر بألوان جميلة. صورة محراب وكتابات وأطرافها ذات شراشيب حريرية وبطانة ذات أطلس أخضر.

(٢) راية أرسلت من طرف المرحوم والى مصر سعيد باشا وهى راية المنبر الصغير وبها شغل فوق مخمل أخضر بخيوط ذهبية وذات بطانة أطلس أخضر.

(٢) ستارة من تبركات الباشا المشار إليه كذلك وهى ستائر حجرة السعادة الثلاث العتيقة وقد شغل رسم الشمس على أطلس أخضر وأطرافها ذات ذوائب من الحرير.

(٤٥) قطعة ستارة

(٣) ستائر للمحاريب الثلاثة.

(٥) ستائر للأبواب الشريفة.

(١) ستارة منبر النبى الشريف.

(١) ستارة المئذنة الرئيسية.

هذه هى التبركات النفيسة التى أرسلها السلطان عبد المجيد خان عليه الرحمة والغفران سنة ١٢٢٧هـ للمحاريب الشريفة والأبواب والحجرة المعطرة والشبكة المنورة والمنبر المنير المزهر خاصة، وهى مشغولة على أطلس بخيوط ذهبية ثقيلة.

(٢٨) ستائر شبكة حجرة السعادة.

(٤) ستائر نوافذ قدم السعادة.

(١) ستارة محراب التهجد فى داخل حجرة السعادة.

(١) راية منبر الشريف ٤٥.

(١) ستارة خاصة بصندوق قبر حضرة فاطمة (رضى الله عنها) وقد أرسلت كذلك من قبل سلطان السلاطين المشار إليه معلقة على شكل دانتيلا ومشغولة بخيوط ذهبية.

(١١) ستارة كبيرة وهى ستائر شبكة حجرة السعادة الخارجية وهى هدايا السلطان المشار إليه كذلك، وذات قماش من أطلس أخضر وذات صنف من الحرير المقصب بالفضة إن الستائر والكسى النفيسة قد قدمت قديما من جانب السلطان محمود خان الثانى صاحب المناقب العالية.

ولما كان السلطان عبد المجيد أهدى بعض التبركات من جديد صنعت الكسى القديمة فى خزينة حجرة السعادة وبناء على الأمر السلطانى أرسلت خمس قطع من الكسى القديمة بمعرفة يحيى بك الذى كلف بتوصيل الكسوة الجديدة إلى باب السعادة.

* * *

تبين وتعرض الشمعدانات والتعليقات والثريات أنواعها ومقدارها وأسماء مهديها وشهرتهم والتى وضعت وعلقت فى المحاريب الشريفة ومواجهة السعادة والروضة اللطيفة العالية.

(٤) شمعدان نحاس أصفر.

(٢) ذات قطعة كبيرة وهو شمعدان موضوع فى المحراب النبوى.

(٢) ذات قطعة صغيرة مصبوب ذات فتحات من النحاس الأصفر ووقف السلطان المشار إليه وهو فى المحراب السليمانى.

(٨) شمعدان من نحاس أصفر من وقف المغفور له السلطان المشار إليه وذات شمعة واحدة وأطرافه محاطة بالزجاج وموضوع فى الروضة المطهرة.

(٢) تعليقة فضية وقف بزم عالم سلطان والدة السلطان عبد المجيد خان وذات أربع شمعات ذات سلاسل مزخرفة متوسطة القطعة ومعلقة فى مواجهة السعادة.

(١) ثريا فضية ذات ست وثلاثين شمعة وذات فانوس معلقة فى المحراب العثمانى وذات قطعة كبيرة.

(١) ثريا فضية ذات ست وثلاثين شمعة وبدون فانوس ذات قطعة كبيرة معلقة فى جهة مواجهة السعادة.

(١) ثريا بلورية ذات أربع وعشرين شمعة بدون فانوس ذات قطعة كبيرة معلقة فى جهة قدم السعادة.

(١) ثريا بلورية ذات سبع وأربعين شمعة ذات فانوس وقطعة كبيرة معلقة فى داخل الروضة المطهرة.

كل هذه الثريات أهديت من والى مصر الأسبق عباس باشا وكانت شموعها ترسل من مصر حتى سنة ١٢٧٠هـ وبما أنها لم ترسل من بعد فنظم إرسالها من باب السعادة.

(١) ثريا بللورية وقف التاجر الهندى إبراهيم ذات فانوس وذات ثمانية شموع ومعلقة فى داخل الروضة المطهرة.

(١) شمعدان بللورى وقف والى مصر الأسبق عباس باشا على شكل شجرة ذات اثنتين وثلاثين شمعة وقطعة كبيرة ومعلقة داخل الروضة المطهرة.

(١) شمعدان بلورى وقف الباشا المشار إليه كذلك ذات ثمانى وعشرين شمعة على شكل شجرة معلقة داخل الروضة المطهرة.

(١) شمعدان بلورى كذلك وقف الباشا المذكور على شكل شجرة ذات ثمان وعشرين شمعة وذات قطعة كبيرة معلقة فى الحرم الشريف.

(١) شمعدان معدن وقف الشيخ الهندى التاجر إسماعيل ذات خمس شمعات على كرسى له ثلاث قوائم مصنوع من المعدن وذات فانوس وموضوع فى الحرم الشريف.

(١) ثريا بللورية وقف عبد الله افندى محافظ المدينة المنورة الأسبق وذات ست شمعات، وذات فانوس معلقة أمام باب الوفود.

(١) ثريا معلقة من البلور وقف من عبد الفتاح أفندى من تجار بيروت ذات شمعة واحدة ومعلقة داخل الروضة المطهرة.

(١) ثريا معلقة من البلور وقف التاجر الهندى الشيخ إسماعيل وذات اثنتى عشرة شمعة وذات فانوس معلقة أمام دكة الأغوات.

(١) ثريا من البللور وقف المشار إليه الشيخ أيضا وذات اثنتى عشرة شمعة وذات فانوس معلقة على شبكة قبر فاطمة (رضى الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها).

(١) ثريا من البللور كذلك وقف المشار إليه الشيخ وذات ثمانى شموع وذات فانوس معلقة على باب المئذنة الرئيسية.

(١) ثريا من البللور وقف الشيخ المشار إليه كذلك وذات سبعة شموع وفانوس معلقة فى جهة المحراب العثمانى.

(٢) ثريا من البللور كذلك وقف الشيخ المشار إليه وذات فانوس معلقة فى باب السلام.

(١٦) ثريا من البللور وقف الشيخ المشار إليه وذات سبعة وثمانين قنديلاً بللوريًا معلقة فى جهات الحرم الشريف المتعددة.

(٢) ثريا من البللور إحداهما ذات شمع والأخرى ذات قنديل بللورى، معلقتان فى آخر حرم السعادة مجهول الواقف.

(١) تعليقة فضية وقف أسماء هانم ذات ستة فروع وعلى كل فرع سلسلة مدلاة وذات قطعة متوسطة معلقة فى مواجهة السعادة.

(١) ثريا بللورية أرسلت من قبل حاكم بسيلة فى بلاد الهند مير خان، مصنوعة من ألف ومائة وخمسين درهما أى من اثنتى عشرة أوقية وسبع وخمسين وثلاثمائة درهم من فضة خالصة ذات ست عشرة شمعة ومعلقة أمام باب الوفود.

(١) ساعة كبيرة هدية السلطان عبد العزيز خان ومركوزة فى دكة الأغوات.

(١) ساعة كبيرة هدية والدة ملك الملوك المشار إليه برتو نياله السلطان موضوعة أمام محراب مقابل دكة الأغوات وفى اتصالها.

خلاصة

عدد القناديل والشمعدانات التى توقد كل ليلة فى مسجد السعادة ثمانمائة وستة وخمسين عددا منها قناديل كروية بطيخية الشكل ومائة وأربعة عدد من نحاس أصفر وواحد وعشرون شمعدانًا فضياً وكبيرًا وثمانية وثلاثة شمعدانات كبيرة ذهبية واثنان منها مجوهران فيبلغ عددها كلها إلى ١٠٦٦ شمعدان، إلا أن القناديل والشمعدانات التى توقد فى ليالى الإحياء ورمضان فى جوانب مسجد السعادة الأربعة خارجة عن عدد القناديل التى ذكرت.

والذين نذروا زيارة المسجد الحرام مترجلين فسبب وجوب الوفاء بنذرهم كون المسجد الحرام من مصادر المناسك.

ولما كان المسجد النبوى يحتوى على مرقد السعادة الجليل الذى يفضل الكعبة

المعظمة والمسجد الأقصى فالذين ينذرون زيارة المسجد النبوى ولابد أن فى نيتهم الخالصة زيارة قبر الرسول ﷺ ومن هنا كان الوفاء بهذا النذر ألزم وإن كان الأئمة قد اتفقوا فى الوفاء بنذر زيارة الكعبة المعظمة إلا أنهم اختلفوا فى الوفاء بنذر زيارة مسجد الرسول والمسجد الأقصى وهذا الاختلاف من حيث الزيارة فالذين ينذرون بزيارة قبر السعادة يقتضى عليهم الوفاء بنذورهم.

مسألة

استفتى الشيخ أبو محمد بن أبى زيد عن الشخص الذى أخذ نقودًا ليحج نيابة عن الشخص الآخر الذى اشترط زيارة مرقد السعادة، فأوفى بالحج ولكنه لم يستطيع أن يزور قبر الرسول لبعض الأسباب وعاد فهل يلزم لهذا الشخص أن يرد النفقات التي أخذها للزيارة لصاحبها؟ وقد أفتى الشيخ ابن زيد بأنه يقتضى إعادة ذلك المبلغ ورده.

إخطار

وإن كان يلزم أن يعرف صورة اتخاذ النبى ﷺ وسيلة لأننا ذكرنا ذلك مع آداب الزيارة وشروط المجاورة فى خاتمة الكتاب، ولم نر أن الحاجة تمس إلى ذكر ذلك وتفصيل فوائده إلا أننا خفنا التكرار.

قطعة

إنه وقت الصلاة والسلام وقد بلغ الفصل للنهاية
لأن التحية حسن الخاتمة لهذا الفصل
قد اعتاد القلب حسرة الوصل بغتة
فالفم والابتهاج رفقاء صحبته دائما
فليؤثر الله ورضاه دائما بالصلاة
حتى إن فهم مقدارها خاص بحضرته

* * *

موسوعة

مرآة الحرمين الشريفين

وجزيرة العرب

صنفها باللغة التركية العثمانية

أيوب صبري باشا

(المتوفى سنة ١٢٩٠هـ/١٨٩٠م)

أشرف على ترجمتها

الدكتور محمد حرب

الجزء الرابع

دار الآفاق العربية

طبعة

١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

دار الآفاق العربية

القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع الطيران) - مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ٧٤٢٢/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 344 - 086 - 9

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

: ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤١ - ٨٣٣٨٢٤٢

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

مرآة مكة والمدينة وجزيرة العرب

قام بترجمتها

الدكتورة ماجدة مخلوف

الدكتور حسين مجيب المصري **الدكتور عبد العزيز عوض**

راجعها على نصها العثماني

أديب عبد المنان **على أوزلى**

راجعها وأعدّها للنشر

محمود جيرة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجهة الحادية عشرة

تحتوى على صورة واحدة

وفيها يذكر ويفصل تحويل سقف حجرة السعادة إلى قبة

وتجديد مربع القبر المبارك والأشكال الخمسة لحجرة السعادة

وصب حائط من الرصاص حول القبر النبوى الجليل

وجناية محاولة نقل النعوش الثلاثة المباركة المقدسة إلى

قاهرة مصر فى عهد العبيديين

فى تعريف هيئة الحجرة المعطرة النبوية بعد أن تحول سقف الحجرة إلى قبة بعد تجديد مربع قبر السعادة وتعميره

أبلغ السلطان قايتباى المصرى قبل الحريق الثانى بقليل أن مسجد السعادة وخاصة أسطوانة صندوق القبر فى حاجة إلى التعمير، وأرسل المشار إليه شخصًا يسمى شمس الدين بن زمن بعد أن عينه أمينًا للبناء إلى المدينة المنورة ليسوى قطع رخام الحجرة المعطرة بعد أن يصلح أسطوانة الصندوق الشريف التى انشقت بعد أن أمده بمال كاف وذلك فى سنة ٨٨١هـ.

وبناء على التعليمات التى تلقاها شمس الدين بن زمن عاين حرم السعادة، وجدد أساطينه ورمم أسطوانة الصندوق الشريفة بإنقاص إحدى أسطوانات مسجد قباء، ورفع قطع الرخام التى على أرضية الحجرة المعطرة من الزاوية الشمالية للجدار الذى أقامه عمر بن عبد العزيز إلى زاوية الجدار الشرقية.

وبينما كان ينزل كسوة القبر وجد فرجة فى الجدار السابق الذكر مغطاة بالطوب اللبن وصبغت بمونة من الجص وأمر بفتح هذه الفرجة بقصد كشف ما بين الجدارين ومعاينته، ومن هنا ألقى نظرة إلى الجدار الذى أحاط به عمر بن عبد العزيز القبور الثلاثة ورأى فرجة فى هذا الجدار أيضا فرجة مستديرة فأمر بفتحها أيضا، وكان هذا الثقب فرجة تسع يدًا فى التقاء زاويتى الشرق والشمال للجدار القديم فوسع شمس الدين بن زمن هذه الفرجة وعاين داخل مربع القبر وكشفه، وفى آخر الأمر فكر قائلاً كيف أسد هذه الفرجة التى فى الجدار القديم؟ فتحير واضطرب وترك هذا العمل فى الإصلاحات وجمع فى داخل

مقصورة الحجرة المعطرة مجموعة من الناس وعقد مجلسًا فى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة حتى يعرف كيف يستفتى فى هذا الموضوع.

وقررت هيئة الشورى التى اجتمعت داخل المقصورة الشريفة تجديد الجدار الذى بناه عمر بن عبد العزيز قديمًا و فى الرابع عشر من شعبان فى تلك السنة هدموا ذلك الجدار إلى أن بقى إلى سطح الأرض أربعة أذرع، وأنزلوه على الأرض وذلك بعد رضا شمس بن زمن ورأيه، وبينما كان يهدم هذا الجدار ظهرت بعض الأخشاب محروقة الأطراف من بقايا الحريق الأول، وأخرجوا سواء أكانت هذه الأخشاب المحترقة أو أجزاء الأنقاض الكبيرة التى بين الجدار القديم والجدار الجديد.

كان الجدار الذى بناه عمر بن عبد العزيز أو الجدار القديم قد بُنِى مقدار أربعة أذرع منها بالحجارة، وكان نصف الأسطوانة من الأسطوانة التى فى الجهة الشمالية من الجدار القديم ظل خارج الجدار ونصفها فى داخل الجدار المذكور مع ذلك لم يكن هناك باب للدخول فى داخل مربع القبر الشريف.

وقد رأى ابن زمن فكرة هدم جدار عمر بن عبد العزيز وجدار الجهة الشامية من مربع قبر السعادة وتحويل السقف إلى القبة كما صوبت هيئة مجلس المقصورة تلك الفكرة السخيفة دون أن تراعى الأدب وأخذ يهدم الجدار القديم.

وكان الإمام السمهودى على قيد الحياة فى ذلك الوقت، فذهب إلى شمس بن زمن إذ رأى جرأته المتولدة من الجهل وقال له: «إن هذه الحركة منافية لقانون الأدب ورعاية الأخلاق، إذ يلزم الاختصار فى تجديد مبانى الحجرة المعطرة على قدر الإمكان». والتزم الرأى الذى يرجح عدم هدم الجدار القديم، ولكن أحدًا لم يعر اهتمامًا رأيه فهدموا جدار مربع حجرة السعادة فى الجهة القبلية والغربية أربعة أذرع منها وعندما أرادوا أن يهدموا جدران الجهة القبلية والغربية حتى الأرض وأن يبنوها من جديد، وجدوا جدارًا صغيرًا مبنيًا باللبن فى طول أكثر من ذراع وفى عرض نصف ذراع تركوه تيمنا فظل فى داخل الجدار القبلى فى ارتفاع

ذراع واحد كما وجدوا مثل هذا الأثر لبناء قديم فى الجهة الغربية فلم يتجرءوا على هدم جدران هاتين الجهتين هدمًا تامًا.

يوم أن هدمت حجرة السعادة امتلأ داخل مربع القبر الشريف بأنقاض الجدران المتهدمة، فدخل كثير من الناس داخل مربع القبر اللطيف فأخرجوا التراب والغبار خارج المربع ونظفوا داخل الحجرة المعطرة.

وكان الإمام السمهودى قد دُعِىَ لهذا الاجتماع السامى أيضا إلا أنه لم يستجب خوفًا من أن يحدث ما يعكر الصفو وسوء الأدب وفى الآخر أرسل له أمين البناء شمس بن زمن رسولاً خاصًا ورجاه أن يشرف الاجتماع ولما كان غلب عليه شوق زيارة داخل حجرة السعادة استجاب للدعوة الثانية بلا تردد ودخل بكل خضوع وخشوع بعدأن استأذن من روح النبى والرسول ﷺ.

عرف أحد أصدقاء الإمام السمهودى كيفية دخوله وخروجه من مربع قبر السعادة إذ قال له: «عندما دخلت فى داخل حجرة قبر السعادة تأثر دماغى برائحة لم تشمها قوة شامتى فى طول عمرى».

«بعد أن أديت مراسم الصلاة والسلام ورجاء الشفاعة من صاحب الشفاعة العظمى النبى ﷺ، ففتحت عينى وألقيت نظرة إلى ساحة السعادة المباركة، لم يكن على سطح الحجرة الشريفة ما يشبه القبر، ورأى الذين كانوا معى مكانًا مرتفعًا فى وسط الحجرة وذهبوا إلى أن هذا المكان هو القبر الجليل، وشرعوا يأخذون من فوقه بعض الأتربة تيمنًا وأن يخفوه، إلا أنهم كانوا مخطئين فى رأيهم هذا، لأن قبر السعادة كان فى الجهة القبلية من الحجرة المعطرة وجدارها حتى إن اللحد الشريف يعد جزءًا منه تحت أساس الجدار القديم، إذ يروون نقلاً عن جابر بن عبد الله الأنصارى، عندما دفن جسد النبى المبارك نثر ماء فوق قبر النبى لامع الأنوار وبدأ من جهة رأس النبى ﷺ وأتم فى ناحية قدمى الرسول المباركة، ولما كان المرور من بين القبر الشريف والجدار القديم غير ممكن يعنى لم يكن هناك فاصل بين الجدار القبلى لحجرة السعادة والقبر المنيف إلا قدر

إصبعين، فصب بلال الماء إلى هذه الجهة من القبرة من فوق الجدار الذى فى الناحية القبلية من الحجرة المعطرة». انتهى.

ومن مؤلف طبقات ابن سعد نقلاً عن محمد بن عبد الرحمن أن محمد بن عبد الرحمن قال: «كان أبى حاضراً عندما انهار الجدار الذى فى مربع السعادة فى عهد عمر بن عبد العزيز؛ وكان يقول: «عندما انهار جدار مربع قبر السعادة كنت بجانب حجرة السعادة، فنظرت من مكان السقوط داخل مربع القبر الجليل. كان ما بين مرقد السعادة وحجرة عائشة ـ رضى الله ـ عنها المنيرة قدر شبر واحد، فأنا أيضًا أصدق أن نعش النبى ﷺ قد وضع إلى اللحد الشريف من الناحية القبلية وأؤيد تلك الرواية، وبما أن روح النبى ﷺ قبضت فى هذا المكان فالمكان الذى توفى فيه هو أشرف بقاع الأرض ومن هنا دفن فى هذا المكان»، انتهى.

بعد أن كنس سطح حجرة السعادة وأخرجت أنقاض الجدار المنهار إلى الخارج شرع شمس بن زمن فى بناء الأماكن المنهدمة ذاكرًا اسم الله فجعل عرض الجدار الشرقى فى عرض أساسه الأصلى يعنى فى سمك ثلاثة أذرع كذلك ذراعين ونصف من السمك، وأدخل العمود الملاصق للجدار الشامى فى داخل الجدار المذكور، ومن هنا جاء سمك الجدار الشامى لمربع قبر السعادة أكثر سمكًا من جدران الجهات الأخرى وأصبحت جدار جميع الجهات يختلف بعضها عن البعض فى السمك، وكان اليوم الذى بدأت فيه العمليات يوافق السابع عشر من شهر شعبان من السنة المرقومة[1].

ولما كان ما بين الجهة الغربية والشرقية على شكل طولى، وكان بناء القبة عليه يرى غير قابل للتنفيذ.

ولكن بما أن قرار إنشاء قبة فوق مربع القبر الجليل كان قطعيًا والتحرك خارج هذا القرار غير ممكن لذا قد جعل شمس ابن زمن بناء على تصويب المهندسين ورأيهم حجرة السعادة مربعة وذلك بفتح باب من جهة قدمى السعادة من الحجرة

(١) سنة ٨٨١ هـ.

المعطرة، فى ارتفاع اثنى عشر ذراعًا يعنى قد ضيق وقصر طول الجدارين والباب المفتوح وجعل داخل مربع حجرة السعادة فى شكل مربع ولما بنى الجدار الشامى بأحجار منحوتة شاد فوقه قبة فى ارتفاع ثمانية عشر ذراعًا آدميًا عن سطح الأرض وفتح فى وسط الجدار الشامى بابًا صغيرًا وأدخل الحجرة الشريفة ابن أخيه وصهره لتسوية ما فوق القبور الثلاثة، والرجلان اللذان أدخلا داخل قبر السعادة قد فرشا فوق القبور الثلاثة رملاً على شكل ظهر السمك مثل قبور بلاد الروم حَسْبَ تصورهما وبخرا مرقد السعادة بإيقاد كثير من العود والعنبر وكانت القبور الثلاثة بجانب الجدار القبلى.

بينما كانت القبور الثلاثة تبخر وتسوى قدم كثير من العرض حالات المكتوبة إلى عتبة الرسول صاحب الشفاعة الموفورة وسد الباب الصغير الذى فتح فى وسط الجدار الشامى وركز فوق القبة العالية التى ارتفعت إلى السماء علم مصنوع من النحاس وطلى بذهب خالص.

وإن كان شمس بن زمن قد بنى وأسس هذه القبة فى غاية المتانة إذ جعل بين الأعمدة الموجودة أعمدة أخرى قدر اللزوم وعقد عقودًا فوق تلك الأعمدة، إلا أن قمة القبة قد انتقضت وسقطت بعض أجزائها، وبناء على الأمر الذى ورد من الحكومة المصرية قام شيخ الحرم شاهين الشجاعى بهدم الأماكن التى تحتاج إلى الهدم بعد الكشف عنها، وقام ببنائها من جديد وكان ذلك فى عام ٨٩٢

وقبل أن يهدم شاهين الشجاعى المواضع التى فى حاجة للهدم أمر بكنس داخل الحجرة الشريفة احترامًا ورعاية للقبر الشريف، وأمر بعمل سقف احتياطى وتصور بأنه بهذه الطريقة سيحمى داخل الحجرة الشريفة من سقوط الكناسة وجعل العمال يعملون بهدوء حتى انتهوا من التجديد.

ودامت حجرة السعادة خمسًا وأربعين سنة بعد أن عُمِّرَتْ على تلك الصورة متماسكة إلا أنه قد شوهدت علامات الانهيار فى الجدار الغربى والخلل، وأعلم

بالأمر العتبة السليمانية، عتبة البر والإحسان فما كان من السلطان إلا أن عين الموظفين والمهندسين لتعمير وتشييد ذلك الجدار، وأرسلهم إلى المدينة، ووصل الموظفون المكلفون إلى المدينة فى سنة ٨٩٣ هـ وشيدوا ذلك الجدار بكل احترام وتعظيم وأحكموا بناءه ثم فرشوا خارج الحجرة المعطرة وداخلها بقطع رخام مجلاة كما زخرفوا الجهات الأخرى وزينوها بشكل يجذب الأنظار، وغلفوا القبة الخضراء بألواح رصاصية وجعلوا رأس العلم الذى وضع فى مركز القبة من ذهب خالص وأماكنه الأخرى من فضة ووضعوه فى شكل بحيث يُنِيرُ ويضئ مسافات بعيدة وجعل العمال الذين استخدموا فى البناء يعملون بكل تعظيم وتفخيم للمكان فلم يحس أن فى الحجرة المعطرة نجارين أو بنائين يعملون.

ولما تم تجديد الجدار الغربى سنة ٩٤٠ كتبوا عليه هذين البيتين:

ألا يا رسول الله يا خير رافـــع	وأكـرم مبعوث إلى خير أمـة
من يحمـى التنزيـل بجاهــه	ومن هو للمأمول أعظم شافع

وبعد أن ذيلوها ببسملة وتصلية كتبوا عبارة (جدد هذا المكان الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن بايزيد خان فخر آل عثمان خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه وسلم؛ تاريخ إتمامه شهر جمادى الآخرة فى سنة (٩٤٠).

وعلقت فوق التاريخ المذكور لوحة مزينة كتبت عليها بخط التعليق القطعة الآتية إلا أنه لا يعرف من صاحب هذه القطعة ولا التاريخ الذى علقت فيه لعدم وجود أية إشارة لذلك كما أن واقفها مجهول.

قطعة

يامزين العرش إكليل زينة عمرك أرسلناك
لما كان هناك مكان لشئ لو لم ينفذ أمر خطة مولاك
ليس بشيء أن يكون بابك المقدس تاجًا للملوك
فأنت ملك الملوك يا سلطان مولاك

بعد تعميرات المرحوم السلطان سليمان بـ (٢٩٣) سنة أبلغ الباب العالى أن أعلى قبة مسجد السعادة قد انشق، وبناء على الأمر السلطانى الذى صدر لأشراف مكة فهدموها وجددوا أعلى القبة وجعلوها فى غاية المتانة والرصانة، وحتى تصان قبة حجرة السعادة من التراب والغبار صنع بين القبتين سقف احتياطى وجعل العمال يشتغلون فى غاية الأدب فى الداخل، وقد تطوع كثير من أهالى مكة فى هذا العمل متيمنين متبركين، ولما أبلغ الأمر إلى باب من له القرار أرسل السلطان محمود خان العدلى من جيبه الخاص الهدايا للأشخاص الذين عملوا متطوعين متيمنين.

وبعد الحساب نال كل واحد منهم مائتين وخمسين قرشًا وذلك فى سنة (١٢٣٣هـ).

وكان لون قبة مسجد السعادة الكبيرة إلى سنة ١٢٥٣هـ فى لون الرصاص، وكانت تعرف بالقبة البيضاء والقبة الزرقاء والقبة الفيحاء وبناء على الأمر الذى صدر من السلطان المشار إليه طلوها باللون الأخضر وبعد ذلك أطلق عليها القبة الخضراء، وفى سنة ١٢٨٩هـ جدد لون القبة الشريفة المذكورة باللون الأخضر وفى الجهة القبلية منها وفى محاذاة الحجرة الشريفة باب صغير، وكان يقال لهذا الباب فى ذلك الوقت باب القبة البيضاء، وكان ذلك البويب قد فتح بناء على رأى السيدة عائشة؛ وقد غطى شاهين الشجاعى باب القبة البيضاء بقفص من حديد ـ كما ذكر فى بحث القبور الثلاثة ـ وفتح نافذة تحت الباب المذكور وفى محاذاة النافذة التى فوق قبة الحجرة المعطرة نافذة أخرى غطاها أيضا بقفص؛ ولما كانوا قد ركبوا مصراعًا لهذه النافذة كانوا يفتحون ذلك المصراع عند الدعاء، أما فى زماننا يفتحون باب التوبة.

والشكل الآتى بين هيئة حجرة السعادة التى جددت فى عهد السلطان قايتباى سنة ٨٨١هـ وتحت نظارة شمس بن زمن وبما أنها ظلت سليمة بعد الحريق الثانى فهى مازالت باقية إلى الآن.

والخط الدقيق الذى يرى فى خارج هذا الشكل فهو الجدار الجديد الذى بنى فى عهد عمر بن عبد العزيز والخط الثانى الغليظ يمثل الجدار القديم الذى بنى قديمًا لربع قبر السعادة، إن الفاصلتين اللتين فى الجهة الشرقية والشمالية علامة على أن هذه الأماكن ليست من داخل الحجرة المعطرة.

والموقع المبارك الذى أرى بخط موسوم فى الجهة الشمالية هو بيت خاص بوالدتنا السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وأن قبرها المنير من الساحة السعيدة التى ذكرت آنفًا والأرقام الموضوعة فوق الشكل فهى إشارات توضيحية للأماكن التى يحويها الشكل فى أسفله.

الرقم	الإشارات المخصوصة
١-	الجهة القبلية
٢-	المسمار الفضى.
٣-	أسطوانة الصندوق
٤-	الأسطوانة التى تصفها فى داخل الجدار والنصف الآخر فى خارجه.
٥-	هذه الأسطوانة متصلة بالجدارين.
٦-	هذه الأسطوانة أسطوانة قبر السعادة.
٧-	قبة الحجرة الشريفة.
٨-	بقيت هذه الأسطوانة داخل الجدار.
٩-	مقام جبريل عليه السلام.
١٠-	دار فاطمة رضى الله عنها.
١١-	الأسطوانة الشمالية
١٢-	هذا الخط الرفيع علامة الجدار الجديد.
١٣-	هذا الخط الغليظ إشارة للجدار القديم والخط الوهمى الذى يحيط الشكل من جهاته الأربع علامة شبكة الحجرة المعطرة.

وإن كان هذا الشكل يمثل وضع الحجرة المعطرة الذى تم تحت نظارة شمس بن زمن ولا شك فى ذلك إلا أن مؤرخى الأسلاف اختلفوا فى صورة تنظيم ورسم خريطة حجرة السعادة إلى خمسة أقسام أو فرق ورسمت كل فرقة خريطة وادعوا أن الخريطة التى رسموها هى الصحيحة.

إذا ما ألقيت نظرة لأية واحدة من هذه الخرائط الخمس فمن الطبيعى أن تقبل الخريطة سالفة الذكر والتى صدقت صحتها من قبل المؤرخين المتأخرين، والخريطة الرابعة من الخرائط الخمس من البديهى أنها توافق الشكل المذكور بالنسبة للأخريات.

فبما أن كل هذه الخرائط الخمس تمثل خريطة حجرة السعادة فرأينا عرض جمعها من الوظائف المبروكة.

الرقم	الإشارات المخصوصة
١-	الجهة القبلية
٢-	الحجرة المعطرة
٣-	الخط الغليظ علامة الجدار القديم والخط الرفيع الذى حوله علامة الجدار الجديد.
٤-	الجهة الشمالية
٥-	الجهة الغربية
٦-	الجهة الشرقية والخط الوهمى الذى يحيط بالشكل من جهاته الأربع علامة الشبكة المباركة.

الرقم	الإشارات المخصوصة
١-	حجرة السعادة
٢-	علامة الجدار القديم
٣-	يستقبل الشرقية، كان باب النبى ﷺ وباب على فى هذه الجهة وهدم مؤخراً وضمت ساحتهما فى مسجد السعادة.
٤-	الباب الذى كان ينظر إلى جهة الشام لدار عائشة كان هنا.
٥-	بيت فاطمة.
٦-	علامة الجدار الذى مدته السيدة عائشة قد فصلوا الحجرة المعطرة بهذا الجدار.
٧-	الجدار الذى هدم فى عصر عمر بن عبد العزيز.
٨-	الجهة الغربية
١٠-	أسطوانة مقام جبريل
١١-	أسطوانة مربع القبر الشريف.
١٢-	علامة جهة رأس النبى.
١٣-	المسمار الفضى.
١٤-	الأسطوانة
١٥-	شبكة السعادة
١٦-	علامة الجدار الجديد
١٧-	الجهة الشمالية
١٨-	الجهة القبلية وكانت حجرات زوجات النبى المطهرات فى هذا المكان.

الرقم	الإشارات المخصوصة
١-	جهة القبلة
٢-	مسمار الفضة.
٣-	اسطوانة الصندوق
٤-	الاسطوانة التى نصفها فى داخل ونصفها الآخر خارج هذا الحائط.
٥-	الأقدام المباركة لحضرة الفاروق رئيت من هنا.
٦-	أسطوانة الصندوق.
٧-	حجرة السعادة.
٨-	الحائطان الملتصقان بعضهما ببعض.
٩-	أسطوانة مربعة القبر الجليل وهيئتها الخارجية المثمنة.
١٠-	مقام جبريل.
١١-	بيت الحائط الذى سقط.
١٢-	مكان المحل الشريف الذى تشقق فى عصر شمس الدين بن زمن.

الرقم	الإشارات المخصوصة
١-	جهة القبلة.
٢-	المسمار الفضى.
٣-	الأسطوانة التى نصفها فى الداخل ونصفها فى الخارج.
٤-	أسطوانة الصندوق.
٥-	الأسطوانة.
٦-	مربع القبر الشريف
٧-	مقام جبريل.
٨-	حجرة السعادة
٩-	الأسطوانة التى ظلت داخل الحائط.
١٠-	بيت فاطمة.

الرقم	الإشارات المخصوصة
٢-	الأسطوانة التى فى مواجهة حضرة الفاروق.
٣-	أسطوانة الصندوق
٤-	أسطوانة مربع القبر الشريف
٥-	المكان الذى يلتصق فيه الجداران.
٦-	مقام جبريل
٧-	حجرة السعادة
٨-	الحائط الذى انهار فى عهد عمر بن عبد العزيز.
٩-	هذا الخط العريض علامة الجدار القديم والخط الرفيع إشارة الجدار الجديد.
١٠-	شبكة السعادة.

بعد أن نقلنا هذه الخرائط مختارين من كتاب وفاء الوفاء وهو كتاب تاريخ عتيق، اضطررنا إلى مراجعة النموذج الذى عرض على حضرة الخليفة وهى الخريطة التى صنعت من قبل العاجز[١] مطابقة لآخر خريطة أخذت بعد التعمير الأخير وصنعت بالمساحة لتوضع فى جامع خرقة السعادة للسلطان المرحوم عبد المجيد خان ليفهم أيَّة واحدة من هذه الخرائط مقارنة للصحة، ولا يخطئ الشخص إذا ما حكم على أن خريطة حرم السعادة المستخرجة من النماذج المختلفة على الشكل الآتى وبناء على هذا الشكل فالخريطة التى خطها الإمام السمهودى يعنى الخريطة التى عرضت فى الشكل الأول صحيحة.

(١) يقصد المصنف بكلمة العاجز نفسه.

الرقم	الإشارات المخصوصة
١-	حجرة السعادة
٢-	الخط الداخلى علامة الجدار الداخلى والخط الخارجى علامة الجدار الخارجى.
٣-	بيت فاطمة الشريف
٤-	مقام جبريل
٥-	جهة القبلة
٦-	جهة الشرق
٧-	جهة الغرب
٨-	جهة الشمال

إحاطة حجرة السعادة بجدار من الرصاص

كان الملك العادل الشهيد نور الدين محمود بن زنكى أقسنقر من صلحاء الملوك، وكان من عادته أن يتهجد كل ليلة بعد أداء صلاة العشاء وبعد أداء الصلاة كان يتلو القرآن ويقرأ أورادًا خاصة، وفى ليلة من الليالى قام بأداء الصلاة وقراءة أوراده الخاصة وفق عادته، ثم ذهب لينام، وفى أثناء نومه رأى ثلاث مرات النبى ﷺ كنز خزنة الإعجاز، وفى كل مرة يرى فيه صاحب الآيات الباهرة عليه التحية الزاهرة كان يريه شخصين قبيحى السحنة أحمرى الوجه ويقول: يا نور الدين! خلصنى من هذين الشخصين!!! وحينما استيقظ من نومه استدعى وزيره جمال الدين الموصلى والذى كان من صلحاء الأمة، وبناء على رأى وزيره اصطحب معه عشرين من جنوده الفرسان، ودون أن يخبر أى مخلوق توجه صوب المدينة المنورة عن طريق مصر وقيل من الشام ووصل إلى دار السكينة بعد ستة عشر يومًا وبعد الزيارة أراد أن يوزع العطايا من الذهب والفضة على أهالى المدينة فردًا فردًا وفق ما هو مقيد فى سجلات الأسماء.

وكان هدف الشهيد نور الدين من توزيع العطايا أن يجد أو يتعرف على الخائنَيْن من بين أهل المدينة وأن يعاقبهما العقاب الذى يستحقانه، وأخذ الناس يردون إلى حضرته ليحصلوا على عطاياهم، وكان يقارن وجوه كل من أتوه بصورة وجوه هذين الشخصين اللذين رآهما فى منامه؛ وكان متلهفًا لإظهار هذين الشخصين ولكن للأسف لم يتمكن من العثور على هذين الشخصين ضمن الذين حضروا لتلقى الصدقة، وانقطع سيل الواردين من أهل المدينة، عندئذ قال: «أليس هناك من لم يأخذ صدقته؟! إذا كان هناك من لم يأت استدعوهم لينالوا صدقاتهم». «فقالوا» لن يأتى أحد لأخذ الصدقة لأنه لم يبق هناك أحد؛ إلا أن هناك شخصان يتصفان بعزة النفس وزهد عن الدنيا وهما من أهل المغرب ومعروفان بكمال الصدق والعفة وهما فقيران مستدينان ولن يقبلا أخذ الصدقة»، وعندما تلقى هذا الرد قال: «لا، لابد من إحضارهما أيضا، وبهذه الإفادة الصائبة أمر بإحضار هذين الملعونين ظاهرى القذارة، ولما رأى مواطنو دار السكينة أن نور الدين مصر على رأيه، أحضروا مضطرين هذين اللذين تشبه سحنتهما سحنتى الغيلان، ولما كان هذان الشخصان يشبهان الخنزيرين اللذين أراه النبى ﷺ تمام الشبه، أخذهما نور الدين إلى حجرتهما الكائنة[1] قرب حجرة السعادة ورأى كتبًا نفيسة وأشياء غالية ولم يغترّ بشهادة الذين كانوا معه لهذين الوغدين بحسن السيرة، ورفع الحصيرة التى تغطى الحجرة فرأى نفقًا عميقًا وكان هذا النفق طريقًا مائلاً إلى السعة وينتهى إلى حجرة السعادة!! وكان سادات المدينة يشهدون بحسن سلوك هذين النجسين ويثنون عليهما، وعندما حدث ما حدث أحنوا رءوسهم خجلاً واستحياء ولم يجدوا ما يقولون، وتولى نور الدين بنفسه استنطاق هذين الخبيثين وشمر ساقه مستفسرًا عن حفر النفق، إلا أنهما أصرا على إنكارهما وهنا أمر بتعذيبهما وتهديدهما حتى يحصل على السبب الحقيقى فى حفرهما النفق، وضربهما ضربًا مبرحًا، وعندئذ عرف المغربيان أنهما لن يخلصا من آلة التعذيب بدون قول الحقيقة وشرعا فى

(١) كانت أبنية رباط العجم فوق ساحة هذه الحجرة.

الكلاتم وقالا: «إننا من مشركى أرض المغرب، ولسنا مسلمين إلى الآن، وقد جئنا إلى المدينة بحيلة أداء فريضة الحج وزيارة مرقد صاحب المعراج وأقمنا فى هذه الحجرة وغايتنا أن نسرق نعش النبى محمد ونحمله إلى أرض المغرب!!، وقد بعث لنا المغاربة نقودًا طائلة أكثر أنفقناها واستهلكناها ولَمَّا رأينا أننا لن نستغفل أهل المدينة بصرف النقود وإنفاقها لبسنا رداء الزهادة والتففنا بستار العفة حتى نظهر فى هيئة الصدق والوفاء وبهذه الصورة وفقنا فى استغفال الأهالى.

وأخذنا فى مزاولة عملنا، كنا نقضى الليالى بحفر النفق، وفى النهار كنا نملأ الأكياس بتراب ما حفرناه ونذهب إلى مقبرة بقيع الغرقد بقصد زيارتها حيث نفرغ الأكياس من التواب، وعندما اقتربنا بقبر السعادة ظهرت فى السماء أصوات الرعود والصواعق، الأمر الذى أقلقنا بل أخافنا خوفًا شديدًا، وفى الصباح انتشر خبر تشريف سلطنتكم، هذه هى الحقيقة.

واستمع نور الدين إلى هذه الأقوال بآذان ملؤها الحيرة والاضطراب وأسال دموع الرقة فى نهايتها، وأمر بقتل وإعدام المغربيين فأعدما بدون توقف تحت الشباك الشريف، وبهذا بين أن الذين يقصدون حجرة السعادة بسوء يستحقون جزاء الإعدام.

علاوة وإضافة

سمعت أنا محرر هذه الحروف من بعض الأشخاص أن الشهيد نور الدين أوقد فانوسًا ونزل فى النفق المحفور وذهب حتى نهاية الحفرة وهنا سقط بعض التراب وامتدت يد جسمان النبى الطاهر فقبلها وعادت، فما أحسن ما ناله من سعادة أبدية، ونعم ما حصل عليه من عناية سرمدية.

بعد أن أعدم حضرة نور الدين هذين السافلين حفر حول الحجرة الشريفة التى طاف حولها بخشوع وأزال التراب قرب سطح الماء ولما صار المكان الذى أخرج منه التراب خندقًا عميقًا فأسال فى هذا الخندق العميق رصاصًا مُذَابًا أى حفر خندقًا حول مرقد السعادة حتى مكان ظهور الماء دائرًا ما دار وملأ داخل هذا

الخندق برصاص مذاب فأحاط حجرة السعادة بسور من الرصاص، وذلك فى سنة (٥٥٧هـ).

ونقل المؤرخ جمال الدين المطرى هذه القصة بصورة أخرى ولم يذكر الجدار الرصاصى الذى مد حول مرقد السعادة، وبناء على نقل جمال الدين المطرى أنه فى سنة خمسمائة وسبع وخمسين دخل السلطان نور الدين محمود بن زنكى بن أقسنقر إلى المدينة الطاهرة بغتة بألف من الفرسان، وأخذ يوزع العطايا ـ كما ذكر آنفًا، ولكنه لم ير أحدًا ممَّن يشبه الغيلان مثل اللذين رآهما فى رؤياه فسأل: هل هناك من لم يأخذ الصدقة؟ فأجيب من قبل سادات المدينة المنورة أن هناك فى داخل الديار العشر أى فى دار آل عمر التى تقع فى الجهة القبلية للحجرة الشريفة يسكن مجاوران إلا أنهما معروفان بأنهما لا يأخذان الصدقة وموصوفان بالزهد والصلاح فإنهما لن يأتيا هنا فأحضرهما بالقوة وابتدر فى إجراء التعذيب وفهم منهما أنهما قد أرسلا من متعصبى مشركى المغاربة بغرض نقل نعش الرسول ﷺ إلى بلادهما فقطع عنقيهما أمام الجدار الشرقى للمسجد الشريف وبين أن هذين الشخصين قاما بحفر بئر فى دار آل عمر فى داخل الديار العشرة وملئوا هذه البئر بتراب النفق الذى حفراه.

رواية المطرى هذه تشعر بوصول الشهيد نور الدين إلى المدينة المنورة، وإذا ما نظر إلى أن الرباط[1] الذى سكن فيه المغربيان يعرف اليوم برباط العجم فالرواية الأولى أقرب إلى الصحة.

قال بعض أصحاب الوقوف من أهالى المدينة: «لما استدعى الشهيد نور الدين أهل المدينة لتوزيع العطايا أولم وليمة بعد أن نصب خيمة أمام باب الحصن الذى يطلق عليه الآن اسم باب الضيافة، وأطلق فيما بعد على هذا المكان اسم دار الضيافة وبهذا التعريف يقصون مجئ المشار إليه إلى المدينة المنورة حسبما فصل أعلاه، إلا أنه ليس بصحيح أن الشهيد نور الدين أقام ضيافة وإطلاق دار الضيافة لذلك المكان.

(١) دائرة المشيخة يعنى دار شيخ الحرم فوق ساحة هذا الرباط.

وإن كان فى الجهة الشامية من مئذنة العزيزية دكانًا يطلق عليه دار الضيافة إلا أنَّ هذا المكان ليس الموقع الذى استضاف فيه الشهيد نور الدين أهل المدينة بل ساحة البيت الذى كان يملكه حضرة عبد الرحمن بن عوف، وبما أن النبى ﷺ الكريم المحب للضيافة يطعم الضيوف الواردين فى هذه الدار أطلق عليها دار الضيافة وظل اسمها كذلك، وبما أن شارع حصن المدينة الميمونة يمر من هنا وينتهى إلى الباب الذى فى تلك الجهات فأطلق على هذا الباب باب الضيافة.

ينقل ابن النجار فى تاريخه الذى سطره عن بغداد - شبيهة الجنة - حكاية تشبه واقعة الشهيد نور الدين ويقول: «إن زنادقة العبيديين ذوو أفكار مشينة ابتدروا فى دس الدسائس واحتالوا على إضلال ملك مصر وقالوا: «إذا وجدنا يا ملكنا طريقة لإحضار أجساد النبى ﷺ وأبى بكر الصديق وعمر إلى مصر ذات الأهرامات، كان كبراء الممالك التى حولنا وأشراف بلاد الأكناف، يأتون إلى هذه الجهة رغبة فى الزيارة وبهذا تصبح القاهرة تكية الأنام ومستند الإسلام».

استحسن ملك البلاهة ما عرضه الزنادقة وتلقاه قبولاً حسنًا ورأى أن يبنى فى مصر ضريحًا مزينًا فخمًا وينقل جسد النبى الشريف فى هذا الضريح، وأمرأبا الفتوح من أقرب عبيده لنفسه وأخلص أتباعه بعد أن أرسله إلى المدينة واستعجله بأن يرسل الأجساد الثلاثة إلى مصر بأية طريقة كانت، ولما وصل أبو الفتوح إلى المدينة أخذ يلمح إلى سادات الأهالى عمّا فى ضميره وأنه سيعمل على إيفاء مأموريته وبين لهم سبب وروده إلى المدينة. وأراد السادات الذين أصابهم الهم والغم من هذا الموضوع أن لا يكشفوا عن الموضوع إلى أهل المدينة علنًا بل أن يفهموهم ضمنًا.

ومن هنا أحضروا المرحوم الزلبانى من مشاهير قراء المدينة وطلبوا منه أن يقرأ

عشرًا من القرآن الكريم، وتلاه المرحوم الزلبانى ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٣).

وقد فهم الحاضرون مما تفيده الآيات الكريمة من المعانى سبب مجئ أبى الفتوح وأخذوا فى القيل والقال وبعد منازعات طويلة ومناقشات مديدة قرروا أن يقتلوا الخوف والهم إلا أنهم قالوا: «إن البلاد الحجازية تحت الإدارة المصرية الآن، فإذا ما قتلنا أبا الفتوح فكأننا نثير غضب ملك مصر ونستدعيه ليبعث جنودًا كثيرة إلى المدينة ليؤدب سكان دار السكينة، ومن رأينا أن نعيد أبا الفتوح إلى مصر صفر اليدين من هنا تفرق القوم وقد صرفوا النظر عن قتل أبى الفتوح، وانسحب كل واحد منهم إلى جهة ما وكونوا جماعات صغيرة وبادروا فى التشاور فيما يجب عمله بهذا الخصوص.

عندما رأى أبو الفتوح هذه الحالة فاق لنفسه واستجمع عقله وقال: «إن الخوف من الله خير من الاحتراز عن عباده، وإننى لن أتجرأ بعد ذلك على إجراء مهمتى وإن تأكدت أن ملك مصر سيهلكنى لعدم تنفيذ هذا العمل الشنيع».

وقد بلغ قلقه واضطرابه حدًا لم يعرف منهما كيف انصرف من المجلس، ومع ذلك كان يرجو أن يظهر فى الميدان حكمة ما تسكن من غيظ وحدة ملك مصر، وبعد انتهاء الاجتماع ظهرت عاصفة شديدة وترك أهالى المدينة دون عقل وشعور وكأن الكرة الأرضية قد تحركت وأخذت تضرب الحيوانات بعضها ببعض الحيوانات التى تسير فى الصحارى والحقول والجبال فأتلفتها جميعًا، وهذه الحالة كانت باعثًا للفرح والسرور لأبى الفتوح، إذ عاد إلى مصر دون تأخير قائلاً: «أعرض على ملك مصر هذه الحالة المفزعة وأعتذر له عن عدم تنفيذ أمره».

إخطار

كلما تعرضت الحجرة المعطرة لسوء قصد ظهر فى المدينة الزلازل المفزعة والعواصف المخيفة، وفى الواقع لم تظهر فى المدينة المنورة بعد نار الحجاز المنذرة عواصف يحترز عنها ولا الزلازل ولا الحالات المخيفة ما لم تتعرض الحجرة الشريفة لسوء قصد ولم يثبتها التاريخ ولكن كلما حدث سوء قصد للحجرة الشريفة أو حدث شىء مخلاً بالآداب أمام القبر النبوى حدث إما زلزال كبير وإما عواصف شديدة مخيفة وقد حدثت لتوقظ أهالى المدينة من غفلتهم، الزلزلة الأخيرة فى سنة ١٢٩٦ الهجرية فى شهر المحرم ثلاث مرات فى يوم واحد مائلة إلى الشدة مما أقلق أهل المدينة وملأهم فزعًا.

وسبب هذه الزلزلة ما أظهره نائب الحرم والحجرة المعطرة تحسين أغا من وقاحة وسوء أدب أمام قبر النبى ﷺ إذ ذهب حالت باشا والى الحجاز فى السنة المذكورة لزيارة المدينة المنورة وأراد تحسين أغا أن يعرض له ولاءه التام لأنه أراد أن يكسب رضا حالت باشا وحسن توجهه له ونتيجة لهذه الفكرة الفجة قال له: «ياحضرة الباشا إن أهل دائرتك يظهرون مخلصين وذوى عقيدة متينة، والمعلومات التى وصلتنا عن حريم سيادة الوالى فى نفس المستوى، هذه فرصة لا تحدث دائمًا يجب أن تقتنصها إذا أذنتم سيادتكم، ندخل عقائل حريمكم توائم العصمة إلى داخل الحجرة المعطرة ونبهج خواطرهن بشرف زيارة القبر النبوى، «وقال حالت باشا»: «إن النساء قد لا يستطعن أن يظهرن واجبات الحرمة والزيارة حسب المقتضى، فإذا ما زرن من الخارج فهذا أفضل»، فأجابه تحسين أغا قائلاً: «لا، لا إن زيارة النساء عادة هنا، تتوضأ النساء ويدخلن داخل الحجرة ويزرن وإذا ما تفضلتم بالموافقة على أصول البلد تحسنوا الصنع»، وهكذا استحصل تحسين أغا الإذن من الباشا، وبناء على هذا جلب تحسين أغا جميع النساء فى دائرة الباشا فى الساعة الرابعة ليلاً من ليالى أوائل شهر محرم الحرام وأدخلهن واحدة تلو الأخرى وجعلن يزرن حجرة السعادة، وكان غرض تحسين أغا أن تنال

النساء شرف الزيارة ولم يكن يعرف أن دخول النساء الحائضات داخل الحجرة المعطرة غير جائز ولم يخطر بباله أنه يجب ألا تكون بين الزائرات حائضة.

لذا حدث زلزال شديد ثلاث مرات متتالية صباح ليلة الزيارة تماسك الأهالى فيما بينهم، وفى النهاية عرف ما حدث وظهرت الحقيقة فأخرج حالت باشا من المدينة المنورة فى صورة مهينة وأرسل إلى مكة! وإذا كانت الأمور ظلت على هذه الحالة لأمكن أن يقال إنها تأديب خفيف، إذ تعرض حالت باشا بسبب هذه الزيارة للكثير من الكوارث إذ هلك جميع أفراد دائرته واضمحلوا وتشتتوا فى أرجاء الدنيا.

نعم، فالذين يسيئون أدبهم أمام النبى ﷺ يمحون ويتشتتون عقب إساءتهم أمّا محاكمة تحسين أغا يظهر أنها ستجرى أمام حكيم الأنبياء لأنه كان سببًا فى القضاء على حالت باشا.

جرأة غريبة

حدث فى زمن شيخ خدمة الحرم السعيد شمس الدين أن بعض الحلبيين أرادوا أن يخرجوا نعش أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ليأخذوهما إلى بلدهم.

ودخلوا فى ليلة إلى مسجد السعادة، كما سيأتى تعريفه فيما بعد ـ إلا أن كلهم هلكوا وانعدموا وقد بلعتهم الأرض.

كتب مؤلف الرياض النضرة محب الطبرى راويًا عن هارون بن الشيخ عمر بن قائلاً: «قال شيخ خدمة الحرم النبوى شمس الدين صواب اللمطى بالذات: «كان لى صديق من خاصة والى المدينة المنورة وكل ما يتعلق بالأعمال الحكومية كنت أكلف هذا الشخص القيام به، وشرفنى يومًا فى حجرتى المتواضعة وقال: جاء اليوم بعض الناس من حلب ورجوا أن يؤذن لهم بإخراج الجسدين اللطيفين للشيخين الكريمين ـ رضى الله عنهما ـ وأخذوا إذنًا من أمير المدينة بذلك وقد

أعطوه نقودًا طائلة وبمجرد ما أنهى كلامه جاء رسول من قبل أمير المدينة المنورة وقال تفضلوا معي إن أمير المدينة يريدك، فأخذني وذهب بي عند الوالي، وعندما دخلنا في الدائرة الحكومية ورآني الوالي فقال مؤكدًا: «يا صواب سيدق باب مسجد السعادة بعض الناس ووقتما يدق الباب يجب أن تفتح الباب وتدخل من دقوه في الداخل ولا تعترض على أي شيء يفعلون وأن تصمت» هذا كان أمره، إنني جلست هذه الليلة في جهة من جهات المسجد وأخذت أبكي من شدة الهم والغم وسبحت في بحر الفكر والحيرة عساني أجد حلاً لهذا الموضوع».

وعقب صلاة العشاء أغلقت الأبواب حسب الأحوال الجارية ثم جلست في جانب من حجرة السعادة وأخذت أبكي، ودق في منتصف الليل الباب الذي في محاذاة دار الوالي، وبناء على الأمر الذي تلقيته فتحت الباب ووقفت خلف مصراعه، فدخل بعض الناس في الداخل وأغلقوا الباب، فأحصيتهم فردًا فردا كانوا أربعين نفرًا كاملين وكان كل واحد منهم يحمل على ظهره زنبيلاً أو زنبيلين مملوءين بأدوات الحفر، فتوجهوا رأسًا إلى حجرة السعادة، وفي الوقت الذي مروا من محاذاة مئذنة باب السلام واقتربوا إلى أمام المنبر السليماني، فانشقت أرض المسجد وبلعت هؤلاء الناس جميعًا بآلاتهم وأدواتهم واختفوا عن الوجود، ولما التأمت الأرض المنشقة ظل نصف ملابس أحد الأشخاص الذين ابتلعتهم الأرض خارجها وهكذا أشير من قبل الحق أن هذا المكان هو مكان الانشقاق[1] وبعد مرور مدة طويلة استدعاني والدي عنده وقال لي: «كنت بعثت لك بعض الأشخاص، هل أتوا؟ وكان يريد بهذا السؤال أن يستكشف الأحوال، فقلت له نعم قد أتوا إلا أن الأرض انشقت وبلعتهم ونقلت له القصة كما حدثت، فقفز من مكانه وذهب إلى مسجد السعادة ورأى قطعة الملابس التي ظلت خارج

(١) ويخبر بعض أهل المدينة أن الكيفية قد عرفت للناس في تلك الليلة بصوت من الهاتف.

الأرض وفهم حقيقة ما حدث ثم التفت إلى قائلاً إذا ما قلت شيئًا فى هذا الموضوع سأعدمك وبعد هذا التهديد أوصانى بأن أكتم ما حدث.

كتب هذه الحكاية أبو محمد بن عبد الله بن المرجانى أيضا فى تاريخ المدينة إلا أن الأشخاص الذين ابتلعتهم الأرض كانوا خمسة عشر نفرًا أو عشرين، ثم أضاف إننى سمعت هذه الحكاية من أبى عبد الله بن أبى محمد المرجانى كما أنه سمع من أبيه محمد المرجانى، كما أن محمد المرجانى سمع من خدم الحجرة الشريفة، وفى آخر الأمر سمعت أنا من ناقله، وبهذه الرواية نقل وبين الحكاية السالفة.

وإن كانت الرواية التى ينقلها أبو محمد تظهر مختلفة عن رواية محب الطبرى إلا أن القول الأول بما أنه منقول عن شمس الدين صواب اللمطى بالذات فإنه مرجح على القول الثانى.

يخبرنا مؤلف طريقة محمد بعد أن ينقل ما قاله حضرة صواب برواية محب الطبرى، كيف مات والى المدينة، وأين تعرض حضرة صواب ومن طرف أى الأشخاص للهجمات بصورة واضحة، وبناء على تحقيق المؤلف المشار إليه أن والى المدينة قد تعرض لمرض الجذام عقب هذه الواقعة وارتحل إلى دار البوار بعد أن تقطعت أعضاء جسمه إربًا إربًا.

إن الزنادقة الظالمين أرسلوا بعض السفاحين وقد اطلعوا على مصير الأشخاص الذين بعثوهم من حلب وكيف بلعتهم الأرض واختفوا إلى الأبد أرسلوهم ليقضوا على حضرة صواب ويقتلوه وقد فرح هؤلاء الأشخاص وابتهجوا إذ دعوا صوابا إلى مجلس حيث تجرءوا لقطع لسانه، إلا أن النبى ﷺ مسح على لسان صواب فرجع اللسان على حالته الأولى كأثر من آثار المعجزة النبوية وأخذ يتحدث ومن هنا تبدل فرح هؤلاء السفاحين وابتهاجهم غما وهما.

أرادت فرقة الزنادقة أن يخفوا ما ارتكبوه من الإهانة عن أهالى الممالك المتجاورة وذلك بفكرة رفع وجود صواب المبارك عن خريطة الحياة فدبروا له

حيلة ورموه فى السجن وجرحوا جسمه المبارك ومزقوه وعرضوه لجروح غير قابلة للالتئام، ولكن طبيب أدواء الأمة ﷺ أخرج صوابًا من السجن. كما أنه ـ عليه السلام ـ أزال جميع آثار الضرب والجروح ومن هنا أمكن إخفاء أحداث الواقعة وسترها.

وأراد والى المدينة أن يخفى عن الناس مكان قطعة الملابس بقطعها ولكن صوابًا كان قد أرى مكان انشقاق الأرض لأهالى البلدة المباركة فى أثناء وقوعه فى أجولة السفاحين، وشرح لهم ما حدث ومن هنا وضع الناس فى هذا المكان قطعة من الحجارة وعرفوا الزوار الذين يقصدون قبر السعادة بأن ذلك المكان مكان الانشقاق ومع مرور الأيام تبدل ذلك الحجر، وفى النهاية وضعت قطعة من الرخام متعددة الألوان الأصفر يختلف لونها عن قطع الرخام الأخرى لتجذب الأنظار.

وما زالت هذه القطعة الرخام فى زماننا هذا، فإذا ما سئل أى واحد من أهالى المدينة يشيرون إليها، وبما أنه لا يوجد فى ساحة حرم السعادة الرخامية قطعة رخام أخرى تشبهها فلا داعى للسؤال عنها من زيد أو عمرو، وعلى الزوار الذين يريدون أن يروا هذه الرخامة أن يبحثوا عنها فى الساحة الرخامية فى مواجهة السعادة بعد أن يدخلوا من باب السلام بين مئذنة باب السلام والمنبر السليمانى.

ينقل لنا مؤلف روضة الأبرار أن لعينًا اسمه أرناط حاكم قلعة كرك مدينة صغيرة فى ولاية الشام وهى ملحقة بسنجق البلقاء يسكنها ثمانية آلاف، نسمة ستة آلاف منهم مسلمون والألفان مسيحيون.

ومركز هذه المدينة قرية كرك التى تقع على مسافة خمس أو ست مراحل من نابلس التى تقع فى الجهة الجنوبية من البلقاء أراضيها ذات محصول وفير منبتة خصبة، لكن بما أن سكانها عشائر غير متحضرة فأحوالها العامة غير منضبطة، وإدارتها محولة إلى الشيخ الذى يطلق عليه القائم مقام، وهذه القرية فى ممر قوافل مصر والحجاز، ولما كان موقعها ذا استحكام طبيعى كانت فى الأوائل

مركزًا تجاريًا، وقام الصليبيون ببناء بعض الحصون فيها كما أن الأيوبيين قاموا بتعميرها وإصلاحها بصورة رصينة متينة حتى أصبحت فى حالة فوق العادة من العمارة ومازالت بعض قلاعها قائمة إلى الآن آثار ملك الفترة المزدهرة.

وقع أرناط فى سنة ٥٧٨هـ فريسة لفكرة نبش مرقد النبى المنير ونقل جسده الشريف تلك الفكرة الخائبة، ومن هنا أمر بصنع بعض المراكب الصغيرة فى قلعة (كرك) وأوصلها إلى البحر الأحمر جرًّا على اليابسة، كما أرسل ثلاثمائة وخمسين نفرًا من الأشقياء السفلة لاستخدامهم فى تسيير المراكب ولإرسالهم إلى المدينة المنورة إذا اقتضت الأحوال.

وكان غرضه أن يؤخذ الجسد النبوى الطاهر إلى ميناء ينبع ومن هناك إلى بلاده، ولما وصلت تلك المراكب إلى ميناء ينبع تكونت جماعة كبيرة مع العربان الذين وافقوا على الفكرة وترك فى الميناء قدر كاف من الحراس لحراسة السفن وأخذ الباقى يتسرب إلى ناحية المدينة المنورة منفردين، ثم اجتمعوا فى مكان معين وأخذوا يتقدمون، ولما وصل هذا الخبر الذى أثار الدهشة إلى مسامع مَنْ يُعْرَفُ بين المشايخ باسم الشيخ محيى الدين النووى فى الشام ظَنَّ أَنَّ والى الشام يريد إرسال الكتب النفيسة التى فى مكتبة الجامع الأنورى الشريف إلى ديار أخرى.

وعندما اطلع الإمام على حقيقة الأمر ذهب إليه وأراد أن يثنيه عن قراره بكلام لين ونصيحة خالصة، ولما رأى أن كلامه لا يؤثر فيه غير كلامه وأخذ يهدده بفقرات باردة، وظن الوالى أن الإمام شخص عادى كآحاد الناس فأمر بحبسه وتوقيفه فابتدر مَنْ بجانبه الشَّيْخَ ليحملوه معهم، لكن فراء الأسود والنمور التى كانت مفروشة فى الحجرة تراءت لهم كالحيوانات المفترسة الحية فامتلأ قلب الوالى بالخوف والفزع ولاسيما قلوب الذين كانوا أمسكوا بالإمام وهكذا جعلتهم يفرون جميعًا، وبناء على ذلك ثاب الوالى إلى رشده وندم على ما فعل وطيب خاطره وقبل يده وقدمه إنقاذا من هذه الورطة المخيفة المفزعة.

بينما تصدر الأمور الخارقة للعادة من الإمام النووى والآخرين مِمَّنْ يتباهون بانتسابهم إلى الرسول ﷺ فكيف يجوز التردد فى تصديق ما ينسب إلى الرسول ﷺ، ملك جنود الملائكة من الخوارق هذا النبى الذى اتخذه خالق العالم - جل شأنه - حبيبًا له.

كن مجذوبًا بحب الله ... وكن فى كمال الأدب أمام النبى.

الوجهة الثانية عشرة
تشتمل على ثلاث صور
فى ذكر الوقت الذى احترق فيه مسجد السعادة
وكيف احترق ومن الذى جدده

تعرف كيفية احتراق مسجد السعادة للمرة الأولى وكيف جدد

دخل أبو بكر بن أوحد[1] من فراشى المسجد النبوى فى ليلة يوم الجمعة الأولى سنة ٦٥٤ الهجرية[2] إلى مخزن القناديل الكائن بالزاوية الشمالية لجدار المسجد الغربى ليخرج قناديل المآذن ووضع الشمعة التى فى يده فوق قفص أحد القناديل ونسى أنه ترك الشمعة فوق قفص القناديل ولما كان ذلك القفص قابلاً للاحتراق فاحترق فجأة وانتقل الحريق إلى الأقفاص الأخرى للقناديل ومن هناك سرت النار إلى حصير المخزن ثم إلى سقف المسجد الشريف وتركت المسجد فى ظرف ساعة فى حالة أليمة من شدة الحريق واللهيب، وأخبرت الإدارة الحكومية قبل أن تسرى النار إلى الأطراف فجاء أهل المدينة مع السادات والموظفين وبذلوا الجهود لإطفاء الحريق ولكن محاولاتهم ذهبت سدى فاحترق الحرم الشريف تمامًا ولم يمكن إخراج شيء من داخله.

ولم يصب الحريق المسجد النبوى وحده، إذ كان فى ذلك التاريخ فوق صندوق قبر النبى ﷺ إحدى عشرة قطعة غطاء بعضها فوق بعض ومصاحف شريفة وكتب نفيسة وأشياء ذهبية ثمينة فاحترقت كلها فظهرت عظمة الأنوار الإلهية كالشعلة الملتهبة.

وقد وقع هذا الحريق بعد نار الحجاز المنذرة وكان هذا الحريق إشارة إلى ما ارتكبه الخوارج فى داخل مدينة الرسول وسوء عاقبة الذين يتصرفون خارج الآداب الشرعية هؤلاء الخوارج الذين فصلت أحوالهم وجرمهم وعرفت فى الصورة العاشرة من الوجهة الثالثة وفى الصورة العاشرة من الوجهة الأولى، إذ

(١) اشتغل هذا الشخص قيمًا فترة ما.

(٢) ادعى بعض المؤرخين أن هذا الحريق وقع فى عام ٦٥٥ ولكن الحقيقة أنه وقع فى عام ٦٥٤ .

ظهر بعض الزنادقة عقب نار الحجاز المنذرة، كما فصل فى الصور المذكورة، وأحدثوا بدعًا كثيرة خارج الأدب المشروع للشريعة الإسلامية.

وقد رأى أهل المدينة هذين البيتين قد كتبا عل جدران مسجد السعادة فملأهم خوفًا ورهبة وخشية.

لم يحترق حرم النبى لحادث
يخشى عليه وما به من عار
لكنما أيدى الروافض لامست
تلك الرسوم فَطُهِّرَتْ بالنار

إن البيتين اللذين رؤيا بعد الحريق على جدران مسجد السعادة يدلان على أن الروافض كانوا سببًا فى الحريق بسلوكهم المشين إلا أن الأبيات الآتية التى ذكرت بعد الحريق بـ ٦٥٠ سنة توضح أسباب الحريق فى صورة أكثر وضوحًا.

وكان يقضى أن الروافض هم الذين يتحملون عذاب تلك النار، فأفهمهم بطريقة ظريفة حكمة احتراق مسجد السعادة وقائل الأبيات محمد أبو الهدى الجالس على صدر ديوان الأدب وزينة مجمع البلغاء.

تجاوز فى المقام حدود شرع
أناس غافلون عن الإشاره
أراد الحق إعظامًا لحقه
عقابهم فأرسل عز ناره
فقال بغيرة رب اهد قومى
فرد النار عنهم للحجاره

ولم يبق فى الحريق المذكور غير القبة[1] التى أمر بصنعها الناصر لدين الله لحفظ لوازم مسجد السعادة، فالصناديق التى كانت موجودة فى المخازن الموجودة فى خارج مسجد السعادة، وفى الجهات الأخرى من مسجد السعادة احترقت كلها.

وكانت القبة التى بناها الناصر لدين الله فى وسط المسجد وكان فى داخل القبة المصحف الشريف العثمانى، وبعض الصناديق الكبيرة التى صنعت فى السنة الثلاثمائة من الهجرة فنجت النصاديق المذكورة من النار بحرمة المصحف الشريف الذى كتبه حضرة عثمان بيده؛ وبعد أن انطفأت النار تمامًا كانت الأعمدة التى ظلت فى الساحة تهتز كأنها أشجار النخيل وتتمايل على جهتين وقد ذاب الرصاص الذى فيها وأخذت تسقط على الأرض واحدة تلو الأخرى.

وكان بين هذه الأعمدة أعمدة لم يذب رصاصها ولم تقع إلا أنها تأثرت من صدمة وقوع الأعمدة الأخرى وأخذت تسقط واحدًا تلو الآخر ولم يبق عمود يمسك سقف المسجد الشريف فوقع سقف المسجد الشريف فوق الحجرة المعطرة كما أن سقف الحجرة المعطرة وقع على مرقد النبى الجليل، وفى اليوم الثانى نظف من ساحة المسجد الشريف المحترق ما يستوعب عدد مصلى صلاة الجمعة وأبلغ الأمر إلى المستعصم بالله بن المنتصر بالله البغدادى وبعثوا المحضر العمومى الذى كتبه الأهالى راجين من الخليفة سرعة تعمير المسجد.

وبعثت الأشياء اللازمة من قبل المستعصم من بغداد مع قافلة حجاج بغداد مع الأمر بسرعة الشروع فى تجديد البناء فبدئ فى إجراء عمليات البناء وفكروا فى تجديد حجرة السعادة أولاً ورفع الردم الذى وقع فوق القبور الشريفة وتطهير

(١) وقد عمرت هذه القبة سنة ٥٧٦ وأطلق عليها اسم قبة الشمع، فهدمها السلطان عبد المجيد وأضاف ساحتها لساحة حرم السعادة الرملية فى سنة ١٢٧٧هـ.

داخل الحجرة المعطرة قدر الإمكان وفعلاً فهذا ما كان يجب عمله، ولأن سقف الحجرة المعطرة كان قد احترق ووقعت الحجارة والتراب وما يشبههما فوق القبور الشريفة، ولكن مهابة القبور الشريفة والرهبة منها حالت دون ذلك، فلم يتجرءوا عل تنفيذ ذلك؛ ومن هنا اجتمع مجلس شورى برئاسة والى المدينة منيف بن شيخة بن هاشم بن قاسم بن مهنى الحسينى وقرر فى هذا المجلس بموافقة أكابر المدينة كتابة عريضة وإرسالها إلى بغداد لتبليغ الأمر إلى الخليفة ولما كان ذلك فى أثناء استيلاء التتار على بغداد لم يأخذوا أى رد فتركوا مسجد السعادة على حالته تلك.

لما كان الضمير لن يقبل ترك مسجد السعادة فى حالة خراب كما أن ورود الإذن بخصوص تعمير المسجد قد تأخر كثيرًا فعمر ورمم سادات المدينة وعلماؤها وأعيانها جهات الحجرة المعطرة الثلاث تاركين الجهة الشامية، وفهموا أن الحكومة البغدادية وموظفيها لن يستطيعوا تعمير مسجد السعادة لما ابتلوا بهجوم التتار فى المحرم الحرام من سنة ٦٥٦هـ، فراجعوا ملوك المسلمين الآخرين فى الأطراف، وكانت تعميرات الأهالى لحجرة السعادة مقتصرة على تغطيتها فقط، وقد بدئ فى هذا التعمير سنة ٦٥٥هـ فصنعوا غطاء من قماش يسمى محايس يمنية وغطوا فوقها، وكانت بطانة هذا الغطاء من قماش أزرق وكانت الستارة أربع قطع وكانت كل قطعة على شكل باب فضموا بعضها ببعض وألصقوها بلوحة خشبية مصنوعة من خشب يسمى الساج الهندى ولم تكن فى هذه اللوحة زينات ونقوش وكان اسم عاملها محكوكًا عليها.

إن أول من استجاب لطلبات الأهالى لتجديد المسجد الشريف صاحب مصر المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحى وأرسل الأشياء اللازمة للبناء، ثم وصلت اللوازم التى أرسلها صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور بن عمر بن رسول فقرر بناء مسجد السعادة من جديد وشرع فى العمل بناء على أمر صاحب مصر وإشعاره وبعد أن بنيت الجهة القبلية

إلى باب السلام تولى ملك مصر المظفر سيف الدين محمود بن ممدود خوارزم شاه، بدلاً من منصور نور الدين على مظفر بن الملك عز الدين أيبك الصالحى للتعطيل، وبذل سيف الذين المعزى أيضا لإعمار مسجد السعادة جهده، فَبَنَى الجهة الشرقية من باب السلام إلى باب الرحمة والجهة الغربية من باب جبريل إلى باب النساء فى صورة متينة، إلا أنه مات فى نهاية السنة المذكورة مقتولاً فتعرضت مبانى الحرم الشريف للتعطيل ثانية.

وتولى حكم مصر والشام بعد سيف الدين الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى البندقدارى، ولما كان يرجو أن يكمل بناء مسجد السعادة عَيَّنَ جمال الدين محسن الصالحى من رجالات مصر لأمانة البناء وأرسله إلى المدينة المنورة فى رفقة ثلاثمائة وخمسون نفر من العمال المهرة كما دبر له المال اللازم والأشياء الأخرى وأرسلها إلى جمال الدين محسن دون تأخير.

عندما وصل جمال الدين إلى دار الهجرة بنى المسجد الشريف للمرة الثانية من باب الرحمة إلى باب النساء وجعل للجهات الغربية والشرقية والقبلية سقفين لطيفين فأعاد أبنية المسجد لحالتها الأولى.

وظل مسجد السعادة تسعة وأربعين عامًا إلى أوائل عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى على هيئة بناء الظاهر ركن الدين، وفى سنتى ٧٠٥، ٧٠٦هـ هدم محمد بن قلاوون الصالحى السقوف التى على يمين جهة الساحة الرملية ويسارها وجددها بأن جعلها سقفًا واحدًا[١] مثل الجهة الشمالية وبعد ٢٣ سنة أضاف عقدين إلى الجهة القبلية فوسع المسجد الشريف قليلاً ورمم الجهات التى فى حاجة إلى التعمير وجعلها فى غاية المتانة وذلك فى سنة ٧٢٩هـ ولكن العقدين اللذين أقامهما محمد بن قلاوون لحق بهما البلى ولم يعودا صالحين وخيف من سقوطهما بغتة فيكون ذلك سببًا فى هلاك الناس وهذا ما أزعج الناس وأقلقهم، ولما عرف الأمر الملك الأشرف برسباى بعث أمين البناء مقبل

(١) كانت الجهة الشمالية لمسجد السعادة وجهاته الأخرى مبنية بسقفين.

القائد وأعطى له مقداراً من النقود التى حصل عليها من حوالى جزيرة قبرص فجدد العقدين المذكورين كما جدد الأماكن التى فى حاجة إلى التجديد فى السقف الشمالى، وذلك فى سنة ٨٣٧هـ.

ولما لزم تعمير بعض أماكن المسجد الشريف بعد ٢٢ عامًا بعث الظاهر جقمق المصرى فى سنة ٨٥٣هـ المهندس أمير برد لتجديد سقوف الروضة المطهرة وسقوف الأماكن الأخرى المباركة كما أن الأشرف قايتباى جدد فى سنة ٨٧٩ بعلم شمس بن زمن بعض أماكن السقف الشرقى بعد هدمها إلى المئذنة الشرقية.

وجدد شمس بن زمن بعد سنتين سقف الجهة القبلية وبدل قبة الحجرة المعطرة[١] بقبة حجرية وهكذا رصن حجرة السعادة.

ولكن عندما ضاقت جهة مسجد السعادة الشرقية كثيراً أضاف إليها من الخارج ذراعين وربع ذراع فوسع حرم السعادة كما أن هذا الجدار قد سحب إلى الخارج عند التعمير الأخير أى فى عصر السلطان عبد المجيد قدر خمسة أذرع ولم يكن لذلك الوقت قبة فوق الحجرة المعطرة فكان بناء عمر بن عبد العزيز متصلاً بسقف مسجد السعادة على شكل سقف مستو ولكى ينفصل عن سقف المسجد الحرام أقيمت حظيرة من الآجر بارتفاع ذراعين، وحَوَّلَ الملك المظفر هذه الحظيرة إلى قبلة مثمنة فى أعلاها ومربعة فى أسفلها، وغلفها من أعلاها بألواح خشبية وغلف الألواح الخشبية بألواح رصاصية ثم غطاها بستارة من المشمع.

وفى سنة ٧٥٦ جدد تلك القبة المذكورة الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون وجددها مرة أخرى بعد اثنتى عشرة سنة إلا أنها حولت فى سنة ٨٨٦هـ إلى قبة حجرية فى عهد الأشرف قايتباى المصرى.

(١) وقد قدر الأهالى هذه القبة فى ذلك الوقت وسموها القبة الزرقاء.

فى تعريف احتراق مسجد السعادة للمرة الثانية وكيفية وصورة تجديده

فى الليلة الثالثة، وعلى رواية فى الليلة الثالثة عشرة، من رمضان سنة ٨٨٦هـ وفى الثلث الأخير منها بينما كان رئيس المؤذنين شمس الدين بن الخطيب يهم بالطلوع على المئذنة الرئيسية والمؤذنون الآخرون إلى المآذن الأخرى للتهليل والتذكير والترحيم.

ظهرت فجأة على وجه السماء غيوم سوداء مخيفة وظهرت أصوات مدهشة كأنها طلقات المدافع فأصبحت دار العزة ونواحيها المتجاورة داخل نار ملتهبة، وزادت أصوات الرعود والصواعق بالتدريج فأصابت صاعقة شديدة مئذنة رئيسية فهدمت أعلى شرفتها والجهة الشرقية من المسجد الشريف وخربته وقتلت شمس الدين بن الخطيب وعشرة من الخدم والجماعة وكان من ضمنهم نائب خازن الحرم.

والصاعقة التى هدمت المئذنة الرئيسية وخربتها سرت نيرانها إلى سقف مسجد السعادة ومن هناك دخلت داخل المسجد بحيث أصبح مسجد السعادة فى وسط النيران فجأة.

وإن كان أغوات حجرة السعادة فتحوا أبواب الحرم الشريف وأخبروا الأهالى بالحادث فتكاثروا وتكاتفوا لإطفاء الحريق وبذلوا كل جهودهم، ولكن النيران الملتهبة قد أحاطت بجهات مسجد السعادة الأربعة بشدة حالت بين من يحاول أن يدخل إلى داخل المسجد ومع هذا فمن دخلوا داخل المسجد مضحين بأرواحهم اندفعوا خارج المسجد بطريقة شديدة حتى ينجوا بأرواحهم وزادت النار التهابًا واشتعالاً فلم يبق أمام الأهالى إلا أن ينسحبوا بعيدًا وأن يتفرجوا على النار.

بينما كان مسجد السعادة يحترق والنار تنتقل من هناك لهنا أخذ الأهالى ينقلون أشياءهم إلى خارج المدينة وفى نفس الوقت ينظرون إلى النار المخيفة نظرة حيرة ودهشة؛ ولم يخرُج من داخل المسجد إلا بعض المصاحف الشريفة فى أول الحريق، واحترقت الكتب النادرة القيمة والأشياء الثمينة وكل ما أهدى من قبل السلاطين والأسلاف من الأشياء الذهبية الثمينة ولم ينقذ إلا القبة التى كانت فى وسط الحرم الشريف واحترق عشرة أنفار من الذين دخلوا داخل المسجد بغتة لنقل بعض الأشياء وماتوا متأثرين من النار.

استطراد

اسم القبة التى ذكرت اسمها قبة الشمع وقد بنيت من قبل الناصر لدين الله لتوضع فيها لوازم حرم السعادة وهى الأشياء التى ترد منذ ثلاثمائة سنة حتى مصحف عثمان بن عفان كان محفوظًا فى داخل هذه القبة، ولما ساءت حالتها مع مرور الزمان وخربت، هدمها السلطان سليمان بن السلطان سليم حتى سُوِّيت بالأرض وبناها من جديد فى تاريخ ٩٧٤هـ وكتب على القطعة الرخامية التى وضعت خارج جدارها الخارجى بخط جلى مُذَهَّب (لمولانا السلطان الملك المظفر ملك البرين والبحرين، السلطان سليمان أعز الله نصره)، ولما رأى محمد رائف باشا الذى عين لأمانة البناء من قبل السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٤هـ أن إبقاء القبة داخل مبانى حرم السعادة مضرًا، رفع تلك القبة من ساحة الحرم الشريف الرملية وأخرجها إلى خارج الجدار الشامى كما ذكر فى الصورة الثالثة من هذه الوجهة، وفعلاً قام بعمل مناسب. انتهى.

وقد اتسعت تلك النار واشتدت واشتعلت حتى إنها جعلت المسجد الشريف يتحول إلى بحر من شعل ولهيب حتى ظن الناس أنها ستحرق جميع حوانيت المدينة المنورة ومنازلها فهربوا إلى أماكن بعيدة، إلا أنها لم تسر خارج المسجد.

معجزة باهرة

رأى أحد الصالحين فى رؤياه أن بعض الجراد ينتشر إلى الأطراف وعقب ذلك شاهد ظهور شرارة النار وأن النبى ﷺ يقول: «إننى أمنع هذه النار وفعلاً منع انتشار النار إلى الأطراف، هذا ما نقله هذا الرجل الصالح»، وفعلاً قد رئى فى أثناء الحريق ظهور طيور بيضاء لا حصر لها وتمنع بأجنحتها انتشار النار خارج مسجد السعادة.

وقد رئيت تلك الرؤيا فى الليلة الثانية من رمضان أو الليلة الثانية عشرة ونقلت إلى أمير المدينة السيد الشريف زين الدين ابن الشريف زين بذاته أن الشخص الذى رأى الرؤيا من صلحاء العرب ونال حسن ظن جميع الناس.

حرم النبى محمد فيما مضى
مسته من أثر الصواعق نار
ما تلك صاعقة ولكن لمعة
نورية قدحت بها الأنوار
وسرى زفير المذنبين ملامسا
لحبالها فبدى لها الآثار

وهذه الأبيات ارتجلها بداهة بسبب احتراق الحرم السعيد للمرة الثانية مفخرة العلماء وسند الفضلاء صاحب السماحة أبو الهدى أفندى ولا نبالغ إذا قلنا إنه لا نظير لمثل هذه الموهبة الشعرية فى شعراء الأسلاف.

بعد انطفاء الحريق بعدة أيام أطفأ أهالى دار الهجرة النار الباقية فوق القبة الخضراء، وعجبوا لما رأوا أن القبة المزينة التى بنيت قبل الحريق فوق الحجرة المعطرة لم تحترق واحترقت فقط القبة الخضراء التى فوقها وذاب الرصاص الذى فوقها وأخذ يسيل فوق قبة حجرة السعادة ولكنه لم يضر الأشياء التى كانت فى داخل الحجرة المعطرة.

عبرة

والغريب في الأمر أن القبة الكبيرة التى تحيط بالقبة الصغيرة والمخازن التى فى داخل مسجد السعادة والمصاحف الشريفة و ١٢٠ من الأساطين الحجرية ومقصورة مرقد السعادة ومنبر النبى المنير وصندوقه مصلى السعادة قد احترقت كلها وانمحت الأعمدة المتصلة بالحجرة اللطيفة المسعودة، ورفعت بعد الحريق الأشياء التى كانت فى الجهة القبلية من الحجرة المعطرة ونجت بعض أجزائها كالأشجار والبقايا الأخرى من الحريق إلى جهة الجدران الشامية وكتب الأمر إلى السلطان قايتباى المصرى وقد حزنت قوافل الزوار التى وردت من مكة وتكدرت.

ظهور السيل المروع بجوار مسجد الحرم

عند عودة الذين احترقت قلوبهم بنار احتراق مسجد السعادة كانت تنتظرهم مصيبة أخرى عند عودتهم إلى مكة المكرمة، وذلك بظهور سيل عظيم وكأنه بحار متلاطمة، ملأت الصحارى والأودية وفى النهاية ملئ حرم الكعبة المعظمة فهدم كثيرًا من المنازل والدكاكين وليس فى الإمكان إحصاء من غرقوا فمن قائل أنهم كانوا ثمانين غريقًا ومنهم من يقول مائة ووجدت جثثهم بعد انقطاع السيل، وروى أنه لم يقع مثل هذا السيل العظيم بعد الجاهلية.

تجديد مسجد السعادة وقصر عزة الوحدانية

لما أطلع السلطان قايتباى على تعرض الكعبة العلياء موئل الرحمة والوحدانية الحرم المحترم لهجوم السيل وخرابه حتى تحول كل ركن منه إلى عش بوم أو غراب، فعين سيفى سنقر الجمالى لأمانة بناء الكعبة المعظمة وشمس بن زمن لأمانة بناء المدينة المنورة وأخرجهما إلى الطريق وأمر بأن يبعث الأدوات اللازمة للبناء عن طريق جبل الطور وينبع البحر وهما فى مصر وأن يصاحب كلا من سنقر الجمالى وشمس بن زمن أربعمائة من مهرة العمال وكذلك الدواب اللازمة للنقل.

وتوجه سنقر الجمالى وشمس بن زمن نحو مكة المكرمة فى خلال شهر ربيع

الأول سنة ٨٨٦هـ، وحيثما نزلوا فى الطريق أو قضوا ليلهم وجدوا كثيراً من الموظفين المكلفين بحمل الأدوات اللازمة للبناء كما أرسل موظفون لإحصاء المكلفين بقطع الخشب اللازم من حوالى المدينة المنورة والأخشاب التى وردت من المدينة المنورة ونواحيها ولوازم البناء قد تحولت إلى جبال راسيات وامتلأ الطريق البحرى والبرى بالأشياء اللازمة لتعمير الأماكن المقدسة، ورأوا أن أهالى كل بلدة وضيعهم أو شريفهم مشغولين بنقل مهمات البناء.

وبمجرد أن وصل شمس بن زمن إلى دار العز المدينة المنورة شرع فى هدم الجهة القبلية للمسجد ابتداء من المئذنة الرئيسية إلى باب السلام وهدم الجهة الشرقية إلى باب جبريل وأخرج الجهة الشرقية إلى خارج ما يقرب من ذراع ونصف ذراع ووسع محراب عثمان الشريف وجعله فى صورة جميلة وطبيعية وجدده، ورفع عليه قبة جميلة وقصر من طول الأعمدة ووضع عليها عقوداً من اللبن ورفع هذه العقود بالأخشاب وصنع عليها سقوفًا كاملة منتظمة، وصنعوا قبابًا عالية متينة على الأساطين التى بجانب محراب عثمان والأساطين التى تحيط بحجرة السعادة وغيروا الأعمدة التى فى مقصورة الحجرة المعطرة فى شكل جميل.

ولما كانت القبة التى أقيمت فوق حجرة السعادة أعلى من القباب الأخرى وضع مهندسو التعمير عقوداً محكمة فوق الأساطين التى على جوانب الجدار الشرقى الأربعة والشمالى حول هذه القبة وبنوا فوق تلك العقود أربعة أعداد من القباب المتينة وفتحوا منافذ بين المئذنة الرئيسية والعقود سالفة الذكر لتيار الهواء، عندما كانت تمد عقود القباب الجديدة أضيف للجهة الشامية لمثلث حجرة السعادة عمود وعندما كان يحفر أساس هذا العمود ظهرت علامة قبر، ولما حكم أمين البناء شمس بن زمن أن هذا القبر قبر حضرة (فاطمة) رضى الله عنها فجعل ذلك القبر داخل علامة خاصة، وبعد وضع هذه العلامة أخذ زوار الرسول ﷺ يزورون هذا المكان أيضا.

كان مكان باب المئذنة الرئيسية قبل الحريق فى الطرف الغربى أى فى المكان الذى يوجد الآن فأداره شمس بن زمن إلى جهة الشام وأسس صفة أمام الأبواب الجديدة ذات الأربع درجات خصصت هذه الصُّفة لاستراحة الأئمة يوم الجمعة إلا أن شاهين الجمالى عندما جدد المئذنة الرئيسية فى سنة (٧٩٨) هدم تلك الصفة وأعاد باب المئذنة إلى مكانه القديم أى الجهة الغربية.

والآن يجلس خطباء مسجد السعادة قبل الخطبة أمام هذا الباب، و بعد أن أتم شمس بن زمن عمليات المواقع المذكورة زين باب السلام بقطع رخام ملونة، وبنى قبتين رصينتين فى جهة الباب الداخلية فقوى ورصن ذلك الباب، ثم أمر بحفر أطراف الروضة المطهرة الأربعة وسوى أرضية المسجد وسطحها، وركز محل الصندوق الذى كان علامة مصلى النبى عمودًا وزين أعلاه بالحجارة الملونة الخاصة بالمحراب النبوى، وفرش أطراف الحجرة المعطرة بالرخام كشكلها القديم، ثم أتم عمليات المقصورة ومنبر السعادة والمحفل، وعقب ذلك أمر بصنع صفة صغيرة فى المحل الذى بين باب السلام ونهاية المسجد، ولكن الصفة التى فى الجهة الشمالية أعلى قليلاً من الصفة التى صنعها شمس بن زمن.

بعد ما تمت عمليات المحلات المشروحة هدم رباط الحصن العتيق الذى فى جهة باب السلام ثم هدم مدرستى دار شباك وجوبانية و بنى على ساحتيهما مدرسة جميلة باسم السلطان قايتباى، وبنى كذلك رباطا، وقد أقيمت مبانى هذه المدرسة والرباط المذكور فوق ثلاثين عقدًا وكانت ذات ثلاثة طوابق وكان بناء ضخمًا له ثلاثة أبواب، والنافذة التى تنسب إلى أسبق المهاجرين وأفضل أصحاب الدين حضرة أبو بكر الصديق أحد أبواب ذلك المبنى الضخم وهو الباب الذى استثنى عندما أمر النبى ﷺ بسد الأبواب الأخرى.

كان شمس بن زمن أمر ببناء عقود كثيرة على جدار مسجد النبى القبلى وهو يتصور أنه سيبنى الرباط والمدرسة المنسوبين إلى السلطان قايتباى فى الجهة القبلية لحرم السعادة، ولكنه غير فكره مؤخرًا وسد جميع العقود التى صنعت فى الجهة

القبلية ما عدا العقود التى تحاذى المحراب العثمانى، ولذلك زينها كلها بقطع زجاج ملونة بمختلف الألوان وشبك طرفها الخارجى بأسلاك نحاسية، ثم شرع فى تأسيس الرباط والمدرسة[1] سالفى الذكر وبنى مئذنة فى جهة باب الرحمة للمدرسة كما بنى حمامًا وعمارة وسبيلاً وطاحونة[2] ومخبزًا ومطبخًا للدشيشة[3] ووكالة، وأتم كل هذه الإنشاءات فى سنة ٨٨٨هـ وأبلغ الأمر إلى مصر وعرضه، وعاد ولكن السلطان قايتباى قد أبلغ أن تزيينات مسجد السعادة الداخلية وتذهيباته ليست منسقة وجميلة فأرسل فى سنة ٨٨٩هـ بعض النقاشين والرسامين من مهرة العمال والأشياء اللازمة لذلك فزينوا داخل الحرم الشريف فى صورة غاية فى جمال الصنعة، وأرسل من مصر مصاحف شريفة وكُتُبًا نادرة لتقوم مقام المصاحف المحترقة والرسائل النفيسة، وهكذا أكمل وظائف عبوديته، وأرسل بعد مدة لأجل الرباط سالف الذكر عشرة أعداد من القدور الكبيرة وجميع أنواع لوازم الطبخ، وأصدر أوامر مشددة بخصوص إبطال المكوس وأنه سيبعث بدل المكوس ألف إردب من قمح لولاة المدينة سنويًا كما كتب أن القمح سيرسل سنة عن طريق ينبع.

مكوس

جمع مكس وهو أخذ الخراج من الأشياء التى تباع فى الأسواق والطرق ومن الأشياء التى تخرج من المعايير وشراء شىء أقل ثمنًا من الآخر ويروى أنه من مخترعات النمرود وقبله لم يكن هذه الأشياء موجودة.

وبعد ما أتم السلطان قايتباى آيات بره المشروحة، أولم وليمة لأهالى دار العز لم يروا مثلها من قبل، ثم اشترى من يد السادات المنازل التى تسمى عباسا وما حولها من المساكن والبيوت وبنى مكانها الرباط والوكالة سابقتى الذكر وأوقف لأهالى المدينة ألف وخمسمائة إردب قمح سنويًا واللوازم الأخرى وعين لكل

(١) واليوم تسمى هذه المدرسة «المدرسة المحمودية».

(٢) وإلى هذا الوقت لم يكن فى المدينة حمام ولا طاحونة.

(٣) حساء يصنع بطحن القمح فى طاحونة يدوية وهو يصنع من القمح المكسر مثل البرغل.

واحد من أهالى المدينة شهريًا سبع أرادب مصرية قمح وهى تساوى خمسة أمداد مدنية، كما عين؟ للمجاورين كل يوم قطعتين من خبز ومقدارًا كافيًا من طعام الدشيشة وجعل للأغنياء والفقراء معينات وافية لكل واحد حسب حاله، وصار عطاءه هذه الأشياء كل سنة عادة.

يقول الإمام السمهودى: إن السلطان قايتباى المصرى أنفق لأجل اللوازم والأدوات وأجور الدواب فى سبيل تجديد المبانى المقدسة مائة وعشرين ألف دينار.

وأخبر مؤلف روضة الأبرار: أنه أنفق مائتى ألف قطعة ذهبية خالصة العيار تقربا للرسول الله ﷺ وأتم عمليات تجديد وتعمير الأبنية المقدسة فى حوالى سنتين. وهذه الأخبار أخبار دقيقة.

ذيل

ولا ينكر أن ما قام به قايتباى المصرى فى إيجاد العمارات والوقف شىء لم يسبق إليه من قبل وأن هذا العمل تضحية عظيمة، إلا أنه فى عهد السلطنة العثمانية والخلافة الكبرى قد زادت المرتبات الحجازية وترقت وقد روعى جانب سكان المدينة بدرجة لو كان السلطان قايتباى حيًا وعرف ذلك لشعر بالخجل، وكل ما يقال عن خدمة الخلفاء العثمانيين للأماكن المقدسة بشهادة صفحات التاريخ وباعتراف أولى الأبصار.

وبناء على ما فصل فى الصورة الثامنة من الوجهة الأولى فإنه قد طرأ فى فترة ما تقصير وإهمال فى توزيع الصدقات فأعطيت مخصصات الأهالى أربعة أشهر وتركوا ثمانية أشهر مكشوفين؛ ولما سمع ذلك بعث بالموظفين المخصوصين لتحرى الأسباب المؤدية لذلك، ثم عين شيخ الحرم المتصف بالعدل والتزام الحق، فأعطيت مخصصات الأهالى شهرًا بشهر فدعوا للسلطان بالخير.

كان السلطان قايتباى المصرى أرسل سنة ٨٩١هـ شاهين الجمالى إلى المدينة المنورة ونصبه شيخ الخدم وتولى سماطًا وطعامًا وأودعه الأدوات والأشياء اللازمة لتعمير وتشييد مئذنة السعادة، وجددها فى صورة متينة رصينة جميلة بأحجار

منحوتة وبعد ست سنوات أصابت الصاعقة تلك المئذنة وخربت وأصبحت مأوى للبوم والغربان فهدمها حتى الأرض وجددها فى شكل منسق جميل بعد الاستئذان.

فى بيان عرض الخدمات والعبودية من قبل السلاطين المشار إليهم إلى المسجد النبوى

أوشكت بعض جدران مسجد السعادة وقبة حجرة السعادة ومبانى مسجد قباء على الانهيار ومالت إلى الانهدام والسقوط حتى أصبحت الصلاة فى داخل الحرم النبوى الشريف خطرًا، وبلغ الأمر إلى باب أصحاب القرار، ولما كان هدم حرم السعادة هدمًا كاملاً غير مستساغ شرعيًا طلب أن يسمح بهدم بعض الأماكن الآيلة إلى السقوط من المواقع الشريفة.

وقد وصل الطلب الذى أرسل من قبل سادات وأعيان المدينة باهرة السكينة فى خصوص الأمر المعروض فى الوقت الذى يعمر فيه سور المدينة المنورة فصدر الفرمان السلطانى إلى والى مصر أن يبلغ المكلفين بتعمير السور بهذا الأمر، وأن يعد الأدوات اللازمة والمبالغ الكافية والعمال ورؤساء العمال وأن يرسل سريعًا إلى المدينة المنورة، وأرسل الأمر السلطانى بعد أن كتب فى قلم الديوان السلطانى إلى والى مصر، ولما كانت الإدارة السلطانية الهامة ومطالبها قد فصلت فى كشف خاص وعرف بها الوالى المذكور فهيأ والى مصر المهندسين والمعماريين ورؤساء العمال والبناءين والمبالغ الكافية وأرسل جميع المطالب برًا وبحرًا بكل احترام وتعظيم كما بعث رسالة إلى أمناء البناء بها تعليمات خاصة. وتفقد أمين البناء كافة المواقع مع السادات والأعيان بناء على ورود الأشياء اللازمة والتنبيهات التى وردت من والى مصر.

وشيد وأصلح داخل الحجرة المعطرة وخارجها كما سبق أن عرف فى بحث حجرة السعادة ثم هدم باب مسجد السعادة المشهور بـ (باب السلام) وبنى مكانه بابًا عظيمًا من الرخام المجلى يجذب الأنظار وذلك فى سنة ٩٤١هـ.

وبعد هذا التعمير بست سنوات هدم ابتداء من الباب الذى يطلق عليه باب الرحمة إلى المئذنة الشكلية مع المئذنة والجدار الواقع فى الجهة الغربية وجدد كل هذه الأماكن فى صورة رصينة محكمة وذلك فى سنة ٩٤٧هـ، وبعد أن جدد هذا الجدار الشريف على الوجه المطلوب فهدم الجدار الشرقى الذى يمتد من باب النساء إلى آخر الحرم مع مئذنته وجدده.

وبنى قبة الشمع وبنى فوقها مكان خلوة عاليًا كما أسس بجانب مئذنة الشكلية واتصالها دار خلوة أخرى فشيد تلك المئذنة من جديد على شكل مآذن بلاد الروم؛ وذلك فى سنة ٩٤٨هـ.

وبعد أن تغير شكل هذه المئذنة أصبح الأهالى يذكرون مئذنة الشكلية باسم المئذنة السليمانية(١).

وبعد التعمير المذكور بست وعشرين سنة أخذت بعض أماكن الجدار الغربى لامعة الأنوار تخرب، فأمر السلطان سليمان ـ عليه رحمة الله المنان ـ بهدم الجدار الذى يمتد من باب الرحمة إلى آخر حرم السعادة وجدده كما جدد تلك الأماكن التى مالت للخراب وغير أعلام محراب النبى ﷺ والمنبر النبوى والمآذن التى هى من شعائر الدين المصطفوى، وأضاف إلى قناديل وشمعدانات الروضة المطهرة والحجرة المطهرة كثيرًا من القناديل والشمعدانات الأخرى، فأضاء مسجد السعادة كقلوب الموحدين، ثم اشترى بيوت الديار العشرة المشهورة وأسس رباطًا خاصًا بالفقراء والغرباء.

كما بنى عشرين رباطًا أخرى غير هذا الرباط إلا أن كلها قد اندرس وزال؛ وخرج رباط الديار العشرة من شكل العمارة وجعل مكانه مخازن لوضع لوازم مسجد السعادة ودائرة خاصة لإدارة شيخ الحرم وسبيلاً وحديقة جملية.

وليس إشراف رباط الديار العشر على الخراب حالة يؤسف عليها حالته هذه

(١) يطلق على هذه المئذنة الآن العزيزية.

أنفع لمسجد السعادة؛ من حالته الأولى؛ لأنه قد فتحت فى الجدار القبلى للمسجد الشريف نافذة كبيرة تحاذى نافذة المواجهة الشريفة وهذا ما زاد حرم السعادة جمالاً على جمال؛ ولو كانت أطراف المسجد كلها حديقة لما بقى أثر للعفونة ولما وجد فى مسيرة الكائنات مكان أكثر بهجة وانشراحًا من هذا المكان.

عندما جدد باب الرحمة كتبت على يمينه ويساره التواريخ بعد البسملة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) أمر بتجديد هذا الباب الشريف سيدنا ومولانا السلطان الملك المظفر؛ السلطان سليمان بن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد خان، ابن السلطان أورخان خان ابن السلطان عثمان خان، خلد الله ملكه وأعز نصره، بمحمد وآله وذلك فى شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وتسعمائة، كما كتب على يمين ويسار باب السلام الذى صنع مجدّدًا أيضا بعد البسملة.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠)

اللهم أدم له العزة والتمكين والنصر والفتح المبين بقاء عبدك ومولانا السلطان سليمان شاه ابن السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان محمد بن السلطان بايزيد ابن السلطان مراد بن السلطان اورخان بن السلطان عثمان خان، أعز الله نصره وخلد الله ملكه وختم بالصالحات أعماله بمحمد وآله وصحبه وسلم.

وذلك مع تاريخ سنة إحدى وأربعين وتسعمائة فى شهر صفر، كما كتب على الجهة اليمنى لهذه التواريخ مولانا السلطان الملك المظفر سليمان شاه بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد خان ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين، خلد الله ملكه.

شعر

رســــــــول الله إنـــى مستجيـــــــــر

بجاهـــــك والزمـــــــان لـــه اعتداء

وجاهـــك يا رســـول الله جـــاه
رفيـــع مـــا لرفعتـــه انتهـاء

كتبت هذه القطعة، كما كتب على رواقها الخارجى الآية الكريمة الجليلة.

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٤).

والآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وبعد ذلك كتب النعت الشريف

وظنـــى فيـــك يـا طـــه جميـــل
ومنـك الجـــود يعهـــد والسخـــاء
وحاشـــــــا أن أرى خزيًـا وذلا
ولـــى نســـب بمدحـــك وانتمـــاء
وكـــم لـك يـا رســـول الله فضـــل
كقـــدر الأرض لابـــل والسمـــاء
وكـــم لـك معجـــزات ظاهـــرات
كضـوء الشمـــس ليـــس لـــه خفـــاء

وفوق هذا البيت كتب على طاق الرواق المذكور حديث «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى»، صدق رسول الله ﷺ وعلى أصحابه الطاهرين.

وطهر محمد باشا، وهو من وزراء السلطان سليمان بن السلطان سليم، مجرى عين الزرقاء ووكل فى ذلك السيد أحمد بن سعد الحسينى نقيب أشراف المدينة المنورة وطلب منه راجيًا أن يعمر ويحيى تلك الأماكن، وأخذ السيد أحمد أفندى بستان عيينة المشهور وعقب ذلك بئر الخاتمى وهى فى جهة قباء باسم محمد

باشا وأجرى مياه هذه الأماكان إلى مجرى عين الزرقاء وحتى يزيد من مياهها قد حفر عدة آبار أخرى فوسع وطهر مجرى العين المذكورة إلى باب الرحمة، وصنع سبيلاً بالقرب من باب الرحمة، ومن هنا فتح طريقًا إلى حى الأغوات وجعل منهلاً فى ذلك الحى ينزل إليه بسلم والماء الذى أوصله إلى هذا المنهل، أجرى مياه هذا المنهل إلى حوش المغاربة بحفر مجرى خاص، وصنع فى داخل أربطة الديار العشر والمغاربة سبيلاً لكل واحد منهما كما صنع حمامًا بجوار القلعة وطهر بئر على وعمقها فى النهاية.

بعدما انتهى سيد أحمد أفندى من هذه الأعمال، بنى سبيلا أمام مسجد قباء وميضأة ثم اشترى بستانًا أوقفه للحمام، ثم بنى بيتًا فى منصة بئر خاتمى ثم أمر بحفر حوض بالقرب من هذا البيت، ثم اشترى البيت المتصل بهذا البيت ووضع فى طرف من أطرافه محرابًا فجعله على شكل المسجد، ووقف المنزل الذى يمتلكه لإقامة الفقراء والغرباء واشترط ذلك، وكل ذلك رعاية للصاحب القديم لذلك البيت وذلك فى سنة (٩٩٢هـ) لأن ذلك المنزل كان المنزل السعيد الذى كان يسكن فيه الصديق الأكبر.

ولكن لشدة الأسف أن مدير الحرم الشريف جدد مسجد أحمد أفندى باسم محمد باشا والنزل الذى بنى باسم سيد أحمد أفندى ثم وقف، جددهما وجعلهما مسكنًا لأهله وترك الفقراء المجاورين فى العراء وأظهر دناءته إذ بنى على الساحة التى تنسب للصديق الأكبر حمامًا وميضأة وذلك فى سنة (١٢٥٤هـ).

وكان السيد أحمد أفندى قد اشترى البستان الذى أمام حمام محمد باشا وبنى أمامه حوضًا يملأ بمياه عين الزرقاء وحصر المياه الزائدة لهذا الحوض لرى البستان المذكور ثم وقف سواء أكان البستان أو الحوض لحمام محمد باشا.

إن الحوض الذى حفر مقابل بستان حمام محمد باشا كان غاية فى الكبر وبما

أنه فى طرف الساحة الواسعة التى ينصب عليها قوافل محامل مصر والشام خيامها كان أهالى القافلة يستخدمون هذا الماء ومازالوا يرتوون منه.

ولا يعرف الآن ما حدث لحمام محمد باشا إلا أنه يوجد فى زماننا فى المدينة المنورة حمامان يستخدم أحدهما فى دائرة الترجمة للحرم النبوى وهو حمام أحمد نظيف أفندى فى المناخة والنزل الذى اتخذ مستشفى للعساكر النظامية السلطانية مقابل هذا الحمام، وأحد الحمامين المذكورين فى حى حارة الزوران التى تلاصق السور الداخلى لمسجد السعادة من الجهة القبلية، وهو الحمام الذى ينسب إلى الشهيد نور الدين. انتهى.

لقد أقام السيد أحمد أفندى أيضا مستشفى على اسم محمد باشا خاصة لعلاج غرباء دار السكينة، ولقد كفل لها الأطباء والخدم اللازمين وأوقف لها مقداراً كافيًا من العقارات والأملاك، ومع مرور الأيام انهارت أكثر أماكن هذه المستشفى وخربت؛ وإن لم ترمم أبنيتها لقد خصص فى سنة ١٢٥٥هـ جراية خبز لمرضاها، ومن هنا كان المرضى الذين ملوا من حياتهم لشدة حاجتهم وامتداد عللهم يدخلون فى هذه المستشفى حتى يسلموا أرواحهم فيها.

وقد عمر والد السلطان كثير المحامد الأماكن الخربة من هذه المستشفى وألحق بها صيدلية ومخزن أدوية وخصص لها الأدوية الطبية واللوازم الجراحية كما هيأ لها ما يلزمها من أطباء وجراحين وصيادلة والخدم، وكانت هذه المعدات كافية لعموم أهالى المدينة والحجاج، وبهذا أحيا أهالى المدينة من هذه الجهة أيضا.

وقد أدخل السلطان مراد خان الثالث بن السلطان سليم خان الثانى شونة مخزن ينبع البحر داخل السور حفظًا لها من هجمات العربان وأسس مخزنًا آخر لوضع ما خرب من الجدار القبلى ومحرابه وأصلح جدرانه الأخرى وشيدها فى غاية من المتانة والإحكام وأعاده إلى حالته الأولى، كما عمر وأحكم المرفأ الذى على شاطئ البحر والذى يبلغ عرضه ٥٣ ذراعًا وطوله ٢٤ ذراعًا والذى كان

أشرف على الانهيار، وخصص بعد ختام هذه الأعمال صرة سلطانية تحتوى على أربع و أربعين قطعة ذهبية على أن يكون أحد عشر ألف دينار منها لأهل مكة وباقيها لسكان دار السكينة المدينة المنورة، وذلك كل سنة، كما عين بعد ذلك لجيران رسول الله أربعة آلاف إردب قمحًا وللحجاج الذين انقطع بهم الطريق خمسمائة إردب قمحًا وذلك فى سنة (٩٨٦هـ) وكانت هذه الذخيرة ترسل من مصر إلى ينبع ومن هناك إلى المدينة المنورة وتوزع على الأهالى المحتاجين وتقسم عليهم.

وقد جدد السلطان المشار إليه فى سنة ٩٨٨هـ مطبخ الدشيشة «وهى عبارة عن نوع من الحساء المصنوع من القمح المدشوش» وسر خدمته بإعطائهم قطعة ذهبية يوميًا كما سر طباخيه بإعطائهم إردب قمح فوق القطع الذهبية؛ وذلك فى سنة ٩٨٨هـ.

وعانى فى هذه الفترة أهالى المدينة فى محلاتهم مضطربين من العطش، ولما أبلغ الكيفية إلى مسامع السلطان أسس فى القرب من باب المضر سبيلاً وخصص لكل واحد من خدمه ونظاره مقدار ستين درهمًا من النقود وعين لهم سنويًا خمسين اردبًا قمحًا لكل واحد منهم وأمر أن يملأ هذا السبيل يوميًا بواسطة السقائين ليروى عطاشى المسلمين وذلك فى عام ٩٩٠هـ.

وبعده بعام خصص لأغوات الحرم الشريف (حب الجراية) يوميًا كما خصص لعبيد عين الزرقاء (حب الجراية)(١) يوميًا وعين لفقراء المجاورين والعلماء الصالحين ألف إردب حنطة سنويًا وكان ذلك فى سنة ٩٩١هـ عندما كان عدد أغوات الحرم الشريف سبعة وخمسين وعبيد عين الزرقاء سبعة عشر نفرًا.

وكان المسجدان الشريفان اللذان لأبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ أشرفا على الخراب وحرم الزوار الكرام من شرف زيارتهما،

(١) كان يطلق على الخبز المصنوع من الحبوب المرسلة من مصر حب الجراية.

ولما وصلت الكيفية إلى أسماع السلطان أمر بترميم وتعمير هذين المسجدين كذلك ما بجوارهما من الأربطة القديمة الخربة، وجامل خدمها بأن خصص لهم عامة رواتب كافية، وذلك فى سنة ٩٩٤هـ، وفى خلال تلك السنة كان الجدار الذى فى جهة باب النساء من حرم السعادة قد مال للسقوط وأصبح تعميره واجبًا ورُجى من السلطان صاحب القرار أن يأذن بإجراء ما يقتضى عمله، وبناء على الأمر السلطانى الصادر هيئ الموظفون والعمال والأدوات اللازمة للبناء وأرسلوا عن طريق مصر القاهرة، وعندما وصل أمين البناء إلى المدينة المنورة وتفقد المسجد الشريف بناءًا على آراء السادات والأهالى، وقرر أن يهدم الجدار الشرقى للمسجد ابتداء من باب النساء إلى نهاية حرم السعادة، ولما استلم القرار من قبل العلماء هدم المكان المذكور من أساسه وأبلغ وجوب تجديده إلى عتبة الباب العالى السامى، ووافق هذا القرار رأى وأفكار السلطان، وبناء على ذلك أبلغ الأمر كتابيًا إلى أمين البناء وطلب منه الإسراع فى تجديد المكان المذكور وفقًا لإرادة الأهالى الكرام كما أرسل قطعة من التاريخ محكوكة على رخام، وبين فى الرسالة الكتابية أن وضع هذا التاريخ فى مكان مناسب وإلصاقه من بعض الأوامر السلطانية.

وشرع أمين البناء بناء على التعليمات السلطانية العالية فى أداء مهمته وفى ختام العمليات وضع حجر التاريخ فى ركن من أركان الجدار المجدد، وبين الأمر وأبلغه إلى مركز السلطنة ولأجل ذلك أرسل لأمانة البناء وسائر الموظفين وأعيان البلدة خلعًا فاخرة وعطايا وفيرة وذلك فى سنة ٩٩٥هـ.

وكان طول الجدار الذى جدد ٩٥ ذراعًا وارتفاعه ١٧ ذراعًا والتاريخ الذى أرسل من باب السعادة لإلصاقه على الجدار المذكور يتضمن الآتى: «اللهم خلد ملك من جدد هذا الجدار المحترم وهو مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم، سلطان القبلتين وخادم الحرمين الشريفين، السلطان مراد خان».

تاريخه:

جدد جدار المسجد النبوى، السلطان مراد لوجه الله، سنة خمس وتسعين وتسعمائة فى سنة ٩٩٥.

وبعد سنة خمس وتسعين ببضع سنين تعرضت ثلاثة صفوف من سقف حرم السعادة للضرر إذ أصابها حريق ورعود فاكْتَسَتْ منظرًا قبيحًا مخيفًا، واستحال أداء الصلاة فى تلك الجهات، وإن إبقاء حرم السعادة على حالته الحاضرة إلى أن تنهار تلك الأسقف كليًا سيؤدى إلى هدم وخراب حجرة السعادة، ولما كان هذا غير جائز أبلغ الأمر بمحضر كتابى إلى الباب العالى، ودرس الموضوع طويلاً فى الباب العالى، وبعد أن خمن الأضرار التى ستتسبب عن هذا الأمر فى المستقبل والخسائر التى سيؤدى إليها، عرض الأمر على السدة السلطانية فأمر السلطان بإرسال أحد الأمراء الصالحين، بعد تعيينه لأداء هذا العمل وتدبير الأدوات اللازمة التى تقتضيها المهمة وإرسالها سريعًا إلى دار العز المدينة المنورة وأبلغ هذا الأمر إلى والى مصر وأرسل الأمر الصادر من قبل السلطان أيضا إليه، فأرسل أمين البناء المعين مع المهمات التى دبرت ومهرة العمال إلى دار السكينة.

ولما وصل الموظفون الذين أرسلوا من مصر إلى المدينة المنورة تفقدوا الأماكن التى تحتاج للتعمير والتجديد من حرم السعادة وذلك مع موظفى الحكومة فى المدينة وسادتها، وبناء على الإرادة السلطانية وآراء العلماء والأهالى قوضت ثلاثة صفوف من الأسقف التى اقتضى الأمر هدمها، وبنى مكانها ثلاثة صفوف من القباب الخشبية بمبان حجرية.

وكتب فوق الجدار الشامي الذى فى ناحية الساحة الرملية: هذا تاريخ بناء الروضة الشريفة روضة النبى خير العباد قام بتجديده السلطان مراد، فى سنة ٩٩٩هـ.

وأبلغ الأمر بواسطة والى مصر إلى عتبة صاحب القرار، ومن هنا جزا السلطان من يستحقون المكافأة بالعطايا السلطانية وبالخلع الفاخرة التى لا مثيل لها.

والثلاثة صفوف التى جددت كان كل صف منها يتكون من تسعة قباب، وفتحت فى محاذاة الصف الأول من القباب وفى التقاء سطح حجرة السعادة هوايتين لتلطيف جو حرم السعادة فى أيام الصيف وتبريده وقد اكتسب مسجد السعادة بهاتين الهوايتين زينة أخرى.

وقبل أن تختتم عمليات بناء القباب المذكورة، صدرت الإرادة السلطانية السنية لشراء ساحة كبيرة فى غاية الوسع لبناء عمارة منسوبة لاسم السلطان السامى، وبعد إتمام عمليات مسجد السعادة قد دبروا الساحة فى خارج المدينة وبنوا هناك عمارة كبيرة عظيمة جميلة كما أسس فى قرية قباء رباطًا خاصًا بالفقراء وعين له الموظفين اللازمين وذلك فى سنة ٩٩٨هـ ولم يسمع أهالى الحرمين حتى ذلك اليوم عن مثل هذه العمارة ولم يروا مثلها.

وقد بنيت هذه العمارة بطلب الأهالى وإرادتهم وأنشئ لإسكان خدمها أربعة عشر بيتًا مستقلاً، فأطلق أهالى المدينة المنورة على تلك العمارة التكية المرادية لإظهار مدى سرورهم القلبى وابتهاجهم.

وعندما يقال لهذه العمارة تكية، فلا يفهم أنها تكية عادية للذكر والفكر، والتى يطلق عليها خانقاه، ولم تكن هذه التكية من التكايا التى نعرفها بل كانت عمارة خاصة بجميع الأهالى.

وكانت ثمانية أو أربعة عشر منزلاً خاصة لسكنى المتزوجين من الخدم وستة فيها خاصة لسكنى الخدم العزاب.

وكانت تلك التكية فى ناحية باب المضر وخارج السور وكان لها مخزن كبير ومطبخ ومخازن صغيرة متعددة وفى داخلها طواحينها وعدة مخابز وحجرات لوضع اللوازم الأخرى، وكان يخبز الخبز كل يوم فيها وكانت تصنع الحلوى فى ليلتى الجمعة والاثنين أكثر مما اعتيد.

ويطبخ فيها الأرز والزردة (وهو طعام حلو يطبخ بالزعفران) ويوزع على الفقراء، وكانت هذه العمارة تعد مبرة خيرية لا مثيل لها فى البلاد العربية كما كانت تقدم ما تقوم به حياة كل الفقراء من الأهالى.

وكانت الأطعمة التى تطبخ فى التكية المرادية نفيسة وكثيرة بدرجة حتى إنها كانت توزع فى ليلتى الاثنين والجمعة ما عدا الغرباء والفقراء على جميع أهالى المدينة، وبناء على الروايات الموثوقة أن فقراء أهالى المدينة كانو يُصفُّون ما يحصلون عليه من التكية من طعام الأرز ويئتدمون بزيته عدة أيام، وقد اشترى السلطان فى مصر عدة قرى وأوقفت محاصيلها على تلك العمارة، وكان يرسل من مصر سنويًا محاصيل تساوى خمسة وعشرين ألف قطعة ذهب.

وبناء على المعلومات التى أفرها مؤلف لطائف الأخبار من مؤرخى مصر أن القرى التى شريت لأجل التكية المرادية ووقفت لها هى: لفلا، ظاهرية[1] سُبك الأحد، شبرا زنجى[2]، طنان، كفر زريق، طوخ الملقة، سد طنان، سهرا[3]، سندوب، زريبة، بهداد، بلوصوره، سفط الخمارة، كفر حيدره، قيس، انسوح، ريده منية سمنود، أبو الحسن[4]، كوم برا، تهيا[5]، بلقيا، دنديـل، حكامنا، دشنا، ضوابط، أهناس المدينة أهناس الخضراء، وكانت الحكومة المصرية تُدِرُّ من محاصيل هذه القرى واحدًا وعشرين ألف إردب من الحبوب وترسلها إلى بندر السويس ومن هناك إلى ينبع بواسطة نوع من المراكب تسمى سبنودا من هناك إلى المدينة المنورة محملة على الجمال وكانت هذه الحبوب وقف دشيشة التكية المرادية.

إلى هذا التاريخ لم تكن فى المدينة المنورة مؤسسة خيرية مثل هذه وكان أهل المدينة محتاجين لمثل هذه التكية حقًا لأجل ذلك يهدى أهل المدينة إلى الآن لروح السلطان المغفور له المشار إليه الفاتحة بكل إخلاص.

(١) تتبع هاتان القريتان ناحية البحيرة لعلها «نكلا، ظاهرية».

(٢) كانت من توابع ناحية المنوفية.

(٣) كانت تتبع ناحية القليوبية.

(٤) كانت هذه القرى من نواحى الدقهلية.

(٥) كانت هذه القرى داخل نواحى بهنساوية والوجه القبلى.

نكتة لطيفة

كان قد خصص للبغلين اللذين يستخدمان لإدارة الطاحونة التى فى داخل العمارة المرادية إردبين من الشعير يوميًا لكل واحد منهما، ولما كان إردبان من الشعير اللذان خصصا بالإرادة السلطانية كثيرًا جدًا، سأل رجال الدولة السلطان قائلين: «ما الحكمة فى تخصيص إردبين من الشعير يوميًا لكل واحد من البغلين مع أنكم تعرفون أن إردبين من الشعير يكفيان لإطعام ثمانية وأربعين بغلا فى اليوم؟ فأجابهم قائلاً: «يأتى يوم لا يقدم لهذين البغلين المسكينين من هذين الإردبين حتى حفنة واحدة» وفعلاً هذا ما حدث فيما بعد.

تأسف

ولم تبق من العمارة العظيمة المذكورة فى زماننا غير خرابة وليس فيها قطرة ماء فى خزانة سبيلها فضلاً عن المأكولات والمشروبات، وكان قد اتخذ ركن فيها قبل يومنا هذا مدرسة يعلم فيها ثلاثة أو خمسة من الأطفال، والآن يقيم فيها العساكر السلطانية من ركاب الهجين.

وكان السلطان مراد المرحوم قد أسس بجانب التكية مدرسة مشترطًا أن يدرس فيها خمسون طفلاً سنويًا، ويأخذ مكان الأطفال الذين يحفظون القرآن الكريم ويغادرونها أطفال آخرون وما خصص لمدرسى هذه المدرسة وطلابها من المخصصات لإعاشتهم والملابس كانت توزع عند حلول مواعيدها.

وعقب ختام بناء تلك المدرسة بنيت زاوية، وعمرت بعشرة من المتصوفة وشيخهم، وخصصت لهم الأشياء اللازمة لإعاشتهم من العمارة سالفة الذكر ثم أضيف لها عدد من الخبز لتحسين أحوالهم وذكر الله فيها صباحًا ومساءًا.

وفى ختام مبانى تلك الزاوية المذكورة وظف من الصلحاء أربعون نفسًا نفيسًا وخصص لكل واحد منهم اثنى عشر دينارًا سنويًا، وكان هؤلاء الصلحاء

يجتمعون فى داخل الروضة المطهرة يتوغلون فى تلاوة سورة الأنعام ويهدون أجر ذلك للروح المحمدية اللطيفة وكانوا يتوسلون بالروح النبوية من أجل نصرة الجنود المسلمين، كما وظف مؤخرًا ثلاثون فقيهًا وخصص لكل واحد منهم قطعتين من الذهب سنويًا وكلفوا قراءة القرآن فى داخل الروضة المطهرة كل يوم، وهؤلاء أيضا كانوا يرفعون أياديهم بالدعاء ويهبون أجر مثوبة قراءاتهم لأرواح سلاطين المسلمين.

وقد رتب كذلك ثلاثون من قراء أجزاء القرآن بشرط أن يختم القرآن فى داخل الروضة كل يوم مرة، على أن يأخذ كل واحد منهم سنويًا ثلاثة دنانير ونصف دينار كما عين مائة نفر لأداء الحج لابسين ملابس الإحرام واقفين على جبل عرفات فى مواقيت الحج على أن يأخذوا سنويًا عشرة دنانير، وكان قراء أجزاء القرآن يختم كل واحد منهم القرآن على الوجه المشروع كما أن الذين وظفوا لأداء الحج كانوا يلبسون ملابس الإحرام فى مواقيت الحج ويسافرون إلى مكة وكانوا يواظبون فى أثناء وقفة عرفات على الدعاء لترقى الدولة وسعادتها ولزيادة شوكة الدولة العثمانية.

وكان السلطان مراد وظف خمسة من المدرسين من المذاهب الأربعة وخصص لهم رواتب كافية، بشرط أن يكون أحدهم من خطباء الشافعية وكان لكل واحد منهم وظيفة تدر عليه أربعين درهمًا سنويًا.

ولا تقتصر الخدمات التى أداها مراد الرابع للبلدة النبوية المسعودة على هذا، بل رمم سطح الحرم النبوى الشريف كاملاً لاقتضاء الأمر ذلك، كما جدد آجر الروضة المقدسة، وغير صبغة جدران مسجد السعادة لتوأم حرم الجنة الأربعة وأمر بطلاء عدد أسطوانات مسجد السعادة البالغة ثلاثمائة أسطوانة على لون واحد.

والفنانون الذين استخدموا فى طلاء هذه الأعمدة بشموس ونجوم كل واحدة

منها تختلف عن الأخرى قد أظهروا فى عملهم هذا مهارة جعلت الذين يدخلون إلى حرم السعادة السعيدة يرتعشون من شدة التعجب ويتحولون إلى الجدران الساكنة ويبتهلون.

من مؤلف طبقات ابن سعد نقلاً عن محمد بن عبد الرحمن أن محمد بن عبد الرحمن قال: «كان أبى حاضرًا عندما انهار الجدار الذى فى مربع السعادة فى عهد عمر بن عبد العزيز؛ وكان يقول: عندما انهار جدار مربع قبر السعادة كنت بجانب حجرة السعادة، فنظرت من مكان السقوط داخل مربع القبر الجليل. كان من بين مرقد السعادة وحجرة عائشة ـ رضى الله عنها ـ المنيرة قدر شبر واحد، فأنا أيضًا أصدق أن نعش النبى ﷺ قد وضع إلى اللحد الشريف من الناحية القبلية وأؤيد تلك الرواية، وبما أن روح النبى ﷺ قبضت فى هذا المكان فالمكان الذى توفى فيه أشرف بقاع الأرض فمن هنا يؤخذ أنه ﷺ دفن فى هذا المكان لذلك». انتهى.

بعد أن كنس سطح حجرة السعادة وأخرجت أنقاض الجدار المنهار إلى الخارج شرع شمس بن زمن فى بناء الأماكن المنهدمة ذاكرًا اسم الله وجعل عرض الجدار الشرقى فى عرض أساسه الأصلى يعنى فى سمك ثلاثة أذرع كذلك ذراعين ونصف من السمك، وأدخل العمود الملاصق للجدار الشامى فى داخل الجدار المذكور، ومن هنا جاء سمك الجدار الشامى لمربع قبر السعادة أكثر سمكًا من جدران الجهات الأخرى وأصبحت جدران جميع الجهات يختلف بعضها عن البعض فى السمك، وكان اليوم الذى بدأت فيه العمليات يوافق السابع عشر من شهر شعبان من السنة المرقومة.

ولما كان ما بين الجهة الغربية والشرقية على شكل طولى، وكان بناء القبة عليه يرى غير قابل للتنفيذ ولكن بما أن قرار اقتضاء إنشاء قبة فوق مربع القبر الجليل كان قطعيًا والتحرك خارج هذا القرار غير ممكن فقد جعل شمس ابن زمن ـ بناء

على تصويب المهندسين ورأيهم ـ حجرة السعادة مربعة وذلك بفتح باب من جهة قدمي السعادة من الحجرة المعطرة، في ارتفاع اثنى عشر ذراعًا، يعنى قد ضيق وقصر طول الجدارين والباب المفتوح وجعل داخل مربع حجرة السعادة فى شكل مربع ولما بنى الجدار الشامى بأحجار منحوتة شيد فوقه قبة فى ارتفاع ثمانية عشر ذراعًا آدميًا عن سطح الأرض وفتح فى وسط الجدار الشامى بابًا صغيرًا وأدخل الحجرة الشريفة ابن أخيه وصهره لتسوية ما فوق القبور الثلاثة، والرجلان اللذان أدخلا داخل قبر السعادة قد فرشا فوق القبور الثلاثة رملاً على شكل ظهر السمك مثل قبور بلاد الروم. انتهى.

بعد أن وقف السلطان محمد خان القرى المصرية ضعف مرتبات الحرمين حسب الترتيب، ثم أرسل إلى الروضة المطهرة سجادة منسوجة من الحرير وسجادة أخرى لتفرش على محراب النبى وكسا مرقد السعادة بكسوة مزخرفة جميلة وذلك فى سنة ١٠٠٣هـ وكانت فوق الكسوة الشريفة التى أهداها لمسجد السعادة، قد كتبت الكلمة المنجية الشهادتان والصلاة والسلام وأسماء أصحاب النبى الكرام نَسْجًا، كما رسم فى ذيلها اسم السلطان وما اشتهر به من الألقاب.

وأراد السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان الثالث أن يلاطف ويجامل أهالى الحرمين الشريفين من جديد، فوحد إدارات دشيشة الحرمين فى سنة ١٠١٣هـ وأعطى نظارتها لشخص اسمه داود أغا وأحال الإشراف على حسن تسوية الأمور وتمشيتها فى جميع ما يتعلق بهذه الإدارات لمحافظ مصر إبراهيم باشا، وسبب هذه التعيينات وحكمتها ما عرف من ضياع حقوق سكان مدينة الرسول بسبب عدم اهتمام محافظى مصر ووقاحة نظار الدشيشة وطمع مشايخ العربان إذْ كانت الدشائش التى اعتيد إرسالها إلى أهالى الحرمين الشريفين مثل الدشيشة الكبرى، والمرادية والمحمدية والخاصكية ودشائش الأوقاف وأخرى من غلال الجراية والصدقات فضلاً عن عدم إرسالها فى وقتها كانت المقَرَّرات ترسل ناقصة وغير منتظمة ومن هنا تعرض أهالى الحرمين لمضايقات شاقة، ولما

وصلت هذه الفوضى لأسماع السلطان أدركته الغيرة وأراد أن يقف دون هذه الشرور وأن ينقذ أهالى البلدتين الطيبتين من بلاء القحط والغلاء فألغى نظارات الدشيشة كلها، ورفعها ثم أمر بأن تضم جميع النظارات تحت نظارة واحدة بعد أن خصص ألف إردب قمحًا لهذه النظارة كما عُرف صورته فى الأمر العالى الذى سيأتى فيما بعد، وهذا التصرف دليل واضح على ما أولاه السلاطين العثمانيون من الرعاية والحرمة نحو الحرمين الشريفين ولا شك أن رعاية هذه البقاع المقدسة وتطييب خاطر سكانها فرض عين على العامة والخاصة ولاسيما الملوك العظام.

صورة الأمر المرسل إلى المحافظ إبراهيم باشا من قبل السلطان و الخاصة بنظارة الدشيشة الكائنة فى مصر:

هذا الحكم الصادر لإبراهيم باشا وزيرى فى محافظة مصر، لما كانت مكة ووادى البطحاء غير ذى زرع ولما كان انتعاش سكان الحرمين ومعاشهم متوقفًا على الجراية والحبوب التى ترسل من الديار المصرية ووصولها إليهم، وأن دشائش الأوقاف مثل الدشيشة الكبيرة والمحمدية والخاصكية وغلال الجراية والصدقات لم تكن ترسل فى وقتها منذ عهد المرحوم المغفور له والدنا العظيم، وذلك لعدم اهتمام أمير الأمراء بإرسالها وبسبب كثرة أطماع النظار ومشايخ العربان وقلة تدينهم، فضلا عن إرسالها ناقصة، فزادت حالة فقراء الحرمين الشريفين والخدم والمجاورين بؤسًا بسبب القحط والغلاء وصاروا يعانون الآن جميعًا من الضيق الشديد، لَمَّا ألقى إلى مسامعنا السلطانية بحثنا عن سبب هذا الإهمال فوجدنا أن لكل دشيشة ناظرًا ومُبَاشِرًا خاصًا وأن النظار وأمراء الحج لا يحرصون على إيصال العربان الدشائش وغلال الصدقات ونقلها بجمالهم فى أوقاتها، بل يحرصون على نقل غلالهم الخاصة التى سيبيعونها كما أن بعض الأشخاص من الخارج يؤجرون جمال العربان لينقلوا غلالهم الخاصة.

وعدم نقل غلال الدشيشة فى وقتها وأكلها بالاتفاق بين النظار والعربان من الأمور التى اعتادوا عليها، ورأينا أن حَل هذه المشكلة أن تلغى نظارات الدشيشة الكبيرة، والمرادية والمحمدية والخاصكية وغلال الصدقات والجرايات، وأن توحد نظارتها وتسند إلى إنسان موثوق فيه، يعتمد عليه، رجل متدين قانع يكتفى بما يأخذ من الرسوم العوائد العادية، فلا يطمع فى حق الفقراء ولا يتجاوز حقه، كما أن مشايخ العربان عندما يرون قناعة الناظر وعفة نفسه فإنهم لا يخونون ولا يتجاوزون الاعتدال فى تعاملهم، وبهذا يمكن أن تنقل غلال الدشيشة والجراية والصدقات إلى أماكنها فى أوقاتها تمامًا هذا ما نهاه إلينا بعض أهل الخير وأصحاب العارفين بحقيقة الأمر، والآن لما كان احترام أقدس بقاع الأرض الحرمين الشريفين ورعاية جانب سكانهما ومساعدتهم من واجب العامة والخاصة ولاسيما السلاطين العظام، ولما كان أجدادنا السلف الصالح قد حملوا لقب خادم الحرمين الشريفين واستحقاق هذا اللقب قائم على رعاية سكان الحرمين الشريفين واحترام وتحسين حالتهم المعيشية بتوسيع أرزاقهم ونفقاتهم وأن ثبات هذه النعمة السلطانية العظيمة ودوامها لا يتيسر إلا بإقبال هذه الطائفة من الناس الصالحين بالدعاء المجاب لها فارغى البال ومترفى الحال، وهذا ما جزم به اعتقادى السلطانى، لذا فأقصى مرادى ومبتغى فؤادى أن تصل غلال الدشائش والصدقات والجرايات إلى أصحابها فى وقتها فى عز سلطنتى الميمونة فمن هنا قررت أن تلغى جميع نظارات الدشائش المذكورة وتجمع كلها تحت نظارة واحدة، وإننى أرى أن يكون هذا الشخص داود أغا من خدم الحرم المحترمين سابقًا ومعتمد المتقاعد حاليًا فى المحمية المصرية قدوة الخواص، والمقربين ومعتمد الملوك والسلاطين، وبما أننى أعتمد على وفرة تدينه وأمانته وفرط استقامته رأيت أن أعينه ناظرًا على جميع الدشائش، وكذلك رأيت أن توضع دشيشة الملك قايتباى تحت نظارة المشار إليه داود أغا بناء على رأيك وبناء على شرط الواقف؟ الذى جعلنى ناظرًا عليه أصالة وجعلك ناظرًا بالوكالة، وصدر أمرنا عليه أن توضع جميع الدشائش تحت نظارة داود أغا.

ولتوزع بعد ذلك دشائش الحرمين الشريفين على جمال العربان التى ستحمل غلال الدشيشة والصدقات والجراية على قدر ما تتحمل جمالهم، ويجب ألا يتعدى أمير الحاج أو غيره على جمل واحد من جمال العربان أو يتعرض إليه قبل أن تنقل الأشياء المذكورة إلى بندر السويس، كما يدبر من مخازن مصر ألف إردب قمحًا وصدقة باسم جلالتى وتنقل إلى الحرمين الشريفين قبل جميع الدشائش التى ترسل عقب إرسال صدقتى، هذا ما صدر به أمرى العالى مقرونًا برسالتى.

وقد تفضلت بمجرد وصول أمرى هذا أن توضع دشائش الدشيشة الكبيرة، والأشرفية، والمرادية والمحمدية والخاصكية وكذلك نظارة الصدقات الأخرى والجرايات تحت تصرف المشار إليه، وتوزع الدشائش التى عينت إلى مشايخ العربان لتنقل بواسطتهم إلى ميناء السويس، ولتحرص على ألا يتعرض أمير الحاج أو شخص آخر إلى جمل من جمال الحمل والنقل وما عين من قبل جلالتى مجددًا من ألف إردب قمحًا من مخازن مصر صدقة لأهل الحرمين وأن تنقل بعدها الدشائش الأخرى وغلال الصدقات والجراية، منبها بألا ينقص قدح قمح واحد عند إرساله ونقله وإننى أعتمد فى هذا الخصوص على تدينك وأمانتك ومهارتك واستقامتك وحسن فراستك ومزيد كياستك وإن ثقتى فيك لا يعلو عليها شىء.

وزد اهتمامك بهذا الموضوع لأن الدشائش والصدقات والجرايات من حق الفقراء فإذا ما وصلت تامة كاملة وفى وقتها المحدد، أُنقذ فقراء الحرمين من القحط والغلاء ويعمهم الرخص والسعة ويخلو بالهم وتتحسن حالتهم المعيشية فيقبلون على الدعاء بالغدو والآصال لدولتى وعلو شأنها.

وإذا ما أبرز أحد من أغوات الحرمين المحترمين أو واحد من أمراء مصر أو غيرهم أمرًا أو إذنا من قبل ديوانى السلطانى أو إدارتى المالية، بعد فرمانى السلطانى هذا، فلا يلتفت إليه ويسحب منه رخصته ويرسل إلى عتبتى

السلطانية، وابعث إلىّ بأسماء الذين يعوقون وصول الدشائش أو يؤخرون وصولها، والذين يتدخلون فى أمور جمال العربان ويتعرضون لهم، ويجب عليك أن تتخذ حكمى السلطانى هذا دستور عملك وأن تصونه من التغيير والتبديل وقف دون الذين يريدون مخالفة ما جاء فى مضمونه.

تحريرًا فى سنة ثلاث عشرة وألف. انتهى.

وقد جدد السلطان أحمد خان فى يوم جلوسه الميمون أبسطة حرم السعادة وستائر الكعبة المعظمة والحجرة المعطرة المزركشة، والكسوة التى فوق قبر حضرة فاطمة - رضى الله عنها - وغطاءى[1] عمودى الحنان والمنان وأرسل خمسة آلاف دينار لتوزيعها على أهالى الحرمين الشريفين كصدقة سلطانية، وأرسل لوحة غالية الثمن تتكون من ٢٢٧ قطعة ماسية، وقد سبق تعريفها فى مقالة خاصة، على أن تعلق مكان الكوكب الدرى الذى فى ضريح السعادة وذلك فى سنة ١٠١٢هـ.

وبعد أن علق لوحة الكوكب الدرى المزينة، دليل حبه السلطانى الذى يفوق الحد للنبى ﷺ، فى ضريح ظاهر الأنوار كشارة لوحة النبى الكريم، فى تعليقها فوق الباب الذى يطلق عليه باب التوبة، وكانت لوحة جميلة مصنوعة من الفضة الخالصة ومزينة غاية التزيين، وذلك فى سنة ١٠٢٦هـ، وكان طول اللوحة ذراعين وعرضها ذراع واحد كتب عليها تاريخها باللغة العربية.

لوح السلطان أحمد أهداه حبًا خالصًا وقطع وقفًا على أعتابك يا سيدى لتقبيل تراب عتبتك وياله من تراب، وقمنا تجاه الوجه نرجو الشفاعة إلى الله فى بحر الإساءة والذنب.

وقد علقت هذه اللوحة على الكمر الخارجى لباب التوبة وكانت ترى من داخل الروضة المطهرة.

وقد ضم السلطان أحمد خان لصرة الحرمين ألف قطعة ذهبية سنويًا، وأنعم بعطايا كثيرة لأيتام السادة والأشراف لا تعد ولا تحصى، وأمر رجال الدولة أن

(١) قطعة القماش هذه كانت نسجت من ١٨١٥١ مثقال من الخيوط الذهبية.

يقتدوا بآثاره السلطانية، وبناء على هذه الإرادة السلطانية وبهذه المعونات الكافية زوجت بنات السادات بأكفائهن.

كما بنى مؤخرًا منسوبًا للاسم السلطانى الكريم سبيلٌ بالقرب من باب الرحمة كما بنى للطلاب الذين ينتمون للمذهب الحنبلى مدرسة خاصة لإقامتهم، كما صنع حوضٌ وبركة فى طريق المحمل المصرى لسقيا الحجاج، وخصص لتعميرها كثير من النقود، ومازالت البركة والحوض موجودين مع السبيل الذى لا مثيل له بالقرب من باب الرحمة وأبناء السبيل ينتفعون منه إلا أن المدرسة التى أنشئت من أجل الطلبة فى المذهب الحنبلى خربت مع مرور الأيام ولم تعمر بعد ذلك.

كان السلحدار مصطفى باشا المغفور له قد أرسل بواسطة قاضى مصر شعبان أفندى لوحة فى غاية الزينة زينت أطرافها الأربعة بأحجار ملونة لوحة ماسية كبرى وذلك فى عهد السلطان مراد برجاء تعليقها فى ذيل الكوكب الدرى سالف الذكر، وعندما وصل المرحوم شعبان أفندى إلى المدينة علق اللوحة التى حملها تحت لوحة الكوكب الدرى هدية السلطان أحمد فى سنة ١٠٤٧هـ.

وفى عهد السلطان محمد خان بن السلطان إبراهيم أشرفت مئذنة باب السلام وبعض أماكن حرم السعادة على الانهيار والسقوط، وقد أبلغ إلى السلطان صاحب القرار فى حزن وألم فما كان إلا أن أمر والى مصر أحمد باشا بأن يرسل إلى دار الهجرة من يقومون بإصلاح ما يقتضى إصلاحه مع تدبير المبالغ اللازمة والأدوات إلى المدينة فأرسل الباشا المشار إليه الأشياء اللازمة إلى دار السكينة متتالية فهدمت مئذنة باب السلام من أساسها وجددت فى صورة جميلة وطراز بديع وفرشت الساحة الرملية التى حول الروضة المطهرة بقطع رخام مجلاة وذلك فى سنة ١٠٦٠هـ.

غريبة

كان أحمد باشا سالف الذكر الذى قد وفق فى فرش الساحة الرملية بالرخام كان قد نوى أداء الحج فى حين ولايته لديار بكر ومصر إلا إنه ذهب إلى مكة

المكرمة بعد عزله، بينما كان أحمد باشا ذاهبًا إلى المدينة المنورة مع قاضى مكة محمد بن إسماعيل أفندى فى يوم من الأيام قال مخاطبًا محمد أفندى إننى أريد أن أعرض على أعتاب الومضات النبوية خدمة، وحصول أملى هذا يتوقف على أن أتولى ولاية مصر، فأرجو منك إذا ما قدر لنا أن نتعبد فى الحجرة المعطرة واضعين جباهنا على ساحتها ساجدين لنستدر من الله شفاعة الرسول ﷺ لهذا العبد العاصى العاجز وأن تدعوه ـ تعالى ـ أن يشفعه ﷺ فى تحقيق ما فى ضميرى بأن يسند إلى عهدة هذا العبد العاجز ولاية إيالة مصر ولما وصلا إلى المدينة المنورة وأخذا فى زيارة حجرة السعادة، تذكر محمد أفندى بن إسماعيل رجاء المرحوم أحمد باشا وشرع فى دعاء مخلص محرق قائلا: «يارسول الله! إن عبدك الذى يقف أمامك رافعًا يديه معظمًا من عبيدك يتمنى أن ينال شفاعتك يوم القيامة، وإنه يريد أن تطلبوا أن توجه إليه ولاية إيالة مصر حتى يقوم بخدمة لعتبة مرتبتك النبوية!!!» «ولم يكن محمد أفندى قد أنهى دعاءه بعد إذ استولى على أحمد باشا حالة وجدانية خاصة وقال لمحمد أفندى: «كفى، كفى قد استجيب دعاؤك، من قبل الله» فقال له محمد أفندى متعجبًا، «ماذا حدث؟» قال له: «ما أعجبك!! ألم تر الهياكل النورانية التى أمامنا؟ وقد رأيتها أنا ولله الحمد والمنة! بينما كنت تدعو كانوا يؤمنون على دعائك» وعرف ما حدث وفى ختام كلامه استولت على الزوار حالة غريبة؛ والله على كل شىء قدير. انتهى.

وصار أحمد باشا بعد هذه الغريبة بمدة حسب القدر واليًا على مصر، وأمر من قبل السلطان محمد خان بتجديد مئذنة باب السلام بعد هدمها وقام بالمهمة التى أحيلت إليه خير قيام ولم يطمع فى غلال صرة الحرمين أدنى طمع وأرسلها فى وقتها وزمانها وأخيرًا أصبح صدرًا أعظم وارتحل عن الدنيا مقتولاً شهيدًا رحمة الله عليه.

وبناء على إبلاغ مقام الخلافة العليا بأن جدران سور المدينة احتاجت إلى تعمير شامل فى خلال سنة ١٠٧٧هـ وأن الباب الذى فتح فى جهة البقيع ساء حاله وأصبح لا يفتح ولا يغلق صدر الأمر السلطانى إلى مدير حرم السعادة إبراهيم

أغا بتعمير سواء أكان الباب المذكور أو جدران السور التى أشرفت على الانهيار فى صورة لائقة كما أرسل مقدارًا كافيًا من النقود والمهمات فعمر ورمم إبراهيم أغا أماكن السور التى تحتاج إلى التعمير تعميرًا جيدًا، كما قوى وشيد باب البقيع بلوحات حديدية وكتب تاريخ التجديد فوق أكماره.

جدده السلطان الغازى محمد خان ابن إبراهيم خان، سنة ثمان وسبعين وألف وأبلغ ما تم عمله مركز السلطنة السنية فى سنة (١٠٧٨).

وبعد فترة أخطر باب السعادة برسائل متعددة ومحاضر أن مؤخرة حرم السعادة وسقوف دكة الأغوات قد خربت وأشرفت على الانهيار فجأة، وفهم من المضبطة التى صدرت من المجلس الذى انعقد لدراسة هذا الموضوع أن ترك المواقع المقدسة على حالتها تلك سيؤدى إلى فتح باب نفقات كثيرة، فى المستقبل كما أن سقوطها فجأة سيؤدى إلى إتلاف نفوس كثيرة فوجه إلى مدير حرم السعادة سابق الذكر أمانة البناء بتعمير وتقوية الأماكن التى تحتاج إلى التعمير بالفرمان السلطانى الصادر إليه.

وأرسل مهندسًا ماهرًا والمبالغ المقتضية ولوازم الأبنية، وجدد إبراهيم أغا بقرار الأهالى ورأيهم السقوف اللازم تجديدها بعد هدمها وشيد بعضها بالترميم ثم كتب التاريخ على مؤخرة سقف الحرم السعيد:

«جدد الحرم الشريف من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطائه العميم السلطان محمود خان بن السلطان إبراهيم خان كان له ناظرًا إبراهيم أغا وكان الفراغ فى سنة ألف وثلاث وتسعين».

كما كتب عليه قصيدة مناسبة ثم أبلغ الأمر بواسطة شيخ الحرم عثمان أغا إلى مركز السلطنة، ولما حظى هذا العمل باستحسان السلطان أكرم كثيرًا من سادات البلاد والموظفين الحكوميين الكثيرين وذكر ما بذله الأغا المذكور من سعى وجهد وذلك فى كشف مخصوص وقدر عمله وذلك فى سنة (١٠٣٩هـ).

كما أحيا إبراهيم أغا كثيرًا من الآثار الجليلة باسم المرحوم السلطان محمد

خان، إلا أن مرور الأيام ودوران الزمن خرب جميع هذه الآثار ولم يبق أحد يعرف حتى أماكن هذه الآثار الخربة، إلا أن إبراهيم أغا قد صنع صهريجًا كبيرًا وحوضًا واسعًا عميقًا فى جهة المساجد الأربعة التى تقع فى ناحية جبل سلع وخلفه وذلك بناء على الأمر السلطانى الذى تلقاه، وأسس فوق هذا الضريح قصرًا مرتفعًا بهيجًا، وكانت أطرافه الأربعة محاطة بحقل أخضر خال من الجبال والمنازل على مدى الرؤية، واشترى لزوار المساجد الأربعة وأبناء السبيل.

ومازال الصهريج الذى صنعه إبراهيم أغا قائمًا ينتفع منه المارُّون إلا أنه أشرف عل الخراب والانهيار.

وإذا ما ترك فترة مهملاً فمن اليقين أنه سيصبح غير صالح للاستخدام.

ومن السلاطين الذين رعوا حرمة أهالى الحرمين السلطان مصطفى خان الثانى.

وقد راعى جانب أهالى الحرمين وقدم لمبانى مسجد السعادة خدمات كثيرة، فإلى عهده لم تكن الحفلات تقام بمناسبة الولادة النبوية مرة فى السنة وقد استن فى عهده انعقاد الجمعيات مرة فى السنة لقراءة منظومة المولد النبوى وأمر بتدبير ٣٣٠٠ قرش من الخزانة المصرية وإرسالها إلى المدينة وذلك فى سنة ١١١٣هـ.

وكانت هذه المجالس تنعقد بعد إشراق شمس اليوم الثانى عشر من ربيع الأول كل سنة، وتعقد الاحتفالات بالمولد النبوى الباهر فى زماننا فى الليل.

صورة انعقاد مجالس الاحتفالات بالمولد النبوى الميمون

كان مدير حرم السعادة قبل ليلة تلاوة المولد بيوم يجهز مشروبات حلوة ويملأ بها زوارق حرم السعادة ويرسل إلى منازل أعيان البلاد وموظفى الحكومة وأصحاب الخواطر عدة زوارق من الشراب يشير بذلك إلى انعقاد جمعية الاحتفالات بالمولد النبوى فى حرم السعادة ويعلنه ويفرش على ساحة مسجد

السعادة ـ حسب عادة البلد ـ الأغطية والسجاجيد والمقاعد ويأتى بالكراسى ويزين المكان، وبما أن كل من أرسل إلى بيته الشراب يُعَدُّ مدعوًا للاشتراك فى الجمعية ففى القرب من مساء اليوم الثانى، يأتى المدعوون الكرام أفواجًا إلى مسجد السعادة، وأفراد الجماعات الذين يرون هؤلاء المدعوين يتركون أعمالهم ويتجهون إلى مسجد السعادة حتى يكونوا فى هذا المجلس البهيج ويجلسون فوق الأغطية والوسائد والسجاجيد التى فرشت.

وقد توضع فى ساحة مسجد السعادة كراسى ذات غطاء[1] أبيض تكون الوسائد التى بالقرب من دكة الأغوات قد غطيت بأقمشة حمراء فيجلس شيخ الحرمين ومدير الحرم ونائب الحرم والمفتون والقضاة والأغوات وأعاظم السادات، وموظفو الحكومة فوق هذه الوسائد ويوقدون أعواد العود والعنبر فى المباخر الفضية ويستغرق الجماعات عامة فى بحار السكوت والحيرة نتيجة لهذه الروحانية المدهشة التى يكتسبها المكان، وبعدما يستمر هذا الصمت فترة يجلس أربعة من الخطباء ذوى أصوات رخيمة حزينة فوق الكرسى سالف الذكر بعد أداء مراسم الصلاة والسلام ويشرعون فى تلاوة منظومة المولد النبوى، وبعد الحمد والصلاة يدعون دعاء مؤثرًا مناسبًا للسلطان مؤسس هذه الجمعية وللسلطان الذى مازال حيًّا، ثم ينزلون من الكرسى.

وبعد أن ينزل هؤلاء الخطباء الأربعة من فوق الكرسى يصعد خطيب آخر ويدعو على الطريقة التى سبق ذكرها وينزل، وبعده يصعد خطيبان واحد تلو الآخر ويكملان الدعاء الخاص بمجلس الجمعية النبوية لمولد النبى وينزلان، وبعدهما يصعد خطيب آخر يتلو منقبة ولادة سيد العالمين وعقب ذلك يلقى قصيدة[2] بليغة فيملأ قلوب الحاضرين بالبهجة والسرور.

(١) أرسلت أغطية هذا المقعد المزينة فى عصر السلطان أحمد بن السلطان محمود خان، وكان قبل ذلك خاليًا من الغطاء.

(٢) تركت قراءة هذه القصيدة فى وقتنا الحالى.

وبينما تتلى منظومة المولد الشريف يسقى السقاة[1] بشراب حلو يروى الجماعة العطشى، ويُكْسَىَ من اشترط الواقف إتحافهم بالخلع خلعًا فاخرة.

تكون فى هذه الجمعية أشواق وشفافية وروحانية بما لا يمكن وصفه، وتتولد دهشة فوق العادة من الأعمدة ذات القباب والخيم والهيئات المرئية للسادة الخطباء فوق الكرسى، دهشة وجدانية فتترك الجماعة غائبين عن وعيهم وعقلهم.

وتعقد عين هذه الجمعية كل سنة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فى مكة المكرمة على أن تعطى نفقاتها من وقف السلطان مصطفى خان المشار إليه.

والجمعية التى تعقد فى مكة المعظمة تعقد فى جهة المحكمة من ساحة المسجد الحرام ذات الفيوضات، ويجتمع فى هذه الجمعية أمير مكة المعظمة ووالى الحجاز والعلماء وجميع الصالحين وإن لم يكن توزيع الشراب فى الزوارق من النظام المتبع فى تلك الجمعية إلا أن من العادة فرش الحرم الشريف وتهيئته، فنائب الحرم يفرش الجهة التى تقع فى ناحية المحكمة بمقدار كاف من السجاجيد والوسائد فى يوم انعقاد الجمعية ويدير مقدارًا كافيًا من الشراب واللوازم الأخرى ويفيد الحضور الذين اعتادوا المجئ بنفس الكيفية، ويأتى سواء أكان الأشخاص اللذين أخبروا بالأمر أو موظفو الدوائر الحكومية لابسين ملابسهم الرسمية إلى الحرم الشريف ويجلسون فوق السجاجيد التى هيئت كل واحد منهم حسب مراتبهم، وبعد مدة وجيزة توقد المجامر بالعود والعنبر فيمسكونها بأيديهم ويتوجهون إلى مسقط الرأس الشريف للنبى محمد ﷺ، إلى الدار التى شهدت ولادة النبى ﷺ وكل ذلك فى موكب فخم عظيم، إن هذه الدار قد اشتهرت باسم مولد النبى وفى هذا المكان الذى يشبه الجنة تتلى منظومة المولد الشريف وتلبس الخلع بجانبه حسب النظام المتبع.

---

(١) فى زماننا كان الأغوات هم الذين يوزعون الشراب.

وبعد ذلك تعود هيئة الجمعية إلى المسجد الحرام ويشرعون فى تلاوة الأدعية المأثورة وينهون الاجتماع بشرب الشراب الذى أعده نائب الحرم.

وقد أضاف لهذه الجمعية فى أواسط سلطنته السلطان عبد العزيز المأكل الحلو والملبس واتخذ إرسال هذه الملابس من باب السعادة نظامًا خاصًا ومن هنا يرسل كل سنة مع محمل الشام هذه الملابس، وعند عقد جمعية المولد يوزع أطباق منه إلى الحاضرين.

أشرفت فى سنة ١١٠٧هـ بعض أماكن من سقوف مسجد السعادة على الخراب كما أوشكت بعض أعمدته على الانهيار والخراب، فأبلغ ذلك من قبل بكر أغا شيخ الحرم إلى باب صاحب القرار وبناء على هذا الأمر السلطانى أرسل المهندس سليمان بك إلى المدينة المنورة بمهمة تعمير الأماكن المقدسة التى تحتاج إلى ذلك وأمر والى مصر بتدبير المبالغ اللازمة ولوازم المبانى وإرسالها إلى المدينة المنورة، وتحرك سليمان بك من مصر القاهرة وقد أخذ معه ما جهز من المهمات وما دبر من المبالغ إلى دار الهجرة ووصل إليها فى سنة ١١٠٨هـ وبقرار وجوه البلاد وكبار موظفى الدولة شرع فى العمل فجدد السقوف المتضررة ومعها اثنى عشر عمودًا كما أصلح من مسجد السعادة وبعد أن زين كل جهات حرم السعادة بأنواع النقوش والرسوم، هدم مسجد قباء والمصلى النبوى، ومسجد على ، من أسسها وجددها بناءًا حجريًا جاعلاً لها قبابًا وأسس بجانب مسجد على مدرسة ودار كتب وسبيلاً مشهورًا باسم الاسم السلطانى، وبعد أن أتم هذه الأعمال كما فصل فى أماكنها جدد مشهد حمزة ـ رضى الله عنه ـ وأتم مهمته بأن طَهَّرَ مجرى عين الزرقاء وبئرى على، وعاد إلى باب السعادة وحظى عمله هذا بالابتهاج السلطانى فأحسن إليه حيث رقى إلى رتبة أمير الأمراء.

وقد نظم أحد شعراء المدينة المنورة تاريخًا يعرف ما قام به سليمان بك من إحيائه لبعض المواقع وقد كتب هذا التاريخ بعد الاستئذان على قطعة رخام وحك وألصق على عمود بالقرب من باب الوفود.

وهذه صورة التاريخ المذكورة الذى مازال قائمًا.

عربى

حمدًا من آل عثمان الملوك المصطفين
حيث جاد كالمطر على من أعلى القلم
وقصر للخير نسلاً بعد نسل فانتهى
دور إحسان إلى من كان ينبوع الكرم
حضرة سلطان ثانى مصطفى أولهم
صب أموالاً لتجديد الخير المحتشم
ثم أحيا مسجد التقوى المؤسس فى قباء
والذى يدعى مُصَلَّى الحبيب المحترم
مشهد حمزة عم النبى المصطفى
جدد والحمد لله على الوجه الأتم
ونظف فى ذى الحُلَيْفَةَ داخل بئر على
أحلى فى مظاهر منتها الذى كان الأهم
ثم أجرى عين الزرقاء من أم القبة
بعد تنظيف لها من طين مجرى منقسم
طول مجراها من الأم إلى أرض الجرف
طال ما لم يتفق تطهيرها منذ القدم
جاء مقبول العرب من عون أنظار العجم
فارق الله تعالى بالقبول والرضا

صانه صاخرا اليوم تلتقيه لاجرم

ثم إن حاولت تاريخًا لتجديد ذكر

فاستمع من حق ما يتلى عليك من رقم

عد مفصولات الفات فذاك التاريخ

جدد السلطان الأعظم مصطفا هذا الحرم

في سنة ١١١هـ.

خرب أحد سقوف مؤخرة حرم السعادة إذ أصابته صاعقة وذلك بعد عودة سليمان باشا إلى باب السعادة بعدة أشهر، وبناء على ما قدم من الرجاء قد رقى الباشا المشار إليه إلى رتبة أعلى وأسندت إليه ولاية جدة وأمر بأن يهتم بتعمير سقوف الحرم السعيد الذى تعرض للخراب، فوصل سليمان باشا إلى المدينة المنورة وعمر المواقع المذكورة كما يجب وعلى الوجه المطلوب وكتب على ركن من أركان ذلك السقف:

جدد هذا السقف الشريف، ملك البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين السلطان الغازى مصطفى خان، خلد الله ملكه وذلك بنظارة العبد الفقير المعترف بالتقصير، الحاج سليمان باشا، المحافظ في جدة المعمورة المشرف بخدمة رسول الله ﷺ وذلك في سنة ١١١٢هـ.

وللسلطان أحمد خان الثالث بن السلطان محمد خان الرابع خدمات مشكورة لحرم السعادة، قد أخبر فى سنة ١١٣٢هـ أن اثنى عشر عمودًا متصلة بالساحة الرملية التى فى الجهة الغربية لجدران حرم السعادة أشرفت على الخراب، من قبل أعيان البلدة وموظفى دار السكينة وصدرت الإدارة السلطانية بإرسال موظف بسرعة لتجديد تلك الأعمدة وتعميرها فوجهت أمانة البناء لشخص يدعى الحاج موسى أغا وأرسل إلى المدينة المنورة.

ووصل الحاج موسى إلى دار الهجرة العالية وبعد كشف المواقع الشريفة بدلالة أصحاب الخبرة جدد تلك الأعمدة الإثنى عشر والجهات الأخرى من حرم السعادة

في صورة كاملة فى سنة (١١٣٣هـ) وكتب على أحد الأعمدة التى ركزت جديداً أيد الله نصر دولة من جدد هاتين المنامتين الشريفتين، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان الغازى أحمد خان، ابن الغازى محمد خان، خلد الله ملكه وذلك بمباشرة العبد الضعيف، الحاج موسى ووافق بتجديد تاريخ المنامتين بالمسجد، سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين، وأمر بكتابة هذا التاريخ.

وبعد أن أتم تعمير الأعمدة المذكورة فهم بعد الكشف والمعاينة أن بعض أعمدة حرم السعادة آلت إلى الخراب فهدم تلك الجهات فى الحال أيضا وأحكم تشييدها هكذا ثم عاد إلى باب السعادة وقد أتم مهمته على خير وجه، وقد رقى إلى رتبة أمير الأمراء ومنح مكافأة سلطانية خاصة له.

وخدمات السلطان محمود خان الأول بن السلطان مصطفى خان للحرمين كثيرة بدرجة فوق العادة، فقد ظهرت علامات السقوط والانهيار فى سقف حرم السعادة وأبلغ ذلك إلى الباب العالى وعرض الأمر إلى عتبة السلطان المشار إليه، فأحال الأمر إلى الحاج أحمد باشا والى جدة على أن يرسل أحد الأشخاص الذين يعتمد عليهم فى تعمير السقف الشريف فأرسل الباشا المذكور محمد أغا من خاصة أتباعه وذهب محمد أغا إلى المدينة المنورة وقام بأداء مهمته وكتب حول السقف الذى جدده عبارة: «أمر بعمارة هذا الرواق الشريف، ملك البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان الغازى محمود خان، بن المرحوم السلطان مصطفى خان، عز نصره وذلك بمعرفة الحاج أحمد باشا محافظ بندر جدة المعمورة وبمباشرة تابعه الحاج محمد آغا ثم عاد، وذلك فى سنة ١١٤٩.

كان السلطان المشار إليه قد أرسل ثريا مجوهرة لتعليقها فى قبر الرسول كما أرسل غطاءً جميلاً من أجل قبر فاطمة الزهراء وأرسل إلى الروضة المطهرة ٨٨ قطعة من أبسطة وعددين من الشمعدان الذهبى، وقد أرسلت الأشياء المذكورة فى عهدة عثمان أغا من أغوات باب السعادة، وبما أن المؤرخين قد وصفوا هذه

الهدايا بأن كل واحدة منها كانت أغلى ما أرسل وأجمل ما بعث إلى الحجرة المعطرة وأجملها؛ اقتضى الأمر أن نعطى فرصة لقلمنا ليجول ويصول فى وصف كيفية صنع تلك الأشياء وصورة إرسالها.

وكان أحد الأشياء التى أوصلها أغا باب السعادة عثمان أغا إلى المدينة المنورة كما سبق ذكره أعلاه قطعة من ثريا لا مثيل لها، كانت هذه الثريا فى صفاء الماء وألوان أزاهير نباتات الحقول ومن حيث لمعانها تضارع لمعان سهيل اليمانى، وزنها ٧٢٥ قيراط مثلثة الشكل، وكانت فى الجهة الأخرى منها زمردة أخرى تتوهج كعين شمس تبهر العيون وزنها ٧٦٨ قيراط، وكانت فى الجهة الثالثة قطعة زمرد أخرى نورها كأنوار الصباح تلمع فى الجهات الأربع قطعة تحير العقول بجمالها وفى وزن ٢٥٧ قيراط، وقد بلغ مجموع وزنها ٢٢٧٢ قيراط.

وهذه القطع الثلاث من الزمرد التى تشتهر بالمعدن القديم والتى لا نظير لها كانت أطرافها دائرة ما دار وأعلاها مرصع باثنتى عشرة قطعة كبيرة من الماس كأنها بدر ينير محيط الأبراج السماوية وبأربعين قطعة ماس من حجم متوسط واثنتين وستين قطعة من الماس أقرب إلى الوسط و١١٤ قطعة ماس التى تعتبر صغيرة بالنسبة للقطع الكبيرة لم يكن لها مثيل، وقطعة ماس كبيرة تحير العقول، وكان طوق تلك الثريا مزينًا بتسع عشرة قطعة من الماس مختلفة وكانت حلقتها التى تعلق بها والتى تشبه هالة البدر مزينة بأربع قطع من الماس وكانت تتكون من ٣٥٢ حبة قيمة من الدر اليتيم مع ثلاثة عشر صفًا من المزين بثلاث عشرة حبة من الزمرد وكانت لائقة أن تكون ثريا عذارى الحور العين.

وكانت الثريا تشمل فى الأماكن التى تجذب الأنظار دررًا وغررًا وجواهر لا عَدَّ لها كما تشتمل على صورة غريبة وكانت فى غنى عن الوصف حقاً.

إن النقوش تحير العيون والتى نقشت على وجهها الواحد هى أثر من فنانى الياقوت ومن هنا فهى كانت فى نظر من رآها من المؤرخين كعروس تجلت فى حجرة نومها بل كانت من قبيل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

وبعد أن صنفت الثريا التى سبق تعريفها فى مكانها اللائق، نسجت قطع الأقمشة والأغطية والسجاجيد التى صدر الأمر بصنعها ووضعها فى مشهد الحرم القدسي والروضة المطهرة التى يخدمها الملائكة، وكانت قطعة القماش كسوة جدران المرقد النبوى تعانق دائرًا ما دار الحجرة فى جهاتها الأربعة وكانت أرضية هذا القماش الساحر من ستين ذراعًا من الأطلس الأخضر وجها وبطانة وقد سطر على هذا القماش الذى يبعث الفرحة السورة الشريفة «الفتح» باستعمال ٧٠٠٠ مثقال من خيوط الفضة النادرة، وزينت ما بين سطورها بجداول لحسنها فبدت كأنوار الشفق وظهرت فى ساحة الأخيار وتمنى رضوان الجنة أن يمسح وجهه عليها.

وحتى يربط ما بين الغطاء الشريف المذكور أرسل ٥٧ قطعة أطلس فى لون الزرع وكل قطعة فى أربعة عشر ذراعًا، كتبت عليها بعض الآيات الكريمة وكلمة الشهادة المباركة والصلوات الشريفة ثم أرسلت وأكملت بلوازمها الأخرى، ثم أرسلت أغطية ضريح وردة بستان النبوة، وثمرة سدرة المنتهى للرسالة، سيدة قصر العفة زينة بيت الشرف والسعادة درة السيادة السماوية ولؤلؤة العصمة سيدة النساء وقطعة كبد حبيب الله فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وكانت أرضيتها الغالية حمراء اللون ولون بطانتها خضراء.

وقد كتب فوق (١١) قطعة من أجمل أقمشة الأطلس بالخيوط الذهبية بعض الأحاديث الشريفة ببراعة أساتذة الفن، ولما تم صنع أعمالها الأخرى أرسلت إلى المدينة المنورة لتعلق على جدران المسجد النبوى والمعبد المصطفوى توأم الجنة كما أرسلت ثمان وثمانين قطعة سجاد مزخرفة بأنواع نقوش الأزاهير إلى المدينة المنورة لتفرش على ساحة الحرم النبوى، وكان مقدار هذه السجاجيد بالحساب التربيعى ٣٠٨١ ذراع من القماش والشمعدانان اللذان أرسلا لإنارة المكان الذى بشر بالحديث الشريف الذى يقول «بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»، وطاف المحراب المشحون بالرحمة حيث توافر أجنحة الروحانية ذات عرب وكانا كأنهما نيران من حيث الشكل أو مثل الفرقدين وكانا مرصعين بأنواع الرسوم

البديعة وكانا من الذهب الخالص مع مقعدين مطليين بالذهب وقد أمر بجعلهما مصباحين لإنارة هذا المكان المبارك مهبط الوحى.

وأرسل الشمعدانان والسجاجيد التى ذكرت بحرًا وأرسلت الأغطية والثريا المزينة برًا، بعد أن أودعت فى أمانة الصف ووصلت تلك الأشياء التى أرسلت برًا يوم الخميس وبناء على الأمر المطاع من الجميع الأمر السلطانى الذى يحترمه الجميع أخرجت تلك الثريا أمام الباشا الحاج وشيخ الحرم النبوى الحاج عبد الرحمن أغا وقاضى المدينة وأمين الصف وكافة العلماء والخطباء والأئمة والأشراف وحضورهم وبعدما رآها الجميع أخذت بمراسم الآداب والخشوع وقراءة الأوراد والتحيات إلى حجرة سيد الورى المنظمة ـ عليه أفضل التحايا ـ حيث علقت فى مكان مناسب.

وهكذا أدى مهمته، وبعد ذلك أخرجت أغطية المرقد النبوى وفق المراسم القديمة بكل تعظيم وتفخيم وعلقت على جدران المشهد المصطفوى وبعدما كُسِىَ مضجع سلطان القصرين ولم يقصر أحد فى بذل أقصى ما يقدر عليه من التوقير والإجلال حين كُسى المضجع النبوى ألبست أغطية مرقد الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وبما أنه قد وصلت ٨٨ قطعة من السجاجيد ذات النقوش البديعة والشمعدانان فبسطت السجاجيد على ساحة الحرم النبوى الشريف والروضة المطهرة المصطفوية، ووضع الشمعدانان مع مقعديهما يمين محراب النبى ويساره.

وكان السلطان محمود خان قد أرسل قبل ذلك ثريا أخرى وبما أنها كانت مثل الثريا التى سبق تعريفها فصرف النظر عن تعريف شكلها وهيئتها.

ومن السلاطين الذين خدموا حرم السعادة السلطان الغازى السلطان عثمان خان الثالث بن السلطان مصطفى خان الثانى، إذ كان قد أرسل أمين الصف إبراهيم أغا مكلفًا بمهمة كشف وتعمير سقوف مؤخر حرم السعادة التى أشرفت على الخراب بعد ما استأذن منهم بذلك فى سنة (١١٦٩هـ) وأبلغ والى مصر بأن يرسل إلى المدينة الأشياء اللازمة للتعمير سريعًا.

ولما وصل إبراهيم أغا إلى المدينة المنورة وجد لوازم البناء التى أرسلت من مصر قد وصلت فعمر السقوف التى أشرفت على الخراب وما احتاج للإصلاح من مواقع حرم السعادة وكتب على السقف الجديد هذه العبارة:

«أمر بعمارة الحرم الشريف السلطان الأعظم السلطان عثمان خان، بن السلطان مصطفى خان، خلد الله ملكه وذلك بمباشرة الحاج المعتمر الأمين إبراهيم أغا، أمين الحرمين الشريفين، وأمين بناء المسجد النبوى بتوفيقه من الله؛ سنة ألف ومائة وسبعين.

والسلطان مصطفى خان الثالث بن السلطان أحمد خان الثالث من السلاطين العثمانية الذين كانوا يبذلون المهج فى سبيل النبى ﷺ، وقد وصل إلى أعتاب سلطنته أن علامات الانهيار والسقوط قد ظهرت فى بعض أماكن سقف حرم السعادة وبناء على ذلك صدر الأمر السلطانى بالإسراع فى تعمير وتجديد الأماكن التى اقتضت ذلك وأرسل إلى المدينة المنورة بصحبة محمد أمين بن فيض الله أغا مهرة العمال والمعماريين المقتدرين.

ووصل محمد أمين أغا إلى دار السكينة وأصلح الأماكن التى أشرفت على الخراب من سقوف الحرم الشريف بالاتفاق مع أعيان البلاد وموظفى الحكومة وبقرارهم، وعمر بعد ذلك الجدار الذى على يمين مضجع السعادة ويساره بأحجار ملونة مختلفة، وزين جميع جهات الحرم النبوى توأم الجنة.

وجعله مثالاً للبيت الذى يقول:

ما حاجتنا لتعريف الشمس بالنور فآثـــار نـوره ظاهـــرة للعيـــــان

وكتب فوق السقف الذى جدده

أمر بعمارة هذا الحرم الشريف السلطان عبد الحميد خان، بن السلطان أحمد خان خلد الله ملكه مدى الزمان وذلك بمباشرة المفتقر إلى الله، العبد محمد أمين بن فيض الله؛ سنة واحد وتسعين ومائة وألف.

وكتب على اللوحتين المعلقتين مقابل الجدار النبوى من اليمين والشمال تاريخ

مقـام المصطفى قف بـه منكـس الرأس مـا تريـد

وتبتـل لله الأحـد فوق الذى، نرجوه ممـا عليـه مزيد

وادع لمن فاق الملوك الأولى، قد خدموا هذا المكان السعيد

سلطاننـا عبد الحميد الذى، فى ملكه إذا أمسى نظام جديد

واسـأل لأمين بَنَّآء محمد شفاعتـه إنـه بـها سعيد

مسجـد طـه أوجـه الأنبيـاء، جـدده الخـان عبـد الحميـد

كتب هذه المنظومة وكتب قطعة.

يـا خير من دفنت فى القـاع أعظمـه

فطـاب مـن طيبـه القـاع والأكـم

نفسـى فـداء لقـبر أنت ساكـنه

فيـه العفـاف وفيـه الجـود والكـرم

على العمودين الرخاميين المربعين على يمين ويسار ذلك الموقع الشريف، وكتب حول شبكة السعادة دائرًا ما دار قصيدة «يا رسول الله! خذ بيدى» البليغة بخط جميل وذهبها، فى سنة ١١٩١.

وقد عمر السلطان عبد الحميد خان بعد هذا التعمير بعشر سنوات بواسطة حامل أسلحة السلطان الحاج محمد أغا ونظارته الباب الخشبى وأساطين الروضة المطهرة، وكان ذلك الباب الخشبى على يسار محراب النبى ﷺ، وقد أصلح هذه الأماكن فى طراز جميل وكتب الجملة المنجية لا إله إلا الله، الملك الحق المبين وحديث «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (حديث شريف) فى المكان الذى ينظر إلى الجدار القبلى للباب المذكور، وكتب فى ذيل هذه الكتابات عبارة (عمره السلطان عبد الحميد خان (١٢٠١).

وبعد عام أقيمت مدرسة تضم سبع عشرة حجرة ومحلاً للاستذكار ومكتبة وجعل سواء أكان للطلبة الساكنين أو المدرسين أو أمناء دار الكتب مقداراً كافيًا من المرتبات واشترى حديقة النخيل وبستان الخضر القريبين من المدرسة ووقف محاصيلها للطلبة الساكنين فى المدرسة وذلك فى سنة (١٢٠٢).

ومن السلاطين العثمانيين السلطان سليم الذى فخم الحرمين المحترمين أعظم تفخيم وعظم أهاليهما الكرام أعظم تعظيم، وهو السلطان سليم خان الثالث بن السلطان مصطفى خان الثالث، قد أمر فى عصره السعيد بناء على استئذان الأهالى بتعمير وإصلاح جدران الحرم النبوى مخدوم الملائكة والأساطين التى فى داخل الروضة المطهرة التى تعد من الآثار النبوية، وغلف الأساطين الشريفة المذكورة مقدار ذراعين من الأرض بقطع رخام ملون، ونظم قصيدة بذاته لتكتب على قطع الرخام الملونة وأرسلها إلى أمانة البناء، وقد كتبت هذه القصيدة فى بحث الأساطين الملونة، ذلك فى سنة ١٢٠٨هـ.

وبعد هذا التعمير بأربعة أعوام قد زين وعمر يمين ويسار جدران باب جبريل قدر ذراعين من الأرض وجدار محراب التهجد كاملاً بالصينى، وطهر ونظف مجرى عين الزرقاء وذلك بنظارة والى الشام عبد الله باشا.

وقد أنفق السلطان الغازى محمود خان الثانى بن السلطان عبد الحميد خان الأول كثيراً من النقود للحرمين الشريفين وأظهر بهذه الطريقة شدة حبه ووداده للنبى ﷺ.

والحبوب التى خصصت لأهالى الحرمين من السلطنة السنية العثمانية فى عصره، قد شريت وبيعت لسوء إدارة موظفى الدولة وطمع سكان المدينة الأغنياء والتجار، وترك الفقراء والضعفاء جوعى ومرضى دون علاج وأخذ فقراء الحرمين يعانون أشد العناء وأخبر بذلك السلطان وعرض النبأ على عتباته، واستحصل منه على إرادة سنية بخصوص إحصاء السكان لإعادة توزيع المرتبات وتقسيمها من

جديد، وكلف الوالى إبراهيم باشا الذى كان فى ذلك الوقت فى المدينة المنورة بإحصاء نفوس أهالى المدينة، كما عين محافظ مكة خليل باشا لإحصاء عدد سكان أهالى مكة المعظمة.

وقد حرر إبراهيم باشا أسماء سكان المدينة المنورة وقيدها بأسرها كما حرر خليل باشا أيضا أسماء سكان مكة المكرمة وحدا الدفترين وبعد ختمهما أرسلاهما إلى والى مصر محمد على باشا كما أن الباشا المذكور أرسل الدفترين ملفوفين بالكشف الذى ستبين صورته فيما يأتى إلى الباب العالى.

وظن بعض الأهالى من هذا الإحصاء أن الدولة تريد أن تجند أبناءهم وأخفوا عددهم، لذا لم يدرج أسماء كثيرين منهم فى الدفاتر ولكن المجربين منهم فهموا الموضوع ووجدوا طريقة لإدراج أسمائهم فى آخر الدفاتر بواسطة موظفى الإدارة المصرية ولكن الذين لا يعرفون أحدًا ظلوا غير مقيدين.

صورة القائمة التى كتبها محمد على باشا إلى مقام الصدارة العظمى السامى:

إن الغلال التى خصصت ورتبت من مصر فى السنين السابقة لأهالى الحرمين عَفَى نظامها مع مرور السنين وأبدل وأخذت تباع وتشترى فيما بينهم حتى استولى عليها الأغنياء، واضطروا فقراءها للبحث عن أقواتهم اليومية وكان إدخالهم تحت النظام غير ممكن.

وقد رأينا أن نرسل إلى أهالى الحرمين الشريفين من المخازن المصرية مجددًا مقدارًا كافيًا من الغلال بنية خالصة على أن تعد هذه الغلال من جملة الآثار الخيرية للسلطان المهيب ذا الشوكة ملجأ الإسلام ظل فضل الله، وفى نعم كافة الأمم، محمولة على المراكب حتى تستجلب لذاتكم السلطانية أدعية مضاعفة من أهالى الحرمين، وبناء عليه قد رأى ابن عبدكم إبراهيم باشا عند عودته من الباب العالى إلى المدينة المنورة إعداد دفتر لكتابة أسماء أهالى المدينة المنورة لإحصاء عددهم، وذلك بعلم أغا شيخ الحرم ورأيه وبضم آراء قاضى المدينة ومفتيها وفضلاء علمائه ووجوه البلاد، كما اتخذ دفترًا آخر حرر بعلم صاحب السعادة

محافظ مكة خليل باشا وعلم الشريف يحيى وبمعرفة قاضى مكة المكرمة ومفتيها إلى أعتاب عظمتكم السلطانية، والعلة الغائبة من هذا العمل الخيرى هى استجلاب الدعاء بالخير لجانب سلطنتكم، وقد بلغ مقدار الغلال السنوية الخاصة بالحرمين الشريفين إلى ١٦ ألف إردب وبعد هذه السنة سترسل الغلال الخاصة بالحرمين الشريفين فى ميعادها دون تفويت وقتها وقد بدأنا بذلك فى هذه السنة وببيان ذلك أعرض لجانب سلطنتكم طاعتى، انتهى.

ولما أطلع السلطان على ما جاء فى الدفترين أمر بتنفيذ ما جاء فيهما، وبناء على ذلك شرع فى إرسال الغلال إلى الحرمين، إلا أن المساكين الذين لم تدرج أسماؤهم فى الدفترين حرموا من العطايا السلطانية ولكن بناء على رجاءات وجوه البلد واسترحاماتهم أضيف إلى العطايا ألف إردب حنطة فوصلت المخصصات الحجازية إلى سبعة عشر ألف إردب من حنطة وهذه المخصصات ترسل الآن.

سبب تشكيل مديرية الخزانة

إلى أن حل الوقت الذى بلغت المرتبات الحجازية إلى سبعة عشر ألف إردب قمح، كان أمناء الصرة ثانى يوم وصولهم إلى المدينة الأمينة يفرشون على ساحة حرم السعادة الأبسطة ويوزعون ما سلم لهم من المبالغ لإعطائها لأهالى دار السكينة من باب السعادة ويستدعون من حُرِّرَتْ أسماؤهم فى الدفاتر التى أعطيت لهم من خزانتى الأوقاف والمالية، وفى حضور أشراف البلاد وموظفى الحكومة يسلمون لهم بأيديهم مخصصاتهم، ولما لم تكن فى ذلك الوقت دوائر فرعية خاصة بمديرية الخزانة كانت مستحقات كل فرد تسلم له دفعة واحدة من قبل أمين الصرة، ولما كان صرف واستهلاك المبالغ التى أخذت دفعة واحدة فى خلال أيام قليلة حسب الحاجة الطبيعية، كان سكان دار السكينة ينفقون مخصصاتهم خلال عدة شهور بوفرة ثم يعانون من قلة المال خلال الثمانية أشهر الباقية، ولما أطلع السلطان محمود على هذه الحالة ألغى هذا النظام وأنقذ الأهالى من هذه المعاناة

بوضع نظام تقسيم مخصصات كل فرد إلى اثنى عشر شهرًا وإعطائها لهم فى كل شهر.

وحتى تعطى هذه الرواتب الشهرية وتوزع فى صورة منتظمة شكل مديرية خزانة المدينة المنورة وعين لها موظفين وبين لكل واحد منهم وظيفته، ويسلم الآن أمناء الصرة ما حملوه من الأمانات لخزانة المديرية بموجب الدفاتر كما أن موظفى الخزانة يوزعونها شهرًا بشهر لأصحابها، ومديرية الخزانة دائرة غاية فى النظام فلها دفاترها المنظمة، وسجلاتها التفصيلية ولها محققوها ومدققوها، وتجرى معاملاتها فى دائرة النظم الموضوعة.

ولا يضيع حق أحد فى ظل حضرة الخليفة العادل، ولا يبرز إنسان قائلاً: «قد أضيع وأخفى». وذلك فى سنة ١٢٣٣هـ، انتهى.

وقد أصبح المسجد النبوى فى أشد الحاجة إلى الإصلاح، فأعلم والى مصر محمد على باشا مركز السلطنة العثمانية بذلك ولما جاء الرد لمحمد على باشا يطلب منه أن يعين رجلاً مناسبًا لأمانة البناء لتعمير الحرم النبوى على أحسن وجه، فكوفئ كاتب الديوان المصرى طاهر أفندى وهو من صلحاء الرجال المصريين بتعيينه أمينًا للبناء وأرسله إلى المدينة المنورة ذات الشرف العالى.

ووصل طاهر أفندى إلى دار الهجرة واطلع مع وجوهها واتفاق آرائهم على حرم السعادة، وقرر تعمير وتقوية قبة حجرة السعادة وأحاط الحائط الذى بنى فى عهد عمر بن عبد العزيز بسور آخر، فأحكم تشييد القبة الخضراء على وجه لائق بكل تعظيم وتوقير.

واهتم قاضى البلدة وشيخ الحرم النبوى وأعيان البلد وكبار موظفى الدولة بأداء الخدمة وهم لابسون أفخر ثيابهم، وبعد أن عمر الحجرة المعطرة على الوجه الأكمل جعل النقاشين الذين أرسلوا من باب السعادة يصبغونها وزين جدرانها برسوم مختلفة الشكل ثم كتب الحديث الشريف فوق الباب الخشبى الذى يقع

فى جهة المرقد النبوى من محراب النبى قال رسول الله ﷺ: «**من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن زارنى وجبت له شفاعتى**»، صدق رسول الله ﷺ، كتبه الفقير قوناقجى زاده إبراهيم النقشى ثم كتب على رخام مستدير فى الجهة الداخلية من باب جبريل عبارة: «عمر السلطان الغازى محمود خان نصره الله تعالى سنة ١٢٢٨»، وفى الجهة الداخلية من جهة اليسار كتبت جملة: «عمر الحرم الشريف أمين كاتب الديوان المصرى محمد طاهر ١٢٢٨ وذهبها».

وقد وفق السلطان محمود خان العدلى فى إحياء هذه المآثر لوالى مصر محمد على باشا بتعمير وإصلاح المساجد والآثار التى تخربت وإحيائها وكتب بذلك إلى والى جدة ومحافظ المدينة المنورة نجله النجيل إبراهيم باشا وأرسل ما يلزمه من المبالغ ولوازم البناء قدر ما بلغ، واستدعى إبراهيم باشا من باب السعادة ومصر مهرة العمال الذين تمرسوا فى دقائق أعمال البناء.

كما جلب من الشام قوالب الصينى وابتدر فى تعمير هذه الآثار وإحيائها، وجدد أولاً داخل حرم مسجد الحبيب والقبة الخضراء وخارجها وبعد ذلك أضرحة البقيع ثم أبنية المساجد والمشاهد فى صورة لائقة، ثم وضع قطع الرخام التى وردت من باب السعادة فوق كمرات أبواب الأضرحة وزين كل مسجد وكل أثر كحسناء محبوبة، وعين أصحاب الأضرحة بكتابة الأبيات فوق طاقاتها ولم يترك حاجة للزوار للسؤال عن أصحاب تلك الآثار ونوعها.

إذا كان قد كتب فوق قطع الرخام التى أرسلت من باب السعادة والتى وضعت وألصقت فوق أبواب هذه الآثار والأضرحة كتب عليها بعبارة مختارة وأحيانًا بينت أسماء أصحاب الأضرحة وحقيقة الأثر وكنهه، وكانت الأبيات المذكورة ثمرة قريحة ابن كيجة جى عزت منلا المرحوم من شعراء عهد السلطان محمود خان العدلى المشهورين قد كتبت وحُكَّت مُذَهَّبَةً فى باب السعادة، ومازالت منها مذكورة فى بحث تعريف الآثار والأضرحة.

وبعد أن أتم إبراهيم باشا المرحوم بتعمير حرم السعادة أمر بكتابة المدحية[1] العبارة عن الثمانين بيت المنظومة بعبارة عربية فوق جدار القبلة الذى يقع خارج باب السلام، وكتب على الجهة اليمنى من هذه المدحية بخط أبيض فى صورة الشمس:

«قد كان الوكيل بعمارة الحرم الشريف النبوى والى مصر محمد على باشا أدام الله إجلاله آمين» وكتب البيت الشريف تحت الجملة السابقة بخط أبيض على شكل صورة الشمس:

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

وفوقه بنفس الطريقة:

ما شاء الله كان هذا باب كليم الله فى سنة ١٢٣٣.

وعلى طاق الباب المذكور كذلك: هذه عمارة الحرم الشريف النبوى فى أيام إبراهيم باشا والى جدة ومحافظ المدينة المنورة عام ١٢٣٣.

وفى نهاية هذا الكلام:

فاق النَبيينَ فى خَلْق وفى خُلُق ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وفوقه على هيئة الشمس كذلك: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْلِي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾ صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم..

كما أمر بكتابة التاريخ القديم الذى ظل من عهد السلطان قايتباى حول هذه الخطوط دائرًا ما دار.

وبعد أن أتم إبراهيم باشا تجديد مسجد السعادة توأم الجنة أسرع لتجديد مسجد قباء فَشَيَّدَ حرم السعادة المذكور فى صورة محكمة أحيا وجدد فى شكل جميل وبنى مبرك الناقة ومنزلة الآية ومسجد على ومسجد فاطمة، ومسجد عمر، مسجد بئر خاتم، والسبيل الذى فى هذه الناحية وسبيل السلطان أحمد فى اتصال

(١) هذا المديح قائمة صورته إلى يومنا هذا فوق هذا الجدار المذكور إلا أن معظم أبياتها محيت لدرجة أن بعض مصاريعها تلفت بدرجة يصعب معها قراءتها فلم نستطع أن ننقلها فى هذا المكان.

جدار مقبرة البقيع التى فى داخل المدينة ومسجد بغلة، ومسجد بنى ظفر، مسجد أبى بن كعب فى داخل مقبرة البقيع، ومسجد مصلى العيد المصطفوى الذى فى ميدان المناخة، ومسجد الصديق الأكبر.

ثم بنى مدرسة باسم السلطان بالقرب من باب السلام وأصلح مدرسة السلطان عبد الحميد خان فصارت فى غاية الجمال والمتانة وأحياها، وهكذا استجلبوا الدعاء لجانب السلطان السنى.

وقد طهر السلطان المشار إليه مجرى عين الزرقاء إثر السيول التى ظهرت فى سنة ١١٢٤هـ مثل البحار وخربته إلى قبة البئر ثم أعطى ثلاثمائة صرة من الدراهم لتوزيعها على الحجاج الذين أضيروا بسبب السيول كما تصدق بثلاثمائة قطعة من الملابس لتقسم على الفقراء وأهدى حصرًا وأبسطة لفرشها فى حجرة السعادة، كما أهدى خَمْسًا وسبعين قطعة من السلاسل الذهبية وأربعمائة وعشرين عددًا من السلاسل الفضية لتعلق فى حجرة السعادة، وبعض الشمعدانات لتوضع على يمين ويسار محراب النبى والمحراب السليمانى وأضاء داخل حرم السعادة الذى يشبه الجنة، وذلك فى سنة ١٢٣٥هـ.

وكانت كل واحدة من السلاسل الذهبية فى ثقل مائتى درهم وكانت كل واحدة من السلاسل الفضية مائة وأربعين درهما، وكان مع الشمعدانان عرض حال سلطانى كتبت صورته فيما يأتى:

نظم

تجــرأت أهدى الشمعدان يـــا رســـول الله
قصدى أن أخدم عتبتك العليا يـــا رســول الله
لا تليق بروضتك الثريا التى قدمتها يدى العاجز
فـــاحـــسن إلى بقبولهـــا يـــا رســول الله
ليـــس لى أحـــد أشكـــو حالـــى

فمـن جنابك الإحسـان والمروءة يـا رســـول الله

دخيلـــك الأمـــــــان قـــــد وقفـــت ببابك

ارحمـــنى وكن شفيعى يـــــا رســــــول الله

فاستصحبنى فى العالمين، السلطان محمود العدلى

فالدولة لك فى الأول والآخر يا رسول الله

وبعد إرسال الهدايا المذكورة علم من قبل السلطان أن قطع الرخام التى بين الروضة المطهرة وجدار القبلة قد خربت بطريقة سيئة وبناء على الأوامر الصادرة أصلحت وجددت قطع الرخام التى فى المكان المذكورة ابتداء من مواجهة السعادة إلى باب السلام ولما كان ما بين باب السلام إلى باب الرحمة ترابًا فرش هذا المكان وكذلك الساحة التى فى محاذاة الأعمدة فى الساحة الرملية بالقطع الرخامية، وذهبت الخطوط التى فى السقوف وعمر حمام محمد على باشا الذى كان قد فجر اللغم من قبل، وأسست مدرسة جميلة فى قرية قباء ثم حفرت بالقرب من مشهد حمزة بئر واسعة وحوض.

وما عدا هذه بنيت بالقرب من باب السلام دار توقيت على أن تكون فى إحدى جهاتها مدرسة وفى جهة غرفًا للمؤقتين، كما أُسِّسَ أمام دار التوقيت سبيل جميل وهكذا أحيا أهالى المدينة.

وبما أنه أرسلت ساعة من باب السعادة لتوضع فى داخل دار التوقيت وتاريخًا ليُحَكَّ فى أعلى طاق المبانى التاريخ الذى حرر بالشكل اللائق، فوضعت الساعة فى مكانها الخاص كما حُكَّ التاريخ فوق كمر باب دار التوقيت وذُهِّبَ وهذه صورة تاريخ دار التوقيت:

التاريخ

قـــــد قـــــام ملك ملوك الزمــــــــان بأثر محمــود

بنى فـــــى داخل حصـــن المدينة هذه الـــدار للتوقيــت

كن من هذا الارتفاع الصامت دليلاً على عظمة السلطان
قـــد زاد الزمـان ساعـة بعـد ساعـة بـنوره
فليمـلأ الدهـر بمفتاح الشريفـة مثـل الساعة
فلتكـن روح النـبى فى عـون ذلك السلطـان دائمًا
قـد زين بهـذا الشكـل زينـة محمود التاريخ
السلطان محمود هو الذى أوجد دار التوقيت
فى سنة ١٢٥٣.

وبعد تصليح دار التوقيت المذكورة بسنة ونصف كان قد أرسل من باب السعادة خمسة أنفار من المجلدين لتعمير وتذهيب الكتب الموجودة فى دور كتب المدينة المنورة، وأُعْلِمَ باب السعادة أن هؤلاء المجلدين قد عاينوا دور كتب المدينة المنورة بواسطة موظفى الدولة وعمروا سبعة آلاف مجلد من الكتب وذهبوها، وقد أُجِرَ كل واحدمن هؤلاء ألفًا وخمسمائة قرش معاشًا شهريًا.

ولما كان نظام خدمة حرم السعادة احتاج للإصلاح صدر الأمر السلطانى أن تكتب أسماء الخدم، فى دفاتر خاصة وقد جعل لعشرة من الشيوخ ثلاثون قرشًا وقد خصص للشيوخ أجرًا أسبوعيًا مقداره أربعون قرشًا وللفراشين خمسة وعشرون قرشًا وأكرم الجميع بهذه الطريقة وذلك فى سنة ١٢٥٥.

ومازال هذا النظام مرعى الجانب إلى الآن وكل شيخ يقوم بأداء مهمته أسبوعيًا مع رفقائه، وفى يوم الجمعة يحصلون على أجورهم الأسبوعية ويعودون، والذين لا يواظبون فى أداء خدماتهم تخصم منهم يومياتهم بموجب الدفتر.

وأرسل السلطان المشار إليه إلى حرم السعادة نسخة من البخارى والشفاء الشريف كما أرسل ثلاثين عددًا من الكلام القديم[١] وثلاثين عددًا من دلائل الخيرات وثلاثين قطعة من أجزاء القرآن الكريم، وعين لتلاوة كل واحد منها شخصًا وأراح باله بأن ربط له راتبًا بمقدار كاف.

(١) يعنى القرآن.

ومازال سواء أكانت الأجزاء اللطيفة أو البخارى والشفاء الشريفين فى المسجد النبوى وتقرأ صباح مساء أمام محراب التهجد يتحف ثواب قراءتها وأجرها لروح الواقف.

ولم يخدم السلطان محمود خان الحرمين الشريفين فحسب بما عرض من الخدمات إذ إنه كذلك جدد وعمر ـ كما سنبين فى الصور الآتية ـ مسجد قباء، والمساجد الأخرى والآثار العالية وأضرحة مقبرة بقيع الغرقد التى هدمها وخربها طوائف الخوارج الرذيلة، ومشهد حمزة، ومقبرة الشهداء، والمشاهد الأخرى والآثار المسعودة، كما أمر بكتابة منظومة فوق أطواف المساجد والآثار.

خارقة

كان السلطان محمود خان العدلى جدد غطاء مرقد السعادة الذهبى للمرة الثانية، والغطاء الذى أرسله فى المرة الثانية، حينما وصل إلى الحجرة المعطرة وشرع فى تغطية المرقد لزم قلع الغطاء القديم، وبينما شرع فى قلع الغطاء القديم الذى قد سكر باحتضان القبر النبوى الشريف عدة سنوات صدر من الهاتف صوت حزين يقول واه حسرتاه واه فرقتاه وهكذا عرض ذلك الغطاء نار حسرته وفرقته وقد سمع هذا الصدى المثير للشوق كل من كان فى داخل الحجرة النبوية وفقدوا عقلهم وشعورهم.

وإن كانت هذه الخارقة غير مصدقة عند أهل الاستدلال، إلا أن الذين يصدقون أن الجذع الشريف الذى ارتمى على الأرض وأصبح جذاذًا وأخذ يئن ويصيح عندما وضع مكانه منبر السعادة لا يستبعدون ظهور مثل هذا الصوت عندما كان الغطاء القديم يخلع من على المرقد النبوى.

لن يوفق أحد من ملوك الأسلاف إلى إسداء الخدمات لحرم السعادة مثل ما قدمها السلطان الغازى عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان الثانى، إذ لم يترك ذاته السلطانية مكانًا فى مسجد السعادة أو الحجرة المعطرة لم يجدده أو يعمره، إذ بنى ٢٩ قبة فوق السقف القديم الذى صنعه السلطان مراد الرابع والذى يقع الآن فى الجهة القبلية من الساحة الرملية كما هو مبين فى الخريطة

الخاصة، كما جدد القباب الموجودة منفقًا ما لا يحصى من النقود، وفرش فوق أسطح القباب الموجودة بقطع من الرخام المجلاة، وعنى بتزيينها، وجدد الخطوط التى فى داخل مسجد السعادة وخارجه وهى التى تحدد حدود الحجرة المعطرة وقطع رخام حرم السعادة عامة، وهكذا قام بخدمة عظيمة فإنه أسس أبنية المسجد النبوى الشريف المسعودة من جديد، وأسس فوق باب التوسل مكاتب وعدة مخازن أعلاه وأسفله فأصبح باب حرم السعادة فى غاية اللطف مؤخرًا. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

دخول السلطان عبد المجيد فى حجرة السعادة

يروى أصحاب الوقوف من أهالى المدينة ومهرة بنائى الحجارة الذين استخدموا فى عمليات تجديد قبة السعادة فى حق المرحوم المشار إليه حكايتين غريبتين ولكن لهما مغزى ويدعون أنهما غير قابلتين للتكذيب.

١ ـ الحكاية الأولى:

نقشت الطغراء الغالية التى أرسلت من إستانبول فوق قطعة رخام مجلاة وذهبت لتكون علامة واضحة على أن السلطان عبد المجيد قد جدد وعمر مبانى الحرم العالية وعقب ختام فروغ عمليات المبانى المقدسة تركت فى جهة ما على أن توضع فوق كمر باب مناسب من الأبواب مغطاة، وكان قد مر بعض الوقت من حينه، فجاء أحد المجذوبين الذى لم يتحدث فى حياته مع أحد فأشار بأن توضع الطغراء فى مكانها بعد أن كشف غطاءها، ولم يتأخر عن الإلحاح والإصرار قبل أن تلصق الطغراء المذكورة إلى مكانها وأخبر بالأمر موظفو الحكومة، وإذا فى ذلك اليوم كان السلطان عبد المجيد قد ارتحل إلى قصر سواحل الجنة وجلس مكانه أخوه عبد العزيز خان! وعلم بهذا بعد ذلك بخمسة وعشرين يومًا.

وبما أننا لا نصدق مثل هذه الحكاية فضلاً عن أننا لا نريد أن تأخذ هذه الواقعة مكانًا فى عالم الوجود، فاستوضحنا الأمر من بعض الموظفين الذين كانوا فى مهمة تجديد تلك المبانى المقدسة فعرفنا أن الحقيقة كانت على الوجه الآتى: إن الطغراء التى حُكَّتْ مذهبة فوق قطعة الرخام وفى تاريخ إتمامها كانت أبنية حرم

السعادة وإنشاءاتها قد وصلت إلى ختامها إلا أنه ظلت بعض كتاباتها ولما أكملت هذه الكتابات فوق الرخام ونقوشها تركت فى مكان محفوظ بعد أن غطيت حتى توضع فى مكانها، وبعد فترة ما لم يبق فى الحرم الشريف محل فى حاجة إلى التجديد والتعمير ورفع رخام الطغراء من مكانه، فجاء بعض المسافرين من جانب مكة المعظمة وأتوا بخبر وفاة السلطان عبد المجيد خان فى صورة غير رسمية، إلا أن هذا الخبر لم يوثق به ولم يعتمد عليه، ومن هنا أخذ خطباء المسجد يذكرون فى خطبتهم يوم الجمعة اسم السلطان عبد المجيد ويدعون له وقالوا: لو كانت هذه الرواية صحيحة جاءتنا الأخبار من جانب الإمارة الهاشمية فى مكة المكرمة وكنا نؤمر بذكر اسم عبد العزيز خان وتلاوته وهذا لزوم شرعى، وكان لابد أن يأتى الأمر السلطانى يشهد بجلوس السلطان عبد العزيز وكان ما قالوه معقولاً.

وبما أن عمليات مبانى حرم السعادة أصبحت رهن الختام ولم يبق لقائل أن يقول: «فى هذا المكان قصور أو نقص» إذ أصبحت الروايات المتواترة أن من ينظر إلى المبانى العالية يراها مازالت ناقصة ومن هنا كان يلزم تبديل الطغراء باسم السلطان الجديد، ولما كان هذا خلاف الواقع وضع البَنَّاءون رخامة الطغراء التى أعدت من قبل فى مكانها فوق باب السلام وبهذا بين أن عمارة المسجد الأخيرة قد تمت فى عهد السلطان عبد المجيد الملئ بالخيرات وبهذه الجرأة المقدرة ودلالتها بان أنه متصف بالاستقامة والنزاهة وقد عرض هذا الوضع اللائق على السلطان عبد العزيز فى صورة غير لائقة وأدى ذلك لغضب ذلك السلطان، إلا أن المنافقين الذين عرضوا ذلك الأمر على السلطان عن طريق الغمز واللمز قد ارتكبوا عن طريق الرياء المذموم ظلمًا كبيرًا؛ لأن عمارة حرم السعادة قد تمت فى اليوم الأولى من ذى الحجة سنة ١٢٧٧هـ ووضعت طغراء عبد المجيد خان الغراء فوق باب السلام وعلى طاقه، وكان السلطان عبد العزيز قد جلس على عرش السلطنة يوم الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة من السنة المذكورة ويوجد تفاوت قدر ستة عشر يومًا بين الحادثين، لو كان موظف مبانى السعادة امتنع عن وضع

رخامة الطغراء فوق طاق باب السلام مصدقًا رواية مسافرى مكة وكان بدل باسم السلطان عبد العزيز خان بعد الاستئذان كان سينال رضا السلطان بناء على أقوال المنافقين الذين تدخلوا فى الموضوع، وسيحظى بالتفات ونعم السلطان، ولم يكن هناك شبهة أنه سينال الترقية فى المناصب الدنيوية ولكنه بما أنه رفض أن يختار طريق الخداع والكذب للحصول على المراتب الدنيوية لأجل اجتنابه النواهى الإلهية لأنه كان سيتعرض للمسئولية وغضب الله، ولا شك أن عرض الإخلاص والعبودية عن طريق الحيل والخدع والدسائس لم يكن أمرًا مقبولاً ولا مقدرًا لدى السلطان عبد العزيز خان، فلنفرض أن بعض أجزاء من حرم السعادة قد تم تعميره فى عهد السلطان عبد العزيز واكتملت تعميرات المبانى فى زمنه أليس الحكم بأن تعمير المبانى قد تم فى عهد السلطان عبد العزيز خان دون النظر إلى ما بذله السلطان عبد المجيد من الجهود والهمم فى خلال اثنى عشر عامًا منافيًا لقاعدة العدل والإنصاف ومغايرًا لرضى عبد العزيز خان الذى يتصف بحبه للحق والإنصاف.

٢- الحكاية الثانية:

قبل أن يرى خبر وفاة السلطان عبد المجيد خان بشهر، قد رأى أحد سكان المدينة المنورة مِمَّنْ يظن بهم الصلاح والزهد رأى فى رؤياه أنه كان فى داخل الروضة المطهرة وإذا بذات عالى القدر ذات احتشام ملكى يدخل من باب السلام بكل وقار ووقف أمام باب الوفود وبعد فترة فتح باب الوفود وأدخل ذلك الشخص ذا السمات الروحانية داخل حجرة السعادة، هذا ما شاهده ورآه، وقد انتظر صاحب الرؤيا فى الروضة المطهرة إلا أنه رأى أن الشخص عالى القدر الذى أخذ داخل الحجرة النبوية لم يخرج خارجها، واستيقظ حينئذ من نومه وبعد فترة تلقى نبأ وفاة السلطان عبد المجيد خان واطلع بعد الحساب أن ارتحال السلطان المذكور يوافق الليلة التى رأى فيها الرؤيا، وعَبَّرَ رؤياه بأن ما قدم ذلك السلطان من خدمات عظيمة لحرم السعادة قد حظى بالقبول عندالرسول ﷺ، وفعلاً فإن هذا التعبير صحيح وهو عين الواقع.

وبناء على ما يروى من هذا الشخص المبارك الذى رأى الرؤيا أن الشخص الذى قبل فى داخل الحجرة كان لابسًا ملابس بيضاء من رأسه إلى أخمص قدميه وكان خلفه رجل يحمل سيفًا، والمظنون أن هذا الشخص هو السلطان عبد العزيز خان، قد عاد بعد دخول السلطان عبد المجيد خان فى حجرة السعادة بكل وقار وسكينة وبعد مرور خمس أو عشر دقائق دخل فى حرم السعادة عدة أنفار من الجنود ذات عمائم خضراء وأحذية سوداء.

وقد أخبر صاحب الرؤيا أن أشكال هؤلاء الأنفار كانت تشبه للجنود الذين كانوا يرافقون الحاج وسيم باشا الذى أتى بأمر تولى عبد العزيز خان الحكم خلفا للسلطان عبد المجيد، وذلك عندما جاء ذلك الباشا إلى المدينة المنورة.

ولا شك أن الذين يعرفون عظمة ما يكنه السلطان عبد المجيد من المحبة والعبودية لسلطان الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيصدقون صورة تعبير هذه الرؤيا.

وبناء على ما سطر فى تواريخ الحرمين القديمة وما يجرى على ألسنة سكان دار الهجرة ليس هناك ملك جلس على كرسى العرش مثل السلطان عبد المجيد الذى أنفق من النقود وبذل من الجهود لتجديد مسجد السعادة وتعميره وتزيينه، وبما أن المشار إليه قد جعل جميع أفكاره وشعاراته الملكية لخدمة سلطان الأنبياء فى كل آن وساعة وعرض عبوديته الصحيحة المخلصة يرون ظهور بعض الكرامات على يدى ذاته الملكية.

قد تعرض مصطفى عشقى بن عمر أفندى من أفاضل مجاورى المدينة المنورة لعلة القلب وتعرض من جراء ذلك إلى مضايقات وصعوبات فى إدارة وإعاشة أولاده؛ وعليه قرر فى فترة ما ترك المدينة المنورة والسياحة فى بعض البلاد، واستأذن من الحجرة المعطرة، وبناء على الأمر الذى صدر جاء إلى إستانبول دار الأمان فى سنة ١٢٩٧هـ وقد سطر فى آخر الكتاب الحالات التى أجبرته على

اختيار هذه السياحة والإرادة العالية التى صدرت من قبل النبى ﷺ بعد الاستخارة بالتفصيل.

ولما كان عشقى أفندى لم ير إستانبول وكان مشتاقًا لرؤية وجه سلطان العصر ومشاهداته ذهب إلى دار المولوية فى بشكطاش حين وروده إلى إستانبول وجلس فى ركن من أركانها، وبما أنّ ذلك اليوم كان يوم المقابلة شرف الخانقاه المذكورة السلطان عبد المجيد، ولما لفت شكل عشقى أفندى الأنظار السلطانية بعث بموظف خاص يسأله عن اسمه ومن أين أتى، وأين يستضاف ولم يعرف عشقى أفندى هوية هذا الموظف كما أنه لم يعرف الشخص الذى أرسله، حتى أنه لم يعرف أن السلطان فى تلك التكية، ولكنه عرف أنه سيكون الاجتماع فى يوم الجمعة فى مسجد بكلربكى اللامع الأنوار، فذهب فى ذلك اليوم هناك حيث وقف فى الممر السلطانى بكل تعظيم، وكان غرضه رؤية جمال وجه السلطان ولما جاء السلطان عبد المجيد فى محاذاة عشقى أفندى توقف وقال لرئيس كتابه مصطفى باشا: «يا باشا سلم من قبلى لهذا الشخص، وبما أنه شرف إستانبول حديثًا فلينعم قدر ما شاء وليتنزه وليشاهد جميع أماكن باب السعادة، ولا يفكر فى أولاده وعياله».

إننى أفكر فى أولاده وعياله نائبًا عنه، قد خصصت له راتبًا ثلاثمائة قرش، فليعش مستريح البال مادام حيًا وليدعو لدولتنا بقوتها وبقائها!!!».

هل هناك كرامة أكبرمن هذا لأجل سلطان؟ ومن هنا يقال إن السلطان عبد المجيد قد حظى بحسن القبول لدى الجانب النبوى العالى كما أنه قد كلف تنفيذ الأوامر النبوية، لأن عشقى أفندى كان قد أرسل من جانب النبى عظيم المناقب لطفًا به.

انتهى.

فى تعريف كيفية تعمير حرم السعادة وتجديده فى المرة السابعة

قد قام بتعمير الحرم الشريف، ممسح جباه الموحدين والذى يقوم بخدمته الملائكة خدم سيد المرسلين، قد قام بتعميره وتجديده للمرة السابعة السلطان الغازى عبد المجيد خان بن السلطان الغازى محمود خان العدلى.

وجه إلى شيخ المهندسين محمد رائف باشا من الثلاثة ذوى المكانة عند الوكلاء من محافظة طرابلس الغرب سابقًا ومن كرام الأمراء وأحيل إليه وظيفة أمانة المبانى وأرسل إلى المدينة المنورة.

وخرج محمد رائف باشا من باب السعادة فى ربيع الأول سنة ١٢٦٧هـ ووصل فى اليوم الثانى والعشرين من شعبان فى نفس السنة إلى المدينة المنورة وشغل بإتمام ما لم يتم عمله من الجبل طريق الأمر الذى سواه سلفه حليم أفندى الصغير، واقتلع الخيم التى تؤوى العمال والآلات التى فى الجبل الأحمر وبنى مكانها دورًا حتى يحمى العمال والأدوات من عربان البادية والحيوانات المتوحشة وعلى بعد عشرة أذرع من هذه الدور حفر بئر يبلغ عمقها خمسين ذراعًا.

الحوادث المحلية

عندما أتم محمد رائف باشا حفر البئر وأخذ العمال يستفيدون منها، عصى عربان البادية وتسلطوا على قوافل الحجاج وأبناء السبيل، وحاصروا المدينة المنورة وقطعوا الطرق والموارد عنها حتى يضيقوا على العمال والمسافرين وجيران سيد المرسلين، ومنعوا جلب الحجارة من الجبل الأحمر إلى المدينة كما منعوا جلب المياه إلى العمال من البئر سالفة الذكر وهجموا على العمال ونهبوا الحيوانات الأميرية وعملوا على قتل من يصادفهم من الناس وتسلح عمال الجبل الأحمر

وأنشئوا متاريس وأبراج لحماية أنفسهم، مع أن العربان حاصروا الجهات الأربعة للجبل الأحمر و أخذوا يسببون الخسائر للمحاصرين وكانوا يهربون كلما أرسل ضدهم الجنود والعساكر وقد تصدعت المواضع التى رممت من قبل من مسجد السعادة، كما أشرفت بعض مواضعه على الانقراض، وساءت حالة المسجد إلى أقصى درجة من درجات السوء فى خلال سنة ١٢٦٠هـ، ولما كانت السقوف والقباب قد تصدعت فى عدد من المواضع وخيف من سقوطها فجأة، أسف موظفو الحكومة لذلك أشد الأسف وحاروا فيما يفعلون، ثم اجتمعوا للتشاور وتدبير الأمر، فقر قرارهم على رفع الأمر إلى الباب العالى.

وقد وصلت حالة الأبنية فى عهد داود باشا شيخ الحرم رحمه الله، إلى درجة من السوء بحيث كان الأهالى الكرام يتحاشون الاقتراب من بعض مواضعها، وكانوا يدعون الله كى يلهم السلطان بما ينبغى عمله نحو حرم السعادة، وفى نهاية المطاف اتفق أعيان المدينة وسادتها على رفع الأمر إلى داود باشا الذى كان فى شدة الألم من إشراف مبانى الحرم النبوى الشريف على الانقضاض وكونها فى أشد الحاجة إلى التعمير والترميم، فما كان من داود باشا إلا أن أحضر الدواة والقرطاس وكتب إلى مقام الصدارة العظمى رسالة بين فيها إشراف مبانى الحرم النبوى الشريف على الانهيار ما لم ينظر إلى حل هذه المشكلة الآن وأرسل هذه الرسالة إلى باب السعادة فى سنة ١٢٦٣هـ.

ولما وصلت رسالة داود باشا هذه إلى باب السعادة وعلم فحواها أولو الأمر أدركوا الحالة التى وصلت إليها أبنية حرم السعادة، وحصلوا على معلومات كافية بخصوص هذا الأمر، وقد شكلت لجان فى دار الإفتاء السلطانى لمذاكرة الأمر فى عمق، وفى ظل المسائل الشرعية، ثم قرروا كإجراء أولى إرسال مهندس مجرب ليقوم بالكشف على تلك الأماكن ثم يتداولون الأفكار وفقًا لما يرسمه ذلك المهندس من خريطة لتلك الأماكن، وبناء على الأمر السلطانى الذى صدر بعد

الاستئذان أرسل فى رفقة رمزى أفندى من رجال الدولة أمير الاى عثمان بك الأمرد من ضباط دائرة المدفعية السلطانية العامرة وبعد أن شرح له الموضوع وبينت الكيفية أرسل إلى المدينة المنورة.

ووصل رمزى أفندى مع عثمان بك إلى دار الهجرة واطلعا بناء على القرار العالى على أحوال المسجد النبوى الشريف وعادا إلى الأستانة وعرضا الخريطة التى خطوها وشرحا رأيهما ووجهة نظريهما ثم اجتمع الوزراء فى دار الإفتاء السلطانية والمجلس الخاص ودققوا النظر فى الخريطة المذكورة وعاينوها، وقرروا تجديد المسجد بتعميره وبناء على صدور الأمر السلطانى بذلك أرسل حليم أفندى الصغير مدير الأبنية الخاصة من رجال الدولة العلية بوظيفة الإشراف على المبانى المفتخرة إلى مدينة الرسول فى سنة ١٢٦٦هـ.

وأرسل المهندسون وعمال البناء المهرة والعمال والأشياء المتنوعة عن طريق باب السعادة(١) ومن مصر القاهرة بالتتابع، كما أرسل ما أمكن تدبيره من النقود تدريجيا، وأبلغ شيخ الحرم النبوى وقاضى المدينة المنورة بإشعارات مختلفة على أن يبدأ العمل بعد أن شكل مجلس خاص من مشاهير السادات والعلماء من المدينة المنورة يتولى توصية العمال الذين سيرسلون بحسن أداء أعمالهم وأن يحافظوا على الأدوات المرسلة من التلف وأن يعملوا فى الإنشاءات وفق الشريعة الأحمدية وأن يعملوا بكل تعظيم وحرمة لصاحب المقام وألا تصدر منهم ألفاظ مخلة بالآداب وألا يرفعوا أصواتهم وألا يقوموا بحركات غير لائقة وأن يعنوا أعظم عناية بأداء صلواتهم فى جماعات كما فى السابق، وقد أمر السلطان ذو الخصال البايزيدية أن تكون المبالغ التى ستنفق فى تجديد حرم السعادة من الحلال

(١) كان حسين أفندى معاون الأبنية من أصحاب الرتبة الثانية قد عين مشرفًا على تحسين الرواتب التى سترتبط لمعيشة أولاد وعيال العمال المسافرين ولإرسال العمال والأدوات اللازمة التى ستدبر من باب السعادة فى الوقت المحدد إلى المدينة.

وقد فضل حسن شوقى أفندى عمله الخاص بحرم السعادة على أشغاله الأخرى وقام به أحسن قيام وقد نال إخلاصه فى عمله هذا تقدير الجهات العالية ولما أريد مكافأته على إخلاصه دنيويًا قد كوفئ فى ختام عمله بأن أحسن إليه بقطعة من وسام مجيدى قيم سنة ١٢٧٩.

الطيب مهما كان مقدارها ولما كان إنقاذ واردات الخزانة المالية السلطانية من الواردات المخلوطة من شبهة لضيق الوقت، فكلما احتيج إلى إرسال النقود إلى المدينة المنورة لتعمير الحرم النبوى كان يبادل ما تهيأ فى الخزانة السلطانية من أموال مع من يثق بهم من الذوات عن طريق الاقتراض أى كان يرسل هذه المبالغ موافقة لأحكام الشريعة الغراء.

وقد سطر فى التواريخ القديمة أنه كلما احتاج الحرمان الشريفان ومبانيهما للتجديد والتعمير أن الأموال التى ستنفق لذلك كانت تصرف من أموال الجوالة التى يصدق العلماء أن أموالها حلال.

وكان السلطان عبد المجيد خان يرسل الأموال اللازمة للإنفاق على الأبنية المذكورة على الوجه المشروح السابق رحمه الله رحمة واسعة.

أرسل حليم أفندى الصغير الذى أسندت إليه عهدة البناء عندما وصل إلى ينبع رئيس البناء الحجرى نواحى دار الهجرة لعلهم يجدون محجرًا، كما أنه توجه نحو المدينة المنورة ووصل إليها فى أوائل رجب الفرد وتفقد لوازم البناء التى وصلت قبله وبعد أن جمع ورتب مجلس العلماء الذى أمر بتشكيله بالإرادة السنية، فأراد أن يشرع فى عمله باتفاق الآراء، ولكن بما أنه كان فى حاجة إلى تهيئة الأحجار التى تستخدم فى البناء وتسهيل الحصول عليها اضطر أنْ ينتظر وصول رئيس البنائين إبراهيم أغا، إلا أن إبراهيم أغا عاد يائسًا من أنه لم يصادف معدنًا من هذا القبيل، وطلب منه أن يبعثه إلى مكان آخر مع الحجارين حتى يتحرى عن الحجارة، وتشكل عندئذ مجلس ليبحث هذا الأمر فرأى المجلس أن يرافق المجلس لإبراهيم أغا عدة حجارين من أهل المدينة وشرح له الجبال التى يحتمل وجود الحجارة فيها، وتحرى إبراهيم أغا هذه المرة جميع الجبال التى حول المدينة المنورة ثم وجد فى جهة بيارعلى من وادى العقيق على بعد ساعتين من المدينة المنورة فى جهة مكة المكرمة، محجرًا غنيًا بالحجارة وكانت هذه الحجارة

المستخرجة غاية فى اللطف وكان لونها قريبًا من اللون الوردى، فسُرَّ أفراد الهيئة و أهالى المدينة من هذا الأمر وقالوا: «إن ظهور هذا المعدن من جملة ما وفق فيه السلطان».

وهذا عين الصواب، ولا يخفى على الذين يقفون على الوقائع التاريخية لمدينة الرسول ﷺ أن الملوك الذين بذلوا المساعى والجهود لتعمير مآثر البلدة النبوية لم يوفقوا فى كشف معدن مثل ذلك واضطروا لجلب تلك الحجارة اللازمة للتعمير من مصر والجهات الأخرى البعيدة، وقد ظهر هذا المعدن اللطيف فى وادى العقيق الذى عظم قدره بحديث مخصوص.

العقيق

كما عرف فى مكانه واد مبارك، كان اسمه القديم السليل، ولما قال تبع الحميرى هذا عقيق الأرض فعرف باسم العقيق، ومن المحتمل تسميته بهذا الاسم لاحمرار رماله.

غريبة

بينما كان إبراهيم أغا يتحرى عن الحجارة فى الجبال مع أصحاب الوقوف من أهل المدينة، ظهر شخص على شكل أعرابى وقال له: «يا إبراهيم أغا إننى أعرف فى هذه الأماكن معدنًا، تعالى أريك إياه. قد ينفعك فقادهم وهو سائر أمامهم إلى الجبل الأحمر حتى وجد ذلك المعدن فى هذا المكان وأراه لهم، وسر إبراهيم أغا من مروءة هذا الأعرابى وأراد أن يكافئه بعطية، إلا أن الأعرابى قد اختفى عن الأنظار فى الحال.

إن هذه الإشارة علامة شاملة البشارة على أن خدمات والد السلطان كثير المحامد قد حظيت بحسن القبول عند رسول الله ﷺ.

ونصب حليم أفندى على الجبل المذكور الخيم وبعث الآلات والأدوات اللازمة: النجارين، والحجارين وفتح منجمًا فى قمة الجبل، ورفع الصخور التى عليه فاستخرج قطع حجارة كبيرة وأمر بنحتها لتكون صالحة للاستعمال.

لأن الحجارة التى استخرجت كانت غير قابلة للنقل من جهة إلى أخرى فضلاً عن نقلها وحملها على الجمال، وفى الآخر سوى الطرق التى بين الجبل المذكور والمدينة المنورة، وهيأ مكانًا واسعًا خاصًا بالحجارين، وبعد مدة عين محمد رشيد أفندى محافظ المدينة وكيلاً له ثم عين شريف أفندى من أقاربه لرياسة معتمر العمال، ولما ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج انقطعت أنفاسه الأخيرة فى منى وارتحل عن دنيانا، ورحل حليم أفندى الذى أتى من باب السعادة كما أن أشرف أفندى هو الآخر قد ارتحل عن دنيانًا فى منى أيضا بعد وفاة حليم أفندى.

وكان هذا الشخص قد أرسل من قبل حليم أفندى إلى باب السعادة بعض ذهب مجيدى من فئة مائة، وإثر وفاته قد اخذت هذه المبالغ الذهبية بمعرفة الحكومة وأرسلت إلى شورى هيئة البناء المقدس. وإن كان حليم أفندى قضى ما يقرب من ستة أشهر فى مهمة البناء المقدس وبذل جهده لأداء عمله على أحسن وجه إلا أنه فى أثناء هذه المدة وجد المعدن المذكور وسهل الصعوبات التى ظهرت فى نقل تلك الحجارة من الجبل الأحمر ومهده وبنى محلاً خاصًا لتقطيع الحجارة ونحتها فى موقع يطلق عليه دار الضيافة وجهز الآلات والأدوات اللازمة فقط ومن هنا لم تتقدم عمليات مسجد السعادة.

وعقب وفاة حليم أفندى أرسل رجل يصدق لدى الباب العالى درايته وأهليته، لكشف أبنية مسجد المدينة المسعودة ومعاينتها إلى دار السكينة، وقرر فى مجلس الوزراء الخاص تفويض هذا الأمر الجليل إلى محمد أسعد[1] مؤلف «دريكتا» من أجلاء العلماء المتبحرين الذى قرر أن يذهب فى تلك السنة إلى

(١) محمد أسعد أفندى المشار إليه يعرف باسم إمام زاده وكان فى ذلك الوقت من أعضاء المجلس الأعلى.

أراضى الحجاز لأداء فريضة الحج، واستأذن السلطان فى هذا الأمر وصدرت الإرادة السنية بذلك وأخبر بذلك أسعد أفندى وكان فى هذا الكشف الثانى والى الحجاز آكاه باشا أيضا ولما فسر قرار مجلس الوزراء بخصوص كيفية كشف ذلك المقام السامى بطريقة مع داود باشا شيخ الحرم النبوى، وبين له المهمة التى كلف بها ثم استفسر منه فى أثناء حديثه عن الذين يقتضى وجودهم معه فى أثناء كشف الأماكن المقدسة، وسر داود باشا من اختيار محمد أسعد لهذه المهمة وبين له أصحاب المعلم فى هذا الموضوع ذكر أسماؤهم وأسرع بتشكيل هيئة كشف من سادات البلد وموظفى الحكومة ومن العالمين بكشف المكان وأصحاب الوقوف فيه.

وقد كشفت تلك الهيئة وعاينت داخل حرم السعادة وخارجه وعثرت على الجدران المتشققة والقباب التى بليت والسقوف التى مالت للسقوط والانهيار وبعد أن رأى تلك الأماكن قال شيخ الحرم، السيد المحترم، قد عرفتم أن تعمير الحرم الشريف قد وصل إلى درجة الاستحالة، فإذا ما أصلح بعض أماكنه بإنفاقه نقود طائلة، فمن البديهى أن المواقع الأخرى ستحتاج إلى الإحكام والإصلاح وهذا بديهى، وإذا التزم جانب إصلاحه وتعمير بعض أماكنه فعلى هذا التقدير سيكون قد فتح باب لصرف نفقات باهظة بإصلاحه كل عام.

إلا أن محمد أفندى أسعد قال: «إن المبالغ التى ستنفق لتعمير أبنية الحرم النبوى تقتضى أن تكون من الحلال الطيب المطلق»، وألمح أنه ليس مع الذين يريدون أن يعمروا الحرم النبوى كاملاً وبين أنه يمكن إحكام الحرم النبوى بتعمير بعض جهاته، وأسكت الذين يقولون بأن تعمير بعض جهات الحرم النبوى مضر للخزانة السلطانية.

وقد تأثر شيخ الحرم داود باشا[1] من رأى محمد أسعد أفندى أعظم تأثر كما

(١) منذ أن دخل الحجاز فى حوزة السلاطين العثمانيين إلى يومنا هذا لم ير الناس شيخًا للحرم فى نبل داود باشا.

أن الأهالى عامة تغيروا منه ولم يلتزموا جهة إقناعه بإتيان أدلة مقنعة ولكنهم بالاتفاق توجهوا ناحية سلطان الأنبياء ـ على نبينا وعليهم التحايا ـ وعطفوا النظر إلى الحجرة المعطرة وحصروا أنظارهم قبل حضرة النبى ﷺ لعله تصدر منه إشارة معنوية، وسكتوا عن الأمر.

ولما رأى محمد أفندى أسعد تأثر داود باشا وأعاظم أهل المدينة وساداتها وعلمائها واغبرارهم، ندم على أنه اتخذ رأيًا يؤدى إلى إنقاص الخاطر، إلا أنه على حق لأنه ما كان يستطيع أن يتصرف خلاف التعليمات التى صدرت له من الباب العالى.

سقوط قبةـ كان ذلك عقب أداء صلاة الصبح بعد أن شكل محمد أسعد أفندى الهيئة الكشفية لكشف ومعاينة مسجد السعادة، وعقب القرار أخذت تسقط قطع طلاء قبة من القباب التى فى مقدمة الجهة القبلية من حرم السعادة، وكأنها تخطر بلسان حالها لزوم تجديد أبنية المسجد، الشريف المقدسة، إن هذه الحالة قد أقنعت إمام زاده بلزوم تجديد المسجد، قد أدت الأنقاض التى سقطت من القبة إلى مقتل الشيخ محمد إسكندر الذى كان يقف أمام نافذة المواجهة النبوية وفى النقطة التى يقف فيها من يزورون عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ولو وجدت الهيئة الكشفية فى النواحى التى وقعت الأنقاض فيها فى هذه الساعة، لحدثت مصائب أكثر من ذلك، قد توفى محمد أفندى متأثرًا بإصابته بالجرح فى رأسه وتوفى قبل أن ينقل إلى الحى الذى يسكن فيه، وكان من الإسكندرية ومن أجلاء طلاب الشيخ الصاوى وكان رجلاً فطنًا وغاية فى الإخلاص، رحمه الله رحمة واسعة وانهار عقب هذه الواقعة جهة سقف من سقوف مسجد السعادة فى الجهة الشرقية وبما أنه لم يكن تحته إنسان لم يتسبب فى أية خسائر فى الأرواح.

ولما ظهرت تلك المعجزة المذكورة استيقظ إمام زاده من نوم غفلته الثقيل وفهم رأيه السقيم وأذعن لخطئه وأخذ يستغفر نادمًا وصدق قرار مجلس المدينة سالف الذكر ونقل مكانه مدير الخزانة النبوية عبد اللطيف أفندى وعين بدرى أفندى من

الكتبة لكتابة مصاريف الأبنية السعيدة، وأمر بفتح المضيفة التى فى الجهة الشامية من المسجد وجعلها سكنًا للكتاب والعمال كما عين إسطبلات عديدة للحيوانات التى تستخدم فى عمليات البناء وعاد بعد ذلك إلى باب السعادة وكتب تقريرًا عن مشاهداته الذاتية ومطالعاته من أولها إلى آخرها.

وبناء على المضبطة التى فهمت من قبل الباب العالى وبناء على التقرير الذى قدمه محمد أسعد صدرت الإرادة من الخلافة المعظمة بسرعة إجراء ما يقتضيه الحال.

ولما عاود العمال العمل مرة أخرى فى إعمار حرم السعادة كان العربان يتعدون على العمال، وقد دامت هذه الاضطرابات فترة طويلة وفى النهاية أرسل من باب السعادة الفريق الحاج خالد باشا فشتت شملهم وذلك فى سنة ١٢٧٤هـ.

وكان محمد رائف باشا فى أثناء عصيان العربان يسعى لأداء مهمته ويهتم بالمحافظة على الجهات التى فى الجبل الأحمر وطريقه ومع ذلك يتأسف ويحزن كلما رأى حال مؤخر حرم السعادة المؤسف ويضطرب، لأن فى الوقت الذى بين وفاة حليم أفندى وتاريخ وصوله إلى المدينة توقفت عمليات بناء الأبنية المقدسة فساءت حالة بعض جهات مؤخر حرم السعادة وأوشكت على الانهيار فجأة وبناء عليه قد قويت الأعمدة التى اعوجت بدعامات وبهذا قد أنقذت لوقت قليل من المخاطر الآتية، بعد ما أحكم محمد رائف باشا تلك الدعائم كشف وعاين بكل دقة وعناية حرم السعادة وفهم أنه إذا لم تقتلع الأعمدة المعوجة وتركز أعمدة جديدة رصينة فى أماكنها لن يسلم سقف مؤخر المسجد النبوى من الخطر، ولن تنقذ الساحة الرملية من الضيق والازدحام إلى أن يفتح باب فى الجدار الشامى وذلك بنقل قبة الشمع الكائنة في الساحة الرملية إلى خارج الجدار الشامى، ونظم فى هذا الخصوص خريطة كاملة وعرضها على من يهمه الأمر وقال: «إنه يجب أن يطلق على هذا الباب، الباب المجيدى وتنشأ على جهتى هذا الباب مدارس فوقه وتحت وأن نطلق عليها، مكاتب مجيدى، وأرسل نسخة من هذه

الخريطة إلى الباب العالى ليعرض على الأنظار السلطانية وإذا ما استلم هذه الخريطة فإنه سيحدد مؤخر حرم السعادة وفقًا لهذه الخريطة.

ولما كان نقل قبة الشمع خارج الجدار الشامى وإنشاء مدارس خاصة من أجل الصبيان خدمة عظيمة تسدى لرعية المسجد النبوى الشريف.

من هنا كان تدبير محمد رائف باشا الواقعى من جميع الوجوه يستحق التقدير بل الحمد والثناء لأن أطفال سكان المدينة المنورة كانوا يتلقون تعليمهم الابتدائى قبل قباب مؤخرة حرم السعادة فى حالة متفرقة وكانوا يقومون حسب الصباوة بحركات غير لائقة، ولما كانت هذه الحالة تخالف الحديث الشريف الذى رواه ابن ماجة عن واثلة بن الأسقع والذى يقول ما معناه: «أبعدوا عن مساجدكم أطفالكم ومجاذيبكم وامنعوا البيع والشراء والخصومات وإقامة الحدود ورفع الأصوات وسل سيوفكم واجتنبوا مثل هذه الحالات وداوموا فى تبخير مساجدكم أيام الجمع»[1].

ولما كانت فى تلك الأوقات فى الحرم الشريف نظيفة، كما أنه لم تنعم جماعات الموحدين فى الحرم الشريف بالسكون من وقاحة من يسمون بالمجاذيب من الحمقى غير المتدينين، كما أنه لم يبق مجال للتأمل والتفكير أمام المواجهة النبوية من ثرثرة المزورين والأغوات، ووجود قبة الشمع فى الساحة الرملية وإدخال الجمال التى تحمل زيت الوقود من باب الرحمة إلى حوض تلك القبة قد أخلت نهائيًا بالتعظيم والرعاية اللازمين للحرم الشريف.

وقد حظيت الخريطة المرسلة إلى باب السعادة بالتقدير وأمر أن يجدد مؤخر الحرم الشريف كما جاء فى الخريطة المذكورة وأن يحول اسم الباب المجيدى إلى أسم باب التوسل وأن يؤخذ آراء ورضا أهل المدينة بخصوص الأماكن التى

(١) ونص الحديث: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم، وأصواتكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم، وجمروها فى سبع واتخذوا على أبواب مساجدكم المطاهر» وحديث واثلة رواه ابن ماجة ورواه الطبرانى عن أبى الدرداء وأمامة وواثلة، وبنحوه عن معاذ بن جبل وانظر: مجمع الزوائد للهيثمى ٢ / ٢٥ ـ ٢٦.

يقتضى الأمر تجديدها، بهذا صدر الأمر السلطانى وأبلغت الكيفية إلى محمد رائف باشا بالرسالة وبناء على التحريرات السامية التى وردت عرض الباشا تلك التحريرات إلى من يقتضى الأمر عرضها عليهم وبين أنه سيعمل وفق هذه الأوامر السلطانية وإن كان بعض الأهالى اعترضوا على تغيير الأساطين وقالوا: «لا لزوم لتغيير الأساطين، وإذا ما غيرنا الأعمدة التى ظلت لمدة مديدة فى مؤخرة حرم السعادة وجاورت الحجر المعطرة نكون قد ارتكبنا نوعًا من عدم الرعاية؛ ولأجل ذلك يقتضى الأمر إبقاء هذه الأعمدة فى أماكنها وتقويتها بدعائم كما أن القباب التى تحملها تجدد بهذا الشكل». وبهذا التزموا القول الذى يقول بإبقاء جميع الأعمدة التى فى مؤخرة حرم السعادة وأن تعمر وتجدد دون أن يحدث أى تغير فى جميع جهات الحرم النبوى الشريف.

فأجابهم محمد رائف باشا قائلا: «إن هذه الأعمدة كثيفة جدًا أولاً وضيقة وبالية، فإذا ما اقتلعنا هذه الأعمدة وحولنا وبدلنا أماكنها نكون قد وسعنا أماكن الصلاة، كما ننقذ القباب التى ستصنع من المخاطر المستقبلية، وكافة الأعمدة القديمة قد ركزت فوق حجارة عادية وبما أن تلك الأحجار قد وضعت فوق الأرض وقد تكسرت بثقل القباب وتضييقها وظلت الأسياخ الحديدية التى فى أطرافها فى الأرض».

وإذا ما لم تغير هذه الأعمدة فالقباب التى تقرر تجديدها مهما كانت خفيفة تحطم الأعمدة القديمة التى يراد إبقاؤها كما أنها تقتل من تحتها منهارة بعد مرور وقت قليل، وإذا لم نهتم بالمخاطر المعروضة وبنينا القباب، نكون قد بذرنا الأموال بعملنا وهذا عمل يخالف الشريعة الغراء وهو عمل غير معقول لا تقبله ضمائر الموحدين، وإذا ما اسْتَرْخَصْنَا بصنع القباب التى صدر الأمر السلطانى بتبديلها بالبناء فالقباب الخشبية التى سنصنعها لا تتحملها هذه الأعمدة القديمة، وإذا ما سمحتم فلنقتلع أولا واحدا من هذه الأعمدة ونعاينها».

فإن لم يتحقق ما قلته نبقيها على هيئاتها الأصلية، وإذا كانت الأخرى نلجأ لرأى عموم الناس وفكرهم و نتحرك وفق رأى الأهالى وقرارهم وبهذا الجواب المفخم أقنع معترضيه من الوجهاء والأعيان من سكان البلد فقبلوا أن يقتلع أحد الأعمدة لمعاينتها ظانين أنه سيكون فى حالة سليمة متينة نظرًا لهيئتها الخارجية وجعل من أحضرهم من نجارى المدينة يعاينون ذلك العمود، وإذا بالعمود كان قد ركز فى أيام قايتباى فوق حجر أسود بال وضع فوقه التراب دون قاعدة والأحجار المذكورة قد تحطمت تحت ثقل القباب وصدمات الزمان المتقلب وتسببت فى اعوجاج الأعمدة والأسياخ الحديدية التى فى أطرافها فدست فى الأرض وتسببت فى انحراف الأعمدة عن مراكزها.

كانت الأسطوانة التى اقتلعت وعرضت على فريق العمل والأهالى كانت مكونة من عدة أعمدة مجوفة وسبب ذلك إبقاء الأعمدة على هيئتها الأصلية كلما عمر حرم السعادة وكل عمود قد صبغ مرة واحدة وهذه الصبغة قد تحجرت بمرور الأيام وظلت على شكل أسطوانة مجوفة. وابتدر قسم من سكان المدينة إذ رأوا الاسطوانة المقلوعة كما وصفها الباشا فوافقوا على تغيير الأساطين رأسًا وقال قسم آخر وقد اطلع على الأمر أن الأساطين القديمة ستنتزع والقباب ستعلق فوق الأعمدة وستقلل الأعمدة وستبدل إلى أسطوانتين أو ثلاث قطع من الأعمدة الرخامية المجلاة هذا الإنسان لا يسمع الكلام، ولا يريد أن يراعى هيئات الأبنية العالية المقدسة، ويريد أن يغير ويبدل الأعمدة التى لم يمس طرازها ورسمها، كاملة ويغير أماكنها ويقلل عدد الأساطين.

وأمعنوا، أفكارهم بنشر هذه الأقوال المضرة وعملوا على تشويش أفكار العامة، لكن رائف باشا لم يعر سمعًا لهذه الاعتراضات فانتزع جميع الأعمدة التى فى مؤخرة الحرم الشريف بعد أن أسند القباب التى فيه وفق ما جاء فى الخريطة ووضع أسس وقواعد الأعمدة الجديدة التى سيركزها فى نسبة واحدة وبعد أن ملأ البئر التى حفرها بين الباب الشامى وباب الضيافة وخارج سور المدينة المنورة بالتراب والأنقاض التى نتجت عن تلك العمليات، وهدم

الجدار الشامى للحرم الشريف وأخذ يجدده وأسس على طرفى باب التوسل الذى فتحه وسط الجدار المذكور أربع مدارس مجيدية كما أسس أربعة مخازن لوضع زيت الوقود والأشياء الأخرى على الجدار الشامى وبهذا وسع الساحة الرملية قدراً ما.

وهناك فى داخل المدينة المنورة وفى المواقع التى سيأتى ذكرها إحدى عشرة مدرسة أخرى ما عدا المدارس المجيدية التى سبق ذكرها وتلك المدارس من جملة ما بناه محمد رائف باشا.

١ ـ فى داخل الرباط الذى فى جهة الطاحونة من مسجد بهرام أغا من أغوات باب السعادة فى العنبرية.

٢ ـ هذه المدرسة فى السبيل الكائن فوق جسر سيل أبى جيد.

٣ ـ فى التكية المرادية التى خربت.

٤ ـ وهذه المدرسة بالقرب من المخبز الأميرى وهى مدرسة سليم أفندى وهو من قرناء السلطان عبد المجيد الرئيسية.

٥ ـ مدرسة الحوش التاجوري.

٦ ـ مدرسة بيت الخليفة أمام المناخة.

٧ ـ مدرسة زاوية العشاقي.

٨ ـ مدرسة زقاق النخاول.

٩ ـ مدرسة السلطان محمود خان الأول فى داخل دار توقيت باب السلام.

١٠ ـ مدرسة قبة سيدنا مالك رضى الله عنه.

١١ ـ مدرسة زقاق قفا.

وكل هذه المدارس خاصة بالصبيان الذكور وهناك مدارس كثيرة خاصة بالإناث ولا حاجة لذكرها.

وكان حفر محمد رائف باشا البئر التى خارج السور لوضع ودفن الأتربة والأنقاض المتبقية من التعمير كان برجاء الأهالى واسترحامهم، لأن الحجارة ذات الحجم الكبير التى نقلت من الجبل الأحمر كانت تصطدم ببعض المنازل ويزعج ذلك الأهالي، وبما أن الأهالى رجوا محمد رائف باشا أن يجد حلاً لهذه المشكلة فتح بابًا فى سور المدينة فى الجدار الذى يوازى ويحاذى دار الضيافة وبعد الاستئذان أطلق عليه الباب المجيدي.

والمبانى التى يطلق عليها الأهالى قبة الشمع هى المبانى التى فوق حوض زيت الزيتون الذى يحضر من مواقع معلومة والذى حفر لحفظ الزيت ووضعه فيه، وكانت الجمال التى تحمل الزيت تدخل من مدخل باب الرحمة، كما ذكر آنفًا وتوصل الزيت داخل تلك الأبنية وكان هذا العمل فد دخل فى حكم العادة بين الجمالين.

وقد وفق محمد رائف باشا بخدماته هذه فى عرض مراسم التعظيم والتفخيم للحجرة المعطرة وذلك بإخراج مبانى القبة المذكورة خارج الجدار الشامى وبتسطيحه الساحة الرملية وسع وسط حرم السعادة ووضع نظامًا حسنًا بعدم إدخال الجمال فى داخل الحرم الشريف المشحون بالنور، كما هدم وجدد الجدار الذى بين باب الرحمة والمئذنة المجيدية[1] والقباب والأساطين الكائنة فى الجهة الغربية من هذا الجدار، والجدار الذى بين باب جبريل والمئذنة الرئيسية، ومع هذا قد اعترض عليه لأنه جدد الجدار الذى فى باب جبريل، وكانت تلك الاعتراضات كلها على غير وجه حق، لأن المحل الشريف الذى هدم وجدد فيما بين باب جبريل والمئذنة الرئيسية، كان فى الجهة الشرقية من الأبنية العالية المقدسة وكان فى محاذاة قدم السعادة ذات شرف، كان الفراغ بين الحجرة المعطرة والجدار الذى هدم ضيقًا جدًا وكان يحول دون مرور الزوار وعبورهم وكان هذا الأمر يؤدى بالضرورى إلى ما يخل بآداب الزيارة وأراد

(١) كان يقال لهذه المئذنة قبل التجديد الشكلية.

محمد رائف باشا أن يزيل ما كان يحدث من عدم رعاية آداب الزيارة وأن يحقق للزائرين الطمأنينة.

وأراد أن يوسع ذلك المكان المذكور قدر الإمكان، فنقل جدار جهة باب جبريل إلى الخارج مقدار خمسة أذرع وجدده وقلل عدد الأعمدة وغير أماكنها وركز اسطوانة رصينة قوية موزونة بدل كل ثلاثة أعمدة وشيد أعمدة وقباب تلك الجهة على طراز جديد وفى شكل جميل متناسق فأعجب الناس من رصانتها وتناسقها، إلا أنه لم يهتم بما فى مؤخرة الحرم الشريف من أشياء أخرى متفرعة وتركها فى حالة خراب.

واستقبح من قبل الأهالى هدمه الجدار الذى فى ناحية القدم النبوى السعيد ونقله إلى الخارج مقدار خمسة أذرع دون أن يأخذ رأى أحد أو رضاهم وأدى إلى قيل وقال وإشاعة أقوال فى حقه ومن هنا طلب بعض خواص الناس أن يعتنى بمؤخرة حرم السعادة أيضا وأن يراعى جانبه، وقال المعترضون من عامة الناس: «إننا لم نستطع أن نبين قلة رعاية هذا الرجل وقد أظهر عدم احترامنا حينما دفن أنقاض الحرم الشريف فى البئر التى حفرها خارج السور، فإذا ما سكتنا لفعله هذا لا نكون قد أَحْسَنّا فعلاً ولهذه الحركات التى تدل على عدم الاحترام مسئولية كبيرة وهى فى أعناقنا وقد اقتنع هؤلاء الخاصة بمثل هذه الأقوال وعرضوا الأمر إلى باب صاحب القرار وقد أوردوا أقوالاً عجيبة واشتكوا من محمد رائف باشا ورجوا منه أن يعين مكانه شخصًا آخر ويرسله إلى المدينة المنورة.

ولما كانت أنقاض حرم السعادة وترابه كلما يتجدد أو يعمر تدفن فى مكان على سفوح جبل أحد وكان هذا المكان قد أحيط بسور من جهاته الأربعة، لذا كان الأهالى محقين فى هذا الخصوص، ومازال هذا المكان موجودًا إلى يومنًا هذا وهو من المزارات التى يزورها الناس ويصلون هناك ركعتى

صلاة التحية، ولكن محمد رائف باشا قد دفن الأنقاض والأتربة الناتجة من التعمير والتجديد فى البئر التى حفرها خارج السور مراعاة لمصروفات خزينة الدولة، وكان ذلك سببًا فى قول الأهالي: «إن محمد رائف باشا لا يراعى حرمة الأماكن المقدسة»

وإن كنا نحن أيضا نوافق الأهالى فى خطأ محمد رائف باشا وشكاياتهم فى حفره ذلك البئر المذكور، إلا أن تأخير الجدار التى فى مواجهة قدم السعادة إلى الخلف وما فيه من حسنات غير قابل للإنكار فادعاءات المعترضين فى هذا الخصوص كانت واهية، لأن المكان الذى وُسِعَ كان مكانًا ضيقًا فى دائرة الحرم الفاخر وكان زوار الحجرة المعطرة يعانون أعظم معَاناة عند زيارتها من الازدحام.

ولنعرف حال مسجد السعادة القديم والأماكن التى حددها محمد باشا واحدًا واحدًا بناء على القواعد الهندسية لنبين مدى ضعف ادعاءات المعترضين الذين قاموا ضده، حتى لا يظلم الموصى إليه من قبل القراء.

حال مسجد السعادة
والمواقع التى أنشأها محمد رائف باشا

كانت أكثر أماكن المسجد الشريف تتكون من سقوف واقعة على أعمدة صنعت من حجر أسود والعقود المصنوعة من الخشب، كانت الحجارة التى تشكل هذه الأعمدة قد وضعت بعضها فوق بعض قطعة قطعة وكانت قطع الحديد التى تربط بين الحجرين قد ربطت بالرصاص المذاب، وقد هدم محمد باشا هذه السقوف من جهة الشام إلى المئذنة السنجرية.

وبما أن الجدار الذى بين مئذنة السنجرية والمئذنة الشكلية والخشبية قد هدم مع المئذنة السنجرية فى أواخر عهد السلطان سليمان وحدد؛ فظلت تلك المئذنة باسم السليمانية، ولما كانت الأعمدة التى هدمت فى الجهة الشامية والتى كانت تحمل سقوفها أربعة صفوف وكانت متقاربة من بعضها وكأنها متلاصقة فجعلها محمد رائف باشا صفين وبنى عقودها من الحجارة التى أحضرها من الجبل الأحمر

وبدل القباب القديمة التى كانت مصنوعة من الخشب إلى قباب حجرية، وفتح بابًا كبيرًا فى المكان الذى يلى المئذنة السليمانية وسماه باب التوسل.

يفرض أن يكون باب التوسل فى مكان مقابل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ كان الوليد بن عبد الملك أدخل ذلك البيت داخل مسجد السعادة، ولما آلت تلك الدار إلى حميد بن عبد الرحمن عن طريق الميراث من جده وكان النبى ﷺ اعتاد أن يُضَيِّف ضيوفه فى هذا المكان فسمى ذلك البيت فى عصر السعادة بدار السعادة.

كانت دار حميد بين مئذنتى الشكلية والسنجرية فى نقطة تتصل بخارج الجدار الشامى للمسجد الحرام وكان فى جهتها الشامية مخبز ولبعض الدور والمخازن أبواب تفتح من داخل المسجد، وكانت توضع فيها قناديل حرم السعادة والأشياء التى تتعلق بالقناديل. وكانت ميضأة[1] الأغوات التى يفتح بابها إلى داخل المسجد فى مكان متصل بهذه المخازن، واشترى محمد رائف باشا تلك المنازل والمخبز من أصحابها بإعطائهم خمسمائة وسبع وعشرين قطعة ذهبية، وهدم سواء أكانت هذه الدور أو ميضأة الأغوات وما بجوارها من المخازن ومئذنة الشكلية التى تشققت حتى الأرض والسقوف الغربية التى تتصل بهذه المئذنة وبنى يمين ويسار باب التوسل سالف الذكر مدرستين فوقيتين وجعل أقفاصًا حديدية لنوافذ هاتين المدرستين كانت تفتح إلى مسجد السعادة، وخلف الحجرات التى تصادف للجهة اليسارية من باب التوسل صنع حنفية طويلة أى شادروان ثم أسس على جهة يقال لها الزقاق الشامى من تلك الحنفية ميضأة ذات دورين بدلاً من ميضأة الأغوات كما أسس فى جهة الميضأة التى فى الدور الثانى حمامًا خاصًا يخدم حجرة السعادة، ولحمام ميضأة الأغوات باب يفتح إلى داخل المسجد وعند الضرورة يُخْرَجُ من هذا الباب بسلم كما ينزل إلى الميضأة من فوق الكمر الذى فوق الحنفية، وبعد ما أنهى محمد رائف باشا عمليات ميضأة الأغوات

(١) وكانت والدة الخليفة الناصر لدين الله هى التى أسست هذه الميضأة.

بنى أربعة من المخازن على الطرف الغربى من الميضأة أى فوق سلم المخازن التى سلف ذكرها.

ولهذه المخازن ميدان واسع مكشوف، وتحفظ فيها زيوت زيتون قناديل مسجد السعادة ولوازمه الأخرى، وقد فتح بابًا كبيرًا خارج المسجد لتدخل من المخازن المذكورة المحروقات والباب القديم الذى فتح فى داخل المسجد ترك على حاله فى مكانه لينفتح عندما يصلح قناديل حرم السعادة، وبنى فوق أرض ميضأة الأغوات مخزنًا آخر لوضع الأشياء الخاصة بالمسجد الشريف ولهذا المخزن بجانب باب المئذنة وفى داخل المسجد باب يفتح للزقاق الواقع فى الجهة الغربية من المسجد وهو باب مشبك.

وبعد أن أتم محمد رائف باشا بناء هذا المخزن أزال المخزن الذى فى جهة مئذنة الشكلية لعدم نفعه وحفر مقدار ذراع المرتفع الذى فى الجهة القبلية من مسجد السعادة وسواه وهدم الدكك التى انتشرت هنا وهناك فهدم القبة التى فى وسط الحرم الشريف، بينما هدمت هذه القبة وكانت تسوى أرضها بفرش الرمل ظهر حوض تحت الأرض ينزل إليه بالسلم، ويلزم أن يكون هذا الحوض البركة التى عرفها ابن النجار.

قال ابن النجار وهو يصف هذا الحوض: «كان فى وسط مسجد السعادة وفى الجهة الغربية من النخيل ينزل إليه بسلم من عدة درجات، قد صُنِعَ مِنَ الأحجار والجص والألواح الخشبية وكان ماؤه يتدفق من فسقية فى وسطه، وكان ماؤه من عين الزرقاء، وكان خاصًا بموسم الحج والعثور على الماء فيه فى الأيام العادية غير محتمل».

وذهب إلى أن هذا الحوض أثر من آثار أحد أمراء الشام يسمى شامة ولكن رأيه هذا لا يخلو من خطأ.

إذ قال المؤرخ المصرى: وينسب هذا الحوض إلى الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء، إن الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء حفر فى تاريخ خمسمائة وستين هجرى من عين الزرقاء إلى باب السلام فأجرى إلى الميدان الذى

بجانب الباب المذكور مقدارًا كافيًا من الماء، ومؤخرًا أدخل جزءًا من هذا الماء فى الساحة الرملية لمسجد السعادة، وصنع هنا منهلاً كما صنع فوقه كمرًا وتحته فسقية؛ كان الناس يجدون هنا وضوءهم، ثم حدث ما يهتك حرمة الحرم الشريف بجانب الحوض، بعد أن أزال محمد رائف باشا قبة الشمع من ساحة الحرم الرملية هدم ما بين جدار مسجد السعادة الشرقى مع مئذنته الرئيسية وبنى باب جبريل وسحب جدرانه إلى الخلف قدر خمسة أذرع وربع ذراع إلى الخارج وبنى مكانًا للخَلْوَة فى دورين فى الميدان الصغير الذى استُحْدِثَ نتيجة للهدم بين مئذنته الرئيسية وركن الجدار الجديد، ولم يلمس الأعمدة التى حول حجرة السعادة ودعاماتها ولكنه أراد أن يقوى ما جدده من أعمدة الجدران وعقد القباب الجديدة فركز الأعمدة فى محاذاة الأعمدة المدعمة لحجرة السعادة، وأبقى باب جبريل فى مكانه وزين باب المئذنة الرئيسية بأحجار منحوتة حمراء لترصيعها وصنع لهذا الباب سلمًا ذا أربع درجات وترك مكان الباب العتيق للسادة الخطباء، وبينما كان يحفر أسس الجدران الجديدة ظهر مصرف مياه ولعله كان مكان اجتماع مياه البالوعات، وكان فوق الرصيف وخارج مسجد السعادة؛ وإن كان ذلك المصرف بعيدًا عن الحجرة النبوية إلا أنه نقل إلى مكان أبعد تعظيمًا للمسجد النبوى، ولما وصلت أعمال حرم السعادة لهذه النقطة وقبل أن تركب عقود القباب الشرقية، كانت شكايات المعترضين وصلت إلى الباب العالى حيث دُرِسَتْ وحتى يُقْضَى على النزاعات والخلافات التى حدثت نُقِل محمد رائف باشا وعُيِّن الفريق أبو بكر باشا ناظر معهد الهندسة البرية السلطانية مكانه وأرسل إلى المدينة المنورة.

وتحرك أبو بكر باشا من باب السعادة وفى رفقته الحاج محمود أغا الجناح، وهو من مدرسى معهد الهندسة المذكور(١) وعثمان باشا الذى عين شيخًا للحرم ووصلا إلى المدينة المنورة فى اليوم الحادى عشر من شعبان المعظم سنة ١٢٦٩ الهجرية، وكشف الباشا المذكور وعاين كل ما تم عمله سواء أكان فى عهد حليم

(١) ومازال الحاج محمود أفندى مدرسًا فى المدرسة الحربية السلطانية للرسم ويحمل رتبة قائم مقام.

أفندى الصغير أو محمد رائف باشا، من طريق الجبل ومواقع الحرم المبجل، ثم وضع خريطة أخرى وفق أفكاره وصمم على أن يجدد ويعمر جميع جهات مسجد السعادة حتى تصير رصينة متينة وعزم على الشروع في العمليات ـ كسلفه ـ من جهة مؤخرة حرم السعادة، ولما رأى أن القباب التى بين المئذنة الرئيسية وباب جبريل أولى بالتعمير من الجهات الأخرى أكمل تلك القباب، وأسرع فى حفر وتعميق أساس المئذنة الشكلية، وبما أن المياه زادت قدر قامة رجل كلما حفر ذلك الأساس وعمق فغرس أوتادًا وبنى قاعدة صلبة وجعل أساس المئذنة فوق هذه القاعدة وبنى المئذنة حتى كرسيها ثم عمر الأماكن التى انهارت من قديم فانتقل إلى الجهة الغربية من مسجد السعادة، وبما أن جدران هذه الجهة كانت رصينة لم يَمَسَّها ووسع فقط ما بين الأعمدة التى تحمل القباب وأحد السقوف، لأن هذا المكان كان يتكون من أربعة سقوف مبنية على أربعة صفوف من الأعمدة.

وألغى أحد الصفوف من الأعمدة وسقفًا واحدًا فنظم هذه الجهات على ثلاثة سقوف فوق ثلاثة صفوف من الأعمدة وألصق صفًا من الأعمدة على الجدار حتى يضع عليها العقود، وهذه الأعمدة مراكزها ملاصقة للجدران، كما سبق ذكره، وعقد عقود القباب فوق هذه الأعمدة ثم انتقل إلى الجهة الشرقية فهدم الجدار الذى بين المئذنة السليمانية وباب النساء، ونصب بعض الأعمدة وأخذ يبنى الجدار الذى هدمه بحجارة سوداء وقبل أن يكمل عمله وكَّلَ عبد اللطيف أفندى من رجال الدولة العالية وأنابه عن نفسه ثم سافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وعاد بعد الحج وبذل جهده لإتمام عمليات الجهة الشرقية من مؤخرة حرم السعادة، ولكنه توفى قبل أن يختتم عمليات الجهة ودفن يوم التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٧١ فى القبر الذى هيئ له فى البقيع الشريف، رحمة الله عليه.

كان أبو بكر باشا فى الوقت الذى عزم فيه على الحج كتب تقريرًا إلى شيخ الحرم النبوى عثمان باشا فى أن يعين عبد اللطيف أفندى وكيلاً له وأخذ من الباشا المشار إليه الجواب الآتى:

الأمر:

إننى عجزت عن فهم تقرير الباشا مدير الأبنية العلية ولما كانت للأبنية المسعودة مواد جسيمة وأمور عظيمة ولما كُنْتَ الموظف المسئول عن نقل هذه الأشياء، ولما كان النفع والضر عائدًا لك لمسئوليتكم وحتى لا يحدث ما يؤدى إلى تعطيل سير الأمور وتأخيرها ولبذل الهمم للمقبوضات والنفقات فعملتم على اختيار وكيل لكم وهذا منوط ولائق لرأيكم السامى.

صورة التقرير:

وقد قررت كما تعرفون أن أسافر فى هذه الأيام إلى مكة المكرمة بنية أداء الحج المفروض ولما لزم أن تدار المهمة التى ألقيت على عاتقى وقبلت نظارتها بواسطة وكالة أحد موظفى الأبنية العلية، يا ترى هل من المناسب أن يختار لها أحد المقربين إلى وهو مدير الحرم الشريف صاحب العزة لطيف أفندى الذى سبق أن وجهت له الوكالة، أو ترون شخصًا آخر أنسب لهذه المهمة؟ ومهما كان اختياركم للشخص الذى ستنتخبونه وكيلاً مكانى أرجو أن تبينوا فوق هذه الورقة البيضاء ما ترونه وأن تسطروه والأمر فى هذا الخصوص لمن له الأمر.

حرر فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٧٠.

وقد صادفت وفاة أبو بكر باشا للوقت الذى كان فيه دلاور باشا شيخًا للحرم، وبناء على التكليف الذى حدث من محافظ المدينة ومن هيئة مجلس الشورى إلى دلاور باشا كان قد قبل وكالة أمانة البناء حتى لا تتعثر عمليات البناء، وأمر بأن تهدم الجهات التى فى ناحية باب الرحمة الغربية فبناها مجددًا وتمم الأماكن التى ظلت ناقصة فى الجهة الشرقية بأن جعل سقفها فى وسع سقوف الجهة الشامية والغربية، وبنى أمام الجدار القبلى الرصيف الواسع الذى يطل عليه موضع الجنائز وعلى يسار من يخرجون من باب جبريل، يعنى فى الجهة الشامية من ذلك الرصيف، محلين مشبكين ومسقفين وفرش ما بين المحلين بقطع رخامية.

وكان كثيرون من الفقراء والغرباء يبيتون فى هذا الموقع الشريف فى أيام

الصيف مثل أصحاب الصُفَةِ وعندما يرد الحجاج والزوار كانوا يجتمعون فى هذا المكان ويؤدون الصلاة.

أُبْلِغَ الباب العالى بوفاة أبى بكر باشا وإحالة وكالة أمانة البناء إلى شيخ الحرم دلاور باشا، وأسند أمانة الأبنية العالية إلى أمير الأمراء ناظر المدرسة البحرية سابقًا أدهم باشا بعد أن انتخب لذلك المنصب فى مجلس خاص بالوزراء وصدر الأمر السلطانى بذلك بعد الاستئذان فى أواخر سنة ١٢٧١هـ وأرسل إلى المدينة المنورة فى سنة ١٢٧١هـ.

وصل أدهم باشا إلى المدينة دار العز فى الخامس عشر من شهر صفر الخير من سنة ١٢٧٢هـ، وثابر فى إيفاء مهمته وجدد فى فترة، تقرب من سنتين، الأساطين والقباب التى بين باب النساء ومئذنة العزيز والجدران الكائنة فى تلك الجملة فى صورة غاية فى الكمال والنظام.

كان السلطان سليمان خان الغازى قد جدد فى سنة ٩٤٠هـ المئذنة العزيزية الجميلة كما بين فى الصورة الثامنة من الوجهة الأولى وجعلها ذات شرفات ثلاث مثل مآذن باب السعادة، لذا أُطْلِقَ عليها فى ذلك الوقت المئذنة السليمانية.

وتلك المئذنة محاذية للمئذنة الشكلية التى وفق فى تجديدها المرحوم السلطان عبد المجيد، وعندما عُمر مسجد السعادة اقتضى الأمر إصلاح تلك المئذنة أيضا فربط ـ عندئذ ـ محمد راشد أفندى من موظفى أمانة البناء حبالاً ما بين المئذنتين ليعلق عليها المَحيا مثل مساجد باب السعادة إستانبول وذكر أن هذا الفعل سيعطى للمدينة المنورة الميمونة رونقًا آخر وزينة أخرى، واستأذن بعد تعمير المئذنة السليمانية بأن تقام محيًا[1] هناك فى ليالى رمضان واستكره السلطان الذى يتصف بصفات الزهد لشدة حبه لشفيع المذنبين ﷺ وفرض عبوديته إحداث بدعة فى دار

(١) إن بناء محيا فى الجوامع ذات المنارتين كان بدعة سيئة أحدثها إبراهيم باشا الذى تولى الصدارة نحو اثنتى عشرة سنة فى عهد السلطان احمد الثالث وذلك فى عام ١١٣٢ هـ.

الهجرة وتجنب ذلك بتقبيح الفكرة التى عرضها محمد راشد أفندى ولذلك تأخر تعمير المئذنة المذكورة، ولما كان جميع لوازم بنائها جاهزة فعمرت فى عهد السلطان عبد العزيز بشرط عدم إقامة المحيا، وأنفق لتعميرها بعد الكشف عليها خمسة وأربعين ألف قرش وسميت بالعزيزية.

بينما كان أدهم باشا مشغولاً بتعمير وتجديد جهة باب الرحمة صدر الأمر السلطانى بخصوص إرسال محمد راشد أفندى من أعضاء دار الشورى العسكرية لأنه كان قد التزم قديمًا من جانب محمد رائف باشا تجديد القباب والأعمدة التى فى مقدم الحرم الشريف كقباب وأساطين مؤخر الحرم الشريف وكان قد رأى فى هذا العمل نوعا من المحسنات والجمال لحرم السعادة.

ولكن العمل بهذا الرأى كان سببًا فى وقوع منازعة كبيرة، وكان أهالى المدينة فى ذلك الوقت قد أبلغوا الأمر مع بعض الأوراق والمضابط إلى باب صاحب القرار كما سبق ذكره ورجوا من السلطان أن يجدد داخل حرم السعادة وفق أفكار وآمال الأهالى؛ ومن هنا قرر إرسال محمد راشد أفندى وتعيينه ليحقق فى منشأ هذا النزاع وللكشف عن تعميرات مبانى الحرم الشريف وكيفية سير العمل فيها، وحساب نفقات تجديدها.

وصل محمد راشد أفندى سنة ١٢٧٢هـ خلالها، إلى دار السكينة وكشف عن الأماكن المتنازع عليها فى مؤخرة حرم السعادة وفى داخله، وبعد العودة سلم الباب العالى لائحة رأيه الشخصى مع المضابط التى قدمت من طرف الأهالى وموظفى الدولة مع الخريطة والأوراق الأخرى إلى الباب العالى، وبعد عمل ما يجب إجراؤه عرض الأمر على عتبة السلطان العالية الذى أصدر أمره بأن يدرس الموضوع فى مجلس خاص للوزراء ثم استذكرت الناحية الشرعية من الموضوع فى مجلس دار الإفتاء السلطانى الذى يتكون من العلماء والفضلاء والوزراء القدماء وقرر المجلس المذكور عدم جواز تغيير محال و أشكال ثمانية أعداد من الأعمدة التى تعد من الآثار النبوية الجليلة الخالية من العيب وكذلك الأساطين التى ركزت

في عهدى عمر وعثمان ـ رضى الله عنهما ـ عندما وسعا مواضع الصلاة فى المسجد باتفاق آراء الصحابة، من مائة وثلاثة وأربعين عمودا فى حاجة إلى التعمير فى داخل الحرم النبوى الشريف، وبما أن شكل القباب والأساطين ومحالها التى أضيفت فى عهدى السلطان مراد خان الرابع، وقايتباى المصرى لم تخضع للتغيير فى زمانهما، ورأى أن يعمر ويجدد الأعمدة التى ستحمل عليها القباب الحجرية بدلاً من السقوف على هيئاتها الحالية، وبما أن الأساطين القديمة كانت مصنوعة من الحجر الأسود ومغلفة بقطع رخامية رئى أن تترك الأساطين غير المحتاجة إلى التعمير والتصليح فى حالتها القديمة والقباب من دكة الأغوات إلى باب الرحمة التى قرر صنعها بناء على الكشف القديم، وأن يجدد الجدار القبلى من باب السلام إلى المئذنة الرئيسية وألا تترك أنقاضها ومربع مرقد السعادة سيحتاج إلى التشييد والإحكام وعرض الأمر على العتبة السلطانية ملخصًا فى مضبطة.

وأن تجدد وتعمر المواقع المسعودة على الوجه المذكور والمشروح وأرسل ذلك الأمر(١) السلطانى بمضبطة مخصوصة إلى طوسون باشا شيخ الحرم النبوى.

وكان مضمون ومندرجات اللائحة التى أرسلت إلى طوسون باشا الانتباه إلى ما جاء من قرارات فى اجتماع مجلس الوزراء الخاص والعمل بموجبها ووقاية الأشياء التى تستخدم فى البناء من التلف والإسراف فيها، وتكوين مجلس من الموظفين المحليين ومهندسى الأبنية ورؤساء الحجارين بخصوص النظارة على العمال وحسن استخدامهم؛ وتعيين الوظائف الأساسية لهذا المجلس وذيل اللائحة بتوقيعات أعضاء المجلس الفخم كما صدقت من مقام الصدارة العظمى.

وكان سبب حدوث المنازعة هو كشف محمد رائف باشا داخل الحرم الشريف

(١) قد كتبت صورة من هذا الأمر السلطانى فى ذيل الصورة تحت رقم (١). (فى أصل المؤلف).

وتعميره لمؤخرة حرم السعادة وكانت تعميرات حرم السعادة تنقسم إلى قسمين الصورة الأولى عمليات مؤخرة حرم السعادة ومتفرعاتها، والصورة الثانية تعمير داخل الحرم الشريف ومشتملاته وفق الخريطة لتعمير مؤخرة حرم السعادة وتجديده والتى قدمت للمقام السلطانى السنى وحازت الموافقة، وفعلاً قد بدئ فى العمل وفقًا لهذه الخريطة، وختم بهدم آثار قايتباى مع مشتملاتها من محاذاة باب الرحمة إلى آخر الحرم الشريف الملاصق لتلك الآثار وبما أنه كان قد تم الاتفاق على هدم قباب قايتباى وإنشاء قباب جديدة؛ لهذا لم يكن فيه ما يثير النزاع، ولكن الأساطين التى تحمل السقوف والقباب فى داخل حرم السعادة والتى صنعت من حجارة صغيرة ومع مرور الزمن انفصلت عن بعضها ولما رئى أنها ستكون سببًا فى سقوط السقوف والقباب أحيطت بأحزمة حديدية وظلت بعضها معوجة متمايلة، ومن هنا وجب تعميرها ورضى الأهالى على ذلك، وأراد محمد رائف باشا أن يجدد الحرم النبوى فى طراز جديد جميل بتقليل عدد الأعمدة وتغيير شكلها مثل أعمدة مؤخر حرم السعادة وأن يوسع مواقع الصلاة وأراد أن يعين ثمانية أعداد من الأعمدة التى تعد من الآثار النبوية بتركها على حالتها القديمة، لو كان مسجد المدينة قد جدد وعُمِّرَ على هذا الشكل لكان الحرم الشريف اتسع وبلغت زينة البناء إلى الكمال وحدث تطابق وتناسب وتناسق فى هذه القضية الفنية، وكل ذلك بناء على قول محمد رائف باشا.

وإذا ما طبق فن الهندسة على تعمير مبانى الحرم فكان رأى محمد رائف باشا صحيحًا كما أن الأدلة التى ساقها بخصوص زينة المبانى ترى لا غبار عليها، إلا أن كون داخل حرم السعادة من الآثار المباركة القديمة كما أن جميع الأعمدة التى فى هذه الجهة من الأعمدة التى تتشرف بِقِدَمِهَا، جعل مسألة تغيير تلك الأعمدة وتغيير أماكنها بادعاء توسيع الموقع والمحل، مسألة غير لائقة.

ومن أجل رد خواص دار السكينة آراء الباشا المذكور الفنية وملاحظاته، قالوا ردًّا على رأى الباشا: «إن عدد الأساطين التى تحتاج للتعمير فى الحرم الشريف مائة وثلاثة وأربعون عمودًا ثمانية منها من الآثار النبوية، ولا يجوز تغيير أشكالها

ومواقعها بالمرة، وكانت الأعمدة التى أضافها حضرة عمر وعثمان ـ رضى الله عنهما ـ كان بقصد توسيع مواقع الصلاة وبإجماع آراء الصحابة وبما أن هذه الأساطين قد ركزت باتفاق الصحابة وإجماعهم ولم يتجرأ أحد إلى الآن على تغيير طرزها وهيئاتها، يقتضى النظر إليها على أنها من الآثار أيضا ولا يجوز تغيير هيئاتها أو تقليلها بحجة التناسق الفنى، ولا بأس فى تغيير غير هذه الأعمدة، كما أنه لن يحدث تناسب بتقليل عدد الأعمدة وتغيير أماكن الأعمدة التى أضافها السلطان مراد الرابع طاب ثراه والسلطان قايتباى المصرى، ومع هذا كانت القباب التى صنعت وأسست فى عهد السلطان محمد الرابع كانت قد أسست فوق الأساطين التى كانت قائمة فى ذلك الوقت، ولما كانت الأساطين التى ستؤسس وتوضع عليها عقود الباب التى تصنع الآن تستدعى التعمير والترميم لميلها وقرب سقوطها فإذا ما رممت على هيئاتها الحاضرة، وبهذا يراعى جانب الآثار القديمة، وامتنع عن تغيير صورها وهيئاتها وإذا ما صنع ما قُرِّر تعميره من الأساطين القديمة من الحجر الأسود حتى تشبه الأساطين الأخرى، فهذا هو رأينا».

إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا محمد رائف باشا فعرضوا الموضوع إلى باب السلطان ذى القرار العادل وتسببوا فى صدور الفرمان السلطانى الذى سطرت صورة منه فى ذيل المقال.

ادعاءات الأهالى هذه جديرة بالتصديق والقبول، لأن داخل حرم السعادة لا يقاس بمؤخرة المسجد ولما كانت هذه الجهة قد جددت وفق الخريطة التى وضعت لها وكان لتجديدها مُسَوِّغٌ شرعى صريح، وأجرى لها ما يلزم، ولما ثبت بالدلائل الواضحة أن أحدًا لم يَتَصَدَّ لتجديد الحرم الشريف بإحداث التناسب فى داخله ولم يقدم أحد على تغيير رسمه ومحله، ومن هنا لا يجوز تغيير تجليات الآثار القديمة بتقليل عدد أساطينها وتغيير نقطها أو توسيع مواقع الصلاة فيه فهذه أفكار فجة سطحية، فتخريب الوليد بن عبد الملك حجرات زوجات النبى العليا لم تؤد إلا إلى انقراض الدولة الأموية وزوالها.

وقد رممت الأساطين الثمانية التى ركزت فى عهد النبى ﷺ والأساطين التى ركزت فى العهد الميمون القريب من عهده وعمرت على هيئاتها القديمة، وقد حدث اتفاق عام بناء على وجود مسوغ شرعى لتغيير شكل وأماكن الأساطين التى أضافها السلطان مراد خان الرابع والسلطان قايتباى المصرى.

وإذا ما صنع وفق الطرز الجديد بتقليل عددها وتغيير أماكنها وإذا ما اتبع طريق تجديد القباب على الهيئة المطلوبة منسوبًا لاسم السلطان عبد المجيد، فإنه لن يؤدى إلى التناسب الفني ويكون داخل حرم السعادة قد جدد بعض أماكنه حسب النظام الجديد وسيظل الباقى على النظام القديم، والأمكنة التى عدت بمرور الزمان ومجاورة الحجرة المعطرة من الآثار القديمة المباركة تكون قد بدلت هيئاتها ومواقعها وغيرت.

وبدلا من أن تبذر الأموال عبثًا لتجديد الأعمدة التى انحرفت قليلاً أو اعوجت والتى يمكن تعميرها وتقويتها وتحويل أماكنها وشكلها، فإذا رممت الأساطين الموجودة على هيئاتها وأشكالها حيث وجدت بحيث تتحمل القباب الحجرية وإذا ما رممت بالأحجار السوداء مثل الأعمدة المتينة المصنوعة من الحجر الأسود وإذا ما غلفت الأساطين التى كانت مغلفة بقطع الرخام نكون قد ادخرنا النقود وحافظنا على أشكالها وهيئاتها الأصلية، ولما كانت الأساطين التى تحمل القباب العالية المصنوعة من عهد السلطان مراد ثمانية أو عشرة أعمدة منها فى حاجة إلى الترميم والتعمير، ولما كان بناءُ القباب الحجرية مكان السقوف جائزًا شرعًا لوقاية أبنية الحرم من الخطر وكان عامة الناس متفقين فى هذا الموضوع ولم يكن فى هذا سبب يؤدى إلى النزاع، والمنشأ الحقيقى للنزاع كان فى تقليل عدد الأساطين داخل الحرم النبوى وتغيير أماكنها، وقد اختار أهل المدينة شق تعمير وترميم الأساطين فى أماكنها، ورجحوا ذلك على استصواب محمد رائف باشا من تقليل الأعمدة وتغيير أماكنها، عرضوا الأمر على الباب العالى ورجوا بأن يعمر داخل حرم السعادة وفق ما يرغبون، وقد بحث الأمر فى دار الإفتاء

السلطانية بعمق وعرض ولما كان رأى أهل المدينة الكرام موافقًا للشرع الشريف عرض الأمر على العتبة السلطانية التى أصدرت أمرها بذلك وأرسل الفرمان السلطانى إلى المدينة المنورة.

وبما أن تغيير شكل وهيئة الأبنية العالية غير جائز أرسل لأدهم باشا للعمل بما جاء حسب ما يقتضى الأمر السلطانى كما أرسل له تحريرات سامية توصى ببذل الجهود فى هذا الأمر إذا كان مدير أمانة البناء.

وجدد أدهم باشا دكة الأغوات بحجارة منحوتة حمراء فى غاية الجمال وصنع على أطرافها أربعة أسوار مشبكة وأسس فى ذيل هذه الدكة دكة أخرى ويُذهَبُ من بين هاتين الدكتين إلى باب جبريل.

ولما كان محراب التهجد فى وسط مقصورة الدكة التى صنعت فى مواجهة دكة الأغوات وفى طرف الجهة الشامية شبكة السعادة التى جددها أيضا، ووضعوا حول الدكة الأسوار المصنوعة من النحاس الأصفر، وكان بجانب دكة محراب التهجد مخزنان، فهدمهما و جددهما بأن جعلهما أربع حجرات، كما أمر ببناء سقف عال لخلف دكة الأغوات وجهتها اليسارية وتحت هذين السقفين محرابًا وعدة حجرات عالية خاصة بخدم الحجرة المعطرة، ويذهب إلى السقفين الجديدين من بين باب النساء ودكة الأغوات.

كان مشايخ الحرم النبوى يؤدون صلواتهم الخمس فى النقطة التى يوجد فيها المحراب سالف الذكر فى الأوائل ثم أخذوا يصلون فى دكة الأغوات، والآن يصلى الأشخاص الذين يتولون مشيخة الحرم فى هذا المكان ويحدث أحيانًا أن يصلوا فى دكة التهجد التى أمام دكة الأغوات، ولكن صلوات التراويح لابد أن يؤدوها بجانب المحراب سالف الذكر.

وأمر أدهم باشا فصنع خارج باب النساء وفى جهة باب جبريل من ذلك الباب، وجدد فمد القفص الخشبى الذى أحدث سنة ١٢٥٠، هذا القفص كائن ما بين كل ثلاث أسطوانات من باب النساء إلى مؤخرة مسجد السعادة فتؤدى

النساء صلواتهن داخل هذا القفص، واستشار شيخ الحرم حافظ محمد باشا مع علماء المدينة فى غضون سنة ١٢٨٠هـ فمد ذلك القفص إلى قرب محاذاة المئذنة السليمانية، لأن جماعات النساء تكاثرت ولم يستوعبهن القفص كلهن فكانت بعض النساء يؤدين الصلاة خلف النخيل، ولما كان الرجال الذين يدخلون من باب التوسل لا يجدون أماكن للصلاة أمامهم فيضطرون أن يؤدوها خلف النساء.

ويطلق أهالى المدينة على هذا القفص قفص النساء ولونه أخضر وله أبواب مصنوعة من القطع المشبكة، تأتى النساء فى ليالى الجمع ويؤدين الصلاة، ويحضرن أولادهن حديثى العهد بالولادة فى يوم الأربعين من ولادتهم لإدخالهم فى شبكة حجرة السعادة، وتأتى بهم أمهاتهم أو أقاربهم ويسلمونهم لموظفى إدارة الأغوات، ويطلق أهل المدينة على مثل هؤلاء الأطفال الذين تُركوا فترة تحت أغطية مربع القبر الشريف فى حجرة السعادة ولد الحجرة فيلزم أن يكون خاصة أهل المدينة من هؤلاء الأطفال.

ولما كان أدهم باشا قد توفى بعد أن أكمل تلك الأقفاص بفترة قليلة فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٧٣هـ، فاختير معاون المبانى المقدسة صالح أفندى لوكالة أمانة البناء باتفاق موظفى الحكومة وأعاظم السادات وعلماء البلاد وبلغ الأمر مع وفاة أدهم باشا إلى باب صاحب القرار العظيم.

وكانت وفاة أدهم باشا قبل أن يكمل سقف الجهة القبلية وسقف الجهة الغربية الذى يمتد من باب السلام إلى باب الرحمة إلا أنه كان جدد هذه الأماكن والقباب الجديدة التى أمر السلطان بإنشائها فى اتصال الساحة الرملية لحرم السعادة، ودكة الأغوات مستلهمًا أمر السلطان كما أنشأ كل هذه الأماكن مطابقة لآمال الأهالى وأفكارهم.

حدود السقوف العتيقة: كانت فى الجهة القبلية من مسجد السعادة ثلاثة أروقة، وألحق كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فى عهديهما رواقًا كما ألحق الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى للجهة الشامية رواقين كما أن السلطان

مراد خان الرابع ألحق ثلاثة أروقة فى الجهة الشامية أيضا ولما لم ينته بناء هذه الجهات ظهرت الحاجة إلى بناء عدة أروقة أخرى فى هذه الجهة، وعقب وفاة أدهم باشا، استصوب صالح أفندى إضافة رواقين بموافقة رأى مجلس هيئة الأبنية السعيدة، وشرع فى العمل من هذه الجهة، وأراد أن يساوى ما بين أسطوانات الجهة القبلية لأسطوانات الجهات الثلاث الأخرى، فرأى أن ترفع بعض الأسطوانات من هذه الجهة وإزالتها وبين الكيفية للهيئة العامة للمجلس الذى انعقد تحت رياسة شيخ الحرم لأن توسيع هذه الجهة فى حالتها هذه غير قابل للتوسيع والإصلاح وقام بعض الذوات معترضين على هذا أيضا إلا أن هيئة المجلس[1] استصوبت رأى صالح أفندى بالأغلبية واستحسنته وأثنوا عليه، وكتبوا فتاوى شاملة بجواز رفع الأعمدة بنية توسيع المسجد الخالصة حتى يسكتوا المعترضين معتمدين على الشرع.

وأراد المعترضون أن يسقطوا حكم الفتاوى التى صدرت من العلماء واحتجوا على عدم جواز إزالة الأعمدة المأثورة القديمة بالأحاديث التى أوردها الإمام السَّمْهُودى من البخارى وابن النجار والتى تقول: يجب أن يصلى فى جميع جهات مسجد السعادة، الصحابة الكبار قد صلوا فى جميع جهات هذا المسجد وقد أجابتهم هيئة المجلس إجابات مقنعة إلا أنهم طوروا الموضوع حتى وصل إلى مرتبة الجدال والنزاع، وأبلغوا الحالة بمضبطتين مستقلتين إلى الباب العالى وقرروا تأجيل العمل فى مسجد السعادة إلى أن يصل الرد، وحينما وصلت المضبطتين إلى باب السعادة وأطلع الوزراء على مضمونيهما، وصدق قرار الأغلبية رأيها وأحالوا الموضوع إلى محمد راشد أفندى الذى كان قد سافر إلى المدينة وحقق فى النزاع الأول الذى حدث فى أمانة البناء العالى، فاستدعوه وأمروه بأن يسافر حالاً إلى المدينة المنورة.

وشرع محمد راشد أفندى فى العمل من بقية مؤخرة حرم السعادة، وأتم العمل فى الأساطين التى تقع بين باب الرحمة وباب السلام، وفى بعض عقود

(١) وكان للسادة والأهالى فى هذا المجلس نفوذ، وكذلك أكابر العلماء وكل المفتين.

القباب، وخمسة عشر ذراعًا من المكان الذى فى جهة باب السلام من الجدار القبلى، وعندما أوصل تعميرات الحرم الشريف إلى حدود الروضة الميمونة التى يصدق عليها الحديث الشريف روضة من رياض الجنة وعندئذ ظهرت وتجددت المنازعة المعلومة مع أن محمد راشد أفندى كان مطلعًا على مندرجات الفرمان السلطانى فأصر على تطبيق أفكار محمد رائف باشا فى حصول تناسب، وابتدر فى تغيير مواضع الأساطين التى فى جهة المدرسة المحمودية للحرم الشريف والتى أضافها إلى الحرم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وبهذا أثار الناس مرة أخرى، ومع هذا أخذ يعرض على الباب العالى بعض أشياء غير مفيدة، وأخذت محاضر الشكاوى من قبل الأهالى تصل تباعًا، كل هذا أوقع الباب العالى فى الشك والشبهة فعزله وأرسل مكانه عمر جمال الدين أفندى من رجال الدولة القدماء، ولكنه توفى حين وصوله إلى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٥هـ فتعطلت تعميرات الأبنية المقدسة فترة ما.

قد أخذت فرقة المدينة المنورة المعترضة خزانة الدولة، وبما أن هذا الشخص كان جريئًا وحريصا استطاع أن يهيئ أكثر الأشياء اللازمة لعمليات أبنية السعادة والحجارة المنحوتة اللازمة للأساطين، إلا أن هذه الغيرة والسعى وشدة الاهتمام أنتجت قيام المعترضين ضده؛ لأن أفراد الفرقة المخالفة كانت لهم منافع شخصية فى تدخلاتهم فى عمليات البناء لأنهم كانوا يريدون أن تطول هذه العمليات أطول مدة حتى يحافظوا على تلك المنافع، ومنذ أن عزل محمد راشد أفندى إلى تعيين عمر جمال الدين أفندى وإلى ورود أحمد أسعد أفندى بعد وفاة سلفه قد أعطيت كثير من الأجور للمستخدمين فى أمور أبنية السعادة من الكتبة والعمال بدون فائدة، واستمرت هذه الفترة ما يقرب من سبعة أشهر، إذ مات عمر جمال الدين أفندى وعرض الأمر على باب السعادة وكان أحمد أسعد أفندى فى ذلك الوقت قاضى مكة المكرمة فوصل إلى المدينة المنورة فى جمادى الأولى أوائله من سنة ألف ومائتين وست ١٢٧٦ وسبعين هجرية.

وكانت الفرقة المعترضة قامت ضد محمد راشد أفندى باحثين عن تغيير مواضع بعض الأعمدة وكان هذا موضع النزاع.

إلا أن هذا القيام لم يكن كالقيام السابق إذ كان بدون وجه حق وبدون مناسبة، إذ استصلح محمد راشد أفندى أماكن السقوف التى هدمت من قبله وهى التى تلى السقف الذى ألحق فى الجهة القبلية، وبترميمات قليلة للأعمدة التى ركزت فى عهد صالح أفندى نقلها فى محاذاة الأعمدة الأخرى وحرص على أن يركز هذه الأعمدة فى أماكنها القديمة ولكن فيما بين أعمدة السقوف الثلاثة التى تلى الجهة القبلية حدث تخلف قدر ثلاثة أذرع بينها وبين الأعمدة التى ركزت مجدداً، وقد وقف محمد راشد أفندى لهذا التخلف وهو يهدم الفاصلة التى تفصل بين سقف الجهة القبلية والأسقف الثلاثة التى تليه، وإن هذا التخلف ظاهر فى العمود الرابع من صفوف الأساطين الأربعة التى تقع فى اتصال الساحة الرملية التى فى الركن الشرقى من مسجد السعادة ولا يوجد فى أساطين الصفوف الأخرى، وإن كان فى أساطين الركن الغربى من الساحة الرملية تخلفًا جزئيًا وإذا لم يمعن النظر فيه فلا يمكن تعيينه فهذا التخلف إذا ما طبق على قواعد الفن المعمارى الكلية فلا يعد من العيوب، وكان اثنا عشر عموداً ما الأعمدة الستة عشر التى يعرف التخلف فيها من النظرة الأولى والتى تكون الصفوف الأربعة من الأعمدة، كانت ركزت من قبل أسلافه ولما كانت الفرقة المعترضة غير راعية بهذا الموضوع ظنوا أن هذا التخلف قد حدث فى عهد محمد راشد أفندى وخدعوا الناس بهذا الزعم الباطل وأغروهم بالقيام ضده. انتهى.

قد خدم محمد راشد أفندى فى تزيين داخل مسجد السعادة وقد تركت جهة الجدران الغربية أعلى من الجهات الأخرى كعلامة على الجدران القديمة وكان هذ الارتفاع أساء لجمال سطح المسجد.

أزال محمد راشد أفندى هذا العلو وأبقى جملة «هذا حد مسجد النبى» التى كانت محكوكة على هذا الصف من الأعمدة، لو كان حدد هذه الجملة قائلاً: «هذا حد المسجد الأصلى» لأحسن فعلاً لأن عبارة «هذا حد مسجد النبى» تفيد أن خارج هذا الحد ليس من جملة مسجد النبى وهو ليس كذلك.

بعد أن سوى محمد راشد أفندى وسطح ومهد أرض المسجد وهدم المخازن فى التقاء الحد القبلى للمسجد الأصلى أنشأ جداراً منخفضًا من شبكة الحجرة المعطرة إلى انتهاء الأعمدة التى فى الجهة الغربية من جدار باب السلام وبنى فوقه سوراً مشبكًا جميلاً مصنوعا من النحاس الأصفر وفتح ثلاثة أبواب من الروضة المطهرة للخروج منها ناحية القبة العثمانية، ولما انتهى من سقوف الجهة القبلية لمسجد السعادة إلى محاذاة الساحة الرملية جهز حجراً أحمر مزينًا لكتابة التاريخ وأرسله إلى باب السعادة حتى يكتب عليه ما انتخب مما كتبه أدباء المدينة ثم يأمر بإعادته إلى المدينة، إلا أن السلطان ذا الخصال الحميدة لم يستصوب أن يكتب لذلك المكان المقدس التاريخ وأمر بأن يعطى للمؤرخين اثنا عشر ألف قرش وحتى يتخذ قراراً ما ينبغى إحالة الموضوع إلى مجلس العلماء المنعقد فى المشيخة الجليلة، وقرر فى المجلس أن يكتب على هذا الحجر الحديث الشريف، وفق اقتراح أمين الفتوى للمجلس محمد رفيق أفندى «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»، وأبلغ الأمر إلى دار الخلافة. وأمر الخليفة أحمد أسعد أفندى الذى تعين لأمانة أبنية السعادة بعد عمر جمال الدين أفندى بإجراء ما يقتضى الأمر عمله.

والتواريخ التى ستذكر فيما بعد هى التواريخ التى اختارها محمد راشد أفندى لتحظى بالنظرة السلطانية وأرسلها إلى الباب العالى.

عربي[1]

بشرى مليك الورى عبد المجيـــــــد
بمـــا قد فاز مـــن فخـــر دنيـاه وعقباه
توجهـــــت بعظيـــم الأجـــر همـــتُه
وكي ينـــــالَ من المختـــــار زلفــاه
فجـــددت مسجـــداً تهـــوى ملائكـــة
لو أصبـــحت فيــه من عمـــال مبنـــاه
ولكـــن بـــذاك إلـــه الحـــق خصصـه
يـــا فوز من خصـــه بالخير مـــــولاه
وإنـــه أثـــر مـــا حـــازه مـــلك
من قبلـــه بل ولا مـــن بعد يحظـــاه
بطالـــع اليمـــن والإقبـــال آخـــره
على أســـاس التقـــى مـــذ تـــم منشاه
قالـــت الملائكة البشـــرى مـــؤرخة
على قواعـــد يمـــن عـــز أخـــراه
١٢٧٥

الآخر[2]

الله أكـــبر فـــاز سلطـــان الـــورى
عبـــد المجيـــد بأعظـــم الإحســـان

(١) هذا التاريخ الفريد للفاضل حسن أفندى الأكسوبى.
(٢) هذا التاريخ للأديب عمر أفندى.

طوبى لـــــه قد شـــــاد أرفـــع مسجد
يسمـــــو على الأفـــــلاك بالعدنـــــان
حَـــرَمٌ زهى بالروضـــــة الفيحـــــا التى
جلــت وأضحـــت مـــن رياض الجنان
ويميــــــز الهــــــادى سمــــو بحجرة
هى مهبــــــط الأمــــلاك والغفـــــران
بشرى لقــــد حــــاز الثوابَ مليكُنا
وحدى عظيـــم الأجـــر مـــن رحمان
برفيــــــع همتــــه أجــــاد بنـــاءه
فى غايـــــة الأحكـــــام والإتقـــــان
حـــرم علـــى تاريخــه حَقًّــا زهـــــى
تـــــم البــــناء بهمـــــة السلطـــــان
١٢٧٥

وظلت أعمال المئذنة المجيدية ناقصة وقد أنشأها محمد راشد أفندى على طراز مآذن بلاد الروم وفى غاية الجمال وجعل حول شرفاتها أسوارًا بشبكة حديدية.

التاريخ الآتى الذكر هو التاريخ الذى ذكره الأديب كامل عبد الجليل براده[١] بخصوص المئذنة المجيدية.

عربى

سلطانـــنا الملـــك الغـــازى المجيـــد بـنى
فـــى مسجـــد الهاشـــمى المصطـفى طـه

(١) هذا الشخص رئيس كتاب السجلات اليومية.

منـــارة لم تطـــــاول رفعـــــة وبهــــا

يحق للـــدهر فخـــراً لَوْبِهَـــا باهــــا

فريـــــدة إن بــــدا شكـــل يماثلهـــا

فإنمــــا ذاك حقـــا عكس مرآهــــا

ودت نجـــوم السمـــــاء لــــو أنهـــا

انتظمـــت فى جـــيدها تزهو ثرياهــــا

لغايـــــة ابتهـــاج الفكــــر أرخهــــا

منـــــارة بالبهـــــاء تـــم مبنـــاهــــا

١٢٧٥

ولما مات عمر جمال الدين أفندى ـ الذى بُعِثَ مكان محمد راشد أفندى ـ توفى وهو يؤدى فريضة الحج المشروعة فى أثناء وجوده فى مكة المكرمة؛ اقتضى تعيين شخص آخر وإرساله لتولى وظيفة أمانة المبانى العالية فأبلغ ذلك من قبل أمير مكة المعظمة شرف عبد الله باشا إلى الباب العالى وعرض ذلك السلطان من قبل الصدر الأعظم محمد باشا القبرصى وشيخ الإسلام سعد الدين أفندى وتَأَنَّى فى تعيين شخص وإرساله، وسكت السلطان فترة وهو يفكر ثم شرع فى الإجابة قائلاً: «لابد أن فى هذا الأمر سِراً خَفِيًّا وحكمة، وقد أرسلنا هناك من الباب العالى من نثق فيهم مثل حليم أفندى الصغير، ومحمد راشد أفندى، وعمر جمال الدين أفندى فلم يستطيعوا أن يكملوا مهمتهم، ثم أرسلنا من أمراء جيوشنا من له اليد الطولى فى فن الهندسة مثل محمد رائف وأبو بكر وأدهم من الباشوات، وكذلك لم يوفقوا فى إتمام المهمة؛ فلنول ـ كتجربة ـ أحداً من رجال الطريق العلمى المقتدرين، يا سعد الدين أفندى فاعثروا على رجل يتصف بالصدق والروية ومعروف بالتقى والتدين وأرسلوه إلى المدينة المنورة حتى يكمل تلك الخدمة التى تجلب الفخر والزهو، ولما قال له سعد الدين أفندى الأمر لكم

ياسلطاننا، وإننا سنعثر على داعية مستقيم الأفكار قد سلح نفسه وزينها بأفكار توافق أفكار سلطنتك وسنعرض الأمر على عتبة سلطنتك بعد الاستئذان، فقال له السلطان لا كلا لا لزوم لتعيين موظف من هنا.

وحتى لا تتعرض تعميرات البناء المقدس للانقطاع فترة أخرى قد أحلت مهمة أمانة الأبنية العالية إلى ابن عريانى أحمد أسعد[1] أفندى قاضى المدينة المنورة ـ على صاحبها أكمل التحية ـ والذى يوجد الآن فى مكة المكرمة وفوضت الأمر إليه لكفائته، ولما كان أحمد أسعد أفندى أبا عن جد من رجالنا المشهورين والداعين للدولة والمستقيمين فإننى أثق فيه، بسبب تجاربى السابقة، وإن شاء الله يوفق فى إتمام مهمته على أحسن وجه، وتلقى أحمد أسعد أفندى هذه الإجابة التى تنطوى على الإرادة السلطانية فأرسل الفرمان السلطانى الذى يتضمن تعيين أحمد أسعد أفندى بالمدينة المنورة سنة ١٢٧٥هـ وبُلغت التوجيهات السلطانية وحسن ظن السلطان فيه عن طريق آخر، كما طلب منه أن يبادر فى العمل دون تأخير وأن يبذل أقصى جهوده لإتمام مهمته، وأوصى بإخطارات أخرى مبينًا دقة الموقف وأهميتها وبلغت إدارة مكة المكرمة أنه إذا ما استدعى الأمر من جانب أحمد أسعد أفندى نزاع الأهالى فعلى أمير مكة أن يذهب بذاته إلى المدينة المنورة لحل المشكلة.

ولما أخذ أحمد أسعد أفندى الأمر[2] السلطانى بتعيينه فى عمارة المسجد النبوى بكى من سروره وسجد لله ـ سبحانه وتعالى ـ على تعيينه لتلك الخدمة المسعودة دون أن يكون له دراية بهذا الموضوع، فتحرك رأسًا من مكة المعظمة ووصل إلى المدينة المنورة فى أوائل جمادى الأولى سنة ١٢٧٦هـ.

وزار حجرة الرسول ﷺ المعطرة ـ عليه أعظم التحايا ـ وعرض عليه تذلله وافتقاره وأبان عجزه واستعان برسول الله ﷺ فى إتمام مهمته راجيًا نصرته وعونه وشرع فى إتمام مهمته بعد أن بدأ فى عمله ذاكرًا اسم الله، وأتم ذلك العمل

(١) تولى الأفندى المشار إليه منصب المفتى فى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة عام ١٢٩٥.
(٢) وصورة هذ الفرمان مندرجة فى ذيل الصورة رقم (٢).

المعقد فى أول ذى الحجة من سنة ١٢٧٧ دون أن يستعين حتى بالشريف عبد الله باشا ودعوته إلى المدينة، وأنهى تلك الأعمال التى عجز عن إتمامها أسلافه الكرام فى سبع أو ثمانى سنوات فى ظرف سنتين ونصف سنة كما سيعرف فيما بعد وعرض الأمر على الباب العالى وأعلمه.

مطالعة ورأى

إذا ما نظرنا إلى إتمام العمل وحسن عريانى قاضى المدينة المنورة، ندرك أن إتمام العمل وختامه سواء أكان فى حرم المدينة المنورة توأم الجنة أو حرم المسجد الذى تخدمه الملائكة وتعميرهما قد تم على يد موظفين ينتمون إلى العلوم الشرعية، ومن يعمق الفكر فى هذا الموضوع يجده من غرائب المصادفة فى العصر ومن أحكام اللطائف الغيبية وهذا بديهى، كيف لا تعد من الاتفاقات الغربية وقد تمت عمليات تعمير وتجديد مبانى الكعبة المعظمة فى عهد السلطان مراد خان الرابع على يد صاحب الفتوى سيد محمد أفندى الأنقروى الذى كان فى ذلك الوقت قاضى مكة المكرمة والذى رقى إلى مقام المشيخة الإسلامية فى سنة ١٠٩٧هـ، كما تم إجراء عين عرفات التى بدأت العمليات فيها فى عهد السلطان سليمان بن السلطان سليم خان الغازى وتمت فى عهد السلطان سليم الثانى على يد وعلم مفتى مكة الشافعى حسين بن أبى بكر الحسينى، ولا سيما تطهير مجرى عين عرفات الذى دام سبع عشرة سنة.

والذين تولوا نظارة عمليات التطهير قد توفوا الواحد تلو الآخر وقد أتم المشار إليه حسين أفندى أبو بكر ما لم يستطع إتمامه أسلافه فى ظرف سبعة عشر عامًا أتمها فى ظرف خمسة أشهر وبصورة وعلى هيئة كان يتمناها الجميع.

والتعميرات الكاملة للمسجد الحرام تمت فى ظرف أربع سنوات إذ كانت تحت نظارة المفتى المشار إليه.

وأراد أحمد أسعد أفندى ـ وقد تلقى الأمر السلطانى والإرادة السنية ـ أن يعمل بموجب النص الجليل ويجدد داخل حرم السعادة موضع المنازعة فيه،

وحتى ينفرد بذلك العمل عين سيد محمد أفندى من أفاضل علماء المدينة نائبًا له فى المحكمة الشرعية فاستدعى السادة الكرام والعلماء المشهورين والموظفين ذوى الاحترام للمدينة المنورة وعقد معهم اجتماعًا للمذاكرة والدراسة فى المكان الذى يطلق عليه الديار العشر والذى يقع فى الجهة القبلية من المسجد النبوى، وعرض جميع جهات العمل واستشارهم فيها، وبعد دراسة الخرائط التى وضعها أسلافه وتدقيق النظر فيها، قرر العمل بناء على قاعدة هدم الجهات التى يُراد تجديدها وإتمام العمل فيها ثم الانتقال إلى الجهة الأخرى وهدمها وتشييدها، وبدأ العمل من مؤخرة الحرم الشريف يعنى من النقطة التى كان محمد راشد أفندى قد اقترب من بدايتها داخل الحرم الشريف، كما أرى فى مسطح الرأس المضبوط فجدد تجديدًا متينا رصينًا مزينًا القباب التى بالقرب من باب السلام إلى المئذنة الرئيسية مع عقودها وبقية الجدار القبلى مع القبة العثمانية الجسيمة وقباب الروضة المطهرة مع القباب التى فى مواجهة قبر الرسول والقباب البالية الأخرى مع عقودها ومع مصاريفها وخلاصة القول كافة أسس أساطين وطاقات المسجد الشريف النبوى وقبابه المختلفة.

كما عَمَّر وقوى الحجرة المعطرة النبوية والمئذنة الرئيسية ومآذن باب السلام وباب الرحمة كلها وفق ما جاء فى فكر الأمر السلطانى وأحكامه وطبقًا لقرار مجلس الاستشارة، وهكذا أتم تعمير جميع جهات حرم السعادة كما سبق تعريفه على أحسن وجه وجعل جميع القباب الخشبية التى شيدها من الحجر وبهذا قد حظى بشكل وثناء أهالى الحرمين المحترمين، شكر الله سعيه.

كان شيخ الحرم النبوى فى عهد أحمد أسعد أفندى شيخ الوزراء المرحوم مصطفى باشا فى اسكودار وكان لمهارته فى فن العمارة وهمته وغيرته وجهوده فى استكمال أسباب إنشاءات المبانى المقدسة، ومساعى محافظ دار الهجرة من قدماء الرفقاء الكرام المرحوم خالد باشا ومعاونته وإقدام واستقامة رئيس مراجعى الأبنية العالية بدر الدين (!) ورئيس المهندسين الحاج محمود أفندى وسائر الموظفين، أكبر أثر فى تسهيل المهمة وسرعة إنجازها ومن ثمة فى إتمام إنشاءات حرم السعادة قبل الأوان بفترة.

وقد حُكَّ مذهبًا ليوضع فوق طاق باب السلام ذى الفيوضات منظومة تاريخية كما صنع طغراء غراء على أن توضع فوق المكان الخاص الذى هيئ فى وسط القباب المجيدية العالية التى تقع فى جهة من الساحة الرملية فى مؤخرة حرم السعادة، وقد أرسلت المنظومة التاريخية التى كتبها قاضى المدينة المنورة السابق يعقوب عاصم أفندى ليعرض على أعتاب السلطان بواسطة أحمد أسعد أفندى إلى شيخ الإسلام سعد الدين أفندى وأن تعاد إلى المدينة فى حالة نيلها القبول.

وقُدمَ ذلك التاريخ إلى السلطان حتى يلقى عليه نظرة، وإن كان قد وافق مزاج السلطان الفطرى إلا أن استخدام بعض التعبيرات التى توافق الصنعة الشعرية أراد السلطان ذو السمات الملائكية الذى يتوسل إلى روح محمد ـ عليه صلوات الأحد ـ فى كل أمور السلطنة وخصوصياته أن يحرر التاريخ الذى سيوضع فى داخل المسجد النبوى الشريف من الخيالات الشعرية وفى صنعة معبرة عن سليقة الإخلاص ولذا قال: «من أنا حتى أتجرأ على تعليق الطغراء داخل البناء المقدس الذى بناه سلطان الأنبياء ـ عليه أعظم التحايا ـ بذاته! فمن الأنسب أن يكتب فى المكان بدلا من التاريخ والطغراء حديث شريف مناسب لذلك المقام المقدس ويعلق هذا التاريخ بعد تصحيحه فوق كمر أحد أبواب حرم السعادة وهذا أنسب، وبعد أن يصحح زيور[1] أفندى هذا التاريخ فليرسل إلى المدينة المنورة باهرة الشرف»؛ وبناء على هذا الأمر السلطانى صحح ذلك التاريخ وأرسل إلى المدينة على أن يعلق فوق طاق أحد أبواب حرم السعادة، وأن يكتب على حجر التاريخ، الذى أرسله محمد راشد أفندى قديمًا ولم يَلْقَ قبولاً لدى السلطان، الخبر الصحيح: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»، وأن يكتب مكان الطغراء عبارة «قال النبى عليه السلام» وبما أن هذا الأمر السلطانى قد أبلغ إلى أمانة المبانى العالية قد وقر وفخم ذلك المقام ووُجِدَ الاحترام للأمر السلطانى ووضعت الطغراء الغراء المجيدية فوق طاق باب السلام مذهبة حيث زينته.

(١) هو من مشاهير الشعراء، تولى منصب وزارة الأوقاف لمدة طويلة وتولى منصب مشيخة الحرم مؤخراً.

وبعد أن جدد وعمر وشيد وأصلح جميع القباب والأساطين الكائنة فى مؤخرة حرم السعادة أو فى داخله كما عرف آنفًا، وحتى يقووا ويدعموا أساس القبة الخضراء المرتفعة التى فوق الحجرة بنوا جداراً لصق أسس شبكة الحجرة المعطرة وبإقامة بعض العقود فوق هذا الجدار دعموا القبة الخضراء الشريفة وحافظوا عليها فى صورة متينة.

وإن كانت تلك القبة اللطيفة عمرت فى عهد السلطان محمود خان الثانى إلا أن جهة من عقود القباب الجديدة التى ستؤسس فوق جدران القبة الخضراء أدرك لدى الكشف عليها أن هذه الجدران ليست متينة بدرجة تتحمل العقود الجديدة ومن هنا قرر تدعيم قواعد الجدار العتيق، وبناء على هذا القرار حفر حول الشبكة الشريفة أساسًا عميقًا قدر ستة أذرع وجدد أساس الجدار الذى صنع فى عهد السلطان محمود فأسس وطرح أسس الجدار الجديد مطابقًا لهذا الأساس الغير قابل للاندراس.

فالقبة اللطيفة التى عمرت فى عهد السلطان محمود خان العدلى قد حفرت قاعدة أساسها إلى أن ظهر تراب سليم، والحجارة التى وضعت كأساس كانت فى غاية الصلابة والإحكام وفوق ذلك قد ربطت بعضها ببعض بقيود من حديد ورصاص مذاب، وإن كان هذا الأمر تبين عند المعاينة.

ولكن حتى توضع عقود ما اقتضى تجديده من القبة العالية وحتى تقوى وتحكم الجوانب الأربعة للقبة الخضراء درجة أخرى رئى أن يُبْقَى على الجدار الذى بنى فى عهد السلطان محمود خان حول الحجرة المعطرة وأن يبنى حول هذا الجدار جدار آخر وتوضع عليه عقود القباب الجديدة فوق الجدار الجديد، وبهذه الطريقة قد رصنت سواء أكانت القبة الخضراء أو القباب الأخرى العالية فوق المطلوب، وبناء على هذا التعريف يقتضى أن يرى الجداران المحدثان من الخارج إلا أن شبكة السعادة العارضة تحيط سواء أكان بالجدارين اللذين بنيا فى عهد السلطان محمود أو الجدارين اللذين بنيا فى عهد السلطان عبد المجيد، وبما أن

شبكة الحجرة المعطرة اللطيفة كما سبق تعريفها ظلت بين القواعد والدعامات التى أنشئت لتشييد القبة الخضراء ولأجل ذلك فرؤية هذه الجدران غير ممكنة.

وبناء على ما فُهِمَ من هذا التفصيل فالقبة الخضراء التى تشاهد من خارج المسجد الشريف هى تلك القبة التى تطلق عليها القبة الخضراء فهى قبة خضراء كبيرة فوق قبة الحجرة التى تقع فوق مربع قبر السعادة، وكما سيبين فيما بعد أن القفص المصنوع من السلك الذى يغطى المربع المقدس تحته قبة صغيرة وهذه القبة فوق مرقد السعادة وتعرف باسم قبة الحجرة.

وكان داخل الجدران الأربعة المتصلة والذى يقال له مربع القبر الشريف كان فى الأصل دار أمنا السيدة عائشة - رضى الله عنها - فنعوش صاحب الشريعة - عليه أكمل التحية - وأبو بكر الصديق وعمر الفاروق - رضى الله عنهما - مدفونة فى داخل هذا المكان السعيد.

قد زينت الأطراف الأربعة لمربع القبر الشريف بالأغطية الغالية التى أرسلها السلاطين العثمانيون خاصة للحجرة المعطرة، لهذا ليس هناك من رأى ظهر مربع قبر السعادة فى الأزمنة القريبة، ويرددون أن هذا المحل مستور بقفص مصنوع من الأسلاك وظهر هذا القفص الجهة الداخلية للقبة الخضراء التى ذكرت، ويدخل شعاع الشمس من نافذة قبة النور التى تقع فى الناحية القبلية من هذه القبة، فينير سواء أكان داخل مربع القبر الشريف أو جدرانه وما بين القفص الذى يطلق عليه شبكة السعادة.

ليس فى زماننا من رأى داخل مربع قبر السعادة، يعنى داخل الجدار الذى يحيط بأطراف القبور الثلاثة، وإن كان للمربع المقدس فى جهة السعادة نافذة صغيرة، ومن الواضح أن من ينظرون من هذه النافذة الصغيرة يستطيعون أن يروا داخل مربع القبر الشريف إلا أن من رعاية شروط الأدب عدم النظر إلى داخل المربع ولأجل ذلك لا يمكنهم أن يجيلوا أنظارهم فى داخل المربع، ويجرى

أهالى المدينة رسم الولادة كما عرف فى الصورة الثالثة من الوجهة الثالثة، بأن يلقوا أولادهم حديثى العهد فى داخل هذه النافذة.

كان قد أخرجت خلال سنة ٥٥٤ من داخل مربع قبر السعادة جيفة هرة متعفنة، وبناء على الظن القوى أن تلك الهرة قد دخلت من تلك النافذة ولم تستطع الخروج فهلكت وتعفنت وحتى يزال أثر تعفن الجيفة الكريه قد ترك فى داخل المربع الشريف من تلك النافذة خشب شجرة الصندل الذى نقع بدهن الورد وهذه القصة تروى بين الأهالى بسند قريب من الصحة؛ حتى إن تعطير الحجرة المعطرة على هذا المنوال قد أخذ صفة العادة.

حتى إنهم فى زماننا - كما سبق تعريفه فى المكان الخاص - يعطرون نشارة كافية من شجرة الصندل بدهن الورد ويلقونها فى يوم معين داخل مربع قبر السعادة من تلك النافذة، وبعد سنة يستردون القديم ويضعون الجديد ويقتسمون القديم فيما بينهم، ومع ذلك فسواء عند استرجاع نشارة الصندل أو إلقائها لا يدققون النظر إلى داخل حجرة السعادة، وهذه الشبكة أى القفص الحديدى الذى يحيط بمربع قبر السعادة من جوانبه الأربعة يطلق عليه شبكة السعادة، ويقال لداخل هذه الشبكة الحجرة المعطرة، وينال الزوار الكرام مرامهم بزيارة قبر السعادة من خارج هذه الشبكة(١).

بعض تفصيلات مهمة:

لما جاء الدور لتعمير قباب الروضة المطهرة صنعت ستارة خشبية عارضة فوق الأعمدة التى بين حدود الحجرة المعطرة والروضة المطهرة حتى لا يسقط تراب ولا تقع حالات تؤدى إلى عدم الرعاية والاحترام، ولم يحدث أن هتك العمال الذين يشتغلون فى هذا المكان ستارة الاحترام والأدب، فيعمل العمال فوق الستارة الممدودة بكل وقار وهدوء وينهمك العباد الذين فى داخل الروضة المطهرة فى

(١) وإن كان الزوار المتصفون بالجراءة يزورون الحجرة بالواسطة من داخلها إلا أن زيارتها من الخارج أولى تأدبًا.

عبادتهم وطاعتهم دون إحداث ضجة حتى الهمسة ما كانت تسمع حتى يظن أن فوق الستارة الخشبية لا يوجد عمال يعملون، ابتداء من الأعمدة التى فى الصف الثالث التى توجد فى الحدود الأصلية لمسجد النبى من ناحية الشام إلى أسطوانة الوفود، وفى الجهة الغربية من المسجد الثانية من المنبر النبوى وباعتبار ما بين الأسطوانتين الواقعتين فى جهة الجنوب ومن الجدار القبلى.

وسواء هاتين الأسطوانتين أو الأساطين الشريفة الأخرى إلى أنصافها كانت مزينة بألوان بيضاء وحمراء ومحلاة بذهب خالص ومذهبة وكانت هذه من آثار السلطان سليم بن السلطان عبد الحميد خان المبرورة قد أبقيتْ كما هى وغيرت زخارفها، ومن تلك الأساطين ماتكسّرت قطع رخامها بشكل لا يمكن ترميمها وقد صنعت جيداً وحتى يعرف أنها كانت مرممة كالأساطين الأخرى قد نقشت عليها رسوم الرخام باللون الأبيض والأحمر، وشبهت بالأخرى وجميع الأعمدة التى فى الجهة الشرقية من الأعمدة الملاصقة لشبكة المنبر المنير وتحت المنبر الشريف المذكور بنى هذه الأساطين إلى السقوف التى أمام الروضة المطهرة كلها وقد جددت قطع رخامها، ولكن قطع رخام الأعمدة التى بين مواجهة السعادة وحول الحجرة اللطيفة لم تغير، على أنها علامة لازمة لحدود الروضة المطهرة من الجهة الشمالية، وأصلح ورمم بعض أماكنها، وبهذا قد حفظ حكم الحديث الشريف الذى يقول: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» والأسطوانات التى سطرت عليها قصيدة السلطان سليم بن عبد الحميد خان والتى سبق ذكرها فى موضوع الأساطين كانت ضمن الأساطين المذكورة التى بقيت كلها على حالاتها القديمة وغيرت زخارفها وخطوطها فقط.

وبينما كان يحفر أسس أسطوانة السرير فى محاذاة رأس السعادة وأسطوانة التوبة ظهر ماء عذب لطيف، ولما كان لهذا الماء رائحة طيبة أخذ منه أكثر الأهالى وتبركوا به وأرسلوا منه إلى أهالى البلاد الأخرى، قد انهمك الأهالى بتدبير

الأوانى والزوارق لأخذ الماء ولما وصل صياحهم إلى قدر هتك ستارة الأدب فألقى الأساس رأسًا حُفِظَتْ حرمة المسجد.

وبينما كانت أسس هذه الأسطوانات والأسطوانات الأخرى تحفر وتفتح نُثِرَ البخور، وأحرقت أقراص الطيب وأنواع أخرى من الطيب، فى نقط وضع الأساطين، وحينما كان يحفر أساس الأسطوانة التى فى ركن الجهة الغربية القبلية للشبكة التى تحيط بالحجرة المعطرة ظهرت بئر تنزل إليها بسلم ذات تسع درجات وكان ارتفاع وعرض كل درجة شبرًا واحدًا، وكان وليد بن عبد الملك قد حفرها للسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضى الله عنها - فى دار عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - ويلزم أن تكون هذه البئر مخرج الطريق الذى سده موظفو السلطان قايتباى حتى يمنعوا اختلاط الرجال بالنساء، وكان عمر بن عبدا لعزيز قد أخذ بأمر الوليد بن عبد الملك دار أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - التى كانت فى الجهة القبلية من دار عائشة - رضى الله عنها - وأعطى لها فيما بعد فى مقابلها الدار التى يطلق عليها دار عمر بن عبد الله(١).

وكان قد فتح لهذه الدار طريقًا إلى مسجد النبى، ظل ذلك الطريق مفتوحًا إلى الوقت الذى زار فيه الخليفة المهدى المدينة المنورة ولكن موظفى الحكومة لم يستصوبوا ذهاب المهدى من هذا الطريق إلى مسجد السعادة لأسباب خفية، فسدوا الباب الذى يؤدى إلى المسجد، وفتحوا طريقًا من دار عبد الله بن عمر من تحت الأرض حتى شبكة السعادة حتى يدخل المهدى فى داخل المقصورة دون أن يراه أحد، وهذا هو الطريق الذى نتحدث عنه، وقد ذهب المؤرخون إلى أن فى مخرج الطريق الذى فتح ثلاث درجات وأطالوا فى تعريف هذا الموضوع.

ولما كان عدد الدرجات التى ظهرت تسع كما حرر من قبل فيصل خطأ رأى

(١) وسبب تسمية هذه الدار بدار عبد الله بن عمر انتقالها من السيدة حفصة إلى عبد الله بن عمر والدار المسعودة المعروفة اليوم بديار عشرة أقيمت على أرض تلك الدار.

المؤرخين إلى درجة الثبوت، حتى إن مقدار ذراع ونصف ذراع من مخرج الطريق الذى ظهر مليًا، ولما كان محتملاً أن يكون فى هذا المكان ثلاث أو أربع درجات يقتضى أن يكون مخرج ذلك الطريق ثلاث عشرة درجة، وبعد زيارة الخليفة المهدى بعدة عصور أصبحت زيارة حجرة السعادة بهذه الطريقة عادة، ولكن فيما بعد حدثت أشياء منكرة ولم تراع الأدب والحرمة فسد باب المخرج الذى فى داخل شبكة السعادة فى سنة ٨٨٤ وهكذا أنهيت تلك الأحوال المنكرة.

بينما كانت نوافذ الجدار القبلى لقبة المحراب العثمانى تجدد على حالتها القديمة أضيف عقد كبير لتدعيمه وجددت الأعمدة التى تحمل القبة بحجر أحمر ووسعت الجهة العليا من القبة وفتح على أطرافها صفان من النوافذ إحداها فوق الأخرى، وجعلوا أعالى النوافذ مقوسة فظهرت على شكل فى غاية الحسن والجمال، وحتى يقووا ويدعموا القبة التى فوق مواجهة السعادة ركزوا فى الجهة الشرقية من القبة العثمانية أسطوانتين كبيرتين مصنوعتين من الحجر الأحمر مثل الأساطين الموجودة حول الحجرة المعطرة، والقبة العثمانية الجميلة أكبر وأوسع وأكثر زينة من جميع قباب مسجد السعادة ما عدا القبة الكبيرة الخضراء التى تعلو على القبة الصغيرة التى فوق الحجرة المعطرة وقد أسست أول مرة فى عهد السلطان قايتباى عقب الحريق الثانى، وإن كان رمم وأصلح بعض جهاتها فى عهد السلطان محمد بن إبراهيم خان ـ عليهما الرحمة والغفران ـ ولكنها سقطت فى سنة ١١٤٧ وانهارت فجددت فى عصر السلطان محمد بن مصطفى بن السلطان محمد خان سنة ١١٤٨ لعدم حرمان هذا المكان من جماعة الصف الأول، بدون أن يركز أعمدة فى الجهة القبلية من الجدار مكتفيًا بالعقود الملقاة على الجدار المذكور.

وقد خالف محمد راشد أفندى آمال الأهالى وأفكارهم حيث ركز أربعة أعمدة بجانب باب السلام، وبما أن نقاط هذه الأعمدة قد حرمت من شرف أداء الصلاة

فيها طلب إزالتها، ولكن رفع هذه الأعمدة وإزالتها كانت تحتاج لنفقات كبيرة وهذا العمل سيؤدى إلى إضرار خزانة الدولة كما أنها لو أبقيت لن تصيب زينة المبانى المقدسة ورزانتها بعيب أو نقص فلم يمسوها، كما أبقت هيئة الشورى الأسطوانة التى تكون فى الجهة اليسرى للصاعدين على المئذنة الرئيسية، على أنها من جملة الأساطين القديمة مع أن رفع هذه الأسطوانة كان أولى. انتهى.

وبعد ما تمت عمليات الأبنية العالية بكل مشتملاتها ومتفرعاتها، كتبت جميع الكتابات التى كانت فوق طلاء داخل القباب وداخل الجدار القبلى باهر الأنوار كما سبق ذكره فى مكانه، وزُيِّنَ ذلك المقام العالى مرة أخرى، وكانت الخطوط المنقوشة من آثار قلم زهدى أفندى[1] من سلالة تميم الدارى - رضى الله عنه - من صحابة النبى ﷺ ومن تلاميذ رئيس العلماء الحاج مصطفى عزت المشهورين، وهى آثار لم يشهد لها مثيل.

وأراد السلطان الغازى عبد المجيد خان أن يحتفظ بصورة مصغرة لما كتب لهيئة مسجد النبى القديمة فى جامع خرقة السعادة، لذلك أمر بصنع هيكل مجسم لمسجد النبى حينما أمر بتجديده، وقد عهد بهذا الأمر واجب الامتثال وإجراء مضمونه إلى البكباشى الرسام الحاج عزت[2] أفندى من أعضاء مدرسة الهندسة البحرية السلطانية.

كما وجه إليه هندسة المبانى المقدسة العالية وأرسل إلى المدينة المنورة.

وعندما وصل عزت أفندى إلى المدينة المنورة دار السكينة قاس مساحة الحجرة المعطرة إلى أن وصل إلى جدار الضريح من الداخل والخارج أو حرم السعادة بدقة شديدة وبعد ذلك صنع تمثالاً هيكليًا من الخشب وأرسله إلى باب السعادة سنة ١٢٦٨، وقد نال ذلك الهيكل القبول الحسن وحسن التقدير وبناء على الأمر

(١) استطاع زهدى أفندى كتابة هذه الخطوط خلال ثلاثة أشهر.

(٢) عزت أفندى أخو القائم مقام شكرى بك مدرس رسم بمدرسة البحرية السلطانية.

السلطانى نقل إلى جامع خرقة السعادة بجانب جامع على باشا القديم، ووضع فى مقصورة المؤذنين ومازال محفوظًا فى صندوق زجاجى.

وذلك المعبد من جملة الخيرات الجليلة للسلطان المذكور المشار إليه، وكان ذلك الهيكل نفس المسجد النبوى الذى يخدمه الملائكة بشكله القديم، وكانت مساحته الطولية جزءا من خمسين جزء منه[1]، ويروى أن نحته الخشبى قد صنع من قبل الحافظ الحاج على[2] أفندى الذى وجد فى قطعة الحجاز المقدسة سنة ١٢٦٧هـ وهو صاحب ألف فن.

ولما كان هذا التمثال يشبه أصله مشابهة تامة نوصى أصحاب الإخلاص والمحبة برؤيته فالنظر إليه ومشاهدته يشبهان زيارة مسجد المدينة الشريف، وفى هذا النموذج بناء على ما تم عده وبناء على قيده وكتابته فى التواريخ القديمة (٣٠) قبة فى الجهة الغربية و (٢٢) فى الشمال و (٦٨) فى الشرق (٣٤) فى الجهة الجنوبية و (٥٩) فى الجهة الغربية من الحجرة المعطرة وكانت جميع قباب مسجد السعادة قبل تجديده (٢١٣) قبة متناسقة، وقد صنع (١٨٣) قبة فى سنة ٨٦٨هـ من قبل السلطان قايتباى المصرى، كما أن (٤٩) قبة منها صنعت من قبل السلطان مراد خان الرابع، وقد زين السلطان قايتباى مبانى المسجد النبوى الشريف من جهاته الأربعة دائرًا ما دار بالقباب المنيرة والسقف الملاصق للقباب سالفة الذكر والقباب التى فى مؤخرة حرم السعادة رعاية للهيئة القديمة الأصلية مكشوفًا وفرشه بالرمل الأحمر، ولما احتاج السقف الذى أنشأه السلطان قايتباى فى عهد السلطان مراد خان الرابع إلى التعمير هدم هذا السقف واستصوب تحويله إلى قباب كسائر الجهات، ودُرِسَتْ الكيفية فى الاجتماع الذى عقد من علماء المدينة وأصبحت موضع البحث وقرر تجديد النصف الشامى من ذلك السقف على حاله

(١) لما كان هذا الجزء بمقياس الذراع المعمارى فإن الذراع الواحد من التمثال الهيكل يساوى ثلاثة وخمسين ذراعًا من سطح المسجد النبوى اللطيف.

(٢) كان هذا الشخص من خدمة السلطان محمود خان الثانى وأحيل إلى التقاعد لكبر سنه فى فترة ما، وبعد ذلك عين معلمًا فى المدرسة التى أنشأها مصطفى أفندى قريبًا من شهر أمين مضافة إلى حى يايلاق بجانب جامع إبراهيم جاوش، ومازال موجودا وليس له مثيل فى فن النحت الخشبى.

وتحويل النصف الثانى من القبلى إلى القباب لما فى ذلك من محسنات، وقد عرضت المذاكرات السابقة على مقام الخلافة وقد وافق العرض للأفكار السلطانية وأرسل مع الموظف إلى المدينة عددًا من العمال المهرة حيث يتم إجراء الأمور على وجه السرعة فهدمت السقوف المذكورة وبني على النصف القبلى ثلاثين عددًا من القباب العالية وعلى النصف الثانى من الشامى وهى الجهة الرملية، بنى سقفا جديدا لطيفًا.

وكانت السقوف التى صنعت فى عهد السلطان مراد الرابع (١٩٥) والمساحة الرملية التى تركت مكشوفة فى عهد السلطان قايتباى المصرى (٣٨٢٥) ذراعًا معماريا مربعًا، وبناء على هذا الحساب أن غير (٤٠٢٠) ذراعًا معماريًا من الساحات قد أخذت كلها تحت السقوف والقباب، بالقرب إلى سنة ١٢٧٧هـ قد أمر السلطان عبد المجيد خان بأن تحول السقوف والقباب التى صنعت فى عهد السلطان مراد خان إلى أبنية حجرية وتشيد وتقوى المبانى المقدسة فى صورة لائقة كما أرى فى خريطة تجديد حرم السعادة وهيئته القديمة، وبناء على ما جاء فى خريطة هدم السقف سالف البيان بنى مكانه تسع عشرة قبة لطيفة إحداها أبيض اللون وكبيرة وثمان وعشرين منها مستديرة وأصغر من الأولى وحوّل جميع القباب الأخرى إلى بناء حجرى وبذل جهودًا جبارة لتشيد مبانى حرم السعادة على الوجه المطلوب، وبلغ عدد قباب المسجد النبوى إلى (٢٤٢) قبة وعدد أساطين المسجد إلى (٤٢٣) أسطوانة مع أساطين مؤخرة حرم السعادة، إذ كان داخل حرم السعادة وخارجه (٤٢٣) عمود وكان (٣١٣) منها غير قابل للاستخدام وفى حاجة قصوى إلى التعمير بعد هدمها، وقد هدم منها مائة وعشر أعمدة وجددت وعمر (٣١٣) منها وشيدت، وقد رصنت جميع الجهات الأربعة للجدران والأساطين والقباب العالية بأحجار منحوتة، وأمن جميع جهاته قبل أن يتطرق إليها الخطأ والخلل وكذلك جميع مشتملاته وفروعه.

ألا فليحفظه الله من جميع الآفات السماوية والأرضية، وقد عمر مسجد

السعادة بطريقة متينة، لم تَبْقَ جميع جهاته بدون تعمير عدة قرون فلن يتعرض للمخاطر.

وسيظل مصونا بدون شك حتى إذا قضى الموجودون من الفرقة المنجية الإسلامية عمرهم كله تاركين أعمالهم، الشكر والثناء على ما قام به السلطان عبد المجيد خان من الخدمات ما أوفوا بحقه.

وما أعظم الخدمات التى أسداها هذا السلطان للمسجد النبوى الشريف وما أعظم ما أنفقه من النقود، فما بذله من السعى والجهد إلى أيامنا هذه يفوق بكثير ما بذله ملوك بنى أمية.

وعندما تمت عمليات أبنية السعادة وأصبحت رهن الختام فى سنة ١٢٧٧هـ فى أواخر ربيع الأول ولم يبق إلا أشياء صغيرة تافهة، وأماكن محدودة للمفتين والمجاورين أولم أحمد أسعد أفندى وليمة للأهالى فى الجبل الأحمر، وكانت وليمة عظيمة حضرها موظفو الحكومة وأكابر البلاد والعلماء والأغنياء ومالا يحصى من الفقراء والمساكين، وتليت منقبة مولد السعادة وعلق على المحجر لوحة كتبت عليها عبارة: «قد أخرج من هنا الأحجار التى احتيج إليها لتجديد حرم السعادة.

وقد وقع تحت النظر فى دفتر إجمال النفقات أنه قد أنفق لتعميرات الأبنية العالية والإنشاءات الجليلة سبعمائة ألف قطعة من الذهب المجيدى وكل قطعة تساوى مائة قرش ومائة وأربعين ألفا من الصرر والدراهم، كما أن ما أرسل من باب السعادة من الألواح الخشبية والحديد والقصدير، والنحاس وأشياء ثقيلة أخرى كان خارج هذا الحساب، وقد استخدم فى العمل يوميا ثلاثة وخمسين عاملا ما عدا الموظفين والكتبة والمهندسين والمباشرين، وهذا التوفيق الخارق للعادة من آثار والد السلطان الكثير المحامد السلطان عبد المجيد خان المشكورة والجميلة.

ومازال أهالى البلاد الحجازية يقدسون روح السلطان المشار إليه ويعرضون

شكرهم وثناءهم عليه فى كل آن وساعة كما أنهم يذكرون بكل خير عرياني زاده أحمد أسعد أفندى الذى بذل جهودًا مشكورة فى سرعة إنجاز عمليات الإنشاء والتعمير.

ولم يقتنع السلطان عبد المجيد خان بتوفيقه فى إحياء وتعمير حرم السعادة، فقد هدم مدرسة بشير أغا التى أشرفت على الخراب من أساسها بنى مكانها سبيلاً فى سنة ١٢٦٢هـ، كما طهر البالوعات التى حول حرم السعادة وأصلح الأرصفة ونظفها فأنقذ أطراف المسجد الأربعة من القذارة والتعفن وأرسل مقدارًا كافيًا من السجاجيد لفرشها فى حرم السعادة وأرسل قطعتين من الشمعدانات الكبيرة فى ناحية المحراب العثمانى وأضاء تلك النواحى السعيدة مثل جهات المسجد الأخرى، وقد كانت جهات المحراب العثمانى فى تلك الأوقات خالية من الشمعدانات وكانت جماعات المسلمين من قبل يؤدون صلواتهم فى الظلام.

وبناء على ما كتب فى مرآة مكة، قد عمر السلطان عبد المجيد وجدد سور مقبرة المعلا، والأساطين التى أشرفت على الخراب فى المسجد الحرام، وجدار الحطيم الشريف ومسجد الخيف ومسجد الطائف ومرقد الطاهر ابن الرسول، ومحمد بن الحنفية ابن حيدر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم، ومولد الصديق الأكبر ومولد على بن أبى طالب ودار مولد النبى السعيدة ودار الخيزران ومولد حمزة وبركة اليمانى ومرقد الشيخ محمود، وقباب مقبرة الشهداء ومذبح إسماعيل وضريح ميمونة رضى الله عنها.

للأمر السلطاني الذي صدر متضمنًا كيفية إعمار الأبنية العالية

إلى الدستور المكرم، والمشير المفخم، نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ومتم مهام الأنام بالرأى الصائب، ممهد بنيان الدولة والإقبال، مشيد أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملأ الأعلى، من مشيرى الجنود النظامية السلطانية شيخ الحرم النبوى الحائز على الوسام المجيدى السلطانى من الطبقة الأولى وزيرى طوسون باشا ـ أدام الله تعالى إجلاله.

وإلى المختص بمزيد عناية الملك الدائم، من رجال دولتى المتميزين ومدير المدينة المنورة والحائز الوسام المذكور من الدرجة الثانية وحامله، وفخر الأمراء الكرام، معتمد الكبراء الفخام، ذو القدر والاحترام، صاحب العزة والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى، من كرام أمير أمرائى موظف الأبنية العالية أدهم باشا، دام إقباله.

وإلى أقضى قضاة المسلمين والى ولاة الموحدين، معدن الفضل واليقين، رافع الأعلام الشريفة والدين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، المختص بمزيد عناية الملك المعين، مولانا قاضى المدينة المنورة ـ زيدت فضائله ـ.

فليكن فى علمكم عندما يصل فرمانى الرفيع الشأن، أن الحاج محمد راشد ـ دام علوه ـ وهو من أعضاء دار الشورى العسكريين ومن رجال دولتى الممتازين، افتخار الأعالى والأعاظم كان قد أرسل إلى المدينة المنورة بمهمة تفتيش وتحقيق التعميرات التى تجرى فى ممسح جباه الموحدين الحرم النبوى الشريف فعاد من هناك بمعلومات جديدة وآراء محلية ومضابط وخرائط والأوراق الأخرى فمن مقتضى الأمر الملكى أن يدرس هذا الموضوع بناء على ما استجد من المعلومات

وليدرس ويذاكر فى مجلس خاص للوزراء علما بأن هذه التعميرات الجليلة تنقسم إلى قسمين:

الأول: مؤخرة الحرم الشريف ومتفرعاته.

الثاني: تعمير مشتملات داخل الحرم الشريف.

وبما أن كيفية تجديد مؤخرة حرم السعادة وتعميره قررت حتى إن أكثر عملياته قد ختمت على أحسن وجه كما أكمل بعض مشتملاته وتفرعاته كما قرر بالاتفاق العام، فى محله أن تنشأ آثار قايتباى الملتصقة بآخر الحرم الشريف على الهيئة الجديدة إلى القباب التى أنشئت حديثًا فى محاذاة باب الرحمة.

والآن فموضوع البحث هى المسألة الثانية، قضية كيفية تعمير القباب والسقوف والأساطين التى تحمل تلك السقوف، وبناء على الكشف والتحقيقات فالسقوف المذكورة مصنوعة من الخشب والأساطين التى تحتها صنعت من حجارة صغيرة أخذت فى التفتت والتجرد فربطت بدعامات حديدية، وبعضها مال للانحراف فاتفق على لزوم تجديدها وتعميرها فى محلها وبناء على هذا الاتفاق حدث مسوغ شرعى، ولكن الجانب الجدير بالتدقيق فى هذ البحث والذى أدى إلى الاختلاف والنزاع فى محله مسألة تغير هيئتها القديمة أو عدم تغيرها، والمهم أن يعرف لهذا الموضوع الحكم الشرعى الصحيح، وحتى ندقق النظر فيما أورد من الدلائل النقلية والعقلية بموجب الشرع الشريف وتعرف أهميتها للمصلحة العامة أمرت بتشكيل مجلس خاص يتكون من فحول العلماء وبعض الوزراء فى دار الإفتاء، وبعد معاينة الأوراق والمضابط والخريطة التى أرسلت من المدينة، وتدقيق النظر فيها كلها وصلوا إلى قرار وهو أنه يمكن تقليل عدد الأساطين وتغيير أماكنها وتعديلها لتوسيع أماكن الصلاة ولإحداث تناسق بين الأساطين وقدموا أدلتهم وحججهم وإن كانت كل هذه الأدلة لا بأس بها، وبهذا يمكن أن يوسع داخل الحرم الشريف لدرجة ما، ويتناسق مع مؤخرة الحرم الشريف الذى جدد على هيئة حديثة إلا أن هذه المواقع التى جددت فى مؤخرة حرم السعادة، كان تجديدها

مبنيًا على مسوغ شرعى صريح، إلا أن داخل الحرم الشريف لا يمكن مقارنته بمؤخرة الحرم، كما أن تعمير آثار قايتباى باتفاق وأجرى التجديد بناء على هذا بالاتفاق، وبما أن داخل الحرم الشريف الأصلى من الآثار القديمة الجليلة ويتشرف بهيئته القديمة، وإن مسألة التناسق والتناسب لن تكون لتحويل رسم وهيئة المسجد الحرام، ولما كان عدد الأساطين التى تحتاج إلى التعمير والترميم مائة وبضعة وأربعين، وأن ثمانٍ منها من الآثار النبوية لا يجوز تغييرها وتبديلها قطعيًا، كما أن الأساطين التى رُكزت فى داخل الحرم الشريف فى عهد أبى بكر الصديق وعمر الفاروق ـ رضى الله عنهما ـ زيدت باتفاق الصحابة فى توسيع المسجد فهى فى حكم الآثار، فمثل هذه الآثار التى وجدت باتفاق الصحابة والتى لم يسم أى جانب من جوانبها فلا يجوز تغيير هيئات أماكنها لمجرد التوسيع والتنسيق، وهذا من الأمور المسلمة، وفى هذه الحالة فالأسطوانات التى ستجدد على طراز حديث ستكون عرضة للتغير وللتبديل فهى الأساطين التى أضافها وأنشأها السلطان مراد خان والسلطان قايتباى وتترك الأساطين الأخرى، ومع تغيير هذه الأساطين وتحويل أماكنها فلن يحدث التناسق المنتظر.

ومع هذا فالقباب القديمة من آثار السلطان مراد قد وضعت فوق الأساطين التى كانت قائمة ولم يتصدً أحد، فى ذلك طالبا تغيير رسم وأماكن تلك الأساطين، والتوسيع المرغوب حدث منسوبًا إلى اسمى، وبإنشاء المواقع والقباب الجديدة حاليًا، وبناء على الأقوال الموثوقة وإن كان بين هذه الأساطين ما يحتاج للتجديد، ولكن بعض ما انحرف منها وبعض ما احتاج للتعمير الجزئى منها، فلا يلزم تجديدها فمثل تلك الأساطين ترمم وتسوى فى أماكنها على هيئاتها القائمة، بحيث تقوى على حمل القباب الحجرية التى ستوضع عليها، وبما أن الأساطين الموجودة فى المسجد مبنية بحجارة سوداء فمن المستحسن أن تنشأ ما يراد تجديدها من الحجارة السوداء حتى تشبهها، وعند تعمير الأساطين التى غلفت بقطع الرخام تغطى أيضًا بالرخام بعد تعميرها، ولما كان معظم قباب السلطان مراد سليمة والأساطين المحتاجة للتعمير لا تتجاوز ثمانية أساطين أو عشرة، ولما كانت

بعض أماكن المسجد النبوى قبابًا حجرية وكان أكبرها سقوفًا خشبية احتاجت إلى التعمير وستعمر على هيئة القباب الحجرية، وبهذا ستجنب المخاطر مثل الحرائق وغيرها، وعلى هذا لن يكون هناك أى مسوغ لتغيير أماكن هذه الأساطين أو تقليل عددها أو تغيير الآثار المباركة بها، وبناء على هذه التفْصيلات المشروحة رجح الرأى القائل بتجديد وتعمير ما فى داخل حرم السعادة فى مكانه وعلى هيئته وشكله القائمين، وعلى هذا تعين إجراء العمليات كما تبين من الواقع، ويشرع فى العمل من بين باب الرحمة وبين باب السلام ومن بين باب السلام إلى ما بين المئذنة الرئيسية، وبما أن المحراب العثمانى وسقوفه قد كشف أولاً فمن الأهمية تجديد القبة العثمانية، وإنشاء ما بين دكة الأغوات إلى باب الرحمة، وتعمير القباب الجديدة وتشييدها وإحكامها والأبنية العالية كذلك والتى تقرر إنشاءها بناء على المسوغ الشرعى وتوسيع الأماكن التى يمكن توسيعها والتى قد وضعت أسسها لن تخلو من الحسنات وإتمام بناء تلك الأماكن وفق كشوفها، وبما أن الجدار الكبير الذى يبدأ من المئذنة الرئيسية وينتهى عند باب السلام قد ظهر ميله وانحرافه فليزال ويجدد ويعمر على الوجه المطلوب، وبما أنه لا يجوز وضع الأنقاض المختلفة من عمليات التعمير والترميم والأحجار المكسرة التى سَتُخَلَّفُ من تعمير وتجديد الأساطين فى أماكن غير مناسبة فمن الأجدر أن تستخدم فى بناء الجدران العادية من الحرم الشريف أو فى مثل هذه الأشياء، ولما كانت حجارة المكان الذى بين شبكة السعادة والحجارة المفروشة، والستارة قد تزحزحت من أماكنها، يجب أن توضع فى أماكنها بدون إحداث أى تغير، وقد نبه مرارًا على ألا يرفع أحد صوته فى أثناء العمل وألا يأتى بحركة مخلة للآداب، وأن يظهر أقصى ما يمكن للإنسان أن يقوم به من توقير وحرمة للمكان، وقد جاء ذكر كل هذه الأشياء فى المجلس الخاص وقيدت فى مضبطة.

ولما كانت هذه التعليمات الشرعية الدقيقة التى بحثت ستؤدى فى الآخر إلى عدم تغيير ما لا يراد تغيير هيئته الحالية من جهة وأن تتحقق قضية المتانة والرصانة

من جهة أخرى، يجب أن تنفذ العملية وفقًا لما سبق شرحه وذكره، وأن تحفظ الأشياء التى ستصرف للأبنية العالية من التلف والسرقات، وأن يراعى حسن معاملة العمال المستخدمين، وأن تشكل هيئة مؤقتة من الموظفين الموجودين والمهندسين ورؤساء الحجارين للإشراف على أمور الإنشاء والتعمير.

وقد تقرر فى مجلس الوزراء الخاص أن يعمل أعضاء تلك اللجنة المكونة وفقًا لما جاء في اللائحة التنظيمية لسير العمل، وعرض هذا الأمر على ذاتى السلطانية بعد الاستئذان، فتعلقت إرادتى السلطانية على أن ينفذ ما جاء فى قرار مجلس الوزراء الخاص وصدر أمرى هذا إعلامًا وتنبيها وتقييدا من ديوانى السلطانى وقد ذيلت اللائحة المنظمة بختم أعضاء المجلس الأعلى، وصدق من مقام الصدارة العظمى، ثم أرسلت فرمان بأمرى السلطانى.

والآن وأنتم شيخ الحرم ومدير المبانى العالية وموظفىَّ الذين أثق فيهم فلتعلموا، أن كل أملى وأقصى مناى أن تعملوا على إتمام بناء ذلك المكان المبارك السامى رصينا متينا واسعا! بحيث يسر الروح النبوى، ولن يتحقق هذا إلا باتباع ما جاء فى فرمانى هذا وألا تجيزوا أبدًا تغيير هيئات الأساطين أو تبديل أماكنها لأن هيئتها وأشكالها القديمة مما يتشرف بها، وأن يبذل كل مافى طاقة الإنسان من إظهار الاحترام والتوقير لإسعاد روح النبى ﷺ وأن تعملوا على إجراء التعميرات وفق القرار الذى ذكر عاليه، وأن تحرص أن تتحرك وفق ما جاء فى اللائحة التنظيمية وأن تتجنب وتتقى العمل خلاف القرار مغيرًا لأحكام اللائحة التنظيمية، لأن المخالفة ستؤدى إلى عدم رضا الله وإلى عدم إسعاد روح النبى ﷺ فضلاً عن المسئولية والندامة فى الدنيا والآخرة وسيخالف رضاى السلطانى من جميع الوجوه، وعدم إظهار أى نوع من التكاسل والتراخى فى هذا الخصوص من مقتضى إرادتى الملكية القاطعة فأعد نفسك وفق ما جاء فى هذا الأمر واعمل على إتمام تعميرات هذا المكان الجليل بكل ما فى طاقتك من جهد وبذل وسعى، فليكن هذا فى علمكم، واعتمدوا على علامتى الشريفة.

تحريرًا فى أوائل ذى الحجة الشريفة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف سنة (١٢٧٣).

للفرمان العالى الذى صدر إلى عريانى زاده أحمد سعد بن محمد أفندى بخصوص تعيينه لمأمورية الأبنية العالية

إلى الدستور المكرم، المشير المفخم، نظام العالم، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متمم مهام الأنام بالرأى الصائب، ممهد بنيان الدولة والإقبال، مشيد أركان السعادة والجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى، والحائز على وسامى المجيدى السلطانى من الدرجة الأولى والحامل حاليًا لقب شيخ الحرم النبوى وزيرى المحب مصطفى[1] باشا أدام الله تعالى إجلاله، وإلى أولى ولاة الموحدين، معدن الفضل واليقين، رافع أعلام الشريعة والدين، وارث علوم الأنبياء والدين، المختص بعناية الملك المعين، وهو قاضى المدينة المنورة حاليًا، مولانا أسعد - زيدت فضائله - والذى عهد إليه فى هذه المرة مهمة إدارة مبانى الحرم النبوى العالية، فليكن فى علمكم عندما يصل فرمانى بتوقيعى السلطانى الرفيع، قد مات عمر جمال موظف الأبنية العالية للحرم النبوى توأم الجنة ولزم تعيين من يناسب فى مكانه، وأنتم ذلك الشخص المناسب بما اتصف به من العفة والاستقامة والحكمة وبعد النظر وقد رئى تعيينك لوظيفة مأمورية الأبنية المباركة.

وبناء على ثقتى فيك واعتمادى على أمانتك قد صدر أمرى أن تظل فى المدينة المنورة حتى تكمل تعمير وتجديد الأبنية العالية بعد أن تنتهى مدة مهمتك الأولى، وعليك أن تعمل بموجب هذا الأمر وأن تكمل تعمير الأبنية العالية وتجديدها على هيئة تسعد روح النبى ﷺ وهذا هو الغاية ألزم بها ذاتى السلطانى، وفى هذا الخصوص أن ترسلوا سريعًا بموجب الكتابات التى أرسلت لكم من وزارة المالية

(١) إن هذا الشخص يعرف بـ «اسكودارى» وقد أبلى بلاء حسنًا فى تجديد الأبنية الشريفة.

حساب النفقات التى صرفت سواء أكان من قبل الموظفين المستقلين أو القائم مقامهم أو كلاهما وما استلموه مما أرسلت لهم الدولة، والاطلاع على هذه الحسابات المستقلة والدفاتر اللازمة الموضحة لتلك الحسابات، وأن يعامل المستخدمون من العمال بطريقة حسنة وأن يعطوا رواتبهم فى وقتها، وأن يعملوا بكل خضوع وخشوع وأن يلزموا جانب الأدب والتعظيم والتوقير، وأن يؤدوا صلاتى الظهر والعصر مع الجماعة وألا يلجئوا إلى طرق ملتوية للتنصل من العمل، وعليك ألا تهمل ما يجب إتمامه من الأعمال المهمة حتى لا يتعطل العمل، وأن تبذل كل جهدك بما عرف عنك من إخلاص فى العمل والحرص عليه، وأن تعنى بأداء مهام وظيفتك متفقًا مع شيخ الحرم المشار إليه، وأن تحقق ما تنتظره منك ذاتى الملكية من المآثر العظيمة والفطانة، وأن تبذل أقصى طاقتك، وعندما تجزم بمضمون أمرى الشريف وأنت ذلك الشيخ المحترم للحرم الشريف عليك أن تنفذ إرادتى السنية الملكية ضاما جهودك مع الآخرين موحدين طاقاتكم وقد صدر أمرى هذا فليكن ذلك فى علمكم، اعتمدوا على علامتى الخاصة.

حرر فى اليوم الخامس عشر من شهر صفر الخير سنة ست وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٦) هـ.

نريد أن نعقد هنا مقارنة فكرية بين الملوك العثمانيين وأسلافهم من الملوك من حيث نيتهم وأعمالهم متخذين ما أدوه من خدمات للحرمين الشريفين دليلاً لذلك، وقد ثبت لدى نظر التاريخ أن أكثر من خدم الحرمين الشريفين هم: أمراء بنى أمية وخلفاء بغداد، وملوك الشراكسة، وإن كانت خدمات هؤلاء لا تقارن بالخدمات المشكورة التى أداها السلاطين العثمانيون محبو الخير والبر، لو لم تكن خدمات هؤلاء تنطوى على أغراض نفسيه لكانت خدماتهم أيضا موضع الشكر والثناء، ولكن لأشد الأسف ما أدوه من خدمات لم تساو شيئًا لأنهم أخافوا أهل الحرمين وروعوهم، وربما يكونوا قد خدموا الحرمين رئاء الناس، وكان وليد بن عبد الملك أكثر بنى أمية خدمة لآثار الحرمين الجليلين، ولما كان فكره غير صائب ونيته غير خالصة فإن كل ما أنفقه من النقود فى هذا السبيل كانت لتحقير

الأحفاد المصطفوية والأولاد المرتضوية وإجراء خبثه فيهم بما كان يضمره، وبناء على ذلك هدم حجرات زوجات النبي ﷺ وخربها، وأخرج أولاد أحفاد السبطين من منازلهم مرتكبًا في حقهم من الإهانات التي لا تليق حتى بالأعداء وجعل سادات المدينة وأعيانها يتجرعون الدماء وحقر زاهدًا عابدًا مثل عمر بن عبد العزيز بأن عز له من وظيفته.

وكان منصور العباسي أعظم من خدم البلدتين المذكورتين، وكان قد أمر بتهيئة مصلب في البلد الآمن المنجي الذي قيل عنه «ومن دخله كان آمنا» لسفيان بن سعيد الثوري لمجرد إسماعه الحق، وساق كثيرين من الذرية المحمدية من المدينة المنورة مقيدين مكبلين إلى بغداد وتجرأ على إعدامهم وإتلافهم في صورة شنيعة ملعونة، وسار خلفه على طريقته وهكذا أعلنوا وأشاعوا ما يضمرونه في قلوبهم من عداوة قديمة لآل النبي ﷺ ذوي الكمال.

قايتباي المصري أعقل ملوك الشراكسة وأعلمهم، فخدماته للحرمين أكثر من خدمات أسلافه وأخلافه، وهذا أيضا قد أظهر دناءته ـ بناء على ما سيأتي ذكره فيما بعد ـ إذ غير موقع منبر النبي الأنور لتحقير فضلاء الحرمين متبعًا رأي المتمرد شمس بن زمن وكأنه قام بعمل خير إذ بنى رباطًا للفقراء باغتصاب ثلاثة أو خمسة أذرع من أرض شارع المسعى، وعزل من يصدقون في الكلام من وظائفهم وأتى مكانهم بمن يكذبون وينافقون، ينقل لنا قطبي في أثره تاريخ مكة هذه الحكاية ويرويها: «كان الملك الأشرف قايتباي المصري قد اتخذ الشيخ شمس الدين محمد بن عمر بن زمن مصاحبًا له قبل أن يرتقي عرش مصر، وعندما تولى سلطنة مصر أرسل شمس بن زمن لتعمير المسجد الحرام وبناء بعض المؤسسات الخيرية باسمه إلى مكة المكرمة، فاشترى شمس بن زمن مباني الميضأة التي في شارع المسعى وبين الميلين الأخضرين وهدمها حتى الأرض، وكانت هذه الميضأة تنسب إلى الملك الأشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكانت أمام الباب العالي، وكانت جهتها الشرقية متصلة بمنازل الأهالي، والجهة الغربية بالمسعى الشريف والجهة الجنوبية متصلة بسوق الليل، والجهة الشمالية بدار

العباس بن عبد المطلب، وحفر شمس بن زمن أساس رباط يريد أن يقيمه لإسكان الغرباء مكان الميضأة إلا أنه دخل ثلاثة أذرع فى شارع المسعى رغبة فى توسيع البناء، وأثار هذا العمل بين الأهالى القيل والقال، فرجا قاضى مكة برهان الدين إبراهيم بن على ظهيرة الشافعى شمس بن زمن لترك الأرض التى اغتصبت من المسعى، وبين له أنه لا يوجد مسوغ شرعى لإقامة مبان فى هذا المكان.

وبما أن شمس بن زمن رد هذ الطلب، فتكون مجلس علمى للشورى بإغراء علماء المذاهب الأربعة واستدعوا شمس بن زمن وقالوا له أمام الفقهاء «أيها السيد الفاضل! كان عرض المسعى الشريف (٣٥) ذراعًا، وقد قسناه من حفرة أساس الرباط الذى أقمتموه فبقى (٢٧) ذراعًا، وأرادوا أن يثبتوا مدعاهم قائلين بأن مساحة المسعى الشريف فى تاريخ الفاكهى خمسة وثلاثون ذراعًا، إلا أن شمس بن زمن رد عليهم قائلا: فقولوا ما تقولون إننى لن أتنازل عن فكرى مستمعًا إلى أقوالكم، وإنكم غير قادرين على منعى من القيام بهذا العمل فأطال العلماء القول فى هذا الموضوع وانضم الأهالى أيضا إلى العلماء وخالفوا ابن زمن فأجبروه على ترك العمل وكتبوا محضرًا فى هذا الخصوص، وأودعوه لدى العلماء الذين حملوه إلى قايتباى فى مصر، كما أن شمس بن زمن كتب رسالة خاصة وأرسلها إلى قايتباى (فالذى يعجبكم من فعل قايتباى؟!) فعزل قاضى مكة وعين مكانه أحد الذين أيدوا شمس بن زمن، وأعاد العلماء الذين قدموا المحضر يائسين مكسورى الخواطر، وجلب الشخص الذى عين فى تلك السنة أميرًا للحج وأمره قائلا: «عندما تصل إلى مكة يجب عليك أن تحفر أساس الرباط وفق رأى شمس بن زمن، وأن تشرف بنفسك على العمال وقد أوصل أمير الحج موكب الحج إلى مكة سنة ٨٧٥هـ وبمجرد وصوله إلى مكة جمع العمال رأسًا وجعلهم يحفرون أساس الرباط ليلاً حتى الصباح، وأنقذ أمر قايتباى، انتبهوا لذلك! كيف انكشف قايتباى الذى أراد أن يصل إلى تنفيذ فكره الأنانى السيئ ضمن خدمته التى يريد أن يقوم بها لكعبة الله، وإن كان شمس بن زمن على قدر

من العلم ويسعى لعمل الخيرات والحسنات إلا أنه بذل أقصى جهده لتحقيق علم لا يسوغه الشرع.

وإن كان قايتباى أعقل ملوك الشراكسة وأزهدهم إلا أنه قد أظهر فى هذا الموضوع تعصبًا كبيراً، و وقد أصر على التمسك برأيه وقد خدعه شمس بن زمن وساعده على اغتصاب ثلاثة أذرع من مكان المسعى، وعزل قاضى مكة الذى أراد أن يمنعه عن ارتكاب الفعل المنكر، وكأنه لم تكن غايته خدمة الحرمين، بل كان غرضه إظهار سطوته وشوكته وإجلاله على صورة خدمة الحرمين.

وقد تحاشى السلاطين العثمانيون الأغراض النفسية وإبراز العداوة وفوق ذلك فإنهم وقفوا بجانب الأهالى، كما تبين ذلك فى صورة الفرمان العالى المكتوب عاليه، ولم يكن الأهالى بجانب الحق وكانوا يريدون أن يطيلوا عمليات تعمير المسجد الشريف والمبانى المقدسة وذلك بتعويقها بعض الوقت ليستفيدوا من ذلك ماديًا وقد ثبت ذلك، ومع هذا أمر السلطان عبد المجيد أن يتم العمل وفقًا لآراء الأهالى وأفكارهم وفى سبيل ذلك عزل أصدقاءه مثل: محمد رائف باشا، ومحمد راشد أفندى ونقل مكانهم الآخرين وعينهم وبهذا أظهر للأصدقاء والأعداء أن خدماته السلطانية لم تكن إلا لإسعاد الروح المحمدى العالية خالية من جميع الأغراض النفسية والمادية.

رحمه الله رحمة واسعة انتهى.

الوجهة الثالثة عشر
وتحتوى على عشر صور

فى ذكر حجرات مسجد السعادة وبالوعاته

إخطار ـ يطلق فى البلاد العربية على الحجارة المصقولة الموضوعة فوق الحفر ضيقة الفوهة واسعة الجوف وخاصة لإجراء مياه الأمطار حتى لا تتراكم فى الميادين «بلاعة» وهى البالوعات التى نحن بصدد تعريفها، سواء أكانت هذه الأحواض تُمْلأ ماءً أو كانت تملأُ بتراب مخلوط بالملح والحفر التى ملئت بهذا الشكل ستبلع المياه المضبوطة مهما كانت كثيرة لأجل ذلك أطلق عليها «بالوعة» أو «بلاعة».

كان فى الأوائل لمسجد السعادة ٦٤ بالوعة وكان فوق كل واحدة منها حجر مستدير مستقر لرمى الطيور، وقد قضت تقلبات الزمن على كل هذه البالوعات وأبقت واحدة فقط.

ثم دبر تسعة عشر سقاية بدل البالوعات الخربة، وبما أنه قد فهم مؤخرا عدم جدوى تلك السقايات قد أزيلت بالاتفاق مع الأهالى من قبل القاضى شرف الدين الأسيوطى والأعيان مثل الشيخ ظهير الدين.

وبعد مدة أنشأ أحد أمراء الشام يسمى «شامة» فى وسط مسجد السعادة حوضا ذا فوارة وملأه بمياه عين الزرقاء وأحيا الجماعات الإسلامية إذ دبر له مياهًا للوضوء.

وقد أسئ استخدام الحوض الذى صنع من قبل «شامة» الشامى وأضاع حرمة حرم السعادة الخاصة، وامتلأ فى فترة ما بالتراب والطين ولم يبق به مكان للوضوء.

وبنت أم الخليفة الناصر لدين الله خلف جدار مسجد السعادة الشامى سقاية كبيرة ودور خلاء متعددة وفتحت بابا من داخل السقاية وبابا للدخول فى المسجد الشريف منه.

ومع مرور الوقت كل هذه المبانى خربت ولم يبق ما يدل عليها، لأجل ذلك بنى والد السلطان كثير المحامد الخليفة السلطان عبد المجيد خان فوق نطاق باب التوسل مدارس فوقية وخلف هذه المدارس كثيرا من الميضات ودور خلاء وهكذا سهل للناس حاجاتهم.

حجرات مسجد السعادة:

توجد فى داخل مسجد المدينة الشريفة غير الحجرة المعطرة اللطيفة ثمانى حجرات تطلق عليها خزانة وكل اثنتين منهما توجد ملاصقة كل مئذنة.

فالسادة المؤذنون يصعدون المآذن مارين من هذه الحجرات ويضعون فى بعضها حاجياتهم. إحدى هذه الحجرات فى الجهة الشمالية من المئذنة الغربية، وكان يطلق على هذه المئذنة المئذنة الخشبية وكان خدمة المسجد الحرام يجمعون فى الحجرة التى تتصل بها بعض أشيائهم. وكان بعض الذوات يعتكفون فى داخلها، وإحدى الحجرات المذكورة فى اتصال الحجرة التى بجانب المئذنة المذكورة، وكانت إحداهما بين باب جبريل وباب النساء.

وحجرة أخرى بجانب تلك الحجرة التى بين البابين المذكورين، والحجرة اللطيفة التى بجانب الحجرة التى بين باب النساء وباب جبريل فى الطرف الشمالى إلى المقصورة «صفة أصحاب الصفة» والتى خصت لإقامة الأغوات الذين يقومون بخدمة الحجرة المعطرة، وتحفظ فى هذه الحجرة زيوت القناديل التى أخرجت من الحجرة المعطرة وبقايا الشموع، وهناك حجيرة أخرى فى محاذاة باب بيت الصديق الصغير وفى اتصال الجدار الغربى.

وهذا الباب الصغير يعد الباب الثالث إذا ما عد من ناحية باب السلام من الأبواب التى فتحت على مسجد السعادة من أبواب البيت الذى ينسب لأبى بكر

الصديق والباب الذى بين باب النساء وباب جبريل خاص بوضع أشياء الخدم وكان فى اتصالها حجرة وكان الشخصان اللذان يحرسان مسجد السعادة يبيتان فى هذه الحجرة، وكان بجانب هذه الحجرة صندوق يحفظ فيه كل ما يلزم من زيت زيتون لإيقاد القناديل كل ليلة.

وفى سنة ١٢٧٢ جدد الفريق أدهم باشا من موظفى أبنية مسجد السعادة حجرة النوبة وبنى فوق هذه الحجرة حجرة صغيرة ليوضع فيها الصندوق ولوازم المسجد الأخرى لتحفظ فيها.

وأغلق من أطرافها بقفص خشبى يصعد إلى هذه الحجرة من السلم الذى فى داخل حجرة الحراسة.

وتحفظ فى هذه الحجرة العلوية نهارا العصى الخاصة بتعليق شمعدانات حجرة السعادة وقناديلها والفوانيس التى يوقدها الخدمة بعد صلاة العشاء ليتفقدوا داخل المسجد الشريف ويعاينوه.

رواية

كان الخدم فى الأوائل يوقدون عدة مشاعل بعد أداء صلاة العشاء ويتجولون في داخل مسجد السعادة، ويخرجون الجماعات المتبقية ويغلقوا الأبواب، وهذه سُنة متبقية من عهد سيدنا عمر الفاروق، ولكن فيما بعد تحقق مضرة إيقاد الشموع فبدلوها ووضعوا عادة إيقاد الفوانيس يقول أحمد بن يحيى البلاذرى «كان عمر الفاروق بعد أن يصلى صلاة العشاء كل ليلة، يتجول فى أنحاء المسجد وكان يسوق الجماعات المتبقية أمامه ويخرجهم خارج المسجد، ولكنه كان يترك من كان يؤدى الصلاة، وفى ليلة من الليالى اتفق أن تلاقى مع جماعة كان بينهم أبى بن كعب.

وأجيب على سؤال الفاروق «من هؤلاء؟ «بالرد» بعض الأشخاص من الصحابة».

«وأجيب على سؤاله»: «ما أنتم فاعلون بعد ذلك؟ «؛» سنجلس ونذكر الله الذى لا ينام «فجلس عمر الفاروق وشغل معهم فى ذكر الله».

وفى ختام الذكر دعا باكيا حتى جعل أهل السماء يمرقون أيضا، وفى ختام الدعاء أمر بأن يعود جميع الناس وأن تغلق أبواب المسجد ومن تلك الأوقات والتاريخ أصبح تفقد مسجد السعادة بإيقاد الشموع عادة وإغلاق الأبواب كذلك ولكن شبل الدولة كافور المظفرى الحريرى حينما أصبح شيخ الخدم، رفع عادة التجول فى داخل المسجد بالمشاعل وأعد ستة فوانيس وأوقدها وأخرج من بقى من الموجودين وأغلق الأبواب وأوقد فى الليالى المباركة أربعة مشاعل فى الساحة الرملية للمسجد وأضاءه وأصبح هذا التصرف عادة بعد ذلك، وكانت فى ذلك الموقف فى المسجد الشريف سلاسل معلقة وكانت القناديل تعلق عليها فى الليالى المباركة ـ ليالى الإحياء ـ وتوقد، يقول ابن فرحون: «عندما أصبح شبل الدولة شيخ الخدم كان من عادة الخدم أن يتجولوا فى أنحاء المسجد وعندما يصلون إلى باب النساء يطفئون المشاعل التى فى أيديهم ويتركونها خارج الباب، ولكن داخل جدران المسجد وخارجها يسود من الدخان الصادر من المشاعل فوضع الشيخ شبل الدولة عادة إيقاد الفوانيس وأبطل عادة إشعال المشاعل وكانت الجماعات تخرج إلى خارج المسجد كل ليلة بإيقاد الفوانيس ومازالت هذه العادة باقية وتجرى على غاية من النظام».

موقف الأئمة:

كانت صلواتهم الأوقات الخمسة إلى سنة ٨٦٥هـ فى محراب النبى اقتداء بالإمام من المذهب الشافعى، وكان أئمة مواسم الحج ينقلون إلى المحراب العثمانى، وزاد أفراد جماعة المذهب الحنفى قليلا واقترب من عدد جماعات المذاهب الأخرى فرجا جماعات للمذهب الحنفى وجود إمام للمذهب الحنفى وأسعف رجاء الحنفية بالقبول وعين عليهم إمام يؤمهم فى صلواتهم فى سنة ٨٦٠هـ.

وكان أفراد المذاهب الثلاثة الأخرى من المدينة المنورة ومن أصحاب النفوذ

والمكانة فيها، لذا لما كان يؤم إمام الحنفية جماعته فى محراب النبى يصلى بهم خلف أحد الأعمدة صلوات الأوقات الخمسة المفروضة.

وقد سر الحنفيون من تعيين إمام لهم لأداء صلواتهم فى جماعة وكذلك فى تعيين محراب له، وعد الحنفيون هذه الحالة نجاحا عظيما وكتب كل واحد منهم لمجموعتهم كما كتب بعضهم على لوحات علقوها على جدران منازلهم عبارة «وقد وضع هذا العام محراب للحنفيين» وذكروا مؤسس المحراب رئيس الخدم الشيخ طوغان ـ عليه رحمة المنان ـ بكل خير.

كان المرحوم الشيخ طوغان بذل جهودا كبيرة فى عهد الملك الأشرف إينال راجيا أن يقام محراب للحنفية، ولكنه لم يوفق ويرجع عدم نجاحه فى مهمته إلى وقوف أحد الحقراء من الأمراء المصريين يسمى جمال الدين يوسف فى صف المتغلبة من أهل المدينة.

وقد مات هذا الحقير فى سنة ٨٦٠ فنال الشيخ طوغان مطلبه وأراد للحنفيين محرابا فى مسجد السعادة ولكن لشدة الأسف تغير المحراب لم يكون محرابا عاديا فى داخل المسجد بل كان مكانا خلف أحد الأعمدة كما سبق ذكره، لأن الحكومة المصرية كانت قد استصدرت تعيين إمام واحد للحنفية وأن يؤم جماعته خلف أحد الأعمدة.

ومع هذا قد نجح الشيخ طوغان فى أن يؤم الإمام الحنفى جماعته بعد أن يؤدى الإمام الشافعى صلاته خلف محراب النبى ﷺ، خلف العمود المعين له وأن يصلى الإمامان معا فى وقت واحد أيام شهر رمضان.

وكان سبب عمل الشيخ طوغان على تعيين إمام خاص للحنفية غَلَبَة طائفة الزنادقة الذين استولوا على أراضى المدينة المنورة وعلى أهل السنة.

ولما كان أئمة الطائفة المذكورة اعتادت أداء الصلوات فى محراب النبى كان أفراد المذهب الحنفى يصلون هنا وهناك منفردين ويحرمون من فضيلة أداء الصلاة فى جماعة ويأسفون لذلك أشد الأسف.

وازدادت جماعات المذهب الحنفى فى عهد السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان يوما بعد يوم. وصدر الفرمان السلطانى بإقامة محراب خاص لهم.

فأُرسل من باب صاحب القرار النجارون والمهذبون وما يقتضى بناء المحراب من الأدوات والأحجار فأقيم محراب فخم على يمين منبر السعادة من قطع رخام ملونة خاص بالجماعة الحنفية.

فى جمادى الأولى فى سنة ٨٥١هـ قُرر أن يؤدى أئمة المذهب الحنفى صلواتهم فى هذا المحراب، وظل الإمام الحنفى يؤدى الصلوات فى هذا المحراب قرابة سنتين.

إلا أن الأمر السلطانى قد صدر بأن يصلى فى محراب النبى الإمام الشافعى وفى اليوم الآخر الإمام الحنفى، وأخذ أئمة المذهب الحنفى والشافعى يؤدون الصلاة مناوبة فى المحراب النبوى ما يقرب من ٢٦٩ سنة، ولما ذهب والى مصر محمد على باشا إلى المدينة المنورة فى سنة ١٢٢٩ بقصد زيارة الحجرة المعطرة ووضع نظام أن يؤدى كل من أئمة المذهبين كل يوم الصلاة فى المحراب النبوى، ومازال هذا النظام جاريا، فيصلى الإمام الشافعى صلوات الصباح قبل الإمام الحنفى ويصلى الإمام الحنفى صلوات الأوقات الأخرى قبل الإمام الشافعى، ولكن فى أيام مواسم الحج يصلى الإمام الحنفى فى المحراب العثمانى ويصلى الإمام الشافعى فى المحراب النبوى بعدما يتم الإمام الحنفى صلاته.

وهذا النظام بمواسم الحج، ويصلى الإمامان صلوات التراويح فى وقت واحد.

صورة ظهور المذهب الحنفى وزمان ظهوره:

بعد أن نقل ابن فرحون فى هذا الخصوص أقوالا كثيرة، قال: «كان سكان المدينة المنورة إلى عصر شمس الدين العجمى يعتنقون مذهبى مالك والشافعى.

وعندما هاجر شمس الدين أفندى إلى المدينة شجع بعض علماء المذهب الشافعى على الاشتغال بمسائل المذهب الحنفى، وكان هؤلاء العلماء قد دققوا النتائج الأساسية لذلك المذهب، وأخذ علماء المذهب المذكور يتكاثرون إذ أخذوا يتفقهون وأصبحوا أئمة زمانهم من هنا أخذ الأهالى يستفيدون من علومهم ويستفتونهم ومن ذلك الوقت أخذ المذهب الحنفى ينتشر فى المدينة المنورة سنة ٧٢٣هـ.

إن المحراب السليمانى يقع ـ بناء على تعريف مؤلف «الجواهر الثمينة» من مؤرخى المدينة المنورة ـ فى الجهة اليمنى من محراب النبى وعلى يسار منبر السعادة وبجانب العمود الثالث ابتداء من المنبر الشريف، وفى نهاية الطرف الغربى لما أضافه عمر بن الخطاب، قد بنى ذلك المحراب كما ذكر آنفا السلطان سليمان بن السلطان سليم فى سنة ٩٥٨هـ وخصه بأئمة المذهب الحنفى والمالكى، وعرف بالمحراب السليمانى».

وكان أئمة الحنفية لا يؤمون الناس إلى سنة ٨٥٨هـ فى مسجد السعادة وكانت مهمة القضاء والإفتاء منحصرتين فى علماء المذهب المالكى.

وفى عام ٨٦٥ بناء على طلبات ملوك مصر المؤثرة وضع نظام أن يصلى أئمة الشافعية صلاة الصبح قبل المالكية وأن يصلى أئمة المالكية مع جماعتهم الكبرى الصلوات الأخرى قبل الشافعية.

وبعد إقامة المحراب السليمانى أصبحت الجماعة الكبرى، الصلوات التى تؤدى خلف أئمة المذهب الحنفى كما سبق تفصيله، وأخذ أئمة المذهب الشافعى يؤدون الصلاة بعد الحنفية، وبعدهم أئمة المذهب المالكى، إلا صلوات الصبح كان يؤديها أولا أئمة المذهب الشافعى وبعدهم المالكية وبعدهم الحنفية، وهذا النظام هو السارى الآن.

وقد كتب فوق طاق ذلك المحراب بخط عريض آية

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ (آل عمران: ٣٧).

الجليلة وقد رتبت هذه الآية الكريمة محصورة مستديرة مذهبة، وكتب ابتداء وسط الجهة اليمنى لهذا المحراب ثم خارجا منه إلى الطاق ملتفا من حوله إلى وسط الجهة اليسرى «بسم الله الرحمن الرحيم».

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٤).

صدق الله العظيم. والآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وكذلك كتب من الجهة الداخلية اليمنى للمحراب إلى النقطة التى تنتهى فيها الجهة الداخلية اليسرى.

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: ١١٢).

وكتبت هذه الآيات بخط جلى قديم.

ولهذا المحراب المعلى باب شبكى ينفتح إلى اليمين واليسار، وقد كتبت على المصراع الذى فى الجهة اليمنى الجملة المباركة «محمد رسول الله، صادق الوعد الأمين» وفوقه اسم محمد «الطاهر بالخط الجلى المذهب، ولكن الخطوط المذكورة فى الجهة الشامية من مصراعى الباب المذكور أى فى مؤخر حرم السعادة.

وإذا جئنا إلى الجهة الجنوبية من هذا الباب أى إلى الجهة القبلية منه قد كتبت

على الباب الأيمن من المحراب الأحاديث الشريفة «قال النبى عليه الصلاة والسلام، شفاعتى يوم القيامة: حق، فمن لم يؤمن بها لم يكُنْ من أهلها «وكذلك كتب فوق مصراع الباب الذى فى الجهة اليسرى الحديث الشريف» قال النبى ﷺ: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» بخط جلى نفيس وكتبت عبارة: «أنشأ هذا المحراب المبارك، الملك المظفر السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان أعز الله نصره بمحمد وآله وسلم، تاريخه شهر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وتسعمائة من هجرة النبى ﷺ.

على ظهر الجدار الذى يواجه الجهة القبلية من المحراب السليمانى.

في ذكر الوقت الذى فرش فيه مسجد السعادة برمل وكيفية فرشه ومنذ متى حدث تعليق القناديل فيه

حدث فى ليلة من الليالى التى أمطرت فيها السماء مطرا غزيرا أن سالت المياه المتراكمة ودخلت في مسجد السعادة، وجاء صحابى يريد أن يؤدى صلاة الصبح فلم يجد فى داخل المسجد مكانا جافا لأداء الصلاة فأتى من خارج المسجد بمقدار من الرمل وفرشه وجلس عليه منتظرا قدوم الناس، وصلى بالناس بعد الإقامة مقتديا بالنبى ﷺ وبعد أن أنهى النبى ﷺ الصلاة بالسلام التفت إلى الصحابى الذى صلى فوق الرمل وقال «ما أحسن الصلاة على الرمل» والذين رأوا استحسان النبى ﷺ هذا بالفعل احضروا مقداراً من الرمل ونشروه وفرشوه فى داخل المسجد، واتخذ بعض المؤرخين الحكاية التى وردت فى سنن أبى داود حجة وقالوا «إن فرش المسجد الشريف بالرمال عادة أثرت من عصر السعادة».

وقال بعضهم مدعين أن مسجد السعادة قد حصب فى عهد ابن الخطاب، عندما شرع عمر بن الخطاب فى توسيع المسجد فكر فى شيء يفرشه فى سطح وسط المسجد الداخلى حتى تعم فائدته، وعرض بعض الصحابة فرشه بالحصير ورأوه مناسبا، إلا أن حضرة الفاروق رد قائلا: «لا لا كنت سمعت عن النبى ﷺ أن وادى العقيق واد مبارك، والمستحسن إذا فرشناه برمل ذلك الوادى» فأحضر قدرا كافيا من الرمل من ذلك الوادى وحصب ساحة الحرم الشريف.

وأصبح تحصيب مسجد السعادة عادة، وكلما اقتضت الحاجة كانوا يفرشون ساحة مسجد السعادة بالرمل، ولكن بما أن وادى العقيق خالٍ من الرمل الأحمر كانوا يحضرون من مسيل الوادى.

وبعد أن يغربلوه يفرشونه.

فى الطرف الغربى من ساحة المسجد الرملية صفان من القباب وفى طرفه الشرقى ثلاثة صفوف من القباب، وقد خصص تحت القباب الواقعة فى الجهة الغربية لصلاة النساء، والجهة الملاصقة للساحة الرملية شبكة بقفص أخضر اللون وبهذه العلامة بينوا أن هذا المكان خاص لأداء الصلاة للنساء، كما سبق تعريفه فى محله.

ابتداء تعليق قناديل مسجد السعادة:

قال بعض المؤرخين لم تعلق فى عصر السعادة قناديل أو ثريات فى مسجد السعادة، وتصور عمر بن الخطاب فى زمن خلافته أداء صلاة التراويح خلف إمام واحد ولما كان هذا يتوقف على إنارة المسجد دبر عدة قناديل وعلقها إلا أن الإمام القرطبى يضعف هذه الرواية فى تفسيره المشهور قائلاً: «كانت فى عصر السعادة قناديل معلقة فى المسجد الشريف، كان تميم الدارى قد أحضر هذه القناديل من بلاد الشام وعلقها» هذا ما كتبه محققا هذا الأمر.

رواية الإمام القرطبى هذه لا تقبل الكذب، لأن حضرة تميم حينما ذهب إلى الشام اشترى كثيراً من القناديل ولا بأس أن يكون قد اشترى معها قدرًا من زيت الزيتون، كما كان اشترى بعض الحبال لتعليق هذه القناديل وعاد.

وعندما وصل إلى المدينة المنورة بعث مع خادمه «أبو البراء» القناديل التى اشتراها، ثم ذهب بنفسه وعلق تلك القناديل فى أماكن مناسبة وأوقدها قبل صلاة العشاء ونال ثناء النبى ﷺ الذى قال له قد أنرت الجمعية الإسلامية»، وبناء على قول ضعيف أن أول من أضاء داخل المسجد بتعليق القناديل هو حضرة معاوية.

وهذا القول مهما كان ضعيفا فإنه ليس كذبا ولكنه خطأ، لأن أول من أنار المسجد الشريف تميم الدارى ولا شك فى ذلك، والاختلاف بين المؤرخين ليس فيمن جاء بالقناديل إلى الحرم الشريف ولكن الاختلاف فيمن علقها، وأقوى

الأقوال أن تميم الدارى هو الذى أتى بالقناديل وعلقها فى جهة من جهات المسجد كما أن حضرة معاوية قد أتى ببعض القناديل وعلقها فى أماكن مناسبة.

كما وضع معاوية نظام إعطاء بعض زيت الزيتون لإيقاده فى قناديل مسجد السعادة على أن يسوى حسابه فيما بعد من بيت المال وتطييب الكعبة المعظمة بالمجامر والخلوق وإنزال الستائر التى بقيت من العهد الجاهلى على الكعبة المعظمة معاوية هو الذى أمر بذلك.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن من أنزل الكسوة الجاهلية من فوق الكعبة هو على بن منبه عامل عثمان بن عفان فى اليمن وعلى هذا التقدير يكون عثمان بن عفان هو الذى أنزل الكسوة الجاهلية من على الكعبة، كما أن حضرة عثمان بن عفان أول من كسا منبر النبى المنير.

فى ذكر الذين عطروا المسجد الشريف بأشياء ذات رائحة طيبة

كان النبى ﷺ يخطب يوما، فأمر بتنظيف بعض الأماكن التى أمام جدار القبلة سريعا، بعد أن نظف الناس ذلك المكان مسحوه جيدا ووضعوا عليه بعض الزعفران.

ولما جلس عثمان بن عفان على كرسى الخلافة عطر جميع أنحاء مسجد السعادة وحتى يدوم هذ النظام عين بعض المؤذنين للقيام بهذا العمل.

وعطر عمر بن عبد العزيز فى تاريخ جلوسه الجدار القبلى فقط كما أن هارون الرشيد أمر بتعطير الحجرة الشريفة وجهات مسجد السعادة الأربعة فى سنة ١٧٥ الهجرية.

إيقاد البخور فى مسجد السعادة:

لم يكن إيقاد البخور من الأصول المرعية في عهد الرسول ﷺ وحين خلافة الصديق الأكبر ـ رضى الله عنه ـ ثم أصبح ذلك عادة فى عهد عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ وسبب ذلك إيقاد بعض العود الذى أهدى له فى داخل المسجد، والعود الذى أهدى لم يكن قابلا للانقسام.

عندما وردت هذه الهدية خاطب الخليفة من بجانبه من الصحابة: «لو قسمنا شجرة العود هذه فيما بيننا فبسبب قلتها سيأخذ بعض منكم ويسعد ويحرم الآخرون فيحزن؛ وحتى لا يحدث هذا فمن الأفضل أن يوقد فى داخل المسجد فيسعد من فى المسجد الشريف ومن بخارجه»؛ فأعطى العود إلى رئيس المؤذنين ليوقده فى داخل المسجد.

فأخذ رئيس المؤذنين العود بناء على الأمر الصادر إلى مسجد السعادة فوضعه فى مجمرة وأوقده مع وجود جماعة المسلمين فى المسجد، ومنذ ذلك الوقت أصبح إيقاد خشب العود فى داخل المسجد عادة بين الصحابة، حتى إن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عندما عاد من الشام أحضر معه مجمرة فضية وأعطاها لسعد ـ رضى الله عنه ـ الذى كان فى ذلك الوقت رئيس مؤذنى مسجد النبى ﷺ، وأصدر أمره بأن يبخر المسجد فى ليالى الجمع والليالى المباركة ولاسيما فى أيام الجمع.

وجناب سعد ـ فخر المؤذنين ـ كان يوقد المجمرة طول حياة الخليفة عمرو، يتركها أمامه.

وقد راعى عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنه ـ هذه العادة الطيبة وأصبح يوقد فى أيام الجمع والليالى المباركة العود والبخور ولم يترك هذه العادة إلى وفاته.

إيقاد خشب العود والبخور من الأصول المرعية لدى الجماعات الإسلامية، وتجرى هذه العادة سواء أكانت فى الحرمين الشريفين ومساجد الممالك الأخرى، ولم يترك إيقاد العود والبخور عند قراءة المولد الشريف وعندما يختم القرآن مع جماعات فى المساجد.

ولما كان إرسال البخور والعنبر والعطور الأخرى من العادات الطيبة التى يعتز بها المسلمون أوردنا فى الصورة الرابعة من الوجهة الثالثة لمرآة الحرمين كميات العود والعنبر والبخور التى ترسل لتوقد فى ليالى الإحياء وأيام الجمع فى منبر النبى المنير ومحرابه العالى، وبجانب باب كعبة الله ومقام إبراهيم والآثار المسعودة الأخرى.

يطلق أهل المدينة على تعطير الحجرة السعيدة وتبخيرها أصول التعطير، ولما كان أصول التعطير وصورته إجراء خاص بأيام الجمع؛ فإن الموظفين يأخذون الحصص المقررة لكل يوم جمعة من دهن الورد ومائه بعد أداء صلاة المغرب

ويدخلون ومعهم بخور العود والعنبر فى حجرة السعادة فيبخرونها وستارة قبر السعادة ثم يخرجون.

وإن كانت أصول التعطير عبارة عن هذا، فإن أصول التبخيرأيضا لكل ليلة ويوم جمعة فالموظفون يضعون كل ليلة قبل صلاة العشاء على طرفى محراب النبى مجمرة من العود كما يضعون كل يوم جمعة قبل الصلاة على طرفى المحراب مجمرة من «الند» وتظل المجمرتان موقدتين إلى أن يتم أداء الصلاة.

الند:

يخرج الند عند إشعاله رائحة قريبة من رائحة العنبر وهو طيب يستحسنه أهل الحجاز ويقدرونه، وبما أنه نادر ولا يمكن إعداده نقيا يصنع فى زماننا بمادة عادية، يطلقون على أعواد البخور الطويلة «ند» يستعملونها بدلا منه.

جدول مساحة حرم السعادة

الأصبع	الذراع	
٣	١٤٧	من باب المئذنة الرئيسية إلى الجدار الشرقى لمئذنة باب السلام
١٢	١٥٩	من الجدار الشرقى لباب جبريل إلى عتبة السلام «عرض»
٠٠	٢٣٠	من الجدار القبلى حيث المحراب العثمانى إلى الجدار الشامى منتهى، مسجد السعادة «طولى»
٠٠	١٦	من جدار المحراب العثمانى إلى شبكة حجرة السعادة.
٠٠	١٤	من الجدار الشرقى إلى شبكة سبيكة النور لقدم السعادة.
١٢	٦٦	من المئذنة الرئيسية إلى عتبة الخزانة[1] المتصلة بدكة الأغوات.

(١) يقال للخزانة المتصلة بدكة الأغوات (خلوة) لفتح باب هذه الخلوة ناحية القبلة وهى خاصة بالأغوات ليضعوا فيها بعض لوازمهم. وتوضع فى هذه الخلوة زوارق الماء وأشياء خفيفة أخرى ويجتمع أمام باب هذه الخلوة قبل المغرب بنصف ساعة شيخ الحرم النبوى ومدير الأغوات والفراشون ويدعون أمام شيخ الفراشين، وبعد ذلك يأخذ شيخ الحرم الشمعدان الذى يوضع على رأس السعادة كما يأخذ نائبه الشمعدان الذى يوضع على قدم السعادة كما يأخذ الفراشون الشمعدانات التى توضع فى الجهات الأخرى للحجرة اللطيفة ويوقدونها فى أدب كامل وتعظيم ويضعونها فى أماكنها ثم يعودون.

الأصبع	الذراع		
٦	٨	من باب الجنائز إلى مرقد فاطمة رضى الله عنها	(هذا المكان أوسع قليلاً).
.	٢	طول المصطبة	يطلق اسم المصطبة على مكان الجلوس والمصطبة هنا غرفة اللوازم المتصلة بالخلوة سابقة الذكر وهى خاصة لإقامة شيخ الحرم فى المساء إلى أن توقد القناديل فى هذه الحجرة.
١٨	٢	عرض المصطبة وكذلك طول الطريق الممتد من داخل باب الهجر والمنتهى إلى باب الجنائز.	
١٨	١٥	عرض الطريق المذكور	هذا المكان جهة الجدار الشامى للمرقد المنير الذى ينسب إلى فاطمة الزهراء.
١٢	٦	عرض الطريق الذى يمر من دكة الأغوات إلى باب الجنائز.	أعلى من الأرض مقدار ذراع ومفروش بأحجار رخامية مزين ومنقودش.
..	٤		
..	١٥	طول دكة الأغوات	هذه الدكة هى صفة أصحاب الصفة وقد أحيط أطرافها بسور خشبى وتعلو عن الأرض ما يقرب من ذراعين.
..	١١	عرض الدكة المذكورة	
١٢	٢	عرض دكة البطالين	هذه الدكة فى مقابل صفة أصحاب الصفة وخاصة بإقامة الأغوات. الذين يطلق عليهم بطال.
٦	١٢ ٩	مؤخرة حرم السعادة من الجدار الشرقى إلى الجدار الغربى.	
١٢	١٢	من المنبر النبوى إلى المحراب الشريف.	عرض حرم السعادة
..	٣٨	من منبر السعادة إلى الحجرة المعطرة يعنى داخل الروضة المطهرة.	جزء من روضة السعادة داخل فى شبكة حجرة السعادة.

٠٠	١١ ٧	عرض حرم السعادة من باب الوفود إلى الجدار الغربى.
١٢	١٤ ٣	عرضه من باب الرحمة إلى باب النساء.
٠٠	٢١	من السقف الشريف الواقع فى جهة باب النساء إلى آخر عرض الحرم(١) الشريف.
٠٠	٣٤	عرضه إلى آخر حرم السعادة.
٠٠	٣٥	عرض سقف مؤخر حرم السعادة.
١	١٠	طول ساحة حرم السعادة الرملية.
٠٠	٤٩	عرض ساحة حرم السعادة الرملية.
١٢	٧٩	عرض ما تحت القباب من باب الجنائز إلى الساحة الرملية.
١٢	٤٥	طول شبكة السعادة إلى نهاية شبكة فاطمة الزهراء.
٠٠	٢٦	عرض الشبكة الشامية.
٠٠	٤٠	الجهة الغربية للشبكة.
٠٠	٣٠	جهة المواجهة الشريفة للشبكة.
٠٠	٣	ارتفاع جدار حديقة الرسول ﷺ.
٠٠	٢٣	طول حديقة الرسول ﷺ.
٠٠	١٦	عرض حديقة الرسول ﷺ.

كانت الساحة الرملية التى فى حرم السعادة أوسع قليلاً سواء كانت طولا أو عرضا، وعندما زين السلطان محمود خان العدلى الموقع الذى يسمى الآن المنطقة الرخامية زاد مقدار الأحجار الرخامية عن الحاجة ففرش موظفو الحكومة جهات الساحة الأربعة بتلك الحجارة الزائد فضاقت الساحة الرملية. أى فرشوا بالرخام فى الجهة القبلية من الساحة الرملية مقدار ١٦ ذراعا وخمسة أذرع من الجهة الغربية منها و ستة أصابع، ومن الجهة الشامية منها أربعة أذرع وستة أصابع، إذ

(١) فى الجهة الرمليلة عمود وهذا العمود إشارة إلى المحل الذى وصل إليه توسيع مسجد النبى ﷺ فى المرة الثانية ومن هذه الإشارة إلى المحراب السليمانى ٨٦ ذراعا وإلى المحراب العثمانى ١٥٤ ذراع و٦ أصابع.

فرشوا من الجهة القبلية طولا من باب الرحمة إلى باب النساء وفرشوا غربا من الجهة القبلية إلى آخر العمود وبين الأعمدة الشرقية والغربية لجهة الشام كما فرشوا فى الجهة الشرقية إلى آخر حرم السعادة بالأحجار الرخامية المجلاة.

كانت فى حديقة الرسول سبع عشرة من أشجار النخيل كبيرة وصغيرة وأشجار التمر الهندى ولكن كان ماء هذا البئر فى غاية المرارة قديما، إلا أنه اكتسب عذوبة من قبيل المعجزة وكانت كافية لإدارة أمر أهل المدينة، ولما كانت هذه العذوبة والحلاوة مازالت مستمرة يعد أهل المدينة هذه المياه فى قيمة ماء زمزم.

الوجهة الرابعة عشرة

تتألف من أربع صور وفيها:

ذكر للأبواب العتيقة والجديدة للمسجد الشريف
والمنازل القديمة وأفاريزها ومنازل الصحابة الواقعة
على جانبى هذه الأفاريز وحال وشأن المكان
الذى اتُّخِذَ سوقًا فى عصر النبوة

فى تعريف أبواب مسجد السعادة العتيقة والجديدة

كان للمسجد النبوى قديما عشرون بابا قديما، ثمانية منها فى الجهة الغربية وثمانية منها فى الجهة الشرقية، وأربعة منها فى جهة الشام، وكانت أربعة أبواب أخرى لدخول خواص الناس وخروجهم وهى فى الجهة القبلية، وقيل إن مروان بن الحكم هو الذى أمر بفتح تلك الأبواب، وبقيت الأبواب سالفة الذكر الأربع والعشرين بناء على القول الأخير إلى عهد الخليفة محمد المهدى بالله بن أبى جعفر المنصور.

ولكن عشرين من تلك الأبواب أغلقت فى عهد الخليفة المذكور وأبقيت الأربعة مفتوحة، وفى عهد السلطان عبد المجيد خان فتح باب جديد وأصبح للمسجد خمسة أبواب:

١ـ الباب العثمانى:

هذا الباب أقرب الأبواب إلى الحجرة النبوية المعطرة وقد جدده السلطان عبد المجيد خان.

وكان باب الرحمة تجاه دار عثمان بن عفان ولذلك عرف باسم (باب عثمان) وكان يسمى كذلك باب النبى لأنه ﷺ كان يمر منه وهو فى طريقه إلى مقبرة بقيع الغرقد، ويسمى هذا الباب الآن (باب جبريل) ووجه هذه التسمية أن جبريل عليه السلام كان ينتظر النبى عنده، ففى غزوة بنى قريظة كان جبريل على فرسه لابسا الدرع يرقب النبى ﷺ عند هذا الباب.

وإن كانت مبانى باب جبريل من جملة ما رممه وعمره السلطان قايتباى المصرى

إلا أنَّ السلطان عبد المجيد قد رممه فى عام ١٢٠١هـ على هيئة غاية فى المتانة وفرش جوانبه الأربعة بالرخام وقد أزيلت عنه الأتربة على أنه ملاذ للملائكة وزينت كل جهة فيه بالخطوط الجميلة المتنوعة.

وبما أن الخطوط التى كتبت على أطراف ذلك الباب فى غاية النفاسة ورتبت على شكل جميل كان الباب العثمانى أكثر الأبواب جمالا وزينة من حيث الخطوط، وكتب الشخص الذى نظم تلك الخطوط المبسوطة فوق طاق الباب بعد البسملة.

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٩٤)

وكتب مبتدئا من الجهة اليمنى من ذلك الطاق إلى نهاية الجهة اليسرى مع البسملة ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧).

والآية:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ١٠٢).

وكتب فى ذيل هذا السطر بخط جلى بعد البسملة الآية الكريمة

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ (ص: ٥٠).

وبيت:

وحط فى بابنا ما شئت من ثقل — وكل شىء يرى صعبا يهون بنا

وفى نهاية الآية:

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (سورة الزمر/ آية ٧٣)

وفوق الجدار الأيسر للباب كتب تاريخ: «أمر بعمارة هذ الحرم الشريف النبوى حضرة مولانا السلطان عبد الحميد خان بنظر المعتمد الحاج محمد سلاحشورى سنة (١٢٠١)».

والباب العثمانى الشريف أو الأبواب التى تقع فى الجهة الشرقية من حرم السعادة من الناحية القبلية وقد هدمت فى التعميرات الأخيرة فى عهد سلطنة عبد المجيد خان كليا وغير بعض رسومه القديمة ونقشت من جديد.

وقد كتب الآن فوق طاق الباب الخارجى بخط جلى الآية الجليلة قال الله العليم الخبير فى كتابه العزيز.

: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم: ٤).

«صدق الله خالقنا رب العالمين».

وفوق طاقه الداخلى البيت البليغ فى سطرين بخط جلى:

وحط فى بابنا ما شئت من ثقل　　　فكل شىء يرى صعبا يهون بنا

وكتبت فوق مصراعيه الأيمن والأيسر بخط جلى الآية الكريمة
﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ (ص: ٥٠).

وكتبت فى ذيل هذه الآية الكريمة عبارة: «عمره السلطان عبد المجيد».

وعلى حلقاته اليمنى واليسرى كتبت الجملة المنجية «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» مذهبة.

وبالخروج من باب جبريل وعلى مسافة قدرها ثلاثة أذرع وشبر وفى اتجاه البقيع حجر كبير يعلو عن الأرض شبرا ويقال إن هذا الحجر قد وضع علامة على المكان الذى وقف فيه جبريل ـ عليه السلام ـ فى عصر النبوة ولكن بناء على

القول الصحيح للزم أن يكون الحجر الموضوع فى الجهة اليمنى فى داخل المسجد هو ذلك الحجر الذى وضع عليه علامة الموقع الذى وقف فيه جبريل.

حتى إن إطلاق اسم «نافذة جبريل» على النافذة الثانية التى تقع فى الجهة القبلية من ذلك الباب يومئ إلى هذه الحلقة، وقد كتب فوق النافذة المسماة بنافذة جبريل الآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)

وذهبت على شكل جميل، وهناك فى الجهة القبلية من باب جبريل أى فوق جدار القدم النبوية أسس فى عهد السلطان عبد المجيد خمس نوافذ مستديرة من أعلى قد كتبت فى وسط عقودها الداخلية والخارجية فى شكل مستدير أسماء جماعات الملائكة، وقد كتب على النافذة الأولى (جبريل عليه السلام) وعلى النافذة الثانية (ميكائيل عليه السلام) وعلى النافذة الثالثة (إسرافيل عليه السلام) وعلى النافذة الخامسة (رضوان عليه السلام)، كتبت مذهبة.

وأمام هذا الباب الرباط الذى أقامه جمال الدين بن أبى المنصور الأصفهانى من وزراء الدولة الزنكية، ولقد وقف جمال الدين هذا الرباط لإيواء فقراء العجم[١] وحفر فى داخله قبرا لنفسه.

إن الرباط الذى أقامه جمال الدين الأصفهانى يتألف من ثلاثين حجرة فى أعلاه وأسفله، وبين جداره الخارجى وشبكة الحجرة المعطرة مسافة قدرها ثلاثة وأربعون ذراعا.

رواية

جمال الدين المذكور هذا ابن أخى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب، وقال أسد الدين شيركوه هذا ذات يوم لابن أخيه، أى واحد منا يتوفى

(١) سبب إطلاق اسم رباط على ذلك الرباط ما ذكر.

قبل الآخر يدفنه من بقى على قيد الحياة فى المدينة المنورة» وقبل جمال الدين ما أوصى به عمه إلا أن الأجل المحتوم وافاه بعد مدة[1] فقام عمه أسد الدين بإرسال نعش ابن أخيه إلى المدينة حسب الاتفاق وأنفق نقودا كثيرة وأحال الأمر إلى الشيخ أبى القاسم الصوفى ليقوم بما يقتضيه الأمر، وقد أخذ المشار إليه الشيخ أبو القاسم النعش أولا إلى مكة المكرمة وطاف بنعشه حول الكعبة ثم صلى عليه ثم أوصله إلى المدينة المنورة ودفنه فى القبر الذى أمر بحفره.

غريبة

عندما وصل الشيخ أبو القاسم الصوفى مستصحبا نعش المتوفى المذكور إلى حدود كعبة الله عاملا برأى أسد الدين شيركوه أعلن إلى الناس بأنه سيصلى عليه وطلب منهم أن يستعدو لذلك، وفى الوقت الذى يستعد للقيام بالصلاة على المتوفى قام أحد الشبان فى مكان عال، لا يعرف هويته وأنشد بصوت مرتفع القطعة الآتية:

سرى نعشه فوق الرقـاب وطالما ... سرى وجوه فوق الركاب ومائله

يمـر عـلى الـوادى فتثنـى رمالـه ... عليـه وبالنـادى فتثنـى أراملـه

يقول ابن سعد الذى نقل هذه الغريبة فى طبقاته بعد أن أظهر شدة تعجبه وحيرته منها: عندما استمعت إلى قطعة: «سرى نعشة» ارتفع النواح والنحيب في صلاة جمال الدين الأصفهاني، عندما استمعت إلى هذه القطعة صلى على جنازته دون توقف حينما وجبت ثم أخذت الجنازة إلى المسجد الحرام وصلوا عليه، وبعد أن طافوا بها كعبة الله أخذوها إلى المدينة المنورة حيث صلوا عليها صلاة ثالثة، ثم دفنوا جنازته فى القبر الذى حفره.

يروي المؤرخون أن القبر الذي دفن فيه جمال الدين المشار إليه في داخل رباط العجم، وبما أنه لا يوجد الآن في داخل الرباط قبر يلزم أن يكون الضريح الذي

(١) يروى المؤرخون أن جمال الدين محمد بن أبى منصور مات فى خلال سنة ٥٧٦ مسجونا.

يلاصق ذلك الربط مدفنه، ولا ندرى كيف أخرج هذا الضريح إلي خارج رباط العجم.

المتوفي المشار إليه من وزراء بني زنكي يروي عنه معاصره المؤرخ ابن الأثير أنه زين وفرش جدار الحطيم الشريف في مكة المكرمة وما حول البيت الأعظم من جهاته الأربعة في صورة جميلة، وعَمَّرَ وجدد مسجد الخيف وحفر أحواضا في جبل عرفات وأسال الماء الذي كان قد انقطع، وأنقذ الزوار الذين يزورون بجبل الرحمة بأن صنع سلما ذا خمس أو عشر درجات تهون من المشقة، والحصن النهري حول المدينة أثر من آثار جمال الدين الخيرية.

وخلاصة القول أن المرحوم كان من أصحاب البر والخير وله في البلاد الأخرى آثار خيرية لا تعد ولا تحصى، رحمة الله عليه.

٢ـ باب ريطة (باب النساء):

وباب ريطة الباب الثاني من أبواب مسجد الرسول وبما أنه أمام دار ريطة بنت أبي العباس السفاح سمي باب ريطة.

وساحة منزل ريطة بنت أبي العباس السفاح كانت أرض المدرسة الثمينة التي بناها بازكوش من أمراء الشام خاصة للعلماء الحنفية، ولما كان بازكوش قد بذل جهدا ونقودا كثيرة لبناء هذه المدرسة أوصى أن يدفن في حظيرة هذه المدرسة ودفن فعلا بعد وفاته في داخل المدرسة بناءً على وصيته.

وبعد فترة سمي باسم بازكوش وعرف المكان باسم «زاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني»، والآن يطلق عليه «زاوية السمان» السمان اسم رجل من رجال الطريقة الصوفية القادرية وقد عرف بالزهد والصلاح وهو ينتسب إلى بنت السمان، والزاوية المذكورة وقفت لأولاد وأحفاد هذا الشخص.

و«محمد أبو الحسن» مازال حيا وهو أصغر أبناء الشخص المذكور ولم يبق أحد آخر من أولاده.

وقد ارتحل الصِّدِّيق الأكبر ـ رضى الله عنه ـ عن دنيانا إلى دار الاخرة فى الجانب الشرقى من هذه المدرسة، وبما أن حضرة الفاروق ـ رضى الله عنه ـ قد سمع النبى ﷺ يقول «إننى وقفت هذا الباب للنساء» لذلك خَصَّ باب ريطة فى وقت خلافته لدخول النساء وخروجهن، ولما كان عبد الله بن عمر حيا ويعيش فى الصفة الدنيوية لم يدخل ولم يخرج من هذا الباب اقتفاءً لأثر والده، ومازال باب ريطة إلى اليوم، إلا أنه معروف باسم باب النساء.

وهو الباب الثانى من الأبواب الواقعة فى الناحية الشرقية من حرم السعادة من الناحية القبلية، وقد أبرزت جهته الخارجية بأسطوانتين وأجزاء من جدار الحرم الشريف والجهة التى أخرجت إلى الخارج وقد كتب بخط جلى على عقد الجدار الذى لف فوق الأسطوانتين الآية:

قال الله تعالى وتبارك وجل وتقدس:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وكتب كذلك على طاق الباب الأصلى الخارجى والذى يوجد فى محاذاة جدار الحرم الشريف الآية الجليلة بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (النمل: ٣٠)، والآية:

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٤).

وكتب على طاق النافذة التى تتصل بالباب من الخارج الحديث: «النجاة فى الصدق» صدق رسول الله، وعلى الطاق الداخلى للباب المذكور الآية الجليلة:

﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣١)

وفوق هذه الآية الكريمة أى فى المكان الذى فوق عقد الباب المذكور نقشت هذه الآية الكريمة:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ٣٢)

٣- باب عاتكة (أوباب الرحمة):

الباب الثالث للحرم النبوى الشريف هو الباب الذى يسمى «بباب الرحمة» الذى يقع فى محاذاة دار[1] عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية وكان يشتهر فى زمانها باسم «باب عاتكة».

ولما كانت سوق المدينة الميمونة أمام باب عاتكة قديما عرف واشتهر ذلك الباب فترة باسم «باب السوق».

ولكن حدث أن النبى ﷺ كان يستعد لخطبة يوم الجمعة إذْ جاء رجل من جهة «دار القضاء» وقال: «يا نبى الله! قد نفقت حيواناتنا من قلة الماء وتعب أولادنا وعيالنا، نرجوك أن تدعو الله لأجلنا أن يبعث لنا مطرا»، وبمجرد رفع النبى ﷺ يديه داعيا ظهرت ناحية جبل سلع علامات المطر والرحمة فنزلت الأمطار التى سقت مدينة الرسول ونواحيها لأجل ذلك أطلق على باب عاتكة «باب الرحمة».

دار القضاء التى ذكرت آنفا كانت دارًا واسعة تمتد من باب الرحمة إلى باب السلام، وكانت ملك عمر بن الخطاب، وكان أوصى بأن تباع عند وفاته لقضاء دينه، وعندما مات بيعت لمعاوية بن أبى سفيان وقضيت ديونه لأجل ذلك عرفت من ذلك التاريخ بدار القضاء، إلا أن بعض المؤرخين ينسبون هذه الدار إلى عبد الرحمن بن عوف وأنه انزوى فى هذا البيت إلى أن بيع لحضرة عثمان.

(١) انتقلت هذه الدار بعد وفاة صاحبتها إلى يحيى بن خالد.

عندما كان زياد بن عبد الله خال السفاح العباس واليا على المدينة اشترى تلك الدار في خلال سنة (١٣٨هـ) وألحقها بحرم مسجد السعادة.

وفصلوها بعيدًا عن المسجد الشريف وبنوا هناك بناء ليكون دائرة حكومية، وتلك هي الأبنية الجسيمة التي أسست في ذلك الوقت والذى عرف باسم «الحصن العتيق» وفي سنة ٨١٤هـ اشتراها حاكم البنغال السلطان غياث الدين وبنى مكانها بناء جميلا بعد هدمها.

وكانت المدرسة التي بناها الأمير جوبان من قيادة الجنود المتغلبة في سنة ٧٢٤ في الجهة القبلية من ذلك الرباط.

كان الأمير جوبان بنى لنفسه ضريحا في هذه المدرسة إلا أنه لم ينل شرف الدفن فيه.

وكانت «دار الشباك» المنسوبة إلى شيخ الخدم المرحوم الحريرى في جهة باب الرحمة.

وفي سنة ٨٨٨هـ اشتريت تلك الأماكن كلها من السلطان قايتباى وهدمت وبنيت فوق مساحتها المدرسة والرباطان المنسوبان للملك المذكور وسمى ذلك الرباط فيما بعد برباط السلطان وسميت المدرسة بالمحكمة، وكان قضاة المدينة المنورة إلى وقت قريب يقيمون في هذه المدارس، ونقلت المحكمة فيما بعد ذلك إلى مكان آخر، كما أن المدرسة آلت إلى الخراب فيما بعد فجددها السلطان محمود خان العدلى في صورة مكملة وأضاف إليها مكتبة وأسس دارا بين باب الرحمة والمدرسة المذكورة لإقامة تلك المدرسة، وزين المكتبة المذكورة بكتب نادرة ورسائل نفيسة لم تكن موجودة في المدينة.

وبعد خمسين عاما أشرفت سواء أكانت المدرسة أو الدار المذكورة على الخراب فجددت من قبل نجله النجيل السلطان عبد العزيز خان فأضيفت إلى تلك المدرسة حجرات عديدة في الطابق الأول والثاني تحت نظارة شيخ الحرم أمين باشا وهدمت كليا وبنيت على أن تكون مدرسة مرة أخرى في سنة ١٢٨٨هـ.

كان شخص يسمى أبو بكر بن مزهر[1] قد صنع فسقية فى اتصال عقد «باب الرحمة» وكانت فسقية ذات قبة سنة ٨٩٣هـ، ومازالت هذه الفسقية إلى يومنا هذا. ويقع فى الجهة اليمنى لمن يدخلون إلى مسجد السعادة من هذا الباب صنبور كان السلطان عبد المجيد قد أسسها قبل تجديد المسجد الشريف، وهذا الصنبور أمام السبيل والميضأة اللتين أقامهما السلطان أحمد خان ولم يكن للمسجد قبل ذلك باب سوى هذا الباب أى باب الرحمة فى الجهة الغربية منه، هذا الباب فى يومنا الحالى هو الباب الثانى فى الجدار الغربى للحرم الشريف، وعلى طاق هذ الباب كتبت الآية الكريمة، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى فى كلامه الكريم:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر ٥٣).

صدق الله العظيم، وفى الطرف الداخلى لهذا الطاق:

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام ٥٤).

وعلى المصراع الشرقى (يا مفتح الأبواب) وكذلك على المصراع الغربى (افتح لنا خير الباب) مزدوجا، وعلى حلقتى المصراعين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والبسملة الشريفة سالفة الذكرُ ذُهِّبَتْ ونُسقت على هيئة الطغراء الغراء.

٤ ـ باب السلام:

الرابع من أبواب مسجد السعادة الموجودة الباب الذى يعرف باسم «باب السلام» وبما أن ذلك الباب كان لصق بيت مروان بن الحكم كان يعرف فى حياته بـ «باب مروان».

وهدم سيف الدين قلاوون من الملوك المصرية فى سنة ٨٨٦هـ بيت ابن الحكم

(١) كان أبو بكر بن مزهر رئيس ديوان الإنشاء للحكومة المصرية ويعرف باسم «المقر الزينى» وكانت لهذا الشخص مدرسة فى ناحية باب الرحمة.

الذى كان متصلا بباب السلام وأسس مكانه «دار ميضأة» وبعد ذلك عرف باب السلام «بباب الخشوع».

إخطار

قد أسُس على ساحة دار الميضأة مؤخرا مدرسة بشير أغا المشهورة ونقلت الميضأة فى أثناء بناء المدرسة إلى الجهة الغربية من مسجد السعادة، وهذه الميضأة الآن أمام الشارع المعروف بـ (زرندى) وهذا الشارع على يمين من يمضى إلى الباب المصرى.

وباب السلام الباب الأول من الأبواب التى فى الجهة الغربية من حرم السعادة من الناحية القبلية، وأكبر أبواب مسجد النبى الخمسة وأكبرها زينة، وطلاؤه أخضر مائل إلى الزرقة وأحيانا أبيض وقد كتب عليه خطوط جميلة متلونة مما جعل هذا المكان أشبه شيء بالحديقة.

والخطوط التى أريد أن أعرف منظرها، وقد بدأت الكتابة من الجدار الذى على الجهة اليمنى عند الدخول.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ (الإسراء: ٨٠-٨٣).

كما كتبت الآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ

اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴿٢٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١-٢٥).

وكتبت فى الصف الثالث القصيدة البليغة:

فداك أبى وأمى يا رسول الله

رســـول الله إنى مستـــــجير
بجاهـــك والزمـــــان له اعتداء
وجاهك يـــا رسول الله جـــاه
رفيــــع مــــا لرفعته انتهـــاء
وظنى فيـــك يـــا طـه جمـــيل
ومنـــك الجـــود يُعْهَدُ والسخـــاء
وحـــاشــــا أن أرى ضيقـــا وذلا
ولى نســـب بمدحـــك وانتمـــاء
رجوتك يـــا ابن آمنـــــة لأنى
محب والمحـــب لـــــه رجـــاء
عسى بـك تنجـــلى عنـــى كروبى
وكـــم كرب لـــه منـــك انجلاء
وكم لك يـــا رســـول الله فضل
تضيـــق الأرض عنـــه والسماء
وكم لك معـجزات ظـــاهـــرات
كضـــوء الشمـــس لـــه ضيـــاء
وأنت لنـــا عـــلى خلـــق عظـيم
ونحـــن على العمـــوم لك الفداء

وكتب فى الصف الرابع «اللهم أيد بالنصر والعز مولانا السلطان عبد العزيز بن عبد المجيد بن محمود بن مصطفى بن سليم بن عبد المجيد بن مصطفى بن عثمان بن محمود بن أحمد بن أحمد بن سليمان بن محمد بن إبراهيم بن مراد بن مصطفى بن عثمان بن مصطفى بن أحمد بن محمد بن سراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد بن أورخان بن عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه، أيد الله ملكهم إلى آخر الزمان ونهاية الدوران».

وكتب على مصراع الباب الأيمن الآيات:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الحجر ٤٥).

وعلى مصراعه الأيسر:

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ (الحجر ٤٦)

وكتبت جملة «هذه خوخة سيدنا أبى بكر الصديق - رضى الله عنه» فوق باب (الخلوة) التى تقع فى الجهة الداخلية للجدار الأيسر، يعنى فوق طاقة الباب الذى استثنى من الغلق عندما صدر الأمر النبوى بسد جميع الأبواب التى تنظر إلى الحرم الشريف.

باب الخوخة الذى كتبت على طاقته الجملة السابقة الذكر هو الباب الثالث فى ناحية «باب السلام» من الجهة اليسرى.

لأن الخوخة الذى كانت بين باب السلام وباب الرحمة عرفت بخوخة أبى بكر كانت أمام المخزن وبمحاذاته، وقد ألحقت تلك الخوخة والمخزن فى عهد وليد بن عبد الملك بمسجد السعادة.

وصنعوا خوخة فى محاذاة الخوخة التى كانت تنسب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

ولذا كانوا يبنون المدرسة الأشرفية وفتح باب المدرسة فى هذه الجهة من مسجد

السعادة، أى بين باب السلام وباب الرحمة ثلاثة أبواب وعبارة «هذه خوخة...» فى الباب الثالث من هذه الأبواب.

فى المكان الذى يصادف الداخلين إلى المسجد من باب السلام وعلى يمينهم أى فى الجهة الجنوبية لداخل المسجد النبوى وبعيد هذا المكان من الجهة الداخلية لجدار حرم السعادة القبلى، هناك أربعة أسطر من الخطوط النفيسة المحكوكة على حجارة، وكلها خطوط جلية وقد كتبت فى الصف الأول:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(البقرة: ١٨٥-١٨٦)

قال الله تعالى فى كتابة العزيز:

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت ٤٢).

والآية:

﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود: ٧٣)

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ

مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٤-١٢٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (آل عمران: ٣٥)

إلى قوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤)

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(النساء: ٦٥)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٧)

والسطر الثانى قوله تعالى:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

صدق الله ربنا العظيم، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران: ١١٤).

بسم الله الرحمن الرحيم،

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾

(إلى قوله)

﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم رضى الله تعالى عنهم أجمعين، بسم الله الرحمن الرحيم،

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١-٢٦٢).

صدق الله العظيم، بسم الله الرحمن الرحيم،

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

صدق الله العظيم، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾

إلى قوله:

﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩).

وفى الصف الثالث: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (النور: ٣٦-٣٧).

قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم،

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل : ٩٨).

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح)

إلى آخر السورة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين أجمعين.

وفى الصف الثالث: هذه أسماء النبى ﷺ، محمد ﷺ) إلى آخر الأسماء الجليلة.

عدد أسماء النبى الشريفة مائتان وواحد، وقد كتبت كلها فى السطر والصف

الرابع، وقد كتبت ورتبت كلها على شكل مربع، جعلت صلاتها فى شكل مستدير، من زاوية باب السلام التى فى زاوية الجدار القبلى لحرم السعادة وأكُملت أمام المواجهة الشريفة.

الأبواب التى ذكرت إلى هنا وفُصِّل تعريفها أكبر من جميع الأبواب الأخرى، قد اعتيد ترك هذه الأبواب الأربعة مفتوحة من الصباح إلى المساء إلى أن أصبح عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة وكانت بعض الحيوانات تدخل إلى مسجد السعادة، فصنع عمر بن عبد العزيز فى داخل الأبواب وخارجها سياجا خشبية فحال دون دخول البهائم فى المسجد إلا أن الزوار زادوا فيما بعد فازدحم الناس فى الدخول والخروج حتى حدثت أحيانا المجادلات من أجل النعال أمام قبر الرسول ﷺ، مما يسئ إلى الرسول ﷺ، كما ظهرت فكرة أخرى أن تُرفع تلك السياج وتبدل بسلاسل حديدية وأزيلت هذه السلاسل أيضا فيما بعد وتركت الأبواب مكشوفة مفتوحة مما سبب المنازعة من أجل النعال. والأبواب فى زماننا هذا خالية من السياج والسلاسل الحديدية وتترك مفتوحة حتى المساء، وبما أنه قد صنع مكان لوضع النعال وعين لذلك موظفون عديدون فانعدمت منازعات النعال. وأصبح المصلون كالمصلين فى مساجد استانبول يخلعون نعالهم عند باب المسجد ويسلمونها لمن يتولى حفظها وعند استلامها لدى الخروج ينفحون بعض القروش لهم على سبيل الصدقة، ويرتزق بضعة من الفقراء بهذه الطريقة ويجدون قوت يومهم.

٥- باب التوسل:

الباب الخامس من أبواب مسجد النبى ﷺ هو باب التوسل ويقع فى الجهة الشامية لمسجد النبى الشريف، وقد فتح هذا الباب فى عام (١٢٦٧هـ) على عهد السلطان عبد المجيد.

ولذلك يسمى كذلك «الباب المجيدى» إلا أن ظن عامة الناس بأن «الباب المجيدى» و«باب التوسل» بابان مختلفان ظن خاطى لأن باب التوسل باب داخلى وخارجى، وبين هذين البابين تسع مدارس فوقية وتحتية قد خصصت إحدى هذه المدارس لتدريس اللغة الفارسية والبقية لتعليم اللغة العربية عذبة البيان، وأحد هذين البابين فى الجهة الخارجية للمدارس المذكورة والآخر فى جهة مسجد السعادة، ولما كان الباب الذى يفتح إلى حرم السعادة يواجه باب التوسل الذى يقع فى الجهة الشمالية للحجرة.

المعطرة أطلق عليه باب التوسل بإيحاء من السلطان عبد المجيد ووُسِمَ الباب الذى يفتح إلى خارج الحرم باسم «الباب المجيدى» وكتبت الآية الجليلة على طاق الباب المجيدى أى على طاقة مصراعى الباب الذى يفتح إلى الخارج من باب التوسل: قال الله تعالى

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ صدق الله ربنا المعين. (المائدة: ٣٥)

وقد كتبت على أول عمود يقابل الداخل من أى واحد من الأبواب الخمسة إلى حرم السعادة، عبارة «نويت سنة الاعتكاف»، وكان باب التوسل أمام دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف وفى القديم كان هنا باب كذلك كما سبق تعريفه فى بحث تعمير مسجد السعادة، وعندما جدد جدار هذه الجهة من المسجد فسد ذلك الباب القديم لسبب ما. وعند الخروج من هذا الباب يُرى فى الجهة اليسرى منه صنبور وفى مواجهة الميضأة التى تشتمل على بيت الخلاء أيضا هذه المبانى الضخمة من آثار والد السلطان كثير المحامد المبرورة.

والأبواب التى عرفت إلى الآن مازالت قائمة مع باب التوسل الذى فتحه السلطان عبد المجيد والأبواب التى سيأتى ذكرها فى الآتى كلها مسدودة إلى حد أنه لا تعرف أماكنها.

١ - باب مروان:

أحد الأبواب المسدودة المجهولة، وكان هذا الباب خاصا بدخول أمراء الأسلاف وخروجهم وكان يفتح إلى مقصورة مسجد السعادة وكان يعرف بـ (باب مروان).

٢ - باب بيت زيت القناديل:

كان أحد الأبواب المسدودة على يمين باب مروان المسدود وكان يعرف بباب بيت زيت القناديل وبناء على ما ترويه التواريخ كان مروان بن الحكم فتحه حينما بنى البيت الذى باسمه، وبما أن وجوده وعدمه كانا يتساويان سُدَّ عندما جددت مئذنة باب السلام.

٣ - باب المقصورة:

من الأبواب التى سُدت الباب الذى كان يقع على يسار باب مروان وهو الباب الصغير الذى كان يسمى بباب المقصورة.

٤ - باب خوخة آل عمر:

الرابع من الأبواب المسدودة الباب الذى يعرف بخوخة آل عمر بن الخطاب فى ناحية زقاق «ديار عشرة» كان الباب المذكور قديما يفتح للزوار ويراعيه واحد من البوابين، ولما أسئ استعماله فيما بعد لاجتماع الرجال بالنساء فيه أغلق فى عصر السلطان قايتباى سنة (٨٨٨هـ) وخصص لبوابه وظيفة أخرى.

٥ - باب على:

الخامس من الأبواب المسدودة، باب على الذى يستقر فى الجدار الشرقى أساسًا ولما كان هذا الباب مقابل دار على التى كانت متصلة بحجرة السعادة فعرف باسم (باب على) وعندما جدد الجدار الشرقى سد هذا الباب وتركت فتحة صغيرة لزيارة الدار من الخارج، وحتى من كان يدقق النظر من هذه الفتحة كان يرى داخل حجرة السعادة، ثم سُدَّتْ هذه الفتحة بالحجارة.

٦ـ باب النبى صلى الله عليه وسلم:

من الأبواب المسدودة الباب الذى اشتهر بباب النبى وسبب تسميته بذلك الاسم وقوعه أمام دار السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ، وعند تجديد الجدار الشرقى سد هذا الباب أيضا ووضع مكانه شبكة حجرة السعادة، والآن يقف الزوار الكرام على مساحة هذه الدار ويعرضون صلاتهم وسلامهم على سلطان الأنبياء (عليه أجمل التحايا).

٧ـ باب أسماء:

السابع من الأبواب المسدودة باب أسماء وبما أنه كان أمام بيت أسماء بنت حسين بن عبد الله بن عبيدة بن العباس بن عبد المطلب كان يقال له باب أسماء وقد سد فى سنة ٥٨١هـ عندما جددت المئذنة الشرقية الشمالية.

وقد هدمت دار أسماء بنت حسين بن عبد الله سالفة الذكر وبنى مكانها رباط خاص بالنساء.

٨ـ باب خالد بن الوليد:

أحد الأبواب المسدودة الباب الذى كان أمام بيت خالد بن الوليد، وسبب تسميته بذلك الاسم وقوعه أمام دار خالد بن الوليد، وقد هدمت دار خالد بن الوليد هذه مؤخرا وبنى على مساحتها رباط وسبيل وكان بيت عمرو بن العاص فى الطرف الشمالى إلى الرباط.

٩ـ باب زقاق دار المناصع:

باب زقاق دار المناصع يواجه شارع دار المناصع، وكان هذا الباب بين دار عمرو بن العاص وبيوت الصدفية ودار على العسكر المشهورة و«حوش الحسن» كانت أمام هذا الباب وقبل أن يسد كانت طائفة النساء تدخل وتخرج من هذا الباب.

١٠ـ باب أبيات الصوافى:

هو الباب العاشر المسدود وكان فى منتهى الجدار الشرقى للمسجد الشريف

وأمام الدار التى يقال لها دار موسى بن إبراهيم المخزومى وبقى مؤخرا فى داخل الجدار، واشترى الشيخ صفى الدين سلامى هذه البيوت التى تسمى أبيات الصوافى ووقفه أولا لأقاربه ثم لإيواء الفقراء، وكانت للأبيات المذكورة باب اخر يدخل منه لعمارة الشيخ صفى المشار إليه والتى تعرف باسم «رباط النخلة» وسد فيما بعد هذا الباب أيضا.

١١ - باب دار الضيافة:

واحد من الأبواب المسدودة هو الباب الذى كان فى الجهة الشامية من مسجد السعادة وأمام دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وكان حضرة عبد الرحمن قد تعود أن يطعم ضيوف النبى ﷺ، ولهذا سمى «باب دار الضيافة» وفى سنة ٦٢٧هـ اشترى المستنصر دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف وأنشأ هناك مستشفى وجعلها مأوى للمرضى الغرباء ومسكنا.

١٢ - باب دار الحميد:

ولما كان هذا الباب يقابل الجهة الأخرى من دار الحميد بن عبد الرحمن بن عوف اشتهر بباب دار الحميد ثم سد هذا الباب أيضا مثل الأبواب الأخرى، وساحة دار حميد فى هذه الجهة مساحات رباط الطاهرية والشرشورية.

١٣ - باب أبيات خالصة:

الثالث عشر من الأبواب المسدودة «باب خالصة»، الذى يقع أمام دار الحميد التى فى مقابل أبيات خالصة، والرباط الذى أحياه الشيخ شمس الدين التسترى كان بجانب هذا الباب.

١٤ - باب بقية أبيات خالصة:

أحد الأبواب المسدودة باب «بقية أبيات خالصة» لما كان الباب المذكور فى نهاية الأبواب الشامية وفى الجهة الأخرى من أبيات خالصة، أطلق عليه «باب بقية أبيات خالصة».

١٥ - باب دار منيرة:

أحد الأبواب المسدودة الباب الذى يقال له باب دار منيرة، وهذا الباب من أبواب الجهة الغربية بما أنه فى اتصال دار منيرة الحاضنة جارية أم موسى كان يعرف باسم باب دار منيرة، ودار منيرة الحاضنة من جملة بيوت عبد الرحمن بن عوف وانتقلت من يد لأخرى حتى وصلت ليد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ومنه إلى جارية أم موسى منيرة الحاضنة كما أن ساحة. دور ابن عوف فى زقاق قياشين انتقلت ليد قاضى الحرمين المشهور السيد محيى الدين الحنبلى.

فأسس محيى الدين الحنبلى فوق هذه الساحة داراً فى غاية الفخامة وبعد مدة وقفت هذه الدار لإقامة قضاة الحنابلة. وفى هذا العصر يقيم مفتيو الحنابلة فى هذه الدار ويستريحون.

١٦ - باب بقية دار منيرة:

السادس عشر من الأبواب المسدودة كان الباب الذى يقابل الجهة الأخرى من دار منيرة الحاضنة والذى يشتهر بباب بقية دار منيرة، ووقفت هذه الجهة من الدار فيما بعد لإقامة خدم مسجد السعادة وسُدّ الباب المذكور، وأحد هذين البابين كان ظاهر الآثار إلى وقت قريب.

فى ذكر المنازل القديمة
التى تحيط بمسجد السعادة من جهاته الأربعة

يقع منزل عبد الله بن عمر بن الخطاب فى الجانب الشرقى لجدار مسجد السعادة القبلى وفى الأصل كان هذا المنزل دار السيدة حفصة (رضى الله عنها).

وكانت ساحة هذه الدار فى الأول مكانا لتجفيف البلح عندما وسع عثمان بن عفان المسجد اشترى الساحة من صاحبها وأهداها إلى والدتنا المشار إليها، وفتح لها بابا إلى المسجد الشريف، وبعدما فتح هذا الباب اشتهرت ساحة ذلك البيت بـ «دار آل عمر» وفى آخر الأمر انتقلت تلك الدار لملكية عبد الله بن عمر.

وكانت فى الجهة الغربية من دار آل عمر دار «مروان» بن الحكم، وبقى جزء من ساحة هذه الدار من ساحة بيت حضرة عباس، لأن عمر بن الخطاب عندما وسع مسجد السعادة للمرة الأولى ضم نصف هذا البيت إلى مسجد السعادة وظل النصف الآخر خاليا وأصبح هذا المكان ميدانا صغيرا، فاشترى فيما بعد مروان بن الحكم هذا الميدان وبنى منزله المذكور.

قد بنى منصور قلاوون المصرى فى سنة ٦٨٦هـ فوق ساحة دار مروان بن الحكم ميضأة كاملة، إلا أن وجود الميضأة بجانب مسجد السعادة أصبح غير لائق بسبب الرائحة الكريهة التى تنبعث من هذه الميضأة والتى جعلت الوقوف داخل المسجد الحرام مستحيلاً، فهدم شيخ الحرم النبوى بشير أغا دور الخلاء تلك فى عهد السلطان محمود خان الأول ابن السلطان مصطفى خان وبنى هناك مدرسة كاملة منسوبة لاسم السلطان.

المدارس ـ

كانت فى البلدة الطاهرة غير المدرسة المحمودية سالفة الذكر اثنا عشر مدرسة أخرى هى.

١ ـ المدرسة المحمودية.

٢ ـ مدرسة بشير أغا.

٣ ـ مدرسة أزبك.

٤ ـ مدرسة ناظر الكيل.

٥ ـ مدرسة الشيخ مظهر.

٦ ـ مدرسة حسين أفندى.

٧ ـ مدرسة ساقزلى

٨ ـ مدرسة ثروت أفندى.

٩ ـ مدرسة أرنبود أفندى.

١٠ ـ مدرسة قره باشا.

١١ ـ مدرسة الشفاء.

١٢ ـ مدرسة فنايرجى.

إلا أن أشهر المدارس وأكثرها نظاما كانت المدرسة المحمودية، وسبب ذلك وجود هذه المدرسة متصلة بمسجد السعادة بين باب السلام وباب الرحمة، وفى الواقع كفى هذا شرفًا لهذه المدرسة فالحاجة للبحث عن أشياء أخرى لا يرجح كفة المدرسة على المدارس الأخرى.

وكان لمدرسة المحمودية ما يقرب من أربعين حجرة لإقامة الطلبة، وفى وسطها حديقة وفى الجهة الغربية شادروان فسقية، ومن حيث الانتظام كانت أولى مدارس البلدة الطاهرة وقد جددها السلطان محمود خان العدلى فى سنة ١٢٣٧ فى صورة جميلة.

وكانت لمدرسة المحمودية مكتبة جميلة وحجرات منتظمة وكان لسكان الحجرات رواتب كافية من مصر، وكنت تجد فى مكتبتها أى كتاب تبحث عنه.

المكتبات ـ المكتبات المشهورة والمعروفة اليوم فى البلدة الطاهرة بعد مكتبة المحمودية هى:

١ ـ مكتبة شيخ الإسلام السابق عارف حكمت بك، وهذه المكتبة تقع مقابل دائرة نائب الحرم النبوى فى ديار عشرة.

٢ ـ مكتبة شيخ الحرم أمين باشا ـ هذه المكتبة قريبة من الشرشورة وعلى شارع المديرية.

٣ ـ مكتبة بشير أغا ـ مكتبة أغا دار السعادة الشريفة الأسبق بشير أغا فى داخل مدرسة بشير آشكا الملاصقة لباب السلام.

٤ ـ مكتبة الحميدية ـ هذه المكتبة فى داخل المدرسة الحميدية وفى مكان يقال له «حارة الحزارة» فى نهاية الرصيف الذى فى حى الساحة.

٥ ـ مكتبة جمل الليل ـ هذه المكتبة فى دار المرحوم السيد جمل الليل.

٦ ـ مكتبة البساطى ـ وهى مكتبة أحمد بساطى أفندى من أهالى المدينة المنورة ومن خطباء الحرم الشريف.

٧ ـ مكتبة رباط سيدنا عثمان ـ فى داخل الرباط المنسوب لحضرة ذى النورين.

٨ ـ مكتبة المرحوم شيخ الإسلام السابق فيض أفندى وهى فى داخل مدرسة الشفاء.

٩ ـ مكتبة قره باشا عمر أفندى ـ فى داخل المدرسة المنسوبة لقره باشا عمر أفندى من الموالى الكرام.

١٠ ـ مكتبة مصطفى أفندى من ساقز ـ فى داخل المدرسة المنسوبة لمصطفى أفندى من الموالى الكرام.

١١ ـ مكتبة أرنبود ـ فهى من آثار مصطفى أفندى من المجاورين يعرف «بإحسانية».

١٢ ـ مكتبة الشيخ غفور أفندى ـ وقف عبد الغفور أفندى البخارى من المجاورين فى داخل التكية التى تنسب له.

١٣ ـ مكتبة مظهر أفندى ـ أثر الشيخ مظهر أفندى من أولاد الإمام

الربانـي مجد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السر هندي وهي داخل التكية المنسوبة له.

١٤ ـ مكتبة حسين أغا ـ وقف حسين أغا ناظر التكية المصرية الأسبق في المدرسة التي تنسب لاسمه.

١٥ ـ مكتبة فنايرجي ـ تنسب للمرحوم أمين أفندي من المجاورين في داخل المدرسة التي تنسب لاسمه.

١٦ ـ مكتبة ثروت أفندي ـ وقف محمد ثروت أفندي من المجاورين القدماء الذي مازال حيا.

١٧ ـ مكتبة الكيلي ـ أثر ناظر الكيل وهو من المجاورين في داخل المدرسة التي تنسب له.

١٨ ـ مكتبة سليم بك ـ وهي وقف سليم بك أفندي من رؤساء حجاب السلطان عبد المجيد خان.

١٩ ـ كمية ومقدار المصاحف الشريفة والكتب النفيسة في داخل المكتبات المذكورة من حيث المجموع.

عدد	مكان وجودها
١٨٠١	المصاحف الشريفة الموجودة في الروضة المطهرة مضافًا إليها المصاحف الشريفة التي عرفت في الصورة المخصوصة.
٥٤٠٤	ما في مكتبة عارف حكمت.
٠١٥٨	ما في مكتبة الحاجي أمين باشا.
٢٠٦٣	ما في مكتبة بشير أغا.
١٦٥٩	ما في المكتبة الحميدية.
٠٠٠٠	لم يحقق ما في داخل مكتبة جمل الليل من كتب.
١٢٤٦	ما في مكتبة بساطي أفندي.
٠٠٠٠	لم يحقق ما في داخل مكتبة رباط سيدنا عثمان.
١٢٤٦	ما في مكتبة فيض الله أفندي.

عدد	مكان وجودها
١٢٤٦	ما فى مكتبة قرة باش.
٠٥٩٣	ما فى مكتبة ساقزلى.
٤٦١	ما فى مكتبة أرنبود.
١٢٩	ما فى مكتبة الشيخ عبد الغفور.
١١٠٠	ما فى مكتبة مظهر.
٠١٠٠	ما فى مكتبة حسين أغا.
٠١٥٠	ما فى مكتبة فنايرجى.
٠٢٠٦	ما فى مكتبة ثروت أفندى.
٠١٥٧	ما فى مكتبة الكيلى.
٠٥٠٠	ما فى مكتبة سليم بك.
٠٤٥٦٩	ما فى مكتبة المحمودية.
٢٢٦١٥	المجموع

ما عد هذه المكتبات المذكورة كان فى كل مدرسة مكتبة، ولما كانت هذه الكتب بالنسبة للكتب الموجودة فى هذه المكتبات التى ذكرت أقل القليل صرف النظر عن ذكرها. انتهى.

وكان كذلك ليزيد بن عبد الملك منزل فى الجهة الغربية من دار مروان بن الحكم مكان منزل آل أبى سفيان، وكان منزل يزيد بن عبد الملك عند إنشائه أجمل المنازل فى المدينة، فهدم مؤخرا وصنع مكانه سبيل ووكالة، وبنى بجانب ساحة هذا المنزل الغربى القبلى مبنى من قبل السلطان قايتباى المصرى فى غاية الكمال فأسكن فيه الفقراء والمجاورين فأحيوا، ولكن ما بنته خاصكى سلطان، والسلطان مراد الرابع من عمائر قضت على شهرة عمارة قايتباى.

وكانت خاصكى سلطان إحدى زوجات السلطان سليمان بن السلطان سليم خان، وكانت العمارة التى بنتها خارج سور المدينة بالقرب من المصلى النبوى

وكانت عمارة ذات طابقين لا مثيل لها، وكان فى وسط هذه العمارة مسجد ذو مئذنة واحدة وله كثير من الأئمة الموظفين والخدم وكان أهالى السوق الذين لا يستطيعون أداء الصلاة في المسجد النبوى يصلون فى هذا المسجد.

وكان يصنع فيها حساء الدشيشة والخبز فى كل يوم وتوزع على الفقراء والضعفاء والمساكين والغرباء ولكن لشدة الأسف قد استولى على هذه العمارة بعد مرور وقت محافظو المدينة وبعد فترة اتخذوها دائرة حكومية فسكن فى حجرات الطابق الأعلى بعض أغوات المحافظين ذات الأهمية كما كان يحبس المتهمون فى حجرات الدور الأرضى، ومازالت مئذنة المسجد قائمة ولكنها أشرفت على الخراب، ولا يليق أن يصل ما بناه أجداد السلاطين العثمانيين معبدا إلى هذا الحد من السوء، فإذا ما جعل لسكنى الفقراء على الأقل كان فيه منفعة أخروية.

والمدرسة الفخمة التى بنتها خاصكى سلطان فى مكان قريب جدا من المسجد الحرام فى مكة قد استولى عليها القادرون من أهل مكة المكرمة وتؤجر للحجاج المسلمين، وإن كان تحسين حالة العمارة المذكورة فى المدينة غير ممكن، فإن المدرسة التى فى مكة المكرمة مازالت قائمة، وبما أنها تؤجر الآن للحجاج ترى هينة، ولو أجرت هذه المدرسة للموظفين الذين يعملون فى الدوائر الحكومية ستجذب إلى خزانة الدولة الجليلة ـ بقيد ما يدفعونه ـ إيرادا للخزانة، لأن المدرسة لا يستفيد منها الآن غير متسلطى الزمان. انتهى.

كان أمام بيت يزيد بن عبد الملك الدار التى اقتطعها الرسول ﷺ لـ «مطيع بن أسود. ويقال لهذه الدار «دار ابن مطيع» أيضا، وكان بياعو الفواكه فى ذلك العهد يبيعون ويشترون أمام باب هذا المنزل.

وانتقلت هذه الدار مؤخرا لإدريس بن سعد بن أبى السرح، وفى خلال سنة ٨٤٠هـ اشتراها عبد الباسط الزينى من أبى السرح وهدمها حتى الأرض وبنى فوق ساحتها مدرسة الباسطية أمام المدرسة التى تسمى «الأشرفية».

وكان فى ناحية الجدار الغربى للمسجد الشريف منزل (ابن مكمل) ولما اشتهر هذا المنزل بالشؤم هدم فيما بعد وبنيت مكانه مدرسة «جوبانية».

وفى الجهة الشمالية لابن مكمل منزل «تخام العدوى» وبين هذين البيتين طريق فى عرض ستة أذرع؟ ودار تخام العدوى مقابل باب الرحمة وكان لها باب يفتح إلى زاوية ساحة دار القضاء، والآن سبيل مدرسة الزهرية على ساحة تلك الدار.

وكان بجانب بيت تخام العدوى منزل جعفر بن يحيى، «ومنزل عاتكة» بنت يزيد الجميل وبرج حسان» بن ثابت الذى يقال له «فارغ» كانا فى داخل هذا المنزل وبما أنه خرب وانهار بنوا مكانه مدرسة الزهرية».

وكان فى الجهة الشامية لمنزل جعفر بن يحيى رباط «كليركية» والمنزل الخاص بسكنى السيدة سكينة[1] رضى الله عنها والذى كان يسمى دار النصير. واشترى الإمام السمهودى دار النصير هذه ووقفها لإقامة أقاربه. وأمام دار النصير طريق فى عرض ستة أذرع ينتهى إلى دار طلحة بن عبد الله. وفى الجهة الشامية من هذا الطريق منازل طلحة بن عبد الله، وفى غرب منزل طلحة منازل أبناء الزبير بن العوام «عودة» و «عمرو» وفى اتصالهما منزل منيرة جارية أم موسى الذى انتقل لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب.

وفى اتصال دار منيرة من الجهة الشامية، أى فى زاوية الشارع الذى يعطف إلى المخبز فى تلك الجهات باب صغير لآل يحيى بن طلحة، وفى اتصال هذا الباب، بيت «طلحة بن أبى طلحة» الأنصارى، وفى اتصاله البيت المشهور باسم «نزيل الكرام»، وفى الجهة الأخرى من هذا البيت طريق فى عرض خمسة أذرع وفى الجهة الأخرى من هذا الطريق منزل جارية تسمى «هالة» وفى الجهة الشرقية من هذا البيت مستشفى المستنصر بالله، وفى جنبها «دار الحميد» المنسوب لـ «أبى

(١) السيدة سكينة بنت حسين بنت على رضى الله عنها بنت حسين بن على من صلبه اسمها الأصلى «أمينة» وكانت تشتهر بين علماء عصرها الأدباء بالظرف والفضيلة والعلم وحسن الطبع وإن كان يروى أنها مدفونة فى الشام فالحقيقة أنها مدفونة فى مصر مع «زينب الكبرى، بنت فاطمة الزهراء والآخرين من أهل بيت النبوة وضريحها مشهور رضى الله عنها وعنهن أجمعين.

لغيث بن المغيرة» بن حميد بن عبد الرحمن، وهو البيت الذى خصصه عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ لاستقبال وإقامة ضيوف النبى ﷺ، وكان النبى ﷺ أمر بذاته ببناء هذه الدار. وساحة هذه الدار السعيدة وأرضها الآن المحل الذى أقيم فيه «رباط الطاهرية» فى جانب دار الحميد والذى يعرف اليوم باسم دار الضيافة. وفى اتصالها كانت دار ابن مسعود الموسومة بـ «دار القرار». وقد أُخذ بعض أجزاء دار القرار فى عهد وليد بن عبد الملك والجزء الآخر فى عهد مهدى بن هارون الرشيد، وألحق بمسجد السعادة وإن كان المؤرخون رووا أن بعض أجزاء دار القرار. التى فى الجهة الشامية من المئذنة الشرقية والجهة الشرقية من دار المضيف، ظلت خارج مسجد السعادة إلا أن هذا القول غير صحيح.

وفى الجهة الشرقية من جدار مسجد السعادة منزل موسى بن إبراهيم مقابل دار الضيافة، وفى جهته الشرقية الميضأة المعطلة ودار رئيس المؤذنين، وبين هذين البيتين. كان الطريق الذى يسمى بـ «خرق الجمل» وبما أن هذا الطريق كان ينتهى إلى حصون المدينة المنورة القديمة اشتهر «بزقاق الجمل» ومازال معروفا إلى الآن بهذا الاسم.

وكان منزل «أنس بن مالك» السعيد فى الجهة الشامية من سور المدينة وبين هذا المنزل وبين «زقاق الجمل» بيت «فاطمة بنت قيس» وفى اتصاله أرض «دار موسى» من بيوت قهيطم. واشترى هذه المنازل وساحة «دار رسام» فى اتصالها القاضى الفاضل فيما بعد وبنى على أرضها رباطا فاخرا. وكان منزل «عمرو بن عاص السهمى» فى جهة الطريق الذى ينتهى إلى حى حوش حسن، وكان هذا الطريق فى اتصال هذا الرباط، وفى جهة منتهى رباط السبيل[1] وكان بجانب دار عمرو بن العاص السهمى دار «خالد بن الوليد» ولما انقطعت ذرية خالد بن الوليد انتقلت تلك الدار إلى أولاد أخيه عبد الله بن الوليد.

---

(١) الجزء الأمامى من هذا الرباط ساحة الدار المنسوبة لخالد بن الوليد.

وقد عرض خالد بن الوليد على النبى ﷺ ضيق هذه الدار وعدم استيعابها لأولاده وعياله فرد عليه النبى ﷺ «إذا أردت تستطيع أن ترقيها وتعليها حتى السماء» يعنى تستطيع أن تضيف إليها عدة حجرات أخرى.

وكان بجانب دار خالد بن الوليد منزل «جبلة بن عمرو الساعدى» وبجانبه منزل ريطة بنت أبى العباس، وكان منزل جبلة بن عمرو الساعدى - رضى الله عنه - بنى فوق ساحة منزل الصديق الأعظم - رضى الله عنه - وانتقل فى فترة ما إلى أسماء بنت الحسين العباسى، وهدم مؤخرا وبنى مكانه «رباط النساء».

وكان بيت الصديق الأكبر الذى انتقل إلى جبلة بن عمرو الساعدى أمام دار عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الصغيرة وفى شارع بقيع الغرقد. وكانت هذه الدار الصغيرة خلف بيت عثمان بن عفان الكبير. وهذه الحجرة المباركة ماتزال قائمة حتى الآن وتعرف «بمشهد عثمان».

وأمام الدار الصغيرة طريق فى عرض خمسة أذرع ويمتد حتى مقبرة بقيع الغرقد. والدار الكبيرة التى تنسب لعثمان بن عفان فى مقابل مدرسة الشهابية، يفصل بينهما طريق فى عرض خمسة أو ستة أذرع. قد بنيت فوق مساحة الدار الكبيرة دائرة مشيخة خاصة بشيوخ الحرم إذ استصغر شريف باشا، وكان شيخ الحرم النبوى فى عهد السلطان عبد الحميد خان، دائرة المشيخة القديمة وحصل على إدارة سنية لبناء دار جديدة للمشيخة وبنى دائرة تشتمل على خمس وأربعين حجرة وأعلى من القبة الخضراء النبوية وكانت هذه الدائرة الواسعة فى الجهة الشرقية من حجرة السعادة وعلى بعد خمسة عشر ذراعا ومع ذلك بنى قصرين لا مثيل لهما أمام باب جبريل، ولم يتجرأ أحد أن يبنى فى داخل المدينة مبنى فى هذا الاتساع وهذا العلو تأدبا. فكتب بعض المعترضين على جدران تلك الدائرة ليلا بيتًا ضَمَّنَهُ عدم الارتياح لما قام به شريف باشا:

وأخذ الناس يتحدثون فى اجتماعاتهم شريفهم ووضيعهم قائلين إن شريف باشا لن يستطيع أن يقيم فى هذه الدائرة الفخمة.

وفعلا حدث ما يتوقعون. إذ وجه إليه ولاية جدة ولما يتم بناء دائرة المشيخة وبهذه المناسبة لم يستطع أن يجلس ولو ساعة واحدة لإجراء الحكم فى الدائرة التى بناها وفقا لأفكاره الهندسية (لسان الخلق أقلام الحق).

وساحة المدرسة الشهابية أى الساحة المقابلة لدار عثمان بن عفان هى أرض دار أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ حيث استضاف النبى ﷺ. وقد انتقل ذلك البيت الذى لا مثيل له من يد إلى أخرى وفى النهاية اشتراه مظفر شهاب الدين الغازى أخو الشهيد سلطان نور الدين وبنى مكانه المدرسة الشهابية وخص بها علماء المذاهب الأربعة، وكان فى اتصال بيت أبى أيوب الأنصارى بيت الإمام الهمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام حسين بن الإمام على بن أبى طالب «رضى الله عنهم».

وكان السبيل والمسجد الشريف اللذان ينسبان لأوقاف الإمام كانا فى داخل هذه الدار، ولقد انتقلت تلك الدار مؤخرا ليد حارثة بن النعمان، وتنازل ابن نعمان، بدوره عنها لشاهين الجمالى الشجاعى. وبنى شاهين الجمالى هناك داراً خاصة به وجدد مسجد الإمام جعفر فى صورة عظيمة، وأحياه.

وكان منزل الإمام حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب مقابل منزل الإمام جعفر من الجهة الغربية وفوق ساحة الحصن المعروف بـ «قويرع» وفى النهاية دخل سواء أكانت دار الإمام حسن بن زيد أو بيت الإمام جعفر تحت تصرف أمير الحرمين السيد الشريف محمد بن بركات.

وكان بيت فرج الحصين مقابل بيت حسن بن زيد أى فى مقابل المدرسة الشهابية، وكان منزل عامر بن عبد الله بن عبد الله بن الزبير بن العوام بجانب دار فرج الحصين، والدار التى كان يطلق عليها دار آل عمر فى اتصال دار عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام والرباط الذى يعرف الآن باسم (مراغة) فوق عرضه دار فرج الحصين.

في ذكر الأرصفة التي كانت تحيط المسجد النبوى الشريف في عصر السعادة وبيوت الصحابة التي استقرت على جانبي هذه الأرصفة (رضى الله عنهم)

اختلف المؤرخون القدماء فى الوقت الذى صنعت فيه الأرصفة التى على جهات مسجد السعادة الأربعة، قال بعضهم: «إن أرصفة المدينة المنورة أحدثت فى عهد حضرة معاوية»، وقال بعضهم رادين قول الأوائل: «وإذا ما نظرنا عندما دخل جابر بن عبد الله مع رسول الله إلى مسجد السعادة وقوله «وتركت جملى على الرصيف» ورواية رجم يهوديين على الرصيف وما نقل أن عثمان بن عفان كان قد توضأ فوق الرصيف ظهر أن هذا الرصيف كان فى عهد الرسول ﷺ».

والرصيف الذى أنشأه معاوية بن أبى سفيان رصيف موضع الجنائز الذى فى الناحية الشرقية من مسجد السعادة.

ونحن أيضا نحكم بصحة القول الثانى لما ساقوا من أدلة قوية ترجح قولهم».

بناء على قول الثقاة الذين يبحثون عن الحق كان هناك عدة أرصفة متصلة بمسجد السعادة.

١ ـ الرصيف الأول من هذه الأرصفة «كان يبدأ من باب الرحمة مارًا بسوق الصياغ والعطارين ويستمر إلى ضريح مالك بن سنان «رضى الله عنه» ومن هناك يميل وينعطف قليلا ناحية دار السلام ثم يعود فيتصل أمام باب الرحمة.

٢ ـ الرصيف الثانى من الأرصفة التى كانت فى عصر السعادة كان يبدأ من باب السلام ويمتد إلى أن يتصل ببوابة الحصن التى كان يطلق عليها باب السويقة دون انعطاف ولا انحراف إلى أى جهة ثم كان يعود إلى ناحية مصلى العيد

وينتهى عند منزل ابن هشام، كان هذا الرصيف يمتد إلى نهاية مسجد السعادة بطريق الجهة الشرقية عن طريق بقيع الغرقد إلى منزل المغيرة بن شعبة ومن الناحية الشامية إلى نهاية مسجد السعادة كما قلنا، وكان أحد الجهتين يتصل برصيف باب الرحمة فيعود من هناك وينقطع عند الدار الكبيرة التى تنسب لعثمان بن عفان لأن الأبنية التى فى الجهة القبلية من مسجد النبى ﷺ بنيت ملاصقة للأبنية المقدسة لذلك لم تكن فى هذه الجهة أرصفة، وبناء على هذا التعريف فإن الرصيف الذى كان ينتهى إلى المصلى النبوى كان أكبر الأرصفة وكانت جهتاه مزينتين ببيوت عالية، وكان فى الجهة اليسرى لمن يتوجهون إلى مسجد السعادة من مصلى العيد النبوى منزل إبراهيم بن هشام وفى الجهة اليمنى التى تميل إلى الغرب يوجد منزل سعد بن أبى وقاص، وكان يفصل بين هذين المنزلين طريق كبير.

والجهة اليمنى من منزل سعد بن أبى وقاص كان المنزل الذى أخذه من الإمام أبى رافع وفى الجهة اليسرى أيضا بيت منسوب للمشار إليه وكان يفصل بين هذين المنزلين طريق فى عرض عشرة أذرع. وكان حضرة سعد قد وقف جميع هذه المنازل فى حياته.

وكان فى اتصال منزل سعد الثانى وفى الجهة الشامية دار مشهورة بدار نوفل بن مساحق العامرى منسوبا إلى آل خراش من بنى عامر بن لؤى. كما أن خلف هذا المنزل كان «مكتب العودة» متصلا بمسجد بنى زُرَيْق. وكان فى الجهة اليمنى من منازل آل خراش الدار التى يطلق عليها «منزل حفصة» وفى الجهة القبلية من هذه الدار. دار عمار بن ياسر وفى جهتها الشرقية دار عبد الرحمن بن الحارث، وفى الجهة القبلية من هذه المنازل مسجد «بنى زريق» وفى الطرف الشرقى منها شارع «دار عبد الرحمن بن الحارث» ودار أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فى هذا الصف، ولكن تلك الدار ستذكر فى الطريق الذى كان النبى ﷺ يعود منه من صلاة العيد، وإذا ما دخل الآن من باب المدينة المنورة إلى داخل المدينة واتجه ناحية مسجد السعادة فأول زقاق يصادفه الإنسان أرض دار عبد الرحمن بن

الحارث. وإذا ما رجع الإنسان من هناك لبقيت تلك الأرض فى اليمين. ومن كان فى هذا الموضع يصادف للجهة اليمنى القبلية مسجد بنى زريق. والذين يدخلون من باب المدينة إلى الداخل ففى جهتهم اليسرى الشامية توجد «دار آل خراش» ودار الربيع، ودار نافع بن عتبة بن أبى وقاص، وعلى الطرف الأيسر منهم «دار حويطب بن عبد العزى ودار آمنة بنت سعد بن أبى وقاص» وعلى جانبه «دار عمرو بن أبى وقاص، وفى اتصالها زقاق عبد الرحمن بن الحارث وفى الجهة اليمنى فى هذا الزقاق «دار عبد الرحمن بن عوف»، وعلى يمينها» زقاق أبى أمية بن المغيرة وأمامه وعلى يمين الزقاق، «دار خالد بن سعد! يقال لها بيت ومنزل ابن عقبة ـ أيضا ـ وأمامه دار أبى الجهم مالك بن أبى عامر، وبجانبهم «دار نوفل بن عدى» وكل هذه المنازل كانت منازل ذلك العصر المشهورة والمنتظمة.

قال موسى بن عقبة: قتلوا يهود بنى قريظة وأعدموهم على الرصيف الذى بجانب دار أبى الجهم، حتى سالت دماؤهم على حجارة[1] المحلات التى تبيع زيت الزيتون إلا أن قول موسى بن عقبة مخالف لأقوال أئمة السير الذين قالوا إن النبى ﷺ حفر حفرة فى سوق المدينة حيث قطعت أعناقهم بالسيف.

ومن هنا فقول موسى غير قابل للتأويل والقبول.

(١) هذه الحجارة بجانب مشهد مالك بن سنان وأمام البيت الذى أعطاه عمر بن الخطاب لعباد بن عبد المطلب، ويقال لهذا المكان فى عصرنا «قبان الزيت».

فى تعريف السوق التى أرادها النبى ﷺ لأهل المدينة وجهاتها

أراد النبى ﷺ أن يعين لأصحابه الكرام مكانا للسوق للأخذ والعطاء فشرف أولا سوق «بنى قينقاع» ثم سوق المدينة وضرب الأرض برجليه المباركتين قائلا «هاهنا سوقكم، فلا يضايق بعضكم البعض، فلا تأخذوا ضريبة وجزية»، وبناء على قول ابن زبالة أن النبى ﷺ، شرف يوما حى بنى ساعدة ليختار مكانا للسوق، وخاطب أفراد بنى ساعدة قائلا: «لا إننى جئت إليكم طالبا حاجة منكم، أعطونى مقبرتكم، وسووها واتخذها سوقا».

وبما أن جماعات بنى ساعدة قبلوا ذلك وأعطوا مقبرتهم فضرب بقدميه على الأرض قائلا «ها هى السوق التى ستقيمونها للتجارة» وعين لهم حدودها الأربعة، وعلى ذلك سطحت مقبرة بنى ساعدة وأقيمت هناك السوق، وكانت مقبرة بنى ساعدة فى الجهة الشرقية لدار أبى ذئب.

وكانت إحدى جهات السوق التى أرادها النبى ـ عليه السلام ـ مصلى العيد، وجهة أخرى منها الفاصلة التى بين سبيل سعد بن عبادة، الجهة الثالثة سبيل سعد بن عبادة، والجهة الرابعة حدود «ثنية الوداع» وكان حدود «بقيع الخيل الأربعة» داخل السوق التى عُرِّفَتْ.

كان أهل المدينة يتبادلون التجارة فى السوق المذكورة إلى عصر عبد الملك بن مروان، وقد اشترى إبراهيم عبد الملك فى عهد حكم أخيه هشام بن عبد الملك ١٠٦هـ المحالّ المذكورة، وأغلق أبواب ونوافذ تلك البيوت الناظرة إلى السوق، وسد وأغلق كل المعابر كل واحد من تلك المحال ثم أسس كثيرا من البيوت

والمنازل وأجرها. وفتح أبوابا لكل منزل أجره لتكون خاصة للمستأجرين بالذين أستأجروها لعبورهم ومرورهم في زاوية منزل عمر بن عبد العزيز الواقع في الجهة الشامية من تلك البيوت التي أنشأها وفي نهاية رصيف مصلى العيد يعني بجانب دار عباس المعروفة بـ «الزوراء» التي في قرب ضريح مالك بن سنان وأغلق جميع مناظر ومناور البيوت الكائنة في جهة دار عباس «الزوراء» ولكن بيوت الإيجار التي بناها إبراهيم بن عبد الملك هدمت بعد وفاة هشام بن عبد الملك من قبل سكنة دار السكينة.

وأعيدت إلى حالتها الأولى في سنة ١٢٥هـ، وظل هذا السوق فترة طويلة على هذه الحالة إلا أنه كلما تباعد عصر السعادة واتسعت البلدة الطاهرة تحقق لزوم إنشاء أسواق أخرى في الأحياء الأخرى. واتخذ نظام إقامة الأسواق عادة بين الأهالي وأخذوا يطلقون على كل واحدة منها اسما خاصا، إلا أن كل هذه الأسواق لم تكن أسواقا منتظمة تزينها المحلات والدكاكين، وشأنها شأن أسواق استنبول والبلاد الأخرى تتألف من «أكشاك» خشبية وكراسي والدكاكين الوقتية وهنا أسواق عديدة بدكاكينها. إلا أنها كانت متقاربة وكان كلها في ميدان المناخة كما أن بين الأحياء محلات العطارة وما يشبهها من الدكاكين الصغيرة.

والأسواق التي يذكرها أهل المدينة بأسمائها هي:

سوق الجباية «السوق التي تطلق عليها الجباية» أعظم وأهم أسواق المدينة وأكثرها نظاما، ودكاكينها «أكشاك» ذات مظلتين وجهة تسميتها بهذا الاسم قصر بناء الحيوانات لهذه السوق.

سوق التجارة ـ هذه السوق في الدرجة الثانية من أسواق المدينة وفي الجهة القبلية من سوق الجباية. وفيها يباع التمر ودكاكينها «أكشاك» معروشة.

سوق السمانة ـ هي سوقي الزياتين والرواسة، **وسوق بياعي الأكارع** وبما أنهما متصلتان يعد الاثنان سوقا واحدة في نظر الأهالي وتتكون الأكشاك والدكاكين من العروش.

سوق الفلتية ـ مثل الأسواق الأخرى تتكون من عدة دكاكين معروشة يباع فى دكاكين هذه السوق:

سوق «الأعشاب، والجلود، الحبال، الفحم، الحطب» وما يشبهها من اللوازم الأخرى.

الخضرية ـ سوق الخضراوات هذه تقع فى الجهة الشرقية للسوق سالفة الذكر، ودكاكين بائعى الخضر أكشاك معروشة.

سوق الجزارة ـ هى سوق بيع اللحم التى تقام فى الجهة القبلية لسوق الخضراوات، والقصابون يعرضون الأغنام المذبوحة معلقة على العلاقات ويبيعونها.

سوق العطارة ـ تقع مقابل سوق القصابين، وتمتد هذه السوق إلى شارع النخاولة، وتنتهى بالباب المصرى ويُتجر فيها بمواد العطارة والأقمشة، والتبغ والطباق، وفى جهة من جهاتها مقهيان.

سوق البياطرة ـ تقع فى الطرف الشمالى إلى سوق الجباية وهى سوق الخيل، ويباع فيها النحاس أيضا.

سوق البرسيم ـ سوق يباع فيها البرسيم.

سوق الفطارين ـ سوق تباع فيها هذه الفطائر والطعام ويتم البيع فيها إما فى الأكشاك المفروشة أو فى أماكن مكشوفة.

سوق الدلال الخردجية ـ سوق تباع فيها الأشياء القديمة مثل «سوق المقمل» فى إستانبول حيث تباَع الأشياء القديمة ويقع سبيل فاطمة فى الجهة الغربية من داخل هذه السوق وبالقرب من باب مصر.

وفى هذه السوق أو فى الأسواق الأخرى عدة مقاهى للاستراحة.

الوجهة الخامسة عشرة
تحتوى على أربع صور فيها ذكر مصلى العيد النبوى
والمساجد والمنازل القائمة فى ممرات بهذه المساجد
ومسجد قباء وبيت النفاق الضرار
والمعابد النبوية المعلومة وغير المعلومة

فى ذكر المساجد التى صلى فيها سيد الزاهدين
محمد صلى الله عليه وسلم
صلاة العيد ومنازل الصحابة الموجودة فى طريقها

أول صلاة عيد أداها إمام الأنبياء ـ عليه أعظم التحايا ـ فى المدينة هما صلاتا عيد الفطر وعيد الأضحى اللتان أداهما النبى ﷺ فى السنة الثانية للهجرة.

وبناء على قول الإمام الواقدى أن النبى ﷺ صَلَّى هاتين الصلاتين للعيدين فى المكان الذى خلف بيت حكيم بن عدى بن بكر بن هوازن والمستقر بجانب أصحاب المحامل.

وحمل معه الحربة التى أعطاها النجاشى ملك الحبشة للزبير بن العوام.

ويحمل أئمة المدينة اليوم وهم يذهبون لأداء صلاة العيد تلك الحربة معهم. وكان ذلك الميدان فى الجهة الغربية فى المصلى المشهور الذى سبق تعريفه، وفى اتصال حديقة «العريضية لا من جهتها الشمالية». وأحيط أخيرا بسور من جهاته الأربعة واتخذ مسجدا.

وعندما حاصر المصريون حضرة عثمان بن عفان وضيقوا عليه الخناق وأَمَّ على بن أبى طالب الناس فى هذا المسجد بقى اسمه «مسجد على» وإن كان هذا ما يروونه إلا أن عليًا بن أبى طالب لم يكن يؤدى الصلاة فى مكان لم يصل فيه نبينا إمام قبلة الدين ـ عليه السلام ـ وبناء عليه يلزم ألا يكون لهذه الرواية أساس.

ويروى بعض المؤرخين أن أبنية ذلك المسجد قد اندرست مع مرور الزمن ولم يبق لها أثر، وقد اعتادت قوافل الحجاج أن يدفن فى خرائبه جنازات من يموتون

منهم، ولقد عثر فى سنة ٨٨١هـ والى المدينة المنورة خرائب هذا المسجد وطهرها وبنى الأبنية التى عليها اليوم، إلا أن هذه الرواية تخالف الرواية التى نقلها كتابة.

يقول إبراهيم بن أمية ناقلا عن شيخ جليل ذو ضمير حى لامع فى الرواية التى نقلها كتابة:

صلى النبى ﷺ أول صلاة عيد فى المدينة المنورة بجانب منزل ابن أبى الجنوب فى محلة «الدوسى» وصلى صلاة العيد الثانى خلف منزل حكيم بن عدى بجانب دار حفرة، وصلى صلاة العيد الثالثة بجانب منزل عبد الله بن درة المزنى الكائن بين دار معاوية ودار كثير بن الصلت. وصلى صلاة العيد الرابعة بين الحجارة السوداء القريبة من المصلى المشهور وصلاة العيد الخامسة داخل منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت، وصلاة العيد السادسة فى محل المصلى المشهور.

كان منزل ابن أبى الجنوب فى الجانب الغربى من وادى «البطحاء» وداخل منزل حكم حفرة سالف الذكر وكان منزل ابن درة[1] المزنى على الجانب الغربى من المصلى ودار كثير بن الصلت فى الجهة القبلية من المصلى المذكور والمكان الذى أشير إليه بالحجارة السوداء فى داخل حديقة «العريضية».

القريبة من مصلى العيد. ويوجد الآن فى الحديقة التى كانت تعرف بالريشهية فى ذلك الوقت المسجد الذى ينسب إلى الصديق الأعظم. لما كان الصديق الأكبر يصلى صلوات الله على أرض هذا المسجد عندما كان خليفة سمى هذا المسجد «مسجد أبى بكر».

صلى النبى ﷺ صلاة العيد الأولى بالقرب من دار الشفاء وصلاة العيد الثانية فى محلة «الدوسى» وصلاة العيد الثالثة فى المكان الأنور الذى يسمى مصلى العيد، بعد ذلك لم يترك هذا المكان حيث أدى جميع صلوات

(١) درة اسم قبيلة تتشعب عن جماعة مزينة.

العيد بعد ذلك فى هذا المكان فى حياته، هذا هو المروى وهذه الرواية جديرة بالترجيح على تدقيقات الإمام الواقدى وإبراهيم بن موسى لقول ابن شيبه ناقلا عن شيخه ومصاحب الإمام مالك: من باب مروان ـ أى من الباب الذى عرف بباب السلام ـ إلى مسجد السعادة ومصلى العيد ألف ذراع وليس فى المدينة المنورة فى طريق مصلى العيد مكان أقدس من مصلى العيد بعد المسجد النبوى الشريف.

ينقل عن جناح النجار أنه قال: كنت قد ذهبت إلى مكة مع أخت سعد بن أبى وقاص «عائشة» فقالت لى فى أثناء الطريق: «أين تقيم فى المدينة؟» فقلت لها: أسكن فى بيت قائم على رصيف من أرصفة باب السلام. عندئذ قالت لى: «إذا كان كذلك فلا تترك هذا البيت، لأن والدى سمع عن رسول الله ﷺ: «إن ما بين مسجدى والمكان الذى صلى فيه العيد جنة من رياض الجنة»، وبهذا بين قداسة الطريق الذى بين المسجد الشريف ومصلى العيد وعرف أشرفيته.

وكلما كان النبى ﷺ عائداً من أحد أسفاره ويصل إلى مصلى العيد، يستقبل القبلة ويدعو. وكان يذهب من طريق لأداء صلاة العيد ويعود عن طريق آخر، كان يذهب إلى المصلى من شارع باب السلام ويعود من الطربق الذى يمر من أمام دار عمار بن ياسر وكان الصحابى أبو هريرة يتباهى ويتفاخر قائلا: «إن زاوية دارى أحب إلى وأجمل من كل شىء وكيف لا تكون كذلك؟! والنبى ﷺ كان يذهب من إحدى زواياها إلى مصلى العيد ويعود من زاويتها الأخرى».

وقد خرب مصلى العيد النبوى وفيما بعد جدد فى سنة ٧٤٨هـ من قبل السلطان ناصر الدين حسن بن قلاوون، وإلى الآن فوق طاقة حجر كتبت عليه العبارة الآتية: «قد جدده شيخ الحرم النبوى عز الدين بإدارة ناصر حسن بن محمد بن قلاوون سلطان مصر سنة ٧٤٨».

ويقع المسجد المذكور فى الجهة اليسرى من حديقة «عريضية» وكان قد جدد

أيضًا فى سنة ٧٦٢هـ ولما كان مسجد مصلى النبى ﷺ فى مدخل حديقة عريضية كان الدخول فى هذه الحديقة يتم من داخل المسجد الشريف وكانت ساحة المسجد الشريف تلوث بسبب الحيوانات التى تدخل وتخرج من و إلى الحديقة ووصلت القذارة أحيانًا إلى كل مكان لدرجة أن المصلين لا يجدون فيه قبة لأداء الصلاة. فاستدعى الأمير إينال صاحب الحديقة واستأذنه وصنع للحديقة بابا آخر. وصنع للمسجد سقفًا مخصوصًا وفتح للشبكة التى فى الجهة الغربية باباً فى جدارها وجعل دهليزًا خاصًا لدخول الحيوانات. وبما أن الحيوانات منعت من الدخول لحرم مسجد النبى ﷺ فى المصلى ظل دائمًا نظيفًا؛ وفى سنة ٨٦١هـ وبما أن باب مصلى العيد كان خاليًا من المصراع فتحوا بابًا فى مواجهة المحراب لجداره الشامى. وركبوا لبابه القديم مصراعًا؛ وكان للباب الذين فتح حديثًا من خارجه مكان يصعد إليه بسلم؛ وعمرت صفة ذلك المكان اللطيف فى عهد الأشرف إينال تحت نظارة الأمير برد بك فى سنة (٨٦١) وكان الأئمة الذين يؤمون الناس فى صلوات الجمع والأعياد والخطباء يجلسون فى هذه الصفة. بينما كان الأمير يرد بك يعمر هذه الصفة جعل للخارجية فاعتاد الأعيان من أهل السنة أن يجلسوا فى هذا المكان من الأئمة والخطباء وعندما يحين وقت الصلاة كانوا يدخلون فى المسجد.

أول من قام بالإمامة والخطابة تحت هذه السقيفة من قضاة أهل السنة هو العلامة «سراج الدين أحمد ـ رحمه الله ـ الذى عينه منصور قلاوون الصالحى وأرسل إلى المدينة المنورة سنة ٦٨٢هـ وبما أن جميع القضاة والخطباء قبل سراج الدين أفندى كانوا من طوائف الزنادقة قد تعرض سراج الدين أفندى من أفراد الزنادقة لكثير من التحقير والإهانة كما عرف ذلك فى الصورة العاشرة من الوجهة الأولى والصورة العاشرة من الوجهة الثالثة.

ابن فرحون من المؤرخين الذين أدركوا الدوز الذى ظهر فيه أفراد الزنادقة على أهل دار السكينة وتغلبوا عليهم. وقال فى تاريخه: «إننى رأيت بنفسى ما ألحقته طائفة الملاحدة لائمة أهل السنة من الإهانات رأى العين، كانوا يرجمون

أئمة أهل السنة الذين يصلون فى المحراب والخطباء الذين يخطبون على المنبر وبلغ من جرأتهم و غلوائهم أن الأئمة الذين يؤمون المصلين فى صلاة العيد كانوا لا يستطيعون أن يخرجوا من الباب الرئيسى بل يخرجون من الأبواب الصغيرة التى فتحت فيما بعد. ولا يستطيعون أن يخطبوا مواجهين الجمهور وكانوا يصعدون من سلم الصفة التى عمرت فى عهد الأشرف إينال ويخطبون وهم يستدبرون القبلة؛ ولكن السقيفة التى صنعت فيما بعد من قبل أمير المعمار برد بك تحول دون رؤية وجه الخطيب، وإلقاء الخطبة بهذا الشكل كان مخالفًا للسنة النبوية الشريفة إلا أن إلقاء الخطباء خطبهم بهذا الشكل كان مبنيًا على رأى الأهالى الذين يرددون أن النبى ﷺ قد ألقى الخطبة فى ذلك المكان الميمون. وبعد أن غلبت طائفة الملاحدة الرذيلة على أمرها، تركت الحالة السابقة كليًا وأخذت الخطب تلقى على الوجه المسنون».

إن المعبد اللطيف الذى ذكرناه طويلاً سابقًا مازال موجودًا إلى يومنا هذا ويعرف باسم «مسجد النبى» ويشتهر بذلك.

تذكر وتعرف مسجد قباء

بناء على ما ورد فى الكلام عن سنة الهجرة شرف النبى ﷺ قرية قباء بالنزول فيها. وسكن محلة بنى عمرو بن عوف أكثر من عشرة أيام وتفضل بإقامة مسجد قباء، هذه الرواية منقولة عن أئمة السير، إلا أن فرقة من المؤرخين يرغبون فى رد هذه الرواية، وبناء على أدعاء هؤلاء المؤرخين تبين لنا أن النبى ﷺ أقام ثلاث ليال(١) فى محلة بنى عمرو بن عوف فى مكان وأخذوا يصلون فى مربد كلثوم بن هِدْم حيث أسسوا مسجد قباء، وكان النبى ﷺ يصلى مدة وجوده فى محلة بنى عمرو بن عوف على ساحة هذا المسجد وذهبت فى فرقة من المؤرخين إلى أن أسعد بن زرارة قد أسس مسجد قباء قبل الهجرة وقالوا موضحين ذلك كانت ساحة مسجد قباء مربد كلثوم بن هدم، وكان أسعد بن زرارة قد أحاط هذا المكان من جهاته الأربعة بجدار حتى يصلى فيه الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ الذين هاجروا قبل الرسول ﷺ وليجتمع مع سائر المسلمين الذين سيأتون يوم الجمعة من سائر القرى، وصلى النبى ﷺ فى داخل هذا المكان وأمرهم بأن يتخذ أهل قباء هذا المكان مسجدًا لهم.

وإننا نحكم بأن ما قالته هذه الطائفة من المؤرخين خطأ من أساسه ونرى أن ما ذكرته الطائفة الأولى من المؤرخين أقرب إلى الصحة، لأن النبى أثناء مقامه فى محلة بنى عمرو بن عوف صلى فى ساحة مسجد قباء، وهذا قطعى الثبوت

(١) اختلف الرواة فى المدة التى أقامها رسول الله ﷺ فى قباء، فقيل أربعة، وقيل أربعة عشر وقيل اثنان وعشرون.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٨٠-٨٣. ط دار الفكر بتحقيق محمد فهمى الرجانى. والدرر لابن عبد البر من ٨٥، وغيرها.

وروايته تستند إلى أقوال موثوق بها. بينا ادعى جابر بن سمرة أن الرسول ﷺ أسس وبنى مسجد قباء بعد تشريفه مدينة العز المدينة المنورة وقال: قام النبى ﷺ فى المدينة المنورة وشرف قرية قباء، وقال لمستقبليه من أهل قباء: «يا سكان قباء»، وبعد ما هيأ أهل قباء مقدارا كافيًا من الحجارة خط رسول الله ﷺ بحربته حدود المسجد الميمون وأمر بحفر أساسه، وحمل بنفسه قطعة من الأجُرّ ووضعها فى المكان الذى سيتخذ محرابا، ثم خاطب أبا بكر الصديق وقال له: «يا أبا بكر خذ أنت أيضًا حجرًا وضعه فوق حجرى، ويا عمر احمل أنت أيضًا حجرًا وضعه فوق حجر أبى بكر، ويا عثمان ضع أنت أيضًا الحجر الذى حملته بجانب حجر عمر ويأأيتها الجماعة، ابنوا الجدران بوضع الحجارة حيثما تريدون».

وهكذا أمرهم بطرح وبناء مسجد قباء المقدس؛ انتهى.

ويفهم مما أورده جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قد حضر وصنع أساس المسجد المذكور الذى سيُتخذ المحراب المذكور وأن أهل قباء قد أكملوا بناء جدران وسقف المسجد بعد أن شرف النبى ﷺ المدينة المنورة، وبناء على هذا أقول يقتضى الحكم بصحة ما ادعاه سواء أكان أهل السير أو المؤرخون.

قد حضرت شموس بنت نعمان وضع أساس مسجد قباء وعندما أخذ النبى ﷺ حجرًا ووضعه فى المكان الذى سيتخذ محرابا وكانت تقول كلما تعرف وضع أساس المسجد المذكور: إننى أجلت النظر فى الصحابة الكرام الواحد تلو الآخر فى أثناء إرساء أساس مسجد قباء، وقد حمل النبى حجرًا كبيرًا وكان فى غاية الثقل كان ثقل الحجر يؤثر فى سرته المباركة؛ ولما رآه واحد من الصحابة الكرام على هذه الحالة قال للرسول ﷺ يارسول الله فداؤك أبى وأمى، اترك هذا الحجر حتى أحمله عنك فقال له الرسول! لا فليحمل كل واحد منكم حجرًا كبيرًا حتى تكملوا إرساء أساس المسجد؛ لأن جبريل - عليه السلام - يرينى الكعبة المعظمة.

وأضافت شموس: من هنا أعرف أن مسجد قباء أقوم المساجد من حيث اتخاذ القبلة.

ورواية شموس بنت نعمان[1] هذه «مسجد قباء أقوم المساجد من حيث اتخاذ القبلة رواية صحيحة، ولكن بناء مسجد قباء كان قبل تحويل القبلة، وبما أن القبلة تحولت بعد ذلك بسنة فمحراب أبنية مسجد قباء الذى كان فى ذلك الوقت غير موجود الآن.

اختلفت الأئمة فى سبب نزول الآية الكريمة

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (التوبة: ١٠٨)

أنزلت فى مسجد قرية قباء أم أنها نزلت فى مسجد النبى فى المدينة؟

فقالت طائفة منهم: إنها نزلت فى مسجد قباء، وقال بعضهم: إنها نزلت فى مسجد الرسول ﷺ، أما حجة الطائفة الأولى وسندها فهى قوله تعالى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ (التوبة: ١٠٨) ومن هنا فهذا مرجح على القول الثانى ولما وجد من العلماء من يرجحون القول الثانى وفق العلماء المدققون بين الأقوال المختلفة بأن وجهوا الآية الكريمة قائلين أنها نزلت فى حق كلا المسجدين. دقائق هذا البحث وتفصيلاته مدونة فى الصورة الثالثة من الوجهة الثانية.

وطيلة المدة التى أقام فيها النبى ﷺ فى المدينة المنورة كان يزور مسجد قباء كل يوم سبت راجلاً أو على صهوة فرس، حيث يؤدى ركعتين تحية للمسجد، كما يروى أنه ﷺ كان يمضى إلى هذا المسجد فى أيام الاثنين وفى اليوم السابع عشر من شهر رمضان.

كان عمر بن الخطاب يزور مسجد قباء يومى الاثنين والخميس فى أيام خلافته وكان يتوقى عدم ترك هذه السنة ويحافظ عليها؛ حتى إنه ذهب فى يوم من الأيام إلى المسجد ولما لم يجد فيه الناس غضب غضبًا شديدًا وقال: «والذى نفسى بيده، لقد رأيت النبى ﷺ وأبو بكر كانا يحملان حجارة كبيرة حينما وضع أساس هذا المسجد، وكان جبريل الأمين يُرى للرسول البيت المعظم؛ أقسم بالله لو كان هذا المسجد فى بلد من البلاد المجاورة لكانوا ذهبوا لزيارته أفواجًا أفواجًا.

(١) ترجمتها فى الإصابة ٨/ ١٢٢-١٢٣، وذكر لها الحافظ ابن مجر طرق الحديث الوارد هنا.

فأتونى بمكنسة وعندما أُتى له بمكنسة خلع ثيابه وأخذ يكنسه بعد أن نظفه من خيوط العنكبوت، وقال للذين طلبوا منه أن يترك لهم كنس المسجد إنكم لن تستطيعوا أن توفوه حقه من التنظيف مثلى.

ونقل عن زيد بن أسلم أنه قال: «نشكر الله على أن مسجد قباء فى مدينتنا لو كان فى مكان بعيد للزم أن نزوره راكبين الجمال».

كما نقل عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أنها قالت كان أبى يقول: إن أداء ركعتين من الصلاة فى مسجد قباء خير من زيارتين للمسجد الأقصى، ولو عرف الناس ما فى مسجد قباء من فيوضات إلهية، لقدموا لزيارته من كل صوب وحدب».

وهذا مروى بأسانيد قوية. والحقيقة أن الصلاة فى مسجد قباء أفضل من الصلاة فى المسجد الأقصى، كما أن ركعتين وفى رواية أربع ركعات فى هذا المسجد تعدل ثواب عمرة، وهذا ما ثبت بالأحاديث الصحيحة.

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو فى طريقه إلى زيارة مسجد قباء لسائليه الذين استفسروا عن الجهة التى يقصد إليها أنا ذاهب للصلاة فى مسجد قباء الكائن فى منازل عمرو بن عوف؛ لأنى سمعت النبى ﷺ يقول: «كل من صلى فى مسجد قباء كان ثواب صلاته ثواب العمرة».

ويقول سعيد جبير الأسدى: «ذهب أنس بن مالك إلى مسجد قباء وصلى ركعتين وبعد الصلاة جلس فى ركن من أركان المسجد وأنا أيضًا جلست قليلاً ثم ذهبت إليه وجلست بجانبه عندئذ خاطبنى قائلاً: يا سعيد! ما أعظم قدر هذا المسجد، لو كان على بعد شهرين من الزمن لوجبت زيارته! وكل من خرج من بيته ناويًا زيارة مسجد قباء وأداء أربع ركعات من الصلاة فيه، فالله يثيبه أجر عمرة»(1).

(1) رواه ابن ماجه وغيره من حديث سهل بن حنيف، ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث كعب بن عجرة، كلاهما بمعناه وحديث سهل بن حنيف فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وحديث كعب بن عجرة فى رواته يزيد بن عبد الملك النوفلى، وهو ضعيف.
انظر: مجمع الزوائد: ٤/ ١١.

وعلى كل من يريد أن يعرف المحل المقدس الذى أدى فيه النبى ﷺ الصلاة أن يزور العمود الثالث بعد دخوله المسجد وأن يؤدى بجانبه أربع ركعات تحية، وهذا العمود هو أقرب مكان إلى ساحة المسجد أى إلى الميدان المكشوف.

وقد بنى مؤخرًا إلى الجانب الشرقى من هذا العمود محراب وكان هذا إشارة مصلى النبى ﷺ. ولا شك أن المحراب الذى بنى فيما بعد كان قبل تحويل القبلة وأنه يومئ إلى المكان الذى كان يؤدى فيه الرسول ﷺ صلاته، إلا أن النبى ﷺ كان يؤدى صلاته فى ذلك المسجد بعد تحويل القبلة فى الجهة الشرقية من العمود الثالث[1] اعتبارًا من الساحة الرملية للمسجد المذكورة.

ولا شك فى صحة هذه الرواية إلا أن المسجد وسّع فيما بعد وتغير مكان الأسطوانة المعلقة وإذا عدت الآن الأساطين القائمة بناء على تعريف المؤرخين فمن الصعب العثور على العمود الذى يشير إلى المصلى النبوى بل من المستحيل؛ وخاصة أن باب المسجد فى ذلك الوقت كان خلف منزل سعد بن خيثمة، وفى زماننا هذا الباب مسدود ومجهول الموقع؛ لأجل ذلك ركزوا عمودًا خاصًا علامة على مصلى النبى ﷺ؛ وبناء على هذا لا يقتضى عد الأعمدة بل البحث عن العمود الذى رُكز إشارة وعلامة للمصلى النبوى. وإن كان قد وضع على أحد الأعمدة المتصلة بالساحة الرملية محراب وكتب على طاقه الآية الكريمة.

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (التوبة: ١٠٨)

وأشير إلى أن هذا المكان هو المصلى النبوى.

إلا أن هذا المكان ليس المصلى النبوى بل مكان نزول الآية الكريمة المذكورة. وفى مواجهة هذا المحراب الذى كتبت على طاقه الآية الجليلة حظيرة من خشب عليه قبة مكسوة بالرصاص، وأخبرنا ابن جبير أن هذه الحظيرة مبرك ناقة النبى ﷺ، إلا أن المؤرخين الآخرين ترددوا فى تصديق رواية ابن جبير.

جدد مسجد قباء في عصر السعادة فوسع طولاً وعرضًا بمقدار ستة وستين ذراعًا وكانت ساحة المسجد طولاً خمسين ذراعًا وعرضًا ستة وعشرين ذراعًا، وأضاف عثمان بن عفان مؤخرًا الجدار[1] القبلى وعند البعض إن هذه الإضافات كانت فى عهد وليد بن عبد الملك.

وعندما كان عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة وسع مسجد قباء وزين جدرانه وسقوفه بالفسيفساء والنقوش. وأضاف إليه مئذنة وعدة عقود. وصنع سقفه من خشب الساج وترك ساحته التى فى الوسط مكشوفة.

وبما أن ما جدده عمر بن عبد العزيز أشرف على الانهيار والخراب مع مرور الزمن فجدد فى سنة ٥٥٥هـ كما جدد عمود المحراب سالف الذكر سنة ٦٧١هـ، كما جدد بعض جهات من سقفه سنة ٧٣٣ وفى سنة ٨٤٠هـ الجهات الأخرى من السقف المذكور. وقد أصلح وعُمِّرَ فى سنة ٥٥٥ من قبل جمال الدين الأصفهانى ومن الناصر قلاوون المصرى سنة ٧٣٣ وفى سنة ٨٤٠ من قبل الأشرف برسباى المصرى، على قدر الإمكان.

ومال سقف المسجد ومئذنته للوقوع بفعل مرور الزمن، فبعث الأهالى فى سنة ٩٥٠هـ إلى السلطان سليمان - طيب الله ثراه - يسترحمونه ويرجونه فأرسل المختصين فهدموا مئذنته وما خرب من سقفه وبناهما من جديد، وزين ونور داخل المسجد وخارجه بالقناديل والثريات التى أرسلت من باب السعادة كما عين للمسجد الخطباء والأئمة والمؤذنين. ودام هذا التعمير ما يقرب من ١٦٠ سنة، وبما أنه لم يعمر ولم يرمم فى هذه الفترة من قبل أحد، فأوشكت جدرانه ومئذنته على الانهيار فحرم عشاق النبى ﷺ من زيارة ذلك المسجد، وبناء على هذا عرض الأمر من قبل أهالى دار السكينة، وموظفى المدينة على الأعتاب السلطانية فصدر الأمر السلطانى للقيام بما يقتضى، وأعلم بالأمر المعمار سليمان بك الذى أرسله السلطان مصطفى خان بن السلطان محمد خان لتعمير مسجد

(١) تسمى هذه الأسطوانة الأسطوانة المعلقة وليس فى جهته القبلية أسطوانة غيرها.

السعادة ونبه بإجراء اللازم، وبعد ما أتم سليمان بك تعمير مسجد السعادة وجدده قام بتجديد جدران مسجد قباء ومئذنته بعد ما هدمهما. وبنى قبة على أربعة أعمدة فوق مبرك الناقة ثم بنى خارج المسجد سبيلاً وعدة دور للخلاء وحفر فى ساحة المسجد الرملية بئراً عميقة تمد السبيل ودور الخلاء بالمياه وهكذا أوْفَى مهمته على أحسن وجه فى سنة ١١١١هـ.

ودام هذا التعمير ١٣٣ سنة وأُهْمِلَ المسجد نتيجة لتقلب الزمن وساءت حالة المسجد أكثر لغض المدينة النظر عن حالة المسجد حتى أوشك على الانهيار بغتة، فعرض الأمر على عتبة السلطان محمود خان بمحضر عام فى سنة ١٢٤٤هـ.

فما كان من السلطان محمود إلا أنْ ببناء المسجد بعد هدم جميع مشتملاته. وبناء على ذلك سافر إلى المدينة المنورة المهندس عزت خليفة وأمين البناء وحيد أفندى بعد ما تم اختيارهما تعيينهما من قبل الباب العالى. وبمجرد وصولهما ثابرا فى إيفاء مهمتهما فهدما مسجد قباء مع قبابه وجدرانه بالكامل وجددوه. فى صورة محكمة قوية. وكانت أعمدة المسجد المذكور أصبحت فى حالة غير لائقة للاستعمال فهدمها وحيد أفندى وجددها.

وهدم كذلك المحراب القديم محراب النبى، ومحراب منزل الآية، وقبة مبرك الناقة، وسبيل محمد باشا وجددها على طراز جديد. وأمر بكتابة الأبيات التى أرسلت من باب السعادة فوق طاقات هذه الآثار الشريفة. والأبيات التى كتبت فوق عقود الآثار الشريفة هى: البيت الذى لا نظير له والذى كتب على طاق محراب الكشف:

«أصبح طاق الكشف لمحراب النبى علما ومن هنا انكشفت أرض الحرم لحضرته»

البيت المؤثر الذى كتب على محراب مبرك الناقة:

إن اسم هذا الموضع الطهور مبرك الناقة فأصبح قصوى جوا لآيات السلطان مولاك»

البيت اللطيف المحرر على محراب منزل الآية المختار:

«يقولون إن آية ﴿ أُسِّسَ ﴾ (التوبة: ١٠٨) نزلت ها هنا تعال وقم هنا يا أيها المقتدى بأثر الرسول»

الحديث الشريف الذى كتب على المحراب الجديد:

قال النبى ﷺ، «من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة»(١).

التاريخ الذى كتب على طاق باب مسجد قباء الشريف.

إمام المسلمين ملك الدنيا السلطان محمود خان

الخلافة مختصة بذاته والكرامة مهيأة لطبعه

حينما سمع ما حل بالمسجد من خراب

بادر فى التو إلى تطييب خاطر أهل طيبة بترميمه

نزلت آية التأسيس فى حق هذا المسجد

فليشهد بمكانة هذا السلطان الذى جدد

كلما كان هذا المكان مسجداً لأهل

الحاجة فليُكتب للدين والدولة البقاء.

كتبت التاريخ أنا «برتو» وسجدت شاكراً

كان هذا المسجد خرابًا فعمره محمود خان

فأرسل من باب صاحب القرار النجارون والمهذبون وما يقتضيه بناء المحراب من الأدوات والأحجار فأقيم محراب فخم على يمين منبر السعادة من قطع رخام ملونة خاص بالجماعة الحنفية فى جمادى الأولى من سنة ١٢٥٨هـ وقرر أن يؤدى أئمة المذهب الحنفى صلواتهم فى هذا المحراب، وظل الإمام الحنفى يؤدى الصلوات فى هذا المحراب قرابة سنتين.

---

(١) سبق تخريج الحديث.

إلا أن الأمر السلطانى قد صدر بأن يصلى فى محراب النبى الإمام الشافعى وفى اليوم الآخر الإمام الحنفى أخذ أئمة المذهب الحنفى والشافعى يؤدون الصلاة مناوبة فى المحراب النبوى ما يقرب من ٢٦٩ سنة، ولما ذهب والى مصر محمد على باشا إلى المدينة المنورة بعد واقعة الوهابية فى سنة ١٢٢٩هـ بقصد زيارة الحجرة المعطرة وضع نظام أن يؤدى كل من أئمة المذهبين كل يوم الصلاة فى المحراب النبوى، ومازال هذا النظام جاريا، فيصلى الإمام الشافعى صلوات الصباح قبل الإمام الحنفى ويصلى الإمام الحنفى صلوات الأوقات الأخرى قبل الإمام الشافعى، ولكن فى أيام مواسم الحج يصلى الإمام الحنفى فى المحراب العثمانى ويصلى الإمام الشافعى فى المحراب النبوى بعدما يتم الإمام الحنفى صلاته.

وهذا النظام خاص بمواسم الحج، ويصلى الإمامان صلوات التراويح فى وقت واحد.

صورة ظهور المذهب الحنفى وزمان ظهوره:

بعد أن نقل ابن فرحون فى هذا الخصوص أقوالا كثيرة، قال: «كان سكان المدينة المنورة إلى عصر شمس الدين العجمى يعتنقون مذهبين المالكى والشافعى».

وعندما هاجر شمس الدين أفندى إلى المدينة شجع بعض علماء المذهب الشافعى على الاشتغال بمسائل المذهب الحنفى، وكان هؤلاء العلماء قد دققوا النتائج الأساسية لذلك المذاهب، وأخذ علماء المذهب المذكور يتكاثرون أخذوا يتفقهون وأصبحوا أئمة زمانهم من هنا أخذ الأهالى يستفيدون من علومهم ويستفتونهم ومن ذلك الوقت أخذ المذهب الحنفى ينتشر فى المدينة المنورة سنة ٧٢٣هـ.

إن المحراب السليمانى يقع - بناء على تعريف مؤلف «الجواهر الثمينة» من مؤرخى المدينة المنورة - فى الجهة اليمنى من محراب النبى ﷺ وعلى يسار منبر السعادة وبجانب العمود الثالث ابتداء من المنبر الشريف، وفى نهاية الطرف

الغربى لما أضافه عمر بن الخطاب، وقد بنى ذلك المحراب كما ذكر آنفا السلطان سليمان بن السلطان سليم فى سنة ٩٥٨هـ وخصه بأئمة المذهب الحنفى والمالكى، وعرف بالمحراب السليمانى ا.هـ.

وكان أئمة الحنفية لا يؤمون الناس إلى سنة ٨٥٨هـ فى مسجد السعادة وكانت مهمة القضاء والإفتاء منحصرتين فى علماء المذهب والمالكى.

وفى عام ٨٦٥هـ بناء على طلبات ملوك مصر وضع نظام أن يصلى أئمة الشافعية صلاة الصبح قبل المالكية وأن يصلى أئمة المالكية مع جماعتهم الكبرى الصلوات الأخرى قبل الشافعية.

وكان من عادة النبى ﷺ كلما شرف مسجد قباء بزيارته أن يمر بدار أم حرام(٢) زوجة عبادة بن الصامت وكان لا يحيد عن هذه العادة ذات الحكمة النبوية.

ويروى أن النبى ﷺ كان يشرف دار سعد بن خيثمة فى قرية قباء وكانت دار حضرة سعد فى ذلك الوقت فى الركن الغربى لجدار المسجد القبلى. وفى وقتنا هذا فموقع مسجد على فوق ساحة هذا المنزل الذى لا نظير له. وكان سعد بن خيثمة يؤدى صلاته طول عمره فى ذلك المكان المبارك. وبناء على قول ابن شيبة أن النبى ﷺ كان من عادته أن يستريح مضجعًا فى دار سعد ويجدد وضوءه ومن هنا كان سعد بن خيثمة يؤدى صلاته فى المكان الذى كان يضطجع فيه النبى إلى أن توفى.

وكان قصر كلثوم بن هدم الساحر خلف الجدار القبلى لمسجد قباء. وقد شرف

(١) يلزم أن يكون هذا الطريق فى زماننا فى مواجهة محل يسمى سويقة فى الطريق القبلى لسور حصن المدينة.

(٢) لما كان هذا المنزل فى داخل منازل بنى سالم الكائنة فى الجهة الغربية من مسجد الجمعة ومن هنا يتضح ويثبت أن النبى ﷺ كلما كان يشرف مسجد قباء يمر من جهة مسجد الجمعة.
والخبر صحيح كما جاء فى صحيح البخارى وغيره. انظر: الإصابة ٨/ ٢٢٢-٢٢٣.

الرسول ﷺ فى أول هجرته دار كلثوم بن هِدْم وصحب معه أبا بكر الصديق واستضافه فى ذلك المنزل اللطيف ومن هنا يعد من الآثار المباركة والمنازل المقدسة.

وقد اتخذت هذه الدار المباركة مؤخرًا مسجدًا والمسجد اللطيف الذى يعرف فى أيامنا باسم مسجد فاطمة قد أقيم فوق ساحة منزل ابن هدم.

مسجد ضرار

كان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً: خذام بن خالد من بنى عبد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد وموالى بنى أمية بن زيد، ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف، وحارثة بن عامر، وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة، ونبتل بن الحارث، وهم من بنى ضبيعة، وبجاد بن عمران وهو من بنى ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وموالى بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر.

كان أبو عامر من أفراد قبيلة الخزرج، وكان ملمًا بعلوم التوراة والإنجيل وكان يمارس تعليماتهما وكان سالكًا بطريقة الزهد والعبادة وكان منهمكا باستحصال الرياسة العلمية وقد اختار قبل البعثة طقوس النصرانية وكان يكتسى الملابس القديمة ومن هنا اكتسب لقب الراهب. وكان قد اطلع على أوصاف النبى ﷺ بالاستماع إلى علماء الإنس والجن وكان يصفه لأهالى أرض يثرب قبل الهجرة ويعدد المنافع الدنيوية والأخروية فى اتباعه ويرغب أهل المدينة فى تصديق النبوة المحمدية ويشوقهم إلى ذلك.

وعندما أبهج النبى ﷺ بقدومه الميمون المدينة وأصبح مغتبطًا من أهل الأرض والسماء وأخذ أهل المدينة وأطرافها يبدون للنبى ﷺ علامات الميل والركون ملأ هذا قلب أبى عامر القاسى بالحزن والحقد، وأخذ يسعى لمنع أهل الإيمان عن متابعة باعث المغفرة ويبعدهم عنه بنشر ترهاته التى تقول: إن الشخص الذى

وصفت مقدمًا شمائله المباركة ونبى آخر الزمان الذى عرفته ليس الشخص الذى أتى إلى بلدنا وادعى النبوة. وإن كان له بعض علاماته الظاهرة وتردد أبو عامر مع المنافقين الذين يشاركونه فى أفكاره فى قبول الإسلام كما أشير إلى ذلك فى الآية:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩)

ودب دبيب الحسد فى نفسه للنصر الذى أحرزه المسلمون فى غزوة بدر الكبرى، ومضى إلى مكة وحرض القرشيين على الحرب والثأر وتجرأ فى وقعة أحد المكدرة أن يرمى أول سهم على المسلمين من أجل ذلك لقبه النبى صادق القول بـ «أبو عامر الفاسق».

قال بعض أئمة السير حينما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة مثل أبو عامر الفاسق أمام النبى ﷺ وقال له: يا محمد! ما نوع الأشياء التى تقول أنك أحضرتها من قبل الله فأجابه النبى ﷺ إنه دين إبراهيم الحنيف فتفوه قائلاً: أنا أيضًا أتبع شريعة الدين الحنيف وأعلم بأحكامها وأراد بهذا أن يعرض أنه كان يعتنق قبل البعثة دين خليل الرب الجليل.

فقال النبى ﷺ: ألا إننى جئت بدين إبراهيم على المحجة البيضاء، لا على ما ظننت وخمنته فغضب أبو عامر على أنه كذب بهذا الشكل وقال: «فليجاز الله الكذاب بالطرد والانعزال»، وهكذا أظهر غيظه وحقده ونجى من القتل فى غزوة أحد وهاجر إلى بلاد الشام، وانتسب بالمرة إلى حاكم القسطنطينية هرقل وحَثَّهُ على السعى لتجهيز الجيوش ضد المسلمين ولكنه لم يوفق فى ترويج أمله وتحقيقه.

وعندما عاد إلى المدينة قبل وقعة تبوك بمدة واشتغل بنشر العلوم حتى يستطيع

فعل ما في ضميره من الفساد وأرسل إلى قومه واجب اللوم من منافقي بني غنم رسالة ذات أسلوب لعين تتضمن نفاقه الذي اعتاده يقول فيها: «إنني سأعود إلى المدينة مستصحبًا معي عساكر من قيصر الروم، فاستعدوا أنتم أيضا بتجهيز الأسلحة اللازمة وانتظروا قدومي، وابذلوا جهدكم لبناء مسجد رصين الجدار أمام مسجد قباء وفي حي أصحاب النفاق».

وحينما أخذ منافقو بني غنم الذين سبقت أسماؤهم أعلاه رسالة أبي عامر فأسرعوا ببناء مبنى في قرية قباء قبيل غزوة تبوك وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يشرف هذا المكان ويباركه بأداء ركعتين صلاة فيه، فقالوا: «يا رسول الله! بنينا في قريتنا مسجدًا ليصلي فيه العجزة وأصحاب العلل والأعذار في ليالي الشتاء الممطرة وكل رجائنا أن تشرفوه بأداء ركعتين صلاة فيه فأجابهم النبي ﷺ: «الآن قد خرجنا من المدينة بنية الغزو فإذا ما يسرت لنا العودة نفعل إن شاء الله» فعاد المنافقون وقد تلقوا الرد الصائب.

وعندما عاد النبي ﷺ من تبوك وقرر أن يستريح قليلاً في مكان يسمى ذي أوان على بعد ساعة في ناحية تبوك من المدينة المنورة. فجاء منافقو بني غنم مرة أخرى متذللين متمسكين وطلبوا من النبي ﷺ أن يشرف مسجدهم مسجد ضرار إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حسم الموضوع إذ أنزل الآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٧-١٠٨).

وهكذا فضحت الآية الكريمة أفكار بني غنم وكشفتهم، وبعث النبي ﷺ مالك بن الدخشم وسعد بن عدي وأخاه عامر أو عاصم بن عدي لهدم وتخريب مسجد ضرار في قرية قباء فذهب هؤلاء إلى قباء حيث هدموا وخربوا مسجد

ضرار أولا ثم جلبوا سعف النخيل وأحرقوه وجعلوا المكان مقلبًا للقمامة لأهل القرية.

يقول خزيمة بن ثابت: «كان أبو عامر الراهب قبل البعثة يعرف بأقوال النبى وأفعاله ويمدحه ويثنى عليه وكان يتجنب الشرك والكفر ويرغب فى اتباع دين إبراهيم الحنيف ويحرص على التوحيد، واجتمع بكثير من علماء اليهود والنصارى وتشاور معهم وسافر كثيرا ليدقق دين إبراهيم وعرف أن الدين الحنيف المذكور سيظهر مع مبعث الرسول الأكرم، واطلع على كثير من شمائل ذلك النبى المقدسة.

ووجد أبو عامر يومًا فى مجلس أعيان الأوس والخزرج وأخذ يذكر اسم النبى وصفاته وبين أنه ظهر فى مكة المكرمة وأنه سيهاجر إلى المدينة الطاهرة، وعندئذ قال له أبو الهيثم بن التيهان القضاعى الذى كان فى ذلك المجلس، وكان من الذين دخلوا فى الدين الحنيف، يا أبا عامر! كيف أتصرف إذا ما أدركت بعثة هذا النبى وقال له أبو عامر أقسم بأن الجن والإنس قد وصفوه لى وبينوه فقال له أبو الهيثم يا ترى، فالذين وصفوه لك من بين البشر رأوا صفاته فى كتاب الله؟ أو سمعوها من الجن؟ فنحن لا ندرى شيئا من هذا الموضوع؟ قال أبو عامر، أخبرنى بذلك كاهن فى اليمن، وكان الكاهن المذكور مشهورًا جدًا فى الأخبار العربية العجيبة، وكنت خرجت فى شهر رجب فى ليلة مقمرة منفردًا لأتلاقى مع ذلك الكاهن. وفى أثناء سيرى كان قلبى قد نام ومر وقت غير قليل، ولما استيقظت من نومى رأيت أن دابتى قد انحرفت عن الطريق ودخلت فى مكان لا يعرف أين سينتهى. وبدأت أرتعش حزينًا وأخذت أجيل النظر حولى من شدة الخوف ورأيت أمامى نارًا فاتجهت نحوها. ولم يكن لى دليل. وعندما وصلت إلى جانب النار كنت قد شعرت بالدفء من كثرة تجوالى حولها، إلا أن هذه النار لما كانت لاهى مثل الإنسان ولا الحيوان ولم تكن حولها منازل ولا خيام ولم تكن لائقة بأن يطلق عليها اسم النار ومن هنا أصابنى الخوف والفزع وانتصب شعرى حتى أصبحت كل شعرة كأنها شوكة. وارتعشت قوائم ناقتى فبدأت تسرع فى سيرها.

وما تصورته ناراً تمثلته أربعة أنفار مردة ذات أشكال مخيفة وهجموا على هجومًا عنيفًا، فصحت بأعلى صوتى واستغثت برئيسهم، وكان من هؤلاء الأنفار كلب يمنعهم من الهجوم على؛ فأتوا إلى جانبه وجلسوا بعد التحية، كانت وجوههم مخيفة ومناظرهم قبيحة كريهة، فخاطبنى واحد منهم قائلاً: «من أنت؟» فقلت لهم: «إننى شخص من بنى غسان الذى ينتهى إلى بنى قيلة[1] فقيل لى أين تذهب وعم تبحث» فقلت لهم: «إننى خرجت إلى الطريق باحثًا عن كاهن يخبرنى عن أحكام الدين الحنيف؛ ولكننى ضللت الطريق وأتيت هنا وهكذا وضحت لهم ما فى ضميرى، ثم ختمت مقالى قائلاً: «نحن من معاشر البشر، ونعتمد على الكهنة الذين يستقون منكم الأخبار وينشرونها بيننا، إننى فرد غريب يرغب فى ملاقاة الذين يتبعونكم لأجل ذلك أسير فى البلاد. فإذا ما طلبتم منى الذهاب نفذت أمركم فأشار الثلاثة إلى شخص رابع معهم والذى افتتح كلامه قائلاً ما اسمك؟ «فقلت له اسمى أبو عامر فقال لى: «يا أبا عامر افتح عيونك، وإننى أؤمنك بأننى لن أكذب عليك، لتعلق قلبى بك. يا أبا عامر أقسم لك إنه قد ظهر نبى من سلالة بنى هاشم بن عبد مناف وبسبب هذا الغيث مثل العنبر قد أحضر إلى العالم الذى أوشك على الخراب، وجهه منير مثل شمس الدنيا المضيئة واسع الصدر، قامته ليست طويلة ولا قصيرة بل هى موزونة، ولا ينظر إلى شيء أكثر من اللازم وعندما ينظر لا تطرف عيناه وعيونه ذات حكمة ومكحولتان بالفطرة واسعتان جميلتان، وفى عينيه مقدار من الحمرة وبين كتفيه خاتم النبوة، وهو أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة، مبعوث بالدين الحنيف، يظهر أن الخلق جميعًا سيتبعونه ويسيرون فى آثاره وأنه سيتحدث للملائكة ذوات الأجنحة وبعد قوله هذا انسحب من جانبى وتقدم إلى الأمام فتبعه رفقاؤه، وأنا رأيت أن الصباح قد حان فوجدت طريقى وعدت».

يفهم من حكاية خزيمة هذه أن أبا عامر الفاسق أخبث الخلائق كأنه تدين بدين الخليل الجليل قبل البعثة النبوية وقد استقى المعلومات عن البعثة المحمدية

(١) قيلة أم الأوس والخزرج.

وترهب حتى يكتسب شرفًا ومكانة بين الأهالى وتوغل فى الصحارى يعنى اكتسى بالملابس الخلقة وتستر بستائر النفاق راغبًا فى خداع الناس؛ ولكنه باء بالخذلان والخسارة إذ أنكر الرسالة المحمدية، لأنه التقى بعد الهجرة بالنبى ﷺ وقال له: «يا محمد ما الدين الذى بعثت به؟» وتلقى الرد الصائب من النبى ﷺ إذ قال له: «بعثت بالدين الحنيف الذى بحثت عنه فترة من الزمن» فتجرأ أن يرد على النبى وهو يهذى» إنك قد مزجت بهذا الدين البدعة» فرد عليه النبى ﷺ قائلاً: «بل أتيتُ به على المحجة البيضاء» فغضب من تلقيه هذا الرد وغادر مجلس النبى ﷺ مجلس الملائكة. حتى إن النبى ﷺ عندما قال له «يا أبا عامر! ألست تنتظر قدومى؟ ألم تكن تنقل أوصافى التى تلقيتها من علماء اليهود والنصارى لأبناء الأوس والخزرج؟ «فرد على الاستفهام النبوى قائلا: «لست الشخص الذى وصفه علماء اليهود والنصارى، لم يحن بعد وقت بعثته» وأمن على دعاء النبى الذى قال: فليجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكذاب مستحقًا لجزاء الموت طريدًا وحيدًا فاستجاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ لدعاء النبى ﷺ إذ هرب مؤخرًا إلى بلاد الشام ثم إلى القسطنطينية وهلك وحيدًا طريدًا.

حنظلة بن أبى عامر الفاسق الذى هرب إلى القسطنطينية رافضًا الإسلام، قد استشهد فى غزوة أحد من قبل شداد بن أسود وعلى قول من أبى سفيان قد بشر بالحديث الشريف هو حنظلة غسيل الملائكة.

ومكان خرابة مسجد ضرار مجهول فى عصرنا، وكان المحل المبارك الذى بنى عليه مسجد قباء حظيرة لحيوانات امرأة مخلصة تسمى لينة؛ لذلك قال منافقو بنى غنم: «إننا نرى أن إقامة صلاة فوق مكان حظيرة حيوانات لينة غير مناسب؛ لأجل ذلك فنحن سنبنى فى المكان الذى عينه أبو عامر مسجدًا عظيمًا حيث ستعبد»، وفعلاً بنوا مسجدًا عاليا رصينًا جميل الشكل فى جوار مسجد قباء وهذا محقق.

ولما كانت جميع الروايات التى تتحدث عن جهته وشكله وهيئة بنائه من

الأقوال الضعيفة وبناء على ذلك لا يمكن تعيين مكان خرابته. ومعلوم لدى الجميع أنه كان في داخل قرية قباء وفى مكان قريب من مسجد قباء وبما أنه قد بنى لتفريق الجماعة الإسلامية فقد كان مبنيًا متينًا محكما لدرجة ما ومن الروايات الموثوقة أنه قد انبعث من الساحة القذرة لهذا المسجد دخان عجيب فى عصر السعادة كما أن هذا الدخان قد انبعث مرة أخرى فى عهد أبى جعفر المنصور.

فى ذكر مواقع المساجد النبوية التى تزار اليوم

استحب العلماء الكرام الصلاة تبركًا فى الأماكن التى صلى فيها النبى ﷺ.

وبينوا أنه يجب الاهتمام بالصلاة فى الأماكن سواء أكانت أسماء هذه المساجد التى أسست فى هذه المواقع معلومة أو مجهولة وأن هذه المساجد قد أقيمت عامة فى أيام ولاية عمر بن عبد العزيز، ثم جددت كلما احتاج أىٌّ موقع من مواقعها إلى التعمير والتجديد من قبل ملوك ذلك الزمان.

١ ـ مسجد الجمعة:

يقع هذا المسجد بالمدينة المنورة وقرية قباء فى واد يعرف بذى صلب وفى رواية يعرف بـ «ذى رانونا» وهو بالقرب من التقاء مياه مجرى هذين الواديين.

إن هذا المسجد اللطيف أول معبد أدى فيه النبى ﷺ عند هجرته إلى المدينة المنورة وكان فى ميدان وادى ذى صلب وكان مكشوف الجوانب.

أحاطه أحد الخيرين اسمه عبد الصمد بجدار فى ارتفاع ذراع واحد وجعله على شكل مسجد.

ولما كان الجدار الذى أقامه عبد الصمد من الحجر الأسود خاليًا من كل شئ انهار بعد مدة واندرست خرائبه قليلاً قليلاً وهدمت فجدده أحد الفرس على شكل مسجد ولما مال هذا أيضًا إلى الانهيار والسقوط أصلحه وسقفه الشيخ شهاب الدين قلاوون وأحكم تشييده، ولهذا المسجد فى زماننا طاقان فوق عمود واحد وسقف مستقيم وطوله عشرون ذراعًا وعرضه ستة عشر ذراعًا وله ساحة رملية مكشوفة.

والحصن الذى اتخذه عتبان بن مالك مسجداً فى الجهة الشمالية من ذلك المسجد ومازالت آثار أطلاله قائمة حتى اليوم. وأخذا مما يرى كان عتبان يجمع رجال قبيلته فيه ويؤدون الصلاة فى الأيام المطيرة وذلك بإذن من النبى ﷺ.

عندما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة قام فى قرية قباء وواصل سيره وعندما وصل إلى ملتقى مجارى مياه، ذى صلب وذى رانونا حل وقت صلاة الجمعة فنزل من على ظهر ناقته التى كان يركبها وأدى صلاة الجمعة واتجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة، وكانت منازل سالم بن عوف فى ناحية ذلك المسجد، ويطلق على هذا المسجد اسم مسجد عاتكة أيضًا.

٢ـ الثانى هو مسجد الفضيح:

هذا المسجد معبد صغير مربع الشكل على شاطئ نهير فى الجهة الشرقية من مسجد قرية قباء، والجهات الأربع لمسجد فضيح خمسة عشر ذراعا قد أحيط أطرافه الأربعة بجدار من حجر أسود دون مؤنة وكان أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ يسهر فى المكان الذى كان فيه مسجد فضيح قبل حرب بنى النضير. فسمعوا خبر تحريم الخمر فجأة وأراقوا ما فى أيديهم من الفضيح وسموا بعد ذلك المكان بالفضيح. وكانت إراقة الشراب فى ذلك المكان قبل أن يتخذ مسجدا وقبل أن يعرف أن الخمر بخسة مطلقا. وكان النبى ﷺ قد أمر أصحابه الكرام أن ينصبوا خيامهم فى مكان قريب من مسجد فضيح فى غزوة بنى النضير. واتخذ المكان الذى سمر فيه أبو أيوب الأنصارى مصلى وصلى فيه ما يقرب من ست ليال.

هذا وهناك من يطلق على مسجد الفضيح «مسجد الشمس»، ولكن إذا ما نظر إلى وقوع قصة رد الشمس الصحيحة المشهورة فى صحراء خيبر فخطأ هذ الرأى واضح.

كان مسجد الفضيح قد نسى تماما فى العصر الأخير وبناء عليه خربت مبانيه وإنهدمت آثار أساسه وانمحت فمسحت من الذاكرة حتى ساحة بنائه، إلا أن

مصطفى أفندى عشقى من المجاورين فى المدينة جدده فى سنة ١٢٦٦هـ ووفق فى إحيائه، وجدده مؤخرا السلطان عبد المجيد فى صورة لائقة فطول أبنيته وعرضها أحد عشر ذراعا.

وخلف الجدار القبلى للمسجد بستانان مشهوران ومعموران وهما الأشرية وسايور وبجانبهما قرية وحصن وأطلال بيدر عظيم.

٣ـ الثالث مسجد بنى قريظة:

مسجد بنى قريظة أمام باب حديقة النخيل والمعروفة بالحاجزة فى تلال قرية بنى قريظة من جهة الشرق، وجهاته الأربعة أربعة وأربعون ذراعا وعلى جوانبه آثار أطلال منازل بنى قريظة.

بنى ذلك المسجد الشريف الوليد بن عبد الملك وضم إليه ساحة منزل إحدى نساء بنى خضر، لأن النبى ﷺ كان قد صلى فى ذلك المنزل. وساحة هذا المنزل الآن بجانب مئذنة ذلك المسجد الحالية.

كان الأصحاب الكرام قد استقبلوا سعد بن معاذ فى غزوة بنى قريظة فى ساحة ذلك المنزل. يعنى أن الأصحاب الكرام من قبيلة الأوس استقبلوا سعد بن معاذ الذى تُرك لرأيه اختيار الجزاء اللائق ليهود بنى قريظة وقالوا له: «يا سعد! إن النبى ﷺ قد أحال لك تحديد الجزاء الذى يستحقه يهود بنى قريظة وبما أن لنا مع هذه القبيلة حقوق ومعرفة قديمة نرجو منك ألا تضيع هذه الحقوق والمعرفة». كان قديما لمسجد بنى قريظة ١٦ عمودا ومئذنة واحدة مثل مسجد قباء. وفيما بعد انهارت مئذنته وأعمدته وجدران أطرافه واندرست، وظلت قاعدة مئذنته فى الركن الغربى الشمالى من خرابته، فأحاطوه فى سنة ٧٢٠هـ بجدار. وقد جدد ذلك الجدار شاهين الشجاعى سنة ٨٩٣هـ وأسس على قاعدة مئذنته صفة جيدة وهكذا عاد المسجد إلى حالته القديمة، وطول مسجد بنى قريظة وعرضه أربعة وأربعون ذراعا، ولما كان خاليا من السقف فالذين يصلون فى داخله يكونون غير مصونين من حرارة الشمس.

٤ـ المسجد الرابع هو مسجد مشربة أم إبراهيم:[١]

مشربة أم إبراهيم معبد جميل فى فى الطرف الشرقى لمسجد بنى قريظة وهو بجوار التل وبين حديقة أشراف القواسم[٢].

ومشربة أم إبراهيم من الصدقات التى انتقلت إلى النبى ﷺ من مخاديق اليهود وكانت فى الماضى حوش جميل واقع بين بيوته وهو خاص بإقامة مارية القبطية وهو مسقط رأس إبراهيم. وحينما كانت أم إبراهيم تضع مولودها اتكأت إلى شجرة ويقال إن هذه الشجرة مازالت قائمة إلى الآن.

وقد ثبت أن النبى ﷺ صلَّى فى مشربة أم إبراهيم، لذا اتخذت ساحة الحوش سالف الذكر مصلى وطول هذا المسجد أربعة عشر ذراعًا وعرضه تسعة أذرع وقد هدمت أبنيته واندرس أساسه وجداره، وأحيط مؤخرا بجدار منخفض وأرى أنه ساحة المسجد النبوى الشريف.

وعلى الجهة الشمالية من مسجد مشربة أم إبراهيم ساحة منزل خرب يزورها الناس على أنها منزل دار بنى مازن بن النجار فالناس مخطئون فى ظنهم. وهذا المنزل الذى يزار بناء على ظن دون سند طوله أحد عشر ذراعا وعرضه أربعة عشر ذراعا وفى الجهة الشرقية منه سقف لطيف وبالقرب منه حديقة نخيل يعرف بالنخل الزبيرى وهذه الحديقة حديقة النخيل التى وقفها الزبير بن العوام.

٥ـ المسجد الخامس بنى ظفر:

بنو ظفر أحفاد جماعة من قبيلة الأوس ويطلق على معبدهم الذى فى جانب الحرة القريبة التى تقع فى الجهة الشرقية من بقيع الغرقد مسجد بغلة أيضا.

بعد أن صلى إمام الأنبياء ﷺ فى هذا المكان المقدس جلس على صخرة بجانبه، وبعد ذلك كلما جلست فوق هذه الصخرة امرأة عقيمة كانت تحمل

(١) المشربة بمعنى العريشة.

(٢) المراد بأشراف القواسم أبناء قاسم بن إدريس بن جعفر وهو أخو جعفر بن حسن العسكرى.

دائما، وأراد زياد بن عبيد انتزاع تلك الصخرة من مكانها لينقلها إلى مكان آخر، إلا أنه لم يتجرأ على ذلك بسبب معارضة علماء عصره، وليس هناك في زماننا حجر مثل ذلك، ولكن الحجر الموجود على يسار باب مسجد بغلة ليس بعيد أن تكون تلك الصخرة التي سبق ذكرها.

وجلس النبي ﷺ فوق تلك الصخرة المذكورة وطلب أن يتلو عشر من القرآن الكريم وكان معه خادمه محمود العاقبة عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهما من الفضلاء.

وشرع أحد الصحابة ـ بعد البسملة ـ في تلاوة العشر إلى أن جاء إلى الآية:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٤١-٤٢)

عندئذ تأثر النبي ﷺ تأثرا شديدا وبكى بكاء حتى اخْضَلَّتْ لحيته الشريفة بالدموع.

وليس لمسجد بني ظفر أعمدة ولكن له محراب وطول جهاته الأربعة واحد وعشرون ذراعًا وقد تخربت أبنيته وقد رممه أبو جعفر المنصور المستنصر بالله خلال عام ٦٣٠هـ وكتبت على كمر بابه عبارة: «خلد الله الملك الإمام أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين عمره سنة ثلاثين وستمائة»

إلا أنه آل إلى السقوط والانهيار فيما بعد فجدده شيخ الحرم مصطفى مظلوم أغا وأقام إلى جانبه مسجدين في عام ١٠٣٢هـ، ويسمى أحد المسجدين مسجد بغلة ويسمى الآخر مسجد المائدة ولما كانت في مسجد بغلة بعض آثار الحوافر يروى موثوقًا بأن هذا الموقع هو مبرك ناقة النبي ﷺ.

وفي خارج مسجد بغلة حجر، وفي هذا الحجر خدوش ويعتقد أهل المدينة أن هذه الخدوش أثر حوافر بغلة النبي ﷺ وفي الجهة الغربية لهذا الحجر حجر آخر

عليه حفرة هى أثر مرفق النبى ﷺ، وإلى جانبه حجر آخر فيه حفر هى آثار أصابعه عليه السلام وجاءت فى ذلك رواية موثوقة.

٦ـ السادس مسجد الإجابة:

يقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى لمقبرة بقيع الغرقد، وعلى يسرة الذاهب إلى محلة العريضى وطوله خمسة وعشرون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وقد أرسى أساس هذا المسجد وسط قرية بنى معاوية بن مالك بن عوف الأوسى، ويقال إن ثمة أنقاضًا فى أطرافه هى أنقاض بيوت القرية المذكورة.

وقد ذهب النبى ﷺ مع بعض صحابته إلى مسجد الإجابة وصلى فيه ركعتين وبعد السلام دعا دعاء طويلاً وبعد ما انتهى منه قال: «قد طلبت فى هذا الدعاء من معطى العطايا ثلاثة أشياء قبل هذان منهما ورد واحدًا، أما الدعاءان اللذان قبلا فهما ألا تهلك أمتى بالقحط والغرق أما الدعاء الذى لم يستجب له رفع الخلاف والمباينة والاختلاف بين أهل الإيمان».

يروون نقلاً عن عبد الله بن جابر بن عتبة أن عبد الله تحدث على هذه الوتيرة: «حينما كنت فى قرية بنى معاوية جاء عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقال: يا عبد الله! هل تعرف المكان الذى أدى فيه النبى الصلاة فى مسجد الإجابة والأشياء الثلاثة التى طلب من الله عقب صلاته؟ فقلت له ـ نعم أعرف. وبعد ما أريته المكان الذى صلى فيه الرسول ﷺ قلت أما دعاؤه فكان ألا تهلك أمته بالقحط والغرق. وألا يقع بين المسلمين اختلاف وقتال فقبل عدم هلاك أمته بالقحط والغرق ورُدَّ طلبه بعدم وقوع خلاف بين أمته. وهكذا فصلت له الواقع، فقال ابن الخليفة يظهر أن الأمة المحمدية ستتقاتل فيما بينها إلى يوم القيامة»[1]، وأيد روايتى بهذا القول وصرح بأنه واقف لذلك الحديث.

كان النبى ﷺ سيد العالمين قد صلى ركعتين على مسافة ذراعين من يمين محراب مسجد الإجابة والذين يعرفون ذلك من الزوار عندما يزورون مسجد الإجابة. يحرصون على أداء الصلاة فيه على بعد ذراعين من يمين المحراب.

(١) الحديث من رواية ابن عباس ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١١٧.

رواية

يروى أهل المدينة المنورة أن مسجد الإجابة مجمع الأقطاب ويحكون أن أثر الفضلاء الذين لم يُرَوا فى المدينة المنورة يمكن رؤيتهم فى داخل هذا المسجد وهم يتعبدون فى حلقات.

يطلق فى المدينة المنورة على الأشخاص الذى يزورون المدينة المنورة فى موسم الحج أشخاص مجهولون، فلا يفهم من هذا أن زيارة هذا المسجد حصر على مواسم الحج؛ لأنه قد رئى فى داخل هذا المسجد فى ليالى الجمعة والاثنين بعض الذوات يذكرون الله موحدين فى حلقات وإن هؤلاء ليسوا من سكان دار السكينة والنواحى القريبة منها.

ولا حاجة هناك لإثبات أن مسجد الإجابة من الآثار المقدسة بروايات الأهالى. وكما هو معروف لزوار هذا المسجد اللطيف كلما يراه الإنسان يرتعش جسمه من المهابة التى أحدثها الروحانيون فيه.

كما أن باب هذا المسجد يترك ليلاً ونهاراً مفتوحًا وليس له حراس ولا خدم ولا مراقبون ومع ذلك لا يدخل فيه حيوان، أليس هذا دليلاً كافيًا لإثبات المدعى.

ويروى موثوقًا أن خضر عليه السلام يصلى كل يوم صلاة الإشراق فى مسجد الإجابة. ومع هذا كان لهذا المسجد فى أوائل سلطنة السلطان محمود خان الثانى عدة أسطوانات ومحراب جميلة؛ وفيما بعد تهدمت أبنيته ومحرابه المذكور وأعمدته حتى الأرض وظل فى حالة خراب إلى عهد السلطان محمود خان الثانى. الذى عمره وأحياه بتجديده، كما أن السلطان عبد المجيد خان اهتم بترميمه وتعميره، والآن هو عامر كالمساجد الأخرى ومعروف بين الأهالى ومشهور.

دعاء مسجد الفتح:

لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، اللهم لك الحمد هديتنى من الضلالة، فلا مكرم لمن أهنت ولا مهين لمن أكرمت، ولا معز لمن أذللت ولا مذل لمن أعززت، ولا ناصر لمن خذلت، ولا خاذل لمن نصرت، ولا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت ولا رازق لما حرمت، ولا حارم لما رزقت، ولا رافع لمن خفضت، ولا خافض لمن رفعت، ولا خارق لمن سترت، ولا ساتر لمن خرقت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لمن قربت، اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل، اللهم يا نصير المستصرخين والمكروبين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، صلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم واكشف عنى كربى وهمى وحزنى وغمى كما كشفت عن حبيبك ورسولك ﷺ كربه وحزنه وهمه فى هذا المقام وأنا أستشفع إليك به ﷺ فى ذلك فقد ترى حالى وتعلم عجزى وضعفى يا حنان يا منان يا ذا الجود والإحسان أسألك من خير ما سألك منه عبدك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ وأستعيذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ. انتهى.

إخطار

بعدما ينتهى الزوار من هذا الدعاء يقتضى الأمر أن يعرضوا ما فى ضمائرهم بأية لغة كانت، وفى الطرف الغربى منه مسجد أبى بكر وبالقرب منه صهريج وفوق الصهريج غرفة، وهذه الغرفة من أوقاف إبراهيم أغا بانى هذا الصهريج. وفى الجهة الغربية من ذلك الصهريج بستان كبير. وبما أن موقع هذه الحديقة طيب الهواء وجميل المنظر وبنى فى مكان مناسب منها فى تاريخ ١٠٤٨ سبيل حسن فيجلس المارون والعابرون بجانبه ويدعون لصاحب الوقف بالخير. انتهى.

وبما أن المساجد الثلاثة التى سبق تعريفها فى جهة جبل سلع حيث اتخذ حجاج القوافل الشامية النزول حول هذا الجبل عادة مرعية استنبتت فى الجهة الغربية من هذا الجبل كثير من البساتين والمزارع. وتنزل القوافل الشامية فى الجهة

الشرقية من هذه البساتين والمزارع وتقيم هناك حسب المدة اللازمة، والبساتين المشهورة مثل المكارية، السنانية، الحمامية، الفيروز التى تنسب إلى الوزير مصطفى باشا فهى فى المحل الذى تنزل فيه قوافل الشام وتقيم هناك.

٧- كهف سلع

تطلق على هذه المغارة الشريفة كهف بنى خرام فهو فى مطلع بنى خرام الذى أمامه حديقة النقيبة وعلى يمين الذين يتجهون من المدينة المنورة إلى مساجد الفتح الثلاثة. وعلى هذا التقدير تظل حديقة النقيبة على يسار الذاهبين إلى الكهف المقدس المذكور.

مطلع بنى خرام ـ هو المكان الذى كان يسكنه قديمًا أفراد قبيلة بنى خرام، ومازالت أطلال ديارهم ماثلة للأعين إلى اليوم.

تقع حديقة النقيبة فى مجرى السيل الذى يجرى من جبل سلع إلى وادى البطحان وكهف بنى خرام فى الجهة اليمنى من مقدم الجهة الشرقية لهذا المجرى. وإن كانت من جبل سلع وعلى ربوه صغيرة ويصعد إليه من جهته الشرقية والشمالية بسلالم.

وفى الناحية القبلية لهذا المسجد مسجدان كذلك ويسميان بمسجد الفتح أيضًا ولكن وجه تسميته بالفتح أن النبى ﷺ قد دعا الله على ساحة هذا المسجد فى غزوة الأحزاب ابتداء من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء وقد استجيب لدعاء النبى ﷺ فى يوم الأربعاء بين الصلاتين فانهزمت أحزاب المشركين حالا وخابت آمالها.

إذا كان الدعاء فى مسجد الفتح قرين الإخلاص فلابد أن ينال القبول والاستجابة لدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويروون أن حضرة جابر قال: ما من حاجة رجوت من الله تحقيقها فى مسجد الفتح إلا ونلت أملى.

كان النبى ﷺ فى ابتداء غزوة الأحزاب فى مكان يطلق عليه جرف ثم انتقل إلى محل مسجد الفتح وشارك معظم الصحابة الكرام فى دعائه وواظبوا عليه.

ولقد أكثروا من الابتهال والتضرع إلى الله حتى دام ذلك فى الصباح حتى المساء، حتى إنهم لم يستطيعوا أداء صلوات الظهر والعصر والمغرب وقاموا بعد المغرب وصلوا صلوات الأوقات الثلاثة فى وقت واحد على ساحة الفتح.
والمكان المبارك الذى أدى فيه النبى ﷺ يقع فى الساحة الرملية لذلك المسجد وفى مواجهة المحراب، وإذا ما نظرنا إلى وضعه الحالى فإنه فى المكان الذى ركز فيه العمود الثانى؛ لأن لمسجد الفتح ثلاثة أعمدة متحاذية.

التأسف

وبناء على تعريف المؤرخين أن المكان المبارك الذى أدى فيه النبى ﷺ صلاته هو المكان الذى ركز فيه العمود الثانى ولشدة الأسف عندما جدد ذلك المسجد من قبل السلطان عبد المجيد فى سنة (١٢٧٠هـ) انتزع المختصون بأمور البناء العمود الثانى عن مكانه وغرسوه فى مكان آخر بسبب جهلهم، فمكان ذلك الأثر مجهول الآن.

وفى الجهة القبلية من مسجد الفتح مسجد سليمان وخلفه مسجد على وخلف مسجد على مسجد أبو بكر.

وهدم الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء من وزراء الملوك العبيديين المصرية سنة ٥٧٥هـ مسجد الفتح وفى سنة ٥٧٩هـ مسجد سلمان وجددت فيما بعد على أشكال جميلة كما أن أحد أهل السنة جدد مسجد أبى بكر فى سنة ٦٠٢هـ فأصبح مثل المساجد الأخرى.

وطول مسجد الفتح عشرون ذراعًا وعرضه (١٧) ذراعًا وطول مسجد سلمان (١٧) ذراعًا وعرضه (١٤) ذراعًا وطول مسجد على (١٦) ذراعًا وعرضه (١٣) ذراعًا وكان صلحاء الإسلام عندما يزورون مسجد الفتح يدعون بالدعاء الذى مر ذكره:

هنا مغارة أخرى إلا أن المغارة التى نحن بصدد تعريفها على يمين مطلع بنى خرام وكان النبى ﷺ يبيت فيها قائمًا يصلى لخالق العباد.

٨ـ المسجد الثامن مسجد القبلتين:

يقع مسجد القبلتين فى ناحية بئر عثمان بجبل سلع، وله محرابان ينظر أحدهما إلى البيت المقدس والآخر إلى الكعبة المعظمة، وإن كان بعض المؤرخين قالوا إن تحويل القبلة حدث فى مسجد بنى خرام الذى يقع فى صحراء خالية، إلا أنهم مخطئون فى ادعائهم. لأن مسجد القبلتين كان فى قرية بنى سلمة وكان معروفًا فى ذلك الوقت بمسجد بنى سلمة بينما كان النبى ﷺ يؤدى صلاة الظهر فى مسجد بنى سلمة مستقبلاً بيت المقدس توجه إلى ميزاب الكعبة: وهذا هو سبب اشتهار هذا المسجد بمسجد القبلتين.

استطراد

بينما كان سيد البشر ﷺ، يزور مقلمة أم بشر بن البراء بن معرور ـ رضى الله عنها ـ يوم الاثنين فى أواخر شهر رجب الفرد فى السنة الثانية للهجرة وكانت من ساكنات محلة بنى سلمة إذ حان وقت صلاة الظهر بعد أن تناول الرسول ﷺ الطعام مضى إلى مسجد المحلة المذكورة ليؤدى صلاة الظهر.

وقام مصليًا، وبينما كان فى الركعة الثانية من الفرض نزلت الآية الكريمة:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٠).

فاستقبل النبى ﷺ البيت الحرام وهو يصلى فتبعته الجماعة الحاضرة واستقبلوا مع الرسول ﷺ الكعبة المعظمة وأتموا صلاتهم وسموا المسجد بمسجد القبلتين.

وكان النبى ﷺ إمام المتقين حزينًا، لأنه يستدبر البيت الحرام متجهًا إلى القدس لأنه كان يسمع بأذنه ما تقوله اليهود: «إن محمد يستقبل قبلتنا ويحتقر ديننا» ولما تحولت القبلة قد سر سرورًا لا حد له.

وقد تخرب مسجد القبلتين بمرور الزمان وتقلبات الأيام وفى عام (٨٩٣هـ) جدد شاهين الشجاعى سقفه فقط وأقام حوله جدارًا صغيرًا فحافظ على ساحته الرملية. إن سطح ذلك المسجد المقدس يرتفع عن سطح الأرض مقدار ذراعين وقد سمع رواية أن بابه خال من المصاريع وجدران أطرافه أشرفت على الخراب بعد تشققها. وقد رئى ذلك ذاتيًا فى سنة ٨٩٢هـ، وبما أن جميع آثار الحرمين تعمر وترمم تحت عناية السلطان وظله فلا شك أن هذا المسجد أيضًا سيعمر على الوجه اللائق.

٩ـ التاسع مسجد السقيا:

إن معبد السقيا اللطيف يقع فى جهة مكة وفى الجهة الغربية عن طريق المدرج قليلاً حيث فرق ﷺ مجاهدى ملحمة بدر الكبرى ودعا لأوزان طيبة وأكيالها بالخير والبركة.

كان هذا المسجد قد خرب تمامًا واندرس أساسه ولم يعرف مكانه، فليرض الله عن الإمام السمهودى الذى بذل جهودًا مدة طويلة حتى وجد أطلاله ومكان محرابه وأظهر ساحته وكشفها، وإن كان أساس جدرانه قد ظل تحت التراب مقدار نصف ذراع إلا أن الإمام المذكور قد رفع عنه التراب وبنى جدران أطرافه الأربعة وأعاد بناءه بقدر كاف وأعاده إلى هيئته الأولى. والآن طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة سبعة أذرع، ولكن الأبنية التى جددها الإمام السمهودى لم تصمد طويلاً فتخربت، وفى العصر العثمانى جدده قاسم أغا من قواد جيش العثمانيين وهو أحد أصحاب الخير، كما ظهر وعمق بئر السقيا الذى بجواره، ويعرف الآن بئر السقيا بسبيل قاسم أغا.

١٠ـ العاشر مسجد الذبابة:

ويسمى أهل المدينة مسجد الإجابة بمسجد راية أيضًا. ويقع هذا المسجد على يسار القادمين من الشام إلى المدينة المنورة وهو على جبل صغير وفى مكان قريب

من ثنية الوداع وفى رواية موثوقة أن النبى ﷺ نصب خياما فى ساحة هذ المسجد وصلى فيها.

كان مروان بن الحكم قد قتل أحد الأشخاص يسمى ذباب وأتى به فى ساحة يطلق عليها ذباب وهى نفس ساحة ذلك المسجد المقدس، وصلبه وشهر به هناك، فعاتبته الصديقة زوجة الرسول السيدة عائشة قائلة له: كان الرسول ﷺ يؤدى الصلاة فى ذلك المكان المبارك، وأنت تجرأت أن تتخذ مصلى النبى مصلبًا؛ لذلك استحققت أن تكون مظهراً للخذلان.

وكان القتيل المذكور رجلا من اليمن، وكان عامل مروان على اليمن قد اغتصب وأخذ ثور المذكور، وعندما فصل العامل من عمله تتبعه ذباب إلى المدينة وقتل الرجل فاعتقل من قبل مروان وقبض عليه وصلب. وبعد قتل ذباب فى هذا المكان أصبح هذا المكان مصلبًا للأمراء إلا أن هشام بن عروة قال لزياد بن عبد الله أحد ولاة المدينة وا أسفاه!! لقد اتخذ موضع خيمة النبى ﷺ مكانا للصلب، وأصبح شغل الحكومة الشاغل الآن العمل على خلاف الآداب المرعية وبناء على هذا القول أبطلت عادة صلب الناس فى هذا الموضع. عندما اصطف فى غزوة الخندق كان النبى ﷺ قد نصب خيمة على جبل ذبابة وهناك من يدعى أن النبى ﷺ نصب خيمته فى غزوة الخندق على ساحة مسجد الفتح وإن كانت صحة هذه الرواية ظاهرة إلا أن النبى ﷺ لم يبق فى مسجد الفتح فقط بل وجد فى مسجد ذبابة أيضًا. ولما استجيب لدعائه فى ساحة مسجد الفتح أطلق على المسجد الذى أقيم على هذه الساحة مسجد الفتح. كانت أبنية مسجد ذبابة قد خربت تمامًا وانمحى أثر أساسه إلا أن أحد أهل الخير يسمى فيروزى أمين مرجان عمر وجدد هذا المسجد فى سنة ٨٤٥ أو ٨٤٦؛ رحمة الله عليه...

١١ - المسجد الحادى عشر مسجد أحد:

ولما كان مسجد أحد فى مكان ملاصق لجبل أحد فيظل على يمين الذاهبين إلى مهراس بطريق بين الجبل، ولما كانت مبانى جبل أحد صغيرة جدًا وقديمة قد

خربت وكان معروفًا إلى سنة ١٢٦٩هـ بمسجد الفتح، فعمره فى السنة المرقومة مصطفى عشقى أفندى من مجاورى المدينة وأحياه وبهذا أنقذ ساحته من أن تكون مقرًا للدواب، وطول المسجد ثمانية عشر ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا.

كان النبى إمام الأصفياء ﷺ، قد أدى صلاة الظهر والعصر على ساحة هذا المسجد فى ختام غزوة أحد، ونزلت عليه الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١١).

١٢- المسجد الثانى عشر مسجد ركن جبل عينين:

يقع هذا المسجد فوق قمة الجبل الذى أمام مشهد حمزة بن عبدالمطلب - رضى الله عنه - والجهة الشرقية منه وكانت مبانيها خربة إلى سنة ١٢٦٧هـ وكان أساس خرائبه مجهولاً. وعثر عليه فى السنة المذكورة المرحوم عشقى أفندى من مجاورى المدينة وجدده، إن ما يطلق عليه مسجد «صرعه» هو نفس هذا المسجد ومساحته السطحية طولاً وعرضًا ثمانية عشر ذراعًا.

وقد كلُف أربعون من الرّماة تحت قيادة عبد الله بن جبير للدفاع عن ظهر الجيش الإسلامى ووضعوا فى ساحة هذا المسجد، قد أصيب حضرة حمزة فى هذا المكان ونال رتبة الشهادة العالية، ويروى أن جسرًا كان قائمًا بالقرب من هذا المكان، فى عصر السعادة وأن النبى ﷺ قد صلى بجانب ذلك الجسر وهو مسلح فى وقفة أحد، ولكن فى زماننا لم يبق لذلك الجسر أى أثر.

١٣- المسجد الثالث عشر مسجد الوادى:

يقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى لجبل العينين وفى مكان قريب من مسجد ركن جبل العينين. كانت أبنيته القديمة بنيت بأحجار منقوشة فى غاية من الزينة والمتانة وقد أشرفت على الخراب والانهدام، وجَدَّده فى خلال سنة ٥٠٨هـ

حسين بن أبى الهيجاء وكتب على طاق بابه: «هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومصلى رسول الله ﷺ عمره حسين بن أبى الهيجاء سنة ثمان وخمسمائة».

وكان حضرة حمزة قد طعن فى ساحة مسجد ركن الجبل وسقط على ساحة مسجد الوادى، وأمر النبى ﷺ بإحضار جثمانه على ساحة مسجد الوادى الذى سبق تعريفه وصلى عليه.

وعلى رواية: أنه أدى صلاة الصبح فى هذا المكان ذلك اليوم هناك بين مسجد الوادى ومشهد حمزة.

وفى الجهة الغربية من المسجد المذكور مبنى مقبب يعرف باسم قبة الثنايا وهو أثر من آثار المرحوم سليم بك أحد كاتمى أسرار السلطان عبد المجيد وزملائه، كانت ثنية النبى ﷺ قد تكسرت فى هذا المكان الذى تحت القبة.

مع أن هذا المكان المبارك مركز وقعة أحد الأليمة إلا أنه أصبح الآن مسيرة للناس، قد بنى هناك كثير من المحال والمنازل واعتاد الأهالى أن يذهبوا هناك من وقت لآخر.

وفى مواسم الحج يشتد الزحام هناك ليلاً ونهاراً، ولا سيما عندما ترد طائفة الرحبيين ويقيم أهل المدينة فى المنازل التى هناك ويبذلون جهدهم ليحملوا الزوار والواردين على الزيارة، ولكن بهجة هذا المكان وزيارة آثاره تكون مهددة بأطماع عربان البادية وإذا طغى العربان وثاروا فلا مجال لذهاب الزائرين إلى هناك كما أنه ليس فى الإمكان إقامة الأهالى فى تلك البيوت آمنين مستريحين. وفى مثل هذه الأوقات يذهب الزوار فى جماعات كبيرة حتى يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم ضد اللصوص والمسلحين، وإذا ما اقتضى الأمر حربهم فإنهم يقاتلون العربان ويشتتون شملهم.

ومن يخرجون من أهل المدينة لزيارة شهداء أحد يحملون السلاح، ويقولون إن حمل السلاح عند زيارة شهداء أحد سنة شريفة، لأن النبى ﷺ كان يحمل السلاح حينما كان يزور شهداء أحد.

١٤ـ المسجد الرابع عشر مسجد السافلة:

يقع هذا المسجد على يمين المتوجه إلى قبر حمزة وهو بالقرب من حديقة نخيل تسمى بجير وهو فى بقيع الأسواق فى طرف جبل حنين ويبلغ طوله ثمانية أذرع ويعرف بمسجد «أبى ذر الغفارى».

ويروى أن عبد الرحمن بن عوف[١] قال شخصيًا: إنه بينما كان فى الساحة الرملية لمسجد «سافلة» رأى النبى ﷺ وقد خرج من الباب الذى فى جهة المقبرة ودخل إلى حديقة فى الأسواق حيث توضأ وصلى ركعتين ثم سجد، وبعد مدة رفع رأسه المبارك وقال إن جبريل ـ عليه السلام ـ نزل اليوم باسطًا أجنحته وأنزل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وفى هذه البقعة كذلك مسجد الثنية، وإلى عام ١٢٥٥هـ كان مجهول الاسم والمكان. وفى خلال هذا العام عثر عشقى أفندى على موضعه، وهذا المسجد يقع على ناحية إلى مسجد الفتح من مسجد حمزة، وهو مسجد صغير وطوله وعرضه خمسة عشر ذراعًا.

وأهل المدينة يدعون الزوار إلى زيارة موضعين آخرين فى هذا الموقع.

أحدهما: صخرة عظيمة ملاصقة لجبل أحد ولها فتحة قدر حجم رأس الإنسان، ويعتقد الزوار أنها أثر رأس النبى ﷺ.

والآخر: غار على مسافة من هذه الصخرة، ويقولون إن النبى ﷺ دخل فى هذا الغار، إلا أن هذان القولان ما هما إلا وهم وظن، ولو كانتا من الروايات الصحيحة لكان المؤرخون القدماء ذكروهما فى كتبهم وبينوهما.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦١، تفسير سورة الأحزاب الآية ٥٦.

١٥ـ المسجد الخامس عشر مسجد البقيع:

يقع هذا المسجد على يمنة الخارج من باب مقبرة جنة البقيع وهو فى غرب قبر عقيل، وقبور أمهات المؤمنين ويقال إن عمودًا واحدًا تبقى من مبناه القديم. وكان لهذا المسجد عقدان قديمان ومصنوعان من الحجر المنقوش. وكانت أنقاض هذين العقدين ظاهرة ماثلة للعين إلى عام ٧٢٠هـ وبما أن شاهين الجمالى جدده فى نفس العام لم يبق لهما أثر الآن.

ولما كان مسجد البقيع متصلاً بدار أبى بن كعب كان اسم المسجد القديم «مسجد أبى بن كعب» واشتهر فى فترة ما باسم مسجد جديلة وكذلك.

وقد صلى النبى ﷺ مرارًا وتكرارًا فى مسجد البقيع وقال ﷺ لو لم أحترز من اقتداء الناس بى وميلهم للصلاة فيه لأكثرت من الصلاة فى هذا المكان.

وظل مسجد البقيع فيما بعد خربا تمام الخراب، وفى عام ١٢٦٥هـ أمر محافظ المدينة المنورة شمس الدين أفندى بإقامة جدار حوله فى ارتفاع ثلاثة أذرع وبهذا أنقذ المسجد من قاذورات البهائم.

وفى الجهة الشرقية من هذا المسجد قبور كثيرة لأعاظم السلف وفضلائهم ومن هذه القبور قبور صاحب الطريقة محمد سمان المدنى وأولاده.

فى ذكر المساجد التى تعرف جهاتها ولا تعرف مواضعها

١ ـ المسجد الأول مسجد جديلة:

ويظهر أن هذا المسجد هو المسجد المنسوب إلى أبى بن كعب وقد ذكر جهته عندما ذكر مسجد البقيع.

٢ ـ المسجد الثانى مسجد بنى حرام:

يقع هذا المسجد غرب مساجد الفتح فى وادى البطحان وبين جبل بنى عبيد وبئر معاوية ورویَ عن جابر أن النبى ﷺ صلّى فى هذا المسجد.

وكان فى المحل المذكور مسجد محلة بنىَ حرام، ومازالت أطلاله قائمة إلى الآن إلا أن المسجد الشريف خرب ولا يرى أساسه ومبانيه.

٣ ـ المسجد الثالث مسجد الخربة:

وبما أن بطن بنى عبيد الذى ينحدر من قبيلة بنى سلمة قد أقاموا فوق جبل الدويخل القريب من جبل بنى عبيد وفى الجهة الغربية من قرية «بنى خرام» يلزم أن يكون مسجد الخربة فوق جبل بنى عبيد.

قد زار النبى ﷺ دار لبراء معرور من أهالى قرية بنى خرام وقد صلى النبى ﷺ فى موضع يسمى قراضة خلف نخل جابر بن عبد الله ولذلك فلا شك فى أن هذا المكان هو ساحة مسجد الخربة.

٤ ـ المسجد الرابع مسجد جهينة:

كان هذا المسجد فى داخل القرية التى تنسب إلى قبيلة جهينة والتى تقع بين ثنية عثعث وجبل سلع وقد نصب بعض الأشخاص من قبيلة بلى والذين هاجروا

إلى القرية المنسوبة إلى قبيلة جهينة خيامهم حول هذا المسجد حيث أقاموا لفترة طويلة، ظل مسجد «بلى» اسما آخر لهذا المسجد قد شرف النبى ﷺ قرية جهينة على دعوة أبى مريم الجهينى وخط حول ساحة المسجد الذى سبق تعريفه خطًا وطلب منهم أن يصلوا فى داخله. وأسرع أفراد هاتين القبيلتين ببناء مسجد فوق الخط الذى خطه النبى ﷺ حيث أدوا صلواتهم. وقد خرب فيما بعد مسجد جهينة ولم لا موقعه ولا خرابته.

٥- المسجد الخامس مسجد بيوت المطر:

يقع فى الجهة الغربية للطريق المقابل للجهة القبلية لثنية عثعث.

وكان أفراد قبيلة بنى غفار يؤدون الصلاة فى ساحة هذا المسجد.

وقد ثبت أن النبى ﷺ صلى فى هذا المسجد إلا أن أبنيته تهدمت بمرور الزمن ولم تجدد ولم يبق أحد فى زماننا يعرف أساس أطلاله.

٦- السادس مسجد بنى زريق:

بنى زريق اسم قبيلة ينتهى نسبها إلى الخزرج بن ثعلبة، وهذا المسجد المنسوب إلى تلك الجماعة فى ثنية الوداع التى تبعد عن سور المدينة مقدار ميل واحد، ولا يستطيع أحد أن يعين موضعه فى يومنًا الحاضر. وروى المؤرخون أن شمس الدين محمد بن أحمد السلاوى بنى فى سنة ٨٥٠هـ مسجدين، أحدهما مسجد بنى زريق إلا أنهم ترددوا فى تعيين وتحديد واحد منها على أنه مسجد زريق.

ولقد التقى رافع بن مالك الزرقى[١] فى عقبة جبل ثبير بمكة المكرمة مع النبى ﷺ وتعلم منه عدة آيات كريمة ثم عاد إلى المدينة وجمع قومه فى ساحة مسجد بنى زريق وتلى ما تلقاه عن النبى ﷺ من الآيات الكريمة، وبذلك تُلى القرآن الكريم فى المدينة المنورة أول ما تُلى فى هذا المسجد.

(١) أحد النقباء الذين بايعوا النبى ﷺ بالعقبة، وأول من قدم المدينة بسورة يوسف. لما لقى رسول الله ﷺ بالعقبة وبايعه أعطاه ما أنزل عليه من القرآن فى العشر السنين التى خلت فقدم به المدينة وجمع قومه فقرأ عليهم فى موضعه. انظر: الأصابة ٢/١٨٩-١٩٠.

ولم يصل النبى ﷺ فى هذا المسجد بل توضأ فى ساحته ولبث فيها وقتًا للراحة، فتحصلت البركة للمسجد وهو محل مبارك فى غاية اللطف ويقع على يمين الداخلين فى حصن المدينة المنورة.

٧ـ المسجد السابع مسجد بنى ساعدة:

مسجد بنى ساعدة مسجد فى غاية القداسة ويقع فى المدينة المنورة وفى داخل محلة[١] بنى ساعدة، وسقيفة[٢] بنى ساعدة تقع بجانبه.

جلس النبى ﷺ يومًا فى هذه السقيفة وطلب من سهل بن سعد أن يسقيه، فشرب ما أحضره سهل ـ رضى الله عنه ـ من الماء وطلب منه أن يحضر له مرة أخرى فلما أحضر شربه أيضًا وقال ملاطفًا سهل بن سعد يا سهل! الماء الأخير ألذ من الماء الأول وأعذب.

٨ـ المسجد الثامن مسجد بنى ساعدة الآخر:

هذا المسجد قريب من جبل ذبابة ويروى أن النبى ﷺ قد صلى فى هذا المكان أيضًا.

٩ـ المسجد التاسع مسجد بنى خذارة:

مسجد بنى خذارة، بجانب مسجد بنى ساعدة الذى ذكر آنفا وقد رسول الله ﷺ فى هذا المسجد وقص شعره، وكان بنو خذاره الذين ينتسب إليهم المسجد يقيمون بجانب سبيل سعد بن عبادة فى ناحية حصن المدينة.

١٠ـ المسجد العاشر مسجد راتج:

راتج اسم الحصن المشهور الذى يقع فى الطرف الشرقى من جبل ذباب، وكان مسجد راتج بجانب هذا الحصن وبجانب بئر أبى الهيثم بن التيهان المشهور باسم جاسم. كان النبى ﷺ فى هذا الموقع المقدس وشرب من ماء بئر جاسم.

---

(١) كانت فى الجهة الشمالية لسوق المدينة المنورة وكانت هذه السوق مقبرة لبنى ساعدة وقد ابتاع النبى ﷺ هذا الموضع من بنى ساعدة وجعله سوقًا لأهل المدينة كما ذُكر من قبل.

(٢) هذه هى السقيفة التى بويع فيها أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة.

١١ـ المسجد الحادى عشر مسجد بنى عبد الأشهل:

يقع فى حرة واقم وبين محلة بنى ظفر وبنى حارثة وكان بنو عبد الأشهل المنسوبون إلى قبيلة الأوس يصلون فيه، ويقال لهذا المسجد مسجد واقم كذلك. كان النبى ﷺ كلما شرف محلة عبد الأشهل كان يصلى صلاة المغرب فى مسجد واقم وكان يسبح طويلاً ثم يقول: يقال لهذه الصلاة صلاة البيوت.

وكان من عادة النبى ﷺ أن يتردد كثيراً إلى هذه المحلة فى حياة سعد بن معاذ الأشهلى وما كان يعود كلما شرف المحلة دون أن يصلى صلاتى العصر والمغرب فى ذلك المسجد.

١٢ـ المسجد الثانى عشر مسجد القرصة:

كان هذا المسجد فى الحرة الشرقية الواقعة فى الجهة الشمالية من محلة بنى عبد الأشهل، ولم يكن هناك من يعرف موقعه. وجزم المرحوم الإمام السمهودى أن الخرابة التى بجانب بئر قرصة هى خرابة مسجد القرصة، ومن هناك اقتنع الأهالى بأن هذه الخرابة هى ساحة خرابة المسجد المذكور.

١٣ـ المسجد الثالث عشر مسجد بنى حارثة:

من المؤكد أن مسجد بنى حارثة اللطيف فى قرية بنى حارثة، وبما أنه لم يبق فى زماننا من يعرف الجهة التى كان يقع بها المسجد من جهات القرية فأرضه مجهولة.

١٤ـ المسجد الرابع عشر مسجد الشيخين:

إذا ما ذهب إلى مسجد الشيخة عن الطريق الشرقى يظل المسجد بين جبل أحد والمدينة المنورة، وقد دفن قائد جيش النبى مصعب[(١)] بن عمير فى مكان يسمى بمهد حمزة وفى داخل جبل أحد.

وقد قضى النبى ﷺ فيه وقتًا فى غزوة أحد، ومضى إلى حومة الوغى فى

(١) كان مصعب بن عمير ـ رضى الله عنه ـ قد أرسل من قبل النبى ﷺ إلى المدينة المنورة ليعلم السابقين من الأنصار المسائل الدينية ويؤمهم فى الصلاة ويخطب فيهم وقد آمن ثلثا الأنصار الكرام بفضل جهوده.

الصباح وصلى صلوات العصر والعشاء والفجر فى هذا الموقع المقدس، ويسمى هذا المسجد كذلك «مسجد البدائع» لأن فى المكان الذى يطلق عليه البدائع كان حصنان مشهوران باسم الشيخين.

١٥ـ المسجد الخامس عشر مسجد بنى دينار:

مسجد بني دينار منسوب إلى دينار بن النجار من أحفاد الخزرج بن ثعلبة وهو بالقرب من موضع يسمى المغسلة[١] وخلف وادى البطحان ولا يعرف موضع ساحة مسجد بني دينار ولكن بما أن صاحب نخيل المغسلة وجد هناك حجراً كتب عليه بالخط الكوفى: «هذا مسجد رسول الله ﷺ» بنى فى المكان الذى وجد فيه الحجر بنى مسجدًا جميلاً وألصق ذلك الحجر فوق باب المسجد وبناء عليه ليس ببعيد أن يكون هذا المكان مسجد بني دينار ويروى أن النبى ﷺ كثيرًا ما صلى فى هذا المسجد.

١٦ـ المسجد السادس عشر مسجد بنى عدى بن النجار:

كان هذا محلة بنى عدى بن النجار واغتسل النبى ﷺ فى هذا المكان.

١٧ـ المسجد السابع عشر مسجد دار نابغة:

هذا المسجد أيضًا فى هذا المكان، وقد صلى النبى ﷺ فى هذا المكان.

وعلى رواية صلى أيضًا في مسجد بنى عدى. ومسجد دار نابغة يستلزم أن يكون هو الضريح الذى دفن فيه والد النبى ﷺ عبد الله بن عبد المطلب.

وفى سنة ١١٤١ اشترى السلطان محمود خان العدلى، من الساحة المتصلة بالمسجد وخاصة بدار الفحل عشرين ذراعًا وضمها للمسجد فجدده ووسعه. وكانت دار نابغة فى المحل الذى دفن فيه عبد الله بن عبد المطلب كما أن دار بنى عدى فى الجهة الشامية لمسجد بنى جديلة.

(١) المغسلة اسم حديقة نخل مشهور بالقرب من المدينة وكانوا قديمًا يغسلون جنازاتهم فى هذا المكان.

١٨ ـ المسجد الثامن عشر مسجد بنى مازن بن النجار:

مسجد بني مازن في الطرف الشرقي القبلي لمحلة بني زريق وهو الآن في مكان يسمى ناحية أبي مازن وقد أمر النبي ﷺ بنفسه بحفر أساس هذا المسجد، وصلى في الدار التي تسكنها أم بردة المازنية[١]، ولما كانت أم بردة المازنية مرضعة ابن الرسول إبراهيم ـ عليهما السلام ـ ظل النبي بجوارها حين احتضارها.

١٩ ـ المسجد التاسع عشر مسجد بنى عمر بن مبذول بن مالك بن النجار:

ويقع هذا المسجد بالقرب من بقيع الزبير ويروى أن النبي ﷺ كان يصلي في هذا المكان، إلا أن ساحته المقدسة غير معلومة.

٢٠ ـ المسجد العشرون مسجد بقيع الزبير:

كان مسجد بقيع الزبير بجوار محلة بني عم وفي الطرف الشرقي لبدال بني زريق والموثوق أن مكانه مكان المسجد القديم في طريق بقيع الغرقد ويروى أن النبي ﷺ صلّى في هذا المكان المقدس ثماني ركعات من صلاة الضحى.

٢١ ـ المسجد الحادى والعشرون مسجد صدقة الزبير:

كان هذا المسجد في محلة بني محمد والتي يطلق عليها الزبيريات وهي في الجهة الغربية لمشربة أم أبراهيم، والطرف القبلي لهذا المسجد قريب من حدائق خناقة أعواف من صدقات النبي ﷺ، وما فيه الزبير بن العوام وقد صلى النبي ﷺ في هذا المكان أيضًا.

٢٢ ـ المسجد الثانى والعشرون مسجد بنى خذرة الخزرجية:

هذا مسجد في قرية بني خذرة وهو مسجد صغير تجاه بنت الحية وبانية زكوى بن الصالح.

٢٣ ـ المسجد الثالث والعشرون مسجد بنى الحرث بن الخزرج ومسجد السخ:

مسجد بني الحرث في مكان يسمى تربة الحارث أي في محلة بني الحارث التي

---

(١) انظر: الإصابة ٨/ ٢١٥.

فى وادى بطحان. ومسجد النسخ على بعد ميل من الحجرة المعطرة وفى محلة جشم وزيد بن بنى الحارث، وفى زماننا فساحتا هذين المسجدين مجهولتان إلا أنهم يروون أن دار زوجة الصديق، بنت حارثة على ساحة مسجد النسخ.

٢٤ـ المسجد الرابع والعشرون مسجد بنى الحبلى:

رهط أبى بن سلول الخزرجى، كان مسجد بنى حبلى فى محلة بنى حبلى وفى الطرف الشرقى لبطحان، أى كان فى مكان بين المدينة المنورة وقرية قباء.

٢٥ـ المسجد الخامس والعشرون مسجد بنى بياضة الخزرجى:

يقع فى وادى البطحان فى محلة بنى سالم المتصلة بمحلة بنى مازن.

٢٦ـ المسجد السادس والعشرون مسجد بنى فاطمة ومسجد العجوز أوس:

هذان المسجدان فى عوالى المدينة المنورة وفى الجهة الشرقية من مسجد الشمس وبجانب قبر براء بن المعرور الذى وبايع النبى ﷺ فى بيعة العقبة ومن الأنصار السابقين للإسلام والذى توفى قبل الهجرة.

٢٧ـ المسجد السابع والعشرون مسجد بنى امية بن زيد الأوس:

كان هذا المسجد اللطيف بين قريتى العرش ونواعم. وأنهارت مبانيه مع مرور الزمان وقد تراكمت فوقه الرمال والتراب حتى تكونت هناك ربوة صغيرة.

٢٨ـ المسجد الثامن والعشرون مسجد بنى وائل الأوس:

مسجد بنى وائل المقدس فى قرية قباء، وعلى رأى فى الجهة الشرقية لمسجد شمس، وقد ركز بين العمودين وَتَدٌ للدلالة على المكان الذى أدى فيه النبى ﷺ الصلاة. وبناء على رواية ابن شيبة أن ذلك الوتد بعد عن المحراب مقدار خمسة أذرع.

٢٩ـ المسجد التاسع والعشرون مسجد بنى واقف:

كان المسجد المذكور فى محلة بنى واقف يُشَكُ فى الجهة التى يقع فيها، إلا أن بعض الموقفين يروون احتمال وجوده فى الجهة القبلية من مسجد الفضيح.

٣٠ـ المسجد الثلاثون مسجد بن أنيف:

إلى جماعة بلى من الخلفاء الأوس ومسجدهم فى الجهة القبلية الغربية من قباء بجانب بئر عذف وفى داخل قرية بنى أنيف.

٣١ـ المسجد الحادى والثلاثون مسجد دار سعد بن خيثمة:

كان مسجد دار سعد فى الجهة القبلية من مسجد قباء المشهور، وعند الهجرة النبوية سكن فى هذه الدار الصديق أبو بكر والسيدة عائشة الصديقة وجناب فاطمة الزهراء وأسماء بنت الصديق وأم رومان والسيدة سودة وعلى بن أبى طالب.

٣٢ـ المسجد الثانى والثلاثون مسجد التوبة:

وإن كان هذا المسجد فى الجهة الغربية من مسجد قباء إلا أنه لم يبق أحد الآن يعرف مكانه.

وكان هذا المسجد لقبيلة بنى جَحْجَبَى المنتسبة إلى بنى عمرو بن عوف وكانوا يقيمون بجانب حصن يسمى «هجيم» وفى مكان يسمى «عصية» وهناك بئر أيضًا. والآن فى موقع عصية عدة آبار ومزارع ولكن لا يعرف بجانب أية واحدة من هذه الآبار كانت ساحة مسجد التوبة.

٣٣ـ المسجد الثالث والثلاثون مسجد النور:

ومسجد النور بناء على بعض الأقوال فى قرية قباء وبناء على الأقوال الأخرى فى المدينة المنورة. ولم يكن يعرف سبب تسمية موقعه وساحته بهذا الاسم إلى سنة ١٢٧١هـ وقد وجد مكانه مصطفى عشقى أفندى من المجاورين مستعينًا بالتواريخ القديمة وروايات المسنين من أهل المدينة وجدده. وإذا به كان من جهة حدائق النخيل التى تسمى بستان قائم فى قرية قباء، بينما كان عشقى أفندى يحفر الأماكن التى بدت له ظهر أساس جداره القديم وقد صدق المسنون من قرية قباء أن هذا الأساس أطلال مسجد النور ودعوا بالخير للمرحوم عشقى أفندى.

كان ذلك المسجد دار أبى بكر الصديق وبناء على تدقيقات عشقى أفندى وتحقيقاته فإن النبى ﷺ شرف فى عصر السعادة بيت الصديق الأكبر، وكان معه عمر الفاروق أيضًا. وعند عودتهما خرج منها نورٌ لهما وأنار الشريفة وبناء على ذلك أطلق على بيته السعيد مسجد النور.

٣٤ ـ المسجد الرابع والثلاثون مسجد عتبان بن مالك

إن مسجد عتبان فى محلة بنى سليم الخزرجى وفى داخل برج عتبان بن مالك وهذا البرج فى الجهة الشرقية من مسجد الجمعة، وبما أن النبى ﷺ قد صلى فى داخل برج عتبان بن مالك فقد اتخذ من هذا المكان مسجداً وكان يؤم جماعته فى الصلاة فى الأيام العطرة.

٣٥ ـ المسجد الخامس والثلاثون مسجد مثيب:

وهذا المسجد من صدقات النبى ﷺ وقد انهدم بمرور الزمن.

٣٦ ـ المسجد السادس والثلاثون مسجد المنارتين:

فى طريق الجبل الأحمر الذى يطلق عليه العقيق الكبير، انهارت أبنيته مع مرور الزمان ولم يجدد ولم يعمر، وأطلاله ظاهرة.

٣٧ ـ المسجد السابع والثلاثون مسجد فيفاء الجنادر:

خلف حمام خالد الذى فى الجهة الغربية من جبل يسمى ذات الجيش، وموقعه مجهول الآن. وفى غزوة العشيرة تقدم النبى ﷺ نحو نقب بنى دينار ونزل فى فيفاء الجنادر وبعد أن صلى تحت شجرة ذات السابق[١] التى كانت فى بطحاء ابن أزهر. تناول طعامه وشرب من ماء ثبير[٢]، وثبير اسم البئر التى بجانب ذات الساق.

(١) اسم شجرة كبيرة.

(٢) اسم ماء فى ديار مزينة أقطعه النبى ﷺ شرَيس بْنَ ضَمْرَةَ.
انظر: اللسان (ثبر) ص ٤٧٠ ط. دار المعارف.

٣٨ ـ المسجد الثامن والثلاثون مسجد بنى جثجاثة وبئر شداد:

يقع مسجد بنى جثجاثة فى العقيق تجاه مقبرة بقيع الغرقد وبين ثنية الشريد وخُليفة وبما أن النبى ﷺ فى هذا المكان واستراح فيه جالسا فقد اشتراه عبد الله بن سعد للتبرك وبنى عليه مسجداً عالى البناء.

الوجهة السادسة عشرة
وتشتمل على أربع صور

فى ذكر وتعريف فضائل مقبرة البقيع الثابتة
والمدفونين فى داخلها من شهداء أحد

تعرف وتظهر فضائل مقبرة بقيع الغرقد الباهرة

معنى البقيع المكان الذى ازدحم بأشجار متنوعة حتى تحول إلى غابة، ولما كان بقيع الغرقد فى الأصل منبت أشجار يطلق عليها الغرقد فأضيف الغرقد إلى البقيع.

ومقبرة بقيع الغرقد خارج باب الجمعة لحصن المدينة فى طرفها الغربى حدائق النخيل وفى جهتها الشرقية حصن المدينة الميمونة. وسيول وديان المدينة الظاهرة تمر من جانبى تلك المقبرة، وعندما يشتد المطر فالسيول الواردة تجرف أسوارها.

قد قال النبى ﷺ «كل من يدفن فى مقبرتنا بقيع الغرقد هذه فإننا نشفع له يوم القيامة أو نشهد له» (حديث شريف) ووصفت التوراة بقيع الغرقد باسم «كفتة» وبين أنها بين تلين. وفعلاً فى جهة من جهاتها الحرة الشرقية وفى الجهة الأخرى الحرة الغربية ورد فى الخبر أن سبعين ألفا وجوههم مشرقة مثل القمر، سيحشرون يوم القيامة من مقبرة بقيع الغرقد وستملأ أنوار نواصيهم المشعة بين السماوات والأرض.

يقال إن هذه الرواية مسطورة فى التوراة، كان مصعب بن عمير ذاهبًا يومًا مع ابن رأس الجالوت عن طريق بقيع الغرقد إلى المدينة المنورة، ولما دخلا فى حدود مقبرة بقيع الغرقد رأيا أن تلك المقبرة بين تلين فتصدى ابن رأس الجالوت للحديث وقال يا مصعب إننى رأيت فى التوراة أن هناك مقبرة الجهة الشرقية منها بيوت والجهة الغربية نخيل، إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيبعث ويحشر من هذه المقبرة سبعين ألف رجل وجوههم منيرة كالبدر.

وقد بحثت عن هذه المقبرة مدققًا النظر فى كثير من المقابر ولكننى لم أجد المقبرة المذكورة فى التوراة.

شعر

في يوم القيامة حينما ينفخ في الصور
يقوم كل هؤلاء في أشعـــار مـــن نور
وإذا ما ارتفعت من الغبار رؤوسهم
اتجهـــت إلى الحبيـــب عيونهـــم

لما دخل النبى فى دار عقيل بن أبى طالب وكانت فى البقيع وقف فى ركن منها وأخذ يدعو قائلاً: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اعف عن أهل بقيع الغرقد.

وعلى قول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين والمستأخرين.

وعلى رواية: اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم.

وعلى قول السلام عليكم يا أهل القبور ويغفر الله لنا ولكن أنتم لنا سلف ونحن بالأثر. وقام فى ليلة من نومه وذهب إلى البقيع مصاحبًا غلامًا له يسمى «أبا موهبة» وأخذ يدعو قائلاً: «السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، والآخرة شر من الأولى»، وكان فى ذلك الوقت فى مرض موته.

وبما أن زاوية عقيل موقف رسول الله ﷺ يقتضى على الزوار أن يقفوا فى هذا المكان وأن يدعوا، سواء أكان هذا المكان أو الأماكن الأخرى التى تنسب إليه من الأماكن التى تستجاب فيها الأدعية فمن المستحب الدعاء فيها.

فى ذكر من دُفن فى مقبرة بقيع الغرقد من الصحابة وسادات أهل البيت وكبار التابعين

والذين تعرف قبورهم اليوم يتجاوز عدد من دفن فى مقبرة بقيع الغرقد من الصحابة - رضوان الله عليهم - اثنى عشر ألفا. ولكن بعض هؤلاء ماتوا فى عصر السعادة وبعضهم فى عهود الخلفاء الراشدين وملوك بنى أمية. وبما أن فى أوائل الإسلام لم ترفع قباب فوق المقابر ولم تنصب الحجارة ظلت مواضع قبورهم وجهاتهم مجهولة ما عدا هؤلاء الذين ستكتب أسماؤهم فيما بعد:

إبراهيم ابن الرسول ﷺ وعلى أبيه -: إبراهيم ابن الرسول مدفون بجانب ضريح عثمان بن مظعون أخى النبى ﷺ فى الرضاعة وفى داخل ضريح خاص له.

شعر

لا مجـــال لقـــــدم الأجنبى
نـــام هنا جوهـــــر صلـــب النبى
فى هـــذا الركن المعطـــر بالعنـــبر
اعْـتَـــشَّ فى الجـــنة كـــل طـــير

ويرى بعض الناس أن عبد الرحمن بن عوف وأبا هريرة - رضى الله عنهما - دفنا بجانب هذا الضريح المزهر.

ولكن قبر ابن عوف معروف لدى التاريخ وسيعرف فيما بعد.

وفى شرق هذين القبرين وفى مكان يصادف وسط مقبرة البقيع أى بجوار الباب الشامى للمقبرة قبور بعض المشاهير من شهداء أحد، وهؤلاء الأشخاص

الذين دفنوا فى هذه القبور قبل أن ينزل الوحى بدفن الشهداء حيث استشهدوا؟ لذا نقلوا هنا ودفنوا فى البقيع. وبجانب القبر المذكور بعض الفساقى[1] الكبيرة ويقول الأهالى إن الغرباء والزوار الذين ماتوا ماتوا فى أوبئة السنين الماضية دفنوا فى هذه الفساقى.

وأم حضرة إبراهيم مارية القبطية التى أهداها المقوقس إلى سيدنا محمد ﷺ وولد إبراهيم فى ذى الحجة من السنة الثانية الهجرية وتوفى بعد مرور (١٦) أو (١٨) شهرًا من ولادته. قام بتغسيله الفضل بن عباس وأنزله فى القبر بعون أسامة بن زيد، وبما أن النبى ﷺ صب بنفسه الماء فوق قبره بعد الدفن أصبح صب الماء على القبور بعد ذلك سنة. لما مات إبراهيم سأل الصحابة الكرام عن المكان الذى سيدفن فيه فأجابهم الرسول ﷺ احفروا له قبرًا وجهزوه بجانب قبر عثمان بن مظعون؛ فحفروا فى ذلك المكان قبرًا ودفنوه، فالقبر الذهبى فى ذلك الوقت كان فى ركن دار عقيل بن أبى طالب من الجهة اليمانية.

وكانت مقبرة بقيع الغرقد إلى وفاة حضرة إبراهيم ذات نخيل، بعدما دفن إبراهيم فى المكان الذى سبق تعريفه رغب الجميع فى دفن جنازاتهم فى البقيع واختارت كل قبيلة جهة من جهاته مقبرة وقطعوا أشجارها وسوّوا أرضها.

وكان عثمان بن مظعون ـ رضى الله عنه ـ ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى الجمحى والمكنى بأبى السائب واسم والدته مستحيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح وهو الرابع عشر من سابقى المسلمين، هاجر مع ابنه سائب وبأشخاص آخرين إلى ديار الحبشة أولاً وبعدها إلى مدينة دار السكينة. كان شخصًا مفضالاً يصوم النهار ويقوم الليل، مات بعد مرور اثنين وعشرين شهرًا من غزوة بدر ومات قبل إبراهيم ـ عليه وعلى أبيه التعظيم ـ ودفن فى البقيع فى مكان يطلق عليه الزوار الروحاء وفى الجهة الشرقية من ابن النبى.

(١) الفسقية: تقال للجحور المستطيلة الخاصة بدفن أموات الغرباء وأعلاها ذات عقود، ففساقى مصر تبنى عموديا على هذا الشكل.

أول من دفن فى البقيع الشريف هو عثمان بن مظعون. وكان النبى ﷺ قد نصب حجراً على القبر من ناحية رأسه كعلامة خاصة.

ولما أصبح مروان بن الحكم واليا على المدينة المنورة أخرج تلك العلامة فجعل القبر مجهولاً، أو على رواية أخرى نقل الحجر إلى قبر عثمان بن عفان ساطع الأنوار.

سانحة: نَصْبُ الحجارة شئ أحدث فيما بعد، وفى الأول كانوا ينصبونها على قبور من اشتهروا بالعلم والصلاح، وفيما بعد تعمم الأمر. وبما أن الشيخ أبا صالح التركماني قد كره بدعة نصب الحجر فقد رغب فى عدم نصب حجر على قبره وترك وصية مكتوبة فى هذا الخصوص لأحفاده.

رقية بنت النبى ـ رضى الله عنها ـ كريمة رسول الله ﷺ: وقبرها بجوار قبر أختها أم كلثوم وبجانب قبر عثمان بن مظعون.

وقال الرسول ـ ﷺ الواقف على أسرار الحكمة ـ عندما نصب ذلك الحجر على قبر عثمان بن مظعون: «فليكن هذا الحجر علامة على قبر أخى فى الرضاعة وليدفن من يتوفى من أهل بيتى فى هذا المكان»، لأجل ذلك قالت رقية وهى على فراش الموت فى حالة احتضارها: ادفنونى بجانب عثمان بن مظعون ومسح النبى ﷺ دموع السيدة فاطمة بجانب هذا القبر المنيف لأن السيدة فاطمة كانت قد تأثرت أشد التأثر من موت أختها وكانت تبكى بجانب هذا القبر لامع الأنوار.

السيدة رقية التى تشرف عثمان بن عفان بالزواج منها أولى الجميلتين اللتين نال شرف الزواج منهما.

ولما كان والدها الجليل ﷺ قد زوجها بعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ عندما كان بمكة المكرمة وقد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فى الهجرة الأولى وبعد العودة هاجرت إلى المدينة المنورة فى الهجرة الثانية. وقد مرضت فى السنة الثانية للهجرة وبناء على ذلك لم يشترك فى غزوة بدر ليظل بجانب زوجته المحترمة تنفيذاً للإرادة النبوية، وقد لحقت بالرفيق الأعلى، حينما وصلها خبر

انتصار الجيش النبوى إلى المدينة المنورة ومن هنا تزوج عثمان بن عفان أختها الصغرى أم كلثوم ـ رضى الله عنها ـ فسعد. ولما كانت فى الحبشة ولدت ابنها عبد الله بن عثمان وعاش الغلام خمس أو ست سنوات بناء على بحث ابن الأثير ثم نقر عينه الديك فتورم وجه الصغير المعصوم ومات فى خلال السنة الرابعة الهجرية، وفى شهر جمادى الأولى متأثرًا بهذا الحادث.

سواء أكانت رقية أو أختها أم كلثوم ـ رضى الله عنهما ـ كان عقد نكاحهما أولاً لابنى أبى لهب عتبة وعتيبة، أى عقد نكاح رقية لعتبة ونكاح أم كلثوم لعتيبة، وبما أن زوجة أبى لهب أم جميل شعرت بالخزى والعار عند نزول سورة ﴿تبت﴾ فسخت نكاحهما قبل الزفاف، مع أن هذا الفعل كان بالنسبة إلى المشار إليهما مصدر خير ولطف وإحسان وبالنسبة لعتبة وعتيبة مجلب ذل وخسران وهوان.

فاطمة بنت أسد ـ رضى الله عنها ـ بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشى ووالدة سيدنا على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ المشفقة. قد دفنت فى دار عقيل أول أضرحة بنى هاشم والضريح كان أمام حمام(١) أبى مطيعة فى الروحاء وعند البعض بالقرب من ضريح عباس بن عبد المطلب.

قطعة شعرية

هى جوهـــــــر ســــبط اللآلـــىء

فاطمة بنت أسد أم حيدر الكرار على

أثنى عليهـــا الحق تعالى كـل الثنـاء

إنهـــا جدة جميـــع الشرفـــــــاء

وإن كانوا ينسبون القبر والضريح الذى فى آخر مقبرة البقيع إلى فاطمة بنت أسد، ولكن على أرجح الأقوال أنها لم تدفن فى هذا الضريح بل دفنت فى

(١) هذا الحمام ليس حماما عاديًا إنه اسم نخلة مشهورة فى الجهة الشمالية لقبر إبراهيم ـ عليه وعلى أبيه التعظيم.

الضريح سالف الذكر. لأن النبي ﷺ كان يحب السيدة فاطمة حبًا جمًا وهذا ثابت وبما أنها ماتت فى حياة الرسول فمن المحال أن يكون قد دفنها خارج البقيع الشريف، ويمكن الاستدلال على ذلك بما قاله النبى ﷺ عندما نصب حجراً على رأس قبر ابن مظعون قائلاً: «فليكن هذا الحجر علامة قبر أخى فى الرضاعة وليدفن هنا من توفى من أهلى»، وبناء على ذلك فقبر المشار إليها إما فى «الروحاء» أو فى «دار عقيل» ولا شك فى ذلك وقد كفن النبى ﷺ فاطمة بنت أسد بقميصه وأنزلها بنفسه فى القبر وبعدما أهال التراب فوق التراب وغطى القبر بكى كثيراً.

التوضيح: لم ينزل النبى ﷺ فى أى قبر لوضع الجنازات إلا فى قبر خديجة الكبرى، عبد الله المزنى، وابن الخديج، وأم رومان، وفاطمة بنت أسد.

وأنزل الأشخاص الذين ذكرناهم فى قبورهم ودعا لهم بما يليق. حتى أنه جلس على رأس قبر فاطمة بنت أسد بعد الدفن وبكى بكاء شديداً مديداً ودعا على النهج التالى:

«الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت، اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين».

عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ: دفن بالقرب من قبر عثمان بن مظعون الكائن فى الجهة الشرقية لزاوية دار عقيل، قد أرسلت عائشة ـ رضى الله عنها ـ أحداً إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يحتضر ليقول له إذا ما شئت هيأت لك قبراً بالقرب من قبر النبى.

فرد قائلاً لا أستطيع أن أضيق لك بيتك، وكنا قد تعاهدنا مع عثمان بن مظعون على أن يدفن الثانى بجانب الذى يموت أولاً فادفنينى بجانبه فأتت بجنازته وبعد الصلاة عليها أمرت بدفنها فى دار عقيل.

وكان عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين من الأصحاب بالجنة، وأبوه عوف بن عبد الحارث بن زهرة ابن كلاب بن مرة، وأمه شفاء بنت عوف بن

الحارث بن زهرة، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وأسلم بواسطة الصديق الأكبر قبل اختفاء المسلمين فى دار الأرقم، هاجر أولا إلى الحبشة وبعد عودته منها هاجر إلى المدينة المنورة وتآخى هو وسعد بن الربيع، واشترك فى جميع غزوات النبى ﷺ. ومات فى السنة الحادية والثلاثين من الهجرة وعمره سبعون عاما أو خمسة وسبعون عامًا على قول آخر، وأوصى أن ينفق خمسون ألف دينار من ماله فى سبيل الله، كما أوصى أن يعطى لبقية أصحاب بدر لكل واحد منهم أربعمائة دينار(1).

وبقى له بعد وفاته مائة رأس فرس و (٣٠٠٠) غنم و (١٠٠٠) جمل، وأصاب كل واحدة من زوجاته الأربع ثمانون ألف دينار كحصة إرثية، عندما هاجر إلى المدينة المنورة عقد رابطة الأخوة مع سعد بن الربيع سالف الذكر وأخذ فى الأخذ والعطاء والتجارة. وبفضل دعاء النبى ﷺ أحسن الله إليه وأنعم له بأموال لا تحصى ونقود لا تعد ونال بسهولة المعيشة الرغدة فى الدنيا، وقد استخرج مما تركه من سبائك الذهب والفضة من حفرة خزانتها بالفأس والمجرفة.

وقد جرحت يدى حافر حفرة الخزانة إلى أن أخرج السبائك كلها. وأوصى أن تعطى لأمهات المؤمنين حديقة نخيل غير ما أوصى بإعطائه لأصحاب بدر. وقد بيعت الحديقة التى عين اسمها لإعطائها لأمهات المؤمنين بأربعمائة قطعة ذهبية وعرضت لأمهات المؤمنين كن على قيد الحياة. كان عبد الرحمن بن عوف سخيًا كريمًا لاحد لسخائه وكرمه، حتى إنه حرر فى يوم واحد ثلاثين نفرًا من ربقة العبودية. وتصدق فى ذلك اليوم بسبعمائة ناقة عائدة من التجارة بكل ما تحمله من أمتعة وأغذية. وكان فضل المشار إليه وكمال أخلاقه كما يجب إذ اشترك فى غزوة تبوك وتولى أمانة النبى ﷺ فسماه النبى ﷺ أمين هذه الأمة.

سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه -: دفن سعدبن أبى وقاص فى الجهة الشرقية السامية من دار عقيل حيث أراه بنفسه وعينها. إذ أخذ ذاته السامية قبل وفاته عدة أوتاد مدببة وذهب مع الصحابى أبو دهقان إلى مقبرة بقيع الغرقد

(1) كان حيًا عندما توفى عبد الرحمن بن عوف من غزاة بدر وأصحاب الصفة مائة نفر.

وركز تلك الأوتاد فى الركن الشرقى الشامى من المنزل سالف الذكر ثم قال: «يا أبا دهقان! إذا ما مت احفروا هذا المكان وادفنونى فيه» وحينما توفى بحث أبو دهقان عن ابن المتوفى وروى له الحكاية وأراه المكان المذكور ذاهبًا إلى بقيع الغرقد فأخرج ابن سعد الأوتاد ودفن جنازة والده هناك وأوفى بوصيته.

كان سعد يكنى بأبى إسحاق وأبوه وهيب أو أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن أبى وقاص مالك، وأمه بنت سفيان أو أبو سفيان ابن أمية بن عبد شمس حمنة أسلم وعمره سبعة عشر عامًا اشترك فى جميع غزوات النبى ﷺ وكان الخامس أو السابع من السابقين إلى الإسلام وهو أحد المبشرين العشرة بالجنة وأحد أصحاب الشورى الستة.

وقد مات فى عام خمسة وخمسين هجرية بناء على قول الواقدى أو فى ثمانية وخمسين من السنة الهجرية بناء على قول أبى نعيم الفضل بن دكين أو مات فى سنة أربع وخمسين من الهجرة بناء على تدقيق وتحقيق الزبير بن عمرو، ومات فى مكان ما من وادى العقيق على بعد سبعة أميال من المدينة المنورة ثم حمل نعشه إلى المدينة المنورة ودفن فى المكان الذى سبق وصفه، وهو آخر من توفى فى المدينة من المهاجرين الكرام. وفى حالة احتضاره خلع جبته الصوفية، وقال موصيًا: ادفنونى بهذه لأنها كانت على ظهرى حينما لاقيت مشركى قريش فى بدر.

عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: مات عبد الله بن مسعود فى السنة الثانية والثلاثين من الهجرة وقد تجاوز الستين من عمره ودفن فى مكان قريب من ضريح عثمان بن مظعون. لأنه قد ذهب قبل موته إلى البقيع وأوصى بأن يدفن فى ذلك المكان الذى عينه. وكان حضرته من فضلاء الصحابة الزاهدين وأبوه مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل ابن مدركة بن إلياس بن مضر، وأمه أم عبد الله بنت عبد ود بن سواء الهذلية.

وكان عثمان بن عفان حين وفاة عبد الله بن مسعود خليفة فزاره وعاده عند احتضاره وقال له عند عزمه على العودة:

إذا ما رضيت فأنا أرغب فى أن أقدم لبناتك بعض العطايا وكان يريد بهذا الاستفسار أن يحسن إلى بنات عبد الله بن مسعود. فرد ابن مسعـود قائلاً أنا لا أخشى على بناتى من الفقر والخصاصـة، وقد نبهتـهن إلى ضرورة قراءة سورة الواقعة كل ليلة مرة وأوصيهـن بأن يداومـن على هذه الأصول لأنى كنت سمعت النبى ﷺ يقول: كل من داوم على قراءة سورة الواقعـة فى الليـالى يأمن تسلط الفقر والحاجة عليه.

وبهذا القول امتنع عن تقديم العطايـا لبناته؛ رضى الله عنه.

حنيس بن خذافة السهمي[1] **ـ رضى الله عنه ـ** كان خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى القرشى السهمى زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب الأول وهو أحد مهاجرى الحبشة، خرج فى غزوة أحد ومات بعد ملحمة بدر الكبرى بخمسة وعشرين عامًا ودفن فى مكان قريب من ضريح عثمان بن مظعون.

أسعد بن زرارة[2] **ـ رضى الله عنه ـ:** هو سعد بن زرارة أبو أمامة ابن زرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار بن ثعلبه بن الخزرج الأنصارى وهو أحد الأنصار السابقين للإسلام بل أولهم ونصب نقيبًا من قبل رسول الله ﷺ لقبيلة بنى ساعدة التى ينتسب إليها.

وقد وجد فى بيعات العقبة الأولى والثانية والثالثة وعرض البيعة قبل الكل وتوفى فى خلال شهر شوال من العام الهجرى؛ فدفن فى مكان قريب من ضريح عثمان بن مظعون، وقبره لامع الأنوار فى وسط مقبرة البقيع، وبجانب ضريح ابن الرسول عليهما السلام إلا أنه ليس لقبره علامة خاصة. وعندما يزار ضريح إبراهيم ـ عليه التعظيم ـ فلا تَنْسَ قراءة الفاتحة على روحه لتذكره.

فاطمة بنت رسول الله «عليهما الصلاة والسلام»: ارتحلت السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ عن دنيانا بعد والدها بسبعين يومًا ودفنت ـ على القول الأرجح ـ على زاوية دار عقيل اليمانية التى تقع فى داخل مقبرة بقيع الغرقد.

(١) انظر ترجمته فى الإصابة ٢/١٤٢.
(٢) انظر ترجمته فى الإصابة ١/٣٢.

قطعة شعرية

إن فاطمـــة مـــن شمـــس الرسالـــــة نـــــور

فاجعل مـن غبـــار عتبتهـــا لعينيـــك الـــدواء

فليس فى الإمكان دخول إلـــى سلطـــان كونهـــا

وبناء على الروايات الموثوقة اغتسلت قبل احتضارها ولبست ملابس جديدة وقالت إننى الآن سأستجيب لدعوة «ارجعى» ولكننى لست فى حاجة للغسل والكفن!!!

وسلمت روحها بعد ذلك ودفنت فى المكان المذكور.

قطعة شعرية

ثمرة القلب وقـرة عـين الرســـول

زهـــرة فلك النبـــــوة البتـــول

سيدة كـل نســـاء الجنـــان بقيـــت

ورأسها على حجر عند قدم الرسول

وقرر المؤرخون بناء على قول على بن حسين بن على بن أبى طالب، أن السيدة فاطمة مدفونة فى مكان يبعد عن دار عقيل خمسة عشر ذراعًا وعلى قول ثلاثة وعشرين ذراعًا وفى مواجهة الطريق المتصل بالزاوية اليمانية لدار عقيل وقول عبد الله بن رافع الذى قال: قد دفنت فخر النساء فى مخرج الطريق الذى يقع بين دار عقيل بن أبى طالب، ودار أبى، وبناء على الروايات الأخرى أن السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فى مقبرة بقيع الغرقد الشريفة، ولكن البعض الآخر ـ روى خطأ هذا القرار وخرجوه وادعوا أن قبرها الشريف فى جهة صفة أصحاب الصفة من شبكة مرقد السعادة، وأيدوا ادعاءهم هذا بما يروى عن عمر بن عبد العزيز بأنه قال: بأن السيدة فاطمة قد دفنت فى دارها من جهة أسماء

بنت عبد الله بن الزبير أى فى الجهة الشامية من الحجرة المعطرة، وقال إن هذه الرواية قد نقضت الرواية الأولى، ولكن إذا نظرنا لما قاله ريحانة النبى ﷺ الحسين بن على بن أبى طالب حين احتضاره ادفنونى فى البقيع بجانب والدتى ودفن بعد موته فى مقبرة البقيع بناء على وصيته، وإذا ما نظر إلى قطعة الرخام التى عثر عليها فى سنة ٣٣٢هـ فوق قبر فى بقيع الغرقد حيث كتب عليها هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين.

وقبر الحسن بن على وعلى بن الحسين بن على وقبر محمد بن على وجعفر بن محمد ـ رضى الله عنهم بالبقيع ـ هذا يقتضى التصديق بأنها دفنت فى البقيع الشريف.

وقد كشف الشيخ أبو العباس المرسى ـ وهو من مشاهير أولياء الله ـ ظاهر الكرامات بأن قبر السيدة فاطمة فى مقبرة بقيع الغرقد كان يقف فى داخل ضريح عباس ابن عبد المطلب وفى الجهة القبلية منه ويقرأ الفاتحة لروح المشار إليها وجعل ذلك عادته مدة حياته. ويقول أهل المدينة بأن السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فى داخل حجرة السعادة ويزورون إلى الآن حجرتها فى داخل المسجد النبوى، إلا أنهم عندما يزورون قبر عم النبى ﷺ عباس ـ رضى الله عنه ـ يقفون حيث وقف الشيخ أبو العباس المرسى ويقرءون الفاتحة لروح فاطمة الزهراء أيضًا، لأن الرواية التى تقول بأنها مدفونة فى داخل شبكة الحجرة المعطرة نقل فقط عن الأحمق شمس الدين بن زمن؛ فلا قيمة لهذه الرواية حتى بين علماء المدينة المنورة.

التأسف

إن المدفن الذى عين على أنه مدفن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فى زمن شمس بن زمن قد زين بستائر مزركشة وغطيت أطرافه الأربعة بستائر ذات أهداب ذهبية إلا أن مدفنها الذى فى البقيع والذى ثبت دفنها هناك فيه بأقوى الأسانيد

والأقوال ظل ضريحها في البقيع مغطى بقطعة قماش خضراء قديمة عادية مما يثير في قلوب الزائرين الأسى والأسف.

وإن كان قيمة القماش الغطاء لا يزيد فى فضل صاحبة القبر إلا أنه مهما وُقرت واحترمت السيدة فاطمة دعا ذلك إلى ابتهاج الروح النبوية، ويقاس مدى حب أهل الإيمان لنبيهم بمدى ما يظهرون إلى المشار إليهم من الرعاية والاهتمام ومن هنا يقتضى الأمر أن يحظى ضريحها فى بقيع الغرقد بالعناية والنظام.

ألا فليرض الله سبحانه وتعالى عن والد السلطان كثير المحامد قد أحاط قبر والدتنا المشار إليها دائرا ما دار بسياج من النحاس وبهذا أزال ما جاش فى قلوب المحبين للنبى ﷺ من الأسف والحزن درجة ما.

استمرت سيدة النساء بعد أن ارتحل والدها الكريم تنوح وتنتحب فى المكان الذى محل قبرها فى البقيع حتى أطلق عليه دار الحزن، ومسجد فاطمة، وذلك المكان المقدس قبة أهل البيت ويقع في الجهة القبلية من جوار ضريح عباس بن عبد المطلب، وقد جدده السلطان محمود خان الثانى فى سنة ١٢٣٣هـ ورمز له بكتابة القطعة الآتية فوق طاق بابه:

لحاكم الدهر لطف الله

لا يردن على الخاطر لماذا

ابك وادع لذلك السلطان

الذى أقام مسجد الحزن هذا

الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه: قبره الأنور بجانب والدته السعيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ والكائن فى داخل ضريح العباس بن عبد المطلب، كان قد بعث قبل وفاته إلى أمنا عائشة ـ رضى الله عنها ـ من يخبرها

راجيا بأنه يرغب أن يدفن داخل حجرة السعادة فأجابته قائلة: وفعلاً فى داخل حجرة السعادة مكان يسع لقبر واحد وكنت قد هيأته لنفسى مادام ذاته السامية يرغب فى الدفن فى مدفن السعادة أتنازل عن المكان الذى هيأته لنفسى وأقدمه له وأدبر لنفسى قبراً فى مكان آخر.

وأخذ أمراء بنى أمية ينشرون ترهاتهم ويثرثرون هنا وهناك قائلين: فلا سبيل لدفن الحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ فى مدفن الرسول إننا سنخالف رغبة الإمام الحسن هذه بل أننا سوف نتجرأ على مقاتلة بنى هاشم فى هذا السبيل.

وانفعل الحسن بن على من أمراء بنى أمية وغضب وقال مخاطبًا أخاه الحسين الشهيد إننى تنازلت عن رغبة الدفن فى مدفن الرسول فادفنونى بجانب والدتى فى البقيع ولكن لا تحملوا جنازتى إلى البقيع قبل أن تذهبوا بها أمام مواجهة السعادة للتشفع، هذه كانت وصيته. وعندما ارتحل عن دنيانا أراد حضرة حسين أن يدفنه فى حجرة السعادة، ولكن المعاندين من بنى أمية تصدوا لذلك قائلين فلن نوافق على ذلك أبدًا فهيأ حسين قبراً فى البقيع بجانب قبر أمه باهر الأنوار ودفنه فيه بعد أن حمل جنازته إلى مواجهة السعادة للاستشفاع وهكذا وفى بوصية أخيه ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن والى المدينة فى ذلك الوقت سعيد بن العاص يمانع فى دفن حضرة الحسن فى الحجرة المعطرة إلا أن مروان بن الحكم جمع أعوانه وعارض الحسين وخالفه فى فكرته وعندما أحس مروان من الإمام شدة دفاعه قال له: كان أخوك قال إذا لوحظ ظهور الفتنة فادفنونى فى البقيع فسكت حضرة الحسين، وصلى على الحسن عمرو بن سعيد بن العاص وقال الحسين ـ رضى الله عنه ـ لو لم تكن صلاتك على أخي سنة لما سمحت لك بالصلاة عليه.

حكمة

عارض أمراء بنى أمية دفن الحسن بن على وعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فى المحل الخالى فى الحجرة المعطرة على اعتبار أن هذا الموضع سيكون مدفن عيسى ابن مريم.

لأن النبى ﷺ قد تفضل قائلا: إنَّ عيسى بن مريم سيهبط على وجه الأرض وسيتزوج وسينجب الأولاد وبعد أن يعيش ما يقرب من خمسة وأربعين عامًا سيتوفى ويدفن بجانب قبرى ولسوف أبعث أنا وعيسى بن مريم بين أبى بكر وعمر.

ودفن الإمام زين العابدين وابنه الإمام محمد الباقر وابنه الإمام جعفر الصادق بجانب الإمام الحسن بن على بن أبى طالب كما أن رأس الإمام الحسين دفنت بجانب قبورهم، لأن يزيد الشقى كان قد أرسل رأس سيد الشهداء المقطوع إلى والى المدينة عمرو بن سعيد بن العاص فجهزه وكفنه ودفنه بجانب قبر فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فى بقيع الغرقد، والآن عندما يزور الكرام ضريح عباس بن عبد المطلب يتذكرون الأئمة الكرام المشار إليهم ويعرضون عليهم تحيتهم ويتحفظون سلامهم هناك من يدعى أن رأس الإمام حسين لم يدفن فى البقيع حتى إنهم يمنعون من يريد زيارة الشهيد ممن يصدقون وجود رأسه هناك. ولكن العلامة ابن سليمان يؤكد على وجود رأس الحسين المبارك فى البقيع فى كتابه «الذخر النافع» كما ذكر الزبير بن بكار بإسناد موثوق أن جنازة على بن أبى طالب قد نقلت إلى البقيع مؤخرًا، ومن هنا فذكر اسميهما عند الزيارة تبركا مع تذكر أهل البيت لا يخلو من فائدة **العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه:** عباس بن عبد المطلب مدفون بجانب قبر منسوب لفاطمة بنت أسد ـ رضى الله عنها ـ، أم على بن أبى طالب وضريحه المنيف أول مقابر بنى هاشم ومدفنه قريب من دار عقيل، والقبة التى تشمل على قبر عباس يطلق عليها قبة أهل البيت ولضريحه بابان شامى وغربى وتنحصر وظيفة الحراسة فى سلالة زنجية ببراءة من مفتى المدينة الشافعى سيد جعفر بن سليمان.

صفية بنت عبد المطلب ـ رضى الله عنها: قبر والدتنا صفية فى مكان عند المخرج من باب البقيع أى فى اتصال دار المغيرة بن شعبة. وفى زماننا لا يزورون هذا المكان ويزورون الضريح الذى خارج البقيع وفى اتصال سور المدينة، ويقولون هذا هو قبر صفية بنت عبد المطلب ولكن قول الزبير بن العوام بن

صفية للمغيرة بن شعبة عندما كان يبنى بيته يا مغيرة ارفع رفرف سقف دارك من فوق قبر أمي وتحويل مغيرة بن شعبة مجرى سقف بيته إلى جهة أخرى يؤيد ويؤكد صحة القول الأول.

سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه: سفيان بن الحرث مدفون فى داخل دار عقيل بن أبى طالب كان سفيان يتنزه فى داخل مقبرة بقيع الغرقد فى السنة العاشرة من الهجرة وعلى قول فى السنة الثانية والعشرين من الهجرة عندما ذهب إلى الحج ورجع منه، فلاقاه عقيل بن أبى طالب وقال له: ابن عمى! لما تتمشى هنا؟ فرد سفيان قائلاً: أريد أن أهيئ لنفسى مكانًا للقبر ثم دخل فى دار عقيل بن أبى طالب، ثم قال له احفر هنا قبرًا لى. عنده ساعة جلس وجعل عقيلاً يحفر له قبرًا، ومات بعد يومين ودفن فى القبر الذى حفره عقيل، وعلى رواية أخرى، حفر بنفسه ومات بعد ثلاثة أيام ودفن فى القبر الذى حفرَه بنفسه ولا شبهة فى أن سفيان ابن الحرث مدفون فى الضريح الذى ينتسب إلى عقيل بن أبى طالب، ولكن الشخص الذى دفن فى هذا الضريح ليس عقيل بن أبى طالب بل عقيل بن النجار، لأن عقيل بن أبى طالب قد توفى فى الشام.

والدة سفيان بن الحرث غزنة بنت قيس بن طريف بن فهد بن مالك وأبو أبيه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى فهو عم النبى ﷺ وبما أنه رضع من حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية[1] فهو الأخ للنبى من الرضاعة. وقبل أن يسلم كان ضد النبى ﷺ وكان قد جرح خاطر النبى بما كتب فى حقه من الهجاء، وبعد الإسلام قام بأعمال لا بأس بها وحاز إعجاب النبى ﷺ.

عبد الله بن جعفر الطيار: عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب مدفون فى دار عقيل أيضًا، بما أن حضرة عبد الله كان أجود العرب كان يلقب بـ جواد القبيلة وإن كان بعض المؤرخين قالوا إن عبد الله توفى فى خلال سنة ٩٠ الهجرية ودفن فى الأبواء لكن القول الأول أكمل من الرواية الثانية.

الأزواج الطاهرات ـ رضى الله عنهن ـ أجمعين: أولى زوجات النبى ﷺ

(١) أنظر نسبها فى: ابن هشام ١/ ١٦٨، الإصابة ٨/ ٥٢-٥٣.

خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عها ـ مدفونة بمقبرة الجنة المعلا فى مكة المعظمة كما أن أمنا «ميمونة رضى الله عنها» مدفونة فى مكان اسمه سرف بين وادى فاطمة ووادى التنعيم كل واحدة فى ضريحها الخاص.

وغيرهما، كلهن، مدفونات فى مقبرة بقيع الغرقد وفى الضريح الخاص لزوجات النبى المطهرات فى الجانب الشرقى من دار عقيل بن أبى طالب.

رواية

لما أشرفت حبيبة حبيب الله عائشة ـ رضى الله عنها ـ أمنا على الموت استدعت عبد الله بن الزبير وقالت له مواجهة «ادفنى بجانب صاحباتى اللائى فى داخل بقيع الغرقد» ونفذت وصيتها بعد موتها.

رواية: حفر عقيل بن أبى طالب فى داره التى فى البقيع بئرًا ولما وجد فى حين حفره حجرًا محكوكًا عليه فسد البئر المحفورة وبنى فوقها منزلاً عظيمًا، وكان مكتوبًا على الحجر المذكور «قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب» أى أم المؤمنين حينئذ دخل حضرة ابن السائب داخل البناء الذى أسسه وزار قبر أم حبيبة ـ رضى الله عنها ـ وحفر محمد بن زيد بن على محلاً مكشوفًا على بعد ثمانية أذرع من قبر فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فوجد حجرًا محكوكًا عليه «إنه قبر أم سلمه زوج رسول الله ﷺ» وقد نقل هذا محمد بن زيد بنفسه، وظهور هذه الحجارة يدل على أن ذلك المكان مكان قبر زوجات النبى ﷺ، كما أن قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ: «ادفنى بجانب صاحباتى..» يؤيد الرواية التى تحكى أن الأزواج المطهرات دفن فى بقيع الغرقد.

أزواج النبى الطاهرات هن: خديجة، عائشة، سودة، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، زينب بنت جحش، زينب الهلالية، جويرية، ميمونة، صفية ـ رضى الله تعالى عنهن أجمعين ـ ومجموعهن إحدى عشر سيدة المقرونات بالعصمة وتسع منهن دفن فى الضريح الذى سبق تعريفه.

عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ المنان: استشهد عثمان بن عفان فى السنة

الخامسة والثلاثين من الهجرة فى السابع عشر من شهر ذى الحجة، وعلى قول الثامن عشر. وقيل مات يوم الجمعة ودفن فى مقبرة بقيع الغرقد وفى ساحة بستان يقال له حش كوكب وفى منتهى ذلك االبستان.

وكان الشهيد المشار إليه قد حصل فى حياته على رخصة من أمنا عائشة ليدفن فى داخل الحجرة المعطرة ولكن المصريين الذى تجرءوا على قتله رفضوا دفنه فى مدفن السعادة قائلين: نحن سنمنع الصلاة على جنازة عثمان بن عفان فضلاً عن دفنه فى حجرة السعادة، وبمثل هذه الوقاحة أتموا دناءتهم، وتلفظوا فى هذا الخصوص بكلمات غير مستحبة وكل ذلك داخل مسجد السعادة، ولما طال الوقت ولم يدفن ذهبت والدتنا أم حبيبة من زوجات النبى المطهرات إلى باب المسجد وقالت: أعطونى جنازة عثمان لأدفنها فإذا امتنعتم عن إعطائها أرفع ستارة مرقد السعادة وأشكوكم للرسول ﷺ! ولما ترك المصريون الجنازة وانسحبوا إلى جهة ما أخذ جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وكثيرون من الأجلاء نعش عثمان المبارك وحملوه إلى البقيع، إلا أنهم قوبلوا أيضًا بالمخالفة والرفض أى رفضوا دفنه فى البقيع الشريف فنقلوه من هناك إلى بستان يقال له حَشّ كوكب حيث حفروا قبراً ودفنوه.

ومنذ استشهاد حضرة عثمان- رضى الله عنه- أخذت طائفة الجن تولول وتنتحب فوق مسجد السعادة ثلاثة أيام وثلاث ليال.

حكمة

وإن كان سبب عدم دفن الشهيد المشار إليه فى الظاهر مخالفة المصريين لذلك ورغبتهم فى دفنه بعيدًا عن النبى ﷺ ولكن السبب المعنوى لذلك قد وضح فى الصورة الأولى من الوجهة السادسة عشرة وفى بحث بئر أريس وهو عندما بشر حضرة عثمان بالجنة والمصيبة لم يكن قد وجد بجانب الرسول محلاً خاليًا وجلوسه فى مكان بعيد عنه.

يروى الإمام مالك أن قتلة عثمان بن عفان لم يسمحوا بدفن جثته إلا فى

اليوم الثالث من استشهاده. وسبب ذلك فقد الصوت الذى سمع من الهاتف صلوا على جنازة عثمان وادفنوها، إن الله سبحانه وتعالى قد رحمه.

قال الإمام: بناء على الأخبار التى تلقيتها، عندما سمع القتلة ذلك الصوت من الهاتف تحيروا واستولى عليهم قلق عظيم، فتركوا النعش الشريف فى مسجد السعادة وتفرقوا، ولما تركت الجنازة وحدها وفى ليلة ذلك اليوم أخذ جدى ومعه أحد عشر رجلاً الجنازة من المسجد وأخرجوها منه وخرجوا للطريق ليحملوا الجنازة إلى المقبرة. فصادفهم بعض الرجال من كلاب قبيلة بنى مازن وقالوا: إن كنتم تريدون أن تدفنوا الجنازة فى مقبرة البقيع نخبر القتلة ونجعلهم يخرجونها من قبرها.

فخافوا من وقوع فاجعة أخرى وحملوا الجثمان إلى بستان «حش كوكب» لدفنه فيه، كانت بنات حضرة عثمان يسرن أمام التابوت وقد أمسكن فى أيديهن القناديل فى تلك الليلة العجيبة بينما رأس الجثمان يصطدم بالتابوت الخشبى ويخرج صوتًا، ولما ساروا قليلاً سمعوا خشخشة فخاف الذين يحملون التابوت وزاد هذا الضجيج وأحاط بهم من الجهات الأربعة قالوا: لا تخافوا أتينا لنحضر صلاة جنازة الخليفة وإذا بهذه الخشخشة كانت قد صدرت من أجنحة الملائكة واهتزازتها الذين أتوا ليحضروا صلاة جنازة عثمان ـ رضى الله عنه ـ وقد اختلف فيمن صلى على الجنازة، ففى قول أن الذى صلى هو جبير بن مطعم أو مروان ابن الحكم وفى قول آخر حكيم بن حزام، ودفنوها فى المقبرة التى هيئت فى البستان المذكور، وحضر الدفن الزبير بن العوام وحسن بن على وأبو جهم بن حذيفة ومروان بن الحكم.

وألحق أمراء بنى أمية بعد مدة بستان حش كوكب بمقبرة البقيع، وهكذا وسعوا هذه المقبرة وأخذ الناس يدفنون جنازاتهم فى هذا المكان، كان أهل المدينة يتجنبون دفن موتاهم فى حش كوكب من قبل وكأنهم تمنوا بأن يدفن أحد الصلحاء فى بستان حش كوكب حتى يقبل الناس على دفن موتاهم هناك. هذا ما

كان يتمناه عثمان - رضى الله عنه - وكأنه أومأ بهذا بأنه سيدفن فى بستان حش كوكب وسيلحق هذا البستان فيما بعد بمقبرة بقيع الغرقد وأخذ الأهالى يدفنون موتاهم فى هذا البستان وألحقوه بمقبرة بقيع الغرقد.

وقد أبتلى كل واحد من قتلة عثمان بالجنون، وهلك كل منهم إثر فضيحة لحقت به، وقد ندم قتلته على ما ارتكبوا من جريمة شنعاء والتجئوا إلى مسجد السعادة يعرضون ندمهم وتوبتهم وأخرج كل واحد منهم مصحفًا وأخذوا فى تلاوته بكل خشوع وندم وهم يبكون إلا أنه ظهر على وجه السماء شخص على شكل إنسان وخاطب هؤلاء وهو يقرأ الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (سورة الأنعام /١٥٩)

سعد بن معاذ الأشهلى ـ رضى الله عنه: إن سعد بن معاذ مدفون فى الضريح الذى ينسب إلى فاطمة بنت أسد بن هاشم الذى فى نهاية مقبرة البقيع، وقد ذهب بعض الناس إلى أن فاطمة بنت أسد مدفونة فى هذا الضريح. إلا أنه من المحقق أنها لم تدفن فى هذا الضريح كما فصل فى موضوع قبرها.

كان حضرة سعد معروفا بكنيته أبى عمرو، ووالده معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصارى الأشهلى، وأمه كبشة بنت رافع، وقد جرح فى ملحمة الخندق جـرحًا بالغًا ولكنه دعا إلى الله أن يمد عمره حتى يرى نهاية يهود بنى قريظة، ولما استجيبت دعوته انقطع نزيف جرحه، أسندت إليه مسألة تحديد جزاء يهود بنى قريظة، فحكم بقتل جميع ذكور يهود بنى قريظة كما هو مفصل فى كتب السير وانفجر نزيف جرحه عقب ذلك وارتحل عن الدنيا، فصلى عليه النبى ﷺ ودفن فى أقصى مقبرة البقيع وبجانب بيت المقداد بن الأسود فى القبر الذى حفر له.

وكان النبى ﷺ بجانب سعد بن معاذ حين وفاته ودعا له بأن تصعد روحه إلى

أعلى العليين، فاستجيب دعاؤه فنزل من قبل الله على وجه الأرض سبعون ألفا من الملائكة وأوصلوا روحه الشريفة إلى رياض الجنان بكل إعزاز وإكرام

أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه: حضرة أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر وهو خدرة ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخدرى واسمه زيد، ومات سنة أربع وستين من الهجرة ودفن فى المكان الذى أراده بنفسه فى انتهاء مقبرة البقيع، قال لابنه عبد الرحمن قبل موته بثلاثة أيام. «يا بنى قد تقدم بى السن وعجزت وسئمت تحريك رجلى، أمثالى وأقرانى توفوا، خذ بيدى لنذهب إلى البقيع» وأخذنى إلى مقبرة البقيع، وتمشينا فترة بين القبور، وفى النهاية وجد محلا خاليًا فى أقصى المقبرة حيث لم يدفن أحد وقال لى ادفنى فى هذا المكان حينما أموت.

وقد خرب الضريح الذى فوق قبر أبى سعيد الخدرى فى الوقعة الوهابية فجدده السلطان محمود خان الثانى وكتب فوق بابه البيتين الآتيين.

قطعة

أقيم قبر أبى سعيد الخدرى
فكان مثيراً لحسد حرم السماء السابعة
كل ما تعاون مع السلطان
رضى الله تعالى عنهم

كان بالقرب من ضريح أبى سعيد الخدرى قبر منسوب إلى حليمة السعدية.

قطعة

شرفت بأن تكون لخير الرسل ظئرا
حليمة السعدية حسبها هذا فخرا

أراد السلطان محمود خان الثانى أن يعرض للنبى ﷺ خدمة مقبولة فبنى فوق قبرها ضريحًا وقبة.

مشهد النفس الزكية اللطيف

النفس الذكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب -رضى الله عنه- مدفون فى جوف المسجد الكبير الواقع بالجانب الشرقى فى جبل سلع وليس فوق قبره قبة خاصة، ومنهل عين الأزرق، خلف الجدار القبلى لذلك المسجد وسقّاءو المدينة يأخذون منها الماء ليمدوا البيوت والمحال بالماء.

ويروى أيضًا بأنه دفن فى موقع أحجار الزيت القريب من ضريح مالك بن سنان المنيف أى المكان الذى استشهد فيه. إلا أن هذه الرواية ضعيفة لدى أهل المدينة فالأرجح القول الأول.

استشهد النفس الزكية فى زمان أبى جعفر المنصور من خلفاء العباسيين، وسبب استشهاده نفرة أهالى المدينة الطاهرة من أبى جعفر المنصور وعرضهم البيعة للمشار إليه وتبعيتهم له، وسبب نفرة أهالى المدينة جميعًا غدر المنصور وإهانته لهم، لأن المنصور المختلف الشعور هذا كان قد حبس والد الشهيد المشار إليه فترة طويلة مع جميع أقاربه ونتج عنه غضب أهل المدينة منه وعرض جمع غفير منهم البيعة على النفس الزكية، وخرجوا ضد المنصور وخالفوه.

وبمجرد ما سمع المنصور هذه الواقعة اختل شعوره وأرسل عمه عيسى بن موسى بأربعة آلاف من الجند إلى المدينة الطاهرة حتى يقف دون تطور الأمور. وقبض عيسى بن موسى على النفس الزكية فى مكان يطلق عليه «أحجار الزيت» وقتله وضرب الإمام مالك ضربًا مبرحًا واستولى على السيف الذى وصل إلى النفس الزكية عن طريق الإرث من على بن أبى طالب وهو ذو الفقار وقدمه لأبى جعفر المنصور.

توضيح:

حج المنصور فى سنة ١٤٤هـ فى مكة المكرمة وبعد عرفة مر بالمدينة المنورة فاستقبله أشراف وسادات المدينة الميمونة حتى كان فى ضمن مستقبليه من أعاظم العلويين عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن أبى طالب، وسر المنصور من تنازل عبد الله باستقباله ودعاه أن يحضر طعام المساء، وأثناء تناول الطعام سأل المنصور عبد الله قائلاً: ما سبب عدم تنازل ولديك إبراهيم ومحمد لاستقبالى فرد عبد الله على هذا السؤال غير اللائق: إننى لا أعرف مكانهما حتى أعرف سبب عدم حضورهما لاستقبالك وأقسم على ذلك، ولكن المنصور لم يهتم بجوابه ولا قسمه وكرر السؤال فغضب عبد الله من هذا الإصرار وقال: يا منصور قلت لك إننى لا أعرف مكانهما وأقسمت على ذلك فلم تقتنع، وبعد الآن إن أقف على مكان وجودهما فلن أخبرك به فاغتصب ذلك الغدار جميع أموال عبد الله وصادر جملة أملاكه وألقاه فى السجن مع أحد عشرولدًا من أولاده، وأمر ألا يخرجوا من الحبس إلى الأبد، ويرد بعض المؤرخين هذه الرواية قائلين إن والى المدينة المنورة رباح بن عثمان هو الذى حبسهم بناء على الرسالة التى وردت له من المنصور. وسبب حبس المنصور عبد الله والسؤال عن ابنيه إبراهيم ومحمد بيعة بعض الناس فى أواخر الدولة الأموية من أهالى الحجاز النفس الزكية محمد بن عبد الله بالخلافة، مع أن المنصور كان أحد المبايعين له ولكن بعدما أخذت شمس الخلافة تنتشر أشعتها على مفرقة آل عباس وانتقل زمام الحكم بعد فترة إلى يد المنصور قال فى نفسه إننى كنت قد بايعت قديمًا محمد بن عبد الله بالخلافة، وإننى إذا لم أقتل محمدًا وأخاه إبراهيم لن أستطيع أن أقوم بمهام الخلافة، وبهذا الوهم أخذ يبحث عن سبب لقتلهما. واطلّع هذان على أوهام المنصور المضرة فسافرا إلى اليمن أولاً ثم إلى الهند حيث تنزها قليلاً ثم عادا إلى المدينة المنورة بعد فترة واختارا الانزواء فى ركن منها، ولكن ذوى المصالح كتبوا رسالة وأرسلوها إلى جعفر المنصور قائلين عاد محمد بن عبد الله وأخوه إبراهيم إ المدينة المنورة واختفيا فى مكان ما فيها وأخذا يثابران لتكليف أهل المدينة بالب

لهما فانزعج المنصور من هذا الخبر أشد الانزعاج وأخذ يفكر فى التخلص منهما بالقضاء عليهما، وقرر أن ينفق فى هذا السبيل ما لا يحصى من الأموال ولأجل ذلك كان يغير ولاة المدينة من حين لآخر بالعزل والتبديل ويخشى ما فى ضميره لكل واحد منهم، ولما كان المشار إليهما مطلعين على سوء نية أبى جعفر فإنهما كانا يسافران فى موسم الحج إلى مكة المكرمة ويعودان بعد عرفة إلى المدينة المنورة حيث يختفيان فى مكان ما.

وقد فهم المنصور أن الأمر الذى يريد أن ينفذه لن يتم بواسطة الولاة الذين يبعثهم إلى المدينة أى فهم أن من لديه أقل ذرة من الإيمان لن يقوم بهذا العمل، فأخذ يتحرى عن شخص غدار سفاك ليثق فيه وأخيراً وجد رجله فى رباح بن عثمان الموصوف بالقسوة عديم الرحمة محتاج لفلس أحمر وفهم من عينيه أنه كلب بن كلب، فاستدعاه فجاءه ليلة من الليالى وعهد إليه بولاية المدينة المنورة قائلاً: يا عثمان! يجب أن تذهب سريعًا إلى المدينة المنورة وأن تبحث عن حل سريع لقتل محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم، وهكذا نبهه وأمره بقتل المشار إليهما وجهز له كل ما يلزم من عظمة ودبدبة ووجه ذلك الدنئ الذى يخرب البيوت بعد أن رقاه إلى والى المدينة، وكان رباح بن عثمان دنيئًا لا يتحرج حتى عن قتل الأنبياء وهدم البيت العالى ولا يتورع عن ارتكاب أى جرم، وعندما وصل إلى المدينة أراد أن يتظاهر أمام الأهالى بأنه من أنصار الحق فذهب تلك السنة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وبعد العودة أخرج السادة والعظام الذين كان قد حبسهم المنصور بنفسه من آل حسن بن على من السجن فكبل أرجلهم وأيديهم بأكبال حديدية وربط كل واحد منهم بالآخر بالسلاسل الحديدية وارتكب دناءة وجرم سوقهم بهذا الشكل إلى بغداد دار الخلافة.

وكان مع المسجونين المشار إليهم من يلقب بـ «الديباج» لكمال حسنه وملاحته: أبو عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن عفان.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديباج كان أخا عبد الله ابن حسن لأم وقطعة كبد فاطمة بنت حسين بن على بن أبى طالب، وكانت بنتة رقية متزوجة بابن

أخيه إبراهيم بن عبد الله، وكان الشاميون يحبونه ويرعونه. قال رباح بن عثمان في الرسالة التى كتبها إلى أبى جعفر: إن الشاميين يرعون أبا عبد الله بدرجة لا يمكن تعريفها ويسمعون كلامه ويطيعونه؛ لذا يخاف أن يرعى هذا الخلافة أيضًا على هذه الفقرة المضرة المفجعة لقلبه أمره المنصور بأن يؤخذ مع آل حسن بن على رضى الله عنهم ويشاركهم مصيرهم.

ولما وصل المسجونون الذين أرسلهم رباح بن عثمان مقيدين فى السلاسل إلى بغداد أحضرهم أبو جعفر كلهم مرة واحدة وعرى أبا عبد الله من ملابسه تماما وتجرأ على أن يأمر بضرب أبى عبد الله مائة وخمسين على جسمه الذى يشبه الفضة المحلاة على جسمه الرقيق اللطيف. وأصابت إحدى ضربات السوط عينه ففقئت وانطفأ نورها ثم ضرب مائه سوط على رأسه فاسود جسده المنير وكأنه جسم زنجى وترك فى هذه الحالة إلى جانب أخيه عبد الله فى السجن.

ولما رأى عبد الله هذه الحالة المستهجنة صرخ قائلاً: «أبا جعفر... أعاملنا الأسرى الذين أخذناهم منكم فى غزوة بدر مشركين بهذه الحقارة!!؟؟» وتهور المنصور الغدار وخجل من هذا الكلام وهذه التورية فأمر بإلقائهم كلهم فى السجن الذى هيئ لهم والذى يعرف بالهاشمية.

وكان سجن الهاشمية سجنًا فظيعًا، ولا يسمع فى داخله لا صوت الأذان ولا يعرف وقت حلول الصلاة.

ولما كان محمد بن إبراهيم ابن الحسن المسمى بالديباج الأصفر ذا ملاحة وحسن وجمال مسجونا مع الأشخاص المكبلين المسجونين كان أهل العراق يذهبون لزيارته ورؤيته جماعات جماعات وخاف المنصور من ازدحام الزائرين والمشاهدين حتى لا تظهر وعوته بين هؤلاء المسجونين فأحضر الديباج الأصفر، وهدده قائلاً: سأقضى عليك بموت لم ير مثيله، ثم حصره بين عمودين وعذبه عذابًا شديدًا حتى مات أو على قوله قتله بإلصاقه على جدار وقتل جميع المسجونين الهاشميين بطريقة غير لائقة.

كان أهل خراسان يرجون أن يعفى عن محمد الأموى ويطلق سراحه فما كان من أبى جعفر الذى لا يستحى إلا أن قطع رأس المشار إليه وهو غاضب وأرسله إلى الخزان وبهذا ملأ قلوب الخراسانيين ومحبى أهل البيت بالحزن والألم.

ولما رأى عبد الله بن حسن استشهاد محمد بن عبد الله الأموى بعد أن طلب الخراسانيون إطلاق سراحه بعد عفو: «إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا كنا آمنين من كل شئ فى عهد الأمويين بفضل قرابتنا لمحمد بن عبد الله، ولما تحولت السلطة إلى ناحيتنا قتل محمد بن عبد الله معذوراً بالسيف، هل يمكن ألا يتعجب الإنسان من هذا».

ولما وصل ظلم المنصور وإهانته لهذه الدرجة حكم أنس بن مالك صاحب أحسن المسالك بأن أبا جعفر من الطغاة والبغاة وحتى أعلن فى داخل المدينة قائلاً: «يا سكنة دار السكينة! ليس طبيعيا أن تعرضوا بيعتكم لأبى جعفر المنصور! وقد تحقق أن المنصور من الطغاة. والآن يجوز خلعه من الخلافة ومبايعة محمد بن عبد الله! وانسحب إلى داره».

وخرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن أبى طالب المعروف بلقب النفس الزكية بناء على إفادة الإمام مالك وبتحريض ومعاونة خمسين شخصًا من أهل المدينة وفى خلال سنة ١٤٥هـ ضد الدولة العباسية وهجم على الدائرة الحكومية وقبض على رباح بن عثمان وألقاه فى السجن. ثم صعد على منبر السعادة، وأعلن أن الخلافة حقه الصريح وأن غرضه من الخروج وتوليه الخلافة هو أمن البلاد وراحة القلوب وبهذا استطاع أن يدخل أغلب أهالى المدينة تحت انقياده وطاعته.

وضرب عيسى بن موسى عم المنصور الإمام مالك بسبب إثارة الناس وتحريضهم على مبايعة محمد بن عبد الله وترغيبهم فيها وبين لهم أن الشرع يسيغ هذا العمل، وإلا فالإمام مالك لم يطلق لسانه فى أبى جعفر كما أنه لم يقاتل عيسى بن موسى.

وكان محمد بن عبد الله بعد ما أدخل أهالي المدينة في دائرة بيعته ساق مقداراً كافيًا من الجنود للاستيلاء على مكة المعظمة وبلاد اليمن وسواد الشام ولم يلق سمعًا لما بعثه أبو جعفر من رسائل مهددة، وإن كان محمد بن عبد الله لم يستطع أن يستولى على بلاد الشام إلا أنه أقلق بخروجه أبا جعفر المنصور وبحث عن حل سريع لحل هذه المشكلة فأمد والى الكوفة عيسى[1] بن موسى المعروف بقسوة القلب بأربعة آلاف من الجنود إلى المدينة المنورة وأمره بأن يقتل محمداً بن عبد الله وكل من تبعه واحداً تلو آخر.

وكان من الممكن أن يقاوم محمد بن عبد الله مع أهالى دار العزة المدينة المنورة عيسى بن موسى. ولكن كان عيسى بن موسى قد هدد أهالى المدينة بإرسال رسائل مزورة لهم، وبما أن وقعة حرة واقم لم تزل فى ذاكرتهم أخذوا ينسحبون من جانب محمد بن عبد الله واحدا إثر الآخر. ودفعوا ذلك الشخص العالى القدر بثلاثمائة من المغاوير الأبطال أمام أربعة آلاف من سفاحى بغداد.

ولما رأى محمد بن عبد الله أن الذين تحت تبعيته أخذوا يهربون إلى جهة ما وأخذت قوته تنقص شيئًا أخذ يحفر فى أطراف المدينة خنادق عميقة من شدة ولهه وحيرته ويقول من شدة يأسه «كل من لا يرد أن يحارب المنصور فليغادرنى» ومع مرور الزمن من تناقص عدد جنوده حتى لم يبق بجانبه إلا ثلاثمائة من الفدائيين، وكان والى الكوفة ظالما غشومًا ومشهوراً بعداوته لآل النبى ﷺ فأقام معسكره خارج المدينة المنورة وبعث يقول: يجب أن يتخلى محمد بن عبد الله عن فكرة الخلافة وأن يطيع وينقاد لأبى جعفر المنصور وأن ينسحب مَنْ حوله تاركين محمداً بمفرده وأن الذين لا ينسحبون من حوله سيندمون فى نهاية الأمر. ولما رأى أن محمد بن عبد الله مازال متمسكًا بفكرته كما أن الفدائيين الذين حوله مازالوا ثابتين بجانبه اغتاظ غيظًا شديداً وتجرأ على أن يسوق مَنْ تحت إمرته من السفاحين إلى داخل المدينة المنورة وأخذ يحارب وهو يسب محمداً بن عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن أبى طالب علنًا بصوت عال.

(١) وكان عيسى بن موسى ولى عهد المنصور وعمه كذلك.

وإن كان محمد بن عبد الله حمل على العدو مع من استعدوا لفدائه بأرواحهم وكانوا ثلاثمائة من الأبطال الشجعان وأشعلوا نار الحرب وأقدموا على أعداء آل نبي الله وقتلوا كثيرين منهم، إلا أنه فى عاقبة الأمر استشهد فى مكان يطلق عليه أحجار الزيت بعد أن طعن، وقد حدث هذا الحادث المؤسف المؤلم بعد العصر من شهر رمضان في الرابع عشر منه، وقد أهلك محمد بن عبد الله وهو متقلد ذا الفقار الحيدرى سبعين نفرًا من سفاحي بغداد وحاز بهذا إعجاب أصدقائه وأعدائه كذلك؛ رضى الله عنه.

وأخذ ذا الفقار الذى كان في يد محمد عبد الله عيسى بن موسى وأرسله إلى المنصور فتوارث هذا السيف الخلفاء العباسيون مدة طويلة، وضرب أحد بنى عباس كلبًا على سبيل التجربة بهذا السيف، وبما أن ضرب الكلب بهذا السيف كانت من الحركات المستهجنة فانكسر ذلك السيف ولم يستعمل بعد.

وأرسل عيسى بن موسى سفاك الدماء رأس محمد بن عبد الله إلى بغداد كما أرسل جسمه إلى مشهده الذى دفن فيه، وبعد أن أرسل السادات والأشراف الذين بايعوا محمدًا بن عبد الله إلى مكان ما فى خارج المدينة وصلبهم فى صفين، وبعد ثلاثة أيام ألقاه فى الخندق الذى حفره فى مقبرة اليهود وغطاهم بالحجارة والتراب وأسند ولاية دار العز إلى كثير بن حصين لأن رباح بن عثمان كان قد قتل فى أثناء استشهاد محمد بن عبد الله فى سجنه - وعاد إلى دار الخلافة ببغداد فى التاسع عشر من شهر رمضان.

ولما وصل رأس محمد بن عبد الله إلى بغداد سر المنصور سرورًا لا مزيد عليه وأمر أن يشهر به بالطواف فى جميع مراكز القضاء وعين عبد الله بن الربيع واليًا على المدينة بعد أن عزل كثير بن حصين حتى يقبض على أشراف المدينة وساداتها واحدًا تلو الآخر ويرسلهم إلى بغداد. ولم تكن بين العلويين الكرام والعباسيين إلى السنة المذكورة أى نوع من العداوة ولم تكن هناك أية مشكلة تبعثه على نفرة

بعضهم من البعض. وقد ألقى سلوك المنصور بين أولاد الأخوين عداوة حتى إن الأحداث الأليمة أحدثت فى الأكباد الإسلامية جرحًا لن يلتئم حتى صباح الحشر. لأن المنصور السفاح قتل غدراً فى تلك السنة محمد بن عبد الله وأخاه إبراهيم ووالدهما البالغ من العمر سبعين عامًا عبد الله بن حسن المثنى بن حسن بن على بن أبى طالب وأخا عبد الله حسن بن الحسين وأخاه لأم محمد بن عمر بن عثمان بن عفان فى سنة ١٤٥.

وبما أن عبد الله بن حسن بن على كان من أعاظم علماء المدينة موصوفًا بالزهد والصلاح وفقيها معروفًا فكان ملوك الأمويين يحترمونه ويرعون جانبه ويجلونه كل الإجلال كما أن السفاح أبا العباس أظهر تبجيله له بإرسال مليون درهم من العطية، ولكن لشدة الأسف أن خلفه المنصور المغرور أضاع قدر المشار إليه الجليل وأظهر دناءته.

وصلى على عبد الله بن حسن أخوه حسن بن حسن كما صلى عليه أخوه لأمه محمد بن عمر بن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

فى ذكر جبل أحد وشهداء غزوة أحد

وبما أن جبل أحد قد خلق منفصلا عن الجبال التى حوله سمى بجبل أحد. وبما أن حضرة هارون ـ عليه السلام ـ مدفون فى هذا الجبل مما ميز هذا الجبل عن الجبال الأخرى.

كلما كان النبى ﷺ يأوى إلى جبل أحد كان يقول «أحد يحبنا ونحن نحب أحد» وقال مرة «جبل أحد فوق باب من أبواب الجنان، ويحبنا ونحن نحبه أيضًا»، وهذا الجبل يعنى «جبل عير» يبغضنا ونحن نبغضه إلا أنه فوق باب من أبواب النار». وقال مرة أخرى «أحد على ركن من أركان الجنة، وعير على ركن من أركان جهنم» ومرة أخرى «أربعة جبال من جبال الجنان وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربع ملاحم من الجنان، وأحد الجبال الأربعة جبل أحد ويحبنا ونحن نحبه! وأحدها ورقان والثالث طور والآخر لبنان».

والذين كانوا بين الجبل الذى حدثت فيه غزوة أحد والذى وصف فى الأحاديث وبين الجهة الشامية من الوادى الذى بين المدينة وأحد ونالوا الشهادة ومرتبتها العالية صدر الأمر بأن يدفنوا فى مكان مناسب من ميدان القتال فجمعهم كلهم ودفنوا اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة فى قبر واحد، ولما كانت بعض الجنازات قد رفعت من أماكنها من قبل أهلها قبل أن يسمعوا الأمر النبوى، فدفنوا جنازاتهم حيث ورد الأمر النبوى بملابسهم.

لأن النبى ﷺ كان قد تفضل قائلا: بما أننى مطلع على جميع أحوال شهداء أحد هؤلاء فإننى سأشهد على حسن حالهم يوم القيامة فلفوهم بملابسهم وادفنوهم حالاً، ومن كان فيهم أكثر حفظًا للقرآن ضعوه فوق الآخر فى اللحد وادفنوا اثنين فاثنين فى قبر واحد أو ثلاثة فثلاثة، والسبب فى وضع أكثر من

جنازة فى قبر واحد والإذن به ما عرض على النبى ﷺ من شكوى فى صعوبة حفر قبر لكل واحد من الشهداء، بناء على ما نقله الإمام الزهرى. وفى الواقع قد أصيب الأنصار فى ذلك اليوم بجراحات عديدة ومشاق شديدة ومن هنا كان قد اشتكى للرسول ﷺ من صعوبة حفر قبر لكل شهيد. فرحمهم النبى ﷺ وأشفق عليهم وأمرهم بأن يدفنوا فى كل قبر أكثر من واحد اثنين أو ثلاثة قائلاً: عمقوا وأوسعوا وادفنوا الاثنين والثلاثة.

وقبور الشهداء الذين دفنوا فى وادى أحد الاثنين أو الثلاثة معلومة الآن ولكن مواقع الشهداء الذين رفعوا من ميدان القتال أو مدافنهم كانت مجهولة إلى سنة ١٢٦٨هـ.

ولكن مصطفى عشقى أفندى من المجاورين الكرام استطاع أن يعثر على مدافن هؤلاء الشهداء وأحاطها بجدار فى ١٢٦٨هـ حتى عندما كان يحفر أساس هذا الجدار ظهر قبر وكان فى داخله نعش كان صاحبه قد استغرق فى نوم هادئ هذا ما رآه العمال الذين وجدوا هناك.

وجدد الجدار الذى بناه عشقى أفندى فى سنة ١٢٧٥هـ وكتب فوق بابه القطعة الآتية.

القطعة الشعرية

لأحـــــد هنـــــا مرقـــــد الشهـداء

إن زرتــه فاقرأ الفــاتحة وارفــع الدعــاء

ومــــن لهـــذا البنـــاء مــــن المجددين

شفاعـــة النبى فى يــــوم الديـــــن

كان النبى ﷺ يـزور كل سنة قبور شهداء أحد ويقف فى حرة واقم حيث ترى القـبور مـن هـناك يقـول: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٤).

وبعد ذلك ودع كل واحد منهم كأن هؤلاء يتمتعون بالحياة.

كانت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ تزور قبر حمزة ـ رضى الله عنه ـ مرة كل يومين وتبذل جهدًا لتضع علامة خاصة حتى لا ينسى القبر الجليل. وفى ليلة كل جمعة تذهب وتصلى طويلاً وتبكى مدة طويلة وتعود، وقد رعت هذا النظام إلى أن توفيت، وكلما كان النبى ﷺ يزور مقبرة شهداء أحد يقول: من يزورهم ومن يسلمون عليهم يردون عليهم السلام.

وهناك حكايات جمة تؤيد هذا الحديث الجليل وتروى بسند جيد ما قالته خالة عطاف بن خالد: «إننى زرت شهداء أحد، فردوا على سلامى ثم سمعت صوتًا هاتفًا يقول: «نحن نعرفكم كما تعرفون بعضكم بعضًا» فأغمى علىّ من شدة حيرتى». وروت فاطمة بنت خريمة قائلة كنا نمر مع أختى من ميدان معركة أحد وكانت الشمس قد غربت فأخذت أختى وتوجهت معها لزيارة مشهد حمزة ـ رضى الله عنه ـ وبعد الوصول قلت «السلام عليك يا عم رسول الله» فسمعت أنه يرد السلام قائلاً وعليكم السلام ورحمة الله هذا» ما يروونه.

بناء على رواية الإمام البيهقى محركًا السند من هشام بن محمد العمرى كان ابن عمر يقول: «خرجنا مع أبى يوم الجمعة قبل شروق الشمس لزيارة قبور الشهداء! ولما دخلنا المقبرة قال والدى بصوت عَالٍ: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» وسمع عقب ذلك صوتًا يقول «وعليك السلام يا أبا عبد الله» فقال لى «أنت الذى تجيب» فقلت له «لا إن صاحب القبر هو الذى رد على سلامك ثم أخذنى فى الجهة اليمنى منه فسلم على كل قبر فرد كل صاحب قبر السلام ثلاث مرات، فتعجب والدى من هذه الحالة الغريبة فعرض شكره وثناءه على الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو ساجد».

وبناء على تحقيق أئمة السير أنه قد استشهد فى معركة أحد سبعون نفسًا نفيسة فدفن أكثرهم فى ميدان المعركة فى أحد وبعضهم فى بقيع الغرقد وبعضهم فى داخل حصن المدينة.

ودفن عبد الله بن جحش ابن أخت حضرة حمزة مع مصعب بن عمير[1] في الضريح المعروف باسم مشهد حمزة وفي قبر واحد.

واستشهد جناب حمزة أمام ربوة صغيرة حمراء لجبل أحد الذي يطلق عليه بطن الوداي وظل حيث صرع[2] فحمله النبي ﷺ حيث قبره المقدس وكفنه في بردته الشريفة ثم عثر على مصعب بن عمير فدفنهما معًا في قبر واحد؛ وبناء على بعض الأقوال أن المكان الذي دفن فيه المشار إليهما كان المكان الذي استشهد فيه عبد الله بن جحش فدفن الثلاثة معًا. وخرج بعد المؤرخين هاتين الروايتين وقالوا إن حمزة دفن في قبر منفرد ودفن جناب مصعب بن عمير مع عبد الله بن جحش في قبر واحد معًا إلا أن الزوار بناء على العادة القديمة يسلمون على الثلاثة معًا محتاطين للأمر.

سهل بن قيس[3] رضي الله عنه: ينتمي سهل بن قيس إلى أفراد بني سلمة وهو مدفون بين قبر حمزة بن عبد المطلب وبين جبل أحد أي في الجهة التي تصادف الجهة الشمالية لقبر حمزة.

عمرو بن الجموح رضي الله عنه[4]: دفن عمرو بن الجموح مع عبد الله بن عمرو بن حرام[5] في قبر واحد على جانب مجرى السيل. ولما كان السيل قد حفر قبر المشار إليهما فأخرج جسدهما المبارك بعد معركة أحد بست وأربعين سنة نقلا إلى مكان آخر حيث دفنا وكان جثمانهما غضين طريين كأنهما قد توفيًا منذ لحظة ولم تتغير بشرتهما قدر ذرة والذين نالوا شرف زيارتهما ظنوا أنهما يبتسمان.

وظلت يد عبد الله بن عمرو بن حرام فوق جرحه بعد موته. فنزلوها بجانبه لأجل التجربة لأن جسده المبارك لم يكن قد تجمد مثل أجساد سائر الأموات أينما حركته كان يتحرك بسهولة. ولما وضعت يده بجانبه أخذ جرحه ينزف وظل ينزف

(١) أرسل مصعب بن عمير قبل الهجرة إلى المدينة المنورة ليعلم سابقي الأنصار المسائل الدينية ويؤمهم في الصلاة ويخطب فيهم فأسلم ثلثا الأنصار الكرام تقريبًا على يديه.

(٢) في هذا المكان الآن قبة لطيفة ويعرف بمصرع حمزة.

(٣) الإصابة ٣/ ١٤٢.

(٤) الإصابة ٤/ ٢٩٠.

(٥) والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. انظر: الإضافة ٤/ ١١٠.

فترة كأنه جرح جديد، فقلق الذين تجرءوا على إنزال يده ولم يجدوا بعد السعى وسيلة لإيقاف النزيف، وفى النهاية وضعوا يده فوق جرحه وبهذا وفقوا فى إيقاف النزيف.

خارجة بن زيد[١] ـ رضى الله عنه: دفن خارجة بن زيد مع سعد بن الربيع ونعمان بن مالك عبادة بن الخشخاش في قبر واحد. والمرقد السامى حيث دفنوا فى الجهة الغربية من قبر حضرة حمزة على بعد خمسمائة ذراع أى على الربوة التى فى الجهة الغربية من مجرى السيل يظل مجرى السيل فى الجهة القبلية لذلك القبر.

ولما كان ابن عمرو بن الجموح خلاد وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح[٢] فوق تلك الربوة فالزوار عندما يزورون هذا المكان يسلمون على هؤلاء الأشخاص الثمانية، أى يذكرون فى ذلك المحل المقدس أسماء عمرو بن جموح، عبد الله بن عمرو بن حرام، خارجة بن زيد، سعيد بن الربيع، نعمان بن مالك، عبادة بن الخشخاش، أبو أيمن مولى عمرو بن الجموح خلاد بن بن عمرو بن الجموح ـ رضى الله عنهم ـ ويسلمون على كل واحد منهم منفردين.

وغير هؤلاء من الأصحاب الكرام الذين استشهدوا فى ملحمة أحد وقبورهم مجهولة.

وإن كانت بين جبل أحد وضريح حمزة مقبرة قد سورت أطرافها فهى ليست من قبور الشهداء. إن هذه المقبرة قبور الشحاذين هاجروا إلى المدينة فى عهد هشام بن عبد الملك وظلوا بجانب مقابر الشهداء إلى آخر حياتهم وعندما ماتوا دفنوا فى هذه المقبرة. وليست هذه المقبرة مقبرة الشهداء، ويلزم أن تكون قبور الشهداء على الجهة الغربية من مجرى السيل. والسبب فى هذا الظن الخاطئ للأهالى إحاطة شاهين الشجاعى مقبرة الأعراب بسور ظنًا منه أنها مقبرة الشهداء. واستمر هذا الظن مع الزمن حتى اعتقد أن الشهداء مدفونون داخل هذا السور، لذا كلما هدم جدد من قبل أصحاب الخيرات.

(١) الإصابة ٢/ ٨٤.

(٢) الإصابة ٧/ ١٢.

وقد ذكر أعلاه أن النبى ﷺ أمر بدفن الشهداء حيث استشهدوا كما أمر بدفن الذين رفعوا من ميدان المعركة حيث سمعوا الأمر النبوى، وفعلاً دفن الذين رفعوا أجساد شهدائهم حيث بلغهم الأمر النبوى، بدون تأخير. حتى دفن جثمان مالك بن سنان ـ رضى الله عنه ـ فى مكان يسمى أحجار الزيت فى سوق العباءات كما دفن بعضهم فى مقابر بنى سليم وبنى زريق وقباء لأنهم كانوا قد سمعوا بالأمر النبوى في هذه الأماكن.

لم نستطع أن نحصل على رواية توضح الذين دفنوا فى مقبرة بنى سليم، إلا أنه بناء على تحقيق رجال ثقاة أن رافع بن مالك الزرقى مدفون فى مقبرة بنى زريق وعبد الله بن سلمة ومجدر بن الزياد قد دفنا فى مقبرة قرية قباء.

لاحقة

حينما جرح مالك بن سنان فى ميدان المعركة يئس من الحياة وعاد إلى المدينة المنورة حتى يتلاقى مع والدته مرة أخرى ولكنه عندما وصل إلى مكان ضريحه الآن وقع وارتحل عن دنيانا، ورد هذا فى بعض الكتب واشتهر بين الناس حتى وصلت هذه الرواية لدرجة التصديق إلا أن الإمام السمهودى لم يهتم بذلك القول وأهمله تمام الإهمال. وإذا ما نظرنا إلى أن المذكور من سكان المدينة المنورة ومؤرخ المدينة يلزم ألا يكون لتلك الرواية أصل.

واختلف المؤرخون فى تحديد شهداء أحد إذ قال بعضهم أنهم (٦٣) وقال الآخرون أن عددهم (٧٠) وقال بعضهم أن عددهم خمسة وسبعون أربعة منهم من المهاجرين وستة وستون منهم من الأنصار، والقول الثانى مصدق عند الأكثر. ورأينا من واجبنا ذكر أسمائهم هنا متبركين.

أسماء شهداء أحد السامية:

١ ـ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (وحمزة من بطن هاشم بن عبد مناف وقد قتل بحربة غلام جبير بن مطعم: الوحشى).

٢ ـ عبد الله بن جحش (من بطن بنى أمية بن عبد شمس).

٣ ـ مصعب بن عمير (من بطن بنى أسد بن خزيمة المنتهى إلى بنى عبد الدار وقاتله عبد الله بن قمئة الليثى).

٤ شمَّاس بن عثمان «من بطون بنى مخزوم، هؤلاء الأربعة الذين ذكروا من المهاجرين الكرام وستة وستون سيذكرون فيما بعد من قبائل الأنصار الكرام).

٥ ـ عمرو بن معاذ بن نعمان.

٦ ـ حارث بن أنس بن رافع.

٧ ـ عمارة بن زياد بن السكن.

٨ ـ سلمة بن ثابت بن وقش.

٩ ـ عمرو بن ثابت بن وقش.

١٠ ـ ثابت بن وقش.

١١ ـ رفاعة (وعلى قول) رباعة بن وقش.

١٢ ـ اليمان حُسَيْل بن جابر (هذا الشخص هو أبو حذيفة اليمانى واستشهد خطأ من قبل الأصحاب وسددت ديته).

١٣ ـ صيفى بن قيظى بن عمرو.

١٤ ـ خباب بن قيظى.

١٥ ـ عباد بن سهل.

١٦ حارث بن أوس بن معاذ.

هؤلاء الأشخاص الاثنا عشر من قبيلة بنى عبد الأشهل.

١٧ ـ إياس بن أوس بن عتيك الأشهلى.

١٨ـ عبيد (وعلى رأى) عتيك بن التيهان.

١٩ ـ حبيب بن زيد بن تميم (هؤلاء الأشخاص الثلاثة من أهل راتج).

٢٠ ـ زيد بن حاطب بن أمية بن رافع (المشار إليه هذا من قبيلة بنى ظفر).

٢١ ـ أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد (أويزيد).

٢٢ ـ حنظلة الغسيل ابن أبى عامر صيفى بن نعمان (من قبيلة بنى عمرو بن عوف وبنى ضبعة قد قتل حنظلة شداد بن الأسود).

٢٣ ـ أنيس بن قتادة (المشار إليه من بطن عبيد بن زيد)

٢٤ ـ أبو حبة[١] بن عمرو بن ثابت (المشار إليه أخو سعد بن خيثمة لأمه)

٢٥ ـ عبد الله بن جبير بن نعمان (كان رئيس الرماة فى جبل عينى وينتمى مع أبى حبة من أفراد قبيلة بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف)

٢٦ ـ خيثمة أبو سعد بن خيثمة (من قبيلة بنى سلمة بن امرئ القيس بن مالك بن أوس)

٢٧ ـ عبد الله بن سلمة (من طائفة بنى عجلان وكان حليف بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف)

٢٨ ـ وسيع بن حاطب (وعلى رأى) سبيع بن حاطب بن الحارث ابن قيس (من قبيلة بنى معاوية بن مالك)

٢٩ ـ عمرو بن قيس بن زيد

٣٠ ـ قيس بن عمرو بن قيس بن زيد

٣١ ـ ثابت بن عمرو بن زيد

٣٢ ـ عامر بن مخلَّد (من بطن بنى النجار المنتهى إلى بنى سواد بن مالك بن غنم)

٣٣ ـ أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقيف بن مالك بن مبذول

٣٤ ـ عمرو بن مطرف بن علقمة (هذان من بطن بنى مبذول)

٣٥ ـ علقمة بن عمرو بن ثقيف بن مالك بن مبذول

٣٦ ـ أوس بن ثابت بن المنذر (هو أخو حسان بن ثابت من قبيلة ابن عمرو بن مالك)

٣٧ ـ أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن النجار (من بطن بنى عدى النجار)

٣٨ ـ قيس بن مخلد

٣٩ ـ كيسان (هو عبد قيس بن مخلد، هو وسيده من طائفة بنى مازن بن النجار)

(١) ويقال فيه أبو حنة ـ بالنون ـ، وأبو حية ـ بالياء.

٤٠ ـ سليم بن الحارث
٤١ ـ نعمان بن عبد عمرو (هؤلاء كذلك من بطن بنى مازن بن النجار)
٤٢ ـ خارجة بن زيد أبى زهير
٤٣ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير (هذان مدفونان فى قبر واحد)
٤٤ ـ أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس (هؤلاء الثلاثة من قبيلة بنى الحارث بن الخزرج)
٤٥ ـ مالك بن سنان بن عبد بن أبجر والد أبى سعيد الخدرى
٤٦ ـ سعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر
٤٧ ـ عتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية (هؤلاء الثلاثة من بنى خدرة من بطون بنى الأبجر)
٤٨ ـ ثعلبة بن سعد بن مالك الساعدى
٤٩ ـ ثقيف بن فروة بن البدن (هؤلاء من بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج)
٥٠ ـ عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة
٥١ ـ ضَمّرَةُ الجهنى (هو حليف بنى طريف هو وعبد الله بن عمرو من بطون بنى طريف)
٥٢ ـ نوفل بن عبد الله
٥٣ ـ عامر بن عبادة بن نضلة بن مالك بن عجلان
٥٤ ـ نعمان بن مالك بن ثعلبة
٥٥ـ مُجذَّر بن زياد (حليف سنان بن مالك)
٥٦ ـ عبادة بن الخَشْخَاش (هؤلاء الخمسة من بنى عمرو بن عوف بن الخزرج المنتهى إلى مالك بن عجلان وقد دفن نعمان بن مالك ومجدر وعبادة في قبر واحد)
٥٧ ـ رفاعة بن عمرو بن الجموح
٥٨ ـ عبد الله بن عمرو بن الجموح
٥٩ ـ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام (قد دفنا فى قبر واحد)

٦٠ ـ خلاد بن عمرو بن الجموح
٦١ ـ أبو أيمن (وهؤلاء الأربعة من بطن بنى سَلِمة المنسوب إلى بنى حرام)
٦٢ ـ سليم بن عمرو بن حديدة
٦٣ ـ عنترة مولى سليم بن عمرو بن حديدة.
٦٤ ـ سهل بن قيس بن أبى كعب بن القين (هؤلاء من طائفة سواد بن غَنْم)
٦٥ ـ ذكوان بن عبد قيس
٦٦ ـ عبيد بن المعلى (هؤلاء من قبيلة بنى زريق بن عامر)
٦٧ ـ مالك بن نميلة (حليف بنى معاوية بن مالك)
٦٨ ـ حارث بن عدى بن خَرَشَة بن أمية بن عامر بن خطمة (من قبيلة خطمة مزينة اسمه عبد الله بن جشمه بن مالك بن أوس)
٦٩ ـ مالك بن إياس بن عدى (من بطن بنى سواد بن مالك)
٧٠ ـ عمرو بن إياس (من بطون بنى سالم بن عوف)

قد نال هؤلاء الرجال الكرام رتبة الشهادة العالية فى هذه المعركة الأليمة وحازوا قصب السبق، كما مات من قدماء المشركين ١٢ شخصًا أو ثلاثة عشر على قول آخر بسيوف المسلمين واستقروا فى جهنم.

وكان ينتمى أثنا عشر شخصًا منهم إلى قريش التى تنحدر من نسل شخص عبد الدار بن قصى واثنان منهم من بطن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى وأربعة منهم من بطن بنى مخزوم بن يقظة واثنان منهم من بطن بنى جمح بن عمرو والاثنان الآخران من بطن بنى عامر بن لؤى ومن هلكوا من بطن بنى عبد الدار كانوا من حاملى ألوية جيوش الكفار.

أسماء القتلى المشركين.

١ ـ طلحة بن أبى طلحة (اسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار وقتل ابنه طلحة بسيف على بن أبى طالب).

٢ ـ عثمان بن طلحة (أخو طلحة سالف الذكر قتل بسيف حمزة)
٣ ـ أبو سعيد بن أبى طلحة (أخو طلحة أيضًا بسيف على فى رواية وفى قول آخر قتل بيد سعد بن أبى وقاص)
٤ ـ مسافع بن طلحة
٥ ـ جلاس بن طلحة (هؤلاء أبناء طلحة المقتول وقتلوا بسيف عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح)
٦ ـ كلاب بن طلحة
٧ ـ حارث بن طلحة (هؤلاء كذلك أبناء طلحة وقتلوا بسيف حليف بنى ظفر قزمان. وعلى قول آخر أن قاتل كلاب هو عبد الرحمن بن عوف)
٨ ـ أرطاة بن عبد شرحبيل بن عبد مناف بن عبد الدار (قاتل هذا حمزة بن عبد المطلب)
٩ ـ أبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أخو مصعب بن عمير (مقتول قزمان سالف الذكر)
١٠ ـ شريح بن قارصة (لا يعرف اسم قاتله)
١١ ـ صُؤَاب (كان عبد شريح وقتله كذلك قزمان وعلى قول آخر قتله على بن أبى طالب أو سعد بن أبى وقاص أو أبو دجانة)
١٢ ـ قاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار (قاتل هذا أيضا قزمان إن هؤلاء المشركين الاثنا عشر من بطن قريش ينتهى نسبهم إلى بنى عبد الدار وكان طلحة حامل علم قريش ولما قتل هؤلاء والذين ذكرناهم أخذوا الراية من طلحة واحدة أثر الآخر وهلكوا جميعًا)
١٣ ـ عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد (قاتله على بن أبى طالب)
١٤ ـ سِبَاع بن عبد العزى بن نضلة الخزاعى
١٥ ـ هشام بن أبى أمية بن المغيرة (كان هذا الشخص حليف بنى أسد وقتل من قبل حمزة بن عبد المطلب وهو مع عبد الله بن حميد بن بطن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى)

١٦ ـ وليد بن العاص بن هشام بن المغيرة (ومع هؤلاء اثنان أيضًا لا يعرف اسميهما والأربعة من بطن بنى مخزوم بن يقظة وقاتلهم جميعًا قزمان)

١٧ ـ عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح (وهذا الرجل يسمى أبا عزة وهو شاعر ناقض للعهد)

١٨ ـ أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح (واثنان من هؤلاء من بطن بنى جمح بن عمرو وقتلا بالسيف النبوى)

١٩ ـ عبيدة بن جابر

٢٠ ـ شيبة بن مالك بن المضرب (هؤلاء من بطن عامر بن لؤى وقتد قزمان، وعلى وقول قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود)

صرح ابن إسحاق بهذه الأسماء وروى أنهم قتلوا فى يوم أحد وأضاف الإمام القسطلانى لجملة هؤلاء ثلاثة أشخاص فبلغ عدد المشركين إلى ثلاثة وعشرين ولكنه لم يحدد أسماءهم.

الوجهة السابعة عشرة
تضم ثلاث صور

تعرض مواسم وأسواق المدينة المنورة ومحاسن أهلها
وترى وتحصى الآبار والعيون المنسوبة إلى
النبى صلى الله عليه وسلم

تبين الأشهر والأيام التى تقام فيها الأسواق العربية ومواسمها فى اثنى عشر شهراً من أشهر السنة وتعرف بعض محاسن أهل المدينة

إخطار ـ الموسم هو سوق العرب وسوق الحجاج ويطلق على مثل هذه الأيام فى بلادنا «يناير» معرض وسوق.

محرم الحرام:

المحرم الحرام هو الشهر الأول فى السنة القمرية وعند عودة حجاج أهل المدينة من عرفات يدخلون فى المدينة المنورة فى اليوم الأول أو الثانى من ذلك الشهر. ويوم عودة هذه القافلة يوم بهجة وسرور ويستقبل أهل المدينة المنورة كغيرهم من أهل المدن الأخرى حُجَّاجهم ويلاقونهم ويحصلون على دعواتهم. ثم يوصلونهم إلى منازلهم ثم يزورونهم عقب ذلك منفردين.

ورود المحمل المصرى:

يصل بعد قافلة حجاج المدينة المحمل المصرى وينصب خيامه فى الأماكن المخصوصة له ويقيم ثلاثة أو أربعة أيام للراحة، ويصل المحمل المصرى بالهدايا السلطانية والعطايا الخاقانية والرواتب فتسلم هذه الأشياء إلى موظفى الدولة وتوزع على أهالى المدينة وتقسم لهم أمام أكابر المدينة؛ لذا يفرح الأهالى بورود المحمل المصرى ويعدون يوم وصوله من المواسم المخصوصة.

يقول قطب الدين الحنفى ـ رحمه الله ـ من مؤرخى مكة المكرمة فى تاريخه المشهور: «لم ير أهالى الحرمين حتى زمن الدولة العثمانية هذا النوع من الكرم ولا هذا القدر؛ لأجل ذلك يسارعون فى إظهار فرحهم وسرورهم ويدعون بطول بقاء الدولة العثمانية» وما يقوله القطب المكى عين الصواب وحقيقة الأمر أن أهل

الحرمين فى عهد أمراء بنى أمية والمنصور والمهدى وهارون الرشيد وسائر الخلفاء ومن جاءوا من بعدهم من ملوك السلف قد نالوا كثيراً من عطاياهم ونفحاتهم حتى أكرمهم الملوك بالثلج والبرد وألبسوهم خلعًا كثيرة وصرفوا لهم آلاف الدنانير وبهذا أظهروا مآثر سماحتهم وجودهم، إلا أن هذه الهدايا والعطايا كانت تظهر كثيرة بالنسبة لعدد السكان. والآن قد تضاعف عدد سكان الحرمين خمس أو ست مرات بالنسبة للسكان الذين كانوا فى ذلك الوقت، وخصبت الصرر والرواتب لكل السنين ومن هنا فكل ما قدم سواء أكان أمراء بنى أمية أو خلفاء العباسيين أو ملوك آخرون لا يصل ما أعطوه إلى عشر معشار ما يقدمه الملوك العثمانيون.

منقبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم:

فى الليلة الثانية من ورود المحمل المصرى وبناء على الأمر السلطانى تتلى فى صحن مسجد السعادة منقبة مولد النبى ﷺ؛ ويحضر فى هذا الاجتماع الميمون أمير حج المحمل المصرى والموظفون وأعيان المدينة وأهاليها. وهذا من مقتضيات النظام الموضوع. وتوقد كثير من الشموع. كما توقد أنواع البخور ويوزع على الحاضرين الحلوى والشراب. وبعد يومين أى بعد وصول المحمل إلى المدينة بثلاثة أيام أو أربعة يخرج الموكب المصرى من المدينة المنورة ويتجه إلى مصر ذات الأهرام فى حفاوة واحتفال.

ورود المحمل الشامى:

وبعد أن يتحرك المحمل المصرى يأتى المحمل الشامى وينزل فى ميدان المناخة وفى الجهة الشمالية من جبل سلع حيث يستريح أفراده ما يقرب من عشرة أيام ويزورون الآثار المباركة.

يوم الزينة:

يطلق على اليوم الثانى عشر من المحرم يوم الزينة وميقات الديون لدى أهل المدينة وسبب تسميته بذلك هو استطاعة أصحاب المرتبات والهدايا تسوية ديونهم فى خلال تلك الأيام.

ورود المحمل العراقى:

تصل قافلة العراق فى شهر المحرم أيضًا إلى المدينة وتبيت فى الجهة الشرقية منها فى موقع مراحة ويقيمون هناك سوقًا كبيرة ويشرعون فى تبادل السلع الأخذ والعطاء. وورود القافلة العراقية من الأيام المعدودة والمواسم المشهورة المشهودة لدى أهل المدينة.

صفر الخير:

يبسط خدم الحجرة المعطرة أبسطة مسجد السعادة ويخرجون الكتب وأجزاء القرآن المحفوظة فى صواوين الحجرة المعطرة ويبادر العلماء ذوو الاحترام فى تدريس العلوم، ومن جملة محاسن سكان المدينة المنورة أن طلبة العلم يهتمون بتحصيل العلوم الدينية ولا يهتمون بالفلسفة وعلم الكلام والرياضيات، ويقولون إن العلوم ثلاثة أنواع رئيسية، نفيسة، وخسيسة، فالرئيسية مثل الفقه والحديث من العلوم الدينية، والنفيسة القواعد العربية، والخسيسة الفلسفة والحكمة وتحصيل النوع الأول يكفى لنا.

قدوم موكب المرزوقى:

تأتى قافلة المرزوقى فى العاشر من صفر، وهذه القافلة تتكون من تجار اليمن ويستفيد الأهالى بتبادل التجارة معهم، ومن هنا كان ورود قافلة المرزوقى من أسباب الفرح والسرور لأهل المدينة.

شهر ربيع الأول:

ففى ليلة أول جمعة من ربيع الأول مولد القطب الصمدى سيد أحمد البدوى وفى الليلة الثانية عشرة تعقد اجتماعات المولد النبوى.

رمضان العظيم:

تعمر جوانب مسجد السعادة فى رمضان كل يوم. حيث يتلو الأهالى والزوار ليلاً ونهارًا القرآن الكريم جهرًا وخفية كما أنهم يدرسون كتبًا مثل الشمائل

والمصابيح والمشارق وصحيح البخارى ويطالعون ويوقدون ليلاً مئات القناديل والشموع ويؤدون صلاة التراويح.

عادات أهل الزوايا:

وبعد أداء صلاة التراويح تشعل القناديل والشموع فى الزوايا وتقرأ القصائد المتقابلة وفى البداية ينشد ناشدى الجهة اليسرى على قاعدة خاصة بأهل اليمن منظومة التروية. وهذه القصيدة مرتبة على الحروف الهجائية وهى قصيدة نقية مخمسة ويقرأ الزوار الكرام عقب كل بيت الصلوات الشريفة بلحن مؤثر.

وبعد ذلك يقرأ ناشدى الجهة اليسرى بيتًا من قصيدة طرائفية وقد نظمت قصيدة الطرائفية كنظيرة لقصيدة التروية وهى أبيات بديعة تبدأ بالغزل. هكذا يُصَلّى أهل الزوايا إلى الصباح وتستمر الأذكار اليمانية إلى طلوع الفجر الأول ويتم مجلس الذكر بختم القرآن ثم يذهبون إلى مسجد السعادة لأداء صلاة الفجر والسامعون المنفردون يدهشون من أحوال أهل الزوايا ويئنون من شدة تأثرهم. والأشخاص الذين نطلق عليهم المنفردين هم الغرباء الذين يقيمون فى الزاوية.

زيارة مسجد قباء:

يزور مجاورو المدينة المنورة فى السابع عشر من رمضان مسجد قباء وبما أنهم يعدون هذه الزيارة من السنن النبوية يتجنبون ترك الزيارة. كما يشترك كثير من الأهالى فى هذه الزيارة.

شهر شوال المبارك:

وبما أن أول أيام شوال عيد الفطر فالأهالى يؤدون صلاة العيد فى مسجد السعادة ثم يزورون مقبرة بقيع الغرقد ويعودون إلى منازلهم ويقومون بمراسم العيد بزيارة بعضهم البعض إلى مساء اليوم الثالث من العيد.

قطع الخدم المكنسة:

يزور خدم مسجد السعادة فى الثانى عشر من شوال مسجد قباء ويقطعون من

البساتين قلوب النخيل ويعودون. وبما أن ذهابهم إيابهم يستحقان الرؤية والفرجة لأنهم يسيرون فى موكب فيخرج الناس إلى وادى البطحان للتنزه كما أنهم يتفرجون على موكب الخدم.

شهر ذى القعدة الحرام:

اليوم السابع عشر من شهر ذى القعدة هو يوم كنس مسجد السعادة ولما كان هذا اليوم من الأيام السارة بين الأهالى كانوا يجتمعون فى صحن مسجد النبى ﷺ ثم يصعد شيخ الحرم وقاضى المدينة وعامة الخدمة فوق سطح المسجد ويكنسونه ويلقون التمر على من فى صحن المسجد من الأطفال والغرباء. ويتصايح هؤلاء قائلين: «العادة يا سادة»، وبعد إتمام تنظيف السطح الشريف ينزلون وينقلون ما فى الروضة المطهرة من الكتب إلى الحجرة المعطرة والبسط إلى المخازن ثم يخرجون إلى البساتين للتنزهة.

مقدم المحمل الشامى:

يدخل المحمل الشامى إلى المدينة المنورة فى اليوم السابع والعشرون من شهر ذى القعدة، ويوم وصول المحمل من الأيام المعدودة وموسم مشهور عند أهل المدينة، فلا يبقى فى هذا اليوم من أهل المدينة من لا يبتهج ابتهاجًا عظيمًا، ويأتى أمين الصرة بالأمانات العثمانية إلى المسجد النبوى ويسلمها إلى خزانة المديرية لتوزيعها على الأهالى.

مسألة:

يجرى على ألسنة العوام قوله أن الحج الذى يصادف فيه يوم عرفة ليوم الجمعة أنه يساوى سبعين حجة إلا أن ابن الجوزية قال: «أقول أنه لا أصل لهذا القول، ولم أصادف مثل هذا القول ولكن لا شك أن حج يوم الجمعة خير من أيام حج سائر الأيام؛ لأن يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام». وأيد ابن زيد المالكى فى

(مناسكه) هذ القول ولكن عليًّا القارى حكم أن مزية وقفة يوم الجمعة أزيد من مزية وقفة سائر الأيام بسبعين مرة.

مسألة:

إذا ما سئل: هل الحج كان واجبًا على الأمم التى خلت من قبل الإسلام؟ وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة وبناء على أنه لم يكن واجبًا. إلا أن مشروعيته مستمرة منذ عهد آدم إلا أن حجاجه كانوا من الأنبياء والملائكة. هذا ما جاء فى المناسك.

يجتمع أهالى المدينة فى اليوم التاسع من ذى الحجة فى مسجد السعادة حيث ينتظرون النفحات الإلهية لأن النبى ﷺ يشرف فى ذلك عرفات حيث يقف.

عيد الأضحى:

ولما كان اليوم العاشر من ذى الحجة العيد الأكبر يقوم أهل المدينة بمراسم الزيارة والمعايدة كما كانوا يفعلون فى عيد الفطر.

تنمية:

ولا شك أن أهل المدينة الكرام بفضل مجاورتهم النبى ﷺ انتمائهم بالصدق لصفات النبى ﷺ فهم أسعد أمة ويوجد بينهم فئة من الناس بناء على حكم المثل أوصاف «الأشراف أشرف الأوصاف»، فقدرهم ومزيتهم مثل اللآلىء الغالية، والأبيات الآتية تصور خلاصة أوصافهم:

نظم

قوم هم فى الدجى للناس أقمار

وهم لمن هجروا الأوطان أوطان

وأين حلوا يحل الخصب حومتهم

كأنهم مثل ما قد قيل أمطار

هـم العيـون فـإن تبصـر هدى فبه
وفى الهــدى ليس بعـد العين آثار
سلهم وسل عنهم إن كنت ذا وطر
فعنــدى لذوى الحاجــات أخبــار
وحــل ساحتهـم تسعد فهم عرب
تحمى النزيــل ولا يؤذى لهم جـار
وانعم إذا كنت تهواهــم بعيشهــا
واصحبهــم إن نأت يومًا بك الدار

وفيهم أخرى: يحترزون من آفة الشهرة حتى وإن كانوا غارقين فى أشد أنواع الفقر والحاجة يظهرون علامات اليسار والغنى. وإن ظلوا جائعين أياما يظهرون أنفسهم شبعانين، ويرجحون الوحدة على الكثرة والضرورة والضيق على السعة والثروة ويتخذون من الصفات ما جاء فى المنظومة الآتية:

نظم

إذا قنعت بقوت ولبس ثوب مرقـع
ولم يكن لى عيال نفسى لهم تتفجع
ولا بنون صغــار قلبى لهم يتقطـع
ولا صــديق صـــدوق فراقه أتوقع
وكــــان بـــــالله أنــــسى
فمـــا بى الـــدهـــر يصنــــع

وصنف منهم وإن كانوا فى شدة الضيق وبين مخالب الحاجة كانوا ينفقون ما يحصلون عليه من النقود لمن هم أكثر حاجة منهم بناء لحكم البيت الآتى:

ليس العطــاء من الفضول سماحة

حتى تجــود ومــا لديك قليـــــل

قوم مضـــوا كانت الدنيـــا بهم

والدهر كالعــيد والأوقات أوقات

ماتوا فعاشوا وعشنــا بعــد موتهم

ونحن فى صـــور الأحيــاء أموات

ويرى فيهم فئة من الناس يكدون ويكدحون حتى الليل مع ذلك لا يكسبون ما يكفى عيالهم وأولادهم ويتمرغون داخل الفقر والحاجة لا يوصفون فيتحملون الفقر، ويضطربون؛ ومع ذلك لايشتكون من حالتهم هذه ولا يسعون لتحسين أحوالهم وتأمين مستقبلهم وينتظرون من الله ـ سبحانه وتعالى الرفيع الدرجات والذى يسر الوصول إلى الآمال ـ الفرج ويدعون له. وكانوا مثالاً للتوكل والاصطبار كما جاء فى المثل الآتى:

«سعف النخيل خير من إسعاف الخليل»

لا تظهـــرن لعــاذل أو غـــادر

حــالك فى الســـراء والضـــراء

فلرحمـــة المــتوجعــين حــرارة

فى القلب مــثل شماتــة الأعــداء

وفى الواقع أهم ما يجب أن يعنى به الإنسان أن يسلك طريق حرفة ما حتى ينجو من الذل والحاجة ودواهى الدنيا وأن يعيش أولاده وعياله. ويروى أن حضرة آدم صفى الله اشتغل بالزراعة وأن سبعين نبيًا ارتحلوا عن دنيانا وهم جوعى وأن حضرة على ـ كرم الله وجهه ـ دعا ربه قائلاً: «إللهم صن وجهى باليسار ولا تشن وجهى بالإقتار، فأسترزق طالبى رزقك وأستعطف شرار

خلقك، فأُمْتَحَنُ بحمد من أعطانى، وأُفْتَنُ بذم من منعنى، وأنت من وراء ذلك كله وَالىٌّ الإعطاء والمنع إنك على كل شىءٍ قدير، يا نعم المولى ويا نعم النصير».

يارب لا تحينى إلى زمن أكون فيه كلاً على أحد

خذ بيدى قبل أن أقول لمن أراه عند القيام خذ بيدى

وهناك صنف آخر بين أهالى المدينة كل فرد منهم يملك ثروة وغنى وهو صاحب نفوذ وقدرة وهم يمضون أوقاتهم فى غاية الرفاهية والجاه والعظمة كما أنهم يراعون الأهالى الفقراء وضعفاء المجاورين وهم الفئة التى يقال له الجامع بين الحسنتين.

وأهل المدينة عامة يحبون التنزه والفرجة، وينشطون قلوبهم بالتجوال فى الحقول والمتنزهات دون كلفة وأما بالنسبة للأكل والشرب يكتفون بالمودة سالكين مسلك الاكتفاء بما وجد. واختار بعضهم السياحة فى البلدان والممالك حتى يزيدوا من ثروتهم وغناهم. كما أن بعضهم يتركون دورهم وديارهم باحثين عن أرزاقهم، كما أن بعضهم يتبعون أفكارًا أخرى. ولا يتفقون كلهم فى أفكارهم وآرائهم، فيهم من يسلك مسالك الهوى والهوس. يقول ابن فرحون من المؤرخين القدماء: «كان مجاورو المدينة فى الأوائل من الصلحاء وأهل اليسار؛ لذلك كان رؤساء الأهالى يكرمونهم ويخدمونهم، ويقضون لهم حاجاتهم الضرورية ويقدمون لهم التحف والهدايا ويحاولون بهذا أن ينالوا حبهم. ويعتقدون فيهم خيرًا ويلتمسون دعاءهم وهمتهم. والآن انعكس الأمر إذ انعدمت الثقة والاستقامة فى المجاورين، كما أن أهالى الحرمين لا يحترمون كذلك من لا يراعى جانب الآثار المسعودة، وقد تغيرت الملابس والأفكار من أجل اجتذاب القلوب كما يقول المثل: «تغيير الشكل من أجل الأكل» فى كل مكان يمزقون أستار الحرمة والرعاية وفى كل طور وفعل يظهرون شعائر الإساءة والدناءة يتفوهون فى داخل الحرم الشريف بكل ما يرد على ألسنتهم ولا يتذكرون

ما نص عليه من الصمت والهدوء فى داخل الحرم بل يقومون بما لا يليق، مع أصحاب الفقه والاستقامة والصلاح والتقوى».

ويمد أهالى الحرمين يد العون والخدمة للغرباء الواردين ولكنهم يفرطون أحيانا فى عونهم وإظهارهم هذا القدر من التظاهر لا يستحب أحيانًا، حتى قال العلامة، الشيخ إبراهيم ابن أبى الحرم المدنى: «لا ينبغى لأهالى هذه البلاد أن يفرطوا فى إجلال وتعظيم من يترددون على هذه الديار من الزوار؛ لأن الإفراط فى ذلك يفضى إلى سوء العاقبة، ويجرئهم، فيقصرون فى آداب الزيارة للآثار المباركة مظهرين ذلهم وخشوعهم ومسكنتهم. إننى قد نظمت الأبيات الآتية حتى أعرف الناس هذا الأمر ورتبت إجابة على لسان الحال:

قطعة

يا أهــل طيبــة لازالــت شمائلكــم
بلطفهــا فى الورى مأمونــة العتب
لكــن رعايتكــم للغُرْبِ تحملهــم
على تجـاوزهــم للحــد فى الأدب
مولاى إن صروف الدهر قد حكمت
وأعــوزت أن يذل الـرأس للذنب
كــم من مقبل كــف لــو تمكن من
تقطيعهــا فكــن ممن فــاز بالأدب

قيل فى حق سكان دار السكينة «جار الدار أحق بدار الجار وجار الدار أحق من غيره»، وكما أن أهالى المدينة أليق عن أهالى البلاد الأخرى بالتجاوز والسماح والفوز والنجاة والنجاح، لأجل ذلك يجب على الذين يختارون المجاورة والإقامة فى المدينة المنورة أن يكونوا لينى الأعطاف، هينى الانعطاف

فيحترمون كل موقع فى تلك البلدة المباركة ويراعون جانب كل فرد من سكنتها ويتخلقون بما جاء فى الكلمات الآتية:

يشاركهم فى أنديتهم لا فى أغذيتهم، ويزاحمهم فى أوقاتهم لا فى أقواتهم، ويكتسب من أخلاقهم لا من أرزاقهم، ويقتبس من برهم لا من بُرِّهم، فيتصل بهم كثيرًا ويشاركهم فى محاسن أخلاقهم وعاداتهم، ولكن لا يعمل على مشاركة أرزاقهم وأقواتهم ويخطفها من أيديهم. ويرغب فى حبهم وموالاتهم ولا يطمع فى حبوبهم وأطعمتهم. وألا يزعجهم بالاستيلاء على دور فقرائهم وإطالة يد الطمع لصدقاتهم وألا يسعى فى منع معروفهم وإبطاله. إذ قيل:

لا تقطعن يـد المعروف عن أحـد

مـا دام يمكن فالإمكـان تـارات

واشكر فضيلة لطف الله إذْ جعلت

إلـيك لا لك عنـد الناس حاجات

فليقل أصحاب الاعتراض ما يقولون فى حق أهل المدينة. ونيسندوا إليهم ما يسندون، فمحبتهم وإكرامهم وتعظيمهم واحترامهم واجب على كل مؤمن موحد. فأهل المدينة جيران النبى ﷺ وبناء على الحكم الجليل: «مازال جبريل يوصينى بالجار..» فحق جوارهم ثابت ومهما ارتكبوا من الإساءات فإنهم لن يحرموا من حق الجوار وهذا حق محقق. ومهما ترك المدنى من الاتباع واخترع عادات غير مقبولة وابتدع، فيجب ألا يترك دون إكرام ويقطع احترامه. لأن هذه الأمور لا تسقط شرف جواره وحسن العاقبة مأمول له. يجب أن ينظر إلى كل فرد منهم بعين تعظيم وإكرام وتفخيم. وألا يبحث عن أحوالهم الظاهرة ولا يفتش عن أفعالهم الباطنية وأسرارهم لما كانت جميع الذنوب تحت حكم مشئية الله ما عدا الشرك فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يعذب فاعله إن شاء ويعفو عنه ويطلقه إن شاء.

فى تعريف الآبار التى تنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالتفصيل ورتبت أسماء تلك الآبار حسب الحروف الهجائية

١ـ بئر أريس:

أريس على وزن جليس ومعناه الفلاح وهو اسم واحد ينتسب إلى الطوائف اليهودية.

أحد الآبار التى تنسب إلى النبى ﷺ البئر التى يطلق عليها أريس وهى على الجهة الغربية من قباء بجانبها حجر فى ارتفاع ثلاثة أذرع.

حكاية

يروى أبو موسى الأشعرى قائلاً: خرجت فى يوم من الأيام من بيتى بعد أن توضأت، وذهبت إلى مسجد السعادة، وأرونى الطريق الذى سلكه النبى ﷺ قائلين ذهب لتلك الجهة، وبما أننى خرجت من ذلك اليوم بنية خالصة لأقوم بخدمة النبى ﷺ تتبعت أثره. وعرفت المكان الذى اتجه إليه سائلاً كل من رأيته، حتى وصلت إليها ودخلت من باب مبانيها وجلست بجانب بابه المصنوع من خشب النخيل. فابتعد النبى ﷺ رغبة فى قضاء حاجته، وبعد الرجوع توضأ وجلس على حافة البئر المصنوعة من الخشب مدليًا رجليه فى البئر. فألقيت عليه السلام ثم عدت إلى مجلسى. وكانت نيتى أن أقوم فى ذلك اليوم بحراسة النبى ﷺ. فدق الباب بعد فترة أبو بكر الصديق. فسألت عن الطارق. وفهمت أنه أبو بكر الصديق قلت يا رسول الله إن أبا بكر قد دق الباب حتى يتشرف بالمثول بين يديك، ولما قال النبى ﷺ أدخله بعد أن تخبره بأنه بشر بالجنة. ففتحت باب البئر

وقلت تفضلوا! فقد بشرك النبى ﷺ بالجنة فأغلقت الباب بعد دخوله وجلست فى مكانى القديم وبعد أن دخل بناء على إذن النبى ﷺ جلس على يمين النبى ﷺ وأدلى رجليه فى البئر، ودق الباب مرة أخرى بعد قليل. قلت: من أنت؟ قال: أنا عمر بن الخطاب إذا ما أذن لى أريد أن أرى رسول الله ﷺ فذهبت إلى الرسول وأخبرته أن عمر بن الخطاب يريد المثول بين يديك واستأذنت منه بهذا الشكل فقال الرسول ﷺ فليأت أبشره أيضًا بالجنة ففتحت الباب وقلت له تفضل إن الرسول ﷺ يبشرك بالجنة فدخل وجلس بأمر من الرسول ﷺ على يساره وأدلى رجليه فى البئر. أما أنا فذهبت إلى مكانى القديم وجلست. وبعد مدة جاء عثمان بن عفان. فقمت وقلت لرسول الله ﷺ إن عثمان بن عفان يستأذن أيضًا للتشرف بالمثول بين يديك. وعرضت على الرسول ﷺ أنه ينتظر الأمر بالدخول. وقال النبى ﷺ الواقف على سرائر الدنيا والآخرة «فليأت لأبشره بالجنة وبلوى المصيبة» ففتحت باب مبنى البئر وأدخلته وقلت له: يا عثمان إن النبى ﷺ يبشرك بالجنة وآفة المصيبة فمثل عثمان أمام النبى ﷺ ولما لم يجد محلاً يجلس عليه فى يمين النبى ويساره جلس أمامه؛ وكانت هذه الإشارة المليئة بالحكمة سببًا فى عدم دفن عثمان بن عفان فى الحجرة المطهرة يعنى أن النبى ﷺ لم يجد مكانًا على يمينه وشماله فأشار له بأن يجلس أمامه وهكذا جلس فى مكان بعيد عنه، الأمر حين قتل يدفن فى الحجرة المعطرة!!! ودفن فى بستان حش كوكب ليس مخالفة الفرق المخالفة لدفنه فى الحجرة المطهرة.

وكان النبى ﷺ كلما شرف مسجد قباء كان يذهب إلى بئر أريس وكان يقول: إن كل من يذهب يوم السبت إلى مسجد قباء ويصلى فيه ركعتين ثم يشرب من ماء بئر أريس ينال ثواب عمرة. وفى يوم قائظ اغترف ﷺ مع الخلفاء الأربعة من ماء بئر أريس لتلطيف الحرارة ووضع يده فى الدلو.

معجزة:

لما وضع النبى ﷺ يديه فى الدلو سقط خاتمه فى قاع البئر فارتفع ماء البئر.

وعرض عليه خاتمه وقدمه له. وانتقل الخاتم من بعد إلى أبى بكر ثم إلى عمر بن الخطاب ثم إلى عثمان بن عفان إلا أن هذا الخاتم وقع فى البئر مرة أخرى فى العام الخامس من خلافة عثمان ولكنه لم يستخرج.

وعمق بئر أريس (١٩) ذراعًا وارتفاعه (١٠٤) ويقال أنها كانت قديمًا تحت بناء مرتفع. إلا أن تقلبات الدهر هدمت مبانى جهتها القبلية وخربتها. فعمرها شاهين الشجاعى ورفع الحجارة التى حولها ثلاثة أذرع وجعل لها مرقاة. وإن كانت الآن غير مكشوفة إلا أن أبنيتها ليست مرتفعة ورصينة كما أخبر المؤرخون. ولها بناء الآن يحميها من حر الشمس ولها مصلى فى جهة مسجد قباء وعلى طاق محراب هذا المصلى هذا البيت:

أمن عجب أن يزورها ليل نهار الإنس والجان

بئـــر خاتـــم الأنبيـــاء هـــو هـــذا المكـــــان

النخيل المتكلم:

فى حديقة النخيل التى فى الطرف الغربى لبئر أريس النخلة أو النخلتان المعروفتان باسم النخيل المتكلم وكما سيرى فى شكل هذه الأشجار فهى تنحنى كحلقات وترتفع فقط غصونها التى ستنتج الفاكهة. وكانت هذه الأشجار فى عصر النبوة فى غاية العلو وكان اقتطاف ثمرتها غير ممكنة. ولما كانت النخلة المذكورة مَدمَرّ بها النبى ﷺ فانفرشت على الأرض وقالت: يا رسول الله! إن تمرى جدير بالأكل، فكل منى عدة تمرات وأرفع رأسى بين أمثالى من النخيل وظلت على هيئتها تلك.

ومازال جيش النخلة التى تمددت على الأرض لتعرض بلحها على النبى ﷺ قائمة! وفروعها التى تنبت حولها وتنمو وتستدير حلقات سنة بعد سنة وتظل كذلك إلى أن تزول. ومع هذا إذا ما أخذ فروع منها وغرست فى مكان آخر وإذا لقح إلى نخلة أخرى فلا ينفع حتى إذا نفع فلا تستدير فروعها حلقات بل ترتفع مثل أشجار النخيل الأخرى.

٢ـ بئر الأعواف:

والثانية من الآبار المباركة بئر الأعواف وهى من الصدقات النبوية.

وكان النبى ﷺ قد توضأ على حافة هذه البئر. وحيث مس ماء وضوء النبى اكتسب خضرة ونضارة ومازال كذلك حتى يومنا هذا.

كان فى عصر السعادة بجانب هذه البئر حجر ولما كان هذا الحجر قد قبض على لص هرب من النبى ﷺ فاقتلعه ووضعه فى مكان بين «الأعواف» و«الشطبية» لما كان النبى ﷺ قد لمسه بيده الكريمة أخذ أهل المدينة يزورون هذا الحجر. وللأسف لم يبق فى عصرنا من يعرف مكان هذا الحجر. وفى الواقع فى عصرنا من يعرف مكان هذا الحجر. وفى الواقع فى عصرنا فى المكان الذى يسمى «الأعواف» مكان طرفه القبلى «مربوعة» وطرفه الشامى «خنافة» وبين هذين المكانين كثير من الآبار ولكن ليس هناك من يعرف مكان «الشطبية». ومن المحتمل أن يكون المحل المشهور باسم «عتبى» فى الطرف الشرقى من خنافة الشطبية المذكورة.

٣ـ بئر أناء:

البئر الثالثة من الآبار المقدسة بئر أُناء واسم هذه البئر على رواية أُناء بضم الهمزة وفتح النون، وفى رواية أخرى أَنَّاء بفتح الهمزة وتشديد النون. فى ناحية بنى قريظة.

وعندما حوصر حصن بنى قريظة أقيمت خيمة النبى ﷺ على حافة هذه البئر، وشرب النبى ﷺ من ماء هذا البئر وهو جالس فى خيمته. وربط دابته على شجرة النبق التى ببيت مريم بنت عثمان وصلى على ساحة مسجد بنى قريظة، ولكن الآن لا يعرف ساحة ذلك المسجد.

٤ـ بئر أنس بن مالك بن النضر:

والبئر الرابعة من الآبار التى تنسب إلى النبى ﷺ بئر أنس بن مالك بن النضر

وكانت فى داخل دار أنس بن مالك بن النضر فى محلة تسمى جديلة والبئر التى وقفت لـ «رباط اليمن» فى وقتنا هذا يلزم أن تكون تلك البئر. لأنها تقع بالقرب من دار فحل[1] وفى الطرف الشامى من الحديقة المسماة برومية يعنى بالقرب من ضريح والد النبى عبد الله بن عبد المطلب. وأساسًا كان من ممتلكات والد أنس بن مالك بن النضر تعرف فى الجاهلية باسم برور كما سبق ذكرها فى بحث بئر سقيا. وقد ألقى النبى ﷺ فيها بصاقه فاحلو ماؤها إلى حد أنها صارت ذات ماء ألذ وأخف من جميع مياه آبار المدينة المنورة.

٥ـ بئر إهاب:

الخامسة من الآبار المحترمة البئر التى اشتهرت باسم إهاب وكانت فى داخل القصر الذى يسكنه أساسًا إسماعيل بن وليد والذى يقع فى داخل حدائق النخيل الكائنة فى الجهة القبلية للحرة الغربية.

لما أخرجت فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب من بيت جدتها فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ كانوا قد أعطوها ذلك القصر وانتقل هذا القصر أخيراً لابن هشام.

وكانت بئر إهاب أساسًا بئر والد عبادة سعد بن عثمان. ولما تفضل النبى ﷺ قائلاً يظهر أن عُمْرَانَ المدينة المنورة سيصل إلى بئر إهاب ولأجل ذلك أطلق أهل المدينة المنورة على تلك البئر اسم بئر زمزم وأرسلوا ماءها إلى البلاد الأخرى للتبرك. ولما كانت فاطمة بنت حسين بن على هى التى حفرت تلك البئر فمن العجب أن يطلق عليها بئر زمزم دون أن يطلق عليها بئر فاطمة.

٦ـ بئر البَصَّة:

السادسة من الآبار العزيزة البئر التى يطلق عليها بصة على وزن حَبَّة.

---

(١) دار فحل: من الأبنية القديمة، وهى الآن من أملاك أولاد برادة ويقيم فيها بنو عم عبد الجليل أفندى رئيس كتبة «إدارة الروزنامه» ولما كانت بحديقة هذه الدار نخلة عقيم لا تؤتى أكلها، فقد نسبت الدار إلى هذه النخلة وسميت باسمها.

وتقع بجانب نخلة قريبة من مقبرة بقيع الغرقد وفى طريق قرية قباء.

ويميل ماء هذه البئر إلى الخضرة وقد هدمت السيول التى تمر بجانبها جميع جهاتها وخربتها. ولكنها عمرت تعميراً جيداً مؤخراً. عرض فوهتها فى قطر سبعة أذرع. وبجانب هذه البئر بئر أخرى فى عرض ستة أذرع، وكان مؤرخو الأسلاف قد اختلفوا فى تعيين أية واحدة منهما بئر «البصة»؛ والبئر الصغيرة ولما كانت أمام برج والد أبى سعيد الخدرى مالك بن سنان فليس من المستبعد أن تكون تلك البئر بئر «البصة» ولأجل ذلك استولى زكوى ابن صالح على ساحة برج مالك بن سنان وبنى عليها منزلاً عاليًا وصنع سلما للبئر الصغيرة، كما أن شيخ الخدم عزيز الدولة وريحان البدرى الشهابى اشترى بستان النخيل الذى بجانب المنزل الذى بناه ابن صالح ووقفه على الفقراء الذين يمرون من جانبه.

زار النبى ﷺ دار أبى سعيد الخدرى فى يوم جمعة وطلب منه مقداراً من سدر وغسل بالسدر رأسه وصب الماء المستخدم فى البئر.

٧- بئر بضاعة:

السابعة من الآبار المقدسة هى بئر بضاعة التى بين الحديقتين اللتين تميلان إلى الجهة الشمالية من غرب بئر حاء واشترى شاهين الجمالى هاتين الحديقتين ووحدهما وصنع حوضًا بجانب بئر بضاعة وبنى مسجداً ووقف الحديقتين لتعمير المسجد المذكور والحوض والبئر سالفة الذكر.

وفى عهد الجاهلية كان ماء بئر بضاعة عديم القيمة؛ لذا كانت تلقى فيها النساء الحوائض خرق الحيض كما أن الساكنين حوله يلقون فيها الكناسة وجثث الحيوانات.

ولما توضأ الرسول وشرب من مائه وتفل أخبر أن ماءه شفاء للمرضى. ومنذ ذلك الوقت أخذ الناس يشربون من مائه راغبين فيه ويرجحونه على مياه الآبار الأخرى.

ولما كان الناس يمرضون فى عصر السعادة كان النبى ﷺ يوصيهم بالاغتسال بماء بئر بضاعة، وكان الذين يغتسلون بماء هذه البئر الطاهر يشفون من مرضهم فى الحال.

٨ـ بئر جاسوم:

الثامنة من الآبار التى تنسب إلى النبى ﷺ البئر التى تقع فى مكان يقال له راتج لأبى الهيثم بن التيهان ويطلق عليها. بئر جاسوم وشرب النبى ﷺ من مائها وصلى في الحديقة التى بجانبها وللأسف ليس فى زماننا مَنْ يعرف بئر الجاسوم ولا حتى مكانًا يسمى بجاسوم.

٩ـ بئر جمل:

هو التاسعة من الآبار المقدسة بئر الجمل التى تقع فى ناحية الجُرْف وفى نهاية وادى العقيق، وعلى رواية أخرى تقع تلك البئر فى الطرف الشامى من بقيع الغرقد وسبب تسميتها إما لأن حافرها اسمه جمل أو لأنه وجد بجانبها جثة جمل. وبما أن النبى ﷺ توضأ من هذه البئر فإنه لا ينكر فضلها.

١٠ـ بئر حاء:

العاشرة من الآبار المكرمة هى بئر حاء التى تقع أمام الباب المجيدى لسور المدينة. وكان النبى ﷺ كثيرًا ما كان يشرف حديقة النخيل التى فيها هذه البئر يشرب من مائها ويستريح جالسًا فى ظلال النخيل.

ولما كانت هذه البئر أساسًا فى داخل حديقة النخيل التى يملكها أبو طلحة تصدق بهذه الحديقة لأبى بن كعب وحسان بن ثابت من جهة قرابتهما. وباع حسان مؤخرًا نصيبه من الحديقة لابن أبى سفيان، فبنى فيها حضرة معاوية قصره الصيفى الذى اشتهر بقصر بنى جديلة، وبناء على ذلك ظلت بئر حاء على طرف من قصر جديلة، وكان لذلك القصر بابان يفتح أحدهما إلى الشارع والثانى إلى بيت محمد بن طلحة التميمى، وقد اندرس قصر جديلة فى زماننا وظلت بئر حاء

داخل حديقة النخيل صغيرة. ولما كان ماؤها فى غاية العذوبة واللذة، اشترتها مَنْ تُدْعَى نويرية ووقفتها مع حديقتها لأبناء السبيل، لأجل ذلك يطلق على تلك الحديقة حديقة نويرية.

وفى الطرف القبلى لتلك البئر جامع صغير وهذا المسجد الشريف فى مكان قريب من حصن المدينة.

١١ـ بئر حلوة:

الحادية عشرة من الآبار المقدسة بئر حلوة التى تقع بالقرب من دار آمنة بنت سعد فى الرصيف الأيسر لباب السلام، ولكن ليس هناك من يعرف مكان هذه البئر فى زماننا.

وفى عهد السعادة كان بجوار البئر شجرة من نوع شجرة الآراك، ويقال إن النبى ﷺ كان ينام وقت الضحى تحت هذه الشجرة المذكورة.

١٢ـ بئر ذرع:

البئر الثانية عشرة التى تنسب إلى النبى ﷺ هى بئر ذرع التى تقع فى قرية «بنى خطمة» التى تقع على الجهة الشرقية من مسجد العوالى. شرف النبى ﷺ قرية بنى خطمة وصلى فى دار امرأة عجوز وبعد ذلك توضأ وألقى ببصاقه فى داخل البئر. كانت بئر ذرع فى ذلك الوقت خلف مسجد بنى خطمة وموقع تلك القرية الآن بجانب الخرابة التى تسمى ماجشونية التى ما تزال بيوتها الخربة ظاهرة للعيان.

١٣ـ بئر رومة:

البئر الثالثة عشرة من الآبار المحترمة التى تقع فى نهاية وادى العقيق حيث تتحد سيول الأودية والتى تعرف فى زماننا بـ «بئر عثمان» بئر عثمان. والبئر المذكورة بالقرب من مسجد القبلتين وأقدم آبار المدينة المنورة.

ولا يعرف صاحبها ولا حافرها إلا أنه يروى أنها بئر قديمة حتى إن تُبَّعَ

الحميرى الذى مر بالمدينة قبل الهجرة بسبعمائة سنة شرب من مائها اللطيف وأعجب به.

وفى أوائل الهجرة النبوية لم يكن الصحابة الكرام يجدون ماء غير ماءها بثمن غال للشرب. فقال النبى ﷺ «بئر مزنى ـ يعنى روما ـ ما أحسنها من بئر» وبناء على رواية قال «ما أحسنه من حفيرة حفيرة مزنى».

وأحضر صاحبه وقال له: يلزم أن تبيع هذه البئر بدل بئر من الجنة وبهذه الطريقة أراد أن يتصدق بها صاحبها، ولكنه قال «يا رسول الله ليس عندى شيء آخر لأتعيش منه» ولما أحس عثمان بن عفان بأن اليهودى لا يريد أن يعطى للنبى ﷺ متعللاً بالأعذار فأرضى اليهودى بأن اشترى البئر بعشرين ألف درهم أو على قول آخر بخمسة وثلاثين ألف درهم. ووقفها. وكان قد اشترى نصف البئر أولاً لأن صاحبها لم يرد أن يبيعها كلها قائلا إننى لا أستطيع أن أبيع البئر كلها مرة واحدة إذا أردت أبيع نصفها لك فلتكن لك يومًا واليوم الآخر لى، وفى اليوم الذى لك لا آخذ منها ماء كما أنك لا تأخذ فى اليوم الذى لى ماء!!! وكان حضرة عثمان أخذ نصف البئر بإعطائه اثنى عشر ألف درهم. ووقفها. ولما رأى اليهودى أن المسلمين يأخذون من الماء ما يكفيهم لأربع وعشرين ساعة فى اليوم الخاص بحضرة عثمان وأصبحوا لا يشترون ماء فباع لحضرة عثمان نصفها الثانى بثمانية أو على قول آخر ثلاثة وعشرين ألف درهم وترك البئر نهائيًا.

وظلت البئر زمنًا طويلاً عذبة الماء وكان ماؤها مرغوبًا بين الأهالى وكانت تروى سكان المدينة إلا أن أبنيتها تخربت وغاض ماؤها فترة من الزمن. فجدد قاضى مكة المكرمة أحمد شهاب بن محمد المحب الطبرى أبنيتها وطهرها وذلك خلال عام ٧٥٠هـ وبعد مائتين وتسعين سنة أى فى عام ١٠٤٠ هـ فعمرها بشكل جيد الشخص الذى تولى مشيخة الحرم النبوى وأحياها بأن غرس حولها الأشجار وبنى بجانبها مسجدًا ووقفها. والآن يمر بها الفقراء ويزورونها وأحيانًا

يقضون بجانبها لياليهم متعبدين حتى الصباح والمسجد الذى بنى فيما بعد مكشوف الجانب من الناحية الشامية.

١٤ـ بئر سقيا:

البئر الرابعة عشرة من الآبار المكرمة بئر سقيا التى فى داخل القرية التى يطلق عليها فى الجاهلية قناد وتقع هذه البئر على يسار المتوجهين إلى قرية بئر على وفى داخل حجر منحوت.

وكانت بئر سقيا قد تخربت مع مرور الأيام، ولما عمرها وجددها أحد أهل الخير من طائفة الأعاجم فى سنة ٧٧٨هـ فهى تعرف فى زماننا بـ «بئر الأعاجم» وفى الجهة الشامية من هذه البئر مبنى حيث ينصب الحجاج الكرام خيامهم ويستريحون. وكانت زوجة الرسول أمنا عائشة ـ رضى الله عنها ـ تجلب الماء من هذه البئر وكان النبى ﷺ يشرب من ماء تلك البئر.

١٥ـ بئر العقبة:

وينسب ماؤها للنبى ﷺ وهى البئر الخامسة عشرة من الآبار المقدسة، يقول بعض المؤرخين إن النبى ﷺ جلس على حافة هذه البئر مدليًا قدميه فيها وأجلس أبا بكر وعمر على طرفيه وعثمان أمامه. ولكن ناقل الواقعة وكان حارس النبى ﷺ فى ذلك اليوم وهو أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ ينسب تلك الواقعة إلى بئر أريس فليزم أن يكون قول المؤرخين هذا غير صحيح إلا أنه يمكن أن يكون اسم بئر العقبة اسمًا آخر لبئر أريس، أو أن الواقعة تكررت فى البئر الثانية.

١٦ـ بئر عتبة:

هى البئر السادسة عشرة من الآبار المكرمة وتقع على ميل واحد من المدينة المنورة فى جهة مكة المكرمة وفوق حرة بئر السقيا. وقد نظم النبى ﷺ، غُزَاةَ بدر فى هذا الموضع، وفصل الأطفال عن الجيش وأعادهم إلى المدينة المنورة. يقول بعض المؤرخين إن المسلمين فى غزوة بدر عند ذهابهم باتوا فى بئر السقيا

وعند عودتهم باتوا فى ساحة بئر أبى عتبة. وماء هذا البئر أعذب من جميع آبار الوادى وتعرف بين الناس بـ «بئر الوادى».

١٧ـ بئر العهن:

البئر السابعة عشرة من الآبار المقدسة. وتقع فى قرية بنى أمية الأنصارى وفى أعلى جهة بالمدينة وكان قديمًا بجوار هذه البئر شجرة تسمى السدرة ثم قطعت هذه الشجرة وسويت أرضها وأصبحت حقلاً. والبئر المذكورة فى سفح الجبل وماؤها عذب فرات، ولكن موقعها اليوم غير معلوم. ويقال إنها بئر يسيرة التى سيأتى ذكرها فيما بعد.

١٨ـ بئر غرس:

هى البئر الثامنة عشرة، تقع على بعد ميل أو نصف ميل من الجانب الشرقى الشمالى لمسجد قباء. وكان الماء يجلب للنبى ﷺ من بئر غرس يومًا ومن بئر السقيا يومًا آخر. وقد غسل جثمان النبى ﷺ بماء بئر غرس، فقد أوصى النبى ﷺ قبل وفاته قائلاً «غسلونى بسبعة قرب من ماء بئر غرس».

وعرض تلك البئر المقدسة عشرة أذرع وعرضها أزيد من طولها وماؤها عذب بارد ورجحان عذوبة مائها وأفضليته ثابتة بالحديث النبوى الشريف. إذ بين فضل مائها ومزيتها قائلاً: «إننى رأيت فى رؤياى أننى سأصبح فى الصباح بجانب بئر من آبار الجنة» ولما أصبح الصبح وجدتنى بجانب بئر غرس»، وتوضأ ذلك اليوم وألقى بصاقه فى داخل البئر. وبهذا سكب ما أهدى له من العسل المصفى فى داخل البئر.

وتخربت بئر غرس، ولم تعد صالحة للشرب منها، وفى خلال عام سبعمائة جددت وبعد مائة واثنين وثمانين عامًا اشترى السيد حسين بن الشهاب أحمد القاوانى ما حول البئر من حقول وأحاط البئر بسور وصنع حديقة للنخيل وأنشأ سلمًا للنزول فى البئر وبنى مسجدًا وفتح طريقًا واسعًا للدخول إلى المسجد من الخارج ثم وقفها للمارين وعابرى السبيل. ظلت تلك الحديقة المذكورة عامرة ما

ما يقرب من مائة وثمانية عشر عامًا. وانتفع المارة والعابرون بها ودعوا لواقفها ولكن للأسف قد سد طريقها الخارجى فأبطل وقف حسين بن الشهاب.

١٩ـ بئر القراضة:

التاسعة عشرة من الآبار المباركة بئر القراضة. وهذه البئر فى داخل حديقة والد جابر بن عبد الله الواقعة فى الجانب الغربى لمسجد الفتح. قد توضأ النبى ﷺ بماء هذه البئر وصلى فى ساحة مسجد الخربة.

معجزة:

عندما مات والد جابر بن عبد الله كان قد ترك ديونًا كثيرة وترك أمر تسديد هذه الديون لجابر. فأراد جابر أن يعطى حديقة نخيل بئر القراضة بثمارها للدائنين. إلا أنه لم يستطع أن يرضى الدائنين بهذا الشكل، فحكى الموضوع للنبى ﷺ بشكل يثير رحمة السامع واستمد العون من النبى ﷺ. فما كان من الرسول ﷺ إلا أن ذهب إلى حديقة بئر القراضة وألقى بصاقه المبارك فى البئر ودعا الله أن يخلص جابرًا من دين أبيه عبد الله، وبناء على ذلك زادت محاصيل تلك الحديقة سنة بعد سنة وكانت سببًا فى تسديد الديون. ولكن لشدة الأسف فتلك الحديقة انتقلت من يد إلى أخرى، مع مرور الزمن وأهملت حتى لم يبق أحد يعرف مكانها فى زماننا.

٢٠ـ بئر القريضة:

هى البئر العشرون من الآبار المنسوبة إلى النبى ﷺ. ويحتمل أن تكون هى بئر القريضة التى تقع بالقرب من بئر القراضة، أو أن القريضة تصغير القراضة، وعلى ذلك تكون كلتاهما بئرًا واحدة، ويروى كذلك أن خاتم النبى ﷺ وقع فى هذه البئر.

٢١ـ بئر اليسيرة:

هى البئر الحادية والعشرون من الآبار المنسوبة إلى النبى ﷺ ويسيرة بمعنى

سهلة. قيل إن النبى ﷺ جلس على حافة بئر فى قرية بنى أمية ابن زيد، وسأل عن اسمها، فقالوا «عسيرة» فأجاب قائلاً: «كلا كلا يسيرة إن شاء الله». وتفل فيها ودعا لها بالخير والبركة وتوضأ وهذا وجه تسميتها ـ قال فاضل العشقى.

لينظم القلم الدر فى سمط الشعر وليجعل للمصطفى ألف بئر
ومن بئر أعواف بضم الهمزة ومن بئرى أنا اشرب
وكذا من بئر أنس وهو النبى من صحب
وكذلك بئر إهاب وبصة وبئر بضاعة وماؤها شفاء
ذكرت كذلك بئر جاسوم والجمل رفعت عن سرها الخفاء
وكذا بئر حاء حلوة وبئر ذرع وررومة
فلتذكر وادع الله إن كنت عن بئر السقيا تخبر
وبئر عهن وعقبة وبئر عنبسة
وبئر غرس إذا ما ذكرن ذلك
أما بئر قراضة وقريضة وبئر اليسير
كلها ما سمعت ولا رأيت من ينكر فضلها

وقد ثبت أن عدد الآبار غير المكررة تسعة عشر بئرًا ولكن مع مرور الزمن لم يبق أحد يعرف مكان اثنتى عشرة منها فحصر أهل المدينة الآبار المأثورة فى سبعة آبار. وأسماء تلك الآبار فى الأبيات الآتية. لمؤلفه العبد لله.

نظم

فى المدينة يا صاح(١) سبع من الآبار
ولها بريق النبى المبارك إيثار

(١) صاح: مُخَفَّف: ياصاحبى.

لبعـــــض غرس، وروـمــــة، بضاعـــــة أسمـــاء
ومنهـــا العهـــن ومنهـــا البصـة ولا يشرب من مائها الأشرار
منهـــا بئر أريس وبئر حـــاء ولهمـــا باسمهما شهرة
يمتـــد لهمـــا أهــــل المدينـــة كـــل مـــرة

وكلما تباعد عصر السعادة زاد سكان المدينة واقتضى تطور المزروعات ـ بناء على حاجة الناس ـ حفر المزيد من الآبار؛ فحفر الأسلاف فى جوانب المدينة الأربعة كثيرًا من الآبار، واستصلحوا الأراضى لتكون صالحة للزراعة وأنبتوا كثيرًا من المزروعات. وكما كانت هذه المزارع منها قوية خصبة ومنها ضعيفة قليلة الإنتاج بالنسبة لبعضها البعض، وكانت الآبار كذلك منها ما هو عذب الماء ومنها ما هو مر الماء مالح. والآبار المشهورة اليوم بئر قويم، بئر العباسة، بئر صفية، بئر البويرة، بئر العصبة، بئر العسيلية، بئر المبعوث، بئر رومة، بئر قطعة، بئر مغيسيلة، بئر فاطمة، بئر عروة.

وبئر قويم مع بئر عباسة وبئر صفية وبئر البويرة فى قرية قباء ومياه بعضها ألذ و أعذب بالنسبة للأخرى. وبئر عسيلية من آبار قرية العوالى. وليست فى هذه القرية بئر ماؤها أعذب من ماء بئر عسيلية، وبما أن بئر مبعوث فى الجهة القبلية من ناحية عريضى وفى وسط مجرى سيل مهزور فهى أعذب الآبار فى الحرة الشرقية على الإطلاق وأعظمها، وبئر رومة من الآبار القديمة وقف عثمان بن عفان.

وبئر فاطمة أَلْطَفُ ماء من جميع الآبار، وبئر عروة أعذب ماء من جميع الآبار والعيون والمياه الجارية. وبما أن هذه البئر فى مجرى وادى العقيق كان الأهالى يهدون ماءها للملوك لعذوبة مياهها كما أن أصحاب المزاج يدعون أن ماءها ألذ وأعذب من ماء عين زرقاء.

الأراضى المزروعة:

تقع مزارع المدينة المنورة فى الجهة القبلية منها، وإن كانت فى جهاتها الأخرى أراض مزروعة. إلا أن جميع أراضى الجهة القبلية صالحة للزراعة.

يا ترى هل لاتصالها بالحرة؟ أو لسبب آخر؟ إن أراضيها سبخة وترابها أبيض، فإذا مزجت بقدر من السماد يكثر محصولها ويكون نبتها أكثر إنتاجًا.

والأراضى الموجودة فى الناحية الغربية أى الأراضى الممتدة من الجُرُف إلى عيون والتى فى وادى العقيق رملية ولكن بعض أراضيها ممتزجة بالطِّين لينة مثل أرض العيون فى الجهة الشامية. فمحاصيل مثل هذه الأراضى وافرة، يروى أن أراضيها تنتج فى السنين التى تنجو من الآفات السماوية ثلاثين ضعفًا على واحد.

والجهة الشرقية أى محاصيل ناحية عريضى وما حواليها إن مدت بالمياه وسُمِّدَت تكون من غير تبن. ومع هذا ففى الأراضى التى تقع فى الظل يؤخذ منها تبن فقط. وهناك وقت لا يؤخذ منها حتى التبن.

فى ذكر العيون الصافية التى تنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم

إفادة خاصة:

يطلق أهالى المدينة على المياه التى تجرى من الآبار من تحت الأرض عينًا وجمعها عيون.

إن إنبات النخلة بدون ماء محال، ولما كان التمر والبلح هو القوت الذى يحفظ الحياة على أهل المدينة وبناء على أنه لا توجد مياه جارية تجرى من الجبال القريبة التى تحيط بالمدينة إلى الأراضى المسطحة فحفر الأهالى قديمًا الآبار فوق الجبال البعيدة العالية، وأجروا ماءها إلى أطراف المدينة فأنشئوا حدائق كثيرة. ولما ازدادت الحاجة إلى الماء كلما زاد عدد السكان فزادت جداول المياه الجارية على قدر اتساع العمران ومازالت تزيد.

والآن كلما احتاجوا جلب المياه إلى مكان ما حفروا بئرًا فى مكان مرتفع جدًا وعندما يصلون إلى مائها يحفروا فى أسفل منها بئرًا أخرى. ويحفرون مجرى تحت الأرض بين البئرين ويجرون ماء البئر الأولى إلى البئر الثانية وبهذه الطريقة يحفرون فى كل أربعين خطوة بئرًا ويجرون مياهها بعضها إلى بعض متسلسلاً حتى يوصلوها إلى مستوى المحل ومن هنا يحفرون المجارى فوق سطح الأرض ويروون الأماكن التى يريدونها ولما كانت عادة الأهالى توفير المياه لرى الحدائق بهذه الطريقة فى المدينة فوجدت عيون المدينة بهذه الطريقة.

الوجبة: لما كان إجراء الماء من الجبال البعيدة بالطريقة التى سبق ذكرها يحتاج إلى رأس مال كبير وهذا يتوقف على ثروة وغنى مال. لا يقدر على ذلك فرد

بذاته ومن هنا كلما احتاجت جهة ما لجلب الماء تكونت شركة من أصحاب الأراضى التى فى تلك الجهة. وتقسم هيئة تلك الشركة ما تحت أيديهم من حدائق النخيل إلى أربع وعشرين حصة كما أنهم يقسمون كل حصة إلى أجزاء ويبيعونها. ولما كان بيع الحصة خارج أفراد الشركة غير ممكن يشترى أفراد هيئة الشركة هذه الحصص وبهذا الشكل يهيئون رأس المال اللازم وعندئذ يجرون الماء بعد عمليات الحفر فوق السطح وبعد أن يحفروا مجرى عظيمًا، يفتحون جداول خاصة لأراضى أصحاب الحصة ومهما كانت أجزاء الحصة فمجموعها تعد ساعة واحدة ولمثل هذه الساعة تطلق وجبة.

وكل شخص يملك عددًا من الوجبات من أصحاب الأراضى الذين حصلوا على الحصص بمعرفة الشركة المتشكلة يستطيع أن يحصل على ماء بقدر ما يملكه من الوجبات.

ومع هذا فبعض الوجبات عبارة عن ثلاثة أو أربعة أجزاء وكل جزء من هذه الأجزاء فى يد شخص واحد بناء على هذا التقدير يقتضى الأمر ألا يستطيع أن يأخذ مثل هؤلاء من أصحاب النخيل من الماء فى كل أربع وعشرين ساعة إلا فى فترة ربع ساعة. وبما أن ما يملكونه جزءًا صغيرًا فيمكن سقيه فى هذه الفترة بهذا المقدار من الماء. انتهى.

١ ـ عين كهف حرام:

كان هذا الماء فى غار بنى حرام الواقع فى الجانب الغربى من جبل سلع. والآن أمام مسجد النبى ﷺ وفوقه قبة مكملة؛ كان النبى ﷺ عندما وقعت غزوة الخندق يتوضأ من عين كهف بن حرام ليلاً ثم يدخل فى غار بنى حرام حيث يبيت.

٢ ـ عين الخفيف:

هذا الماء كائن فى وادى ناحية السُّنْح ويرد من عوالى المدينة.

وبُنَاءً على قول ابن النجار ان هذا الماء يتفجر من تحت صخرة ويسقى مزارع ناحية السُّنْحِ التى فى جدار مساجد الفتح. وانقطع هذا الماء مؤخرًا وأضرّ انقطاعه أصحاب المزارع وإن كان شمس بن زمن حفر طريقه وطهره قرب منبعه الذى فى جهة قرية قباء إلا أنه لم يوفق لجفاف منبعه.

٣ـ عين الأزرق:

هذا الماء أمام مصلى العيد (أى المسجد النبوى) وتحت قبة كبيرة. ومنبعه الأصلى بئر فى داخل حديقة الجعفرية وعلى الجهة الغربية من المسجد الشريف.

ولما كانت مياه هذه العين تقوم عليها حياة أهل المدينة أوصلها مروان بن الحكم إلى المدينة وبنى أمام مصلى النبى ﷺ موضع تقسيم عظيم وبهذا العمل قسم المياه إلى محال المدينة فتجرى المياه أولاً من هذا المقسم ويسقى بيوت الجهة الشرقية ابتداء ثم الجهة الشمالية ثم الجهات الأخرى من منازل المدينة.

٤ـ عين النبى:

كان هذا الماء بناء على قول ابن النجار بئرًا بجانب غار بنى حرام.

واندرس مجراه وانقطع ماؤه مع مرور الزمن. ولكننا إذا ما وفقنا بين الروايات المتخالفة يلزم أن يكون شرعة مقسم عين النبى وكانت هذه الشرعة معروفًا بمقسم عين الأزرق وتذكرنا أن منهل ماء الذكر شرعة عين النبى فإن ماء منبع عين الأزرق عندما جلب من قرية قباء إلى المدينة قد عثر على ماء عين النبى ووُحِّدَا وهذا غير بعيد من الاحتمال.

وقد فتح الأمير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء فى خلال سنة ٥٦٠هـ مجرى من مقسم عين الأزرق إلى باب المصلى وباب مصر ليحصن المدينة. وأوصل هذا المجرى إلى باب السلام وبنى مقسمًا صغيرًا أمام مدرسة زمنية وفرق الماء إلى المنازل التى تقع فى هذه الجهات، ثم أجرى الماء الزائد بواسطة مجرى حفره إلى مناهل المحلات التى حول سوق العطارين ثم طاف بالمجرى المذكور

خلف المدينة فى الجهات الشرقية والشمالية حتى أوصله إلى الساحة الرملية لمسجد السعادة حيث الفسقية وألقى مقداراً من الماء لإدارة هذه الفسقية. وصنع مقسمًا وبنى فوقه عقدًا وأنفق فى ذلك نقودًا لا تعد ولا تحصى.

٥ـ مسير العين:

هذه العين تَصُبُّ فى عين يطلق عليها عيون حمزة وهذا الماء أيضًا ينفصل من مقسم عين الأزرق ويجرى إلى القرب من سور المدينة بالمجرى الذى فى الجهة الشمالية ويصل من هنا إلى الطرف الشرقى من ساحة حصن الأمير الرملية حيث يسكن أمير المدينة ومن هنا إلى المقسم الذى بجانب مشهد النفس الزكية، وتتحد بعد ذلك بمجارى العيون الأخرى وتصب فى الحوض الذى ينصب بجانبه حجاج الشام خيمهم. وإن أهالى المدينة يعتقدون أن الماء الذى يطلق عليه عيون حمزة قد أجرى من قبل حضرة معاوية ـ رضى الله عنه ـ إلا أن الماء الذى أجراه معاوية ـ رضى الله عنه ـ قد خرب مجراه ونضب ماؤه. ومع هذا فالماء الذى جلبه يمر من الجهة الشامية من جبل سلع ويصب فى المقسم الذى بجانب مسجد الراية. ويخرج من هناك ويمر من الجهة الغربية لمساجد الفتح ويتوجه إلى منهل الأمراء. وبناء على ذلك فاعتقادات الأهالى فى هذا الخصوص كانت واهية والآن قد قضى على هذا الرأى وتبينت الحالة الحقيقية.

غريبة:

يروى عن جابر بن عبد الله أن معاوية ـ رضى الله عنه ـ أمر عامله فى المدينة بسرعة إجراء هذا الماء فأجابه قائلاً لا يمكن إجراء هذا الماء ما لم يمر بقبور الشهداء فأمره بنبش قبور الشهداء ونقل أجسادهم إلى مكان آخر، وبناء عليه فتح العامل القبور ونقل أجسادهم عامة حتى إن قدم حمزة ـ رضى الله عنه ـ أصابها فاس فدميت.

٦ـ عين الوادى:

هذه العين بجانب ضريح حضرة حمزة ـ رضى الله عنه ـ ولكن ماءها انقطع

مع مرور الأيام. وبناء على قول بدر بن فرحون، أن الشهيد نور الدين هو الذى أجرى أولاً هذا الماء وعمره بعد الخراب وأجراه الأمير ودى. وإن كان الماء الذى جلبه حضرة معاوية - رضى الله عنه - فى داخل هذا الوادى إلا أنه غاب تحت الرمل مع مرور الزمن وخربت مجارى الاثنين ولم يبق لهما اسم ولا أثر. ومازالت خرابتهما ظاهرة للعيان.

كانت أسماء ومنابع المياه التى ذكرت إلى الآن فى الأوائل مختلفة. ثم جمعت كلها وأوصلت إلى المقسم الذى صنعه مروان بن الحكم. ثم وزعت على مناهل محلات دار الهجرة. فأصبح اسمها كلها عين الزرقاء ولا يوجد فى المدينة المنورة ماء غير عين الزرقاء كان اسم عين الزرقاء القديم عين أزرق لأن مروان بن الحكم الذى جلب هذا الماء أزرق العينين وصادف ظهور هذا الماء لوقت ولايته؛ لذا أسموا الماء علين الأزرق وتسمية هذا الماء بهذا الاسم لا بأس به من قبيل تسميته الشىء باسم موجده.

وإن كان أهل المدينة قد حُلَّت مشكلة الماء بالنسبة لهم بعد أن جمعت المياه كلها فى عين واحدة هى عين الزرقاء إلا أن طرف عين الزرقاء لم تعمر لمدة طويلة وملأت السيول مجرى الماء بالرمال وخربته، فأصبح الناس بدون ماء مرة أخرى. وبناء عليه احتاج أهل المدينة لتضحيات كثيرة لجلب الماء من ولدى العقيق.

وعرض الأمر على السلطان سليمان فالتزم السلطان جانب إراحة أهالى المدينة بأى صورة كانت.

صدر الأمر السلطانى بذلك فعمرت طرق عين الزرقاء تعميراً جيداً وعمق مجراها القديم وطهر وهكذا أنقذ أهل المدينة من خطورة قلة الماء فى سنة (٩٣٢هـ) ولكن السيول المفزعة التى تظهر من حين لآخر والتى توقع أهالى الحرمين فى بحار الاضطراب خربت مرة أخرى مجرى عين الزرقاء فاشترى السلطان مراد خان فى سنة ٩٩٠ بئر غربال التى تزيد على عين الزرقاء بعشرة

أمثال وضمها إليها كما أن المهندس سليمان بك الذى أمر من قبل السلطان مصطفى بن السلطان محمد خان بتعمير مسجد السعادة فى سنة (١١١١) اشترى بئر العقد بأمر من السلطان وضمها لعين الزرقاء وطهر مجرى عين الزرقاء إلى وادى جُرْف. كما أن أمير الإسطبلات السلطانية مصطفى أغا عمر طرق المياه فى صورة منتظمة وذلك فى عهد السلطان مصطفى بن السلطان أحمد خان. وقد عرض أمر سكان المدينة الذين لن يتحملوا لمدة طويلة شح الماء على السلطان عبد المجيد، ولما كان كل أمل السلطان ألا يتعرض أهل الحرمين الشريفين لأية مضايقة، فأمر بتطهير المجرى المذكور في صورة كاملة.

ورصد لهذا الخصوص مبالغ طائلة وعين الموظفين المخصوصين وأرسلهم إلى المدينة. ولما وصل هؤلاء الموظفون إلى المدينة المنورة عاينوا وتفقدوا مع السادات والأعيان مجرى العين وقرروا البدء فى تطهيرها من جهة بئر خاتم، ولما كان فى هذه الجهة خمس عشرة حديقة فإذا ما طهر المجرى من هذه الجهة بناء على رأى سادات المدينة وأعيانها كان الأمر يقتضى قطع ما يقرب من مائة نخلة كثيرة الثمار وسيؤدى ذلك إلى خراب الحدائق وينتج عنه انقطاع الماء ما يقرب من ستة أشهر، وهذا سيزعج الأهالى ويضرهم، وعلى ذلك اعترض الموظفون على هذا الرأى واستصوبوا أن تتخذ بئر المرحوم على أغا الطويل وحفر مجرى جديداً بحيث لا يضر ذلك أحداً.

وأقنعوا بهذا الرأى عامة الأهالى وقرروا على أن يبدءوا فى الحفر بناء على النهج.

وهكذا أصبحت بئر على أغا الطويل المنبع الجديد لعين الزرقاء وكانت البئر داخل بستان يسمى عذق وتحت قبة خاصة.

وبناء على القرار المشروح شرع فى حفر المجرى يوم السبت السادس من ربيع الأول سنة ١٢٦٢ من بئر المرحوم عثمان أغا ووحدوا المجرى الذى حفروه ببئر خاتم التى فى بستان محمد باشا ومياه بئر الغربال التى فى داخل الرباط الذى أمام

مسجد قباء وبمياه بئر أهل القلعة وفتحوا طريقًا فى غاية الوسع والعمق. وكانت فى طريق المجرى الجديد بعض أشجار النخيل فلم تقطع ولم تقع فحفروا تحتها بعض الأنفاق وبنيت عليها عقود رصينة ومتينة.

ووسع المجرى القديم الذى كان فى غاية الضيق قدر مرور شخصين أو ثلاثة بجانب بعض وصنعت على غاية من المتانة وأنهى العمل بدون أن يتضرر إنسان. فرطب جميع أهل المدينة ألسنتهم بالدعاء لوالد الخليفة كثير المحامد. وكانت المنافذ فى المجرى القديم لدخول المارين وخروجهم أقل مما يحتاج إليه، ولما ثبت أن هذا كان سببًا من أسباب خراب المجرى فأضاف الموظفون عشرة منافذ من بئر على أغا إلى البركة فبلغ عدد المنافذ إلى مائتين وعشرة ويطلق بين الأهالى على هذه المنافذ قصية ولكى لا يمتلئ المجرى بالرمال التى تجلبها السيول أحاطوا كل منفذ بجدار فى ارتفاع ذراع معمارى على طراز حافة البئر.

وفى المدينة غير مجرى عين الزرقاء مجرى آخر لرى البساتين بالماء، ولما كان هذا المجرى أيضًا بالغ الأهمية فقد طهر وعمق على القدر المطلوب.

وطول مجرى الماء العذب من بئر على أغا إلى باب القلعة ٥٠٥ ذراع معمارى ومن باب القلعة إلى مشرع البركة ٥٨٥٧ ذراع معمارى وطول مجرى الماء العذب الذى تسقى منه محلة الأغوات من البركة ٩٣٩ ذراع ومجرى الماء المر ٩٣٣ وطول مجرى الماء العذب من المناخة إلى باب السلام ٥٩٠ ذراع وطول مجرى الماء المر ٧٠٠ ذراع والمجرى المستقيم من مشرع البركة إلى المنبع القديم ٧٢٢٩ ذراع والمقنطرات لتقسيم المياه إلى الميلة الخالية من العمارة ٦٠٠ ذراع. وطول المجرى المحفور عامة ٢٣١٢٣ ذراع و ٧٢٩ ذراع من هذا المجرى الطويل حفر لسقى المساجد والآثار والمدارس.

والمجرى الذى ذكر طوله يحتوى على ٣٦ بركة وعينًا وسبيلاً عشرة منها فى مجرى محلة الأغوات. وأربعة منها فى مجرى باب السلام. واثنتان منها فى مجرى المناخة، واثنتان فى مجرى القلعة، وثلاث منها فى مجرى سيدنا على العرضى والباقى بالقرب من بركة مشرع.

وجعلوا السبل الموجودة فى المناخة وسبل أخرى فى القلعة خاصة من أجل النساء والمياه الزائدة التى تبقى من هذه السبل تجرى ناحية وادى جرف لرى حدائق النخيل التى فى تلك الجهات.

الأسبلة: فى المدينة ثمانية عشر سبيلاً إضافة إلى مناهل عين الزرقاء، وهى التى صنعها أصحاب البر والخيرات وهذه مواقع تلك الأسبلة:

١ - سبيل فى المناخة فى شارع العنبرية

٢ - سبيل بالقرب من منزل أمير آلاى أحمد بك

٣ - بجانب منزل سيد جعفر

٤ - بجانب مسجد مصلى[(١)]

٥ - بجانب مصلى الإمام المشروطة.

٦ - بجانب مركز شرطة الخالدية.

٧ - بجانب الباب المصرى

٨ - بجانب مركز شرطة باب الصغير

٩ - بجانب منزل ذى النون أغا

١٠ - بجانب بيت الخليفى

١١ - بجانب وكالة الشريف شدقمى

١٢ - بجانب الباب الشامى

١٣ - فى حارة حرازى

١٤ - تحت ميقاتى باب السلام

١٥ - فى ديار عشرة

١٦ - بجانب رباط العجم[(٣)]

١٧ - بجوار زاوية سمان

(١) هذا السبيل من أوقاف سليم أفندى الذى كان من رجال السلطان عبد المجيد.

(٢) وقف الأميرة عادلة.

(٣) من أوقاف الشهيد نور الدين.

١٨ بجانب باب الرحمة

١٩ ـ بجانب باب الجمعة.

المياه المرة:

يقال على المياه المرة بين الأهالى العين السلطانى. ويأتى هذا الماء من قرية قباء ومن تحت مجرى عين الزرقاء إلى البلدة الطاهرة وبعد أن يطهر مع مياه المجارى والبالوعات التى حول حرم السعادة يتحد مع فائض مياه عين الزرقاء وتجرى نحو الحدائق، ولعين السلطان منهل بجانب جبل ذباب وبالقرب من ساحة مسجد الراية التى يطلق عليها قرين التحتانى.

ومجرى هذا المنهل ينقسم إلى ثلاثة جداول فى الجهة القبلية وفى النقطة التى تتصل بمجرى أبو جيدة ويسقى أحد هذه الجداول حديقة الصدقة التى تصرف فيها شركة سيد علوى سقاف والثانى الأراضى التى تملكها شركة سيد هاشم جمل الليل والثالث البساتين التى فى الجهة الشامية من وادى ذباب.

وإن كانت هذه المياه كافية لدفع حاجات أهالى البلدة الطاهرة، إلا أنها لا تقدر على سقى الحدائق التى أنبتت خارج السور تمامًا، ومن جهة أن الأراضى التى تستصلح والحدائق تزيد يومًا بعد يوم باطراد مع زيادة السكان فهيئت المياه المذكورة وخرجت إلى خارج المدينة ومازالت توصل؛ ومن هنا فجميع المدينة المنورة نجت من الحاجة إلى المياه.

المياه التى فى الجهة القبلية من بلدة الرسول:

وإن لم يكن منبع العين الكبيرة معروفًا إلا أن مبدأ مجراها بجانب حديقة تسمى مرجلين. وحديقة مرجلين وسط الربوة التى تصادف الطرف الشرقى فى سيل وادى رانوناء والذى يجرى من قرية قباء فى الجهة الغربية من ناحية بطحاء إن الأراضى التى فى الجهة القبلية من مهجر الرسول أكثرها صخرية ومواقعها المستوية كلها أشجار النخيل وبما أنه لا يمكن نقب وثقب هذه الحجارة والصخور بحفر جدول وإجرائه من بين أشجار النخيل فإنه لا يوجد فى هذه الجهة ماء غير

العين الكبيرة. ولأجل رى هذه البساتين فى فصل الصيف يعتمدون على آبار قباء وقربان. إلا أن المياه تتكاثر فى الشتاء ولا تمس الحاجة إلى الآبار. والحدائق التى زرعت وتزرع فى تلك الجهات تنبت العنب والرمان والليمون الحامض والحلو، الموز، والخوخ، الكباد شمام الشجرة، والتين الأفرنكى والأشجار المختلفة ومن الأزهار الورد والفل والحبق والأزهار الأخرى التى تزين الحدائق والبلح الذى تثمره نخيل هذه الأراضى يرجح على جميع أنواع البلح التى فى الجهات الأخرى. وسبب ذلك عذوبة مياه قرى قباء وقربان، وإن كانت مياه قرية العوالى عذبة أيضًا إلا أن أراضيها غير صالحة لإنبات الأشجار والأزهار وأراضى هذه الجهات صالحة لزراعة النخيل وشجرة النبق والحبوق المتنوعة وتبعد هذه القرى الثلاث عن المدينة خمسة أذرع وتستغنى أشجار النخيل التى تنبت هنا عن الرى وأكثر هذه الأشجار ملك عربان صيارين وجزء منها ملك أهالى المدينة.

يمضى عربان الصيارين الصيف فى هذه الحدائق وفى الساعة التى يأخذون فيها محاصيل البلح ينقلونها إلى بلادهم. وقد شغف الناس بزراعة النخيل فى أيامنا هذه فى هذه الجهات، ولو استمروا على ذلك عامًا أو عامين على زرع النخيل، لاتصلت الحدائق بالسور الخارجى للمدينة.

أما إذا ما تحدثنا عن مياه الجهة الشرقية فنجد أن الجهة الشرقية للمدينة أرض صخرية ومن ثم يجرى ماء هناك إلا نهير وادى القناة، ويسمى هذا النهير مسيل حمزة ومن مجراه يتشعب أحد عشر جدولاً، وبعض هذه الجداول جارية وبعضها الآخر نضب ماؤها وخربت مجاريها، والنخيل الذى فى الحدائق إنما يسقى بماء المطر كالأشجار التى تنبت طبيعيًا، لأجل ذلك لا يستفيد أصحاب هذه الأراضى منها.

والأراضى التى بين الحرة الشرقية وسور المدينة لا تنبت زرعًا، وهى أرض سبخة، وإن كانت فى الواقع فى هذه الجهة من المدينة أشجار مثمرة مثل أشجار

النخيل والسدر والرمان، وهذه الأشجار فى ناحية باب الجمعة من السور وفى عدة حدائق.

والمسافة بين داخل السور والموقع الذى يطلق عليه «دشم» من الحرة الشرقية ألفا ذراع[1]. والمياه التى فى ناحية الشام هى:

عين الأغوات:

وهذا الماء ملك أغوات الحجرة المعطرة ومن لهم حصص فيه، وبعد أن يسقى حدائقهم يروى حدائق الأهالى التى بجانب جبل ذباب.

عين سيد هاشم:

هذا الماء على يسار الذاهبين من المدينة إلى بئر عثمان وفى الجهة الغربية من عين الأغوات وقد أجراه سيد هاشم جمل الليل وبعض الأهالى فى سنة ١٢٩٩هـ، وعين الأغوات من مجموع المياه التى أجريت فى تلك السنة.

عين الصدقة:

هذا الماء فى جزء الصدقة الواقع فى الجهة الشرقية من عين الأغوات وعين سيد هاشم وملك السيد علوى السقاف وشيخ الفراشين برى أفندى وكافٍ لسقى ألفين من أشجار النخيل الموجودة.

العين الجديدة:

هذه العين على بعد ربع ساعة فى الجهة الشامية من المياه المذكورة وإن كان صاحبها شيخ السادات العلوية سيد حسن بافقى أفندى والذين لهم حصص فيها. فامتلأ منبعها وجف، مبدأ جريانه الذى فى حرة المستراح.

عين عامرة:

هذا الماء منسوب لشركة موسى أفندى وفى اتصال أراضى أصحاب العين

(١) «الذراع» فى طول أربع بوصات متوسطة، «السرة» المسافة ما بين الأصبع الكبير والسبابة.

الجديدة. ويسقى حديقة السرائية وفى هذه الحديقة غير الرمان والتين ثلاثة آلاف نخلة.

عين الحازمية:

ماء الحازمية في ناحية أراضى الحديقة التى ترويها عين عامرة. وفى الطرف الغربى منها. والحديقة التى يسقيها هذا الماء تشتمل على ألف وخمسمائة نخلة وملك السيد مدنى المنوفى وصاحب الحصص. ونصف هذه العين يسقى حدائق السيد مدنى وبنى على أيضًا.

عين مصرع:

تروى هذه العين ألف نخلة، ولما خرب مجراها قبل ثلاثين سنة انقطعت.

تلك العين المذكورة ماء قديم ما يقرب من خمسمائة عام كانت تسقى أراضى الشريف ورى التى أمام وادى القناة والتى تمتد على يمين ويسار الطريق الذى من المدينة إلى مشهد حمزة. وفى فترة ما اشترى معظم هذه الأراضى السيد عبد الواحد المدنى وأراد أن يشترى الباقى من شريكه بنى على. إلا أن بنى على لم يرضوا بيعها وحاولوا بأنفسهم أن يطهروا المجرى فلم يستطيعوا؛ وقل الماء، وتوفى السيد عبد الواحد فبيعت حصته من قبل ورثته إلى السيد مدنى. وأراد السيد المدنى أن يشترى الماء الذى أراد شراءه عبد الواحد من بنى على فلم يوفق فى ذلك. وترك مجرى عين مصرع التى لم يستطع بنو على تعميرها فى حالة متخربة وفتح الماء الذى يخصه مجرى آخر واشترى من أجل سقى أراضيه التى فى مصرع ثمانى وجبات من الماء من عين الحازمية، واشترى بنو على ثلاث حصص ونصف حصة من الماء من عين الحازمية واضطروا لرى الأراضى التى يمتلكونها فى عين مصرى.

إن ما قام به السيد المدنى من محاولة غير لائقة أدت إلى جفاف نهير كان يجرى من خمسمائة عام.

عين شربونى:

هذا الماء فى سفوح جبل أحد الذى يقع فى الجهة الشامية من مسيل حمزة، وبما أن مجراه قد خرب فانقطع ولم يبق فى الحديقة التى كان يسقيها إلا خمسون نخلة وشجرة سدر.

عين الثنايا:

يطلق على هذا الماء عين معاوية أيضًا، وهى فى الطرف الغربى لمسجد حمزة وهى تحت إدارة أبى السعود أفندى الداغستانى المفتى السابق وأصحاب الحصة فيها، وتوجد فى الحديقة التى تسقيها غير الأشجار المثمرة المتعددة أربع آلاف نخلة.

عين السلامة:

هذه العين فى الطرف الغربى لعين الثنايا وتحت إدارة شركة أبى السعود أفندى ومجراها من أعظم مجارى مياه المدينة وأقواه وأسلمه وما تسقيه من الأراضى أجود محصولاً من أراضى المواقع الأخرى، وتسقى ما عدا أشجار التين والليمون، والرمان ما يقرب من خمسة آلاف من أشجار النخيل.

عين غرابية:

هذا الماء فى غرب عين سلامة واسمه الآخر عين جنانية، إلا أن مجراه خرب ولما كان ملاكها متخاصمين انقطعت العين عن الجريان. ولم يبق فى الحديقة التى كانت تمر منها إلا ألف وخمسمائة نخلة.

عين سيد عبد الله: وماء سيد عبد الله، فى الطرف القبلى لعين غرابية وفوق مسيل الوادى وكان يمتلكها كاتب الخزينة النبوية المرحوم سيد عبد الله جعفر أفندى وتروى حديقة تحتوى على سبعمائة نخلة.

إخطار: تتجمع مياه أسبلة حمزة سبيل أبى جيدة وسبيل رانوناء، وسبيل عقيق وتلتقى فى نقطة واحدة وتجرى معًا فى مجرى واحد إلى وادى الغابة، وأراضى العيون التى تسيل فيها مجتمعة قسمان:

١ـ القسم الأول:

سفوح جبل أحد الشرقية، والجهة التى يمتد إليها الوادى المذكور إلى موقع الحيدرية يقال لها الجزع الشرقى.

٢ـ القسم الثانى:

الجهة الغربية من الوادى يطلق على هذه الجهة جزع الصادقية.

جزع الصادقية: من يريد أن يذهب إلى جزع الصادقية بطريق البركة إلى الصادقية ومن يريد أن يذهب إلى الحيدرية يدخل فى شارع الجزع الشرقى، ويذهبون إلى الحيدرية من بين حدائق عين سلامة وعين غرابية. انتهى.

وما عدا الحدائق التى ذكرت أعلاه خمس وثلاثون حديقة أخرى تحتوى على ثلاث آلاف وخمسمائة نخلة مثلها من العيون والعيون التى انقطعت مياهها والتى ينتظر أن يجرى ماؤها فى خلال سنتين أو ثلاث والتى لم يغرس نخيلها خارج هذا الحساب. ولما كانت هذه العيون والحدائق على الجهات للأربعة لمدينة الرسول، فإذا ما أبعدت عن المدينة مسافة خمس أو ست ساعات وسقيت بالعيون التى مازالت جارية الحدائق التى انقطعت مياهها وأشجار النخيل المغروسة فيها كثيرة بحيث تحير العقول. وغير هذه الحدائق حدائق متعددة منتظمة فى الجهة الشامية خارج سور المدينة وبساتين إلا أنها تروى بمياه الآبار وإذا ما قورنت هذه الحدائق بالحدائق التى تروى بالمياه الجارية فهى أقل من القليل لأن الحدائق التى فى هذه الجهة من البلدة الطاهرة تروى وتسقى بالمياه الجارية أى من الجداول والعيون.

ولكن قد حفر كثير من الآبار حتى لا تترك الحدائق والبساتين دون ماء حينما يشح الماء فى العيون.

الحدائق القريبة من سور المدينة فى الجهة الشامية من البلدة المقدسة هى: الداودية، حديقة ألزكى، السبيل، بضاعة، بضيعة، الطرناوية، الفيروزية، الزينية، الدرويشية، بئر حاء، بئر حاء الصغيرة، التوانيه، الجودية، الكاتبية، السمانية،

عبد الجليل برادة أفندى، الروميه ولم يفصل بين السور والحدائق غير طريق واسع وقد اتصلت الجهة الشامية من هذه الحدائق حتى حصة الصدقة وشملها العمران. وفى كل حديقة قصور عظيمة مرتفعة والدواوين والأحواض التى تملأ بالدلاء وتنبت فيها ثمار وفواكه مثل البلح والعنب والرمان والتين والسدر وأشجار مثمرة أخرى. والقسم الأعظم من محاصيلها ملك أغوات حرم السعادة.

وإن كان فى الجهة الشرقية من المدينة المنورة كثير من حدائق النخيل والبساتين إلا أنها ليست جميلة مثل الحدائق القريبة من السور. ولكن فى الحدائق التى خارج باب قباء مبان ساحرة وإن كانت فى الجهة الشامية من المدينة، نحو جبال الغابة فى طول خمسة وعشرين ألف ذراع من الأراضى إلا أن معظمها غير مزروع، واستصلاح هذه الأراضى يحتاج إلى حفر آبار وإعداد عيون. وقد كثرت مجارى وقنوات الأنهار التى فى الجهة الشرقية والقبلية وإجراء العيون بحفر المجارى والجداول سيخرب مزروعات هاتين الجهتين وحدائقها؛ لذلك فهذا غير جائز.

وإضافة إلى عين السيد علوى سقاف والسيد هاشم جمل الليل وعين الأغوات. المياه الجارية التى فى هذه الجهات تسير مجاريها عن طريق الجهة الشرقية من البقيع الشريف وتمر من وسط الحدائق وأشجار النخيل التى تنبت من نفسها نحو مسيل أبى جيد. ومنابع هذه المياه، كما ذكرت آنفًا فى مسيل حمزة ودويخلة، ومنابع بعضها فى وادى جرف؛ ولهذا فمياه عموم أنهارها مر، وبما أن مياه جزع الصدقة من آبار وادى جرف فهى عذبة وصالحة لرى الأشجار وبئر عثمان بئر من آبار جرف.

وتروى مزارع الجهة الغربية من البلدة المسعودة وهى فى منتهى ذى الحليفة بمياه الآبار. لأنه لا توجد مياه جارية فى هذه الجهة منها. وإن كانت شركة سزنى قد أعدت عينًا فى سنة ١٣٠١هـ وبما أنها لم تغرس بعد أشجار النخيل فالحدائق التى على الجهات الأربعة لهذا الماء تروى بماء الآبار. ولما كانت هذه الآبار قليلة

وعميقة فيتم الحصول على مائها بعد مشقة شديدة. وفى الحرة الغربية على جانب مجرى سيل العقيق كثير من الآبار والمزارع يقال لها عنابس، وعندما ينزل من المدرج إلى وادى نقاء توجد بعض المزارع والحدائق، الحديقة الكبيرة المتصلة بالجهة الشرقية للحرة تقع فى الجهة القبلية لمعسكر الجنود السلطانية. وكانت هذه الحديقة تتبع إلياس تاج الدين فباعها قبل عدة سنوات لعبد الله عرب الميمنى. وعلى الطرف القبلى من تلك الحديقة حديقة مغيسلة التى يمتلكها عمر زاهد أفندى. ومياه هاتين الحديقتين عذبة والمبانى التى فى داخلها فى غاية الرصانة والمتانة وغير ذلك فمغروساتها حسنة وآبارها غير عميقة قريبة المياه.

الوجهة الثامنة عشرة
تشتمل على أربع صور وتبين ما ينسب
إلى النبى صلى الله عليه وسلم
من الأوقاف الشريفة والمساجد التى بين الحرمين
والمساجد التى أدى فيها الصلاة فى أثناء الغزوات

فى ذكر ما ينسب
إلى النبى صلى الله عليه وسلم من صدقات

روى ابن شهاب أن جميع الصدقات النبوية تتكون مما ترك وتبرع مخيريق[(١)] من أحبار اليهود من الأموال، وكان مخيريق المذكور من أصحاب الثروة والغنى وبما أنه أرباب العلوم العقلية والشرعية أعتقد بان النبى ﷺ خاتم الأنبياء الذى بشرت الكتب السماوية قدومه فرغب فى أن يسلم قبل جميع الناس. ولكنه لم يرد أن يحدث سوء تفاهم بينه وبين معاندى اليهود، فلم يظهر شعائر الإسلام، ولما ظهرت شرارة غزوة أحد وشرع النبى ﷺ فى الحرب، فجمع مخيريق أعيان طوائف اليهود ورؤساءهم وألقى خطبة مؤثرة إذ قال لهم: «بناء على أحكام الكتب المنزلة فمحمد ـ عليه وعلى آله صلوات الله الأمجد ـ الموجود الآن فى ساحة المعركة نبى آخر الزمان، وحسب الديانة لنذهب حتى نعينه ولما قوبل بجواب خلاف أفكاره المخلصة قال إن هذا اليوم هو اليوم الذى ينبغى أن نظاهره فيه ونفدى فى سبيله بأرواحنا» وانطلق إلى حومة الوغى.

وأعلن إسلامه أمام النبى ﷺ وقال إذا ما نلت الشهادة أرجوك أن تقبل جميع ما أمتلكه من أموال!!! ثم دخل فى الحرب وبعدما قتل بعض الأعداء نال الشهادة ونال ثناء النبى ﷺ عليه إذ قال: «مخيريق خير اليهود».

وروى عبد العزيز بن عمران أن مخيريق من بقايا يهود بنى قينقاع.

كما روى الإمام الواقدى بأنه من أخيار أحبار يهود بنى النضير.

وقال الإمام الذهبى بما أنه صدق نبوة محمد ﷺ فهو من جملة الصحابة الكرام.

قال الإمام الواقدى: ظل مخيريق على اليهودية ولم يسلم وتوفى فى معركة

(١) انظر: الإصابة ٦/ ٧٣، الدرر ص ١٥١. الطبرى ٢/ ٥٣١ ابن هشام ٣/ ٢٩.

أحد، ودفن فى مقبرة المسلمين ولكن لم يصل عليه وادعى بهذا القول عدم إيمان مخيريق، ولكن ابن شهاب فند قول الواقدى هذا وقال: «كان مخيريق ترك جميع ما يملكه إلى النبى ﷺ وأهداه له واستشهاده فى معركة أحد باعث لقول النبى ﷺ «مخيريق سابق اليهود، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة».

وإذا ما نظرنا إلى ما يفيد الحديث الشريف الذى يصرح بإسلام مخيريق يلزم أن نحكم أن الإمام الواقدى أخطأ فى قوله هذا».

والذى عرض مخيريق للنبى ﷺ سبعة أموال:

١ ـ دلال

٢ ـ برقة

٣ ـ أعواف

٤ ـ صافية

٥ ـ ميثب

٦ ـ حسنى

٧ ـ مشربة أم إبراهيم(١).

وهى سبع مزارع، فأوقف النبى ﷺ ـ جامع مكارم الأخلاق ـ الأموال السبعة كلها.

وأربع من المزارع السبع وهى صافية، برقة، دلال، ميثب، فى مكان يسمى عالية خلف قصر مروان بن الحكم وهى متقاربة بعضها من بعض ومتجاورة وكان يسقى بالماء الذى يمر من وادى مهزور، وفى عصرنا يطلق على مزرعة صافية، زهيرة وهى فى الطرف الشرقى للمدينة المنورة، ومازالت برقة حديقة معروفة بهذا الاسم فى الجهة القبلية لزهيرة وحديقة دلال التى وقفت لمدرسة الشهابية بجانب حديقة برقة. وهذه الحدائق الثلاث متصلة بعضها ببعض ومن المحتمل أن حديقة مثيب أيضًا بالقرب من هذه الحدائق أو متصلة بها. ولكن فى زماننا هذا ليس هناك شخص يعرف مكانها.

(١) تقال لفظة مشربة على البيت العالى.

ومشربة أم إبراهيم بجانب مسجد المشربة كما بين فى فصل المساجد و حسنى في ناحية قف وكانت تسقى بماء وادى مهزور.

والحديقة المسماة بحسينات بالقرب من جزع دلال وقريبة من ماجشونية. يظهر أنها مكان عرصات مشربة وحسنا. ومزرعة أعواف فى محل يسمى ببئر أعواف وهذه أيضًا تسقى بماء وادى مهزور. وعلى هذا التقدير فالأموال السبعة كلها موجودة ولكن تغيرت أسماؤها مع مرور الزمان.

والمزارع التى عرفت أماكنها من مزارع الصدقة انتقلت كلها من مخيريق وهذا معروف لدى أئمة السير. إلا أن المؤرخين اختلفوا فى تعريف الصدقات النبوية فقال بعضهم. الصدقات النبوية من أموال بنى قريظة وبنى النضير. حتى إن مزرعة دلال كانت ملك امرأة من قبيلة بنى النضير وقد غرست أشجارها من قبل الصحابة بشرط أن تطلق سراح عبدها سلمان وتحرره.

وذهب بعضهم إلى أن الصحابة غرسوا أشجار مزرعتى برقة ومثيب للزبير بن باطاء القرظى لعتق سلمان الفارسى - رضى الله عنه - وأن مزرعة أعواف كانت ملك امرأة تسمى خناقة من بنى قريظة.

وقد أنعم الله - سبحانه وتعالى - بأموال بنى قريظة وبنى النضير وأهل فدك التى فتحت وأخذت بدون حرب قال الله تعالى:

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال) (الحشر: ٧)

وقسم النبى ﷺ أكثر أموال بنى النضير للمهاجرين وأخذ لنفسه مزارع مخيريق السبع. ثم انتقلت هذه المزارع السبع إلى أيادى بنى فاطمة لأن السيدة فاطمة - رضى الله عنها - ذهبت إلى أبى بكر الصديق فى عهد خلافته وطلبت الأموال

المذكورة نصيب الرسول ﷺ من غنائم فدك وخيبر إلا أن أبا بكر الصديق رفض إعطاءها محتكمًا إلى الحديث الشريف «نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة»

إلا أن على بن أبى طالب وعمه عباس - رضى الله عنهما - طالبا بالأموال المذكورة من عمر الفاروق فى عهد خلافته، فاتفق الخليفة معهم على إعطائهما أموال مخيريق السبعة دون حدائق فدك وخيبر قائلا: «يجب عليكم أن تديروا أمر هذه المزارع السبع كما أدارها النبى ﷺ وخليفته أبا بكر» وأعطاهما هذه الأموال بشرط توليه إدارتها. وإن كان بعض المؤرخين يدعون أن السيدة فاطمة - رضى الله عنها - قد غضبت من أبى بكر الصديق فى هذا الخصوص إلا أن رأى أبى بكر الصديق كان إدارة الصدقات النبوية من قبل خلفاء النبى ورأى عمر كان أن يتولى إدارتها العباس بن عبد المطلب مع على بن أبى طالب. وبناء على هذا عندما سمح عمر بن الخطاب لعباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب تولى إدارة الصدقات النبوية اتفق معهما على أن تدار بناء على الشروط المشروحة.

وتولى إدارة الصدقات السبعة بعد سيدنا على بن أبى طالب الحسن بن على وبعده أخوه الحسين بن على وبعده على بن الحسين والحسن بن الحسين، ولما تولى بنو عباس عرش الخلافة والحكم أخذوا إدارة الصدقات من أيدى أبناء فاطمة وتصرفوا فيها كما يشاءون وأسندوا إدارتها لمن يريدون وأخذوا يوزعون محاصيلها لفقراء المدينة المنورة.

واضحة: يروى بعض المؤرخين أن السيدة فاطمة - رضى الله عنها - غضبت من أبى بكر الصديق كما ذكر آنفًا ولكن ليس لهذا الموضوع أصل ولا أساس وكانت المشار اليها عقب وفاة النبى ﷺ قد قالت لأبى بكر الصديق مخاطبة كان النبى ﷺ أنعم على فى حياته بحدائق نخيل فدك.

ويعرف هذا زوجى على وأم أيمن وإذا اقتضى الأمر يشهدان بذلك. وبناء على ذلك أطلب أن تكون لى النظارة على ذلك النخيل. فإذا أثبت أن النبى ﷺ

قد وهب لك نخيل فدك وملكك لا أتردد فى إحالة نظارتها عليك. فقال لها ما معناه: وأنت تعرفين جيدًا أنه إذا كانت شاهدة دعوة من الإناث، فإنه بمقتضى شريعتنا أن شهادة امرأتين تقوم مقام شهادة رجل واحد ومن هنا يلزم أن تأتى شاهدة أخرى مع أم أيمن.

ولما رأت هذه الإجابة الصحيحة تنازلت عن القضية. وما يقوله المؤرخون بأن السيدة فاطمة غضبت من أبى بكر جراء هذه الواقعة. لا يصح لأنه لم يظهر بين المشار إليهما أى نزاع يوجب أن يغضب أحدهما الآخر؛ لأن الصديق ـ رضى الله عنه ـ لم يقل قولاً خارج الشريعة الغراء حتى يغضب فاطمة ولم يظهر فى حقها أقل شيء يسئ إليها ويزعجها.

وطالب على ابن أبى طالب بحدائق النخيل تلك فى خلافة عمر بن الخطاب وأرضاه بدرجة ما. إلا أن العباس بن عبد المطلب بين استحقاقه لتلك الحدائق وأنه يستحق كذلك حدائق نخيل فدك وحدائق خيبر وأطال القول فى هذا الموضوع وأوصل الموضوع إلى درجة الخصومة ومن هنا طالب على بن أبى طالب عمر الفاروق بأن لا يعطى لأى واحد منهما حتى لا يكون الموضوع باعثا على الخصومة. وظلت المسألة مسكوتًا عنها إلى عهد عمر بن عبد العزيز. ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أظهر تعظيمه وحرمته لآل النبى ﷺ بأن سلم نخيل فدك لأولاد فاطمة. إلا أن تلك الحدائق قد استردت فيما بعد وهكذا أوذى أحفاد النبى مرة أخرى وأهينوا وكان عمر بن عبد العزيز قد أسعد بنى فاطمة وجبر خاطرهم بأمر واليه فى المدينة فى أوائل جلوسه على عرش الخلافة بأن ملك نخيل فدك لأبناء على بن أبى طالب ولآل النبى ﷺ إلا أن يزيد بن عبد الملك الذى تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز استرد نخيل فدك وترك آل بيت الكرام فى براثن العوز والحاجة إلى أن رد السفاح العباسى فى أثناء جلوسه على عرش الخلافة تلك الحدائق إلى أبى الحسن بن الحسن بن على ـ رضى الله عنهم ـ فأجبر خاطرهم. وإن كان أبو جعفر المنصور أهان أهل البيت وجفاهم واسترد منهم حديقة فدك وترك شجرة سعى السفاح دون الثمار. ولكن عندما جلس

المهدى على كرسى الخلافة استهجن عمل والده ورد نخيل فدك إلى أحفاد على بن أبى طالب وأسعدهم ولكن موسى الهادى أخذه منهم وترك المشار إليهم فى حالة حزن وألم وأصبح أخذ نخيل فدك من أبناء فاطمة و إعطائها لهم عادة بين الخلفاء، وقد تحمل العلويون هذه الحقارة إلى عهد المأمون العباسى المصون من الظلم، ولكنهم بعثوا فى عهده رسولاً وطالبوا الخليفة بنخيل فدك للعلويين بالشرط المذكور سابقًا. وبينوا أنه غير قابل بعد ذلك للاسترداد. وذلك فى سنة (٢١٢هـ) واستهجن أسافل الناس موقف المأمون وأنشدوا البيت الآتى فى معرض الاستهزاء.

البيت العربى

أصبح وجــه الزمـــان قد ضحكا برد مأمــــون هاشــم فدكا

وفى رواية أخرى أن معاوية بن أبى سفيان أقطع نخيل فدك لمروان بن الحكم.

كما أن ابن الحكم وهب نصفه لعبد العزيز وعبد الملك. ولما جلس عمر بن عبد العزيز على عرش الخلافة وهب حصته والحصص الأخرى لبنى فاطمة وملكهم.

وعلى رواية أن عثمان بن عفان هو الذى ترك وأقطع فدك لمروان بن الحكم. ولكن الرواية الأولى أقوى من الرواية الثانية.

فى ذكر المساجد النبوية التى بين الحرمين

إخطار:

ليس بخاف أن تلك المساجد تقع فى طريق النبى الذى سلكه من المدينة إلى مكة المكرمة. فهذا الطريق معروف باسم طريق الأنبياء وهذا الطريق يتفرع من الروحاء ومسجد غزالة ويتجه نحو قريتى خيف والصفراء ومن هناك يمر إلى مكة المكرمة. وإن كان هذا الطريق أقصر الطرق إلا أن قوافل الحجاج لا تسلك هذا الطريق منذ فترة وبظهور بعض الموانع ترك الحجاج السير فى ذلك الطريق المليئ بالفيض والبركة. والآن يمرون من شارع الروحاء ومضيق جديدة وأحيانًا أخرى يمرون بالصفراء ومن محل قريب من ساحة معركة بدر الكبرى، ويقال لهذا الطريق السلطانى، والذين يسلكون الطريق السلطانى يحرمون من زيارة المساجد التى سيأتى ذكرها إلا أنه فى السنين الآمنة تسلك الحجاج الطريق الذى فيه المساجد المذكورة، وغرضنا هو أن نذكر ونبين المساجد النبوية المأثورة وبيان المواقع التى صلى فيها الرسول ﷺ وبهذا نكون قد خدمنا العالم الإسلامى؛ فإذا ما ذكرنا وعرفنا طريق الحرمين فقط فلا نكون قد تبركنا بذكر المساجد النبوية وهذا ما نقصد إليه. ومع ذلك ستعرف طرق القوافل التى يسلكها الحجاج فى ذهابهم وإيابهم إلى الحرمين فى صورة خاصة. انتهى.

١ - مسجد الشجرة:

اسم هذا المسجد الآخر مسجد ذى الحليفة ويقع فى ميقات المدينة المنورة وبجانب شجرة يطلق عليها سمرة من جِيْشٍ[1] أُمّ غَيْلاَن، وكان النبى ﷺ كلما حج أو اعتمر يصلى تحت هذه الشجرة ثم يلبى حيث الجمال ويقضى ليله فى ذلك المكان؛ ومبانى هذا المسجد المقدس كبيرة جدًا وله بعض العقود فى جهته

(١) الجيْشُ: نَبَاتٌ له قضبان طوال خضر. اللسان (جيش) وَأم غَيْلاَنَ: شجر السَّمُرِ. اللسان (غيل).

القبلية وله فى الجهة الغربية الشمالية مئذنة. وقد خرب بمرور الأيام واندرس أساسه، فجدده زين الدين الاستدارى المصرى فى سنة ٨٦١هـ وبنى حوله سوراً كما صنع للآبار التى بجواره سلالم لكل واحدة منها. وجهات ذلك المسجد الأربعة السطحية من الداخل اثنين وخمسين ذراعًا. ومازال عامراً إلى الآن. ولما كان مرويًا أن النبى ﷺ قد صلى على ساحة مسجد الشجرة فى الجهة القبلية بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك المكان مسجدًا صغيراً.

٢ـ مسجد المعرس:

إن مسجد المعرس اللطيف اسم المسجد الذى بناه عمر بن عبد العزيز فى ذى الحليفة ويحرم الحجاج الكرام فى مسجد الشجرة. وبين هذين المسجدين مسافة مرمى السهم، فخربت السيول التى نزلت مسجد المعرس وملأت ساحته بالرمل فمكانه مجهول الآن.

كان النبى ﷺ، كما سبق ذكره أعلاه، عندما يسافر إلى مكة المكرمة للحج والعمرة كان يصلى تحت تلك الشجرة التى بنى مكانها الآن المسجد، وعند عودته يبيت فى ساحة بطن الوادى الرملية ويستريح حتى الصباح، وفى ليلة عندما كان فى بطن الوادى قد نال شرف خطابه فى رؤياه أنك فى بطن البطحاء الآن وكان ذلك الوادى السعيد وادى العقيق وكان قضى ليلة بجانب ذلك الوادى.

وكلما كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يحج اعتاد أن يقضى ليلة حيث قضى النبى ﷺ ليله وذلك المكان المقدس بين الطريق المشهور المذكور وبطن الوادى.

٣ـ مسجد شرف الروحاء:

يروى أن النبى ﷺ أدى الصلاة فى مسجد شرف الروحاء، ولما كان المسجد المذكور قريبًا جدًا من مكان شرف الروحاء فسمى بمسجد شرف الروحاء وهو مسجد صغير فى غاية الصغر. وبناء على الرواية التى تنقل عن عبد الله بن عمر أن ذلك المسجد الصغير يظل على يمين الذاهبين إلى مكة المكرمة وعلى مرمى

حجر من المسجد الكبير الذى يسمى مسجد الروحاء. والمسافة من مسجد شرف الروحاء إلى موقع السيالة ميلان، ومن مسجد الروحاء إلى موقع السيالة أحد عشر ميلاً ومن السيالة إلى ملل حيث سكن حسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ وبعض القرشيين سبعة أميال.

وفى موقع ملل عدة آبار إلا أن مياه هذه الآبار ليست عذبة مثل بئر السويقة التى تبعد مسافة ميل واحد. وبئر سويقة ملك عبد الله بن الحسن ـ رضى الله عنهما ـ ولكنها انتقلت فيما بعد لأيدى الأعداء.

وشرف الروحاء فى نهاية حدود الوادى الذى يسمى سيالة. وقريب من المسجد الذى عرفناه وما بين شرف الروحاء والسيالة مفصول بمكان يسمى صُخَيْرَات اليَمَام ولأجل ذلك من يهبط من موقع ملل ويدور نحو اليسار ويستقبل القبلة يكون قد دخل فى سيالة.

وبجانب مسجد شرف الروحاء مقبرة تشتهر بأنها مقبرة أهل سيالة ويروى أن هذه المقبرة مقبرة أهل بيت رسول الله الذين استشهدوا غدراً وهم يقيمون بجانب بئر سويقة. والذين ينزلون من مسجد شرف الروحاء إلى وادى الروحاء مستقبلين القبلة يدخلون وادى بنى سالم وقوم بنى سالم قبيلة من جماعة بنى حرب.

٤ـ مسجد عرق الظبية:

يقع هذا المسجد على بعد ميلين من الروحاء. قد صلى النبى ﷺ فى هذا المكان صلاة الفجر. وهنا تذاكر مع أصحابه التدابير العسكرية لغزوة أحد وتفضل قائلاً: هذا الجبل جبل من جبال الجنة فليباركه الله لنا ولأهله، وهذا الجبل يلطف جو الروحاء وهذا الوادى من وديان الجنة، قد صلى فى هذا المكان سبعون ألفًا من الأنبياء.

والذين يريدون أن يعثروا على المكان الذى صلى فيه الرسول ﷺ، ثم بنى عليه المسجد، ليصلوا فيه يجب أن ينزلوا إلى الروحاء ويتوجهوا إلى الجهة

القبلية وعند الوصول إلى محاذاة طريق الجبل الذى على الجهة اليسرى يستدار إلى الجهة الغربية ويسار إلى سفح الجبل؛ لأن المسجد الشريف على يمين ذلك الجبل.

وأول ما يصادفه الذين وصلوا إلى سفح الجبل هو موقع المسجد الشريف. وإن كانت أبنيته خربة مندرسة ولكن من الممكن التشرف برؤية موقعه اللطيف.

٥ـ مسجد الروحاء:

هذا المسجد بجانب بئر الروحاء فى وادى الروحاء. وعندما ذهب النبى ﷺ إلى غزوة بدر قام من موقع عرق الظبية ووصل إلى الروحاء فى يوم الأربعاء وكان نصف شهر رمضان فاستراح قليلاً وصلى. وكانت آبار عدة فى وادى الروحاء فى ذلك الوقت. ثم انهارت كلها وامتلأت بالرمل ولم تبق سوى بئر الروحاء وخرائب تلك الآبار.

٦ـ مسجد المنصرف:

يسمى كذلك مسجد الغزالة ويقع أسفل الجبل الكائن فى نهاية وادى الروحاء وبينه وبين الروحاء ثلاثة أميال. ويظل على يسار من يذهبون إلى مكة المعظمة وكان عبد الله بن عمر لا يصلى فى داخل هذا المسجد بل يستدبر مسجد المنصرف ويستقبل مكانًا يسمى عرق ويصلى وكان يقول إن النبى ﷺ صلّى فى هذا المكان، وكان فى عهد عبد الله بن عمر بجانب ساحة المسجد المذكور شجرة مغيلان كان يصلى المشار إليه تحت هذه الشجرة ثم يسكب الماء الباقى لجذور تلك الشجرة ويقول: هكذا فعل الرسول ﷺ. ويدور حول الشجرة ويكمل السقى. ولكن لشدة الأسف فقوافل الحجاج تركوا هذا الطريق ولم يبق لمسجد المنصرف حتى الأسس.

٧ـ مسجد الرويثة:

يقع فى الجهة اليمنى للطريق القريب من قرية رويثة. وقد نزل النبى ﷺ هناك وصلى فى ظل سرخة ضخمة، وبين قرية رويثة والروحاء ثلاثة عشر ميلاً، وعلى قول ستة عشر ميلاً، ويقع فى جهة مكة ومقابل جبل الحمراء وفيه حياض عديدة وآبار كثيرة وهواؤه جيد طيب.

٨ـ مسجد ثنية ركوبة:

ويقع على الجهة اليمنى من ثنية العابر عقبة عرض عَرْج وبعيد عن عَرْج بثلاثة أميال، وقد صلى النبى ﷺ فى هذا المكان حيث بنى مسجدًا.

٩ـ مسجد الإثابة:

مسجد الإثابة على بعد من موقع عَرْج بميلين فى جهة المدينة.

قد صلى ﷺ ركعتين بجانب بئر إثابة والبئر التى يطلق عليها الإثابة على بعد ميل من موقع عَرْج المذكور من ناحية مكة المكرمة. وفى مكان اسمه بدارج وبما أن الحدود الحجازية تنقطع قبل النزول فى هذا الوادى فبئر الإثابة فى نقطة انتهاء الحدود الحجازية.

١٠ـ مسجد الغرس:

هذا المسجد على بعد ميل من مسجد الإثابة فى جهة مكة المكرمة، قد أدى الرسول ﷺ على ساحة ذلك المسجد الصلاة ونام فيها بالضحى.

١١ـ مسجد طرف تلعة:

مسجد تلعة على جهة مكة وعلى بعد خمسة أميال أو ثلاثة من مسجد عرج يروى وجود مسجد آخر فى ساحة تلعة يسمى هضيبة إلا أنه من المحتمل أن يكون ذلك المسجد مسجد العرج.

وإن كان على جهة ما لمسجد تلعة عدة قبور محاطة بسور من جهاتها الأربعة. إلا أنه لا يعرف أصحاب هذه القبور.

١٢ـ مسجد حى جمل:

هذا المسجد بجانب قرية بئر طلوب البعيد عن مسجد عَرْج بأحد عشر ميلاً. والمسافة من بئر طلوب إلى قاحة خمسة أميال ومن هناك إلى مسجد سقيا ميل واحد وماء بئر طلوب ثقيل وغير لطيف. وقد احتجم الرسول فى هذا الموضع وهو محرم وفى قول آخر إنه احتجم فى وادى قاحة. قال بعض المؤرخين إن حى الجمل اسم ماء يقع بين السقيا والأبواء وهذا يؤيد قول القاضى عياض فى حق حى الجمل الذى يبعد عن السقيا سبعة أميال. يطلق حى الجمل على عقبة الجحفة.

١٣ـ مسجد السُقيا:

يقع على جانب الجبل الكائن فى سقيا. وبجانب بئر عذبة الماء.

١٤ـ مسجد مدلجة تعهن:

هذا المسجد على بعد ثلاثة أميال من بئر السقيا فى جهة مكة. وقد صلى النبى ﷺ على ساحته ثم بنى عليها مسجداً.

١٥ـ مسجد الرمادة:

مسجد الرمادة على بعد ميلين من أبيار على بعد أحد عشر ميلاً من المدينة والسقيا من جهة مكة. وقد صلى النبى ﷺ فى هذا المكان أيضًا.

١٦ـ مسجد الأبواء:

أبواء قرية لطيفة حيث آبار عديدة وحدائق كثيرة والمسجد فى وسط هذه القرية. وقد أدى النبى ﷺ الصلاة فيه أيضًا.

١٧ـ مسجد البيضة:

يقع على بعد خمسة أميال من قرية أبواء، ناحية مكة وصلى فيه النبى ﷺ.

١٨ـ مسجد عقبة الهرشى:

يقع بالقرب من عقبة الهرشى التى تبعد عن أبواء ستة أميال، تقع عقبة الهرشى على بعد ميل من العلامة التى توضح أن هذا المكان هو منتصف الطريق بين المدينة المنورة ومكة المعظمة. وقد نزل النبى ﷺ بجانب الأشجار التى على حافة المسيل الذى فى الجهة اليسرى من الطريق الذى أمام عقبة الهرشى. ويقع المسيل المذكور على ربوة الهرشى وبينهما وبين منتصف الطريق المذكور كان عبد الله بن عمر يصلى تحت أقرب الأشجار إلى الطريق.

١٩ـ مسجد الجحفة:

فى الموقع اللطيف المسمى بجحفة ثلاثة مساجد شريفة. وأحد هذه المساجد أمام الجحفة والآخران بجانب العلمين يقال لها مسجد الأئمة ويطلق على المسجد الذى أمام الجحفة مسجد غورت وأحد المساجد الثلاثة على بعد ثلاثة أميال أو أربعة من الجحفة وعلى يسار الطريق على حافة المسيل يطلق على هذا المسجد غدير الخم أيضًا. وبناء على تعريف القاضى عياض أن غدير الخم اسم تربة كبيرة وهناك نهير صغير يصب فى هذه البركة ومسجد غدير الخم فى وسط هذا النهير والبركة سابقة الذكر؛ لذا سمى المسجد مسجد غدير الخم.

وقد نزل النبى ﷺ على حافة تلك البركة وصلى صلاة الظهر فى ظل شجرة، وأمسك على بن أبى طالب من يده وقال: اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه.

٢٠ـ مسجد القديد:

معبد القديد اللطيف على مسافة ثلاثة أميال من موقع القديد المشهور. كانت ساحته مكان خيمة أم معبد. ومناة التى كان يعبدها عرب الجاهلية كانت منصوبة على يمين المحل المذكور وفى مكان مرتفع.

٢١ـ مسجد حرة:

على قمة عقبة خليص والمسافة بين مسجد حرة وعقبة خليص ثلاثة أميال.

٢٢ـ مسجد خليص:

يقع على جانب ماء ابن ربيع وعلى جوانبه حوض مملوء بالماء وبركة وكثير من حدائق النخيل.

٢٣ـ مسجد بطن مر الظهران:

كان مسجد بطن مر الظهران فى واد بطن مر الظهران الذى يبعد عن مكة المكرمة سبعة عشر ميلاً. وإن كانت أبنيته انهارت وخربت ولم يبق أثر يستطيع الرائى أن يقول هنا كانت خرابة مسجد إلا أنه لما كان معروفًا بالتحقيق أنه كان بجانب الحوض الذى يملؤه نهير العقيق، لذا يصلى الزوار بجانب هذا الحوض متبركين.

وليس ببعيد أن يكون مسجد الفتح المؤسس على حافة مجرى نهير العقيق الذى على يسار الذاهبين إلى مكة من المدينة وفى المحلة التى يطلق عليها جموم من مر الظهران.

لأن النبى ﷺ كان قد نزل على ساحل مجرى النهير المذكور.

والمحل الذى يطلق عليه جموم فى داخل وادى مر الظهران.

٢٤ـ مسجد سرف:

يقع مسجد سرف على بعد ثلاثة أميال من المسجد الذى ينسب إلى روح النبى ﷺ عائشة ـ رضى الله عنها ـ حيث يلبس ملابس الإحرام وفى جهة وادى فاطمة. والسيدة ميمونة ـ رضى الله عنها ـ من زوجات النبى ﷺ مدفونة بجانب ذلك المسجد وبنى ضريحها بأمر النبى ﷺ.

٢٥ـ مسجد التنعيم:

يقع هذا المسجد فى ساحة وادى نعمان وعلى ثلاثة أميال من ضريح ميمونة ـ رضى الله عنها ـ من جهة مكة المكرمة، وعلى الجهة اليسرى منه جبل ناعم وعلى الجهة اليمنى جبل نعيم ويقال للمسجد التنعيم مسجد هليليجة أيضًا.

ويروون أن هناك شجرة بجانبه ولكن اليوم لم يبق أى أثر من المسجد ولا من الشجرة.

٢٦ـ مسجد ذى طوى:

هذا المسجد اللطيف ما بين حجونى مكة والموقع الذى يقال له ما بين الثنيتين، أى فى الموقع الذى ينصب فيه محمل مصر خيامه وقد قضى النبى ﷺ ليلته فى سنة حجة الوداع على ساحة مسجد ذى طوى وبعد أن أدى صلاة الفجر فيها توجه إلى الكعبة المعظمة يطوفها عن طريق مقبرة المعلى.

فى تعريف المساجد التى توجد فى الطريق الذى يسلكه الحجاج فى عصرنا ذاهبين راجعين

كلما ذهب النبى ﷺ محرمًا بنية الحج إلى مكة المكرمة كان ينزل بجانب بئر شعبة بعد المرور بالجبال التى يطلق عليها جبال المضيق وفى موضع يطلق عليه دبَّة مستعجلة حيث يشرب الماء. والمستعجلة اسم جبل مشهور بين الحرمين، وبعد ما تمر قوافل الحجاج بوادى النازية متجهة إلى الصفراء تصعد على هذا الجبل. كان النبى ﷺ ينزل بعد القيام من بئر شعبة فى شِعْب سَيَر الذى يطلق عليه شعب كبث أيضًا الذى يقع بين المستعجلة وقرية الصفراء، وهذا المكان هو الموقع الذى وزعت فيه غنائم بدر الكبرى ولم ينقطع ماء بئره فى أى وقت من الأوقات. والدَّبَّة معناها كومة الرمل، وكومة الرمل التى يطلق عليها دبة مستعجلة على بعدنصف فرسخ من جبل مستعجلة وبين جبلين. وبجانب دبة جبل مستعجلة حوض حيث ينزل حجاج القوافل فيستريحون والجبال التى تحيط بجانبى هذه الكومة يطلق عليها جبال المضيق:

١ـ مسجد ذات أجدال:

وهذا المسجد اللطيف فى وادى الصفراء حيث يوجد مسجدان أيضًا وهما جيزتان وذَفَرَان كان النبى ﷺ صلَّى فيهما. وذفران اسم مجرى النهير الذى يمر ويجرى فى قرية الصفراء. وكان النبى ﷺ على جهة من هذا النهير وهو محرم، وفى المكان الذى صلى فيه النبى ﷺ بئر والبئر المحفورة صادفت المكان الذى سجد فيه الرسول ﷺ، ولعله لهذا السبب أن ماء هذا البئر ألطف ماء وأخفه من مياه جميع الآبار التى فى تلك الناحية. وفى عصرنا هذا! ذفران اسم الوادى الذى

يمر منه قبل الوصول إلى الصفراء والاسم الآخر لوادى يسيرة، ومياه السيل التى تتكون فى هذا الوادى تجرى من الجهة الغربية من وادى الصفراء.

والقافلة المصرية تنفصل من هنا عند عودتها وتذهب إلى ينبع. وعند انصرافها تتجه ناحية اليمين سالكة الطريق ثم تنزل إلى قرية الصفراء التى ظلت فى الجهة اليسرى، وكان النبى ﷺ قد عاد من هذا الطريق بعد غزوة بدر، وهناك مسجد آخر على يسار من يذهبون إلى ينبع البحر مسجد مبارك آخر يزوره زوار سيد الأبرار بنيّة زيارة مسجد ذفران، ويرى محل آخر مرتفع عن الطريق قليلاً فى المحل الذى يطلق عليه الرابية بناء على أن هناك مسجد مأثور، وبما أن جميع هذه المساجد فى حدود قرية الصفراء فجوانب كل واحد منها مزينة ومعمورة بالبيوت والمحال.

وقبر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب من جرحى بدر الكبرى فى داخل قرية الصفراء وبجانب المسجد الذى ينسب إلى النبى ﷺ، وقال بعض المؤرخين إن قبر عبدة ابن الحرث بجانب مسجد ذفران والآخرون فى وادى النازية.

وقد صلى النبى ﷺ فى ثنية المبرك أيضًا. ويقع هذا المحل المقدس فى الجهة الغربية على يسار طريق الصفراء إلى الجهة اليسرى عندما تتجه من المدينة إلى ينبع البحر والمسافة بين المسجد المبارك ومنزل دعان خمسة أميال وعلى رأى ستة أميال.

٢ـ مسجد بدر:

ساحة هذا المسجد اللطيف المقدسة موضع العريشة التى صنعت من أجل النبى ﷺ فى ملحمة بدر الكبرى. واليوم بجانب حديقة النخيل، وعلى الجهة القبلية من المسجد اللطيف الذى يطلق عليه الأهالى مسجد النصر وكان هنا بئر أيضًا، وقد خربت مبانى مسجد النصر ولم يبق حتى أثر لأساسه ولا يوجد الآن من يعرف ساحة ذلك المسجد أو بئر الماء.

٣- مسجد العشيرة:

مسجد العشيرة فى داخل قرية بطن ينبع ينزل فى هذا المكان حجاج قافلة مصر كان الناس يروون أن بجانب ذلك المسجد عين جارية تسمى بولا ولكن اسمها تغير الآن.

٤- مسجد الفرع:

هذا المسجد فى طريق مكة المكرمة وممر مسافرى المدينة المنورة قد نام النبى ﷺ فى مكان يطلق عليه أكمة فى موقع الفرع، وبعد النوم صلى فى مكان تحت أكمة صلاة الظهر وسار مستقبلاً المحل الذى يطلق عليه الفرع. وعندما وصل إلى مضيق الفرع نزل وصلى بجانب وديان برود وذات حماط[١] وكهف أعشار وكذلك فى مخرج ذات حماط الضّيّقة[٢] صلوات منفصلة.

(١) ذات حماط اسم نهير يقع فى طرف وادى العقيق.

(٢) هذا هو الموضع الذى صلى فيه من كانوا فى غزوة بنى المصطلق.

في ذكر المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته

١ـ مسجد عامرة:

يقع على مرحلة من المدينة من جهة خيبر كان النبي ﷺ في هذا المكان وهو في طريقه إلى غزوة خيبر.

٢ـ مسجد صهباء:

تقع صهباء في وادي روحه بين المدينة المنورة وخيبر. ومسجد فضيح[١] الذي حدث في ساحته معجزة رد الشمس في هذا الوادي.

٣ـ مسجد منزلة:

هذا المعبد المبارك في موضع قريب من خيبر يطلق عليه موضع الصخرة كان النبي ﷺ قد نام ليلاً بجانب هذه الصخرة قدر ساعة وهو ذاهب إلى خيبر وصلى النوافل مدة ما، ولما ركب ناقته وأراد أن يتقدم، ترددت الناقة في التقدم إلى الإمام حينئذ، قال: اتركوا زمام الناقة فلتذهب حيث أمرت بالذهاب إليه وترك زمام الناقة، وبناء عليه رجعت الناقة الأصيلة وذهبت إلى جانب الصخرة المذكورة وبركت فسطح ذلك المكان مؤخراً واتخذ مسجداً، ومازال أهل خيبر يستمرون في الصلاة في هذا المكان معظمين متبركين.

وهناك مسجد آخر في مكان يقال له «عوسنجة» بين الشَّقِّ ونِطَاة من قلاع خيبر المشهورة ويروون أن ساحته كانت مصلى للنبي ﷺ.

(١) اسم آخر لمسجد صهباء.

٤ـ مسجد شمران:

اسم مكان فى ناحية شمران سهم بنى البراز فمسجد شمران يقع على قمة جبل من الجبال الخيبرية.

٥ـ مساجد تبوك:

يختلف المؤرخون فى تعيين عدد مساجد تبوك، يقول البعض إنها ستة عشر والبعض الآخر يقول أنها عشرون والآخرون أكثر من هذا عددًا ولكنهم لم يستطيعوا أن يحددوا أماكنها تماماً، والآن فى طريق تبوك عشرون مسجداً وأول هذه المساجد تبوك نفسها والعشرون مسجد ذى خشب.

وقد قرر متفقا أن النبى ﷺ صلى فى جميع هذه المساجد فى أثناء وقعة تبوك، والمساجد التى عددها المؤرخون أن يبينوا مواقعها فمساجد تبوك هى المساجد الآتية التى سنذكر أسماءها.

مساجد تبوك:

١ ـ مسجد تبوك[١]

٢ ـ مسجد ثنية مدران[٢]

٣ ـ مسجد ذات الزراب[٣]

٤ ـ المسجد الأخضر[٤]

٥ ـ مسجد ذات الخطمى[٥]

٦ ـ مسجد بالى[٦]

٧ ـ مسجد تبرا[٧]

(١) الذى شيد هذا المسجد هو عمر بن عبد العزيز.
(٢) أمام تبوك.
(٣) بعيد عن تبوك مسافة مرحلتين.
(٤) أربع مراحل لتبوك.
(٥) خمس مراحل لتبوك.
(٦) يقال له مسجد بولا أيضًا على خمس مراحل من تبوك
(٧) فى منتهى المكان الذى يعرف بكواكب وفى جانبه منزل (تبر).

٨ ـ مسجد شق تارا[١]

٩ ـ مسجد ذو الحليفة[٢]

١٠ ـ مسجد ذى الحليفة الآخر[٣]

١١ ـ مسجد شوشق

١٢ ـ مسجد الحوض[٤]

١٣ ـ مسجد حجر[٥]

١٤ ـ مسجد صعيد[٦]

١٥ ـ مسجد وادى القرى[٧]

١٦ ـ مسجد بنى عذرة[٨]

١٧ ـ مسجد الرقعة[٩]

١٨ مسجد ذى المروة[١٠]

١٩ ـ مسجد فيفاء[١١]

٢٠ ـ مسجد ذى خشب.[١٢]

---

(١) فى منزل جويرة.

(٢) ليس هذ المكان ذى الحليفة حيث الميقات فهو ذو الحليفة أخرى إلا أن الجغرافيين لم يعطوا عنه معلومات كافية.

(٣) يقرأ البعض هذا المنزل بكسر خاء المعجمة والآخرون بفتحها وأتى بعضهم بدلاً من الخاء المعجمة جيما مكسورة كما أتى بعضهم بحاء مفتوحة.

(٤) فى وسط محل يقال له حوض أو فى نهايته.

(٥) يعرف ابن زبالة هذا المسجد باسم علاء ولكن سواء أكان منزل حجر أو علاء فإنه فى داخل وادى القرى.

(٦) فى محل يقال له صغير قزح يقال له فى زماننا مسجد وادى القرى.

(٧) فى وادى القرى.

(٨) فى قرية بنى عذرة.

(٩) هذ المسجد فى مكان يسمى رقعة الثوب يروى أنه فى منزل رقمه بجوار قرية بنى عذرة أو سقيا.

(١٠) على مسافة ثمانية بريد من المدينة المنورة.

(١١) فى وادى يطلق عليه فيفاء محلتين وهو على بعد مسافة يوم من المدينة المنورة فى أسفله صخرة.

(١٢) على بعدمرحلة من المدينة وفى منزل يسمى بدومة.

وقد أدى النبى ﷺ الصلوات فى غير هذه الأماكن مثل: فى وسط حديقة فى مزارع بنى أشجع وفى بطن نخلة من الحدود النجدية وقريب من هذه النخلة فى مكان يطلق عليه كديد[1] وفوق جبل من بلاد بنى أشجع.

٦ـ مسجد الحديبية:

هذا المسجد فى القرب من قرية جدة بين جدة ومكة المكرمة فى مكان يطلق عليه حديبية وداخل الوادى القريب من منزل بلدح: والمسجد المذكور بالقرب من البئر المشهور باسم بئر شمس وبناء على ما نقل من أسانيد جيدة أن المصالحة التى عقدت بين المسلمين ومشركى قريش قد وقعت بجانب هذا المسجد كما أن بيعة الرضوان حدثت فى ساحة مسجد حديبية.

٧ـ مسجد ذات عرق:

هذا المسجد على بعد ميلين ونصف ميل من مكان يسمى ذات عرق ساحته المقدسة محل إحرام وميقات لمكة المكرمة.

٨ـ مسجد جعرانة:

معبد جعرانة اللطيف بجانب وادى جعرانة وفى مكان مرتفع، بناه أحد أهل الخير من قريش وأنبتت بجانبه أشجار النخيل.

٩ـ مسجد ليّة:

هذا المسجد الممتاز فى وادى ليه البعيد عن الطائف ثمانية أميال وبجانبه حجر وعلى الحجر بعض الخطوط أو ما يشبهها ويعتقد أهل الطائف أن هذه الخطوط آثار حوافر ناقة النبى الأصيلة، ووقف النبى ﷺ بجانب شجرة الذرة القريبة من المسجد وفى ناحية القرن الأسود واستقبل المحل الذى يقال له نَخْب ووقف جميع الذين كانوا بجانب النبى واستراحوا قليلاً هذا مما يروى.

(١) ليس كديد الذى فى المحل الذى يسمى عفان.

١٠ـ مسجد الطائف:

هذا المسجد هو المسجد الكبير الذى بنى على ساحة خيمتى السيدة عائشة[١] وأم سلمة رضى الله عنهما ـ اللتين نصبتا عند محاصرة بلدة الطائف وظل مكان الخيمتين المذكورتين في مؤخرة المسجد ورفع فوقهما قبتان صغيرتان ودفن فى ركنه القبلى أعلم الناس عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه.

تزييل

إن الشريف عبد الله الذى خدم إمارة مكة الجليلة ما يقرب من عشرين عامًا بجانب قبر ابن عباس بن عبد المطلب وهو من السلالة الطاهرة الزيدية وابن من أثبت جدارته ثلاث مرات فى منصب الإمارة وهو الشريف محمد بن عوف. وأحرز رتبة الوزارة السامية فى سنة ١٢٤٧هـ وأسند إلى عهدته إمارة مكة المكرمة وأنعم عليه بالوسام المرصع المجيدى العثمانى، وتوفى فى سنة ١٢٩٤هـ يوم الأحد اليوم الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة وهو فى منزله الصيفى فى الطائف، ووجه منصب الإمارة إلى أخيه الشريف حسين باشا وأحيل إليه. وقد خدم عبد الله باشا المشار إليه السلطنة السنية بإخلاص ولاسيما فى أثناء المسألة الروسية بذل جهودًا عظيمة لجمع الإعانات الحربية واستطاع أن يدبر مبالغ كبيرة من النقود. وأن يوصلها إلى أصحاب الشأن، واستطاع أن يكسب طوال مدة توليه للإمارة رضا سكان الحجاز ورعى بكل مودة الحجاج الواردين وحفظهم وكان شخصًا أصيلاً نجيبًا من السلالة الهاشمية وذات عقيدة سليمة، رحمه الله رحمة واسعة. وساحة مسجد الطائف هى ساحة مصلى النبى القديمة وهى الساحة التى أم فيها المجاهدين من غزاة الدين، وهذه الساحة هى ما بين خيمتى السيدة أم سلمة والسيدة عائشة[٢] ـ رضى الله عنهما ـ ثم رفع بين ساحتى

---

(١) قال الواقدى: الأخرى زينب بنت جحش. يقصد أنه مَنْ كان مع النبى ﷺ من نسائه: أم سلمة، وزينب بنت جحش رضى الله عنها. الطبرى ٣/ ٨٣.

(٢) والسيدة زينب بنت جحش على ما فى الطبرى ٣/ ٨٣.

الخيمتين قبتين صغيرتين أبو أمية بن عمرو وبن وهب بن معتب بن مالك وهذا إشارة إلى أن ما بين القبتين كان المصلى النبوى. وبعد ما بين الإمام الواقدى موقع مسجد الطائف وشكله أضاف أن فى ذلك المسجد عمود لا يرى نور الشمس إلا ويسمع بجانب هذا العمود صوت التسبيح الهاتفى. وبناء على تعريف المطرى أن المسجد اللطيف الذى بناه عمرو بن أمية هو الآن الجامع الكبير، وقد صنع فى عهد الناصر أحمد بن المستضئ منبر مرتفع عبد الله بن عباس مدفون فى الركن الأيمن من هذا المنبر. وبناء على قول تقى الفاسى أن فى خارج جداره القبلى حجر وكتبت عليه عبارة: أمرت أم جعفر بنت أبى الفضل أمام ولاة عهد المسلمين بعمارة مسجد رسول الله ﷺ بالطائف وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة والمظنون أن الجامع المذكور وضريح ابن عباس بنيا فى عهد المستعين العباسى.

الوجهة التاسعة عشرة

تحتوى على ثلاث صور
تعرف مفصلاً الأودية والأحراش وبعض الجبال
والأماكن والأوطان والقرى التى تنسب إلى المدينة المنورة

١ ـ وادى العقيق:

والوادى هو المكان المنخفض الذى تجرى فيه الأنهار والسيول ووادى العقيق هو اسم الوادى الذى يمتد من موقع قصر المراجل إلى البقيع ومن زغابة إلى قصر المراجل ووادى العقيق المشهور فى الواقع واديان أحدهما العقيق الأصغر والآخر العقيق الأكبر، ويمتد العقيق الأكبر من أراضى عروة بن الزبير فى جهة حرة المدينة إلى قصر المراجل، ومن جهة حماء من قصر عبد العزيز بن عبد الله العثمانى الذى فى جماد إلى قصر المراجل يخرج أحد طرف هذه الحدود إلى نهاية البقيع ونهاية الجهة السفلى العقيق الصغير ونهاية أعلاها وديان عقيق البقيع.

والوادى الذى يطلق عليه عقيق البقيع يبدأ من مكان يطلق عليه برام إلى حضر هذا المكان نهاية حدود البقيع حيث ينتهى، والوادى المذكور يذهب من هنا إلى زغابة مجمع السيول الذى فى أعلى منزل إضم، ومنزل إضم بناء على قول المطرى يبدأ من البئر المحترم وينتهى إلى الجهة الغربية وهذا المكان ملاصق بالمدينة المنورة من ساحة بئر عثمان التى سميت بالعقيق، وينقسم إلى جهتين فى حدود دار العز المدينة يشكل قسم منهما وادى العقيق الأصغر والآخر يشكل وادى العقيق الأكبر، وبناء على هذا التعريف فإن الصحراء التى يطلق عليها البقيع يلزم أن تكون وسط وادى العقيق حيث انقسم وادى العقيق هنا أيضًا إلى قسمين يقال للجهة الملاصقة للمدينة المنورة العقيق الأصغر وللجهة العليا العقيق الأكبر، وأصغر هذين الواديين الصحراء التى توجد فيها بئر عثمان وأكبره الصحراء التى توجد فيها بئر عروة، ووادى العقيق الأكبر الذى لا يلاصق المدينة المنورة يتصل بالقرية التى فى بلاد مزينة، وانقسام وادى المدينة إلى اثنين سيؤدى إلى انقسام السيول بجانب حرة المدينة إلى جهتين وتنقطع.

إن كان لوادى العقيق اسم قديم إلا أن الملك تُبَّع قال حينما زار المدينة هذا عقيق الأرض وعلى ساحته سليلة وهذا عرضه الأرض. وعلى قول لما كان لون وادى العقيق فى غاية الاحمرار كان سببا فى إطلاق اسم العقيق عليه وانسى اسمه القديم.

ووادى العقيق من أعظم وديان الحجاز ويمتد من حدود الطائف ويمر بالمدينة إلى أن يتصل بالبحر الأحمر، لقد منح النبى ﷺ هذا الوادى لبلال بن الحارث المزنى ليستغله بطريق المقاطعة. ولما ترك هذا الوادى إلى عهد عمر بن الخطاب دون إعمار قال عمر الفاروق لبلال «يا بلال! إذ عمرت الوادى الذى أخذته عن النبى بالمقاطعة أتركه لك؛ وإذا لا تريد إعماره أقطعته للآخرين» ولما أخذ منه جوابًا بالنفى ترك جزءًا من الوادى فى يد بلال وأقطع الباقى للذين يرغبون وأعطاهم.

وقد قدر فى أوائل الإسلام فضل وادى العقيق ومزيته ومناظره الجميلة التى تسحر النفوس فعمر واستصلح بكل عناية مما أثر فى قرائح الشعراء فأنشدوا قصائد مدح فى حسنه وجماله قصائد لا تعد ولا تحصى. وقد تعود عمر بن الخطاب كلما ظهرت السيول فى وادى العقيق أن يذهب مع أهل المدينة إلى مجراه ويشرب منه الماء. وقد أخبر النبى ﷺ بقداسة وادى العقيق عندما قال: «جاءنى أحد فى هذه الليلة وقال لى صَلِّ فى هذا الوادى» وفى يوم آخر قال بعد أن ذهب إلى وادى العقيق ورجع «يا عائشة! وادى العقيق ما أجمله من مكان، وما أحلى ماءه وما أطرى ترابه؟!!» فوصف وادى العقيق مادحا وعندما قالت له «إذا كان كذلك فلماذا لا نقيم فى وادى العقيق» فأجابها قائلا: «إن الناس قد استقروا هناك وأعدوا لهم منازل خاصة ومن هنا فإن النقل والهجرة إلى وادى العقيق غير ممكن». وبين بهذا أن انتقال أهل المدينة إلى وادى العقيق أمر شاق، وقال فى يوم آخر لأنس بن مالك، وكان النبى ﷺ قد زار وادى العقيق فى ذلك اليوم «ملأت هذه المَطَرَةَ من واد يحبنا ونحن نحبه» وهكذا أظهر حبه لوادى العقيق.

(١) المَطَرَةُ: القربة.

كان سلمة بن الأكوع اعتاد أن يقدم للنبى ﷺ من لوم ما يصطاده.

يروى عنه أنه قال: «سألنى النبى ﷺ يومًا فى أية جهة تصطاد من أجلى؟» فأجبته قائلاً: «فى وادى يثب الذى فى ناحية قناة» عندئذ تفضل قائلاً: «لو كنت تصطاد فى وادى العقيق، لكنت أودعك عند الذهاب وأستقبلك عند الإياب».

٢ـ وادى بطحان:

إن وادى بطحان روضة غالية من فراديس الجنة كما جاء فى الأثر. وهذ الوادى من الوديان التى تقع فى وسط المدينة ويجرى ماؤه من جهة الحرة اليمانية ويجرى نحو موقع جفاف ثم يذهب إلى صحراء بنى خِطمة، ويعود من هنا ويمر من وسط وادى البطحان فيجرى نحو الأراضى المتسعة فى زغابة.

يبدأ هذا الوادى من جلاتين على بعد سبعة أميال من المدينة المنورة، وينتهى إلى وادى جفاف الذى فى الجهة الشرقية من مسجد قباء ويتحد بنهير رانو بار.

٣ـ وادى رانو ناء:

يقال لهذا الوادى رانون أيضًا، وينزل سيله من جبل مقمن الواقع فى الجهة اليمانية من جبل عير ومن جبل جرش الذى فى الحرة الشرقية ويذهب نحو محل يسمى بـ «قرين المضرطة» ومن هناك إلى سد عبد الله بن عمرو بن عثمان المعروف بـ «سد عنتر» ومن هنا يمر بمنزل صفاصف وبموقع عصبة ثم يعبر من الجهة اليمنى لقرية قباء إلى «عوسا حوسا» وبعده يجرى إلى مكان يسمى بطن وادى حصب ويتحد هنا بالسيول التى تأتى من جهة ذى حصب وحرة. ويمر من قعر حوض بنى بياضة عن طريق ذى صلب وينقسم إلى قسمين ويجرى قسم منهما إلى بئر جسيم التى فى بلاد بنى بياضة وبهذا الطريق إلى وادى بطحان والقسم الآخر يجرى إلى وادى بطحان رأسًا.

٤ـ وادى قناة:

وكان اسم هذا الوادى القديم شظاة ولكن عندما بات تبع الحميرى فى الربوة

التى على مجراه قال: «إن هذا المكان قناة الأرض فعرف بين أهل المدينة بوادى قناة ووادى قناة ينفصل من الطائف ويسيل من بين جبال أرخصية ومن هناك إلى قرقرة المكدر، ومن هناك إلى بئر معاوية وبعده يمر من مكان يسمى قدوم أى من المكان الذى دفن فيه شهداء أحد إلى صحراء زغابة حيث تتحد سيول الأنهار الأخرى، وإن كان يُعد من وديان المغرب فهذا أكبر الأنهار التى تسيل إلى دار العزة المدينة المنورة غير وادى العقيق ويصل إلى سد نار الحرة فى الجهة الشرقية».

وسد نار الحرة، المحل الذى انطفأت فيه نار الحجاز المنذرة، وكانت سببا فى انقطاع مياهه مدة مديدة، وفاض بعد ذلك كأنه بحيرة كما جاء ذكره فى الصورة العاشرة من الوجهة الثالثة تفصيلاً، وقد انشق ذلك السد فى سنة ٦٩٠هـ وقد تكاثرت مياهه ما يقرب من سنة بين الجبلين وأخذت تجرى فى صورة مخيفة وسريعة وأخذت تنقص السنة التى بعدها ثم نقصت بدرجة مخيفة، ثم تكاثرت المياه مرة أخرى فى خلال سنة سبعمائة وأخذت تجرى على نسق واحد فى خلال سنة كاملة ونقصت فى خلال ثلاث وثلاثين سنة تدريجيًا ولكنها فاضت فى سنة ٧٣٤هـ بسبب الأمطار العادية والمتوالية وفتحت لنفسها مجرى جديدًا وطغى سيل مثل البحار وجرى مجراه القديم إلى جهات الضريح الذى دفن فيه حضرة حمزة - رضى الله عنه - وسال مجراه الجديد إلى الجهات القبلية لجبل عيين، فجعل الضريح المذكور والجبل سالف الذكر فى الوسط، ولما بقى ضريح حضرة حمزة بين ماءين عظيمين فحرم أهالى المدينة من شرف الزيارة ما يقرب من أربعة أشهر. وقالوا إذ كشفوا السيول التى فاضت متراكمة أمام باب البقيع، إذا ارتفعت هذه المياه أكثر من هذا بنصف ذراع لا شك أن دار الهجرة ستتعرض للخراب والدمار، ولكن المياه انسحبت قليلا بلطف من الله وأغرق أهالى المدينة فى بحار البهجة والسرور واستقرت المياه ما يقرب من سنة فى النهيرات التى فى الجهات الشمالية والقبلية.

وكانت المياه قد فتحت قنوات العين القديمة وخربتها. وإن كان الأمير وردى أصلح ما فسد وخرب من القنوات ومجاريها وجددها، ولكن الأماكن التى

أصلحها الأمير وردى اندثرت تماما مع مرور الزمن ولم تظهر مرة أخرى ولم تعمر فانمحت العين المذكورة واندثرت.

٥ـ وادى مذينب:

ومياه هذا النهير شعبة من سيول وادى بطحان، لأن مياه بطحان تنقسم فى حديقة بنى أمية، إلى خمسة عشر جدولاً وتسقى أراضى بنى أمية فتتحد جميع الجداول وتدخل فى بطحان، ومياه هذا النهير كما ذكر آنفا يظهر من الخلاء الذى يسمى صعب وتمر بوادى زغابة، وتتصل فى ديار بنى خطمة بنهير مهزور وسبب ذلك اجتماع المياه وتراكمها فى حرة واحد.

يطلق على المذكور ماء وادى مذينب أيضًا وينفصل فى زماننا من الحرة الشرقية مارًا بالجهة القبلية من قرية بنى قريظة فيمر بالجهات الشرقية من قريتى نواعم وعهن وبعد أن يسقى حدائقهما يجتمعان فى المكانين اللذين يطلق عليهما بقيع الزرندى وناصرية. ثم يتجه إلى نهير جفاف الواقع فى الجهة الشرقية من مسجد الفضيح، وبعد أن ينصب فى الصحراء الكائنة خلف ماجشونية وبعد أن يتحد بشعبة من نهير مهزور فيجرى إلى نهير بطحان الواقع فى الجهة العليا من مسجد المس، وهنا يختلط بمياه رانوناء ويمر بالناحية الغربية من المصلى النبوية يجرى إلى أراضى مدينة دار السكينة.

٦ـ وادى مهزور:

تجرى سيول هذا النهير إلى أراضى بنى قريظة الكائنة على ربوة شوران وبعده يجرى إلى حدائق دار العز المدينة المنورة وبناء على قول ابن شبّه أنه يظهر على ربوتى هكر وصمعه الكائنتان فى الحرة الشرقية وينصب إلى أراضى بنى قريظة حيث ينقسم إلى عدة شعب يجرى إلى نهير مذينب من بين منازل قرية بنى أمية بن زيد ويتحد فى صحراء بنى خطمة بسيول بنى قريظة ويصل إلى نهير مهزور وهنا يتخذ شكل نهر كبير ينقسم إلى شعبتين فتسقى شعبة منهما الأراضى التى فى تلك الجهات والشعبة الأخرى تسقى ما عدا حديقة مشربة أم

إبراهيم وجميع الصدقات النبوية وبعد ذلك يسيل ناحية قصر مروان بن الحكم ومن هناك إلى قصر بنى يوسف الذى فى بطن الوادى إلى المسجد المستقر فى بطن بنى حديلة عن طريق بقيع الغرقد وكرمة أبى الحمراء ويتحد فى النهاية بنهير قناة.

وشعبة من السيول العظيم الذى يتكون من اتحاد النهيرين مهزور ومذينب بعد أن يسقى الصافية وما حولها من الصدقات النبوية يمر عن طريق قصور من أطراف بقيع الغرقد ينصب فى وادى بطحان عن طريق الجدول الذى فتحه شيخ الحرم مرجان الزينى، وبما أن هذا الفرع من السيل المذكور يسبب خسارة للنخيل الذى حول البقيع الشريف حفر سالف الذكر مرجان الزينى جدولاً وأنقذ حدائق النخيل التى حول بقيع الغرقد من طغيان السيول، وقد فاض نهر مهزور فى عهد سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بشكل مخيف وأحدث سيلاً عظيمًا كالبحر ومخيفًا حتى ظُنَّ أنه سيغرق ويمحو مدينة دار العز. وأراد عثمان بن عفان أن ينقذ الحرم النبوى الشريف والمدينة المنورة من هجوم السيل فأنشأ بجانب بئر مدرى سدا حجريًا متينًا وحول مجرى نهر مهزور إلى مجرى نهر بطحان، وبهذا أنقذ المدينة الطاهرة من هجوم السيل إلا أن ذلك السيل فاض مرة أخرى فيضانًا مخيفًا فى خلال سنة المائة الهجرية وفى عهد خلافة أبى جعفر المنصور فغمرت المياه الصدقات النبوية ثم هجمت على المدينة فملأت قلوب سكان دار السكينة بالهموم والغموم، وبناء عليه اتفق الأهالى على بناء سد، وفعلاً استطاعوا بناء سد قوى متين فى مكان يسمى برقة وذلك بدلالة امرأة عجوز على عينها، وحولوا سيول مهزور، ومع ذلك فاض نهرا مهزور وبطحان ليلة الانتهاء من عمليات السد واقتحمت المياه قريتى بطحان والسُّنح وغمرتهما فسببت خسائر عظمية لكثير من الناس، وخربت ما لا يحصى من المنازل وبعد ظهور السيل تراكمت واتحدت نهيرات العقيق ورانوناء وأذاخر وذى صلب وذى ريش وبطحان ومهزور وقناة فى مكان يقال له زغابة وكونت بحيرة عظيمة.

إن السيول التى تشبه البحار التى يطلق عليها أهالى المدينة السيول العوالى

تحدث من اتصال تلك السيول بعضها ببعض وانصبابها فى بعض فتتجمع فى موقع زغابة وفى الأراضى المنسوبة لسعد بن أبى وقاص، ومحل اجتماع السيل العظيم الذى يتكون من اتصال تلك النهيرات مع بعض فى الجهة العليا من وادى زغابة، ولما كانت مياه مدينة دار الهجرة كلها فى هذا المكان سمى هذا المكان بـ «إضم».

وكان ما نطلق عليه فى زماننا الضَّيِّقَة هو ذلك المكان، وبعد أن تنضم مياه تلك السيول بعضها ببعض تكون بحرًا صغيرًا يمر بنهاية الصحراء الفسيحة التى يقال لها زغابة ومن هناك النهاية السفلى لـ عين أبى زياد وهى نهرا نعمى ونعمان وبعده إلى ذى خشب نهيرات ملل وأظلم وجنينة ثم يمر بالمردبان التى فى الجهة الغربية حرار ولواط والوديان التى فى الجهة الشرقية ذو آدان وإثمة وما فى الجهة الشامية من واد رمة وما فى الجهة القبلية من وادى ترعة وفى النهاية إلى وادى عيص ثم إلى وادى حجر وجزل فى داخل ذى المروة الكائن فى وادى سقيا ورحبة من هناك ينزل إلى وادى سفان المكان الذى ينصرف فيه السيل إلى البحر أسفل ذى المروة ومن هنا يمر إلى الأماكن التى يقال لها يعبوب، بنيجة، حقيب التى فى سفح جبال أراك.

وبناء على قول المطرى يمر بالمحل الذى يسمى اكرى فى طريق مصر وينصب فى البحر الأحمر وهذه المواقع الثلاثة تبعد عن البحر ثلاثة أميال.

فى ذكر أحراش المدينة المنورة

١ ـ حِمَى النقيع:

معنى «حمى» المكان المحفوظ لرعى الدواب والنَّقيع المكان كثير الماء. والحمى المعروف بالنقيع يبعد عن المدينة ثمانية وأربعين ميلا، وعلى قول ستين ميلا، وهو فى جهة اليمن وماؤه غزير وجهاته الأربعة محفوظة، وهذه الأحراش طولها ميل وعرضها كذلك.

أحراش حمى النقيع:

تقع فى صحراء ساحرة وفضاء فرح ويحيط ماء وادى العقيق بالجهات الأربعة لهذه الصحراء وتجرى بجزيرة مسموع، وينبت فيها البرسيم والنباتات التى تنمو تلقائيًا كما تنبت أشواك الغرقد وستنجان التى يأكلها الجمال وسلم وعضاة من جِيْشِ أمِّ غَيْلاَن وأشجار أخرى. والنخيل الذى ينمو فى موسمه والأعشاب تطول حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يرى من يسير بينها من الفرسان راكبى الخيول، من الخارج وحصر النبى ﷺ ذلك المكان لرعى خيول المسلمين فحفظه من جهاته الأربعة واستمروا على حمايتها مدة عمره كما حفظ حضرة أبو بكر وفيما بعد عمر بن الخطاب هذا المكان وجعلاه مكان رعى لدواب المسلمين.

وكانت هذه المراعى إلى عصر عمر الفاروق يحدها من الجهة الشرقية حرة بنى سليم ومن الغرب تحدها مواقع رام شقراء، وبرة، ذات الصخور، بطن نقيع، ولما ضاقت مراعى المدينة عن استيعاب دواب المسلمين وسع عمر الفاروق مرعى النقيع، وقد تكاثرت خيول المسلمين وجمالهم حتى كان يساق إلى الشام والعراق أربعين ألف رأس جمل كل سنة للتجارة، وكان يربى أربعين ألف بعير لإعطائها للمشاة الذين لا يملكون الجمال فى أثناء الحرب.

٢ـ مرعى حمى الربذة:

ربذة اسم قرية من أعمال المدينة فى نجد وعلى بعد أربعة أيام من المدينة المنورة وهى القرية التى دفن فيها أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ وكانت ربذة فى الأصل قرية مشهورة، وقد استولى عليها القرامطة فى سنة ٣١٩هـ وخربوها وأجبروا أهاليها على الهجرة.

وسبب استيلاء القرامطة على ربذة كان بدعوة أهالى قرية ضَرِيّة للقرامطة، لأن الحروب كانت متوالية ومستمرة بين سكان قريتى ربذة وقرية ضرية وكان النصر دائمًا بجانب أهل ربذة. ولما رأى سكان ضرية أن الانتصار على أهل ربذة مستحيل، طلبوا العون من القرامطة وكان القرامطة يريدون أن يستولوا على الحرمين المحترمين، ولما ساعدوا أهالى قرية ضرية بسوق كتائبهم فاضطر أهل قرية ربذة إلى ترك قراهم وهاجروا إلى أماكن أخرى ولم يعودوا إليها بعد.

وقد أمر النبى ﷺ برعى إبل الصدقة القادمة من البلاد الإسلامية فى قرية ربذة وعلى رأى آخر أن أبا بكر وعمر الفاروق هما اللذان أرسلا جمال الصدقة إلى قرية ربذة، وكان طول مرعى ربذة فى ذلك الوقت يصل إلى اثنى عشر ميلاً وكذلك عرضه وقد حرص ولاة المدينة على توسيع حدود المرعى حرصًا شديدًا والولاة الذين تولوا الولاية إلى عصر أبى بكر الزبيرى عنوا عناية شديدة بحماية ذلك المرعى فكانت حيوانات أهل المدينة ترعى فى مرعى ربذة إلى زمان جعفر بن سليمان.

٣ـ مرعى حمى الشرف:

وإن كان شرف المكان الذى اتخذه عمر بن الخطاب مرعى فالمحل الذى يطلق عليه شرف الروحاء فى مكان آخر، ومرعى شرف واد واسع كبير فى داخل مكان اسمه كبد نجد، وقرى قبيلة آكل المُرَار الكِنْدى[١] من بنى حجر تتصل بمرعى شرف، كما أن مرعى ضرية أيضا بجانب جبال تلك القرية. وعلى جهة تميم من هذا المرعى مراعى ربذة، وبجانبه قرية شريف يفصل بينهما محل يسمى سرير،

---

(١) قيل: هو الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندى، ويقال كندة. وقيل هو حجر جدّ الحارث بن عمرو من ملوك إمارة كندة. انظر: الدرر ص ٢٥٧، وغيرها.

وتقع على الجهة الشرقية من المرعى المذكور موقع شريف، وعلى الجهة الغربية منه يطلق شرف ومراعى ضرية وربذة فى الصحراء الواسعة التى يشكلها المحل الذى يطلق عليه شرف.

٤ـ مرعى حمى الضَرِيَّة[١]:

ضرية على وزن غنية فى طريق حجاج البصرة، واسم قرية على بعد سبع مراحل من مدينة الرسول من جهة مكة المكرمة، عرفت باسم ضرية بنت ربيعة بن نزار أم حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وعلى رواية عرفت باسم بئر ضرية ذات ماء عذب خفيف. ومرعى ضرية مرعى خصب ومشهور ويروى أهل البادية أن أول من اتخذها مرعى هو كليب بن وائل، وحافظ على جهاته الأربعة، ويؤيدون رأيهم قائلين إن هذا القبر قبر كليب بن وائل.

وقد خص سيدنا عمر الفاروق المرعى المذكور لجمال الصدقة وحفظه من الحيوانات المتوحشة بوضع علامات خاصة فى جهاته الأربعة كل ستة أميال فى المحلات المكشوفة، فظلت قرية ضرية فى داخل تلك العلامات. وزادت جمال الصدقة تدريجيًا فلم يكف المرعى المذكور لاستيعابها. فاشترى سيدنا عثمان الماء الخاص بديار «جنيبة» وأضاف الأراضى التى فيها ذلك الماء إلى أراضى ضرية فوسع المرعى.

الماء الذى ألحقه سيدنا عثمان إلى مرعى ضرية كان معروفًا باسم بركة من مياه «بنى جنيبة» ولما كان هذا الماء بجانب القمم المدببة التى تسمى ببكرات وعلى بعد عشرة أميال من مرعى «ضرية»، فاشترى المشار إليه بعد فترة تلك القمم فألحقها بمرعى «ضرية» فأوصل المرعى إلى حيث يستوعب حيوانات المرعى.

ونافس الولاة فى أوائل عهد الدولة الأموية فى توسيع مرعى «ضرية» والحفاظ عليه إلا أن الولاة الذين أتوا فيما بعد تبدلت أفكارهم واتخذوا ذلك المرعى كَلأً لأنفسهم ومزرعة؛ فوسعوا حدود المرعى وضيقوا على الأهالى فى

(١) الطبرى ٢/٢٦٦.

قرية ضرية الذين كانوا حراسا للمرعى حتى عجزوا عن حراسة المرعى فخالفوا أوامر الولاة حتى إنهم أشعلوا نار الحرب ضد إبراهيم بن هشام المخزومى الذى كان أشد الولاة ظلمًا وغدرًا والذى أعد ألف جمل فى كل لون وأراقوا فى تلك الوديان دمًا بدلاً من الماء.

وبئر ضرية من مياه ديار ضباب قد مدح ذى الجوشن الضبابى الذى كان من شعراء الجاهلية ووالد قاتل حضرة حسين بن على أبى بن طالب ـ رضى الله عنه ـ العين المذكورة بالقطعة الآتية:

دعــوت الله إذ سقــــت عيــالى
ليجعــل لى لــدى وســط طعاما
فأعطانى ضريــــة خير بـــئر
تمج المـــاء والحـــب التئامـــا

و«وسط» الذى ذكره ذو الجوشن فى قطعته المذكورة اسم جبل على بعد ستة أميال من ماء ضرية، ويمر حجاج القوافل من أسفل هذا الجبل، وفى أعلى الصحراء التى تسمى عسس التى تقع على يسار هذه الجبال ماء آخر ويعرف باسم «قنبع» فهو بين جبل وسط وصحراء عسس تجلب الفرح والسرور.

وعسس اسم جبل أحمر، وقد خلق هذا الجبل بشكل غريب مرتفعًا نحو السماء فالذين يرونه من بعيد يظنونه رجلاً ضخم الجثة جالسًا.

ولما كان ماء ضرية تحت تصرف عثمان بن عتبة بن أبى سفيان فقد أنبت عتبة حول الماء كثيرًا من حدائق النخيل وحتى يسقى هذه الحدائق سد فتحة النهر وجعل نهر ضرية فى حالة مضحكة، ولما انتقلت الخلافة إلى أيدى العباسيين ضبط العباسيون حدائق عتبة واستولوا عليها واستخدموها حتى انقراضهم.

عندما انقرضت دولة بنى عباس كانت زوجة الشخص الذى يتصرف فى ملك عثمان بن عتبة من قبيلة بنى جعفر بن كلاب المخزومى، وجاء مرة عمها ضيفا وبات على ساحل نهر ضرية طلب منها بعض الأراضى فتركت لعمها بعض

الأراضى وطيبت خاطره، ولما كان عمها من البدو كان يمتلك كثيرًا من الحيوانات، وفى وقت ترطيب البلح وحينما طاب للأكل هاجر العم مع أولاده وعياله وخدمه ودوابه إلى شاطئ ذلك النهر وأخذ يطعم الضيوف الواردين ويجلب نياقه وأخذ يسقى اللبن للواردين ويظهر مظاهر كرمه.

ولما تجاوز البلح وقت ترطيبه جاء عنده اثنان من الضيوف فبعث إلى صاحبة الأرض وطلب منها بعضا من الرطب الطازج ولما كان وقت البلح الطازج قد مر فقطف خادمها مقدارًا من البلح وأحضره وأخطره بأنه لم يجد بلحًا طازجًا فى الحديقة. قال البدوى إن صنعكم هذا من أجل إكرام ضيوفى غيث، وأعاد الخادم المسكين، وجاء الخادم مرة ثانية بمقدار من العجور وبين أن موسم الرطب قد مر فعاتبه قائلاً: «فليسود وجهك مثل الشىء الذى أحضرته»، ولامه وكره ما أهدى له من حدائق النخيل وباعها لعامل يمامه عبد الله الهاشمى بألفى قطعة من الذهب، وهذا ما يروونه، وأما عبد الله الهاشمى فقسم ما اشتراه من الحديقة إلى قسمين، وبنى فى وسطها كثيرًا من الدكاكاين وسماها سوق ضرية وأجرها بثمانية آلاف درهم سنويًا.

٥- حمى فيد:

المرعى المسمى بفيد هو المرعى الذى اختاره حضرة عمر الفاروق وهى فى طريق حجاج العراق وعلى بعد تسع مراحل من المدينة فى ناحية نجد ويشتمل مرعى فيد على كثير من العيون وبرك وتقام سوق كبيرة فى جهة منه وسبب تسميته بهذا الاسم إقامة فيد بن حام أول مرة فى هذا المكان.

وفى المكان الذى تقام فيه السوق بئران وهما عين النخل وجاره وأمر بحفر عين النخل حضرة عثمان وبئر جاره أبو جعفر المنصور، كما أمر المهدى البغدادى بحفر بئر أخرى فى خارج القرية وعلى الطريق.

ولا ينكر أن الآبار الموجودة قد بقيت من العهد الجاهلى إلا أنه قد حفرت فى صدر الإسلام آبار كثيرة وبُذِلت الجهود لإعمار البلاد الحجازية.

يقول بعض المؤرخين أن حافر بئر عين النخل هو أبو الدلم، وهذا الشخص أول من حفر بئرًا فى صدر الإسلام، وكان من موالى الفزارى وحفر البئر المذكورة فى زمن بنى مروان.

وأنبت بجانبها حديقة نخيل منتظمة وخصبة وتعيش بمحاصيلها إلى ظهور بنى عباس، وقد اغتصب بنو عباس حديقة نخيل ذلك الرجل. إلا أن هذه الرواية تجعل القول السابق غير قابل للتصديق. إذ إن البئر التى يطلق عليها عين النخل هى البئر التى حفرها عثمان بن عفان.

وبناء عليه فأول من حفر بئرًا فى العهد الإسلامى هو حضرة عثمان ـ رضى عنه الله المنان.

في ذكر الجبال والأماكن والأوطان والقرى التي تنسب إلى المدينة المنورة مرتبة حسب الحروف الهجائية

حرف الألف

«آرة»: على وزن حارة اسم جبل كبير من جبال بلاد مزينة. وحوله كثير من الجداول والقرى مثل فرع أم العيال[1] مضيق، محضة، وبرة، خضرة، فعوه وغيرها.

وتتحد مجاري السيول التي تجري من ذلك الجبل وبعد أن تشكل صحراوين وسبعتين تصب في وادي الأبواء وبعده في وادي ودان وفي صحراء حقل قرية اسمها وبعان وفي صحراء خلص قرية معمورة أخرى تسمى عرام.

«آبار»: على وزن آثار و«أُبيره» على وزن رويده اسم نهرين يصبان في وديان منزل آجر إلى ينبع البحر.

أبرق خترب: الأبرق منفرداً معناها الأرض الغليظة التي اختلطت رملها بالطين والحجارة إلا أن أبرق خترب اسم أرض صخرية في مرعى ضَرِيّة. يروون أن هذه الصخور من معدن الفضة، وأبرق الداث أرض صخرية في مجرى نهر راشا الكبير في مرعى ضرية.

أبرق العزاف: أرض حجرية بين المدينة وقرية ربذة وعلى بعد عشرين ميلا من ربذة، عزاف اسم ماء مشهور في بلاد قبيلة أسد بن خزيمة بن مدركة ويجري من مكان يسمى حومانة الدراج إلى ماء عزاف ومن هناك إلى بطن النخلة ومن هناك إلى محل يسمى طرف ومنها يذهب إلى دار العز المدينة المنورة، وحول هذا الماء عدة آبار ذات مياه غليظة وقديمة. قال خريم بن فاتك

(١) من أوقاف سيدة النساء.

مبينا إسلامه «كنت بِتُّ ليلة فى أربق العزاف حينما أخذ الجو يظلم استولى على الخوف والرهبة استعذت قائلاً «أعوذ بعزيز هذا الوادى من سفهته» فسمعت من الهاتف:

عـــذ يا فتى بالله ذى الجـــلال

واقـــرأ بآياتـــــه من الأنفال

ووحـــــــد الله ولا تبـــــــال

فقلت يأيها الهاتف النبى! ماذا تريد أن تقول؟ مرادك أن تضلنى؟ أم أن تهدينى؟ فأخذت الجواب الهاتفى:

النـــــبى عـــالى الشـــــــأن

الذى ظهـــــــر فى المدينـــــــــة

صـــــاحب الخـــير والإحســـان

يدعـــو الناس إلى طريـــق النجاة

طريـق الإســـلام والخـير!!

عندما سمعت ذلك استولت على الرغبة فى الإسلام.

ومن اطلع على شرح قصيدة بانت سعاد العصماء لا يخفى عليه أن كعب بن زهير التقى بأخيه بجير فى مرعى أبرق العزاف، وهذا سبب اعتناقه للإسلام، وثمة أرض صخرية تقع بجانب حصن القيماء المعروف بالأبلق القرد ويزعم العرب أن سليمان ـ عليه السلام ـ هو بانى هذا الحصن.

أُبْلَى: على وزن حُبْلَى اسم عدة جبال تقع بين السوارقية والرخصية وهو من جبال بنى سالم، وعلى بعد ثلاثة أو أربعة أيام من المدينة.

الأبواء: على وزن حلواء. اسم قرية وربما أن النهر الذى كان بجانب هذه

القرية قد فاض وتبوأ فى منزل من منازل القرية ومن هنا أطلق على هذه القرية أبواء إلا أن عند البعض أن أبواء اسم جبل على يمين تلك القرية ذات أوبئة كثيرة فأطلق اسم أبواء على تلك القرية عن طريق القلب.

وثمة واد بين إثابة وروثة وعرج.

إثابة: اسم بركة فى وادى العقيق بين أراضى عبد الله بن الزبير ونخيل يحيى بن الزبير.

اثيفية: على وزن زبيرية اسم ماء فى وادى العقيق يعرف أيضًا بأثيفية.

أُثيل: على وزن زبير، اسم موضع بين قريتى بدر وصفراء، وكان هنا بئر منسوبة لآل جعفر بن أبى طالب، وعندما رجع النبى ﷺ من غزوة بدر الكبرى نزل هنا وصلى صلاة العصر وقتل نضر بن الحارث مع وجود ميكائيل، وفى بلاد بنى حمزة أيضًا مكان يسمى أثيل.

ذات أجوال: اسم موضع فى مضيق صفراء.

أجرد: أسماء حصن فى مكان يسمى «لصة»، واسم جبل فى الجهة الشامية من بواط وهو تابع لقبيلة جهينة، واسم جبل آخر أمام مدلجة تعهن[1]، أو موقع.

أجشى: اسم حصن ينسب لبنى أنيفة أو أَجُم بنى ساعدة اسم حصن منسوب لقبيلة بنى ساعدة بالقرب من مكان يسمى ذاب.

وأجم على وزن جرم

إخطار:

والحصون التى ذكرت والتى ستذكر فيما بعد ليست حصونًا وقلاعًا عادية بل إنها أبراج صنعت للتحصن فيها حسب اقتضاء الحاجة.

أحباب:

على وزن أسباب اسم بلدة بجانب موقع سوارقية.

(١) تعهن: بضم التاء والعين، وتشديد الهاء. وأصحاب الحديث يقولونه بكسر التاء وسكون العين. اللسان (تعهن) ص ٤٣٤. ط. دار المعارف.

تطلق أحجار الزيت على أحجار مرتفعة بجانب منازل بنى عبد الأشهل أى بالقرب من ضريح مالك بن سنان رضى الله عنه.

إخطار:

كان الزياتون قبل الهجرة النبوية يضعون فوق هذه الأحجار زيت الزيتون ويتاجرون. ولكن مع انقلابات الزمان ارتفعت أرضية ذلك المكان واندرست الأحجار المذكورة وظلت تحت التراب وأصبح هذا المكان طريقًا مستويًا على طرف منه سور المدينة وفى الجهة الأخرى بيوت ومحلات، وحدثت وقعة الحرة المشهورة بالقرب من أحجار الزيت وبجانبه استشهد النفس الزكية.

أحجار المراء:

هو اسم المكان الذى نزل فيه حضرة جبريل فى قرية قباء وأحياء الجهة السفلى من ثَنِيّة المِرّة الواقعة المكان الذى بعث فيه رسول ﷺ سرية عبيدة بن الحارث[1].

أَخْزَمُ: على وزن أَحْمَدُ اسم جبل بين مَلَل وروحاء ويعرف فى زماننا بخزيم.

وأخضر: اسم منزل بالقرب من تبوك عندما كان النبى ﷺ ذاهبا إلى غزوة تبوك نزل فى هذا المكان.

أذاخر: اسم ثنية قريبة من مكة المكرمة.

أزين: اسم منزل عند مدخل مضيق صفراء.

أرْتَدْ على وزن أَحْمدَ اسم وادى أبواء.

أرخصيته اسم قرية ذات آبار ومزارع متعددة فى ناحية أبلى فى محاذاة قرية حجر، ويقال لها رخصية وبكسر الراء أيضًا.

أسقف: اسم جبل فى ناحية رابغ.

أسواف: وقف زيد بن ثابت فى الطرف الشامى للبقيع وفى شارع جبل أحد، وأساويف اسم آخر لذلك الوقف الذى يتوارثه طائفة عرب زيدون، وكان النبى ﷺ يشرف الأسواف كلما ذهب لزيارة سعد بن ربيع الأنصارى، وكان يجلس على السجادة التى تفرشها زوجة سعد، وبشر أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضى الله

(١) انظر: الطبرى ٢/ ٤٠٤.

عنهم ـ بالجنة في بئر أسواف وكان واسطة التبشير حضرة بلال[1]، وعلى هذا التقدير فإنهم بشروا بالجنة مرتين.

الأشعر: أحد الجبال التى نالت ثناء النبى ﷺ عندما قال خير الجبال أحد والأشعر والورقان.

أشنف: أحد الحصون أمام مسجد الخربة.

إضاءة بنى غِفار: اسم موضع فى الجهة الغربية من سوق المدينة، حيث تلاقى جبريل مع الرسول ﷺ فى هذا الموقع، ويقال لجبال جهينة التى تنتهى عند بطحان إضاءة بنى غفار أيضًا.

أُضاح: على وزن غُراب اسم مكان سوق ويبعد عن الموقع المسمى عرفجا مسافة ليلة.

أضافر: جمع ضفير أسماء بعض الربى الرملية بين الحرمين حينما ذهب النبى ﷺ إلى غزوة بدر مر بهذه التلال الرملية بعد موضع ذفران، وتلال الرمال التى تبعد عن الموقع الذى يطلق عليه هرشى يقال أضافر كذلك.

إضم: على وزن عِنب اسم وادى ضيقة القديم.

ومياه الأنهار الأخرى تتحد فوق هذا النهر ويلف من ناحية زغابة، ويطلق على ما بين موضعى ذى خشب وذى المرة على الجبال التى بين هذين الموضعين إضم كذلك ويبعد عن المدينة ثلاثة أميال قد تلاقى النبى ﷺ فى هذا المحل أيضًا مع جبريل عليه السلام.

أطول: اسم حصن فى محلة بنى عبيد التى تقع فى الجهة القبلية لمسجد الخربة.

أعشار: نهر فى وادى العقيق والأعشار فى مجرى هذا النهر.

أعظم: على وزن هفتم اسم جبل كبير فى الجهة الشمالية من موضع ذات الجيش.

يروى أن فوق هذا الجبل قبر أحد الصالحين أو نبى مجهول الاسم.

(١) مر فى موضع سابق أن من بشرهم كان أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ وعلى ذلك يكون قد بشروا مرتين.

وأعمار: كان اسم أربعة حصون فيما بين مزار وويخل، كما أنه اسم جبل فى بلاد قبيلة بنى عبيد، وجهة من جهتى هذا الجبل بلاد بنى حرام والجهة الأخرى بلاد جماعة قبائل بنى عبيد.

أعواف: اسم حديقة نخيل من الأوقاف النبوية يعرف أيضًا باسم عواف.

أعوض: على وزن أحمر اسم موضع بين بئر السائب وبئر المطلب فى الجهة الشرقية من المدينة المنورة.

أفراق: على وزن أعمال وعند البعض على وزن إنسان اسم حديقة من حدائق المدينة.

آب: على وزن جو آب اسم نهر من أنهار جبل أشعر أسفل عين العلا والذى يلتقى بمضيق صفرا.

الهان: على وزن مسان كان اسم موضع ينسب إلى بنى قريظة واسم الماء الذى وقفته أم العيال حضرة فاطمة أنًا وبجانبه مكان حيث تقام السوق، وكان هذا الماء تحت إدارة ابن طلحة بن عبد الله، وقد أنفق المشار إليه ثمانين ألف درهم وغرس عشرين ألف نخلة واعتاد أن يكسب من حاصلاتها أربعة آلاف درهم سنويًا، وبما أن العين المذكورة قد انتقلت فيما بعد لسيدة النساء فوقفتها.

أمج: اسم نهر ينفصل هذا النهر مع نهر غرابة من قيمة بنى سليم ويسير حتى البحر وعلى بعد ميل من نهر أرزق فى جهة مكة وعلى بعد ميلين من منزل خليص من جهة مكة

أَمَر: على وزن أمل اسم قرية على ثلاث مراحل من المدينة فى جهة فيد أو اسم حديقة، كان الرسول ﷺ أقطع هذه الجهة لعوسجة الجهنى.

إمرة: على وزن كسوة وعلى قول على وزن كعبة أسماء الآبار التى تقع بجانب جبل مغارية.

أنعم: اسم جبل يقع على يمين من يأتون من جهة رقيقين من طريق العقيق

واسم جبل آخر قريب من مرعى ضرية وفى موضع بطن عاقل. والجبل الذى على طريق العقيق بضم العين على وزن ينجم، والجبل الذى فى بطن عاقل على وزن أكرم بفتح العين.

إهاب: على وزن كتاب اسم موضع بجانب الحرة الغربية وبئر أهاب فى هذا المكان.

ذو أوان، اسم بلدة فى جهة تبوك على بعد ساعة من المدينة المنورة، عندما عاد النبى ﷺ من غزوة تبوك نزل فى هذه البلدة واطلع على حيلة مسجد ضرار.

أوساط: اسم موضع بالقرب من قرية سعد بن عبادة والذين كانوا يصلون إلى هذا المكان فى الجاهلية يدخلون تحت حماية سعد بن عبادة وتحت ضمانه وكفالته.

حرف الباء

بئر أرمى: أرمى على وزن أعلا، اسم بئر على بعد ثلاثة أميال، حيث وقعت غزوة ذات الرقاع الجليلة.

بئر اليت: على وزن ألبت اسم بئر على بعد يومين من المدينة المنورة.

بئر جشم: على وزن هنر، على الطرف الغربى من مجرى نهر رانوناء أى فى قرية بنى بياضة وفى مكان يسمى حُرْف فهو اسم بئر.

بئر خارجة: اسم بئر فى المدينة المنورة، وقد عرفت باسم رجل أولم وليمة بجانب هذه البئر إلا أنه لا وجود لهذه البئر فى هذا العصر.

بئر خُريف: على وزن زُبير اسم بئر قريبة من بئر أرمة.

بئر الدريك: دريك على وزن شعيب اسم بئر فى قرية بنى خطمة، يقال بئر زريق أيضًا،

بئر ذَرْوان: على وزن مَرْوان اسم بئر، يقال لهذه البئر ذى أروان أيضًا. وهذه البئر بئر لبيد ابن الأعصم الذى سحر النبى ﷺ وهو حليف زريق، قد

ألقى المنافق المذكور ما أعده من سحر لسحر النبى فى هذه البئر وقد أخبر جبريل النبى ﷺ بالموضوع فأخرج النبى ﷺ من البئر السحر الذى صنعه لبيد، كما سيأتى بيانه فيما يأتى، ثم سد بئر ذروان بالتراب والحجر، إن شمس الملة البيضاء أخذت تنشر ضياءها إلى الجهات الستة من الآفاق فاشتعلت فى أعماق اليهودى الدون نار الحقد والحسد فتخيل أنه يمكن أن يضر النبى ﷺ، ولم يستطع اليهود أن يصلوا إلى آمالهم بالحيل والدسائس، وعندئذ تولى الأمر لبيد بن الأعصم وكان من مشاهير السحرة ولم يكن له مثيل فى ميدان الشر وكان فى الفتن رأس الأفعى فسحر وتدًا فعقده فى أحد الأماكن منه وغرز فى كل عقدة إبرة ودفنه فى قبر قديم، ثم أخرجه من هناك وتركه تحت حجر فى بئر ذروان وقد تأثر النبى ﷺ جسميًا من هذا السحر لحكمة ما وأخذ يتخيل أنه فعل الأشياء التى لم يفعلها وأخذ ﷺ يتضايق من هذه الحالة حينئذ أتى جبريل - عليه السلام - بسورتى المعوذتين اللتين تحتويان على إحدى عشرة آية.

وأخبر النبى ﷺ أن لبيد بن الأعصم قد وضع الوتد الذى سحره تحت حجر فى بئر ذروان، وبناء على المعلومات التى استقاها من جبريل - عليه السلام - أرسل على بن بن أبى طالب - رضى الله عنه - إلى بئر ذروان فأخرج الوتد المذكور من بئر ذروان.

وبناء على تعليمات جبريل قرأ على الوتد المعوذتين وعقب كل آية كانت عقدة من العقد تنحل ولما انحلت جميع العقد تخلص جسم النبى ﷺ من قيود الاضطراب الثقيلة واكتسب خفة ونشاطًا وسرورًا وفى ختام قراءة السورتين الجليلتين أفاق كليا، ولما كان النبى ﷺ يقرأ السورتين كان يشترك جبريل مع النبى ﷺ بالدعاء قائلاً بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء فيك.

بئر رِآب: رآب على وزن كِتاب اسم بئر فى موضع محيص.

بئر ركانة: بئر تقع على طريق العراق وعلى بعد عشرة أميال من المدينة.

بئر زمزم: بئر فى موقع إهاب.

بئر سائب: على بعد يوم واحد من المدينة فى جهة نجد كما أنه اسم جبل أمام موقع شباع وعلى بعد يوم واحد من شقرة ويروون أن حضرة إبراهيم نزل على قمة ذلك الجبل.

بئر عائشة: اسم حصن واقع فى الجانب القبلى لمسجد فصيح.

بئر عذق: عذق على وزن شوق اسم بئر فى جهة قباء وفى داخل محلة بنى أنيف.

بئر عروة: اسم بئر مشهورة فى وادى العقيق.

بئر العقيق:

بئر ذات العلم: اسم بئر أمام موقع الروحاء ينقلون أن على بن أبى طالب قاتل الجن فى نهاية عقبة هرشى القريبة من البئر المذكورة.

بئر عاصر: فى جهة بئر أريس واسم بئر وقفها عثمان بن عفان.

بئر فاطمة: اسم البئر التى حفرتها بالقرب من الحرة الغربية بنت حسين بن على بن أبى طالب فاطمة - رضى الله عنهما - لما أخرجت المشار إليها من دار والدة حضرة حسين جناب فاطمة - رضى الله عنهما - صلت بجانب الحرة المذكورة ركعتين من الصلاة وبعدما حفرت المكان الذى صلت فيه أمرت أن يحفر فى هذا المكان بئر، ووجد حفار البئر الماء فيها بكل سهولة فبنوا حولها.

ولما أراد إبراهيم بن هشام بناء دار فى ذلك المكان ونقل سوق المدينة فى هذا المكان أراد أن يحفر بئرًا واسعة كالحوض ليسهل أمور أهل السوق ولكن حينما بدأ بحفر البئر صادف صخرة عظيمة لا يمكن نقبها ولا حفرها مما أدى إلى بقاء الحوض الذى عمق وحفر بدون ماء، فاشترى البيت الذى بنته حضرة فاطمة بجانب البئر من ابنها عبد الله بن حسن بن حسين بن على - رضى الله عنهم - وترك البئر لأهل السوق كهدية، وإن كان من يروى فى وقتنا أن تلك البئر هى بئر زمزم المشهورة إلا أن هذه الرواية خاطئة لأن بئر زمزم بجانب بئر فاطمة.

بئر فجار: ستذكر بئر فجار فى شاطبية.

بئر مدرى: على وزن عِندى، اسم بئر بجانب السد الذى بناه عثمان بن عفان لينقذ الحَرم الشريف من فيضان نهر مهزور.

بئر مرق: اسم البئر التى فى حدائق النخيل التى تنسب لبنى ظفر ويطلق على تلك الحدائق فى عصرنا مرقية.

بئر مطلب: اسم بئر على بعد ستة أميال من المدينة المنورة فى جهة نجد على قارعة الطريق ووجه تسميتها أن مطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى هو الذى أمر بحفرها.

بئر معون: اسم بئر فى موقع الرجيع حيث كانت المذبحة الأليمة.

بئر الملك: اسم بئر فى موضع قناة، حفرها تبع الحميرى.

بئر الهجيم: اسم بئر بجانب منزل العصبة وبجانبها خرائب حصن قديم.

«بترا»: اسم مكان مر عليه الرسول ﷺ فى غزوة بنى لحيان ثم مال متجها إلى اليسار ودخل بين بعض الصخور.

بجرات: اسم المياه التى تتراكم فى جبل شورى.

بُحران: على وزن نُعمان وعلى قول شعبان وفوق موضع يسمى فرع يروون حدوث غزوة أو سَرية فى هذا المكان.

يخرج كان اسم حصن قديم فى قرية قباء.

بدار: اسم موقع بجانب وادى القرى.

بدر: اسم البئر التى حفرها بدر بن قريش بن مخلد ابن النضير من بنى غفار فى ناحية بدر وسميت باسم حافرها، وقعت غزوة بدر الكبرى بجانب هذه البئر، وعلى رواية أخرى أن بدر بن قريش ذلك من أفراد قبيلة بنى حمزة، ووجه تسمية البئر ببدر إقامته بجانب تلك البئر، ويطلق على ذلك الموضع بدر الموعود بدر القتال بدر الثالثة أيضًا، وقد أعز الله ـ سبحانه وتعالى ـ بهذه المعركة

الموحدين، استشهد فيها ثلاثة عشر من الصحابة غير عبيدة بن الحارث وتوفى عبيدة متأثرًا بجراحه التى أصيب بها فى بدر فى مكان يسمى صفر حيث دفن.

صدى الطبل فى مذبحة بدر الكبرى:

وبناء على تدقيق وتحقيق المرحوم المرجانى أنه سمع فى مذبحة بدر الكبرى التى حدثت فى أوائل الدولة الإسلامية صوت طبل المعصر وأن هذا الطبل سيدق إلى يوم القيامة، وهذا ثابت بالآثار الصحيحة.

ويروى أن بعض الذين يمرون من موقع المعركة يسمعون صوت الطبل ويحكى أنه يرى فى ذلك المكان احمرار فى السماء بالليالى.

عجيبة:

يقول نخبة أهل الوثوق ابن مرزوق ـ رضى الله عنه ـ استمعت من أكثر الحجاج أنهم لما مروا بوادى بدر سمعوا أصوات طبل ملكى وأن هذا الصدى دليل انتصار المسلمين، وإننى لم أستطع أن أصدق هذه القصة أبدا وكبر الموضوع فى ذهنى حتى وصل إلى درجة الإنكار أحيانًا وأحيانًا عزوت هذا الصوت إلى أصوات حوافر الخيول فى أرض بدر الصلبة الخشنة وصرفت الفكر عن الموضوع. وعرفت فيما بعد أن أرض بدر ساحة رملية لينة، وأن أكثر الدواب التى تنتقل بين الحرمين جمال وأن أقدام الجمال لا تصدر صوتًا حتى فى الأرض الصلبة الخشنة وبناء عليه تخليت عن التأويل السابق واستغرقت فى بحار الحيرة وبقيت مضطربًا قلقًا إلى أن مررت بنفسى من وادى بدر، وفى السنة التى سافرت فيها إلى مكة محرمًا لأداء فريضة الحج كنت نسيت الخواطر التى حول بدر وكان قائد القافلة الموقر قد ساق القافلة إلى وادى بدر فنزلت من على ظهر الجمل وأخذت أسير مترجلاً دون أن يكون فى خاطرى الفكرة المشروحة وكانت فى يدى عصا من خشب شجرة أم غيلان وبجانبى غلام من الجمالين حبشى السحنة، وعندما وصلنا إلى المكا الذى تحدث عنه بالحجاج قال لى الغلام المذكور هل تسمع

هذا الصوت؟ فذكرنا بالموضوع السابق فاستمعت إليه وفعلا يسمع صوت شبيه بصوت الطبل فتملكتنى رعشة من الهيبة واقشعر شعر جسمى وخرج من ملابسى كالإبر.

ولما كان الجو عاصفًا ترددت فى الذى سمعته من صوت الطبل الملائكى وقلت يظهر أن العصا التى فى يدى تصدر صوتًا بفعل اصطدام الريح بها فرميت العصا وحصرت سمعى حتى أطلع على حقيقة الحال، وكان صوت الطبل يسمع مستمرًا من جهتى اليمنى ومنذ أن باتت القافلة فى وادى بدر إلى قيامها استمعت إلى ذلك الصوت سالف الذكر فحللت مشكلتى، ولاشك أن سماع تلك الأصوات غير مقدر لكل شخص.

الإمام القسطلانى «مؤلف المواهب اللدنية» من الذين سمعوا صوت الطبل المذكور إذ يقول المشار إليه فى كتابه كان ينتقل سماع صوت الطبل المعهود فى المكان الذى وقع فيه غزوة بدر الجليلة، فجربت الاستماع فى الحقيقة سمعت صوت الطبل، حتى إننى سمعت صوته عندما نزلت فى اليوم الذى نزلت فيه بدرًا، ويقال إن كل شخص لا يستطيع أن يسمع هذا الصوت، وقد سمعه أيضًا مؤلف تاريخ الخميس حسين بن محمد من ديار بكر، يقول فى تاريخه: أنا أيضًا كنت مشتاقا لتجربة هذا الموضوع، وعندما كنا ذاهبين من المدينة إلى مكة المكرمة بتنا ليلة فى بدر حيث أقمنا فيها يومًا وبعدما أدينا صلاة الفجر وصل إلى أذنى صوت طبل كان يوم الأربعاء من أوائل شهر شعبان من السنة المذكورة، وظَنَنْتُ أن ذلك الصوت يأتى من الجبل المرتفع الذى يقع فى الجهة الشمالية من بدر فأسرعت بالصعود إلى ذلك الجبل، مع أن مائة من رجال القافلة ونسائها استمعوا إلى الصوت، ولم أسمع فوق الجبل صوت طبل فنزلت إلى سفح الجبل، وبدأت أسمع صوت الطبل آتيًا من تجاه ذلك الجبل، والذين سمعوا الصوت ظنوا أن الصوت آت من تجاه ذلك الجبل، ظللنا هناك مدة طويلة، وكان ذلك الصوت يأتى أحيانًا من تحتنا وأحيانًا من فوقنا وأحيانًا من خلفنا وأحيانًا من أمامنا أحيانًا من يميننا وأحيانًا من يسارنا.

وعندما استمعنا لهذا الصوت كان الهواء راكدًا ولم تكن الريح تهب من آية

ناحية، والذين يستمعون لهذا الصوت ما كانوا يفرقونه عن صوت الطبل المعهود.

براق خبت: خبت على وزن جهة اسم مكان فى صحراء تبدأ من بدر وتنتهى فى مكة.

بِرام: على وزن أنام أو على وزن إمام، اسم جبل مشهور قمته مثل الخيمة وعلى الجهة الغربية منه ترى سلاسل جبال نقيع وعلى الجهة الشرقية منه ترى سلاسل جبال عسيب.

بُرقة: على وزن دفته أو على وزن نكته اسم موضع من الأوقاف النبوية.

برقة العيران: اسم موضع ذات منظر غاية فى الغرابة من الجمال بين مرعى ضرية وبيسان وله طول وعرض مسافة نصف ساعة.

ويطلق اسم برقة بين العرب على أماكن حجرية ورملية وطينية ولما كانت برقة العيران على خلاف ذلك نالت ثناء الشاعر المشهور امرئ القيس ومدحه.

برك: اسم مكان يقع فى محاذاة موقع يقال له شواحظ فى ناحية سوارقية.

بُركة: على وزن عُزبة يطلق على مقسم مياه عين الزرقاء.

بَرمة: على وزن جزمة اسم موقع قريب من موضع بلاكت ما بين وادى القرى وخيبر، فى هذا المكان مياه كثيرة وحدائق يطلق عليها ذو البيضة.

برود: على وزن حسود اسم مكان ما بين أشعر وملل واسم موضع فى جهة حرة النار.

بَزواء: على وزن حَلواء اسم بلدة مرتفعة الحرارة بين واديى ودان وجار وأعلى قليلاً من الساحل. وكانت قبيلة بنى ضمرة من قبائل كنانة ساكنة فى هذا البلد.

وعزة معشوقة كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جمعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعى من الشعراء المشهورين كانت من هذه البلدة.

وإن كان كثير بن عبد الرحمن مشهوراً بين الناس لجودة أشعاره ورقتها إلا أنه كان أحمق يظهر عداوته وغيظه للعلويين الذين ينتسبون إلى حضرة على بن أبى طالب.

مضحكة

ينقلون عنه هذه الحكاية دليل بلاهة خلقه، لازم كثير الفراش يوما وهو مريض، فذهب بعض ظرفاء العصر لعيادته وأخذوا يستفسرون عن حاله مراعاة لأصول العيادة، فخاطبهم كثير قائلاً الظاهر أننى سأتوفى غالبًا. فسألوه قائلين وطيبوا خاطره: لا كلا! إن وفاتك ستتأخر بعض الوقت، فأجابوا كثيراً بناء على قوله: أرجوكم أيها الإخوة، إذا كان بين الناس معلومات صحيحة بخصوص طول عمرى، أخبرونى فقالوا له رداً على هذا: إن الناس قاطبة يعتقدون أنك دجال! وبما أن ظهور الدجال سيطول قليلاً، فإنك ستعيش مدة طويلة بعد الآن، فأجابهم قائلاً: «نعم! إن قولكم ليس بسيئ اعتقادكم فى محله، قد أصبت من مدة ليلة بضعف البصر وضعف بصرى هذا يدل على صحة اقتناعكم».

ينقل عن الذين عرفوا كيف عشق كثير عزة ثم بينوا ذلك أنه مر ومعه بعض الأغنام، ببلاد بنى ضمرة وأخذ فى البيع والشراء. بينما كان يمر بجانب جماعة من النساء فبعثن بعزة طالبات غنما على أن يدفع ثمنه بعد فترة، وإن كانت عزة بنتا صغيرة فصيحة اللسان متحدثة ذات إفادة عذبة واشتهرت بذلك حتى نساء القبائل.

فذهبت إليه وقالت بأسلوب جميل ولسان عذب فصيح بعثتنى هؤلاء النسوة اللائى أمامك وقلن إذا ما أعطى لنا غنما بالدين فعند رجوعه نؤدى له دينه، ففتن كثير بمشية عزة ووجهها، وخاصة سحر حديثها وطريقة أسلوبها، وأعطى لها من الغنم ما ترغب فيه.

ومَرَّ كثير بعد فترة بجماعة النساء من بنى ضمرة ورأى أنهن جلسن فى نفس

المحل وتلكأ قليلاً، وكانت النساء قد دبرت ثمن ما أخذن من غنم فأعطين إحداهن وأرسلناها مع النقود إلى كثير، وأرادت أن تعطى النقود لكثير قائلة هذه نقود الغنم التى اشتريناها من قبل فقال كثير ليس لى دين عند أحد غير البنت التى أخذت منى الغنم وأنشد البيت الأتى:

قضى كل ذى دين فوفى غريمه

وعزة ممطول مُعَنًّى غريمها

وعادت المرأة عندئذ وأعطت النسوة دينهن إلى عزة وأرسلنها إلى كثير.

سبب وفاة كثير:

حج زوج عزة وأخذ معه زوجته، ولما بلغ كثيراً هذا الخبر ذهب ليزور الكعبة المعظمة عله يرى جمال معشوقته مرة أخرى. ولما عرفت عزة أن كثيراً فى مكة خططت لرؤية كثير. وظل كثير يسأل جميع قوافل الحجاج فى مكة فرداً فرداً باحثًا عن عزة، ولكنه لم يكتب لهما اللقاء، وفقد كثير جمله بعد عرفات وذهب لناحية ما بينما الحجاج يطوفون طواف الوداع رأت عزة جمل كثير وأظهرت حنينها وشوقها ومسحت ما بين عينى الجمل ولاطفته ودعت له قائلة حييت يا جمل، ولما عرف كثير الكيفية رجع إلى جانب الجمل إلا أن عزة كانت قد عادت فأنشد القطعة الآتية:

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت

فحى ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها مازلت ذا شرف

عندى ولا مسك الإدلاج والعمل

وهكذا أبرز شدة حبه وشوقه لعزة.

وبينما كان كثير يلقى هذه القطعة بكل حماس وجد بجانبه الشاعر المشهور

الفرزدق فسأله قائلاً: «أنت من ياترى؟» فأجابه «أنا كثير» فقال له «إذًا فأنت الذى يطلقون عليه كثير عزة؟» فقال له «نعم هكذا يسمينى الناس»، ولكن من تكون أنت؟ فعرف أنه الفرزدق بن غالب التميمى فقال له: هل أنت القائل لهذه الأبيات:

وجــدت جمــالهم بكل أسيلـــة
تركت فـــؤادى هائمًا مخمـــولا
لو كـنت أملكهم إذا لم يرحلوا
حتى أودع قلبـــى المتبـــــولا
ساروا بقلبى فى الخــدود وغادروا
جسمى يعالـــج زفــــرة وعويـلا

فلما أخذ الرد بالإيجاب وقد رأى تلك الأبيات تنطبق على حاله فتأثر منها أشد التأثر فقال «يا فرزدق! لو لم أكن أمام البيت المعظم لصحت صيحة عظيمة انزعج منها هشام الذى يجلس على العرش فى سواد الشام ويظن أن القيامة قامت واستولى عليه الفزع، ولكن ما الفائدة فحرمة بيت الله الجليل تقف دونها!!» ولما تأثر الفرزدق من هذه الكلمات أشد التأثر فقال له «يا كثير، سأعرض ما قلته على هشام عندما أصل إلى الشام». وفعلا عرض الأمر عليه عندما وصل إلى الشام وبين له شدة حب كثير لعزة، ولما كان تطليق عزة من زوجها وتزويجها من كثير ممكنا فأمر بأن يدعى كثير إلى الشام، فبلغ الفرزدق الأمر لكثير كتابة وطلب منه أن يحضر إلى الشام دون تأخر. ولما أخذ كثير الرسالة المبشرة من الفرزدق تحرك من مقر مقره سعيدًا وتوجه إلى الشام قاطعا المراحل وطاويا البوادى والمنازل، ولكنه تصادف أن غرض لناظريه غراب قبل أن يصل إلى الشام بعدة مراحل فتطير، وكان الغراب الذى أفزعه فوق شجرة بان يفلى ريشه ويسقط شعره. ولما رأى الغراب فى هذه الحالة استولى على قلبه خوف واصفر وجهه. وذهب إلى قبيلة بنى نهد ليسقى دابته وهو فى شدة الحرص على سلامته.

ولما كانت تلك القبيلة من زجرة الطير فقال عجوز وقد استدل من صفرة وجه كثير على خوفه، يا ابن أخى! هل هناك شىء أخافك؟ «فقال له كثير نعم» وحكى له حكاية الغراب فتشاءم العجوز من هذه الواقعة وقال له هذه الحكاية إشارة على فراقك واغترابك. ولما زاد غم كثير وهمه من هذا القول أرخى عنان دابته حتى لايصل إلى الشام سريعًا، ولما وصل إلى الشام وجد جنازة موضوعة على حجر المصلى وقام مصليًا مقتديًا بالإمام، ولما فرغ من الصلاة قيل له: إننا لا نستطيع ألا نتعجب من غفلتك فى هذا اليوم الحزين فقال لهم أى يوم هذا تتعجبون من غفلتى؟! فقالوا إن عشيقتك عزة توفيت والجنازة التى صليت عليها كانت جنازة عزة فكيف لا نتعجب لحالتك؟! فتأثر كثير من هذه الإجابة ووقع على الأرض مغشيًا عليه وبعد أن أفاق قال:

مـــا أعـــــرف النهـــدى لادر دره

وأزجـــــره للطــــير لاعـــز نصـره

رأيــت غرابـــــًا واقفًا فوق بانه

ينتــف أعـلى ريشـــــه ويطــايره

فقـــال غراب اغتراب من النـــوى

وبانـــه بين مـــن حبيب تعاشــــره

وبعد أن ألقى هذه الأبيات صاح صيحة عظيمة ومات ودفن بجانب عشيقته.

مات كثير فى خلال سنة ١٠٥ الهجرية، ولما توفى فى نفس اليوم عكرمة غلام ابن عباس فقيل فيهما: توفى اليوم أفقه الناس مع أشعر الناس رحمهما الله.

البضَيع: على وزن النصير اسم مشهور أصل ماء قبيلة بنى غفار، وهو بين جبلين فى وادى العقيق.

(١) الزجر هو إبعاد الطائر بتخويفه عند الذين يتفاءلون بالطير إذا كان الفأل سيئًا.

تفصيل هذا مسطور فى الصورة الثامنة من الوجهة الثانية من مرآة مكة.

بطحان: يطلق على الصحراء التى تستقر فيها مساجد الفتح.

بطن نخلة: يطلق على بطن نخلة على حديقة النخيل التى تقع على مسافة يومين من المدينة المنورة فى ناحية فيه، وحول حديقة النخيل هذه أكثر من ثلاث مائة بئر ذات مياه عذبة والوادى الذى فيه يلتصق بطريق وادى ربذة.

بعاث: الاسم القديم لموضع قوران وفى الجهة العليا للموضع الذى يطلق عليه دلال وعلى بعد ميلين من قرية بنى قريظة من جهة المدينة. وعند البعض اسم حصن منسوب لبنى قريظة أو حديقة نخيل.

بعد أن قتل محمد بن مسلمة واليهودى كعب بن الأشرف مر بقبيلة بنى قريظة ثم بموقع بعاث وهكذا إلى رنوة عريض ومن هناك عاد إلى المدينة المنورة.

بعبع: كان اسم حصن فى قرية قباء.

بغيبغة: اسم بئر قريبة من موقع رشاء. ويطلق على الساحة التى فيها هذه البئر بـ غيبات أيضا.

عندما شرف على بن أبى طالب ينبع البحر حفر كثيرا من الآبار فى ساحة بغيبات، ووقفها، وحدائق النخيل التى غرست فى عهده كانت تسقى من الآبار المذكور ونذر سنويا ألف وسق من البلح.

توضيح:

الوسق: يستوعب ستين صاعا ـ أو يقال لحمل بعير وبناء على القول الأول أن (٣٢٠) رطلا عند الحجازيين و(٤٨) رطلا عند العراقيين والرطل (١٢) أوقية والأوقية (٤١) درهما. ولكن هذا الحساب بناء على الرطل الشامى لأن الرطل العراقى أزيد (١٢٨) درهم.

قد أعطى ريحانة الرسول جناب حسين بن على حدائق نخيل بغيبات لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب بشرط ألا يزوج ابنته ليزيد ابن معاوية وقال: «تستطيع أن تسوى بمحاصيل هذه الحدائق ديونك وأن تدبر أمور معيشة أهلك».

وقد تملك واستولى على هذه الحدائق بنو هاشم فيما بعد ولكن عبد الله بن حسن بن وضح الأمر إلى مقام الخلافة فرد إلى وقف على بن أبى طالب وأخذ من يد بنى هاشم. وأن أبا جعفر المنصور قد استولى عليها فى زمن خلافته إلا أن الخليفة المهدى أعادها لحسين بن زيد بن حسن. ويرى البعض أن حدائق بغيبات ظلت إلى عهد المأمون فى يد بنى عبد الله بن جعفر فأعادها المأمون إلى بنى فاطمة وأعطى لبنى عبد الله حديقة نخيل أخرى.

بقال: اسم موضع فى داخل المدينة المنورة، والمنازل التى فى هذه المنطقة تجاور بعضها بقيع الغرقد وبعضها يجاور بقيع الزبير.

بَقعاء: على وزن صفراء اسم ذى القصة القديم والتى تبعد عن دار الهجرة أربعة وعشرين ميلا وهو الموقع الذى جهز أبو بكر فيه الجنود لإرسالهم ضد العرب المرتدين.

بُقَع: بضم الباء وفتح القاف اسم بئر واقعة فى موضع سقيا.

بقيع بطحان: اسم موضع فى وادى بطحان.

بقيع الجنجنة: اسم شجرة تنبت دون غارس ذاتيا، حيث أعد طين لبنات المسجد النبوى، وكان فى ناحية مشهد إبراهيم فى بقيع الغرقد.

بقيع الخيل: اسم موضع فى الجهة الشرقية أو الجنوبية من مصلى العيد (يقال له الآن مسجد النبى ويشتهر الآن ببقيع المصلى.

بقيع الزبير: فى محلة بنى غنم اسم محل حيث كانت منازل الزبير بن العوام فى الجهة الشرقية من موقع البقال سالف الذكر، وكان النبى ﷺ قد أقطعه للزبير بن العوام ويروى أن الميدان الذى فى طريق الغرقد من المنازل الزبيرية.

بقيع الغرقد: اسم المقبرة التى يقال لها جنة البقيع وكانت ساحة هذه المقبرة قبل الهجرة غابة من أشجار الغرقد. قد أمر النبى ﷺ بقطع الأشجار واتخذه مقبرة.

بكرات: تطلق على بعض الربا التى فى مرعى ضرية.

بلاكت: على وزن منَاظر يطلق على موقع فى بطن إضم.

بلحان: كان اسم حصن بموقع سجيرة.

بليدة: بلدة اسم موقع قريب من مكان يطلق عليه فقير من وديان جبل أشعر، وينسب لعلى بن أبى طالب.

بواطان: اسم جبلين مدببين فى الجهة الشامية من جبل أشعر وهذان الجبلان جبل واحد فى الواقع ولما كان له قمتان مزدوجتان أطلق عليه هذا الاسم.

بضيعة المثنى: وبين هذه الجبال طريق جبلى ضيق قد سار النبى ﷺ من هذا الطريق فى غزوة العشيرة.

بويرية: اسم البئر التى حفرها أولاد الحارث بن الخزرج لدى حدائق النخيل.

بويرتة: وان كان بئر صغير بجانب حدائق نخيل بنى النضير ولكن بناء على رواية صحيحة أنه اسم جدول فتح لبئر بويرتة لدى حدائق نخيل القبيلة المذكورة. ولم يكن هذا الجدول فى وقتنا فى بويرتة التى فى الجهة القبلية الغربية من مسجد قباء.

بويلة: على وزن رويدة اسم مرج واقع فى قرية بنى النضير.

بيداء: اسم موقع بين ذى الحليفة ودارة مفرح. وفى هذا المكان علم مركوز ويروى أن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال فى حق هذا العلم «العلامة المركوزة فى موقع بيداء وضعت إشارة أن هذا المكان مخرج الإمام المهدى».

بيسان: على وزن ميدان اسم ماء مر بين خيبر والمدينة المنورة ونزل النبى ﷺ بجانب تلك البئر فى غزوة ذى قرد وسماه بعمان ووصف حلاوة وعذوبة ذلك الماء فتحول طعم الماء واكتسب لذة وعذوبة وأصبح ماء فى غاية العذوبة واللطف فاشتراه جناب طلحة ووقفه.

حرف التاء

تَبوك: على وزن صَبور اسم موضع مشهور وعلى اثنتى عشرة مرحلة من دار الهجرة في جهة الشام ويقع بين الشام ووادى القرى. وفى ذلك المكان حديقة وبستان منسوبان للنبى ﷺ. ذهب النبى ﷺ فى السنة التاسعة الهجرية قاصدا غزوة تبوك ونصب خيامه بجانب البئر التى فى موضع تبوك.

حيث قام وأمر أصحابه بألا يمدوا أيديهم للبئر سالفة الذكر إلا أن اثنين من الصحابة الكرام لم يسمعا التنبيه الذى صدر من النبى ﷺ وبما أنهما قد عرفا أن ماء تلك البئر قليل وغير كاف وأرادا أن يعمقا البئر لإكثار مائه ووجدا عصا وأخذا يقلبان ماءها فرآهما النبى ﷺ وقال لهما «مازلتما تبكوانها فسميت تلك البئر تبوك».

وبعد أن حذر النبى ﷺ المشار إليهما ومنعهما من تقليب مياه تلك البئر بقوله «مازلتما تبكواها» ثم ضرب بحربته إلى ثلاثة أماكن من تلك البئر حيث تفجر من هذه الأماكن الثلاثة ماء فى غاية اللذة واللطف فغسل وجهه ثم صب الماء المستعمل فى البئر.

تُربان: على وزن عُربان موقع بين ذات الجيش وملل.

ترعة: اسم واد فى ناحية فدان وهو من أوقاف على بن أبى طالب ويتصل بالجهة القبلية لموضع إضم.

تسرير: اسم واد فى مرعى ضرية.

تُضارع: على وزن مُضارع اسم بحيرة بموضع فى العقيق.

تعار: على وزن كبار اسم جبل يقع فى الجهة القبلية لموضع وابلى

تعُهن(١): على وزن دشمن اسم ماء على بعد ثلاثة أميال من موضع سقيا فى جهةَ مكَة.

تمني: على وزن تغنى موضع فى طريق عقبة هرشى يقال للجبال التى بجانبها جبال بياض.

(١) تقدّم ضبطه فى أول هذه الصورة. راجع (أجرد).

تنَاضب: على وزن برَابط طريق جبلى يبدأ من منزل داود وينتهى إلى وادى العقيق.

تبدو: على وزن هيئت اسم من أسماء دار الهجرة كما يطلق على واد من وديان أجرد.

كما يطلق على جبل فى بلاد جهينة تبدد ويجانب هذا الجبل عدة آبار.

تِيس: على وزنت بِيك اسم حصن تتحصن به قبيلة بنى عتبان التى تنتهى إلى بنى ساعدة.

تيم: على وزن كرم اسم جبل يقع فى الجهة الشرقية من المدينة المنورة.

تيماء: بلدة ملحقة بالمدينة المنورة على بعد ثمانى مراحل منها.

حرف الثاء

ثاجة: اسم ماء فى موقعى حرض وحراضى.

ثاقل: اسم جبلين أحدهما صغير والآخر كبير بين الحرمين وبينهما طريق جبلى.

بثار: على وزن صغار اسم موضع مشهور قتل فيه عبد الله بن أنيس الذى وقع فى أسر ابن رزام اليهودى.

زفاف صفية رضى الله عنها تزوج النبى ﷺ فى غزوة خيبر من زينب بنت حيى بن الأخطب ولما وصل إلى موقع بثار سالف الذكر وهو عائد أراد أن يدخل عليها. فخالفت المشار إليها الإرادة النبوية. ولما وصلا إلى منزل صهبا ومالوا إلى جهة دومة الجندل وانعطفا نحوها فرضيت وأطاعت الرسول ﷺ قائلة: «أرجو ألا تكون قد غضبت من حركتى الأنانية فى المنزل المذكور، لأن ذلك المكان كان قريبا من بلاد اليهود فلم يكن بعيدا أن يصل أذى تلك الفئة المكروهة إلى سيد البشر. والآن قد عرفت أن أهالى القرى والبلاد التى تحيط بنا كلهم تحت طاعتك

ولن يستطيع اليهود أن يؤذوك هنا» وهكذا مهدت بهذه الكلمات لجبر خاطر الرسول ﷺ.

اسم المشار إليها زينب وأبوها حيي بن أخطب بن سعنه بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخزرج بن أبى حبيب ابن النصير بن النحام وأمها برة بنت سموأل. ولما اصطفاها الرسول ﷺ من غنائم خيبر سماها صفية. ولم ترد جناب صفية أن تسلم فى أول الأمر إلا أنها بعد مرور عدة أيام عرضت رغبتها فى الدخول فى الإسلام، وكانت خيوط سلسلة نسب أبيها حيى بن أخطب تنتهى مع بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع إلى سبط لاوى بن يعقوب أى ترتبط بهارون عليه السلام وكان من عظماء هذه القبائل وفى ليلة زفافها، تولى حراسة خيمة النبى ﷺ أبو أيوب الأنصارى مسلحا حتى الصباح.

وخرج النبى ﷺ فى فترة ما من خيمته ولما رأى أبا أيوب الأنصارى يتجول حول خيمته متسلحا فسأله عن سبب ذلك. فقال له «يا رسول الله! بما أن صفية حديثة السن. وأنك قد قتلت أقاربها أباها وزوجها ربما تكون متأثرة ومتألمة بهذا وقد تحاول نتيجة لهذا أن تقصدك بشر ولما فكرت فى هذ الأمر جفا النوم عينى وقررت أن أقوم بحراستك تاركا الراحة والنوم». ولما سمع الرسول هذا الرد فرد عليه قائلا «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى».

وظل أبو أيوب الأنصارى طول حياته تحت وقاية ربه الذى لا ينام. ونتيجة لهذا الدعاء أصبح مرقده المقدس تحت حراسة سكان باب السعادة حيث يتوسلون بروحه السامية فيلتمسون البركة والشفاء. يروى أن حتى النصارى كانوا يذهبون إلى قبره متبركين به ويستسقون المطر به وذلك قبل فتح إستانبول.

ثراء: اسم موقع بجانب واد يسمى جى بين موضعى صفراء ورويثة.

ثريا: اسم ماء مشهور لموقع ضبا فى مرعى ضرية. وإن هذا الماء ينسب إلى قبيلة بنى محارب التى تسكن فى جبيل شعبى.

ثعال: اسم طريق بين رويثة والروحاء.

الثمال: اسم المحجر الذى يطلق عليه صخرات اليمام.

الثمغ: اسم ملك بالقرب من كومة بنى الحمراء فى الجهة الشمالية للمدينة وهو من غنائم يهود بنى حارث وكان من حصة عمر بن الخطاب فوقفه بمجرد أن أخذه.

وعلى رواية أن عمر الفاروق وقف الملك المذكور أولا ثم وقف مؤخرا ما اغتنمه من أراضى خيبر.

ورغم أن هذا القول صحيح يحتمل أن يكون ثمغ اسم لموضعين.

ثنية البول: وهو طريق جبلى بين المدينة المنورة وذى خشب.

وثنية الحوض: وهو طريق جبيل يقع أسفل الموقع المدرج فى مجرى وادى العقيق. ولوجود حوض لمروان بن الحكم بجانب الثنية المذكورة. فقد أطلق على هذا الطريق ثنية الحوض.

ثنية الشريد: وهو طريق جبلى فى وادى العقيق ولوجود كثير من بساتين الفاكهة لأحد الأشخاص من بنى سليم إلى جانب ثنية الشريد، فقد ملكها سيدنا معاوية لفترة. وهى على يمين الطريق الذى سلكه الرسول ﷺ فى رحلته إبان رحيله إلى المدينة المنورة.

ثنية العثعث: وهى تل من تلال جبل حفن بالمدينة تقع بين قاعد المدينة المسماة حصن الأمير وجبل سليع.

ثنية مدران: وهى طريق يقع إلى جوار مسجد تبوك.

ثنية مرة: طريق يقع إلى جوار البئر المجاورة للموضع المسمى الأحياء فى ضواحى رابغ، وقد حارب عبيدة بن الحرث فى هذا الموضع.

ثنية المرار: وهى طريق جبلى ينتهى بالحديبية.

ثنية الوداع: وهى طريق قريب من جبل سلع فى الجهة الشامية لدار الهجرة.

بين مسجد الراية ومشهد النفس الزكية وكان خلف هذا الطريق فى أول أمره سوف يودع جنود المدينة المنورة الذاهبين لغزوة تبوك بجوار هذا الطريق فقدسمى بثنية الوداع. واشتهر بهذا الاسم ويروى أن ثنية الوداع اسم يعود إلى الجاهلية لأنه على حد زعم اليهود فان من يدخلون المدينة فى ذلك الوقت كان يصيبهم المرض ويموتون.

ومن لم يمت وكتبت له النجاة، فإنه لن يعود أدراجه من الثنية المذكورة، ولهذا فإنه لو شاهد أهالى يثرب ضيفا عائدا إلى ثنية الوداع، كانوا يقولون له متفكهين استودعناك الوباء، فلا يحق من بعد ذلك.

ولدى البعض هو اسم المكان الذى يسلكه الذاهبون من المدينة بالوداع وعل يرأى أنه المكان الذى ودع فيه الرسول ﷺ صحابته.

وفى عام ١٢١٤ حفر كور يوسف باشا والى جده هذه الثنية وساوها، وبنى فيها قصرا له ثلاث قباب أطلق عليه قصر يوسف باشا، وذلك الطريق ممهد ومستوى إلى أقصى درجة.

حرف الجيم

جار: اسم قرية فى جهة البحر الأحمر على مسافة أربعين ساعة بطريق الإبل.

جاعس: كانت قلعة خاصة بقبيلة بنى حرام غرب مساجد الفتح.

جبار: على وزن كِبار اسم موضع داخل حدود غطفان.

جبانة: على وزن خردانة جبانة بالقرب من موضع ذباب.

جبل بنى عبيد: جبل يقع فى قرية بنى عبيد فى الجهة الغربية من مساجد الفتح.

جثجانة: على وزن مستانة اسم موضع بالقرب من وادى العقيق.

جَحَّاف: على وزن شَفَّاف اسم مزرعة فى الجهة المسماة سميحة بالمدينة المنورة.

جُحْفَة: على وزن مُهْرَة اسم قرية على بعد خمس مراحل من المدينة المنورة.

جداجد: صحراء مستوية للغاية بين الموضعين اللذين يسميان ذى كثب واجرر.

جد الأثافى: بئر قديمة فى وادى العقيق، وأثافى على وزن منادى جمع أثفية والأثفية تطلق على الحجارة التى تتخذ موقدا ومعناها حجر النار.

ذو الجدر: اسم موقع على بعد ستة أميال من المدينة من جهة قباء ومن هذا المكان يبدأ سيل بطحان.

جذمان: على وزن نعمان اسم موضع فى بلاد أدس ولهم فى هذا المكان حصن متين لما حارب تبع الحميرى أهل المدينة ـ وهذا القتال من نتائج وقعة مالك بن عجلان، قطع النخيل الذى فى هذا المكان والآن هناك نخلة واحدة يقال لها جرمان ولعلها تصحيف جذمان.

جراديج: اسم القمم السوداء التى بين السويقة والمثغر.

جرف: اسم موقع على بعد ثلاثة أميال من ناحية الشام ويختلط بصحراء بئر روبة.

ووجه تسميته قول تبع اليمانى: «هذا جرف الأرض» بينما كان يمر من هناك قد توفى مقداد بن الأسود فى هذا المكان فنقل إلى البقيع حيث دفن وقد صلى على جنازته عثمان بن عفان.

جر هشام: اسم السبيل الذى بناه هشام بن إسماعيل فى وادى العقيق.

جزل: وإن كان معناه الحطب الجاف إلا أنه اسم نهر يلتقى فى ذى المروة بنهر إضم.

جاف: اسم موقع يضم بساتين مرغوبة ورياض ممدوحة فى عوالى المدينة.

جفر: اسم بئر فى ناحية مرعى ضرية واسم ماء قريب من فرش ملل.

جلس: اسم محل فى الأراضى النجدية.

جماوات: اسم ثلاثة جبال فى وادى العقيق وسطحها مستو الآن معنى جما غير مدببة.

جمدان: اسم جبل فى وادى أزرق بينما كان النبى ﷺ يمر من وادى أزرق قال أرى حضرة موسى يمر من هذا الطريق ملبيا ويهبط إلى جبل جمدان.

جموم: اسم موضع فى ناحية الموضعين اللذين يطلق عليهما كشب ومران فى ناحية قباء.

جمة: الماء الجارى الذى سماه النبى ﷺ قسمة الملائكة فى خيبر.

إن قسمين من هذا النهر إلى جهة وقسم منه إلى جهة أخرى ولحكمة ما فى صورة إذا ما رميت فى منبع هذا النهر ثلاث تمرات تذهب اثنتان منهما حيث يجرى الثلث الآخر والغرابة فى أن أحدا لم يستطع أن يزيد أو ينقص المياه فى أحد المجريين بتغيير المجرى أو خلط المياه.

جناب: اسم موضع بين فيد وأراضى خيبر.

جنفا: على وزن معما ماء جار من مياه بنى فزارة بين خيبر وفيد كذلك.

جنينة: على وزن رويده اسم موضع بين وادى القرى وتبوك واسم الحديقة المسمى بـ «روضة الجنينة» بين مرعى ضرية وحزن بنى يربوع.

جواء: اسم ماء جار فى مرعى ضرية.

جوانبه: اسم موضع بين جبل أحد والمدينة المنورة وفى جهة الحرة الشرقية.

جيار: اسم مكان فى خيبر.

ذات الجيش: اسم موضع على بعد ستة أو عشرة أميال من ذى الحليفة فى جهة بدر. عندما ذهب النبى ﷺ إلى بدر فمر بهذا الموقع.

ذو الجيفة: اسم قرية على حدود تبوك.

جى: اسم موضع بين موقعى عرج ورويثة وهنا تنتهى حدود جبل ورقان. كان فى هذا المكان بعض المنازل وبئران مياههما عذبة وقد اقتحمها سيل بينما أهلها نيام وأغرقهم جميعا وتخربت بيوت القرية.

حرف الحاء

حاجر: موضع يقع فى غرب نقاء وهو من أودية العقيق وينتهى إلى تل يسمى بره وهو موضع نزه جميل وكان شعراء السلف يمتدحونه.

وإن كان فى صحراء نقاء موضعان يطلق عليهما حاجز البيداد حاجز الثناء ولكن عندما يطلق حاجز مجردا لا يشمل الآخرين.

حاطب: على وزن طالب اسم طريق بين خيبر والمدينة المنورة.

حبره: على وزن دجلة اسم برج فى داخل دار الهجرة كما أنه اسم قرية منسوبة إلى جماعة بنى قينقاع واسم موقع قريب للعلافين فى المدينة المنورة.

حلس: على وزن عنف اسم الموقع الذى اندلعت منه نار الحجاز المنذرة.

حبيش: على وزن قبيس كان حصنا على جبل قريب من قرية بنى عبيد.

حجاز: يطلق على القطعة المقدسة التى تشتمل على مكة المعظمة والمدينة المنورة وملحقات اليمن وعلى قول الأصمعى يطلق على الأرضى المحاطة بقمم حرة ليلى وحرة واقم وحرة نار ـ وبناء على هذا يلزم أن تكون قرية بنى سليم المحاطة بجبال متصلة ومنفصلة كاملة بداخل قطعة الحجاز ويستدل على هذا المؤرخون القدامى بأن النبى ﷺ وقف على ثنية تبوك فأشار إلى جهة الشام قائلا هنا الشام وأشار إلى جهة المدينة وهنا اليمن وبناء على هذا يقتضى أن يكون

الحجاز من القطعة اليمانية إلا أن هناك من يعتقد أن نصف المدينة من الحجاز والنصف الآهر من أراضى تهامة.

حجر: على وزن فكر قرية من محاذاة الموضع المشهور باسم «أوخصيته» وفى هذه القرية آبار كثيرة ومياه جارية منسوبة لبنى سليم ويروون أن أمامها جبل صغير يسمى قنة الحمر وتعرف تلك القرية فى زماننا بحجرية.

جديلة: على وزن جديدة اسم القرية التى تسكنها جماعة بنى حديلة.

حُراض: على وزن نُحاس اسم واد من وديان أشعر التى تقع على الجهة الشامية من موضع حورة.

حربى: اسم المحل الذى كان يمتد من جنب مسجد القبلتين إلى موقع يسمى بمزاد وهذا الاسم اسمه القديم وقد غيره النبى ﷺ باسم صلحة.

حرض: الاسم الآخر للوادى الذى يطلق عليه ذو حرض بالقرب من جبل أحد.

حرة أشجع: اسم المحل الذى بجانب حرة النار وهى ذى حجارة سوداء.

إخطار:

يسمى العرب الموضع الذى احترقت حجارته وتفتتت بالحرة، وبوادى قطعة الحجاز لكل قبيلة حرة خاصة حيث يقيمون فى أيام الصيف ناصبين خيامهم وبعد أن يمضوا فصل الشتاء يعودون إليها مرة أخرى ويسمون الجمال التى ترعى فى هذه الأماكن حرى:

حرة بنى بياضة: بجانب حرة المدينة المنورة الغربية

حرة حقل: فى وادى أزه.

حرة الحوض: بجانب حوض زبالة بن أبيه الذى بين وادى العقيق ودار الهجرة.

حرة راحل: فى بلاد بنى عبس.

حرة رجلة: فى المكان الذى يسمى بلاد بنى القين بين الشام والمدينة والمنورة.

حرة رماح: فى المحل الذى يسمى دهناء.

حرة زهرة: فى حرة واقم.

حرة بنى سليم: فى أسفل الموقع الذى يسمى قاع وعلى الطرف الشرقى من مرعى البقيع.

حكمة

بناء على تدقيق مؤلف نخبة الدهر وبيانه أن غير سواد حجارة حرة بني سليم فوجوه سكانها أيضا ذو سواد شديد، حتى حيواناتهم إلى كلابهم سوداء اللون.

ولما كانت هذه الحالة من خاصية تلك الحرة فإذا ما أخذ حيوان أبيض من الخارج واستخدم تغير لونه فى فترة قصيرة فيسود والله على كل شىء قدير.

حرة شوران: فى وسط وادى مهزور.

حرة عباد: فى أسفل المدينة المنورة.

حرة عضيدة: فى غرب وادى بطحان.

حرة قباء: فى الجهة القبلية لدار الهجرة.

حرة ليلى: قمة فى بلاد بنى مرة بن غفطان وبين وادى القرى والمدينة المنورة. ولحرة بنى مرة ينابيع كثيرة ومنابت نخيل.

حرة معاصم: فى موقع ذى الجدر ومبدأ مجرى نهر بالحان.

حرة ميطان: جبل فى الطرف الشرقى من بلاد بنى قريظة.

حرة النار: فى ناحية خيبر وفى مكان قريب من حرة ليلى، وعند البعض بين وادى القرى وبلدة تيماء ومن المحتمل أن تكون حرة فداء.

وقد أطفا خالد بن سنان النار التى اشتعلت فى الحرة المذكورة دون أن تمتد شرارتها إلى الجهات الأخرى.

ويعتقد بعض المؤرخين أن النار المذكورة ظهرت فى الجبل الواقع فى حرة الأشجع وأن هذه النار ـ على حد قول المؤرخين المتقدم ذكرهم ـ قد اشتعلت وتأججت بحيث انبعثت أضواؤها إلى وادى رندة الذى يبعد ثلاث ليال، بحيث كانت الجمال التى ترعى فى هذا الوادى لا ترى من شدة الضوء.

وإن لم يعين المؤرخون تاريخ ظهور تلك النار، إلا أنه من المحتمل أن يكون ذلك في عهد الفاروق عمر ـ رضى الله عنه ـ إذ إنه رأى شخصا غريبا فى المدينة فسأله: «ما اسمك؟» فقال :«أنا حمزة بن شهاب» فقال له وما بلدك؟ فقال «أبى من قبيلة حرقة وأسكن فى حرة النار الكائنة فى ذات اللظى»، فقال له «إن الحرة قد احترقت». وبهذه الإشارة أخطره بظهور النار. ولما علم حمزة بن شهاب بهذا الخبر عاد إلى قريته دون إبطاء فرآها قد تخربت من جراء النيران المشتعلة.

وحرة واقم: اسم قمة فى الجهة الشرقية من دار الهجرة. وكان بنو الأشهل قد بنو إلى جانب هذه الحرة برجا سموه برج واقم؛ وإلى هذا مرد تسميتها بذلك الاسم. وتقال لهذه الحرة حرة بنى قريظة وحرة زهرة أيضا والمقتلة الهائلة التى حدثت كانت فى هذا الموقع كما عرف فى الصورة التاسعة من الوجهة الثالثة.

حرة الوبرة: على ثلاثة أميال فى الجهة الغربية من المدينة وتلى وادى العقيق، وينسب قصر عروة ومزارع هذا القصر فى خُيُفِ الوبر الذى ينسب إلى الحرة المذكورة.

حزرة: اسم الوادى الذى يقيم فيه بنو عبد الله بن الحصين الأسلمى وقبيلته.

وفى نهاية قرية بنى عبد الله نهر مشهور والذى ينتهى إلى فقارته من وديان أشعر.

حزن: طريق بين خيبر والمدينة ولم يستصوب النبى ﷺ أن يسلك هذا الطريق بل طريق مرحب.

حساء: وإن كان معروفا بأنه موضع فى ديار بنى أسد، ولكن إذا ما نظر إلى شعر عبد الله بن رواحة الآتى، إذ ذكر المشار إليه حساء لما كان ذاهبا إلى مؤتة من الشام يلزم أن يكون الموضع المذكور فى طريق مؤتة.

إِذَا أَدَّيْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى
مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَــاءِ
فَشَأْنُكِ أَنْعُم وَخَلاَكِ ذَمٌّ

وَلاَ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِى وَرَائِى[1]

حسنى: اسم جبل قريب من ينبع البحر، واسم صحراء بين موضعى عذيبة وخار، واسم حديقة من الأوقاف النبوية.

حسيكة: محل واقع فى الجهة الغربية من موضع ذباب وكان فى الجاهلية مقر اليهود. تطلق الحسيكة أيضا على الحدائق التى بجانب قصر ابن شمعل والى الناحية التى يوجد فيها قصر ابن عمر فى أراضى ابن ماقية. وكلها أسفل المكان الذى يسمى جرف.

حشاء: الاسم الآخر لجبل الإيوان ويروى أنه اسم موضع فى الجهة اليمنى من وادى آره.

حشان: اسم برج يطل على الجهة اليمنى للذاهبين إلى مقبرة الشهداء فى أحد.

وحشاشين: اسم قرية منسوبة إلى بنى قينقاع وكان حصن طلحة بن أبى طلحة الأنصارى فى بستان متصل ببستان عبد الرحمن بن عوف فى الجهة الشامية من مدينة الرسول.

حضرة: اسم موضع على ثلاث مراحل فى خارج المدينة، وكان اسمه القديم عفره فبدله الرسول ﷺ بحضرة. رجا سكان ذلك المكان أن يجدما حلا لعلة الوباء الذى يظهر فى مساكنهم بكثرة وأن ينقذهم منه، فقال لهم «هاجروا إلى مكان طيب الهواء والماء». فقالوا له: «كيف يمكننا أن نترك مكانا كان موطن آبائنا وأجدادنا؟ وقد دبرنا لأهلنا وعيالنا البساتين والمنازل كما دبرنا مآكل دوابنا وأماكن إيوائها واستطعنا أن نتدبر طريقة معيشتنا إلى درجة ما» وهكذا عرضوا عذرهم فى عدم مغادرة مساكنهم وعندئذ قال لهم عمر بن الخطاب: «إذن فلابد أن تبحثوا عن مكان قريب من مفازتكم لتنتقلوا هناك وأن تتناولوا فى الصباح قليلا من زيت الزيتون واستعملوا بعض العطور ولا تمشوا حافيى الأقدام ولا تناموا نهارا»، وبين هلم فى صورة حكيمة أنهم إذا راعوا القواعد الصحية بإمكانهم أن ينجو من الوباء.

(١) البيتان فى الطبرى ٣/ ٣٨.

حضير: فى أول عقيق وهو موضع ذو آبار ومزارع متعددة وأرض مستوية.

حفياء: موضع على بعد ستة أميال أو على سبعة أميال من المدينة ويروى حيفا أيضا وفى أسفل الموضع المسمى غابة.

حفير: اسم ماء فى ديار بنى سعيد وأطرافه محاطة بحدائق الخيل، واسم محل بين الحرمين.

وحفير المشهور فى زماننا موقع بين ذى الحليفة وملل.

حقل: يطلق حقل على ثلاثة مواقع يقال للأول «أرة الصحراء» الحقل، وللآخر روضة حقل، وللثالث حرة حقل.

حلاء: على وزن نساء عدة جبال جرداء فى القرب من جبل ميطان الواقع فى محاذة موقع شوران لا ينبت فوق هذه الجبال الأشجار أو ما يشبهها.

حلا: بأصعب وهو عبارة عن جبال حلا يرد من هنا سيول نهر بطحان.

حليت: اسم جبل عظيم بجانب مرعى فيد وهذا الجبل أعلى الجبال التى فى هذه الناحية غير جبل شعبى وفوقه منجم ذهب اقتحمه ماء ويروى أن فى القديم قد أخرج من هذا المنجم ذهب وفير.

حُليف: على وزن زُبير، اسم منزل فى داخل قطعة نجد وعندما خرجِ بنو كُلاب من المدينة سكنوا فى هذا المنزل.

حليفة: اسم نبات معروف إلا أنه اسم نهر فى وادى العقيق واسم موضع بين ذات العراق وجادة، واسم منزل بين المدينة وتبوك، ويحرم حجاج المدينة فى ذى الحليفة. ويطلق أهل المدينة على منزل الحليفة بئر على ويعتقدون أن حضرة على قاتل طوائف الجن فى هذا المنزل ولا أصل لهذه الحكاية. ولما كان الماء الذى فى حليفة بئر جماعة قبيلة مزينة فنسبة هذه البئر إلى على بن أبى طالب خطأ، ولا يعرف ذلك المنزل بالحليفة فقط بل يشتهر باسم ذى الحليفة إلى المدينة.

قال ابن إسحاق إن المدينه على بعد خمسة أميال ونصف من ذى الحليفة الذى يقع فى جهة مكة، كما سطر على اللافتة التى ركزت فى ذى الحليفة أن المسافة من المدينة إلى ذى الحليفة خمسة أميال ونصف ميل. وهناك لافتتان فى جهة مكة فى ذى الحليفة وهذا المكان يبعد عن المدينة ستة أميال. لأن فى كل من مدخل ذى الحليفة ومخرجه علمان ولافتتان. وحكم ابن صلاح أن المسافة بين المدينة وذى الحليفة ثلاثة أميال. إلا أن ابن حزم قال: إننى قست المسافة من عتبة باب السلام للمسجد النبوى إلى عتبة مسجد الشجرة فى ذى الحليفة فوجدتها (٩٧٣٢) ذراعًا. وإذا ما نظرنا إلى هذا القول نجد أن المسافة بين المدينة وذى الحليفة خمسة أميال وثلثا ميل إلا مائة ذراع. وإن هذه الرواية أقرب إلى الصحة.

استطراد:

توجد طرق متعددة للدخول إلى البلدة النبوية الطاهرة من الخارج فى جهاتها الأربع وكل قافلة تسير وفق الطريق الذى يناسبها، وكل الطرق فى الجهة الواحدة تتصل فى نقطة واحدة.

الجهة الغربية:

إن الطرق التى توجد فى هذه الجهة هى: سلطانى، ملف، فرع، غابر وكلما تقترب هذه الطرق من المدينة المنورة تلتصق بعضها ببعض وعندما تصل إلى موقع ذى الحليفة (بئر على) تتحد الطرق الأربعة وتكون طريقًا واسعًا عظيمًا. وباب العنبرية من أبواب حصن المدينة الخارجى يقع فى هذه الجهة بين تكية المرادية والمعسكر السلطانى. وبناء على هذا فقوافل الحجاج والزوار والتجار تدخل وتخرج على الدوام من هذا الباب ويبيت محمل مصر مع جنوده فى مكان قريب من هذا الباب. والباب الذى فى هذه الجهة من داخل الحصن أجمل وأشهر من الأبواب الأخرى وبما أنه بين بعض الأسواق اشتهر بالباب المصرى.

وإن كان الرصيف الذى بين مسجد السعادة ومسجد الغمامة ممتدًا إلى الباب المصرى؛ إلا أن الجهة التى من مسجد الغمامة إلى الباب المذكور قد اندرست واختلط ترابها بحجارتها لا يعرف أنه رصيف.

ولمسجد السعادة النبوية بابان فى الجهة الغربية وللحجرة المعطرة باب واحد. وأحد أبواب مسجد السعادة باب السلام والآخر باب الرحمة وإذا قارنا بين السلام من حيث الحجم والزينة والأبواب الأخرى فنجد أنه فى الدرجة الأولى وباب الرحمة فى الدرجة الثانية. ويطلق على الباب الذى فى هذه الجهة للحجرة المعطرة: باب الوفود، وكلما فتح هذا الباب يستخرج من الحجرة المعطرة المصحف العثمانى الذى يحفظ فيها ويتلى. ويشترط فى ذلك أن يكون من يتلوه من العلماء الصالحين. لأن كل من يتلوه يموت فى اليوم الثالث، إذا لم يمت فى اليوم الثالث يكاد أن يكمل سنة واحدة. وقد تلاه السيد عبد الله الدراجى التونسى والسيد محمد ابن السانوسى الفاسى والشيخ عبد الغنى الهندسى النقشبندى وارتحل الثلاثة فى ظرف سنة واحدة عن دنيانا وكانوا كلهم من العلماء العاملين والمشايخ الكاملين.

وإن يشتهر بين الأهالى أن ذلك المصحف هو المصحف الذى كان فى يد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ حين استشهاده إلا أن هذا الظن خاطئ. وفى الحجرة المعطرة مصحف آخر يدعون أنه قد كتب من قبل حضرة على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقد كتب الاثنان على ورقة خضراء بخط كوفى. إلا أن خط المصحف الذى ينسب إلى سيدنا على أرق وأدق من الآخر.

والمسافرون الذين يقومون من بئر على ذاهبين إلى المدينة المنورة يجعلون جبل عير على يمينهم وقمم جماوات على يسارهم ويمرون من الطرف الشامى لمجرى سيل العقيق ويصلون إلى أراضى أبى بريقة المتصلة بالجهة الشامية من جبل عير.

وهناك حقول مزروعة وحدائق نخيل صغيرة وماء عين السرانى. ولكن مجرى عين السرانى قد حفر حديثا فلم تنبت بعد حدئق النخيل على طرفيها.

فالذين يقومون من منزل أبى بريقه يصلون إلى الحرة الغربية ومن هنا إلى مدرج. وإن كان فى الحرة الغربية بناء قديم يطلق عليه عوام الناس قلعة اليهود إلا أن هذا المبنى قصر بنى فى عهود بنى أمية لحبس شخصية كبيرة وتوقيفه فما يذهب إليه العوام غير صحيح.

كان يقال لمدرجة فى الأوائل نقب بنى دينار والبئر المشهورة التى يطلق عليها بئر عروة فى الجهة اليسرى من منزل مدرج ففى جهة منه أراض لزراعة الشمام والبطيخ والجهة الأخرى مجرى نهر العقيق. ويخرج من هذا المجرى إلى مدرج إلى الأمام ففى الجهة اليمنى بناء قديم وبركة ومزارع غير معمورة يعرف ذلك البناء باسم سبيل قائد.

وعلى القمة التى تقع فى نهاية الموقع الذى يقال له رقيقين من مدرج مسجد المنارتين الذى يطلق عليه قبة الخضر وبعد أن يتجاوز المسافرون قبة الخضر يدخلون إلى أراضى نقاء التى زرع جهاتها اليمنى بالذرة وحديقة أم الرحم وجهاتها اليسرى قد زينت بمزارع بئر الوردى وبئر زمزم ومزارع أخرى والمسجد الذى يطلق عليه قبة الروس مسجد السقيا وهو فى وسط وادى نقا وبئر سقيا أيضًا فى الجهة القبلية من ذلك المسجد.

كان شخص من مجاورى المدينة الطاهرة يسمى عبد الله عرب الميمنى اشترى مزرعة صغيرة فى منزل نقا. وقد استصلح هذه المزرعة وبنى على الجهة التى تقابل الطريق منزلاً واسعًا وحفر حوضًا كبيرًا. وأقام على جوانب هذا الحوض مساقى صغيرة تشرب منها الدواب كما صنع مخزنًا خاصًا بالعمال الذين يعملون فى المزرعة على الجهة الغربية من ذلك المنزل. وكان المارون وعابرو السبيل يسقون حيواناتهم ثم يستريحون فى ذلك المنزل ويستظلون.

هناك فى الجهة اليسرى من مسجد السقيا مزرعة وتنسب هذه المزرعة للسيد أحمد الرفاعى والذين يتجاوزون هذه المزرعة يصلون بعد مدة قصيرة إلى باب عنبرية.

وبجانب باب العنبرية ركن المعسكر السلطانى والثكنات. وأمام هذه الثكنات طريق واسع على يمين الثكنات السلطانية مبانى مستشفى الغرباء التى بدأ العمل فيها ولكنها تركت قبل إتمامها، وعلى شمال تلك المبانى السور الداخلى وحديقة قاضى ينبع السابق إبراهيم عداد وطريق آخر يؤدى إلى سنح والمساجد الأربعة وإلى نواحى جرف وعقاب والقبلتين وإلى المواقع المختلفة فى خارج المدينة.

وإذا ما ترك هذان الطريقان ودخل من باب العنبرية يقع فى الجهة اليمنى من الباب باب ثكنات الجنود وعلى الجهة اليسرى عمارة والى مصر الأسبق محمد على باشا وإذا ما تجاوزناهما نكون قد دخلنا فى العنبرية.

ولما كان شارع العنبرية أوسع طرق البلدة الطاهرة وأكبرها انتظاما فالحجاج والزوار وقوافل التجار يدخلون دائمًا من هذا الباب ويخرجون ولما كان ماؤه وهواؤه معتدلين وجيدين فهذا المكان دائم الازدحام.

وعلى الطرف القبلى من هذا الطريق: حوش ظوافير الذى يشتمل على ستين حجرة ذات باب تحتانى.

وأمامه حوش الراعى الذى يشتمل على مائتى حجرة[1] وبجانب هذا الحوش مسجد صغير المئذنة رباط جديد، وفى اتصال الرباط طاحونة آلية ومنزل خاص لمن يديرون هذه الطاحونة من العمال وبجانب المنزل مقهى وتلك الطاحونة مع جميع مشتملاتها وقف أغا باب السعادة المرحوم بهرام أغا.

وكان أمام الطاحونة منزل شيخ الحرم النبوى الأسبق المرحوم خالد باشا. وبما أنه احتيج إليه لوضع مشتملات الطاحونة المذكورة اشتراه بهرام أغا.

وكان أمام المقهى المتصلة بدائرة الطاحونة منزل أحمد أغا من الأهالى، وكان لهذا الحوش ستون حجرة وفناء واسع.

وبجانب باب حوش أحمد أغا دار زوجة أغا الطابور حافظ أفندى وأمامها منازل كبيرة ملك أسرة ظوافير وحوش طويل، وحوش أبى جنب، وفى اتصالهما

(١) وبعض حجرات حوش ظوافير سفلية ولكن اكثرها علوية.

منازل أسرة ظوافير ومنازل بعض الفرسان وفى الجهة القبلية منها دار فاطمة حازمية، وفى اتصالها الشرقى دار سيد جعفر الهاشمية، وأمامها دار على موسى أفندى وبجانبها دار عامر الجعفر العلاف، وبجانب دار عامر الجعفر طريق حديقة الهاشمية، وأمام باب هذه الحديقة حوش عبيد[1]، وأمامه خرابة أبى جود الحمدانى. ولكن بين حوش عبيد وخرابة أبى جود الحمدانى وشارع كاتبية. وحوش معيكة وحوش سنان فى هذا الشارع، وفى نهايته عدة منازل وطاحونة وزاوية منسوبة إلى الشيخ محمد بن سانوسى ذات مئذنة وزقاق كاتبية مسدود.

وفى اتصال خرابة أبى جود الحمدانى حوش خيارى وأمام هذا الحوش بعض المنازل وطاحونة وعدة دكاكين وخرابة وقف أسعدية. ودور أبى الجود وأمامها دار الشريفة الهاشمية، وعلى طرفها الشرقى زقاق السلطان، وفى مدخل زقاق السلطان منزل كبير منسوب إلى المغاربة، وبقربه منازل حيارى وسمان والشيخ أحمد الفقيه وأحمد الصابغ المصرى والعمارات[2] المنسوبة لمبرة مراد الرابع العثمانية وبجانب هذه العمارة مجرى سيل أبو جيده، وفى الجهة الغربية من هذا المجرى مخبز وبجانبه جسر سنان باشا وعندما يصعد فوق الجسر يرى فى مجرى الجسر من الحديد.

وبعض دور المجاروين فى جهة باب قباء لجسر سنان باشا وحوش عميرة[3] وفى اتصاله زاوية السيد محضار وفى اتصال هذه الزاوية حوش متاع، وفى الجهة القبلية لباب هذا الحوش مركز شرطة باب قباء وفى الجهة الشامية دار محمد بن صالح الحيدرى، ومن المجرى إلى الجسر قنوات عين الزرقاء فمياه الثكنات السلطانية وعمارة المرادية ومياه أهالى محلة العنبرية ودور الإيجارية التى فى هذه الناحية والذين يسكنون فى ناحية تجرى وتسير مياهها فى هذه القنوات

(١) حوش عبيد من مبانى آل خيار المسقفة.

(٢) وإن كانت هذه العمارة فى غاية السعة إلا أنها ظلت فى حالة خراب وقد خصت لسكنى عساكر الهجين والخيالة.

(٣) يتألف حوش عميرة من مائة وخمسين حجرة ومن هذه الحجرات حجرات علوية ذات سطوح.

ومجرى السيل الذى فى الطرف الشامى للجسر من جبل سلع ومن بين طرق عين الزرقاء ومن الجهة الغربية لعين غرابية ثم يلتصق بمجرى سيل حمزة الواسع.

وبجانب جسر سنان باشا المشار إليه بركة القوافل المصرية وبجانب هذه البركة دار لطيف أفندى مترجم خزانة المديرية، وفى الطرف الشامى من هذا المنزل دار مصطفى بلا جلى فوق مجرى السيل. وبجانبها البيوت العشرة وفى الجهة الغربية دار أحمد أفندى سالف الذكر وخلفها الحوش الكبير الجديد. وفى الطرف الشرقى من هذا الحوش حما مناخه. والبركة التى ذكرت آنفًا حوض كبير وعميق وبما أنه كان يملأ أولاً من عين الزرقاء سمى ببركة الحج الشامى.

وأمام البيوت العشرة بيوت الصعايدة العالية المنتظمة وخلف هذه البيوت زقاق السلطانية وفى هذا الزقاق بعض بيوت للإيجار وحديقة صيارى ومئذنة قديمة. وإن كانت هذه المئذنة مئذنة مسجد العمارة المرادية وبما أن المسجد قد انهدم واندرست ساحته وانعدمت فلا يؤذن فوق هذه المئذنة.

وهناك طريق يمتد من زقاق السلطانية إلى وادى «سح» ومن هنا إلى زقاق قشاشى و بعده إلى مناخة وزقاق طيار وفى زقاق طيار حديقة عبد القادر خوج وأمام هذه الحديقة دار على الصياد وبجانبها حوش درج فى الطرف الشمالى لحوش أبو شوشة.

وحوش طوطى وأحواش أخرى. ولما كان حوش أبى شوشة فى غاية الكبر ويشمل على أماكن ملاصقة للجهة الشامية من السور الخارجى وغرف كثيرة. وأمام دار المترجم أحمد نظيف أفندى مدرسة خاصكى السلطان وفى الجهة الشرقية من سيل أبى جيده وفى الجهة الشرقية من هذه المدرسة المخبز الميرى وأمامه باب حمام أحمد نظيف أفندى والمنازل التى يسكنها.

وبجانبها بعض المنازل القديمة وفى نهايتها المنزل[١] الذى وقفه المرحوم سليم

(١) يقيم فى هذا المنزل السيد علوى السقاف شيخ السادات العلوية

بك من حجاب السلطان عبد المجيد والد السلطان لسبيله وأمامه داران ومدرسة للصبية.

وأصبحت مدرسة خاصكى سلطان فترة ما دائرة حكومية ثم اتخذت مستشفى للعساكر السلطانية وفى داخلها حديقة صغيرة ومسجد ذات مئذنة فى غاية الظرف والجمال.

وفى الطرف الشرقى لتلك المنازل المذكورة ومدرسة الصبية بعض البيوت وفى نهايتها منزل آكاه أفندى من نقباء النظامية وبين المدرسة والمخبز الميرى حوش منصور وأمام هذا الحوش وفى الجهة الشامية من الطريق وبالقرب من جدار مسجد الغمامة[1] الكائن فى ميدان مناخة منازل صغيرة وفى شرق الطريق سالف الذكر دكاكين الخزانة النبوية وأمامها مركز شرطة خالدية وفى الجهة الغربية من مركز الشرطة دكاكين الخزانة النبوية أيضًا مع منزل[2] إمام مسجد غمامة، وأمامه سبيل سليم بك، وفى الطرف الشامى من هذا الطريق زقاق طريق حديقة الداودية الخاصة بشيخ الفراشين برى أفندى، وفى الجهة الشرقية من هذا الزقاق منزل السيد علوى السقاف، وفى الجهة الشرقية من هذا البيت منزل شيخ الفراشين برى أفندى وأبناء عمه ومن هذا البيت منازل مصفوفة تنتهى إلى باب الكرمة، وفى الجهة التى تقابل مناخة لهذه المنازل ثلاثة أزقة منفصلة بعضها عن بعض.

وبجانب منزل برى أفندى خرابة خاصة بآل برزنجى وبجانبها مسجد منسوب إلى الصديق الأعظم وبجانبه عين الزرقاء التى تسمى عين مناخة.

وإن كان مسجد الصديق من المساجد التى كانت مصلى النبى ﷺ وبما أنه من غير منبر لا يصلى فيه صلاة الجمعة وتؤدى صلاة الجمعة فى مسجد السعادة ومسجد غمامة ومسجد قباء ويغلق فى الأذان الأول مصارع بابى المصرى وباب الصغير.

(١) ولمسجد الغمامة اسم آخر هو مصلى العيد النبوى.

(٢) قد أشرف هذا المنزل على الخراب فجدده السلطان وجعله رصينًا متينًا

وبجوار عين مناخة منهل آخر خاص بالنساء وبجانب هذا المنهل عدة دكاكين ومقهى.

ومن الدكاكين التى تواجه ميدان مناخة الذى على الطرف الشامى من هذا المقهى إلى مسجد سيدنا على والرباط صف من المنازل موقوفة بشروطه. لإقامة عبيد العين فجميع الذين يستخدمون فى أمور عين الزرقاء وقنواتها يسكنون فى هذه المنازل، وفى طرف من مسجد على دار مفتى المدينة المنورة السابق عبد الرحمن إلياس بن تاج الدين، وفى الطرف الآخر الطريق الذى ينقسم إلى زقاق الطيار وزقاق قشاشى.

وزقاق الطيار يمتد إلى حديقة حسين بافقيه العلوى، وفى هذا الزقاق عدة أزقة مسدودة، ومنازل تستأجر ومخابز وطواحين وبعض منازل فاخرة.

ولما كان زقاق قشاشى شارعًا ينتهى إلى ناحية سح والزقاق السلطانى ويمكن المضى إلى أى مكان منه، وزاوية قشاشى فى هذا الطريق. وبين زقاق الطيار وزقاق جعفر عدة منازل فى مواجهة السور الداخلى ونهاية زقاق الطيار المتسعة نهايته زقاق جعفر. وهذه النقطة مبدأ ميدان المناخة.

ومنزل قرة باش الذى يستأجر له باب ينفتح على زقاق الطيار وباب كبير ينفتح على ميدان المناخة. بين المنازل التى تواجه السور الداخلى. وهناك طريق يمتد من زقاق جعفر منازل كثيرة ويتجاوز منزل شيخ الفراشين والوصول إلى مسجد الغمامة، رصيف يسميه أهل المدينة بلاطيًا وطول هذا الرصيف بمقياس ذراع اليد من عتبة مسجد غمامة إلى عتبة باب السلام ألف ذراع. ويروى أنه كان فى القديم من باب السويقة إلى عتبة باب مصر رصيف واسع كالرصيف المذكور إلا أن هذا الرصيف قد اندرس الآن وبين مسجد غمامة وباب مصر وبين سبيل فاطمة أسواق عُرِفَت مساحتها ومواقعها فى وجهة خاصة.

ينسب سبيل فاطمة لبعض الملوك إلا أن إدارته فى يد الأوقاف المصرية. وفى

الطريق إلى حرم السعادة على يمين الشارع الذى يؤدى من الباب المصرى إلى باب السلام خمسة أزقة وعلى يساره ستة أزقة.

والأزقة التى على يمين الشارع ثلاثة منها طريق عام والاثنان طريق عام. والأربعة طريق خاص وأحد طرق الجهة اليمنى شارع مقعد بنى حسين. ويتشعب شعبتين تنتهى إحداهما إلى قصر السيد محمد جمل الليل الذى أمام مناخة وتنتهى الأخرى إلى المخازن الأميرية كل واحد منهما منتظمان ومزينان بمنازل منتظمة.

ويعد طريق مقعد بنى حسين بشعبتيه من الطرق الخمسة.

طريق المخزن الأميرى.

ويطلق أهل المدينة على هذا الطريق زقاق الشونة وهو أمام الخان الجديد الذى بناه السيد صافى حديثًا، ويتصل بأحياء الصالحية الذروان. وحارة الأغوات، وبالطرق التى حول أطراف حرم السعادة الثلاثة، ويعد زقاق الشونة أزقة الذرندى ويعده سقيفة الرصاص، وبعده زقاق الحمزاوى.

وإن كان زقاق الذرندى طريق مسدود فشارع سقية الرصاص يؤدى إلى الحمام الذى فى ذروان وإلى الأماكن الأخرى المقصورة وزقاق الحمزاوى يؤدى إلى الأماكن المرغوبة فى الذهاب إليها. ولما كان فى زقاق الحمزاوى بعض دكاكين الخياطين فالاسم الآخر لهذا الشارع شارع الخياطين وإن كان زقاق الحمزاوى قريبًا جدًا من باب السلام إلا أن بينهما مدرسة بشير أغا.

وطرق الجهة اليسرى ابتداء من الباب المصرى أولها زقاق سوق الشروق، والثانى زقاق العينية، والثالث زقاق الدكة، والرابع زقاق الشقرة والخامس زقاق الكبريت والسادس زقاق العياشة، ولما كان بائعو العباءات يقيمون أسواقًا فى زقاق الشروق قديمًا فإن الاسم الآخر لهذا الزقاق سوق العباية ومازال حتى الآن يفرش بائعو العباءات بضاعتهم فى هذا الزقاق. ومن سوق العباية يمضى إلى قبر أبى النبى سيدنا عبد الله بن عبد المطلب فى زقاق الطوال. ومرقد مالك بن سنان

الأنصارى فى هذا الزقاق كذلك منازل السادة الأسعدية وأمام مرقد مالك بن سنان زقاق سقيفة الأمير وفى الجهة الشامية منه زقاق حماطة. وكان يطلق على زقاق الحماطه قديمًا مخاطة، ومن الممكن الذهاب من هذا الطريق سواء أكان إلى الباب الشامى والباب الصغير أو الأماكن الأخرى.

زقاق الدكة: أمام زقاق الشونة الذى يقع أسفل خان السيد صافى الجعفرى وزقاق الشقرة بجوار خان المذكور كذلك، وزقاق الكبريت فى صف هذه الأزقة إلا أن هذه الأزقة الثلاثة أزقة مسدودة.

سوق العياشة: طريق ينتهى إلى باب الرحمة وساحة الباب الشامى؛ وبين باب السلام وهذا الطريق منزل الأزميرلى وتحت هذا المنزل عين باب السلام وفى اتصاله المحمودية.

وفى الجهة الشامية من البلدة الطيبة شوارع رخامى، كنانة، مخيط وهذه الشوارع الثلاثة تتحد فى موقع ثنية المدينة التى تعرف فى زماننا بقصر يوسف باشا، وتصبح طريقًا متسعًا.

وطريق رخامى يمضى إلى جهات حائط وحويط، جبل شمر، تيماء وطريق كنانة يمضى إلى وادى حمض، وطريق مخيط إلى بلاد الشام وينبع البحر ومصر فالقوافل والزوار يسلكون هذا الطريق فى ذهابهم وإيابهم.

الأبواب: وللمدينة المقدسة ثلاثة أبواب: أحدها فى السور الخارجى والاثنان فى السور الخارجى أمام جبل سلع لذا يطلق عليه باب الجبل، وباب الكرمة ويستخدم هذا الباب فى الدخول والخروج سكان جفرة المتصلة بجبل فقر من قبائل عنابة والمساجد الأربعة وأحامد وأصحاب الحدائق التى فى جهة سح وكذلك زوار غار بنى حرام والمساجد المذكورة. وكذلك الحيوانات التى تساق إلى المذبح الذى بجانب قبة السلام تدخل وتخرج من هذا الباب. يطلق على أحد بابى السور الداخلى: الباب الشامى، وعلى الآخر باب السحيمى. والباب

الشامى بجانب القلعة السلطانية وفى الجهة الشرقية منها وباب السحيمى مجمع مجارى ميضأة الحرم الشريف وللحجرة الشريفة باب واحد فى هذه الجهة ويعرف ويشتهر بالباب الشامى.

لما كانت دكة الأغوات فى الطرف الشامى من هذا الباب تخرج شمعدانات الحجرة المعطرة من هذا الباب فى ليالى رمضان عقب أداء صلاة التراويح.

والأطراف الثلاثة عيون، جرف، سيدنا حمزة التى تنتهى إلى مدينة الرسول من هذه الجهة تتحد عند الثنية التى يطلق عليها قرين بجوار داوودية والذى يصلون إلى هذه الثنية يكونون قد اتخذوا جبل سلع على يمينهم.

وبما أن جبل سلع فى موقع يشرف على منظر المدينة المنورة وجهاتها الأربعة وبما أن الأهالى قد تعودوا على الصعود فوقه للتنزه فى مواسم خاصة فعليه دكك كثيرة لجلوس الناس، والضريح المذكور لسيدنا محمد زكى الدين الذى استشهد فى العصر العباسى فى المحل الذى يسمى أحجار الزيت فى سفوح ذلك الجبل وخلف القبة التى تحيط بمرقده حديقة على أغا العرزانى، وفى الجهة القبلية منه منهل عين الزكى، وفى الطرف الشرقى منه حديقة داود باشا والى بغداد الأسبق، وفى الجهة الشرقية منها طريق سيدنا حمزة، وفى الجهة الشرقية من هذا الطريق الشارع الذى ينتهى إلى بلدة أحمد بساطى، وفى الطرف الشرقى من هذا الشارع ناحية صدقة وشارع النخيل الذى فى هذه الجهات وبعد ذلك موقف المحمل الشامى.

وحديقة داود باشا حديقة عظيمة للنخيل فيها قصر فخم وحوض كبير. وبناء على ما يرويه أهل المدينة أنه لا يوجد قصر فخم فى حدائق المدينة الطاهرة يضارع القصر الذى فى داخل حدائق داود باشا. وفى موقع المحمل الشامى مسجد يعرف باسم مسجد السبق وفى سفوح هذا الجبل الذى فى الجهة الغربية من هذا المسجد منازل دكانه.

وفوق قمة هذا الجبل قصر معلى المؤسس على بعض العقود. ولما جدد هذا

القصر شيخ الحرم المرحوم شريف باشا ظل اسم القصر قرين شريف باشا ويذهب إليه الناس من حين لآخر حيث يتنزهون.

وفوق جبل سلع مسجد دكانة الصغير وأسفل هذا المسجد بعض الأكواخ الخاصة بفقراء العربان، وعلى الجهة اليسرى منها بعض الخرائب وبعدها حديقة السبيل وسبيل والدة السلطان وبركة المحمل الشامى، وفى الجهة القبلية من حديقة السبيل مقهى القواسين، وتُملأ بركة المحمل الشامى من آبار الحديقة.

فمن يتجاوزون مقهى القواسين كانوا قد وصلوا إلى الباب الشامى، والباب المذكور من أعظم أبواب السور الداخلى، وأشهرها ملاصق للقلعة السلطانية التى جددت فى خلال سنة ١٢٦٧هـ.

وفى مدخل عقد الباب الشامى مركز شرطة للعساكر النظامية وهذا المركز خاص لإقامة العساكر السلطانية الذين يحرسون هذ الباب وهو فى الجهة اليسرى للذين يدخلون من الباب الشامى إلى المدينة المقدسة.

المخافر: لما انهدم السور الخارجى للمدينة ولم يبق له أثر يسمى السور أنشئ عند كل باب للسور الداخلى مخفر. وقد أنشئت هذه المخافر لتكون مقر إقامة للأفراد الذين يتناوبون الحراسة فوق الأبراج التى فى محيط السور الخارجى. وإلى سنة ١٢٢٢هـ لم يكن هناك سور خارجى للمدينة ولما أراد القائمون بأمور المدينة فى القرون الماضية أن يحافظوا على المدينة من تسلط أشقياء العربان بنوا بعض الأبراج على أطراف مناخة بين كل برج فاصلة قدر مائتى ذراع وعينوا لحراستها بعض المحافظين والحراس.

بنى محمد على باشا والى مصر بين الأبراج جداراً فأخذ مناخة داخل سور خاص وفتح فى الجهة الغربية باب العنبرية وفى الجهة القبلية باب قباء وفى الجهة الشرقية باب العوالى وفى الجهة الشامية باب الكومة، ولما عين عساكر مصرية لحراسة هذه الأبواب سمى هذا السور بالسور الخارجى، وكان جداره من اللبن. ولما انهارت كل جهات هذا السور رئى من الضرورى إقامة مخافر عند أبواب

السور الداخلى. وفعلاً نفذ هذا الأمر وجعلت المدينة المنورة تحت الحفظ والحراسة.

وقد أنشئت غير المخافر المذكورة ثلاثة مخافر فى ميدان مناخة وهى[1] خالدية،[2] سبيل باب الصغير،[3] خصكية، ومخفر آخر فى رباط ابن زمن حيث مستشفى البلدية، وأقيم فى كل مخفر من قبل محافظة المدينة المنورة عددٌ كافٍ من العساكر السلطانية.

ويوجد اليوم فى البلدة الطاهرة ثلاثة طوابير من العساكر السلطانية ويشتمل كل طابور على ثلثمائة وخمسين نفراً من المشاة وهناك طابوران من الضباط أحدهما من الفرسان وراكبى الهجين والآخر من المشاة، وكل طابور منهما لا يقل عن مائتى نفر. وتصل مهماتهم وأسلحتهم ولوازمهم من باب السعادة عن طريق مرفأ ينبع.

وفى اتصال مخفر الباب الشامى مخبز ومقهى وسبيل عادلة سلطان. وفى اتصال ذلك السبيل حى عادلة سلطان وحدائق منسوبة إليها. ويتصل أحد أطراف حى السلطانة عادلة لمنهل عين الساحة، والمنازل كلها فى هذا الحى بمشتملاتها من وقف المشار إليها السلطانة عادلة.

وعلى يمين الداخلين من الباب الشامى باب القلعة السلطانية. وبعده باب سجن النساء وبجانبه الدائرة الحكومية وأمام باب منهل عين الساحة. ثلاثة طرق.

والقلعة سالفة الذكر جددها شيخ الحرم أمين باشا بأمر صادر من قبل السلطان عبد العزيز وأقام فيها مخازن للذخيرة، كما رمم حجرات الجند ومواقدهم الحديدية وحظائر الدواب والصهاريج وغير ذلك، وفى القلعة نوعان من الماء أحدهما عذب والآخر مر وشرعتان وحديقة صغيرة. وفى اتصال الدائرة الحكومية سجن الذكور مع إدارته ومخالسة الضبطية. ويلقى أصحاب الجنايات

(١) الاسم الآخر لهذا الشارع الإودية.

(٢) شارع شجرية الذى بجانب المحكمة الشرعية التى صدرت الإرادة بتجديدها.

(٣) اسم الموضع الذى تغسل فيه جنازات الفقراء والغرباء.

حسب القوانين فى هذا السجن إلا أن السادة وخطباء حرم السعادة والأئمة والمؤذنون من الذين يقتضى الأمر سجنهم لا يلقون فى السجن، هؤلاء يؤدبون باعتقالهم وتوقيفهم فى منازلهم.

يقع أحد الطرق الثلاثة التى أمام عين الساحة على يمين الذين يتوجهون إلى باب العين المذكور وهذا الطريق يسمح بالتوجه إلى مناخة أو الجهات الأخرى.

الثانى من الطرق الثلاثة زقاق الخماطة الذى فى اتصال السور الداخلى ويمضى هذا الطريق إلى زقاق مالك بن سنان ومرقده إلى سقيفة الأميرة وزقاق الطوال وإلى سوق الشروق إلى الباب المصرى ومن الشارع الكبير إلى باب السلام والثلاثة من الأزقة المذكورة طريق حى الساحة الذى يعد أكبر طرق أحياء المدينة. ومنازل أغا باب السعادة تحسين أغا ومدير التعميرات السابق خورشيد والسيد صافى الجفرى وكاتب المحكمة السابق حسين هاشم فى حى الساحة الذى ينتهى إليه هذا الطريق. وإن كان فى هذا الحى منازل فخمة أخرى منتظمة ولكن منازل الأشخاص الذين ذُكرت أسماؤهم لا مثيل لها فى المدينة فهى مرتفعة وكاملة.

وبالاتجاه من الساحة إلى باب السلام يقع زقاق حوش برى، زقاق القفار، زقاق سقيفة الأمير، زقاق الطوال، زقاق المدراسى، زقاق حوش الجمال، زقاق كومة حشيفة، زقاق الوكالة، زقاق حوش الجبرات على يمين طريق باب السلام، كما يقع على الجانب الأيسر: زقاق جوارى، زقاق حوش دكانة، زقاق دار البيضاء، زقاق الجيش، زقاق عنبر أغا زقاق شجرية، زقاق سقيفة شيخى، زقاق باب الرحمة، زقاق المديرية، زقاق الحنابلة، زقاق الشامى، زقاق الفرن، وزقاق شرشورة ويخرج من هذه الأزقة إلى الشوارع التى يقصد الذهاب إليها.

وفى الجهة الشرقية من البلدة الطيبة شارعان يطلق عليها حناكية، طريق الخنق وأبو الرشيد نقطة التقاء هذين الطريقين عندما يسد الطريق السلطانى أى عندما يحاصر الأشقياء هذا الطريق فالزوار راكبوا الهجين يسلكون طريق الخنق.

وبابا مسجد السعادة اللذان يسميان باب جبريل وباب النساء، وكذلك باب

فاطمة الذى يدخل ويخرج منه خدم الحجرة المعطرة صباحًا ومساء فى هذه الجهة.

ونقطة التقاء الطرق الشرقى، موقع بجانب مسجد سيدنا على العرضى. وبعدما تلتقى هذه الطرق فى أبى الرشيد تشكل بجانب عين السرانية شارعين، وقوافل الحجاج تسير من الجهة الغربية لهذين الطريقين إلى مسراح حمزة ومنه إلى المدينة الطاهرة، والمسافرون الآخرون ينزلون إلى زقاق الجنائز من منهل عين السرانية بطريق الحرة الشرقية إلى الموقع المسمى زرب البهتيم[1] بجانب مسجد الإجابة فى نهاية الحرة المذكورة ويقومون من هناك ويسيرون من الطرق التى بين أشجار النخيل والفرجة التى بين بقيع الغرقد وبقيع العمات بمحاذاته باب البقيع.

وهناك طريق آخر يمضى من زقاق الجنائز إلى ميدان مناخة ومن جانب قبة بقيع العمات ومن موقع صدقة إلى الباب المجيدى وأماكن أخرى. إلا أن المسافرين لا يسلكون هذا الطريق ويدخلون إلى المدينة من باب الجمعة رأسًا، وعلى يمين المخفر الذى فى داخل هذا الباب حارة الأغوات وعلى يسار المخفر طرق عدة تنتهى إلى مرقد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق ومن هناك بطريق الأغوات إلى ذروان ومواقع أخرى.

وباب العوالى، من جملة أبواب السور الخارجى فى هذه الجهة أيضًا وفى الجهة الغربية من جدار بقيع الغرقد. ويسلك هذا الطريق عند الذهاب والإياب إلى قرية العوالى وذلك الباب، وبين البلدة الطاهرة وقرية العوالى حدائق عديدة ومزارع وأشجار نخيل تنبت دون غرس.

والمنازل التى توجد على جانبى الطريق الذى بين باب الجمعة وحارة الأغوات على يمينها زقاق الرباط، زقاق الصندل، زقاق الشرك وعلى الجهة اليسرى زقاق رستمية، وزقاق الديار العشرة.

(١) وتعنى زرب الموضع الذى يجتمع فيه البدو، وثمة موضعين لاجتماع البدو، أحدهما يسمى «زرب هيثم» والآخر يسمى «زرب بنى على».

والرباط الذى يوجد فى الزقاق الأول، رباط الشيخ مظهر النقشبندى، وليس فى المدينة المباركة رباط أكبر منه، وحول الرباط المذكور كثير من المنازل والاحتفالات التى يقوم بها أغوات حجرة السعادة فى اليوم الرابع من عيد الفطر تقام فى المدرسة الرستمية الكائنة فى زقاق الرباط.

وزقاق الرستمية على الطرف الشرقى من منهل عين الزرقاء الذى فى حارة الأغوات. ودوائر شيخ الحرم النبوى فى شارع الديار العشرة، ورباط سيدنا عثمان بن عفان وسبيل نور الدين ورباط العجم فى الطرف الشرقى من الشارع المذكور.

ويقع الطرف الشرقى من حرم السعادة أمام باب رباط العجم وركن زاوية سمان التى بين باب جبريل وباب النساء حنفية عشرة صنابير وقد أسست حتى يستطيع أن يجدد من يريدون أن يدخلوا فى المسجد الحرام وضوءهم إذا كانوا من غير وضوء.

الطريق المعروف الذى ينفصل عن شارع الحرة الشرقية إلى قرى قباء، قربان، عوالى، فى الجهة القبلية للبلدة الطاهرة فالباب الصغير الذى فى السور الداخلى وباب قباء الذى فى السور الخارجى يقعان فى هذه الجهة من المدينة المقدسة الشهيرة.

والباب الصغير فى مناخة وبين السورين كما عرف آنفًا، والدائرة الحكومية فوق الباب المذكور والسجون الخاصة بالرجال والنساء بجانب الدائرة الحكومية ولكنها جهة القلعة السلطانية التى أسست فى عصر السلطان بن السلطان سليم خان.

وليس لحرم السعادة باب فى الجهة القبلية، ولكن له نافذة مشبكة تنظر ناحية حديقة الديار العشرة، ويطلق عليها نافذة مواجهة السعادة.

كما أن حجرة السعادة ليس لها باب فى هذه الجهة ولكن فوق شبكة حجرة السعادة باب صغير مشبك محاذى لنافذة مواجهة السعادة وبما أن هذا الباب فى محاذاة الكوكب الدرى يعرف بين الناس بباب التوبة.

ولكن ليس فى زماننا شخص يعرف أن ذلك الباب قد فتح إلى الآن.

ومجمع طرق الذين يأتون إلى البلدة النبوية المباركة منها من الجهة القبلية قرية قباء.

إذا ما أريد الخروج من قرية قباء يمر من أمام حديقة بئر أريس بطريق مسجد قباء ومن هناك إلى سبيل الشهيد نور الدين ومن هنا إلى نخيل بويرة، بئر عذف، بئر شدق، بئر خاتم، بئر قويم، بئر برى، بئر شميلة، وبئر عصبة وليس لحدائق النخيل هذه مثيل لا فى قرية قباء أو فى المواقع الأخرى لمدينة طيبة المقدسة.

وفى الطرف الشامى لمسجد قرية قباء مقبرة خاصة بأهالى تلك القرية يروى بعض الناس أن ساحة هذه المقبرة عرصة موقع مسجد ضرار وهناك طريق من المقبرة المذكورة وينتهى إلى قرية قربان وفى الطرف الشامى لهذا الطريق إلى البوابة التى يطلق عليها باب قباء فى سور المدينة أراضى مزينة بكثير من الحدائق مزروعة بالنخيل أو أشجار النخيل التى تنبت ذاتيًا وكل هذه ذات مناظر ساحرة تجلّ عن الوصف.

والمسافرون الذين يأتون من قرية قربان يمرون من بطحان الذى يعد مجرى سيل الوجيدة، من باب قرية تحسين أغا التى فى طريق قباء ومن الجهة الغربية من طريق بلاد عمر زاهد الذى يقال له مغيسلة ومن الجهة القبلية لحديقة محمد بدوى ومن بين مجارى سيل رانون وسيل أبى جيده المرجلين ومن الحدائق العديدة التى تقع فى الجهة الشرقية من هذا الطريق ومن خرابة شيخ الحرم المرحوم أمين باشا. ويصلون إلى باب السور الخارجي وهذه الأماكن والجهات الخلفية للبعض حجرات حوش منصور وخاصة مسجد عمر الفاروق ودار خضر أفندى وعمارة مخاصلى التى اتخذت مستشفى للعساكر السلطانية. وتقع هذه الأماكن على يمين من يستقبلون مسجد السعادة من أمام باب السور الخارجى ويقع على يسارهم مخفر باب قباء وحوش متاع وحوش عميرة والمنازل التى تمتد إلى جسر سنان باشا.

والذين يريدون أن يذهبوا من هذا المكان إلى حرم المسجد النبوى يعبرون جسر سنان باشا ويسيرون بطريق الجهة الشرقية إلى سوق الحبابة ومن هنا إلى الباب المصرى ثم يصلون إلى الحرم الشريف، ومن يريدون أن يخرجوا من باب العنبرية بعد ما يعبرون الجسر سالف الذكر يسلكون بطريق الجهة الغربية باب العنبرية. انتهى.

حُمام اله: اسم موضع بالقرب من بليدة حُمام على وزن زكام موقع بين فرس وملل يشتهر باسم عميس الحمام.

حماضة: اسم بستان فى ديار بنى بياضه.

حمت: الاسم الآخر لجبل ورقان واسم عقبة فى طريق القدس الشريف.

حمراء الأسد: اسم موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة فى جهة مكة المكرمة. واسم أشجار النخيل القريبة من قرية صفراء.

حنان: اسم تل رملى جبلى يقع على يمين من يذهبون إلى بدر.

حنذ: القرية التى كان يسكنها أُحَيْحَة[1] بن جُلاَح.

حورتان: اسم حورتين إحداهما حورة يمانية والأخرى حورة شمالية والحورة الشمالية فى جهة عفرة من وادى أشعر يقال لها حويرة.

والحورة اليمانية فى واد يطلق عليه ذى الهدى وكان اسمه القديم ذو الضلالة، وأهدى شداد بن أمية الذهبى للنبى ﷺ مقدارًا من العسل فسأله النبى ﷺ من أين أنت فقال له ما يشير إلى أنه من وادى ذو الضلالة فقال له النبى ﷺ كلا كلا أنت من وادى الهدى وظل بعد ذلك اسم ذلك الوادى ذو الهدى.

حوضى: حوض فى تبوك.

حوض مروان: حوض فى وادى العقيق.

حوض هشام: حوض فى الحرة الغربية للمدينة.

(١) انظر: الإصابة ١/ ٢١-٢٢.

خاخ: اسم قرية معروفة بروضة خارخ على يمين حمراء الأسد، وكانت مقر محمد بن جعفر وعلى بن موسى الرضا ـ رضى الله عنهم ـ وأئمة آخرين، وبناء على رأى الواقدى قرية «ظعينة» التى فى خارج المدينة المنورة أى قرية المرأة التى حملت الرسالة التى كتبها حاطب بن أبى بلتعة يخبر سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل بأن النبى ﷺ يستعد للسفر إلى مكة المكرمه لفتحها ولكنَّها قبض عليها وأخذت منها الرسالة.

استطراد:

قال بعض المؤرخين: إن حاطب بن أبى بلتعة كان قد أرسل رسالة مع مغنية تسمى سارة وكانت المغنية المذكورة جارية أبى عمرو بن هاشم بن عبد مناف، وقد ذهبت إلى بلدة الرسول فى أثناء تجهيز النبى للجنود للرحلة الميمونة لفتح مكة ويعد لوازم السفر وقد أجابت على سؤال النبى الذى قال لها: «هل أتيت لتسلمى أم أتيت مهاجرة إلى المدينة».

فأجابت: «بعد أن ماتِ صاحبى أصبحت فى ضيق من العيش» فأومأ النبى ﷺ أن ما تقوله غير قابل للتصديق لأن مشركى قريش يراعون المغنيات وحديثها عن حاجتها غير مقنع، فقالت المشار إليها «نعم أن ما تقوله صحيح إلا أن بعد موقعة بدر الكبرى لم يبق فى بيوت مكة ومنازل بكة مجال للفرح والسرور والبهجة. وقد تحول فرحهم وسرورهم وابتهاجهم إلى الغم والهم والكدر»، وهكذا أظهرت المسكنة وبينت أحوال أهالى مكة وحكت أقوالهم ونالت عطايا النبى ﷺ.

وإن كان حاطب بن أبى بلتعة كتب رسالته وأعطاها إياها وأخفت المذكورة الرسالة بين شعر رأسها، وتحركت من المدينة المنورة متوجهة إلى مكة المكرمة إلا أن جبريل أُنْزِلَ باسطًا أجنحته وأخبر الرسول بالموضع كما أخبر أن سارة لم تصل بعد إلى منزل ذى الحليفة فاستدعى النبى ﷺ على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومقداد بن أسود فأمرهم كلهم معًا وقال لهم: توجهوا الآن ناحية مكة

وعندما تصلون إلى روضة خاخ ستلقون سارة المغنية ومعها رسالة من حاطب بن أبى بلتعة بين فيها استعداداتنا وتدابير سفرنا نحو مكة، لابد وأن تأخذوها وتعودوا بها إلينا»، وفعلاً وصل المشار إليهم إلى روضة خاخ حيث تلاقوا مع سارة وأخذوا الرسالة وعادوا كما ذكرت فى كتب السير[1] بالتفصيل. وبناء على هذا فرواية الواقدى موضع نظر.

صورة الرسالة التى كتبها حاطب بن أبى بلتعة:

من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن الله تعالى نصيره ووليه وقد أحببت أن تكون لى يد بكتابى إليكم.

وإن كانت صورة هذه الرسالة منقولة بشكل آخر ولما كانت هذه الصورة مسطورة فى صفحة ٣٦٧ من محمود السير فلم نجد حاجة لبيانها. انتهى.

خاص: واد فى خيبر فمزارع قصدى، وحيدة، سلالم، كثيبة، وطيخ فى هذا الوادى.

خَب: نهر من وديان موضع كاثب فينزل من الموضع المذكور إلى أسفل ويمر من خلف حرة كثب يتصل بجانب قرية قباء من الأسفل.

خبان: اسم جبل بين معدن بقرة وفدك.

خبراء الغدق: اسم موضع فى ناحية صمان يشتمل على عشب سدر وهو كثير الماء الزرع.

خبراء صائف: اسم منزل بين الحرمين.

خرار: مكان فى الناحية الشامية من وادى مشعر وقعت هنا معركة سرية سعد بن أبى وقاص.

خزباء: منزل خاص ببنى سلمة بين مسجد القبلتين وموقع مزاد وقد سماه النبى ﷺ مؤخراً صالحة.

خزما: اسم بئر فى وادى صفراء. **خزيف**: اسم واد يبدأ من موقع يقال له جار ويتصل بينبع البحر.

---

(١) انظر: الطبرى ٣/٤٨-٤٩، سيرة ابن هشام ٢/٢٦٦-٢٦٧، الدور ص ٢١٣-٢١٤.

(خزيم): طريق جبلى بين المدينة وبدر الكبرى. قد عاد النبى ﷺ من غزوة بدر من هذا الطريق.

خشب: اسم واد يقع على بعد ليلة من المدينة إلى جهة تبوك يقال له ذو خشب أيضًا، وكان لمروان بن الحكم قصر فى هذا الوادى.

«خشرمة»: واد قريب من ينبع البحر يمتد حتى ساحل البحر.

«خشين»: جبلان أحدهما أصغر من الآخر فى أراضى خشين.

خصى: كانا برجين فى الجهة الشرقية من مسجد قباء لبنى سليم وبنى الحارث.

خضيرة: اسم موضع خاص لبنى محارب فى قطعة نجد، كانت سرية أبى قتادة أرسلت لهذا الموضع - وعلى رأى - اسم قرية من قرى جبل آره - وبناء على رأى - كان يقال لموضع خضرة فى الجاهلية عفرة فسماه النبى ﷺ خضرة كما سمى شعب الضلالة شعب الهدى وبنى الزينة بـ بنى الرشد.

«خضينت»: اسم نهر وقرية بين المدينة وينبع البحر. وعند البعض طريقان ينتهى أحدهما إلى ينبع والآخر إلى خشرمة.

«خفية»: اسم نهر فى وادى العقيق.

«خلائق»: جمع خليقة، خلائق هذه ملك عبد الله بن أبى أحمد بن جحش وغير خليقة آل زبير وآل أبى أحمد أراض بعيدة من المدينة مقدار اثنى عشر ميلاً. ولكل جزء منها يقال خليقة. ونهر العقيق يسقى أراضى خلائق هذه وكل خليقة تشتمل على مزارع كثيرة وأشجار نخيل وآبار عذبة لطيفة.

خلص: صحراء واسعة يروى موثوقًا أن حكيم بن حزام رأى الملائكة ينزلون فى هذا الوادى يوم بدر.

«خل»: اسم منزل بين الحرمين وقريب من مزحج. ولما كان الطريق الذى ينتهى إلى قصر حرة ينفصل من هذا المنزل يقال لهذا القصر المذكور قصر خل أيضًا.

«خم»: اسم بحيرة قريبة من جحفة والذى يسمى بغدير خم. ولما كان أحد الشجعان العرب يسكن بجانب تلك البحيرة ويستضيف المارين والعابرين سمى

بهذا الاسم. وعند البعض اسم واد قريب من جحفة ولما كان هذا الوادى مشهورًا عند أهل الجاهلية بأنه مقر الوباء ومركز الحمى كان أهاليه ينتقلون إلى البلاد والوديان الأخرى. حتى إن حافظ مندى قال: فالذى يولد فى قرية واقعة فى هذا الوادى إذا لم ينتقل إلى محل آخر لا يمكنه أن يعيش.

إلا أن جميع هذه الشرور قد زالت من أرض يثرب بعد الهجرة فظهر قدر النبى الجليل مثل الشمس. هناك فى الجهة الشرقية على مسافة ميل من غدير الخم موضع لا ينقطع المطر منه أبدًا والسيول التى تتجمع من هذه الأمطار تجرى فى صورة دائمة من الأودية وتصب فى البحر؛ لذا لا يتعرض من يمرون من هذه الأماكن للعطش.

خندق: اسم الخندق المشهور الذى أمر النبى ﷺ بحفره قبل غزوة الأحزاب.

صورة حفر الخندق الذى حفر فى عصر الرسول[1] ﷺ:

يرى المؤرخ المطرى والذين تابعوه من المؤرخين: بناء على المعلومات التى استقرأها من النبى ﷺ حفر خندقًا فى غاية الاتساع والعمق قبل وقوع غزوة الأحزاب الجليلة من فوق وادى البطحان إلى الجهة الغربية منه، ومن الحرة الغربية إلى مصلى النبى ﷺ ومن مصلى النبى ﷺ إلى ساحة مسجد الفتح، منها إلى الجبلين الصغيرين الواقعين فى الجهة الغربية من وادى البطحان، وجعل جبل السلع فى الخلف ونصب الخيمة النبوية بجانب مسجد الفتح ـ وعلى قول على جانب من جوانب وادى ذباب ـ وعلى هذا التقدير تكون الجيوش الإسلامية قد ظلوا فى جهة جبل السلع وأحزاب المشركين فى جهة جبل أحد.

ولكن ابن سعد والإمام البيهقى ذهبوا إلى خلاف هذا الرأى وقالوا. قد بدئ فى حفر الخندق من جهة من جانب محلات بنى حارثة حليف بنى عبد الأشهل أى من جهة الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية إلى جانب محلة بنى سلمة التى تقع فى سفح جبل بنى عبيد ومساجد الفتح وقد قسم هذا الموقع أجزاء ووزع كل جزء ليحفره جماعة من الصحابة الكرام.

---

(١) انظر فى غزوة الخندق: سيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٦، مغازى الواقدى ٣٦٢، وابن سعد ٢/ ١/ ٤٧ تاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٤. وغيرها.

وعلى هذا بدأ المهاجرون الكرام فى الحفر من ناحية راتج إلى موقع ذباب والأنصار من ذباب إلى جبل بنى عبيد موقع منازل بنى سلمة وأفراد بنى دينار من محلة بنى سليمة إلى محاذاة منزل ابن أبى سلول وبنو عبد الأشهل حفروا إلى محلة منازل بنى حارثة التى تقع فى الطرف الشرقى من موقع ذباب وعمقوها. وبناء على هذا التعريف أن الخندق المذكور كان فى الجهة الشامية من المدينة المنورة وهذا المكان يمتد من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية ولما كانت تلك الجهات محاطة بالمبانى والأشجار وجبال متسلسلة فهجوم العدو من تلك الجهة غير ممكن. ومازالت خرائب الخندق الذى حفر فى ذلك الوقت قائمة فالماء الذى جلب من قرية قباء قد أمر من داخل تلك الخرابة وأوصل إلى حديقة سح التى حول مساجد الفتح. وملئت حفرة الخندق وغرس عليها أشجار النخيل وأصبحت أرضها سطحًا مستويًا. ومن المحقق أن ٣٠٠٠ آلاف من الصحابة قد عملوا فى عمليات الحفر ولكن اختلف فى صورة الفتح. وبناء على أشهر الأقوال وأصحها أن النبى ﷺ تحرك من المدينة المنورة بثلاثة آلاف صحابى. ونصب خيامه بين جبل سلع ودار السكينة حيث أقام وقرر بناء على عرض جناب سلمان ورأيه حَفَرَ خندقا عميقا فى المكان الذى يحتمل هجوم المشركين من جهته على أن يكون عرضه وعمقه خمسة أذرع، وفرق لكل عشرة أنفار من الصحابة أربعين ذراعًا من الأرض، واستصوب أن يستعير أدوات الحفر من يهود بنى قريظة الذين كانوا فى حالة صلح مع المسلمين، وكما عرف أعلاه قد عرف كل قبيلة المحل الذى ستحفره بدءوا فى الحفر معًا وأتموا الحفر فى ست ليال أو أربع وعشرين أو فى عشرين ليلة وكملوا.

وبناء على هذا الحساب أن طول الخندق كان ١٢٠,٠٠٠ مائة وعشرين ألف ذراع.

ولما تم حفر الخندق وصلت أحزاب المشركين وحاصروا المسلمين خمسة عشر يومًا أو عشرين ليلة أو شهرا كاملاً وأشعلوا نار الوغى. كما فصل فى كتب السير وفى نهاية الأمر عادوا منهزمين.

إن ما نقله جماهير أئمة السير وما كتبوه تحت عنوان معجزة الخندق الجليلة فى

حق الصخرة التى قاومت الكسر انبثق فى كسرها معجزات غيبية كثيرة وفتوحات عظيمة.

وقد ظهرت تلك المعجزة أسفل الموقع الذى يطلق عليه ذباب أو بجانب جبل بنى عبيد. وكان فى موقع الصخرة التى كانت سببًا فى ظهور المعجزة عبد الله بن عمرو بن عوف وسلمان ونعمان بن مقرن ـ رضى الله عنهم ـ فلم يوفقوا فى نقب أو شق تلك الصخرة فأوكلوا المسألة إلى النبى ﷺ بوساطة حضرة سلمان فشرف النبى ﷺ وحطم تلك الصخرة كما ذكر فى كتب السير مفصلاً وهكذا أظهر معجزة الخندق العظيمة.

والموقع الذى حدثت فيه غزوة الأحزاب هو المكان الذى يستقر فيه الآن المساجد الأربعة على بعد نصف ساعة فى خارج المدينة. والموقع الذى يسمى الآن مسجد الفتح هو المكان الذى نصبت فيه الخيمة النبوية ونزلت فيه سورة الفتح بناء على قول.

والمساجد الثلاثة الأخرى يطلق على واحد منها مسجد أبى بكر الصديق وعلى الآخر مسجد على وعلى الثالث مسجد سلمان كما كتب فى الصورة الثالثة من الوجهة الثالثة.

وبناء على عقيدة أهل المدينة فإن ساحة تلك المساجد الثلاثة كانت المواقع التى نصب عليها المشار إليهم خيامهم. وبما أن مؤرخى المدينة لم ينقلوا أى قول بخصوص هذا الموضوع فنحن نتردد فى قبول ذلك وتصديقه. ولكنه لا شك أن مسجد الفتح قد أقيم على الساحة التى نصب عليها النبى ﷺ خيمته.

خيبر: بلد لا نظير لها من حيث وجود رياض وفيرة ومزارع وحصون كثيرة وهو ولاية كبيرة على بعد ثلاثة أيام من مدينة الرسول، وعلى يسار الذاهبين إلى المدينة من الشام. ويظن أن خيبر فى اللغة اليهودية بمعنى قلعة وبناء على ذلك يطلقون على قلاع الولاية المذكورة خيابر وهذا التعبير ليس وجه تسميتها بخيبر، لأن تسميتها بخيبر يعود إلى أن أخا الشخص الذى يدعى يثرب وهو خيبر بن قانئة بن مهليل بن أرم بن عبيل نزل فى أرض خيبر وأقام فيها، وأقام النبى ﷺ

فترة غزوة خيبر ما يقرب من شهر أمام قلاع خيابر وفتح القلاع واحدة تلو الأخرى وسخرها.

ثم عاد بعدما أبقى سكنتها فى أماكنهم بشرط أن يعطوا نصف محاصيل خيبر المتنوعة لبيت المال وكان قد خطط لإجلاء يهود خيبر إلى البلاد الأخرى ونقلهم فقالوا: «يا رسول الله!! نحن نعرف طبيعة هذه الأراضى نرجوك أن تبقينا هنا». فأشفق النبى ﷺ عليهم ورحمهم وأبقاهم فى أماكنهم على أن يكون نصف محاصيل المزارع لهم كأجور عمل ولم يقرهم على ملكية الأرض. أى على أن يجليهم إلى أماكن أخرى وقت ما شاء.

وبعد فترة وجد أخو عبد الله بن سهل مقتولاً فى أرض خيبر وبناء على طلبه كتب النبى ﷺ رسالة وأرسلها إلى يهود خيبر وكانت الرسالة تتضمن إعطاء دية عبد الله المقتول أو أن يستعدوا للحرب والقتال، إلا أن اليهود أقسموا بالله وبرءوا ذممهم من قتل عبد الله بن سهل وعلى هذا أعطى النبى ﷺ من بيت المال مائة جمل وسوى مسألة الدية وبين أنه قد حان الوقت لإخراج غير المسلمين من جزيرة العرب بإخراج النصارى واليهود منها. ولأجل ذلك أجلى عمر بن الخطاب فى عهد خلافته اليهود من خيبر وأسكن مكانهم من يرغب من أهل الإيمان وآواهم، لأن مطهر بن رافع بينما كان عائدًا من الشام مع عشرة من العبيد فى أيام خلافته اختار أن يبيت ليلة فى خيبر التى كانت على طريقه. إلا أن اليهود الملاعين ألَّبوا عليه العبيد قائلين: «بينما أنتم عشرة أنفار كيف يذلكم هذا الرجل وتتحملون المشقات الجمة والمتاعب الكثيرة؟ أهذا من شأن العاقل؟! ونقول هذه الكلمات لأننا نرقّ لحالكم ونعطف عليكم. وإلا فما لنا؟! إذا أردتم أن تنجوا من الشقاء الأبدى، اقتلوا هذا الرجل بعد خروجكم من خيبر بهذا الخنجر الحاد ثم اهربوا كل واحد منكم إلى جهة ما» وبعد هذا التلقين أعطوا لهم الخنجر وقتل هؤلاء المجرمون بناء على تلقين اليهود مطهر بن رافع فى الطريق وعادوا إلى خيبر و أسرع اليهود بإعطائهم زاد طريقهم وإعادتهم إلى سواء الشام وعندما شاع هذا الخبر المؤلم وتردد صداه فى المدينة ذهب عبد الله بن عمر إلى خيبر ليسترد

أموال مطهر بن رافع المتروكة، وهجم أهل خيبر على عبد الله بن عمر ليلة ما على غفلة، ولأن ابن عمر نجا فى فترة ما وعاد إلى دار الخلافة إلى المدينة وأبلغ والده بما حدث؛ صعد حضرة عمر على المنبر دون تأخير وبين أن أهل خيبر قد تجرءوا على أذى عبد الله وقتل مطهر بن رافع وعبد الله بن سهل وتسببوا فى الخسارة وارتكبوا الفظائع وأن النبى ﷺ قال فى حق هؤلاء الملاعين «أقركم ما أقركم الله» وأنه قد وقت إجلاءهم من قطعة خيبر الفسيحة وأجبر المهاجرين والأنصار على تصديق قراره وقرر عمر لمردهم وعندما وصل ما قرره عمر بن الخطاب إلى خيبر جاء ابن أبى الحقيق إلى المدينة ومسح جبينه على تراب رجلى عمر بن الخطاب مهادنا ثم قال يا عمر، كيف تريد أن تنفينا وتجلينا من بلدنا وأنت تعرف أن محمدا ﷺ أبقانا ووطننا فى بلدنا فما سبب ذلك؟ وأنت تريد أن تتصرف خلاف الإرادة النبوية؟ فاستجوبه على هذا النحو. فقال له عمر هل تظن أنى نسيت ما قاله النبى ﷺ فى حقكم عندما قال «تستطيعون أن تبقوا الآن فى دوركم ودياركم ولكن كيف سيكون حالكم عندما تخرجون من بيوتكم ودوركم؟!» فقال له إن ما صدر من أبى القاسم كان من قبيل الهزل ولم يكن جادًا فى قوله، ولما رأى عمر بن الخطاب أنه يستخدم فى حق النبى ﷺ لغة الاستهزاء والسخرية قال له: «يا عدو الله، قد افتريت فجميع أقوال النبى ﷺ قول فصل وليس بهزل وبناء على هذا قد أهملتكم ثلاثة أيام ما عدا دخولكم وخروجكم!».

وفى هذه المدة غادروا منطقة الحجاز من جزيرة العرب!!!

وعاد وقد تلقى هذه الإجابة وأعطى أمير المؤمنين سواء أكان أثمان أموال يهود خيبر أو نصارى نجران من فيافيهم كلهم إلى الممالك الأخرى ثم وزع أموالهم وأشياءهم بين الأصحاب.

والسبب الذى دعا سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى الصعود على المنبر النبوى وترغيب الصحابة الكرام فى نفى يهود خيبر من بلادهم ووطنهم ما

سمعه من النبى ﷺ قوله: «لا يبقى دينان فى جزيرة العرب» وبالنظر إلى معنى الحديث الشريف: «إن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من الحجاز» فلفظ جزيرة العرب الذى ورد فى الحديث سالف الذكر المقصود به بلاد الحجاز المقدسة، ويهود خيبر الذين أجلاهم عمر بن الخطاب كانوا أربعين ألفا من الشجعان المتسلحين وقد سمح لبعضهم بالإقامة فى تيماء وهذا يدل على أن المقصود بالجزيرة العربية التى فى الحديث قطعة الحجاز وإن كانت أرض تيماء فى داخل الجزيرة العربية ولا تعد من أراضى الحجاز لأن بلاد الحجاز تشمل الحرمين واليمامة، وخيبر مربوط بالمدينة كما أن الطائف مرتبط بمكة المكرمة.

وقد حدثت هذه الوقائع فى السنة التاسعة الهجرية فأجلى يهود خيبر ووادى القرى إلى حدود الشام، وأهالى نجران إلى أرض الكوفة. وهكذا أخليت بلاد الحجاز من النصارى واليهود بناء على الإرادة النبوية.

وظهرت فى خلال تلك السنة المذكورة نار عالية اللهيب وانتشرت إلى الأطراف والنواحى بذلت جهود جبارة لإطفائها فلم يمكن إطفاؤها.

وعرضوا الأمر على مقام الخلافة ورجوه أن يجد حلا لهذه الكارثة العظمى وأمر الفاروق الأعظم - رضى الله عنه - بالتصدق واتخذ الإجراءات اللازمة فانطفأت تلك النار فنجا الجميع.

خيط: اسم برج فى الجهة الشرقية لمسجد القبلتين خاص بقبيلة بنى سواد.

«خيل»: اسم محل بجانب دار زيد بن ثابت التى فى سوق المدينة القديمة، واسم جبل بين موقعى مجنب وضرار، واسم حديقة فى أراضى نجد، ويطلق على الحل الذى بجانب دار زيد بن ثابت بقيع الخيل، وعلى الحديقة التى فى أراضى نجد روضة الخيل.

حرف الدال

دار النخلة: دار قريبة من المحل الذى يقال له «زوراء» فى دار الهجرة، وجه تسميتها بهذا الاسم انعزالها عن المنازل الأخرى منفردة فى داخل حدائق النخيل.

دَبَّة: على وزن مَكَّة اسم محل فى مضيق صفراء يطلق عليه «دبة المستعجلة» واسم موضع بين «وادبى أضافر» وبدر، واسم قرية قريبة من بدر على وزن نكتة.

دَرّ: بفتح الدال وتشديد الراء، اسم بحيرة كائنة تحت حرة بنى سليم وفوق موقع يطلق عليه نقيع.

درك: على وزن سمك اسم موضع كان يقاتل فيه الأوس والخزرج فى الجاهلية. كما يطلق عليه دريك على وزن زبير.

دهنا: على وزن رغيا موقع قريب من ينبع كما يطلق على تلال رمل محاذية لديار تميم، وما بين كل تلين مزين بكثير من القرى والمدن وإن لم تكن لها مياه وفيرة فمحاصيلها السنوية تفى لعربان البادية وتزيد لطيب هوائها وصفائها لا يشغلون أنفسهم بالحمية.

وتتصل أنهارها بوادى «متعج» وبعده «دوتة».

دوداء: على وزن صحراء موضع قريب من ورقاق.

دوران: على وزن توران واد يقع على جهة جحفة من منزل قديد.

دومة الجندل: قد ضبط هذا الموقع ابن زيد على شكل «دومة الجندل» والموقع المذكور وفق قول ابن فقيه من ملحقات المدينة المنورة سمى باسم ابن حضرة إسماعيل بن إبراهيم وقرية قريبة من جبل «طى» الواقع بين المدينة المنورة وأراضى خطة الشام. وفى هذه القرية حصن حصين يعرف بمارد قلعة الملك المسمى «بأكيدر». أو اسم قرية من قرى وادى القرى وقد بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى الحصن المذكور وقال له ستجد أكيدر وهو يصطاد الثور الوحشى وبناء على قول ابن سعد إن دومة الجندل فى جهة الشام وتبعد عن الشام خمس ليال وعن المدينة المنورة خمس عشرة ليلة. وقد شرف النبى ﷺ هذه البلدة وظل هناك فترة طويلة وأرسل سرايا إلى البلاد المجاورة من هناك.

دويخل: اسم جبل بنى عبيد وأحد الجبلين اللذين فى الجانب الغربى لمسجد الفتح.

حرف الذال

ذات أجدال: موضع فى مضيق صفراء.

وذات القطب: نهر من أنهار العقيق المشهورة.

ذات النصب: الموضع الذى أنعم به النبى ﷺ على بلال بن الحارث المزنى عن وأقطعة إياه على أربع مراحل من المدينة فى الجهة القبلية.

ذات الرقاع: بئر من آبار الجاهلية وتقع بين وادى سعد وشقرة أو اسم جبل ملون بألوان بيضاء وحمراء وسوداء. وعلى رواية أخرى اسم شجرة بجانب هذا الجبل.

وعند البعض قد أديت فى المحل المذكور صلاة الخوف أو أن الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - ربطوا أرجلهم بالخرق فى الغزوة التى وقعت هنا وهذا هو وجه التسمية.

ذباب: اسم الصحراء التى أسس فيها مسجد الراية ويقال لها ذو باب أيضا.

ذرع: اسم بئر بنى خطمه.

ذروان: اسم بئر فى محلة بنى زريق المستقرة خلف البيوت التى فى الجهة القبلية من المدينة المنورة، وتشتهر باسم بئر ذروان.

ذفران: اسم واد واقع بين الحرمين.

حرف الراء

رائع: اسم موضع فى وادى «العقيق»

رابغ: اسم نهر فى جهة جحفة، واسم بحيرة فى وادى أسقف، وهذه البحيرة فى جهة غدير سيالة لا يجف ماؤها أبدًا وكان يقال لها فى الأوائل رابوغ والآن يطلق عليها حساء.

راتج: اسم أطم يعرف باسم الناحية التى تميل إلى جهة الشام فى الطرف الشرقى لموضع ذباب وكانت محلة أولاد بنى عبد الأشهل وأخوه وبناء على قول المطرى أن «راتج» اسم جبل يقع بجانب جبال بنى عبيد، وإذا كان ما ذهب إليه المطرى أن هذه الأطم فإنه يقتضى أن يكون غير الأطم سالف الذكر. ومع هذا لم يبق أثر سواء من الأطم أو ساحته.

تعريف البرج الذى يقال له «أطم» بين أهالى المدينة القدماء:

«أُطُمْ» بضم الهمزة والطاء وسكون الميم بمعنى جوسق عادى وقصر إلا أن الأغنياء من أسلاف المدينة اعتادوا أن يبنوا بيوتهم أبراجا مستحكمة حسب إمكانات عصورهم ويحيطون أسطحها بمتاريس بطول قامة رجل ويجعلون لتلك المتاريس فتحات يتقون بها ما يطلق عليهم، ويتحصنون فى داخل هذه الأبراج عند اللزوم ويطلقون على مثل هذه المبانى أطم ويجمعونها على آطام. وكانت حصون تلك الأزمنة وقلاعهم من هذا القبيل إلا أنها كانت بالنسبة للآطام أكثر استحكاما وكانت لها عدة أبراج وكانت لكل قبيلة عدة آطام والقبيلة التى تنهزم فى ميدان القتال كان يدخل أفرادها داخل هذه الحصون ويدافعون عن أنفسهم ويتحملون هجمات الأعداء مدة طويلة، لأنهم كانوا يدخرون فى داخل هذه الحصون من الأغذية ما تكفى لمعيشة ما يستوعبه الحصن من الأشخاص عدة شهور. وكانت القبائل تشن الغارات وتحارب الأخرى مستندة على هذه الحصون ولم تكن الحصون التى فى الجاهلية مثل ما نعرفه اليوم من القلاع والحصون التى تقاوم الأسلحة النارية. انتهى

رادان: اسم ناحية مشهورة ملحقة بالمدينة المنورة.

رامة: اسم منزل على بعد مرحلة من المدينة المنورة فى جهة طريق حجاج العراق وهناك قمتان على شكل نهدى امرأة.

رَانُوناء: على وزن عاشوراء اسم واد.

راية الأعمى: اسم نهر فى وادى «العقيق».

رِبَاب: على وزن كِبَاب جعل فى الجهة القبلية للمدينة.

رِبَا: على وزن دَعا اسم منزل بين الحرمين وبين أبواء وسقيا.

ربَّذة: بتشديد الباء على وزن مكة اسم قرية على مسافة أربعة أيام من المدينة فى جهة نجد قد اتخذ عثمان ـ رضى الله عنه ـ هذه القرية مرعى لإبل الصدقة.

ربيع: اسم ناحية من نواحى المدينة وبما أن الأوس والخزرج تقاتلوا فى هذا المكان قتالاً عظيما يذكرون هذ القتال بـ «يوم الربيع».

رَجَام: على وزن خَرَام اسم جبل مستطيل على بعد ثلاثة عشر ميلا من مرعى ضرية فى جهة ديار أضاح.

رجيع: وهو واد قريب من خيبر، وقد نزل النبى ﷺ فى هذا الوادى فى موقعة خيبر وكان غرضه منع قبائل غطفان من تقديم العون والمدد لأهل خيبر.

وبين مكة المعظمة وبلدة الطائف واد منسوب لبنى هذيل يطلق على هذا الوادى رجيع أيضا، إلا أن الرجيع ليس اسم الوادى المنسوب إلى بنى هذيل بل هو اسم ماء يقع فى هذا الوادى، وهذا الماء فى بلاد قبيلة هذيل، وعلى بعد سبعة أميال من هذا الموضع وادى عسفان وقد وقعت سرية سيدنا عاصم ـ رضى الله عنه ـ على رأس هذا الماء، حيث استشهد سيدنا عاصم ـ رضى الله عنه ـ، ومرثد بن أبى مرثد، والآخرون من الصحابة غدرا وقد قبض على خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة أحياء وقتلا صلبا فى مكة المعظمة.

سرية عاصم بن ثابت ـ رضى الله عنه[1]:

قد نال بعض الناس من قبيلتى عَضَل وقاره شرف المثول بين يدى الرسول ﷺ ورجوا منه أن يرسل لهم بعضًا من أصحابه الكرام ليعلموهم أحكام الشريعة، فأرسل إليهم النبى ﷺ عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد وخبيب بن عدى

(١) انظر: تاريخ الطبرى ٢/ ٥٣٨، سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٧-١٦٨.

وزيد بن الدِّثنة من الأشخاص الكرام، وكانوا كلهم من قراء القرآن، وعندما وصل المشار إليهم إلى ساحة ماء الرجيع هجم عليهم أفراد بنى هذيل على غفلة فقتلوا أغلبهم بسيف الغدر والخيانة، وقبضوا على خبيب بن عدى وزيد بن الدِّثنة أحياء وساقوهما إلى مكة فقتلا صلبًا فى جبل تنعيم. ولما حدثت هذه الواقعة الأليمة جهارًا فالذين يريدون أن يطلعوا على صورة وقوعها عليهم أن يطالعوا صفحة مائتين وعشرين من كتاب محمود السير[(١)].

ركابة: على وزن جفادة اسم موضع فى ديار بنى بياضة.

رجية: على وزن نرده اسم موضع قريب من وادى القرى وسقيا الجزل الواقعين فى بلاد عذرة.

رحقان: على وزن عسان اسم واد يمتد إلى ناحية بنى سال عندما يمضى الطريق من وادى نارية إلى مضيق مستعجلة ويقع على الجهة اليمنى من هذا الطريق.

رُحيب: على وزن زُبير اسم جبل معروف بالقرب من أراين.

رُحْية: على وزن رُؤْية اسم بئر بين المدينة والجحفة.

رديهة: على وزن نليجة اسم نهر بوادى العقيق.

رس: اسم ماء فى الجهة القبلية من دار الهجرة واسم واديين فى أراضى نجد أو اسم موضعين، واسم ماء بجانب وادى آذر بابجان وفى الوادى الذى فى ناحية آذر بابجان كان فى وقت ما ينتج الرمان والزبيب بدرجة لا مثيل لهما وهى قرى منتظمة.

ولما عصى وبغى أهالى تلك القرى وكذبوا نبيهم أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ جبلين من جبال الطائف أن يقوما بتأديب هؤلاء القوم المذمومين وقد انهار الجبلان المذكوران فوق سكان تلك القرى فهلكوا جميعا ولم يبق لهم أثر.

(١) وانظر أيضًا الطبرى ٢/٥٣٨-٥٣٩.

وكان لقوم ثمود بئر باسم رس ألقوا نبيهم فى هذه البئر وسدوا فوهتها بالحجر.

رشاد: كان واديا في بلاد أجرد كان اسمه القديم عون فبدله الرسول ﷺ برشاد ولما وصل إلى قبيلة جهينة جامل أفراد بطن بنى عنان قائلاً أنتم بنو رشدان.

ذات الرضم: موضع على بعد ستة أميال من وادى القرى.

رضمة: وادى بالقرب من وادى صفراء.

رضوى: جبل مشهور مبارك فى مكان يبعد عن المدينة أربعة أيام وعن ينبع البحر يوما واحدا ويستخرج من فوقه منجم لحجر المسن، قد أخبر النبى ﷺ أنه من جبال الجنة.

رعل: اسم برج فى قرية بنى عبد الأشهل.

رقمتان: اسم ساحتى رمل بجانب الحرة الغربية للمدينة المنوره، ولونها أصفر مائل إلى الحمرة، موضعان مشهوران فى ديار بنى أسد كما أن هنا قريتين بهذا الاسم إحداهما فى وادى القرى والأخرى فى الأراضى النجدية.

رقم: تقال للمنزل الذى يسكن فيه أربد بن الصيفى فى الجهة الشرقية من المدينة. واربد هذا جاء إلى المدينة بقصد قتل رسول الله ﷺ وسكن فى ذلك البيت فترة ما ثم يئس من قتله ـ عليه السلام ـ فعاد وفى أثناء عودته أصابته الصاعقة ومضى إلى جهنم وكان قد أطلق على هذ المكان الذى هلك فيه هذا الرجل سهام الرقميات، ومازال معروفًا بهذا الاسم إلى الآن. كما أن فى بلاد بنى غطفان جبل باسم رقم بجانب هذا الجبل مجرى ماء يعرف بنفس الاسم.

رقية: اسم جبل طويل فى خيبر.

ركابيه: اسم موضع على بعد عشرة أميال من المدينة من عرج وهى عقبة فى غاية الصعوبة عند الطلوع عليها.

وبجانب هذه العقبة عقبة عائر قد مر النبى ﷺ عندما هاجر من هذه العقبة

ومن الغرابة بمكان أن ابن حجر عندما عرف نار الحجاز قال إن عقبة ركوبه فى الطرف الشامى من المدينة وقد مر النبى ﷺ بهذه العقبة فى وقعة تبوك وأنها عقبة صعبة الصعود ووصف وعرف عقبة ركوبه طولا وعرضا وحددها، وإذا كانت رواية ابن حجر صحيحة فمن المحتمل أن يكون فى ذلك المكان عقبة أخرى باسم ركوبة.

تطلق العقبة على الجبال الوعرة صعبة التسلق لما يقال على الجبال والهضاب ذات طلوع ونزول كما أن ثنية بمعنى عقبة.

رمة: صحراء يمتد طولها سبع ليال فى أراضى نجد فى جهة منها حرة فدك والجهة الأخرى أرض قصيم.

وإن كان هناك موقع يطلق عليه. **بطن الرم** إلا أن هذا المكان فى طريق المدينة المنورة التى تنتهى إلى فيد وفى داخل بلاد بنى غطفان.

روادة: اسم بحيرة كبيرة تمر منها سيول العقيق.

روايتان: اسم هذه البحيرة أيضا.

الروحاء: موضع يبعد عن المدينة المنورة اثنين وأربعين ميلا، وذهب بعض المؤرخين إلى أنها على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة والبعض الآخر على أنها ثلاثين ميلا من المدينة المنورة وهذا الاختلاف يعود إلى أن المؤرخين قاس بعضهم من أولها والآخرون من وسطها والبعض الآخر من نهايتها ولما كانت الروحاء واديا بيرا ففى أولها لافتتان كما أن فى آخرها أيضا لافتتان فالذين قالوا أنها تبعد ثلاثين ميلا قاسوا المسافة من مدخل الوادى والذين قالوا أنها تبعد ستة وثلاثين ميلا قاسوا المسافة من وسط الوادى والذين قالوا أن المسافة اثنين وأربعين ميلا قاسوا من مخرج الوادى، وبناء على هذا التقدير فطول الوادى يمتد على طول اثنى عشر ميلا.

ووجه تسمية الوادى بهذا الاسم أنه واد فى غاية الاتساع أو أن الملك «تبع» قد استراح فى هذا الوادى ويوصى أكثر الرواة بأن القول الثانى أحق بالاعتماد عليه أى أن وجه تسميته استراحة الملك تبع قليلا فى وادى الروحاء بعد أن قاتل

يهود المدينة وهذا يؤيد القول الثانى ولا ينفى أيضا إمكان صحة القول الأول. كان فى وادى الروحاء قصران ومسجد، والعديد من الآبار. والمحل الذى دفن فيه إبراهيم بن الرسول ـ عليه السلام ـ فى بقيع الغرقد روحاء أيضا.

روضة الأحوال: اسم حديقة فى ناحية ودان.

روضة الأجواد: قرية كائنة فى ديار بنى غطفان وفى إحدى وديان قصيبة وفى الطرف القبلى من هذه القرية خيبر وفى طرفها الشرقى أراضى عصيرة.

روضة أحام: فى وادى العقيق.

وروضة الخزرج: موضع فى داخل المدينة وروضة الخزرج تنسب لبنى خزرج.

روضة الحماط: المحل الذى يطلق عليه ذات الحماط فى العقيق.

روضة الصهباء: اسم حديقة تقع على بعد ثلاثة أيام من المدينة فى ناحية الشام.

روضة عربتة: واد فى ناحية رخصية، وكان هذا الوادى قد اتخذ مرعى لرعى الخيول فى الجاهلية وأوائل العهد الإسلامى.

روضة العقيق: فى وادى العقيق.

وروضة مرخ: اسم حديقة فى داخل المدينة.

ذو رولان: اسم واد ينسب لقبيلة بنى سليم بالقرب من رخصية.

رويثة: اسم منزل على بعد ستة أميال فى جهة مكة المكرمة «رهاط» اسم دار الصنم المسمى بسواع الذى اتخذه بنى هذيل إليها وهى فى داخل أراضى البحر، كما أنه اسم قرية بجانب جبل شمنصبر. والذين يريدون أن يتعرفوا على ذلك الصنم أكثر من هذا يستطيعون أن يطالعوا صحائف مرآة مكة.

ريان: اسم برجين منسوبين لقبلتى بنى حارثة وبنى زريق واسم ماء كائن أسفل الجبل الأحمر الطويل الذى فى مرعى ضرية واسم واد بجانب الجبل المذكور واسم جبل فى ديار بنى عامر واسم قصور متعددة فى منجم بنى سليم.

ريدان: على وزن ميدان كان اسم برج خاص ببنى واقف من القبائل الأوسية وفى الجهة القبلية من مسجد الفضيح.

ريم: اسم الوادى الذى فى بلاد مزينة والذى يصل جبل ورقان بوادى العقيق ويبدأ هذا الوادى على ثلاثة أميال من المدينة المنورة وينتهى على بعد ثمانية وأربعين ميلا.

حرف الزاى

زبالة: اسم موضع مشهور بجانب التل الترابى الذى فى بلاد حمراء الأسد وفى مبدأ حدود أرض يثرب من جهة الشام، وفى عصر الجاهلية غمر هذا الموضع الماء فهلك معظم ساكنيه، وعلى قول أن زبالة بنت مسعود من بقية العمالقة نزلت فى هذا الموضع وأقامت قرية هناك وهذا هو وجه تسمية ذلك الموضع باسم زبالة.

زج: اسم موضع فى مرعى ضرية وقد أقطع النبى ﷺ هذا الموضع لعداء بن خالد من قبيلة ربيعة بن عامر.

زرود: اسم موضع بالقرب من أبرق العذاف أو اسم موضع قريب من منزل ثعلبية فى طريق فيد الذى يعد من منازل حجاج العراق، وعندما أرسل سيدنا عمر الفاروق سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ إلى العراق مضى سعد أولا إلى «فيد» حيث أقام مدة شهر ثم عاد إلى منزل «زرود» سالف الذكر.

زغابة: موقع سيول وادى العقيق أى فى الموقع الذى تتجمع فيه مياه وادى العقيق الذى فى الجهة الغربية من مقبرة سيدنا حمزة ـ رضى الله عنه ـ وفى أعلى المكان الذى يطلق عليه «إضم»، وأسفل المكان الذى يطلق عليه «شظات»، لأن الوادى الذى يضم المدينة المنورة المقدسة يطلق عليه «إضم» وكان هذا الوادى يجمع بين مواضع متعددة وكان يطلق على المكان الذى فيه مدينة الرسول ﷺ «قناة» وعلى أعلى هذا الموقع أى على المكان الذى بجانب سد القناة «شظاة» وعلى المكان الأسفل «إضم».

زمزم: بئر فى داخل المدينة كما وضح فى فصل الآبار وسبب تسميتها بهذا الاسم هو توزيع مياهها إلى أطراف المدينة للتبرك.

زهرة: اسم قرية بين الحرة الشرقية وموقع سافلة.

زور: اسم واد أو جبل بجانب السوارقية.

زوراء: اسم موضع بجانب ضريح حضرة مالك بن سنان وفي مكان السوق القديم كما جاء في مبحث الأسواق وكان في هذا المكان داراً لعثمان بن عفان تسمي زوراء وكانوا يعلنون حلول وقت صلاة الجمعة من هذا المكان في عهد خلافته، كما يطلق على الموضع الذى يوجد فيه مرقد ابن رسول الله إبراهيم عليه السلام.

زين: اسم مزرعة في موقع جرف.

حرف السين

سائر: اسم ناحية في المدينة المنورة تعرف أيضًا باسم سائرة.

سافلة: الجهة المقابلة للموضع الذى يطلق عليه العالية في المدينة المنورة؛ وذلك لإطلاق على جهة من جهات المدينة العالية وعلى الجهة الأخرى السافلة وتبدأ العالية من المسجد الشريف وتنتهى في وادى سخ وهذ المكان يمتد قدر ميل في ناحية قباء ونقطة الاتصال هذه ابتداء السافلة وعلى هذا يقتضى أن تكون جهة المدينة المنورة الشامية العالية وإن كان بعض الناس يطلقون على جهة من المدينة المقدسة العالية وعلى الجهة الأخرى السافلة فهم مخطئون في قولهم هذا.

ساهية: اسم واد من وديان العقيق.

ساية: اسم الوادى في سفوح جبل شمنصير، وهذا الوادى صحراء جسيم يشتمل على آبار كثيرة وحدائق نخيل. كما أن الرمان والعنب والموز من جملة فواكه هذه الحدائق.

ستار: اسم جبل خلف مرعى ضرية واسم جبل في ديار بنى سليم كما أنه اسم جبال ذات حجارة سوداء على بعد ثلاث مراحل من ينبع البحر.

سجاسج: الاسم الآخر لوادى الروحاء ولما كان هواؤه معتدلا أطلق عليه سجاسيج. لأن سجسج يطلق على الجو المعتدل الخالى من الحرارة.

السد: اسم السد الذى أقامه عبد الله بن عمرو بن عثمان ليقطع سيل رانوناء.

سراة: اسم الجبل العظيم الذى يفصل بين نجد وتهامة. وذلك الجبل من أعاظم الجبال ويبدأ من قعر اليمن ويمتد إلى أطراف الشام. ولما كانت بلاد الحجاز على الجهة الشرقية من هذا الجبل يطلق العرب عليها الحجاز.

«ذو السرج» اسم نهير قريب من وادى ملل.

سر: اسم موقع خاص بأفراد قبيلة بنى أسد واسم منزل فى بلاد تميم. وكانت سرارة اسم حديقة فى قرية بنى بياضة ويطلق عليها فى زماننا سرارة إلا أن هذه الحديقة ليست حديقة بنى بياضة ولكنها حديقة أخرى.

سَرِغ: اسم قرية فى وادى تبوك على ثلاث مراحل من المدينة وهذه القرية أبعد منزل لمدينة النبى ﷺ ومبدأ حدود بلاد الحجاز المقدسة وعلى بعد مرحلة من تبوك.

سُرير: على وزن زُبير اسم نُهير بجانب قرية جار واسم الصحراء التى توجد فيها. نطاة وشق من القلاع الخيرية.

سَعْد: اسم سوق تقام فى طريق «فيد»، وأسماء الجبال التى على بعد ثلاثة أميال من وادى كرير، وفى القرب من قرية ذات الرقاع، وعلى جبل سعد منازل كثيرة.

سَقا: على وزن صَفا ناحية من نواحى المدينة.

سَقان: اسم مجرى النهر الذى يوصل سيل إضم إلى البحر.

سَفَوان: اسم ناحية من نواحى بدر حيث وقعت غزوة بدر الأولى.

سقاية سليمان بن عبد الملك: فى محل يسمى جرف حيث ينفصل حجاج الشام إلى طريق الشام.

سقيا: على وزن رؤيا الاسم القديم لوادى جزل الذى يبعد عن مدينة الرسول ﷺ سبع مراحل وبالقرب من وادى القرى واسم «سقياء» سعد فى الحرة الغربية واسم بئر على بعد يومين من المدينة المنورة بناء على قول الإمام قتيبة.

وبناء على رواية أخرى أنها اسم قرية على طريق مكة القديم وبما أن أهالى هذه القرية قد اعتادوا سقى الحجاج بالماء العذب فقد سمُيت بهذا الاسم.

وعند البعض أن تبع الحميرى نزل فى هذه القرية وعطش ولم يجد فى جوارها ماء صالحًا للشرب وإذا بمطر يمطر فجأة وينال مرامه لذا أطلق على ذلك المحل سقيا.

سقيفة بنى ساعدة: يطلق على بنيان الديوان الذى اجتُمِعَ فيه للتشاور فى مبايعة أبى بكر الصديق خليفة. ويطلق «سقيفة» على كل صفة بنيت على أربعة أعمدة مكشوفة الجوانب وكانت صفات منازل البلاد الرومية من هذا القبيل. وقد قال الإمام السمهودى إن سقيفة بنى ساعدة كانت فى الطرف الغربى لبئر بضاعة إلا أنه لا يوجد أحد فى زماننا يعرف ساحة تلك السقيفة.

سكاب: اسم جبل من جبال المدينة القبلية.

سَلاح: على وزن فَلاح أسفل خيبر لما كان بشير بن سعد الأنصارى ذاهبًا إلى اليمن تلاقى فى هذا المكان مع الغطفانيين(1)، كما أنه اسم ماء مر فى ديار بنى كلاب وكل من كان يشرب من هذا الماء كان يتقيأ.

سلاسل: اسم ماء فى مكان يطلق عليه أرض الجذام وهى التى تقع خلف وادى القرى ويبعد عن المدينة بمسيرة عشرة أيام.

سُلالم: حصن فى خيبر.

ذو السلاسل: اسم نهر بين المدينة ووادى فروع.

سَلْع: اسم جبل فى مواجهة مسجد الفتح وكهف بنى جذام فوق هذا الجبل.

سُلَيع، على وزن زبير: اسم جبل مقابل جبل السلع، وقد بنى حجاز بن شيخه فوق ذلك الجبل حصنًا رصينًا فى سنة ٦٧٠ حيث سكن. وانتقلت هذه القلعة مع مرور الأيام إلى أمراء المدينة لذلك عُنيت بها أعظم عناية وحُرست فى الليالى من قبل الجنود إلا أنها تركت فيما بعد لسبب غير معروف، يروون أن المنازل التى كانت تخص جماعة أسلم بن قصى كانت فى هذ الجبل.

(١) الخبر فى الطبرى ٣/ ٢٣.

وقد بنى فى زماننا على سفوح الجبل التى تمتد ناحية المدينة المقدسة بعض البيوت من اللبن ونصب كثير من الخيام حيث أسكن الغرباء الذين انفصلوا عن قبائلهم البدوية، كما أسكن فى البيوت بعض الجماعات. ويتعايش سكان الخيم على رعى الإبل والأبقار والثيران وبيعها وبحراسة البساتين، كما أن أعيان البلد وأغنياءها يمدون إليهم يد العون.

استطراد:

هناك ثلاثة جبال بعضها منفصل عن البعض على الطريق الذى يمتد إلى ناحية جرف من الجبال المذكورة ويطلق على أحد منها جبل «حصانية» وهذا الجبل أقرب الجبال إلى المساجد الأربعة. ويطلق على الآخر جبل «فته» وهو الجبل الذى يقع فى الجهة الشامية من حصانة والجبل الذى يقع على الجهة الغربية من جبل فته يقال له جبل «أم منيع» وهذه الجبال الثلاثة فى الجهة الشامية من البلدة الطاهرة وفى داخل المنطقة التى حرمها النبى ﷺ.

والجبال التى يسميها الأهالى «الجماعات» ثلاثة فى الطرف الغربى للحرة الغربية حيث مجرى العقيق الذى يطلق عليه جرف والجبل الذى بجانب الحرة الغربية يقال له «عصيفرين» ويقال للجبل الذى فى الطرف القبلى لـ «مدرح» أى فى وسط الحرة الغربية «الضليع الأحمر».

ضليع البرى: إنه فى جهة العيون وفى الطرف الشامى للبركة وجبال منخفضة خلف المواقع التى تسمى هريسة وعين صدقة وعين ريان وأم هجول التى خلف الجبل الذى لا اسم له. والأهالى لا يعرفون أسماء هذه الجبال والجبل الذى ذكر اسمه فى الحديث الشريف وهو «جبل عير» هو الجبل الذى يمتد إلى آبار على. ولونه أسود. وهناك جبل طويل مظلم فى الطريق الذى يأتى من جهة «غائر» وفرع فلا يعد هذا الجبل من جبل عير، وهناك جبل «ثور» أيضًا وهو جبل صغير أحمر وفى نهاية مجرى ماء صادقية من الجهة الشامية، والأراضى التى خلف هذه الجبال ظلت خارج المنطقة التى حرمت. والحرة التى فى الجهة الشرقية وإن

كانت خارج حدود الحرم فنصف هذا الجبل ملتصق بالحدود الشريفة فنصفه الخارجى قد احترق عندما اشتعلت نار الحجاز المنذرة، فى الناحية الشمالية للمدينة أراض تعرف بـ عورة وهذه الأراضى تنقسم قسمين فالجهة التى تؤدى إلى ضريح حمزة - رضى الله عنه - فأكثر ترابها أبيض، حتى إن البنائين والنقاشين يحرقون الكلس فى هذا المكان. وبعض أماكنها موحلة، ولما كان كل جهاته مزروعة ولما كان المهاجرون والمجاورون يتكاثرون فى هذه الفترة فقد أخذوا فى إعمار هذه الأماكن ببناء منازل عشوائية. والجهات القبلية لهذه الأراضى تنسب إلى جماعة من قبائل مسروح والذين يقيمون فى طريق غاير وفرع، والأراضى التى بين المدينة وقباء من ممتلكات قبلية، فهذه وقرية قربان التى بين قباء وعوالى أراضيها خاصة بجماعة من قبائل «وهوب» و «غردة» وقرية «عوالى» التى تقع فى الجهة الشرقية من القربان خاصة بقبيلة بنى على وأفرادها.

والأراضى التى تقع على الجهة الشرقية من طريق مشهد حمزة هى أراضى صدقة، عين حازمية، تعرع، سرائية، عين حسين، شربوقة وهى تتكون من الأراضى التى تمتد إلى سفوح جبل أحد. وهذه الأراضى تابعة لبنى على سالفى الذكر.

والمواقع التى على غرب طريق مشهد حمزة إلى جبل فته ديار قبيلة أشراف بنى حسين وأراضى أشراف بنى حسين إلى مجرى عين الزرقاء الجهة الشامية منها ديار قبيلة حنانية، والجهة القبلية من هذا الموقع ديار قبيلة خوارزم وأراضى العيون التى تقع فى جهة الشام ومزارع الجرف التى تقع على الجهة الغربية لهذه الأراضى، وجهات أبى بريقه، ذى الحليفة، وسيطة، علاوة أيضًا على جبل الحمراء بلاد أفراد بنى عمر من المسروحين، فهذه الأماكن تسمى بأسماء تلك القبائل المذكورة. وإن كانت فى هذه المواقع أموال القبائل الأخرى أيضًا إلا أن أسماءهم لا تذكر، لأن أراضى جزيرة العرب قد قسمت قديمًا وقد قرر أن تذكر قطعة الأرض والتى كانت من نصيب أية قبيلة باسم وكنية تلك القبيلة واتخذ

ذلك قانونًا، وبناء عليه وإن انتقلت بعض أجزاء تلك الأراضى إلى الآخرين عن طريق الشراء أو الإرث، تذكر تلك الأراضى بأسمائها القديمة حسب القانون.

سليل، اسم صحراء العقيق.

سُليلة: اسم موضع فى وادى.

سليم: على وزن زبير: اسم النهر الذى يسمى ذات السليم فى صحراء العقيق.

سمران: على وزن عثمان اسم الجبل الذى فى خيبر حيث صلى على قمته النبى ﷺ.

ذو سمر: اسم ماء فى وادى العقيق.

سميحة: اسم بئر قديمة فى المدينة المنورة.

سُنحْ: يقال لأطم زيد بن الحارث الذى يقع على بعد ميل من المسجد النبوى فى جهة العالية، وبما أن النقطة التى يوجد فيها هذا الأطم نهاية حدود جهة العالية للمدينة فسموا تلك الناحية بسخ. كانت زوجة حضرة أبى بكر الصديق الأنصارية من ساكنات ناحية سنح.

إن أطم كما ذكر أعلاه هى الأبراج التى كان يقيمها سراة عرب الجاهلية فوق سطوح منازلهم، إلا أن الأطم الذى يطلق عليه «سنح» لم يكن من قبيل تلك الآطام بل كانت أبنية متينة تشبه الحصون وتبنى خارج القرى للتحصن بها وقت الحاجة.

وتوجد مثل هذه المبانى فى بلاد الروم ويطلق عليها أهاليها كلمة «برج» و«خاى».

وعندما يقتضى الأمر فإنهم يتحصنون فى داخلها بأولادهم وعيالهم ويقاومون الأعداء.

وليس هذا فى العصر الذى نتباهى بإدراكه فى عصر السلطان الذى يستقر فيه السلام والأمن بل كان فى أيام أمراء الإقطاع.

وكان فى تلك الأوقات لكل مدينة أمير وكان الأمراء يغيرون على بعضهم ويتقاتلون من حين لآخر.

وتوجد أبراج وما يشبه القلاع فى أكثر الممالك إلا أنها بنيت بقصد حماية الأموال والعيال ضد قطاع الطرق واللصوص كما يروى أن بعض أغنياء البلاد المختلفة يبنون فى الأماكن ذات الهواء الجيد منازل يصطافون فيها عندما يشتد الحر.

سّن: على وزن جن اسم جبل فى محاذاة جبلين يطلق عليهما «ميطان» و«شوران».

سواج: على وزن قماش جبل من جبال مراعى ضرية يشتهر بأنه مساكن الجن.

سوارق: اسم ماء فى غاية العذوبة بالقرب من سوارقية.

سوارقية: اسم قرية تشتهر بوفرة فواكهها وكثرة رياضها ولم يكن فرد من بنى سليم فى هذه القرية غير مالك لشىء.

سوق بنى قينقاع: اسم مكان سوق تقام عند جسر بطحان، وكان عرب الجاهلية يقيمون سوقا فى هذا المكان عدة مرات فى سنة واحدة وكان جماعات القبائل العربية يحتشدون فيها فوجا متباهين وينشدون الأشعار، اجتمع سيدنا حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ مع نابغة بنى ذبيان فى هذه السوق.

ونابغة: اسم امرأة من بنى ذبيان تنتسب إلى نساء قينقاع وتشتهر بالبلاغة والفصاحة، وإن كان يقال نابغة لكل شاعر فصيح إلا أن نوابغ الأسلاف ثمانية من الشعراء لا مثيل لهم وأسماؤهم:

١ ـ زياد بن معاوية الذبيانى

٢ ـ قيس بن عبد الله الجعدى.

٣ ـ عبد الله بن مخارق الشيبانى.

٤ ـ يزيد بن إبان الحارثى.

٥ ـ نابغة بن القنوى

٦ ـ حارث بن بكر اليربوعى.

٧ ـ حارث بن عدوان التغلبى

٨ ـ نابغة العدوانى.

سويداء: اسم موضع فى جهة ذى خشب على بعد ليلتين من المدينة.

سويد: برج فى الطرف الشامى لحديقة حماضة فى قرية بنى بياضية.

سويقة: اسم موضع على بعد ثلاثين ميلاً من مرعى ضرية له بئر ماؤها فى غاية من العذوبة واللطافة، وبين الحرمين ناحية تسمى سويقة ولما كانت هذه الناحية من جملة أوقاف سيدنا على ـ كرم الله وجهه وتقع على يمين من يتجهون من وادى السيالة. كان بعض الرجال من آل على يقيمون فى تلك الناحية. وكانت تلك الناحية فى غاية العمار فى أوائل عهودها وكانت مشهورة جدًا فى تلك النواحى إلا أنها قد خربت فى عهد المتوكل بالله العباسى وأخذ عمارها يقل يومًا بعد يوم، لأن محمد بن صالح الحسنى الذى رفع راية العصيان فى عهد المتوكل بالله العباسى جهز جنوده ورتب أمورهم فى هذه الناحية.

وبعدما انتصر المتوكل على محمد بن صالح قتل أكثر جنوده وأحرق مساكنهم ومعاقلهم وخربها كما أحرق حدائق نخيله فجعلها مأوى للبوم والغربان فلم تعمر بعد ذلك. وبين ينبع البحر والمدينة الميمونة جبل يطلق عليه «سويقة» ولما أقام إبراهيم بن عبد الله فى هذا الجبل فإنه يطلق على هذا الجبل فى عصرنا سويقة منازل بنى إبراهيم.

سى: اسم الناحية التى قاتل فيها الشجاع وهب مع قبيلة هوازن على بعد خمس ليال من المدينة المنورة.

سَيالة: اسم الوادى الذى يوجد فيه مسجد شرف الروحاء. ومنتهى هذا الوادى على بعد ثلاثين ميلا من المدينة المنورة يعرف باسم شرف.

سيح: الجهة الغربية لمساجد الفتح يظهر أنها ناحية سنح سالف الذكر.

سير: اسم الموضع الذى قسم فيه غنائم بدر وهو بجانب وادى صفراء ونازية على بعد نصف فرسخ من مضيق مستعجلة، ويطلق فى زماننا على المكان الذى يسمى فركات الخيف سيراً وبجانب هذا المكان حوض قديم.

حرف الشين

شابة: اسم جبل بين وادى ربذة ووادى سليلة.

شاش: كان شاش برج بنى عطية بن زيد فى ساحة مسجد قباء الرملية.

شبا: اسم واد فيه بئر خيف الشبا فى ديار أيثل.

شباع: اسم جبل مقابل لبئر ثابت.

شبَاك: اسم موضع كان بين المدينة المنورة وأبرق العذاف. واسم منزل فى وادى شفوان.

شبعان: اسم برج فى مكان يسمى بشمغ شبكة اسم مزرعة فى موضع إضم والتى تتبع ذى خشب.

شجرة: اسم الشجرة المشهورة فى مسجد ذى الحليفة، تقال أيضًا شجرة لمزرعة منسوبة لجماعة بنى قريظة.

شَذَخ: اسم واد والمنزل الذى يطلق عليه نخلة كان فى داخل هذا الوادى.

شراة: اسم جبل فى غاية العلو على شمال وادى عسفان.

شرج: اسم موضع شجرة العجوز فى خارج المدينة المنورة حيث قتل اليهودى كعب بن الأشرف، واسم مجرى ماء فى أراضى نجد، وكذلك اسم دار فى ديار فزارة وفى وادى فزارة بئر مشهورة أيضًا.

شرَة عِبَى: كان اسم برج أسفل وادى ذباب.

شَرف: مكان مرتفع بين واديى الروحاء والسيالة يقال لهذا المكان شرف الروحاء و شرف السيالة أيضًا.

شريق: اسم مجرى ماء من أنهار وادى العقيق.

شُطأن: اسم بئر واد من وديان المدينة.

شطون: اسم بئر فى وادى مثعر.

شظاة: اسم نهر قناة شعب واد ينتهى إلى صفراء حيث كثير من أشجار النخيل.

شعاب: «شعب أحد» قد شرَّف النبى ﷺ هذا الشعب يوم غزوة أحد.

شعب العجوز: المكان الذى قتل فيه اليهودى كعب بن أشرف فى خارج المدينة.

شعب المشاش: خلف جماء العاقل فى وادى العقيق.

شعب الشوكة: يقال له شعب على أيضًا وهى طرق عديدة والشعب يقال لمكان مكشوف بين الجبلين أو على رأى آخر يطلق على الطريق الجبلى الضيق صعب المرور.

شُعْبة: اسم بئر قريب من وادى يليل واسم مجرى ماء فى وادى أبلى.

شعث: على وزن كرز موضع بين منجم بنى سليم وقرية السوارقية.

شعر: على وزن جسر اسم جبل مقابل منجم مأوان.

شعبى: اسم قرية بين أراضى أيلة والمدينة، واسم منزل سقيا التى تقع فى نقطة اتصال الطرق التى تؤدى من مصر والشام.

شُفر: اسم ماء فى وادى ربذة واسم جبل لمنجم مأوان.

شُقرة: موضع يقع فى طرق فيد وبين الجبال التى يطلق عليها مجرا كان بعض

منهزمي غزوة أحد قد هربوا إلى هذه الأماكن التى تبعد عن المدينة مسافة يومين.

شَقّْ: اسم قلعة من قلاع الخيابر.

شلول: اسم ناحية فى المدينة.

شماح: كان اسم برج فى الجهة القبلية من بيوت بنى سالم.

شمنَصبُر: اسم جبل مشهور فى وادى ساية.

شناصير: ناحية من نواحي المدينة.

شنولة: اسم جبل على ميل من شرف الروحاء وفى مقابل الطريق الذى يقال له شعب على .

شواَجد: جبل فى قرية سوارقية قد حدثت مقاتلة عظيمة فى هذا الجبل فى جاهلية العرب وهى فى داخل وقائع العرب فى الجاهلية.

شوْران: جبل فى محاذاة جبل ميطان وتنسب حرة شوران لهذا الجبل وحرة شوران لما كانت مراعى أطرافها الأربعة خصبة فالإبل التى ترعى هنا تسمن وتكتسب ضخامة. . حتى إن النبى ﷺ رأى فى شوران جملاً سمينًا فسأل «أين رعيتم هذا الجمل؟» ولما قيل رعيناه فى حرة شوران، تفضل قائلاً: «بارك الله فى شوران».

شوط: اسم موضع بالقرب من منازل بنى ساعدة.

الشيخان: برجان فى جهة والج يطلق على أحدهما الشيخ وعلى الآخر الشيخة لما كان هذان البرجان فى الطريق الذى يؤدى إلى أحد عن طريق الحرة الشرقية ولما مضى النبى ﷺ إلى معركة أحد كان قد صلى فى الأرض المستوية بين البرجين، وكان شجعان وقعة أحد باتوا ليلة فى هذه الساحة المستوية.

صَاخَة: اسم أحد التلال الخمسة التى فى وادى العقيق لا ينبت العشب فوق هذه التلال.

صارى: اسم جبل فى الجهة القبلية للمدينة المنورة.

صُخَرة: اسم موضع فى الجهة الغربية للبقيع.

صَحْتُ: جبل فى أعلى السوارقية على قمة بئر كثيرة الحجارة.

صدار: اسم موضع فى وادى الروحاء يعرف بـ صَدارُة.

صرِار: كان برجا فى الطرف الشامى لدار الهجرة. كما يطلق على المحل الذى وزُعت فيه غنائم غزوة قرقرة الكدر وعلى بعد ثلاثة أميال من المدينة كما يسمى جبل من جبال المدينة القبلية وبئر قريبة من مدينة الرسول ﷺ التى بقيت من أيام الجاهلية صرار أيضًا. وهذه البئر فى الجهة الشرقية من المدينة المنورة قد شيع عمر بن الخطاب إلى هذه البئر المجاهدين الذين ساقهم إلى الكوفة.

صعبة: تطلق على المزارع المنسوبة إلى بنى سليم بالقرب من جبل أملى وفى هذا المكان آبار عديدة ذات مياه عذبة.

صفِاح: اسم موضع فى وادى الروحاء.

صفا: صف اسم موضع بين سد عبد الله العثمانى ومنزل عصية.

صفراء: وادى يضم كثيرًا من حدائق النخيل وفيه آبار كثيرة، وكان النبى ﷺ قد شرف هذ المكان عدة مرات.

صفر: جبل أحمر فى وادى «فرش ملل» وعليه مبنى لحسن بن زيد.

صفنة: كانت دارًا منسوبة لنبى عطية فى الساحة الرملية لمسجد قباء.

صفينة: على وزن دفينه دار بين منازل بنى سالم وبيوت قباء - وعلى رواية - كان بلدا فى ديار بنى سليم.

صلحه: على وزن نسخة اسم دار فى داخل قرية بنى سلمة.

صَلْصَل: على وزن أكمل، جبل معروف على بعد سبعة أميال من المدينة فى الجهة القبلية وهو قريب من ذى الحليفة والآية الخاصة بالتيمم نزلت فى هذا الجبل. كما يروى.

صلاصل: اسم مكان فى وادى بطحان.

صمد: اسم ماء قريب من المدينة واسم موضع فى قرية قباء.

صمان: على وزن دساس اسم الجبل الأحمر القريب من سبعة جبال رملية فى دهناء التى فى أراضى ديار تميم. وبالقرب من جبل رمل عالج من الجبال السبعة.

صوار: اسم موضع فى المدينة.

صورى: اسم مجرى ماء فى أودية النقيع يطلق عليه فى زماننا صعورية.

صَوَرَان: على وزن دَوَرَان الموضع الذى يشمل على حدائق النخيل فى نهاية مقبرة بقيع الغرقد. كان النبى ﷺ مر بهذا المكان عندما توجه إلى غزوة بنى قريظة.

ذو صويرة: واد قريب من مجرى ماء الصورى من وديان العقيق. كان أعلم الناس عبد الله بن عباس قد وقف مزرعته التى فى هذا المكان.

صياصى: أربعة عشر برجًا فى قرية قباء، مفردها، صيصة.

حرف الضاد

ضاحك: على وزن ناطق جبل فى وادى فرش ملل. وبين هذا الجبل.

ضويحك: مجرى ماء.

ضارج: اسم موضع بجانب ماء عذيب واسم منزل فى بلاد اليمن.

ضأس: اسم واد بين ينبع البحر والمدينة.

ضاف: اسم واد فى جهة بقيع جوانبه محاطة بالجبال.

ضباء: قرية من قرى المدينة ماؤها عذب كثيرة الآبار، وفيها أشجار يطلق عليها مقل.

ضبع: اسم ماء من أنهار العقيق.

ضبوعة: منزل قريب من موضع بليل وبين وادى مثيرب وحلائق.

ضجنان: اسم موضع على مسافة يومين من قديد من جهة مكة.

ضحَبان: اسم برج فى منزل عصية لأحيحة بن الجلاح.

ضرعاء: اسم موضع بجانب جبل شمنصير.

ضريه: قرية على بعد سبعة عشر ميلاً من المدينة فى جهة البصرة لها بئر تسمى ببئر ضرية.

ضرَىَ: اسم بئر فى مرعى ضرية بقيت من قوم عاد.

ضع دزع: كان برجًا بجانب بئر بنى خطمة.

ضفن: بئر بنى فيد وخيبر لقبيلة بنى فزارة وبجانبها الحديقتان المعروفتان باسمى كرانيف وحائط.

ضفر: مكان قريب من المدينة حيث دفن أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى.

حكاية:

كان أبو عبيدة هذا من أجواد العرب المطعمين. وقد ذكر إبراهيم بن هشام وهو فى طريقه إلى المدينة أن أبا عبيدة كان رجلاً كريمًا جوادًا، مر ببيته وقال له: «إننى لن أنتظر، إذا كان لديكم طعام جاهز فهذا يسرنى وإذا لم يكن عندك طعام أستمر فى طريقى حتى لا أتأخر» فقال له: «ليس عندى طعام يكفى لإطعام من معك من الناس، وإنى أستعد الآن لأنحر عدة بقرات حتى أعد لهم طعاما،

فأرجوكم أن تظلوا هذه الليلة عندى فى داركم». وعرض عليه أن يظل ضيفًا عنده تلك الليلة.

ولما كان عرض إبراهيم بن هشام اختبار مدى جود أبى عبيدة فقد قال «لا لا لابد من ذهابى».

فرد إبراهيم على هذا اقتضى إحضار الموجود من الطعام أحضر تسعين من كرشة الأبقار وكان بجانبها تسعون من رأس الأبقار المشوى. فتعجب إبراهيم من هذه الحالة وقال يظهر أن هذا الرجل يذبح كل يوم تسعين بقرة لإطعام الضيوف الواردين وهكذا أثنى عليه ومدحه.

ضفيرة: تضفير ضفر اسم واديين من وديان العقيق وتقال الضفرة على أكوام الرمل التى ينهار بعضها فوق البعض وينعقد وهناك فى وادى العقيق أكوام رمال متراكمة نتيجة للسيول التى تجرف الرمال وضفيرة اسم واحد من تلك الأكوام.

ضلع الشيطان: منزل احتشاد طائفة من مشركى الجن وضلع بنى مالك موقع احتشاد بطن من الجن المؤمنين بناء على ما يروى. ويحكى أيضًا أن هذين الضلعين اسما جبلين فى مرعى ضرية وبين هذين الجبلين وادى تسرير الذى يمتد اثنتى عشرة ساعة ويزعم العرب أن هاتين الطائفتين من الجن تقاتلا فى هذا الوادى. إن سكنة وادى تسرير يرعون دوابهم فى ضلع بنى مالك ويصطادون ولكنهم يتجرءون لا على الرعى ولا على الصيد فى ضلع الشيطان.

حرف الطاء

طَاشَا: على وزن باشا اسم واد من وديان جبل أشعر الذى ينتهى إلى وادى صفراء.

طخفة: جبل أحمر مستطيل فى مرعى ضرية، فى محاذاته لسقى الدواب آبار متعددة.

طَرفَ: على وزن شَرفَ اسم بئر تبعد عن المدينة المنورة خمسة وعشرين ميلا

فى جهة العراق وأسفل الحديقة التى يقال لها «نخيل»، وتبعد عن بطن النخلة عشرين ميلا. وعلى جوانب هذا الماء الأربعة هناك العديد من الآبار والكثير من البرك.

طُفَيل: يقال لجبل صغير بجانب بزوا.

طُوَبْلَعْ: اسم موضع فى المدينة من المنورة أو فى أراضى نجد.

حرف الظاء

ظاهرة: اسم الجهة التى يطلق عليها نقا بجانب الحرة الغربية.

ظبية: اسم موضع فى ديار جهينة كان النبى ﷺ أعطى الموضع المذكور حتى حدود ذى المروة لعوسجة الجهنى. كما أنه موقع بين ينبع وغيقة والذى يمتد إلى شاطئ البحر، واسم ماء فى أراضى الحجاز طبية أيضًا. كما أن ظبية اسم علم أو علامة تسمى «عرق الظبية» بين الحرمين كما أنها اسم نوع من الشجر التى تشبه شجرة «قتادة».

ظِهار: على وزن كِبار حصن من حصون خيبر.

حرف العين

عابد: على وزن ثابت وعَيُود على وزن وَدُود عُبيد على وزن زُبير أسماء ثلاث قطع من الجبال بين وادى «فرش ملل» و«مدفع مريين». وأكبر هذه الجبال عيود على بعد مرحلة من المدينة.

عاص: وعويص اسمان لواديين كبيرين بين الحرمين.

عاصم: اسم برج لبنى عبد الأشهل فى نهاية بيوت بنى النجار وفى موضع فقارة. واسم برج آخر بجانب البئر التى تسمى قباء فى قرية قباء واسم العقد الذى بناه عاصم بن عدى بن العجلان خليف قبائل مزينة عندما نزل إلى البقيع الذى فى وادى أوس والعقيق والذى يعرف باسم ذى عصم.

عاقل: اسم جبل فى مرعى ضرية.

عالية: موضعان أحدهما من البلاد الحجازية الواسعة والآخر من عوالى المدينة.

عالية الحجاز: أعلى البلاد الحجازية وأشرفها.

عالية المدينة: هى قرية قباء التى فى الجهة القبلية من مسجد السعادة و أعالى هذه القرية ومبدؤها على بعد ميل من مسجد السعادة، ومنتهاها ثلاثة أو أربعة أميال. ولكن هذا التعريف بالنسبة للجهات المعمورة من عالية المدينة منتهى العالية غير عامرة تبعد عن المدينة ستة أميال وعلى قول ثمانية أميال.

عاند: واد قبل الوصول إلى منزل السقيا فى الجهة الأخرى من ناحية فرع على بعد ميل، وادى العاند ووادى القاحة أسماء أخرى لهذا الوادى.

عاير: طريق جبلى يقع على الجهة اليمنى من عقبة ركوبة وهو صعب الارتقاء والصعود، وتعرف بثنية العاير.

ثنية - يقال للطريق الجبلى أو الطريق المتعرج الذى يصعد منه إلى الجبل ثنية كما أن عقبة تستعمل فى نفس هذا المعنى.

عبابيد: موضع بجانب بئر تعهن يذكر أيضًا باسمى عبابيت وعثبانية.

عباثر: جمع نبات عبيثرات اسم مجرى ماء من مجارى جبل أشعر ويقع بين جبل بواط ووادى نخل.

عترة: على وزن فطرة اسم جبل فى الجهة القبلية من المدينة.

عثاعث: عدة من جبال صغيرة سوداء فى مرعى ضرية وتشرف على وادى مهزور.

عُدْنه: على وزن جُمْلة قمة فى «فرش ملل» واسم موضع فى أراضى شربه.

عُزيبة: على وزن رُويدة كان برجا بين موضع صفاصف ووادى عصية الواقعان فى موضع عصية فى قرية قباء.

عزيبة: اسم ماء بين قرية جار وبلد ينبع البحر.

عُراقيب: اسم منجم فى مرعى ضرية واسم قرية.

عُربَى: على وزن حبلى الاسم الآخر لوادى نقم.

عَرَج: اسم قرية كبيرة على ثلاث مراحل من مدينة الرسول. ووجه تسميتها بهذا الاسم حسبما يرى تبع الحميرى أنه عندما وصل إلى هذه القرية وجد بعض الناس أو بعض المسافرين يعرجون فى أعلى هضبة.

ومن روايات تواريخ العرب القديمة أن جبال قرية عرج تمتد إلى جبل لبنان ومن سلسلة جبال لبنان تتصل بجبل لكام فى إنطاكية ومن هناك إلى جبل جزر وعلى هذا يمتد ما يقرب من خمسمائة فرسخ وعلى ظهرها أقوام يتكلمون اثنتين وسبعين لغة.

عرضه: اسم موقع قريب من وادى العقيق.

عرض: على وزن حرص الاسم الآخر لناحية جرف، وعند البعض إنه اسم المزارع التى فى أطراف مسجد القبلتين التى تقع فى الجهة القبلية من جرف. وعلى كل يطلق على الأماكن الصالحة للزراعة فى المدينة المنورة أو على القرى التى تقع فى مجارى المياه أعراض.

عرفات: قمة على الجهة القبلية من قباء كان النبى ﷺ يقف على هذه القمة فى أيام الوقفة ويشاهد موقف عرفات.

عريان: على وزن قربان كان اسم برج منسوب لآل نضرة.

عُريض: على وزن قُبيس اسم مجرى ماء قريب من وادى قناة فى الجهة الشامية من الحرة الشرقية.

عُرَيْفَتَان: اسم مجرى ماء فى وادى ابلى.

عُرينة: على وزن رُويدة اسم قرية فى طريق المدينة الذى ينتهى إلى الشام.

عراف: على وزن صراف اسم الساحة الرملية لبنى سعد فى القرب من موضع زرود، واسم الماء الذى يسمى «إبرق العزاف» فى ديار بنى أسد واسم جبل بالقرب من جبال الدهناء السبعة.

عروزى: على وزن حدودى اسم موضع بين الحرمين.

عسس: اسم جبل فى مرعى ضرية فتنسب صحراء عسس إلى ذلك الجبل.

عُفان: على وزن نعمان قرية جميلة بين الحرمين على بعد يومين من مكة فى جهة المدينة كان لها فى الأوائل آبار كثيرة وبرك عديدة وبئر عولاء الشهيرة. والآن قد تخربت كافة الآبار وجفت البرك ولم تبق إلا بئر عولاء

عسية: اسم موضع فى ناحية المنجم القبلى.

عُس: اسم مجرى ماء فى وادى عيق.

عشيرة: اسم منزل بين الحرمين، واسم مجرى ماء فى العقيق واسم موضع فى مكان يقال له صمان، واسم قلعة واقعة بين ينبع البحر وذى المروة يقال لها ذو العشيرة.

عصبة: على وزن تحفة اسم منزل فى الجهة الغربية من مسجد قباء. واسم موضع فى داخل قرية قباء.

عضبة: على وزن فضة اسم جبل فى طريق المدينة الذى ينتهى إلى خيبر، وعندما ذهب النبى ﷺ إلى خيبر مر من هذا الجبل.

عظم: على وزن عجم اسم مزرعة منبتة من مزارع خيبر.

عقرب: كان اسم برج خاص ببنى بياضة فى وادى الروحاء.

علاء: على وزن نواء اسم برج أو موضع فى المدينة المنورة واسم قصر فى ناحية وادى القرى.

عَمْق: على وزن دَنْك منزل من منازل الحجاج بين منجم بنى سليم وسليلة. واسم مجرى ماء ينتهى إلى أراضى فرع.

عميس: على وزن نفيس اسم واد فى ناحية فرش ملل.

عَناب: على وزن رَباب اسم الطريق الذى يوصل من المدينة إلى فيد أو اسم جبل فى هذا الطريق وعند البعض أن الجبل المذكور بين سقيا وذى المروة فى طريق الشام وبناء على هذه الرواية فالقول الأول مرجح. عنابس على وزن ملابس تطلق على المزارع التى فى الجهة القبلية من مسجد القبلتين.

عناية: اسم ماء وبركة فى ديار بنى كلاب اسم موضع بالقرب من سميراء عناقة اسم ماء قريب من مرعى ضرية أو هضبته.

إخطار:

تقال هضبة على الجبال المنخفضة والعريضة أو لمثل هذه الربا، وعلى رأى، أنها تقال للصخور الجامدة التى تتكون من قطعة واحدة أو على القمم الصعبة الصعود أو الجبال التى انفردت منفصلة عن الأخرى، وتوجد مثل هذه الجبال أو القمم بين الجبال ذات التراب الأحمر.

عَير: على وزن خَير اسم جبلين ثبت بالأحاديث الشريفة المروية أنهما من ترع جهنم.

عيص: على وزن تيز مجرى ماء على بعد أربع ليال من المدينة المنورة وفى جهة ذى المروة.

عينان: اسم جبل على الجهة القبلية لمرقد حضرة حمزة، رضى الله عنه، وكان النبالة فوقه فى غزوة أحد. وبناء على قول صاحب القاموس يقال لهذا الجبل عِينين بكسر العين ولما كان مسجد أحد على الركن الشرقى لهذا الجبل وكان بجانب المسجد قنطرة العين وبجانبها عين الشهداء سمى الجبل عينان.

عين إبراهيم بن هشام: اسم بئر فى فرش ملل.

عين أبى زياد: اسم بئر فى منتهى وادى غابة.

عين أبى نيرز: اسم البئر التى وقفها حضرة على بن أبى طالب فى ينبع وسميت باسم ابن النجاشى ملك الحبشة أبى نيرز الذى اشتراه على بن أبى طالب ثم أعتقه.

وقد رد بعض المؤرخين القول الذى يدعى أن سيدنا على بن أبى طالب اشترى «أبا نيرز» ثم عتقه، وقالوا: أن «أبا نيرز» قد أدرك النبى ﷺ ولما كان فى غاية الصغر فتربى فى حجر فاطمة مع الحسنين رضى الله عنهم. ولما كان على بن أبى طالب عينه مؤخراً لحراسة البئر سالفة الذكر فاشتهرت مضافة لاسمه.

عين البحـير؛ وعين بولا: البئران اللتان حفرهما على بن أبى طالب بنفسـه.

وهاتان البئران أيضًا فى ينبع البحر ومسجد ذى العشرة بجانب هاتين البئرين.

عين تحنس: اسم المنهل الذى اشتراه على بن الحسين - رضى الله عنهما - فى المدينة بسبعين ألف دينار.

عين الحديد: بئر فى وادى «أضم».

عيون: الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن أبى طالب، وهذه الآبار ثلاثة آبار إحداها فى المضيق والثانية فى ذى المروة والثالثة فى وادى سقيا.

عين الخيف: اسم الماء الذى يسقى المزارع التى فى مناطق مساجد الفتح ويطلق عليه فى عهدنا «شبشب».

عين الشهداء: يقال لها كاطمية أيضًا وهى بالقرب من عين جلش ومجرى سيول عالية ولقد كان الأمير ودان قد عمر مجراه وجدده.

عين الفوراء: فى وادى إضم.

عين القشيرى: بئر بين الحرمين وبين وادى سقيا وأبواء كانت حدائق نخيل عبد الله بن الحسين العلوى فى هذا المكان.

عين النبى ﷺ ذكرت فى فصل الآبار.

غابة: اسم واد فى الجهة الشامية من المدينة وكان هذا المكان فى الأوائل، ثم غمرته المياه فخربت أموال الأهالى وأملاكهم. لما مات الزبير بن العوام فبيعت أملاكه التى فى وادى غابة بمليون وستمائة ألف دينار، وإن لم يكن وادى غابة بعيدًا جدًا عن المدينة المنورة إلا أن منتهاه ليس بقريب أيضًا ومن المتواتر أن العباس ـ رضى الله عنه ـ كان يصعد فوق جبل سلع ويدعو خدمه وإنهم كانوا يجيبون وإن كانوا فى منتهى وادى غابة قائلين لبيك مع أن بينهما مسافة ثمانية أميال. إن كانت هذه الرواية صحيحة يلزم أن يكون الخدم فى مبدأ الوادى وليس فى منتهاه، لأن إسماع الصوت على بعد ثمانية أميال مستحيل. مع هذا ينقلون أن المشار إليه كان يسمع صوته لمسافة اثنى عشر ميلا، وفى الواقع كان عباس ـ رضى الله عنه ـ جهورى الصوت حيث أنه صاح بالمنهزمين فى غزوة حنين وأسمع صوته للصحابة الذين كانوا على مسافة بعيدة وكان سببًا فى التفافهم حول الرسول ﷺ.

ذات الغار: اسم بئر ذات ماء عذب لا ينضب وهى فى مكان على بعد ثلاثة فراسخ من سوارقية واسم غار فى طريق جبل أحد كذلك اسم غار فى شرف السيالة أيضًا.

غبيب: يقال لساحة مسجد الجمعة المقدس.

غدير الأشطاط: اسم غدير على بعد ثلاثة أميال من قرية عفان من جهة مكة المكرمة.

غراب: اسم جبل فى الجهة الشامية من المدينة يطلق عليه غراب الصّائلة

وغرابات: اسم مضيق فى طريق رخصية وفى محل يبعد عن المدينة المنورة يومًا واحدًا.

غرة: كان اسم برج مبنى مكان مئذنة مسجد قباء.

غَزة: اسم قرية بنى خطمة. ولما كانت كثيرة السكان، شُبه بغزة الشام وسميت بالاسم المذكور.

غزال: اسم مجرى ماء خاص ببنى خزاعة فى ناحية شمنصير.

غشية: اسم موضع فى الجهة القبلية من ناحية معدن.

ذو الغصن : اسم مجرى ماء فى وادى العقيق.

غضور: موضع بين الحرمين ينسب إلى بنى خزاعة.

ذو الغضوين: موقع مر به الرسول ﷺ حين هجرته.

غمرة: اسم ماء فى طريق نجد ينسب إلى بنى أسد.

غموض: اسم الحصن الذى بناه اليهودى المسمى بحقيق فى خيبر، وعند البعض أنه قلعة قموض.

غميم: موضع بين جحفة ورابغ.

ومن المحتمل أن يكون هذا المكان كراع الغميم وقد سمى باسم من يدعى بغميم. وإن قال ابن شهاب إن غميم بين وادى عسفان وضجنان إلا أنه بناء على قول القاضى عياض إنه واد على بعد ثمانية أميال من عسفان بل إنه اسم جبل أسود فى جهة كراع الحّرة ينتهى للوادى المذكور.

غور: اسم موضع فى ديار بنى سليم واسم السيول التى تجرى من الجهة القبلية إلى ينبع واسم سيل يجرى عن طريق تهامة من بين ذات عراق.

غيقة: اسم موضع على شاطئ البحر لقرية جار حيث يتصل بوادى ينبع واسم موضع فى خارج حرة النار التى تنسب لبنى ثعلبة بن سعد.

حرف الفاء

فارع: كان برجًا أمام باب الرحمة وكان النبى ﷺ يجلس تحت ظلها أحيانًا ثم انهار فيما بعد وأضيفت ساحته إلى دار جعفر البرمكى ـ كما أنها قرية فى أعلى ناحية من وادى ساية الذى يشتمل على أشجار النخيل والعيون.

فاضجة: اسم أشجار نخيل فى ناحية جفاف واسم واد يبدأ من قرية الشعبى وينتهى إلى مرعى ضرية.

فاضح: اسم جبل فى وادى ريم واسم مجرى ماء فى موضع شريف.

فج الروحاء: اسم موضع ينتهى إلى وادى سيالة.

فحلان: اسم موضع فى جبل أحد.

فحلتان: اسم قناتين عاليتين بجانب الصحراء التى تعرف بفيفاء الفحلتين.

فدك: اسم البلدة التى بات فيها فدك بن حام مع أولاده وعياله ثم أقام فيها واسم البلدة التى قاتل فيها على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ قبيلة بنى سعد بن بكر، ولها قلعة حصينة باسم «مسروح» بجانب قلاع جيد، وذهب بعض المؤرخين إلى أنها تبعد عن المدينة عشرة أيام فى ناحية خيبر، ويذهب الآخرون إلى أنها على بعد ستة أميال، إلا أن الرأى الأخير يبدو أرجح وأصح قولا. وكان الفدكيون يهودا أصلا. ولما أصبحت القلاع الخيبرية من أملاك الدولة الإسلامية طلبوا الأمان من رسول الله ﷺ بشرط تسليم بلادهم فوافقهم الرسول ﷺ وبهذا دخلت بلدة فدك ضمن الممتلكات النبوية.

صورة فتح بلدة فدك وتسخيرها:

عندما فتح النبى ﷺ قلاع خيبر دعا سكانها لاعتناق الدين الإسلامى وإذا رفضوا ذلك سيتعرض بلدهم لاجتياح سنابك خيل المسلمين وأرسل لهم محيصة بن مسعود وحارثة ليعلمهم بذلك.

وسافر محيصة إلى بلدة فدك وقام بأداء الرسلة النبوية ولكن حمقى فدك قالوا إن أبطال خيبر عشرة آلاف من الشجعان وتحت قيادة أبطال مثل عامر وياسر وحارث ومرحب وإنهم منتظرون قدوم فرسان المسلمين فى داخل الحصن ويجب عليكم أن تنقذوا أنفسكم من أيديهم قبل أن تهدونا وترهبونا. فاضطر للعودة أمام هذه الأقوال. ولكن بعض القلقين منهم قالوا له نرجوك أن تنتظر قليلاً

حتى نطلع على آراء كبرائنا بعد أن نستشيرهم وبناء على هذا قرر البقاء فى فدك عدة أيام، وشاع فى تلك الفترة وقوع حصن «ناعم» القوى فى يد الغزاة المسلمين فى الحرب فتعرضت قلوب أهل فدك القاسية لخفقات الخوف والخشية فندموا على الأقوال التى صدرت منهم أولاً وتشبثوا بذيول الرجاء وطلبوا الأمان فاختاروا من بينهم بعض اليهود من رؤسائهم الذين اسودت وجوههم مثل قلوبهم وابيض شعر رءوسهم بحيث لا تستطيع أن تفرقه من الكتان وأرسلوهم تحت رئاسة أحد أعيانهم يسمى نون بن يوشع إلى النبى ﷺ باسطين له ـ عليه السلام ـ بساط الذل والمسكنة فاستطاعوا أن يأخذوا عهداً بالأمان بشرط أن تكون نصف أملاكهم من نصيب بيت مال المسلمين.

واستمرت أملاك فدك إلى خلافة عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ على النظام الذى سبق بيانه، وبما أن المشار إليه اشترى النصف الثانى من فدك بخمسة آلاف درهم من بيت المال وبناء على هذا أصبحت فدك من البلاد الإسلامية.

فراء: جبل على الطرف الغربى من جبل عير من جبال وادى العقيق التى تحيط بثنية الشريد بين هذا الجبل وجبل عير.

فرش ملل: موضعان مشهوران على بعد اثنين وعشرين ميلا من المدينة المنورة يفصل بينهما وادى مثغر. وكان فيما مضى مشهورا بكثرة قراه ومنازله.

فرُع: بلد واسع جسيم على بعد أربع مراحل من المدينة دار العز وعلى يسار الموقع الذى يطلق عليه سقيا وفى داخل حدوده مسجد ينسب للنبى ﷺ.

وعندما مضى سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع السيدة هاجر إلى مكة المكرمة رأيا هذه البلدة أولاً.

وقد قال بعض اللغويين إن فرع تقرأ بفتح الفاء والراء وليس بضمها. إلا أن فرَع بفتح الفاء والراء أحد وديان جبل أشعر بالقرب من السويقة على مسافة مرحلة من المدينة المنورة، ويقال له فرع المسور بن إبراهيم الزهرى

فَرِيْقات: اسم مجرى ماء ينتهى إلى المحل المسمى هلوان فى وادى العقيق.

فضاء: اسم الصحراء التى ينصب فيها سيول نهر بطحان بالقرب من ماجشونية وفى ديار بنى خطمة حيث تلتقى مجارى مياه مهزور ومذينب مع سيول وادى بطحان.

فَقْوَه: قرية على سفح جبل آره.

فقارة: اسم موقع يقال له فقرة فقير.

فى مدينة الرسول موضعان معروفان باسم فقيران قد أقطعهما النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب، لأن النبى ﷺ أقطع لعلى بن أبى طالب لكونه صهره أربعة أماكن، وبناء على قول جعفر الصادق الاثنان من تلك الأماكن الأربعة الفقيران سالفا الذكر، أحدهما بئر قيس والآخر شجرة. وبناء على قول ابن شبة، الفقيران فى جهة العالية من المدينة المنورة حتى إن أحدهما أشجار النخيل التى تقال لها حديقة وكان هذا المكان قريبًا من قرية بنى قريظة.

فُلجان: تقال لأراضى سقيا فى الحرة الغربية.

فُلحَة: يقال لوادى على مجرى الماء الذى فى ذى رولان، ولبعض الحدائق التى جهة سوارقية. وقد حفرت المجارى الكثيرة بجانب الحدائق المذكورة لتجميع السيول التى تتكون من جراء الأمطار وبما أن هذا الموقع قد اشتهر بجودة الهواء فأغنياء دار السكينة يقضون فى هذا المحل مواسم فصل الربيع، والغدير الذى يطلق عليه الغدير المختبى فى ذلك المحل.

فُلَيجْ: اسم بئر فى وادى أضم بجانب نقطة التقاء مياه أنهار المدينة.

حرف القاف

قائم: مزرعة فى الجهة القبلية من قرية قباء.

قاحة: اسم واد بعيد على ثلاث مراحل من المدينة وعند البعض اسم واد من وديان عبابيد فى موضع سقيا على بعد ميل منه فى جهة المدينة المنورة، وعلى رواية اسم ماء فى موضع داره.

قاع: اسم ساحة مسجد بنى حرام الذى فى الجهة الغربية من مساجد الفتح واسم موضع فى طريق مكة. واسم مكان يسمى قاع النقيع فى ديار بنى سليم.

قُباء: بضم القاف اسم قرية مباركة مشهورة فى جهة عوالى للمدينة المنورة.

حدود قرية قباء ووجه تسميتها بقباء:

كانت قرية قباء فى أوائل العهد الإسلامى مدينة لا نظير لها متصلة بالمدينة المنورة فحدودها الشرقية والغربية موضعا بئر غرس وغضبة وحدودها القبلية مسجد قباء الشريف وحدودها الشمالية البئر المشئوم التى اشتهرت بقباب وكانت بلدة قباء مشهورة بهذا الاسم فى الأوائل وظلت فترة يطلق عليها هذا الاسم، وفى النهاية استهجن أهاليها لفظة قباء وحولوها قبا وظلت قبا إلى يومنا هذا معروفة بهذا الاسم.

وقل عدد سكانها على مر الزمان، فانهدمت منازلها وخربت ودرست وبقيت قرية صغيرة، ولكن أول مسجد أقيم فيها وهو مسجد قبا، لذا ستظل معززة مكرمة بين هيئات البلاد الإسلامية المعظمة.

والطريق الممتد من مسجد قبا بين أشجار النخيل التى تقع بين البلدتين وكانت منازل بنى عمرو بن عوف الذى يعد من أقارب النبى ﷺ كانت بالقرب من البئر المشئومة قباء التى تعد الحدود الشمالية للقرية المذكورة.

يروى المؤرخون أن المسافة بين مسجد السعادة ومسجد قبا ميلان أو ثلاثة أميال.

ولكن الإمام السمهودى من فضلاء مؤرخى المدينة المنورة قد قاس المسافة من عتبة باب عثمان بن عفان الذى يطل على بقيع الغرقد، إلى عتبة باب مسجد قبا فوجدوها سبعة آلاف ذراع ومائتى ذراع. أو أكثر قليلاً. وبناء على هذا يقتضى أن تكون المسافة أكثر من ميلين.

وفى ناحية كشيب من مرعى ضرية قرية تحمل اسم قبا أيضًا يروون أن لهذه القرية آبارًا كثيرة ومزارع وحدائق نخيل.

قباب: كان اسم برج بنى فى المدنية المنورة. واسمه الآخر قبابة قبلية من نواحى فرع حيث يمر منها الحجاج، وبناء على قول الزمخشرى أن بين ينبع البحر والمدينة المنورة جبل ويطلق على السيول التى تجرى ناحية ينبع غور وعلى المياه التى تجرى ناحية المدينة تطلق قبلية وأن سيول قبلية تجرى من مجارى الجبال التى بين شرف السيالة وجبال عرك التى يسمى جب فى بلاد جهينة.

قدس: اسم بعض سلاسل الجبال العظيمة المتصلة مع بعضها فى الجهة التى تصادف الطرف الغربى لوادى الضاق فى موضع نقيع. ويسكن أفراد قبيلة مزينة فى هذه الجبال حيث أنبتوا بساتين كثيرة ومزارع وأشجار مثمرة، وبناء على قول أسدى إن قدس اسم جبل يبدأ من وادى الأعرج ويمتد إلى الجهة اليسرى لماء عين قشيرى التى فى مشرف، وفى قطعة الحجاز جبلان باسم قدس يطلق على أحدهما قدس أسود وعلى الآخر قدس أبيض.

قدوم: اسم شق مجرى ماء يلتقى عند قبور الشهداء، واسم عقبة فى وادى سراة، واسم الموضع الذى ختن فيه حضرة إبراهيم فى وادى نعمان، واسم جبل فى ديار الدوس.

قدير: اسم قرية بين الحرمين تعرف بكثرة مياهها.

قَدَيْمَة: اسم جبل من جبال المدينة.

قراصنة: اسم الحديقة التى تنسب إلى جابر بن عبد الله.

قرائن: كانت تطلق على ثلاثة منازل لعبد الرحمن بن عوف، عندما وسع مسجد السعادة هدمت تلك المنازل وضمت ساحاتها إلى ساحة الحرم النبوى الشريف.

قراقر: اسم موضع ينسب إلى آل حسين بن على فى المدينة.

قران: واد بالقرب من المكان الذى يطلق عليه أبلى.

قورح: موضع على مسافة يوم أو يومين من المدينة فى جهة خيبر.

قرد: موضع على مسافة يوم أو يومين من المدينة فى جهة خيبر.

قرْده: اسم ماء فى أراضى نجد، وحدثت سرية زيد بن حارثة بجانب هذ الماء.

قرقرة الكدر: موضع على بعد ست أميال من خيبر وفيها قتل ابن رزام الذى قام ضد الإسلام.

قسْيان: اسم مجرى ماء من أنهار العقيق.

قصر إبراهيم بن هشام: كان قصرا فى وادى ناعمة بجانب قصر بنى حديلة ولم يعد له وجود الآن إلا أن ساحته تعرف بقصر إبراهيم بن هشام.

قصر خل: اسم القصر الذى بناه زيد بن نعمان من أجل حضرة معاوية فى طريق رومة، ولما كان على قارعة الطريق ولما كانت أطراف هذا الطريق تعرف بخل أطلق عليه قصر خل، وبناء على قول ابن شبة قد استخدم ذلك القصر للسجن فى فترة ما.

قصر ابن عراك: كان قصرا بجانب مقبرة عبد الأشهل التى فى طريق أحد.

قصور العقيق: التى ثبتت ميزتها بالأحاديث النبوية كانت فى صحراء وادى العقيق ولما كان وادى العقيق معروفا بجودة هوائه وموقعه اللطيف جذب قلوب أمراء المدينة واعتبروا، مبنى كل واحد منهم قصرا مزينا ولأجل ذلك أطلق على البيوت التى فى وادى العقيق قصور العقيق وكانت تمدح من قبل شعراء العصر.

قصر ابن ماء: أسفل بئر جهنم.

قصر مروان بن الحكم: بالقرب من صدقات النبى، وقصر نفيس فى حرة واقم وقصر بنى يوسف أسفل قصر مروان بن الحكم.

ذو القصة: كان موضعًا فى جهة نجد على بعد بريد من المدينة المنورة وعلى قول على بعد ١٥ ميلاً. وعند البعض أن ذو القصة اسم موقع على بعد أربعة

عشر ميلا من المدينة فى طريق ربذة، وقد تقاتل ابن سعد بن محمد بن مسلمة مع بنى ثعلبة وبنى عوال فى هذا الموقع.

قصيّة: مجرى ماء بين خيبر والمدينة المنورة.

ذو القطب: اسم مجرى ماء فى وديان العقيق.

قفْ: يطلق على الوادى الذى يجمع الأوقاف النبوية وهى قمم تشبه الجمال التى بركت وهى خالية من الأشجار وممتلئة أطرافها بالحجارة، والأراضى التى يطلق عليها فى زماننا خمسين هى الوادى الذى يشتمل على الصدقات النبوية وبما أنه فى غاية الخصوبة والإنبات يطلق عليه ثمانين أيضًا، يقول أبو داود: دعا اليهود النبى ﷺ بهذا الوادى فاستجاب النبى ﷺ ولبى دعوتهم فصلى فى بيت مدارس وكان بيت مدارس بجانب مشربة أم إبراهيم من الأوقاف النبوية حتى إن واحدًا من الأنصار صلى فى حديقة من وادى قف وقال: كان النبى ﷺ قد صلى فى هذا المكان، وقد اشترى عثمان بن عفان وادى قف بخمسين ألف دينار ووقفه وهذا هو سبب تسميته بخمسين.

قلادة: اسم الجبل الذى يطلق عليه قلادة العنق فى الجهة القبلية من المدينة المنورة.

قلهيار: حفرة حفرت على شكل صهريج بالقرب من المدينة المنورة، التى انسحب إليها حضرة سعد بن أبى وقاص منعزلاً عن الناس بعد وقعة قتل عثمان بن عفان المحزنة عازمًا على ألا يتحدث مع أحد ما لم يتصالح المسلمون قائلاً: «ما لم تتم المصالحة فلا أريد أن أسمع شيئًا» لذا ينسبون هذه الحفرة إلى سعد بن أبى وقاص.

قلَهَى: قرية منسوبة إلى بنى سليم فى وادى رولان.

قموص: جبل فى خيبر كان حصن يهود بنى حقيق الحصين فوق ذلك الجبل.

قناة: اسم واد مشهور.

قنيع: موضع فى مرعى ضرية.

قوافل: كانت برجا أمام منزل عصية.

قويَعْ: اسم ماء من أنهار العقيق.

قوران: اسم واد بالقرب من السوارقية.

حرف الكاف

كاظمة: اسم موضع فى المدينة، أو بين مكة والبصرة أو اسم ماء مر على بعد ثلاث مراحل من البصرة فى جهة مكة.

كبا: اسم موضع فى وادى بطحان.

كتانة: بئر بين وادیی صفراء وأثيل.

كُتَيْبَةَ: قلعة فى خيبر، بعد أن فتح النبى ﷺ حصنى شق ونطاة فتح كتيبة لأنه كان آمنا وأكثر استحكاما من الحصون الأخرى وتجمع مكان الحصون الأخرى فى هذه القلعة وقاموا مدة ما.

كدَر: اسم ناحية منسوبة لمنجم بنى سليم وخلف سد معاوية القريب من موقع رخصية وكانت قرقرة الكدر ملحقة بهذه الناحية.

كَديد: اسم واد بالقرب من موضع نخيل، وماء واقع فى أيمن الطريق الذى يبعد عن خليص بثمانية أميال.

كُرْ: جزيزة على بعد ستة أميال من منزل جحفة.

كفته: الاسم الآخر لمقبرة بقيع الغرقد.

كلاب: اسم ماء فى نواحى مرعى ضرية.

كلب: اسم برج فى المدينة، كما أنه اسم الجبل الذى يطلق عليه رأس الكلب.

كُلَيْته: قرية قريبة من ماء مر يطلق عليه مستورة يبعد عن موضع جحفة اثنى عشر ميلا.

كِملَى: الاسم الآخر للبئر التى وضع فيها السحر الذى صنع لسيدنا محمد.

كِنَس حُصين: برج قريب من مهراس فى قرية قبا.

كواكب: اسم جبل مشهور، وعلى قول آخر: اسم جبال بين المدينة وتبوك.

كومة أبى حمراء: كومة معناها التراب المتراكم فكومة أبى حمراء هى كوم التراب المتراكم الذى يطلق عليه كومة المدر والتى فى الجهة الشامية من المدينة.

كوير: جبل فى مرعى ضرية.

كويرة: جبل من جبال المدينة القبلية.

كَيْنَفَة: السهم الذى أعطاه النبى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف من أموال بنى النضير. اشترى عثمان بن عفان هذا السهم بأربعين ألف دينار ملكه لزوجات النبى ﷺ الطاهرات وفقراء المسلمين وأفراد بنى زهرة وقسمه بينهم.

حرف اللام

لأيا: على وزن صَيْفَا اسم ناحية من نواحى المدينة لأيتان تثنية لأية أسماء الحرات التى فى جهتى المدينة الشرقية والغربية والحرة بمعنى تل وقمة.

الحيا جَمَل: جبل على طريق فيد.

لظى: منزل من منازل جهينة فى جهة خيبر يعرف باسم ذات اللظى.

لعباء: موضع كثير الحجارة فى المدينة المنورة.

لفت: اسم عقبة فى طريق مكة أو اسم واد بجانب موضع هرشى.

لعلع: اسم جبل بالقرب من المدينة أو اسم ماء فى الصحراء.

لقف: اسم واد فيه آبار كثيرة عذبة فى ناحية السوارقية الكائنة خلف قوارق.

لِوَى: اسم برج فى ديار بنى بياضة، واسم واد فى قرية بنى سليم، واسم موضع على بعد أربعين ميلا من مرعى ضرية.

حرف الميم

مايه: مزرعة بنى أنيفة فى قبا، كان بينهما وبين موقع قائم برج.

ماجشونية: حديقة مشهورة فى وادى بطحان.

مِثَب: أحد الأوقاف النبوية.

مبرك: المكان الذى ترك فيه جمل النبى ﷺ فى محلة بنى غنيم، وكان حول منزل أبي أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ البارى كما يقال مبرك للمكان الذى يطلق عليه ثنية المبرك الذى يقع بين المدينة وينبع البحر ما بين أملى، ويمتد هذا المكان أربعة أو خمسة أميال.

مَنْصَنَعة: ما بين موضعى رويته وجى.

مشعر: واد بين حوزة وثاخة.

مثقب: طريق ينتهى إلى مكة من المدينة ومن مكة إلى الكوفة.

مَجْدَل: كان اسم منزل فى ديار بنى هذيل واسم برج أمام سقاته سليمان بن عبد الملك.

مَجَر: على وزن حجر اسم غدير بين تلال قوران.

محضه: قرية على سفح جبل آره.

مختص: موضع بالمدينة.

مخابل: ثلاثة مجارى مياه فى وادى العقيق.

مختبى: غدير فى وادى العقيق.

مخرا: على وزن صفرا جبل أمام جبل المسلح. حنيما كان النبى ﷺ ذاهبا إلى غزوة بدر كره أن يمر من بين هذين الجبلين ومر من يمين وادى ذفران.

مخيص: بين الحرمين أحد الجبال الذى صعده النبى ﷺ.

مدراج المنزل: والبخور الذى يقال له عقبة العرج.

مدجج: واد فى طريق مكة مدرج ينحدر ينزل يقال له فى زماننا عنفة الوادى وعلى قمته خرابة بناء قديم.

مدعا: اسم نهر فى ناحية ضرية يصب فى ذى عثعث كانت بئر جعفر بن كلاب فى هذا الوادى.

مدين: محل محاذٍ لتبوك بالقرب من البحر الأحمر، وهو البئر التى أخرج منها موسى ـ عليه السلام ـ الماء لسقى أغنام شعيب.

مذاد: كان برجًا خاصًا ببنى حرام فى الجهة الغربية لمساجد الفتح.

مذاهب: كان برجًا مبنيًا فى إحدى نواحى المدينة.

مرابد: موضع فى وادى العقيق.

مراح: مجرى ماء فى وادى العقيق يعرف بـ مراح الصخر.

مراض: اسم ناحية على بعد ثلاثين ميلا من المدينة.

مرَان: قرية كبيرة فى جهة وادى كشب.

مِرْواح: برج فى قرية قباء.

مربد الغنم: اسم المحل الذى كان يحسب فيه الغنم فى عصر عمر الفاروق على بعد ميلين من المدينة.

مِرْبَع: اسم برج ينسب لبنى حارثة..

مربح: اسم واد بالقرب من المدينة أو إلى ودان على رأى آخر منسوب إلى حسين بن على رضى الله عنهما.

مرجح: أحد المنازل بين الحرمين من منازل الهجرة النبوية.

مَرْحب: الطريق الذى اختاره النبى ﷺ عند ذهابه إلى خيبر.

ذو المَرخ: اسم موضع قريب إلى ينبع فى ناحية الشاطئ.

ذو مرح: اسم واد فى واد فدك، واسم موضع فى وادى العقيق.

ذو المرمرة: المحل الأقدس الذى صلّى فيه الرسول ﷺ فى وادى القرى.

مزيح: برج خاص ببنى قينقاع يظل فى الجهة اليمنى للذين يتوجهون إلى المدينة المنورة فى نهاية جسر بطحان.

مُريخ: اسم شجرة يقال لها القرن الأسود فى مكان قريب من ينبع البحر.

مُفرَض: كان برجًا لبنى قريظة فى داخل الحدائق التى فى البقيع وكان بنو قريظة كلما يضطرون دخلوا فى البرج ليدافعوا ضد الأعداء.

مُعْرفة: الطريق الذى فر منه أفراد قريش فى غزوة بدر ينتهى إلى ساحل البحر.

مغسلة: حديقة من حدائق المدينة المشهورة يطلق عليها فى زماننا يغسلة.

مُغيث: واد بين معدن النقرة وربذة.

مقوْثة: موقع بالقرب من المدينة.

مقاعد عثمان: يطلق على الدكاكين التى بالقرب من منزل عثمان بن عفان بباب جبريل.

وقد صُلى على جنازة إبراهيم بن الرسول ﷺ فى هذا المكان.

مَقْشَير: اسم جبل من جبال المدينة القبلية.

مُلتَد: موقع حديقة النخيل التى فى وادى العقيق.

ملجاء: واد فى العقيق، ملحة برج منسوب لبنى قريظة.

ملحتان: اسم مبحرين ماء أحدهما ملحة الريث والآخر ملحة المريض فى الجهة الشامية من وادى أشعر.

ملل: واد مشهور فى جهة مكة على بعد عشرين ميلا وعلى رواية على ثمانية

عشر ميلا وبناء على رواية ثالثة على بعد ليلتين من المدينة، لما كان تبع الحميرى قد تعب فى هذا المكان ومَلّ، لذا سمى بهذا الاسم.

مناصع: اسم المكان الذى تخرج إليه نساء المدينة لقضاء حاجتهن، ولم يكن اتخاذ بيوت الخلاء فى دور المدينة معروفا بعد.

وبناء على ما أورده المؤرخون من المحتمل أن يكون ذلك المكان بجانب الموضع الذى يقال له بئر أبى أيوب، وكان فى الجهة الشامية لمقبرة بقيع الغرقد وفى الجهة الشرقية لحصن المدينة اليوم يعرف باسم بئر أيوب.

مناقب: جبل من جبال مكة وهو ذات عقبتين.

منجبس: الاسم الآخر لوادى عرج.

مُنْتَجِز: موضع فى جهة المحل الذى يسمى مثعر لفرش ملل منحنى فى الجانب القبلى لمصلى العيد.

مُنْشِد: اسم حمراء النملة التى على الجهة اليمنى من موضع حمراء الأسد واسم المكان الذى بين وادى رضوى والموقع الذى على شاطئ البحر واسم بلدة فى ديار تميم.

مُنْعَج: اسم واد فى موضع أضاح واسم امرأة فى مرعى ضرية، وقد يقال مُنْجَع بتقديم الجيم.

منقى: موضع أسفل موقع أعوض وفى الطرف الشرقى للمدينة، كان المسلمون المنهزمون فى وقعة أحد فروا حتى هذا المكان.

مَنْكَثة: اسم مجرى ماء ترد سيوله من واد فى آجرو فى الجهة القبلية من المدينة المنورة. واسم جبل فى ديار جهينة.

مَنور: اسم جبل خلف حرة بنى سليم، أو اسم موضع واسم سرج لبنى النضير.

منيع: كان برجًا منسوبًا إلى سواد فى الجهة اليمانية لمسجد القبلتين.

منيف: كان برجًا منسوبًا لبنى دينار بن النجار بجانب مسجد بنى النجار.

مُريسيع: اسم ماء يصب إلى البحر فى ناحية قديد، واسم ماء آخر منسوب لخزاعة على بعد يومين من ناحية قديد.

مزاحم: اسم برج خلف منازل بنى حُبلّى واسم سوق تقام فى زقاق ابن جبير. وهذه السوق مثل الأسواق الموسمية وكانت تقام فى الجاهلية وأوائل العهد الإسلامى. وتركت مؤخراً.

مُزْج: غدير فى وادى العقيق والمياه التى تجرى من نهر خضير تصب فى هذا الغدير.

مستظل: كان برج أحيحة بن الجلاح فى بئر الفرس، وانتقل فيما بعد لبنى عبد المنذر.

مستعجلة: مضيق يبدأ من ناحية نازية وينتهى فى ناحية خيف.

مستنذر: جبل صغير فى المكان الذى تنزل فيه قافلة الشام وعلى الطرف الشرقى من مشهد النفس الزكية. وعلى ذروته خرائب منازل بنى الديل.

مُسير: كان برجًا منسوبا إلى بنى عبد الأشهل.

مسْكبة: موضع على الطرف الشرقى من مسجد قبا وكان البرج المشهور الذى يطلق عليه واقعًا فى هذا المكان.

مشاش: مجرى ماء متصل بوادى العقيق.

مشقِّط: كان برج بنى حديلة الذين كانوا يسكنون فى الطرف الغربى لمسجد أبى.

مشعل: موضع بين الحرمين.

مشفق: واد بين المدينة المنورة وتبوك.

معجزة: هناك ماء جار ينحدر من أعلى بين هذا الوادى ووادى الناقة. فوضع النبى ﷺ يده الشريفة تحت الماء المذكور. وصب المياه التى تجمعت بين أنامله

الشريفة إلى النهر مرة أخرى ودعا. وفى ختام الدعاء صدر من ذلك الماء صوت يشبه صوت الصاعقة وسمع هذا الصوت جميع الذين كانوا بجانب الرسول ﷺ، انتهى.

مُشَلَّل: العقبة التى نصب عليها الصنم الذى كان يطلق عليه فى جاهلية العرب «مناة» بجانب قرية قريب.

مَصَر: واد وادفى أعلى مرعى ضرية.

مصلوق: ماء منسوب إلى بنى عمرو بن كلاب.

مضُيق: قرية فى وادى آرة.

مطلوب: بئر فى غاية العمق بالقرب من الجهة الشامية للمدينة هناك بئر تنسب إلى بنى خثعم. تطلق عليها مطلوب أيضًا. كان عبد الملك قد وَحَّدَ جميع المزارع التى حول هذا الماء وأنشأ مزرعة واحدة فى غاية الكمال.

مطعن: واد بين سقياء وأبواء.

معجب: حديقة النخيل التى وقفها عبد الله بن رواحه يقال لها فى زماننا مُعْجِب.

معد الأحسن: موضع فى بلاد المدينة وقرية فى أراضى اليمامة.

معدن بنى سليم: قرية على ثمانية منازل من المدينة فى جهة جدة.

معدن الماء: واد ينتهى إلى وادى مغيث.

معدن النقرة: موضع على بعد يومين من بطن نخلة.

مُعَرَس: موضع مسجد المعرس.

مهايع: قرية كبيرة بالقرب من وادى ساسة.

مهراس: حفرة تملأ بمياه المطر فى نهاية مضيق جبل أحد. قد أحضر للنبى ﷺ فى وقعة أحد الأليمة بعض المياه من تلك الحفرة وكانت رائحتها كريهة بدرجة لا

تصلح للشرب، فغسل النبى ﷺ بعض أجزاء جسمه الدامية وصب قليلاً منها فوق رأسه.

مهزور: موضع فى سوق المدينة المنورة.

مهروز: واد بالقرب من المدينة، مهزول واد أم بئر ضرية.

مهيعة: الاسم الآخر لحجفة.

مُوجَاء: كان برجًا منسوبًا لبنى وائل بن زيد.

ميَّطان: جبل محاذ لجبل شوران الذى يقع فى الجهة الشرقية لقرية بنى قريظة.

ميفعة: موضع فى وادى بطن نخلة على بعد ستة وتسعين ميلا من المدينة.

حرف النون

نازية: صحراء مشهورة فى غاية الاتساع بين الحرمين، كما يطلق على البئر التى ملئت بالطين والتراب فى وادى أبلى الواسع.

نازين: موضع فى مضيق صفرا، حيث مات أبو معاوية عبيدة بن الحارث عند رجوعه من غزوة بدر الغراء ودفن فيه.

ناعم: اسم قلعة من قلاع الخيابر حيث قتل محمد بن مسلمة.

ناعمة: حديقة مشهورة فى عوالى المدينة.

نويعمة: ولما كانت حديقة نويعمة بجانب حديقة ناعمة فيطلقون حيث توجدان نواعم.

نباع: مجرى ماء فى أرض العقيق.

نُبيع: موضع فى الجهة القبلية.

نجير: ماء فى محاذاة صفية.

نخل: موضع على مسافة يومين من جهة نجد والذى يطلق عليه شدخ كان النبى ﷺ قد نزل فى هذا المكان فى غزوة ذات الرقاع.

نخاى: مجرى ماء من مجارى مياه جبل أشعر يصب فى ينبع البحر وفى أسفل هذا الوادى كثير من الآبار لحسن بن حسن.

نخيل: بئر بعيدة خمسة أميال من مدينة الرسول ﷺ كما يطلقون على منزل فى طريق يعد نخيلاً أيضًا حيث توجد مياه كثيرة وآبار منسوبة إلى حسين بن على المقتول. فى هذا المنزل مسجد للنبى ﷺ.

نساز: عدة جبال فى ضرية.

نسر: اسم موضع فى بلاد مزينة.

نسح: بئر تنسب للنبى ﷺ فى وادى العقيق. نصنع بعض الجبال ذات حجارة سوداء بين الصفراء وينبع.

نطاة: اسم برج من قلاع أراضى خيبر.

نعمان: واد فى ناحية أحد.

نعيم: وإن كان موضعًا قريبًا من المدينة يقال له نعائم قاصدين ما حوله.

نفاع: كان برجًا فى بئر العمارة ينسب إلى قرية بنى خطمة.

ذو نفر: اسم محل على بعد ثلاثة أميال من موضع سليلة ويقع خلف وادى ربذة.

نقاب: موضع فى ملحقات المدينة المنورة فى هذا المكان طريقان يؤدى أحدهما إلى وادى القرى والآخر إلى وادى المياه.

نقاء: منزل بين بئر الالمحام ووادى بطحان.

نقيب بنى دينار بن النجار: طريق فى الحرة الغربية أى بجانب سقيا بنى سعد. كما أن نقيب المدينة اسم آخر لهذا الطريق؛ لأن من المدنية إلى بدر طريقان أحدهما طريق الوادى. وهو الطريق الذى نطلق عليه نقيب مدينة. والآخر شارع فيفاء الجنار قد سلك النبى ﷺ فى غزوة بدر هذا الطريق الذى يرافقه النصر.

نقعاء: اسم ماء خلف الوادى الذى فى مرعى النقيع فى ديار مزينة.

نُقْيع: مشهور بين الأنام باعتدال هوائه وعذوبة مائه وعلى بعد ثمانية وأربعين ميلاً من المدينة المنورة. وأراضيه خصبة ومناظر مراعيه تسر الناظرين، وكل من شاهده فتن بجماله ولا يمكن لإنسان أن يرى من يسير بين أعشابه ونباتاته ولو كان فارسًا، وهو مرغوب منقطع النظير فى الجمال. وقد جعله النبى ﷺ مرعى لخيول المسلمين لما رآه أنه يفوق جميع مراعى المدينة المنورة من حيث جمال المنظر وخصوبة أراضيه وبما أن أمراء بنى أمية وسعوا ذلك المرعى فأصبح أوسع مراعى المدينة المنورة.

نقيع الخصمات: الخصمة هى النبقة اللينة والأراضى التى تنبت النباتات اللينة، إلا أن نقيع الخصمات اسم المرعى الذى حفظه من جهاته الأربعة وهو فى داخل بلاد مزينة.

نمرة: موضع فى جهات قديد.

نملى: اسم ماء بالقرب من المدينة، أو اسم سلسلة من الجبال بناء على قول آخر.

نوبة: اسم موضع على بعد مسافة ثلاثة أميال من المدينة واسم قمة ربوة رملية ذات لون أحمر. فى أرض بنى بكر بن كلاب.

نِير: اسم عدة جبال فى مرعى ضرية واسم جبل فى أعالى أراضى نجد.

نيق: العقاب موضع قريب من جحفة.

حرف الهاء

هَجرَ: اسم قرية بالقرب من المدينة واسم ناحية فى البحرين.

هَدَبيَه: ثلاث آبار لأراضى السوارقية المكشوفة.

هُدُن: اسم ماء ماوى وادى القرى.

هِرْشى: تلال رمل فى صحراء مستوية وعلى الجهة الشرقية من وادى ودان.

وما بين هذه التلال الرملية والوادى سالف الذكر صحراء مستوية أخرى تتصل بشاطئ البحر وثنية هِرْشى فوق تلال الرمال المذكورة.

علامة نصف طريق الحرمين، على الأماكن المكشوفة من ثنية هِرشى بميل علم مركوز وهذا العلم علامة أن تلك النقطة منتصف طريق الحرمين: وإن كان بجانب ذلك العلم طريق يشعب إلى جهتين إلا أن كلا جهتى الطريق يوصلان لمكان واحد وفق ما يفيده البيت الآتى:

خـــذ ألف هرشى أوقفـــا فإنمـــا

كلا جانبى هرشى لهـــن طريـــق

هكرَ: موضع على أربعين ميلا من المدينة ذات ماء عذب جميل.

هكران: جبل فى محاذاة قرية قباء وفى داخل ناحية كشب.

هُمَمَيَحْ: موضع يشمل على كثير من الآبار والحدائق فى ناحية وادى القرى.

هيفاء: موضع على بعد سبعة أميال من المدينة المنورة وعلى ميل واحد من بئر مطلب.

حرف الواو

وايل: اسم موضع فى أعالى المدينة.

وادى: بدون إضافة مجرى ماء فى وادى الروحاء إلا أنه على رأى البعض أن هذا المجرى فى جهة خيبر أو تبوك.

وادى أبو بكر: ابتداء الحفرة التى فى أعلى مسجد.

وادى أزرق: موضع أمام المكان الذى يطلق عليه فج روحاء بميل.

وادى بطحان: اسم مجرى ماء فى داخل المدينة.

وادى الجزل: مجرى ماء بالقرب من ذى المروة

وادى السمك: ماء جار فى ناحية الصفراء.

وادى القرى: واد يضم قرى متعددة. أو بلدة بين الشامة والمدينة على بعد سبع ليال من المدينة المنورة.

واسط: اسم برج منسوب لبنى خدرة، وبنى حزيمة، وبنى مازن من القبائل، واسم موضع بين بدر وينبع البحر، كما يطلق على الجبل الذى يتكون عنده سيول العقيق وأن مجارى مياه وادى العقيق تتجمع فى الجبل المذكور وتجرى ناحية جثجاثة.

وأقم: اسم برج خاص ببنى عبد الأشهل واسم برجين فى قرية قباء.

والج: حديقة فى الجهة الشامية من المدينة وبئر فوق جبلى بره وآرة. وقرية حول جبال بعان وآرة.

وحيدة: موضع بين الحرمين.

ودان: قرية واقعة على بعد مرحلة من محلة جحفة.

ودعان: موضع فى ينبع.

هضب الوران: جبل فى مرعى ضرية.

ورقان: جبل كبير بين الحرمين ويظل على يسار من يتجهون إلى مكة ورقان على يمينهم وكذلك سيالة وروحاء ورويثة. وفى جبل ورقان كل أنواع الأشجار المثمرة وغير المثمرة وعيون متعددة وسكانه من جماعة بنى أوس، والجبل المذكور من جبال الجنان.

وسط: جبل فى مرعى ضرية.

وطيح: قلعة كبيرة من قلاع خيبر تسمى باسم رجل من قوم ثمود.

وظيف الحمار: محل بين سقاية عبد الملك ووادى زغابة.

وعيره: موضع فى حدود الحرم النبوى الشريف.

حرف الياء

يثرب: اسم مدينة الرسول القديم.

يدبع: ناحية بين فدك وخيبر ذات مياه متعددة وعيون كثيرة مقر قبيلة بنى فزارة.

يراجم: غدير فى وادى النقيع. قد توضأ النبى ﷺ من هذا الغدير وخاطب سكان القرى التى حوله إنكم تسكنون فى بقعة مباركة.

يُرَعة: موضع فى ديار فزارة بين موقعى ثويبة وصراخه.

يَلَيْن: يقال له ألين أيضًا. اسم غدير فى نقيع الحمار.

يليل: اسم نهير ينصب فى البحر الأحمر وناحية صفراء.

والبئر الذى يطلق عليه نجير فى ذلك الوادى ينبع ماؤه من الرمل. وهناك موضع آخر يسمى.

يليل: بين عقنقل وناحية بدر وبالقرب من صنبوعة.

ينبُع: على أربعة أيام فى ناحية شاطئ البحر من المدينة وهو بلد عظيم على ساحل بحر السويس على خط العرض الشمالى (٢٤ درجة وخمس دقائق) وعلى (٣٦ درجة) فى الطول الشرقى وعدد سكانها ثمانية آلاف تقريبًا. ومرفأ المدينة الرئيسى ويشمل على ١٧٠ منهلا وعيون كثيرة ولذلك عرف وسمى ينبع.

يقال لبحر السويس «بحر القلزم» والبحر الأحمر ويقال له فى اللغة التركية بحر الشاب وخليج العرب ويحيط بالساحل الغربى للجزيرة العربية ويفصل بين قارتى آسيا وإفريقيا.

وقد أقطع النبى ﷺ موضع ذى العشيرة من بلدة ينبع لصهره على بن أبى طالب، كما أن عمر الفاروق قد أضاف لهذه المواضع محلات أخرى، فوقف على بن أبى طلب هذه الأماكن والأماكن الأخرى التى اشتراها بنفسه، وبناء على هذا ظلت أكثر مواضع ينبع تحت إدارة أشراف بنى حسن.

يهيق: هذا هو ما جاء فى الحديث النبوى عندما قال ما معناه: «يظهر أن بيوت المدينة ستمتد حتى تتصل بيهيق» وهو موقع مشهور بالقرب من دار العزّ المدينة المنورة.

يَيْن: واد على اثنى عشر ميلا من المدينة المنورة فيه ماء واحد فقط.

مناجاة وقصيدة.. ودعاء

هلم أيها القلب ليتفتح بعين الشهود قلبنا والعينان..
حسبنا عمانا بدل ما لم وما كان..
على هواها نفسنا تابعنا..
وفى طريق من النجاد والوهاد أبلينا قدمنا..
ما هذه المتاهة التى نسلكها من طمعنا؟
وأى جدوى لما يقلقنا؟
لقد حفيت كذلك فى الرغبة قدمنا..
ليت شعرى ما جدوى هذا من صنيعنا؟!
عمرنا يومان ونحن على أهبة الرحيل..
فعجبا لفكرنا فى البقاء الطويل..
إذا لم تبلغ بك القدس قدماك..
فأنت حبيس وجود فى دنياك..
ليكن وضوءنا دمع الندم.
ولنعفر جبين الدعاء على ما للسجود من قدم..
لنذب سويداء قلبنا..
ونجعلها دمًا فى دمعنا..
حسان هو أنا جعلن فى حريم قلبنا..
مذبلة الوثنين وسومنات الهند لنا..
فى قيد ما سوى الله اختلج طائر قلبنا..
وفى جعالة أخرى تردى هوى نفسنا..

أى خلاص يحتمل لنا..
مادامت رغائبنا قيوداً لنا..
إن طول الأمل فى قلبى خيال..
وفى رأسى أغلوطة المال..
يستوى فى أذن الروح فى حيرتها.
نواح النائح وما للأوتار من نغمتها..
إن فى دار الفتنة هذه إنما كان حرصى على عمرى.يزيد ويزيد.
من طبع جبلت عليه عنيد..
ما بالك أيها الغافل الغر..
إن مثل هذا الفكر الفاسد من الفتنة يكثر..
ما جدواك من خسة طبعك..
لما كانت عبادة هواك من عبادتك..
لقد خدعت فلا تؤمل السراب..
إنما مسح أهل الجاه ناصيتهم بالتراب..
أطلب من الله ما لديك من مأمول..
فاللعرش الأعظم منه حسن القبول..
تقدم بكل ما أنت تريد..
إلى ما يحبه الله المجيد..
ذلك الذى يقتعد من الفلك السرير..
وله من الملائكة جند كثير..
المقيم فى خيمة الجبروت وله كلام الكليم.
ونديم محبة الله العظيم..
من نال شرف منزلة هى مقام القرب.
ومن نال ذروة العلياء باللقب.
خاتم النبوة وأميرها..

ومن هو يوم القيامة للشفاعة لَبشيرها..
ملاذ للأمم وموئل..
ومن يوم الحشر يؤمل..
طه يزين المنبر وهو خطيب..
وصاحب الوحى المقرب الحبيب..
مآل الناسوت والجوهر
وعلة هذا الخلق التى لا تنكر
النبى الأكرم محمد المحمود
كريم الذات وصفوة هذا الوجود
من شرف بالرسالة مطلق الذات
جاء تلك الدنيا بالهدى
وما امتلك قط مالاً لبدا
حمى الوطيس فى غزواته
وكل من خالفوه من عصاته
وبلطفه لا ينال المسيئ بسوء
وكأى من مذنب بذنبه ينوء
أى جدوى لوفرة حسناته
مادمت لا تحظى بمرضاته
ياحبذا كرمه ومنه القطرة..
تخمد من نار جهنم كل شررة
لو كان الناموس الأكبر عن عتبته طريدا
كان عن باب القرب مردوداً
لو تعلق بذيل شفاعته الشيطان.
دخل من الرحمة فى إيوان
إن هذه الدنيا لمن تردوا فى الجحيم..

ومن ساروا فى خطى الشيطان الرجيم..
هذه الدنيا للجنة والناس
والمنتبهون من غفلتهم.. فجرت الدموع مدرارا من مقلتهم
فى ذلك اليوم الذى فيه الجبار العنيد.. يعرف النار ذات الوقود
فى ذلك اليوم الذى عاتقه تحت الأمان ناء.. إن يوم أدار الأمانة جاد
وتضيف منته ضعفًا شديدًا.. فيشبه فى جموده جلمودا
أدرك يا رسول الله هذه الأمة أدركها.. قبل أن يوضع قيد النار فى عنقها
نج هذه الأمة من البلاء وكن لها مجير.. قبل أن تتحرق فى السعير
وخذ بيد العالمين من نار وحجارة هم فيها من المتمردين
وكن الشفيع للخلائق يوم الجزاء.. وهم من عذاب النار فى أشد بلاء
أدرك فى ذلك اليوم العالمين.. فى جهنم صاعدين هابطين
وفى أنامل كرمك لى أمل.. فحلّ بها ما تعقد لى فى سمطى العمل
ولنبك قليلاً ونتضرع.. فباب اللطف هذا الأهل مؤهل الفقر يقرع
بحقه وهو الغفار ذو الجود.
والمهيمن المعبود
إنه الأوحد فى هذا الوجود كريم الصفات.. حى ودود
باسمه وهو ذو الغفران.. الذى يأله إليه الإنس والجان
برمز آية قاف وبحكمة حم.. لسورة هود وسر نون العظيم
وبفضل من يعتكفون الأربعين.. يضعف الدخان وقوة الصخر الرصين
بقصة الكهف العجيبة.. وقصة الأخدود الرهيبة
بانقياد الذبيح وبموضع ثراه.. بنار النمرود للخليل وبلواه
بأصحاب الرس وخسفهم.. وبعقابهم وأحجارهم
بعز ملك سليمان والخيل المطهمات.. باستماع الطير وما لداود من نغمات
بشدة الهموم.. وبما لا يتنهى من غموم
بيأس مسار الفراق وأمل صبح التلاقِ.. بصد الدلال بعد رغبة الوصال

بقدر سيد المرسلين.

بفوز هذ االرائد الأغر..

واجعلنا إلى طريق رضوان من المهتدين.. فنحن بالضلالة من الهالكين

فهذه الدنيا إلى فناء.. وكل ما فيها إلى انتهاء

بالسهو لا تجعل قد منا تذل.. حينما قدمنا على الصراط ننقل

ليكن لهذا الفقير زاد النجاة.. إذا تحركت بالنعت الشريف منه شفاه

ولما كانت هذه القصيدة لأحد أصحاب الطريق المعنوى والذى أنشدها فى أثناء استقرائه عندما وصل لمقام الغناء فى الرسول وهى قصيدة نادرة فريدة قد رأينا أن ندرجها هنا متبركين بها.

القصيدة

هذا الجناب الذى تشفى به الكرب
ويـذهب البؤس والآلام والـنصب
هــذا الجنــاب الذى تشتاقــه أبدا
هذامنى النفس هذا السؤال والطلب
فعفـر الخـــد ذلا فـــوق تربتـــه
والثـــم ثراه وخـــل الدمع ينسكب
وقر عينا وطب نفساو تهْ فرحا
لقد بلَغت الذى ترجو وترتقب
قد كنت صابه لا تستفيق جوى
يهزك الشوق من ذكراه والطرب
إن هبت الريح من تلقاء كاظمة
أو لاح برق الحمى تبكى وتنتحب
وإن ترنم حـادث رحـت ذا قلـــق
فـــالعقل مختبـــل والقلب مكتئب

ترعى نجوم الدجى وجداً وفرط أسى

والجفن يَهْمِل والأحشاء تلتهب

هذا الحبيب الذى ترجو شفاعته

فليهنك القرب زال الهم والتعب

فاخنع على سائق الأظعان معتذراً

حشاشة شفها التبريح والوصب

وهب له النفس شكرانا وما ملكت

فذاك فى حقه بعض الذى يجب

منازل كنت تهوى قربها أبداً

فالنوم شوقًا لها والصبر مستلب

انزل هنيئًا مريئًا خير منزلة

علت فدون علاها السبعة الشهب

واَقْرِ السلام على المختار من مضر

من اهتدى بهداهُ العجم والعرب

محمد خير خلق الله قاطبة

المصطفى الطهر من زالت به الريب

أزكى النبيين أعلى الخلق منزلة

من قد علت بمعالى قدره العَرَبُ

طه البشير الذى تجرى مواهبه

ومن زكا قوله والفعل والنسب

بر رؤوف رحيم قد علا شرفا

من هاشم وبنى عدنان منتخب

وبشرت سائر الرسل الكرام به

وأعربت عن معالى وصفه الكتب

له العلا والنهى والفضل منتسب
والعلم والحلم والآلاء والأدب
إذا بدا فبدور التم كاسفة
والبحر متصف بالنقص إذ يهب
بنانه قصرت عن فيضها السحب
وعنده عرف المعروف والحسب
أسرى به الله تشريفًا لرتبته
وقال سل فلك العلياء والأرب
دنا وشاهد رب العرش وارتفعت
من دونه حين ناجى ربه الحجب
وبالملائك صلى رفعته وعلا
وهو الشفيع إذا اشتدت بنا النوب
أتى بمعجز قرآن غدا عَجَبًا
وكم له معجزات كلها عجب
تظله الشمس من حر النهار ولم
تزل على رفعة فى ظله السحب
وخمسة إذ تشكى القوم من ظمأ
غدت ومنها الزلال العذب ينسكب
أطعم الجيش إذ باتوا على سغب
نزر الطعام فزال الجهد والسغب
والبدر شق له والوحش خاطبه
والوجود والبر من علياء يكتسب
وكان بالرعب والأملاك منتصراً
ولم يزل لعداه الويل والحرب

وانشق إِيوان كسرى عند مولده

وأحرقت سارقى سمع السماء الشهب

وأصبحت سائر الأصنام ناكثة من

بعد عز علاها الذل والعطب

فى كفه سبحت صم الحصى علنًا

والجذع حن له إذ قام يحتطب

بنى صدق ورضوان ومغفرة

لكل خير وإحسان هو السبب

هو الذى جَــلَّ أن تحصى فضائله

حدث عن البحر ما شئت لاعجب

هو الحبيب الذى سحت مكارمه

هو الرسول الذى تعظيمه يجب

هو الذى طابت الدنيا بمولده

هو النبى الذى عزت به العرب

هو الذى جاء بالبيضاء ساطعة

هو النجيب الصفى الفرد لا كذب

شعاره الزهد والإجمال والرهب

والذكر والفكر والإرشاد والرغب

صــام النهــار وقامــا الليل محتســبًا

ولم يثبت جده لهو ولا لعب

تشرف الكون وانجابت حنادسه

ببعثه وأزهرت أبوابه القشب

يا من يؤمل أن يحصى مدائحه

لقد حكيت ولكن فاتك الشعب

هو الذى نزل القرآن يمدحه
فما عسى أن يقول الشاعر الدرب
إليك ها يا رسول الله زاهرة
من دونها لعُلاك الدر والذهب
تجلو مناقبك الحسنى التى بهرت
تثنى القلوب وللألباب تختلب
وذو الرجاء أبو بكر منظمها
عبد لبابك أمسى وهو منتسب
فاشفع له كرما يا خير ذى كرم
ومن فضائله فى الكون تنسكب
وإن ما يبيت منك يرجو العطف ممتدحا
فما الصارم العضب بعد السل ينتدب
عبـد بفضلك قـد أمسى أخائقـــة
على جميلك بعد الله يحتســب
فكن له شافعا فضلا ومرحمة
إذا جهنم قد جادت لها لهـــب
ووالديه فجد واشفع لهم كرمــا
فإن فضلك للراجين مقتـــرب
وأنت أرحم من لاذ المسئ بـــه
وخير من يرتجى إن جلت الكـرب
شوقى إليك شديد لا يفارقـــنى
حتى أرى سائرا والنعش لى قتـــب
صلى عليك إله العرش ما طلعـت
شمس وأصبح نجم وهو محتجـب

ولاح برق أهاج الشوق لامعــة
وهب نشر الصبا فاهتزت القصُــب
وآلك الغر والصحب الذين غـدوا
هم السادة الكرام والسادة النجب
أجل آل وصحب فضلوا شرفــا
زكوا وطابوا فلا لغو ولا صخب
هم نجوم الهدى والفائزون غـــدا
ومن فضلهم والنهى يملى ويكتتب

القصيدة

التى يقرؤها أهل المدينة فى حضرة السعادة

يـا رحمـة للخلق يا واصـل — يـا بحر جود مـا لـه ساحـل
يـا مـن بـه لا يحرم السائـل — أنت شفيع الخلق حصن النزيل

أيـا رسـول الله! إنى دخيـل

يـا مـن عليه الضب قد سلما — والظبى تعظيمـا لـه كلمـا
يـا من رويت الجيش بعد الظما — ماءا فراتـا من نبـات يسيـل

أيـا رسـول الله! إنى دخيـل

يـا مـن عليـه الله قـد أنزلا — ذكـراً حكيمـا معجـزا للملا
كـن لى معينـا فى البـلا — لاسيمـا فى الحشر عنـد الجليل

أيـا رسـول الله! إنى دخيـل

يـا من له تجلى جميع الكروب — لهوت عن موقف يوم الخطوب
ما فقت حتى أو بقتنى الذنوب — وما بقى فى العمر إلا القليل

أيـا رسـول الله! إنى دخيـل

جـاوزت خمسينـا ولـم أنتبـه — بين حـرام عشت والمشتبـه
آمنـت بـالله ومـا جئت بـه — وبـالذى حدثت عـن جبريـل

أيـا رسـول الله! إنى دخيـل

أزكى صـلاة الله طـول المـدى — إليك تهـدى يـا نبى الهـدى
وآلك الأمجـاد أهـل النـدى — جـارك يرجـو بك سترا جميـل

أيـا رسـول الله! إنى دخيـل

استطراد

إن هذه القصيدة التى اعتاد أهل المدينة حفظها قصيدة بليغة تنسب إلى عثمان البصير الحموى قصيدة للثناء والمدح.

وعثمان البصير من قرية دير سمعان[1] التابعة لمدينة معرة النعمان وأخذ الإنابة من المرحوم ابن الجندى شيخ الصلحاء الشيخ عبد الرحمن والشيخ اسحق، وضرب مثلا فى فضله وكماله فى ديار الشام وحلب، وكان متفوقا فى العلوم والفنون العربية مع كونه ضريرا، وتاريخ ولادته ليس مضبوطًا، ولكن وفاته بعد سنة ١٢٥٠ الهجرية.

وكان الأديب المشار إليه قد يئس من قرار الأطباء وحزن أشد الحزن وبعد الحزن الشديد ترك اللجوء إلى الأسباب الظاهرية واختار مسلك الإمام البوصيرى «عليه رحمة الله القوى».

إذ مسح النبى ﷺ فى رؤياه جسم عثمان البصير العليل المشلول بيمناه الكريمة ولمسه ولم يبق أثر من مرض الشلل فى جسمه واستيقظ من نومه وقام وأخذ يسير ويمشى.

ولما كان الشيخ عثمان البصير شخصا فاضلا يحب المرح والتحدى فبعدما شفى من مرضه واطمان تمام الطمأنينة على زواله فاستدعى الطبيب المسيحى الذى وعى عدم وجود دواء لمرض الشلل قائلا الفالج لا تعالج وطلب منه أن يعالج مرضه ولكن الطبيب المعالج قال إننى وجدت دواء سريع التأثير وأنشد القصيدة التى نظمها تلك الليلة وهو يتمشى وانبهت ذلك الطبيب وتحيره.

وأجبرت هذه القصيدة الطبيب المتحير على التصديق بنبوة محمد ﷺ ولكنه لم يظهر إسلامه خائفا من ضياع ما فى يده من الثروة والغنى. إلا أنه مات على الإسلام هذا ما يرويه العارفون بالتواتر انتهى.

(١) دُفن عمر بن عبد العزيز فى هذه القرية.

فضائل المدينة خواص تراب المدينة المنورة وفواكهها

يلزم أن يكون معلوما لدى الذين سافروا فى الأراضى الحجازية المقدسة وقاموا بالسياحة ولا سيما الذين اطلعوا على الأحاديث النبوية والذين يعتقدون فيها أن الغبار الصحى من قبل الله ـ للمدينة المنورة يشفى من علتى «الجذام والبرص»، والعلل الأخرى المزمنة المخيفة، ومن المروى المحقق أن الذين يستخدمون تراب المدينة بإخلاص تام وعقيدة صحيحة يشفون من أمراضهم إن الذين حملوه إلى بلاد الروم والممالك الأخرى واستعملوه فى أى علة من العلل شفوا وأفاقوا من عللهم، إذ قال شافى مرضى المعصية عليه أقوى التحية: «غبار المدينة شفاء من الجذام» وبهذا الحديث الشريف بين أن غبار المدينة ذو رائحة عنبرية وترابها دواء شاف من مرض الجذام.

عندما كان الرسول ﷺ داخلاً إلى المدينة عائدًا من غزوة تبوك الغراء استقبله بعض الذين لم يستطيعوا أن يشتركوا فى تلك الغزوة لأسباب مختلفة من سكان دار الهجرة، استقبلوا الجيش الظافر النبوى، وعندما تلاقى المستقبلون بصفوف الغزاة ارتفع الغبار نتيجة لحركات أقدام الجمال والخيول وزاد عن حد الاعتدال فأزكم أنوف الغزاة، فانزعج الأصحاب الكرام وأمسكوا أنوفهم؛ فلما رأى قائد فرسان الأنبياء «عليه أكمل التحايا» ذلك قال: «والذى نفسى بيده إن غبار المدينة الطاهر دواء لكل داء وهو شفاء لمرضى الجذام والبرص». وبهذه البشارة نشر فى نفوس الصحابة التسلية والحبور.

خاطـرة

إن مثل هذه الكلمات التى تطيب خاطر الجنود تلقى لتهدئتهم ودفع الملل والضجر عنهم، حتى إن قواد الجيوش والفيالق يلقون بعض الخطب الحماسية

وبعض الكلمات المثيرة للشوق والحماس للجنود الذين تحت قيادتهم حتى يزيلوا ما فى نفوسهم من الضجر والانزعاج، وأن يشحنوا نفوسهم بالغيرة والشوق الجديد، إذا ما قيل هذا، فتقول لهم: إن ما يسرده قواد الجيوش فى خطبهم من الأدلة وما يستندون إليه من النقاط والحجج والمسائل ليست خالية من النفع والفائدة، ولكن أليست هذه الأدلة التى يأتون بها تذكر بالنعم الإلهية التى بشرت بها الأحاديث الشريفة؟ وإذا اشتملت هذه الخطب لبعض درجات الوعود وإذا ما تحققت مقاصد القواد بحمية الجنود وهممهم وغيرتهم فإذا ما قيل لا يبق لتلك الوعود أى قيمة وكأنها لم تكن فهذا صحيح وهو محقق كذلك.

ولكن هل يقاس منزلة القواد لدى الملوك بالمكانة التى يتمع بها النبى ﷺ عند الله سبحانه وتعالى؟

وهل يتصور قائد لم يكذب على الأقل مرة واحدة؟ وأين هو ذلك القائد الذى قدم جنده على نفسه؟! ومع هذا فمن المحقق أن الملوك يلون بدون تردد شكر قوادهم وشكاياتهم فى أثناء الحرب، وعندما يساق الجنود لإنقاذ شرف الدولة والمحافظة عليها، وليس فقط فى مثل هذه النقاط المهمة حتى الآن يقبل شكر القواد وشكاياتهم ولايرد.

وبما أن الأقوال الصادرة من فم النبى ﷺ المحسن تقترن بالوحى الإلهى، فالأحاديث الشريفة مهما كان موضوعها ومحتواها فيجب أن يبعد عن الذهن عدم صحتها، أعاذنا الله تعالى من مثل هذه الأمور؛ فالذين يتخيلون مثل ذلك يقتضى عليهم أن يصححوا عقائدهم وأن يجددوا إيمانهم. انتهى.

قد حدث ذات يوم أن قام بعض الأفراد من قبيلة بنى الحارث بالتظاهر بالمرض والضعف وقالوا إنهم فى غاية الضعف والتعب من جراء مرض الحمى، فنالوا شرف المثول بين يدى النبى ﷺ، فأخذ كاشف الغُمة «عليه السلام والتحية» بعضًا من التراب من مكان يقال له حصيب ووضعه فى مقدار من الماء ثم قال لهم فليتفل واحد منكم وينفخ فى هذا الماء قائلا: «بسم الله من تراب أرضنا، بريق

بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنا»، ثم يشرب كل واحد منكم من هذا الماء، ففعلوا مثل ما أمرهم رسول الله ﷺ فنجوا من مرضهم، إن هذا الحديث يكفى للدلالة على أن تراب المدينة شفاء مَحْض.

فائدة

كان قريبًا من حديقة «مدشونية» حفرة، وكان أهل المدينة يأخذون من هذه الحفرة قليلاً من التراب وكانوا يسقونه لمرضى الحمى كما ذكر فى الحديث الشريف، قال ابن النجار: إننى قد رأيت تلك الحفرة، وما زال الناس يأخذون ترابها ويرسلونه إلى أطراف البلاد بأمل الشفاء، ويروون أن من يتداوى به يشفون من أمراضهم، وقد استعملته بنفسى.

وقال الإمام السمهودى: «إن الحفرة المذكورة ما زالت فى زمنه وإن الناس يأخذون من ترابها ويرسلونه إلى بلاد بعيدة، كما أن علماء السلف قد أروا تلك الحفرة لتلاميذهم فاكتسبوا الشفاء باستعماله وكثيرون من الصالحين استعملوه وشفوا».

ثم قال: إننى تأكدت من صحة ما يقال باستعماله شخصيًا «ثم أضاف: كان أحد أقاربى تعرض لمرض الحمى ولم يستطع أن يتخلص منها مدة عام كامل، فأخذت مقداراً من التر اب وضعته فى ماء كما سبق توضيحه وسقيته بعد التفل، قد شفى المريض فى ذلك اليوم وقام على رجليه» وبكلامه هذا أكد رواية ابن النجار وصدقها.

ويبتدر بعض الناس الآن غسل المريض بالحمى بأخذ تراب من حفرة ما معتقدين أنها تلك الحفرة المذكورة ويخلطونه بمقدار من الماء ولكن الأولى أن يستخدم وفقًا للرواية التى سبق ذكرها آنفا، ثم الاغتسال بعد ذلك حتى يشفى وفق مفهوم الحديث سالف الذكر، والله الشافى.

أنا المؤلف لم أوفق فى زيارة حفرة المدشونية، ولكننى رأيت بعض الناس يأخذون تراب تلك الحفرة وبعد التخمير يمهرونه بمهر خاص بتراب خاص ويوزعونه على الحجاج مقابل عطاياهم، إنه تراب مائل إلى اللون الأبيض، وإذا

ما نظر إلى شفاء الذين يستعملون ذلك التراب بعد التخمير يمكن الحكم بأنه مأخوذ من حفرة «المدشونية» التى عرفها الإمام السمهودى.

المدشونية: اسم بستان جميل يقع فى جهة المدينة المنورة من البساتين التى يطلق عليها العوالى، وفى داخل هذ البستان الجميل عدة حفر قديمة ومع خلو هذا البستان من سور يحميه فاللصوص لا يستطيعون أن يصلوا إلى محاصيله ويسرقوها، مع أن البساتين المحاطة بالأسوار وفى داخلها عدة حراس تنقذ محاصيلها من البلح بصعوبة كبيرة، وعلى هذا يمكن أن يعد عدم دخول اللصوص فى بستان المدشونية من جملة خصائصه. انتهى.

وكان النبى ﷺ كلما أحضر له مريض أو مجروح يتلو الدعاء سالف الذكر ثم يأخذ من الأرض قليلاً من الغبار بأصابعه المباركة ويمسح به المريض؛ جاءه يومًا مريض يشتكى من جرح رجله وعرض عليه أنه لا يستطيع أن يتحمل الأوجاع فما كان من النبى ﷺ مداوى جروح أمته إلا أن رفع قطعة الحصير التى كان يجلس عليها وأخذ قليلاً من الغبار بسبابته(١) المباركة ومزجه بريقه السعيد ثم قال: «بسم الله ريق بعضنا يشفى سقيمنا» ثم مس به جرح الجريح، وبناء على ما نقله من كان فى مجلس النبى ﷺ فى ذلك اليوم قد التئم جرح المجروح وعُوفى من علته وعاد سالما معافىً.

كما أن بلح المدينة يفيد من شفاء بعض العلل والأمراض، إذ ترى مرضى البلدة الطاهرة يشفون بتناول سبعة أعداد من العجوة صباحًا فى سبعة أيام، وإذا ما سئل عن سبب يشفون يقولون: «إن الصديقة ـ رضى الله عنها ـ نبهت المصابين بعلة(٢) «الدوام والدوار» يأكل فى كل صباح سبعة تمرات وينقل عن سعد بن أبى وقاص أنه قال: «قد مرضت فى فترة ما وشرفنى إذ ذاك طبيب مرضى القلوب من أمته ـ رضى الله عنه ـ فى منزلى ووضع يده السعيدة بين نهدى وطيب خاطرى بلفتة كريمة تساوى الدنيا بما فيها قائلاً «إنك رجل شجاع»

(١) يطلق السبابة على إصبع الشهادة.

(٢) دوام دوار: يعنى الصداع المزمن يقال للصداع المزمن فى الاصطلاح الطبى دوار الرأس.

وإذ ذاك ورد من الأطباء الحذاق الحارث بن كلدة، فأحضر عدد سبع حبات من بلح العجوة واسحقها وأخذ ماءها وبدأ يعالجنى بها وسقانى من ذلك الماء، وفى الواقع أن بلح المدينة المنورة يجمع خصائص عديدة فمن يأكلونه فى الأوقات التى عينتها الأحاديث الشريفة لا يؤثر فيهم لا السحر ولا سُمّ هلاهل المهلك، لأن النبى ﷺ قال: «ومن تصبح بسبع تمرات من العجوة لم يضره يومئذ سم ولا سحر» و «من أكل سبع تمرات عجوة ما بين لابتى[1] المدينة على الريق لم يضره فى يومه ذلك شىء حتى يمسى وإن أكلها حين يمسى لم يضره شىء حتى يصبح» و«من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» «حديث شريف».

و«اعلموا أن الكمأة[2] دواء العين» و«إن العجوة من فاكهة الجنة، والكمأة من المن وماءها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهى شفاء السم». «حديث شريف».

البرنى:

وبما أن البلح المسمى بالبرنى كان من البلح المرغوب لدى الرسول ﷺ لأجل ذلك مدحه النبى ﷺ قائلاً: «يا أهالى المدينة إن أفضل أنواع البلح الذى ينبت فى بلدكم البرنى» «حديث شريف» إنه يخرج الأمراض والعلل من بطن آكله وإنه غير مضر ولا يجلب العلل» والحديث الشريف الذى يشمل ذلك المعنى «خير تمركم البرنى يخرج الداء ولا داء فيه»، ولا نعرف حكمة تخصيص الشفاء بسبعة أعداد من بلح العجوة ولا سره، ولكنه يلزم الاعتقاد بكل إخلاص وطمأنينة لحكم الحديث الشريف وأن يعتمد على أن البلح العجوة يجمع الفيض والبركة، لأن الذين داوموا على أكله قد تواتر شفاؤهم.

إن العجوة معروفة لدى أهل مكة، إنها نوع من البلح يحتوى على الشفاء المحصن، لأنها خلقت من بقايا طين حضرة أبى البشر[3] وتجمع بين جميع

(١) لابتى: معناه التل والربوة.

(٢) كمأة: نوع من عش الغراب ينبت فى أماكن ظليلة وجمعها أكماء. وانظر فى هذه الأحاديث كتاب الطب النبوى لابن القيم ص ٢١١٤ وما بعدها. ط١٤ دار الوعى ـ حلب بتحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى.

(٣) جاء فى الحديث الشريف: «أكرموا عماتكم النخلة..». انظر تفصيل ذلك فى كتاب النخلة للسجستانى.

الخواص لذا ينقل أنها أنفع الفواكه جميعًا للإنسان، وبناء على قول ابن الأثير، إن هذا البلح من نوع أكبر من «الصيحانى» ولكن لونه مائل إلى السواد. وإن كان الإمام داود يذهب إلى أن العجوة أوسط أنواع البلح من إنتاج المدينة وذهب بعض المؤرخين إلى أنها من أنواع بلح مكة، إلا أن الإمام البزار قال: «إن بلح العجوة من جنس البلح الذى غرسه النبى ﷺ بنفسه» لذلك رجّح أهالى المدينة قول الإمام البزار على سائر الأقوال وينقلون أن اليهود قد أحرقوا نواة تمرة ثم قدموها إلى النبى ﷺ قائلين يا محمد: أغرس هذه النواة فإذا ما نمت وترعرعت نصدق نبوتك» فأخذها النبى ﷺ وابتدر بغرس النواة بنفسه ومن هذه النخلة نشأت العجوة وأثمرت الشجرة فى الحال»، وفى سبيل تأييد مدعاهم استدلوا على ذلك بالرائحة الخاصة التى تمتاز بها العجوة، وفى الواقع أن ما يدعيه أهالى المدينة الطيبة مقترن بالصحة إذ يحس فى حين تناولها برائحة طيبة.

ومع هذا ليس هذا البلح عين ما غرسه صاحب المعجزات بيديه السعيدتين من البلح.

ولم يبق فى عصرنا شىء من التمر الذى غرسه النبى ﷺ بيده المؤيدة بالإعجاز، هناك من يدعى وجود نخلة واحدة بين نخيل المدينة المنورة من جنس التمر الذى غرسه النبى ﷺ إلا أن هذا الادعاء من قبيل الظنيات، وإن كان بلح العجوة موجودًا الآن إلا أنه ليس من نوع البلح الذى غرسه النبى ﷺ ولكنه نوع متفرع من بلح يسمى «الجادى». ويلزم أن يكون تمر النبى من صنف البلح الذى يعرف بـ «الحلية» إلا أن العجوة نوع من البلح بين الحلية، وحجمها يشبه حجم الحادى ولونها يشبه لون البلح المسمى «غراب» وطعمها يشبه للحلية، وحجمها يشبه حجم الجادى، لذلك يظن الذين لا يعرفون أشياء عن أجناس البلح أن العجوة بلح النبى ﷺ، كما أن الذين لا يعرفون عن حقيقة بلح الحلية شيئًا يدعون أنه لم يبق بلح من جنس بلح النبى ﷺ، كما ذكر آنفا إلا أن أهل الخبرة أثبتوا مدعاهم بكثير من الأدلة المقنعة والتى تؤكد على أن لهم خبرة ومهارة فى تعيين جنس البلح أثبتوا أن بلح الحلية من جنس بلح النبى ﷺ.

ولما كان النبى ﷺ يحب العجوة حبًا جَمًّــا أمر ورغب أهالى مكة فى أكل هذا البلح، ولما كان الأصحاب الكرام يعملون بموجب الأمر النبوى أحبوا بلح العجوة وأقبلوا على أكله وفق تعليمات النبى ﷺ، ومازال أهل المدينة يراعون هذه الأصول إذ يجمعون بلحهم فى موسم الجنى ويملئون به أزيار ويأكلونه فى أيام الشتاء وإنهم يحرصون على حفظ البلح أكثر من أى شئ آخر، وليس هناك مدنى لم يحفظ فى أيام الصيف ما يكفيه من العجوة لأيام الشتاء.

وفى إستانبول يعد الناس الحطب والفحم، وفى البلاد العثمانية الأخرى يعدو للشتاء جَرِيش البر المسلوق «برغل، وما يلزم لحساء «طارخنة»[1] والذين لا يخزنون هذه الأشياء في مواسمها يعانون كثيرًا فى الشتاء ويتعبون، هكذا يعانى من لم يخزن بلح العجوة فى الشتاء من سكان دار السكينة ويتعبون كثيرًا، ومازالت هذه العادة قائمة إلى الآن بين أهالى المدينة، ولكن ما جمعوه وادخروه من البلح على أنه عجوة ليست من العجوة المأثورة، ويطلع على ما يدخرونه من البلح «مجلات وحشية» وهو خليط ومزيج من هجين نوع من البلح، ولما كان هذ النوع من البلح أرخص ثمنًا فعربان البوادى والفقراء من الناس يرغبون فى تخزينه ظنا منهم أنهم يخزنون بلح العجوة، أما الأغنياء من الناس يخزنون للشتاء بلحًا من جنس«حلية، شقرى، بيض، حلوة» وثمن هذه الأنواع أغلى بالنسبة للبلح المخلوط.

ويبين مؤرخو المدينة الطيبة سبق تسمية بلحها بأسماء معينة ويقولون فى تعريف بلح الصيحانى: إن نخلة قد صاحت مصدقة للنبوة أو أن البلح نبت أولاً فى حديقة يطلق عليها الصيحانى، والذى نقل القول الأول هو جابر بن عبد الله الأنصارى، ولما كان هذا القول يروى مستندا إلى أسانيد جيدة يرجح على القول الثانى وتؤتى هذه الرواية بكرامة أهل البيت وقربتهم وشرفهم.

وقال حضرة جابر وهو يبين سبب تسميته بلح الصيحانى، كنت قد ذهبت يومًا

(١) نوع من الحساء يصنع من الزبادى أو الحليب المتخمر ويخلط بالدقيق أو بماء اللحم ثم ينشف فيطحن.

مع النبي ـ عليه صلوات الله الملك المنان ـ إلى بساتين النخيل، وكان معنا على بن أبى طالب وكانت يده المؤيدة بالفيض فى يد النبى ﷺ .

وكان كلاهما أمامى بعدة خطوات، ومرا بجانب نخلة وكانت تلك النخلة موزونة القامة فصاحت صيحة شوق وابتهاج وقالت «إن ذلك الشخص سيد الأنبياء محمد «عليه صلوات الأحد» وبجانبه سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين» كذلك نطقت إحدى النخيل القريبة منها وقالت صائحة: «إن هذا الشخص محمد رسول الله وبجانبه على سيف الله» فقال رسول الله ﷺ «يا على «فلتسم هذه الأشجار بعد هذا «بصيحانى»، وانتشر الخبر بين الأهالى وشاع وأخذوا يطلقون لهذا الجنس من النخيل «الصيحانى» انتهى.

وإن كان بلح المدينة كثير الأجناس مختلف الأنواع إلا أننى استطعت أن أعد ما يقرب من مائة وثلاثين نوعا «ولا يشبع للطاقة نوعى العجوة والبرنى وحلاوة مذاقها».

بناء على ما فصل فى الصورة الثانية من الوجهة الأولى لم تبق من أنواع البلح فى زماننا القدر الذى ذكره المرحوم السمهودى، لذا قرر أن يطلق على جميع أنواع البلح «اللون»[١] ما عدا الأسماء التى ذكرت فى الوجهة المذكورة وعددت.

(١) روى فى بعض كتب التاريخ أن أول من غرس النخلة هو شيث عليه السلام.

في بيان وتعريف نجاة سكنة دار السكينة
من مضرة الطاعون والدجال

قال النبي ﷺ ليبين مدى حبه القلبي للمدينة المنورة «اللهم حبب لنا المدينة كحب مكة أو أشد»، وبهذه الطريقة كرر النبي ﷺ الدعاء للمدينة، وسبب تكراره يومئ بزيادة رغبته ـ عليه السلام ـ، والداعي لهذا الدعاء ما قاله بلال بن رباح الحبشي اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن أبي ربيعة وأمية بن خلف إنهم أخرجونا من بلادنا وكانوا سببًا في الهجرة إلى بلد كثيرة الوباء.

قال بعض الأئمة: «إن النبي ﷺ قد كرر الدعاء المذكور مرات عديدة؛ مع أن استجابته قد ظهرت بعد أول مرة»، إن الحكمة من هذا التكرار هي وفرة الوفرة في أوزان دار الهجرة وأكيالها على شكل محسوس، إذ أن الفيض والبركة اللذين في مد أوصاع المدينة المنورة لا يظهران في أكيال وأوزان سائر البلاد، لأن النبي ﷺ كلما عاد من سفر إلى المدينة المنورة كان يمد نظره إلى جدران تلك المدينة وأحجارها وأسواقها وأشجارها ويرخي النظر بالفرح والابتهاج إليها، ثم يدعو عارضًا دعاءه إلى واهب الآمال إذ يقول: «يارب قدر لنا القرار في المدينة ويسر لنا سبل المعيشة بالرزق الحسن، يارب! بارك في المدينة بضعفي بركة مكة، اللهم اجعل مد المدينة وصواعها وأكيالها مباركًا لهم».

وكما هو معلوم لدى من يدققون النظر أن الفيض والبركة اللذين يسودان المدينة في يومنا هذا هما أثر من آثار استجابة الله ـ سبحانه وتعالى ـ لذلك الدعاء إن مؤونة إدارة المدينة المنورة لسنة كاملة تقابل مؤونة إدارة البلاد الأخرى لستة أشهر، إذ يحدث أحيانًا أن طعامًا يرى غير كاف لإشباع نفر واحد يشبع عدة أشخاص ثم يفيض أيضا، إن هذه الأمور الدقيقة معروفة سواء أكان عند أهالي

المدينة أو كان لدى المجاورين والمسافرين الواردين، كما أن المدققين من الزوار يزيدون من محبتهم ورعايتهم لأهل المدينة إذا جربوا ذلك ورأوا بأعين رءوسهم ذلك الفيض وتلك البركة.

وإذا كانت الأشياء محسوبة لهذا البلد هذا القدر من الفيض والبركة لا شك فى أن أهالى ذلك البلد يفضلون الآخرين فى أمور دينهم وآخرتهم وبناء على هذا فإن طاعات وعبادات سكنة دار الهجرة تستلزم تضاعف أجرها ومثوبتها.

وكان أهالى دار الهجرة فى عصر النبوة عندما ينضج التمر ويصل إلى كماله، يأخذ كل واحد منهم عنقوداً من التمر ويقدمونه لعتبة رسول الله حتى ينالوا دعاء رسول الله ﷺ بالبركة، وكان الرسول ﷺ يمسك التمر بيديه المباركتين ويدعو لأهل المدينة بسبب ما يؤخذ إليه من البلح الطازج قائلا: اللهم أنعم على مدينتنا وأكيالها بالبركة، يارب كان إبراهيم عبدك ورسولك، وإننى عبدك ورسولك، وقد دعا إبراهيم لمكة المكرمة، وأنا أدعو أن تنعم بمثل ما أنعمت على مكة المكرمة من الفيض والبركة على المدينة المنورة، وشرف فى يوم ما مع على بن أبى طالب المحل الذى كان يسكنه سعد بن أبى وقاص فى «حرة سقيا» وتوضأ الرسول ﷺ فى هذا المكان ثم استقبل القبلة ودعا قائلاً: اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك ودعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك فى مدهم وصاعهم مثلى ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين، وقال ابن شبّة: إن ملك السرائر المصطفى ـ عليه من الصلوات أصفاها ـ قد كبر فى خاتمة دعائه.

وخرج رئيس ينابيع الفيض والبركة ـ عليه أصفى التحية ـ فى يوم ما للذهاب إلى مكان يقال له «بيرحاء» فى نواحى المدينة المنورة، وكان فى معيته أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ، وعندما وصلا إلى المكان المذكور استقبل الرسول ﷺ القبلة ورفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه تحت منكبيه وقال: يارب كان إبراهيم خليلك ودعا لأهل مكة، أنا أيضا رسولك، أدعو لأهل المدينة طالبًا الفيض

والبركة، وكما أحسنت إلى أهل مكة فألق ببركتك لمد سكان المدينة وصواعهم وضاعف قليلهم وكثيرهم ضعفين، يارب كل من يقصد أهل المدينة بالسوء فألجه وأذبه كما يذيب الماء الملح[1] «حديث شريف» هذه الرواية منقولة عن أبى هريرة بالتواتر.

نقل علة الحمى خارج المدينة المنورة

تعرض بعض أصحاب النبى ﷺ فى ابتداء الهجرة المستلزمة للحكمة لعلة الحمى واشتكوا إلى رسول الله ﷺ، فصعد شافى الأمة من أدوائها ـ عليه أجمل التحية ـ المنبر وقال: «اللهم أنقل عنا الوباء» وبهذا الدعاء رجا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الحكيم المطلق العلة إلى نقل العلة إلى أو إلى أماكن أخرى وفى الغد قال: قد جاءتنى الليلة عجوز فى ملابس سوداء وقالت لى: إن العلة التى دعوت لنقلها هذه هى فأين تريد أن أنقلها من المدينة المنورة؟ فأجبتها، أن تنقلها إلى «خم» وبهذا أخبر بأن علة الحمى قد نقلت إلى موقع «خم» وبعده بيوم مثل أحد أبناء السبيل أمامه آتيا من جهة مكة، فسأله قائلا: من الذى قابلته فى الطريق؟ فأخذ الرد الذى يقول «لم أقابل أحدًا غير عجوز منكوشة الشعر فى ملابس سوداء» فقال المطلع على السرائر ـ عليه سلام الله القادر ـ إن تلك العجوز علة الحمى وإنها لن تستطيع أن تعود إلى المدينة مرة أخرى.

وهكذا نقل ما جرى، وعلى هذا فعلة الحمى بين حرات قريضة وعريض، اللهم أحمنا فى المدينة وأنقل حماها إلى مهيعة[1]! وإذا بقى منها شىء أبقه خلف مشعط[2]، وقال إذا كان فى جزء من المدينة وباء فهو فى «ظل مشعط» وكل من شرب ماء فى جحفة بعد هذا الدعاء تعرض للحمى، وكل طائر طار من فوق نواحى هذه القرية أصيب بمرض ووقع على الأرض.

وجاء فى سيرة ابن هشام، أن تلك الأحاديث تومئ إلى أنه قد ظل فى المدينة نوع من المرض قليل الخطر وهو المرض الذى فى المدينة الآن، ولكن هذا المرض

(١) تقدم تخريج هذه الأخبار.

(٢) مهيعة اسم آخر للجحفة.

(٣) مشعط على وزن مرفق اسم قلعة فى بلاد بنى هذيل وفى الجانب الغربى من مسجدهم وبالقرب من «بقيع الغرقد».

ليس بشيء خطير نتيجة لاستجابة دعاء الرسول الكريم، ولكنه مرض رجع فى عصر الرسول لكفارة الذنوب وهو مرض خفيف، وهذا المرض هو حمى «أم ملدم» وبناء على الرواية التى نقلت عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أن حكيم الأنبياء ـ عليه أفضل التحايا ـ حينما دعا، فى الصورة المشروحة، رأى ذلك المرض ورغب أن يرحل إلى نواحى «قباء» وكان المرضى الذى رآه الحمى المسمى بـ «أم ملدم» الذى اتجه ناحية قباء رأسًا، بناء على الأمر الذى صدر له من النبى ﷺ، وأخذ يزعج سكانها، ولم يكن فى استطاعة مخلوق أن يفهم سر هذا الحكم وقد انزعج سكان قرية قباء من الحمى العارضة لبلدهم، وذهبوا إلى الرسول ﷺ يعرضون عليه ما حدث وطلبوا منه أن يدفع عنهم تلك الحمى.

فرد عليهم الرسول ﷺ قائلا: «الدعاء لرفع الحمى وإزالتها ممكن ولكن تحملكم لها كفارة لذنوبكم» فقالوا: «إننا نتحمل المرض بأمنية كفارة الذنوب ثم عادوا».

إخطار

وإذا قيل بما أن المرض من الأشياء المحسوسة فكيف يظهر على شكل امرأة عجوز؟ يقال لهؤلاء: إن أقوال النبى ﷺ وأفعاله إخضاعها لقواعد العلوم المضبوطة والفنون المعلومة من جهة، ومن هنا يجب أن تنحى فكرة التحليل والتطبيق جانبًا تأدبًا، ومن جهة أخرى ينبغى أن يقبل كل ما يروى عن النبى ﷺ دون تردد، وأن يصدق. انتهى.

إن النبى ﷺ المطلع على أسرار الحكمة قد تفضل قائلا: قد أرانى جبريل الطاعون والوباء ومرض الحمى، وكلفنى أن أبقى واحدًا من هذه العلل فى المدينة، وإننى أبقيت على الحمى ورددت الطاعون، وإن كان الطاعون باعث استشهاد لأمتى إلا أنه زاجرا للكفار، وهذا ما ينقل عن النبى ﷺ ويروى؛ لذا لا يقدر لا الطاعون ولا الوباء الدخول فى المدينة المنورة، أما الحمى فهى ليست وباء ولكنها رحمة من الله.

قد فكر علماء الحديث فى هذا الموضوع ورتبوا هذا الحوار الذى يشتمل على السؤال والجواب:

السؤال: إذا كان الطاعون سببًا فى الاستشهاد، فهل يصح أن يدعو النبى ﷺ بعد دخوله إلى المدينة؟

الجواب: الطاعون عبارة عن طعن الجن، مع أن دخول الشيطان والكفار من الممنوعات من الدخول فى المدينة، وإن دخلا فلا يقدران على ضرر أحد، وهذا مما يدعو إلى الثناء والمدح للمدينة؛ لأجل ذلك دعى بعدم دخولهما، أو أن الطاعون فى المدينة لا يصل إلى شدة الطاعون الذى ظهر فى «عمواس، وجارف».

الحكم:

مع الاحتمالات الموجودة فى هذه الإجابة ليس هناك تاريخ يخبرنا بدخول الطاعون فى المدينة، والطاعون الذى أجرى حكمه فى سنة ٧٤٩ فى جميع أرجاء البلاد العربية حتى فى مكة المكرمة لم يدخل المدينة المنورة الميمونة، انتهى.

لما كانت الحمى فى المدينة مرضًا بدلاً من الطاعون فلا شك فى استشهاد فيمن يموتون فيها، ومن الخطأ أن يورد إنسان فى خاطره سؤال، يا ترى ماذا كانت الحكمة فى اختيار حاذق الأنبياء ﷺ علة الحمى من أجل أهل المدينة؟

عندما دعت الحاجة إلى الجهاد وحرب مشركى الحجاز وقتالهم ونزلت الآيات الجليلة تدعو إلى القتال كانت علة الحمى أضعفت الأصحاب الكرام فتفضل النبى ﷺ بالدعاء لنقل الحمى إلى الجحفة، وقد أصبحت المدينة المنورة التى كانت مركز العلل والأمراض أصبحت بفضل دعاء النبى ﷺ أصح بلاد الله وأصلحها، وقد اختيرت علة الحمى حتى ينال مرتبة الشهادة من لم يستشهدوا فى الجهاد وماتوا بسبب الحمى، ولم يقدر وباء الطاعون أن يدخل المدينة المنورة بعد دعاء النبى ﷺ وبهذا تحقق أن دعاء النبى ﷺ كان رهن الاستجابة. وإن جاء وقت لبيان آراء أطباء عصرنا فى وباء الحرمين ومناقشة هذه الآراء إلا أننا تركنا ذلك لذيل الصورة.

وإنه قد عين من قبل الله سبحانه وتعالى كثير من الملائكة فى طريق المدينة ليحولوا دون دخول الطاعون والدجال فيها، كما جاء فى الخبر، وإن كان الدجال سيقدم إلى قرب سور المدينة إلا أنه لن يستطيع الدخول فى داخل المدينة، ليس هناك بلاد مصونة من دخول الدجال غير الحرمين، وليس فى الحرمين شارع يخلو من حراس من الملائكة، وسيتوجه بالدجال عن طريق الشرق إلى المدينة الأمينة وسيتعرب من خلف جبل أحد وعندما يصل إلى هذا الجبل سيعيده الملائكة إلى مكان ظهوره ويهلكونه، وسيكون للمدينة فى ذلك الوقت سبعة مداخل وسيكون فى كل باب ملكان والمنافقون سيخرجون من هذه المداخل ويبايعتون الدجال.

ووقف النبى ﷺ يومًا من الأيام بين رايتين وخاطب أصحابه قائلا: «ما أجمله من مكان المدينة المنورة، عندما يخرج الدجال فى يوم الضلالة ستحمى الملائكة شوارع المدينة وأطرافها، ولن يدخلوه إلى المدينة، وإنه لن يبقى منافق لا يبايع الدجال فى ذلك اليوم وسيكون معظمهم من طائفة النساء، إن اسم ذلك اليوم يوم «الخلاص» وفى يوم الخلاص ستطرد المدينة المنورة المنافقين وتزيلهم عن المدينة كما يزيل كير الحداد وسخ الحديد وينقيه، وسيكون مخيم الدجال فى ذلك الوقت فى مكان يسمى «مجمع السيول» وسيكون معه سبعون ألفا يهوديًا مسلحًا، وخاطبهم فى يوم آخر قائلاً: «يا أهل المدينة! تذكروا يوم الخلاص!» وأجاب على سؤال الصحابة» أى يوم، يوم الخلاص؟» هو اليوم الذى سيتوجه فيه الدجال إلى المدينة المنورة، ويأخذ المنافقين والمشركين فى دائرة بيعته ويظل المؤمنون وحدهم إذ تخلصوا منهم».

لم يتفق الأئمة الكرام فى تعيين المحل الذى سينزل فيه الدجال فى المدينة المنورة فقال الإمام أحمد بن حنبل: إنه سينصب خيامه فى ممر محل يطلق عليه «جرف»، وقال ابن ماجه إنه سيعسكر فى مكان ينتهى إلى ممر جرف من الطريق

الأحمر. وقال الزبير بن بكار إنه سينصب خيامه فى موقع «مجمع السيول» ومع هذا فالثلاثة صادقون فى أقوالهم، وإن ظهرت الأماكن التى ذكروها مختلفة إلا أن كلها فى ساحة الميدان فالألفاظ مختلفة ولكن مفادها واحد.

وأينما نصب الدجال فى المدينة سيمنع من قبل الملائكة كما ورد فى الحديث الشريف، ولن يدخل المدينة المنورة وسيعرض المشركون والمنافقون بيعتهم على الدجال وقد أصابهم الهلع والقلق من حركات الأرض وبهذا لن يبقى داخل أسوار المدينة إلا المسلمون الخُلص وبهذا سيتضح أن المدينة المنورة الطيبة تنفى الخبث وتزيل الوسخ، ويرون أن أكثر من سيعرض بيعته للدجال من الطوائف النساء والجوارى.

مهمة

دجال مأخوذ من كلمة «دجل» بمعنى سحار وكذاب، وبناء على عقيدة أهل السنة أنه سيظهر فى آخر الزمان وإنه سيحكم ما يقرب من أربعين يومًا ما بين الشرق والغرب، وستظهر على يديه بعض الخوارق مثل، إنزال المطر، وتنمية العشب، إحياء الموتى، الكشف عن الكنوز، وإنه سيدعو الذين بايعوه إلى عبادته ويأمرهم مدعيًا الألوهية، وعندئذ سينزل عيسى بن مريم على الأرض بقدرة القادر المطلق وسيقتل الدجال بجانب «لد» من جبال الشام وعلى قول إن الدجال حينما يرى حضرة عيسى - على نبينا وعليه التحايا - سيذوب مثل الملح والذين بايعوه سيتعرضون جميعًا للقتل ويزالون من الوجود.

إن الأخبار الصحيحة والأسرار الخفية التى ذكرت من الغوامض الشرعية التى أنبأ بها النبى ﷺ ماهى إلا وحى من الله - سبحانه وتعالى - ومن التبليغات العلمية التى أبلغنا بها الأولياء الكرام والصلحاء ذوى الاحترام بعد الاطلاع على الآثار النبوية، وإن هذه التبليغات الشرعية خارج الاطلاعات البشرية والإيمان بها يعد من الضرورات الدينية وحسن تلقيها من الوظائف المذهبية، كما هو معلوم لدى أربابها.

ذيل

سُئِلَ أحد الذين أجلوا أداء فريضة الحج لوقت شيخوخته وهو مالك للقدرة الشرعية للذهاب إلى دار الأمن حرم الله محرمًا «لماذا تتردد فى إيفاء الحج وما هو السبب؟» ولا شك أنه سيجيب قائلاً: «إننى مازلت فى طور الشباب! إذا ما ذهبت إلى الحج لن أستمزج بماء البلاد الحجازية وهوائها، ولاسيما الازدحام والكثرة يسببان انتشار الأمراض المعدية، ومن المحتمل أن أصاب بهذه الأمراض وأموت فى شرخ شبابى، وإذا فرض بأننى نجوت من الأمراض المعدية فإننى سأتبع هواى وأرتكب الذنوب بطيش الشباب وعندئذ أكون قد أنفقت النقود فى لاشئ، كما أننى أكون قد ضاعفت عصيانى لله.

ولكن الحجاج الذين يعودون سالمين يجب عليهم أن يتصفوا بمحاسن الأخلاق! ولا يكون هذا إلا باجتناب ارتكاب المعاصى والآثام وبالاحتراز من الاختلاط بالذين تعودوا على ارتكاب الآثام، ولما كان أصدقائى قد تغلبت عليهم حظوظهم النفسية ومادمت أننى سأختلط بهم عند عودتى فلن أتمكن من القيام بالأعمال الصالحة، لأن بلية الشباب لن تمكننى من الابتعاد عن بؤرة الفساد».

يرى فى هذا الجواب غير المعقول، كما لا يخفى على أهل التدقيق، أن هناك سببان مستقلان فى عدم ذهاب شبابنا» أقصد بهم من تجاوز الثلاثين: «**السبب الأول** عدم قدرتهم على مقاومة الأهواء النفسية بعد الرجوع من الحج، **والثانى**: وجود الأمراض فى الحرمين» وهو زعم فاسد.

وفى الواقع أن هذا الجواب يجذب الانتباه؛ فالذين يعتقدون فى القدرة الإلهية يتحاشون من تلك الإجابة ويجتنبونها، وإن كان هذا السؤال يبدو موافقًا لعقائد الموحدين، إلا أن أغلب شباب زماننا يحملون فى رءوسهم هذه الأفكار.

قد ألقيت ـ أنا جامع هذه الحروف ـ هذا السؤال سالف الذكر على الكثير من الناس وتلقيت منهم إجابات أبشع من ذى قبل، ولكننى وفقت فى تصحيح عقائد

غير قليلين منهم، ويجب ألا يخفى علينا أن هذه الإجابات ليست ثمار أذهانهم بل هى محاصيل بعض أشخاص ذوى أفكار فاسدة واعتقادات مضرة، والتى بذرت في مزارع قلوب بعض المسلمين السذج، وكأن البلاد الحجازية ذات المغفرة مستعدة لإنبات الأمراض المعدية وإنه عندما يرد إليها الحجاج فى موسم الحج فمن المحال ألا تظهر فيها بسبب الازدحام الشديد، وباء الكوليرا، والأمراض الأخرى المعدية المخيفة وأن ذهاب الشباب إليها فى هذه الحالة يستدعى سفرهم حتى الآخرة أليست هذه العقيدة غريبة؟!.

وما يؤسف له، بينما كان تراب الحرمين الشريفين محفوظًا من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأن الأوبئة والطواعين والعلل الأخرى المعدية قد طردت نتيجة لدعاء النبى ﷺ، وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة، إلا أن ما ينشره الأجانب ذوو الأغراض السيئة يتلقى قبولاً حسنًا ويعتقد فى صحته التامة! مع أن عمر الإنسان مقدر من قبل الله لا يزيد دقيقة ولا ينقص ثانية، كما يؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٣٤).

إن كشوف أطباء أوربا الوهمية أن أراضى الحجاز المقدسة موطن ومولد مرض الطاعون قد دفعت بعض أهالى أوربا فى أوائل القرن الحالى إلى تصديق ادعاءاتهم، ونتيجة لهذا التصديق تطرق خلل لعقائد قصار النظر من العوام، إلا أن عدم استناد الكشفيات المشكوكة لهؤلاء الأطباء إلى أساس لم يثبت حتى فى تلك الأوقات، وإن كشفهم ما هو إلا وهم مطلق.

ليس هناك أحد من هؤلاء الأطباء الحاذقين قد زار أراضى الحرمين الشريفين حتى تؤخذ تجاربه وكشوفه مأخذ الجد، وترقى إلى كونها حكمًا.

ولما كان فن الطب قد تقدم فى عصرنا إلى أقصى حد، وقد وجد أطباء أوربا منشأ الطاعون ومولده وخطئوا أسلافهم وقد أجروا فى هذا الخصوص تدقيقات كاملة ونشروا الحقيقة فى مؤلفات عديدة.

وإن كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ الحكيم يعمل على تصديق فكرنا الصائب إلا أن بعض المسلمين السذج الذين بذر فى قلوبهم بذور الفساد لم يستطيعوا أن يخرجوا من مستنقع آرائهم العتيقة، فما أغرب أن يعتقد فيما قاله أطباء أوربا غير مشهورين إن أراضى الحرمين تنبت العلل المعدية، ثم يتردد فى تصديق ما قاله أطباء أوربا الحذاق «من: أن منشأ مرض الطاعون هو الهند وهذا ثابت قطعيًا» وتردد أطباء الإسلام فى تصديق ما قاله الأوربيون: إن الحرمين منبت العلل المعدية أى أن منشأ الطاعون البلاد الحجازية المقدسة، وأخذوا يتحرون عن جهات ظهور تلك العلة وأسبابها ويفحصون، وعندما أثبت «جاقود» أحد أساتذة مدرسة الطب الفرنسية وأحد مشاهير أطباء أوربا المتسم بالحذاقة والمتحلى بالرزانة الفكرية والفصاحة العلمية والمصدق لدى الجميع، إذ استنبط من المؤلفات التى كتبها علماء المدرسة المتمدنة فيم كتب عن الأمراض الباطنية أن مرض الطاعون «الكوليرا» المخيف يظهر فى أراضى الهند ويعرف الأسباب التى توجب ظهوره وذلك بالأدلة، وقد صدق أطباء الإسلام بلا تردد ما جاء فى ذلك الكتاب وقرروا أن منشأ ظهور مرض الطاعون الهند.

ولما نال أثر «جاقود» هذا ورأيه الرزين إعجاب الجميع قد رأينا من الواجب ترجمة هذه الرأى آملين بأنه سيكون سببا فى تصحيح أفكار الشباب المسلمين وعقائدهم:

أسباب تولد الطاعون وظهوره

يقول جاقود: إن السم القاتل المتسبب فى تولد الطاعون يتولد فى الأراضى الهندية ثم يندس فى البدن ويتغلغل فيه ليظهر المرض المخيف وإن كان السم القاتل فى أول ظهوره يشبه الأمراض البلدية فى قوته إلا أنه ينتقل من إنسان لآخر وهذا دليل قاطع على أنه من الأمراض المعدية، ولم يعرف إلى الآن سبب ظهور هذ السم فى مواطنه.

والحال أنه إذا ما حلل تراب المكان الذى يجرى فيه حكمه كأنه مرض محلى

عادى فأكثر أراضيه مستنقعات يرى فى هذا التراب مواد نباتية وحيوانية بوفرة! وحينما ينزل المطر وينخل تراب تلك الأراضى المذكورة يشتد تأثير تلك المواد النباتية والحيوانية الطبيعية، وإذا ما نزل المطر لفترة يومين بعد جفاف دام فترة ما، يجدد المطر وينبه الطاعون الذى قل أو نمى كليا.

ومع ذلك فطبيعة السم والأسباب الأخرى للمرض مجهولة إلا أن لإقامة الناس فى الأراضى الزراعية مزدحمين غير مهتمين بالنظافة دخل كبير فى تولد علة الطاعون ومن البواعث التى تنضم إلى المؤثرات الإقليمية التى تولد الطاعون هى عدم الاهتمام بالطهارة والنظافة وعدم الاعتدال فى الشرب والأكل بين الزوار الذين يجتمعون محتشدين فى مصب نهر «غُنج» وفى موقع يطلق عليه «جمته»[1].

ومع هذا ليس من الجائز أن نحكم أن المرض مربوط بالأراضى ذات الطبيعة المعينة والأراضى الزراعية نظرًا لوجود المرض الدائم فيها، وأن كل هذه الأسباب العديدة سبب يولد مرض، لأنه قد تحقق وجود المرض كمرض محلى فى الأماكن الأخرى من الأراضى الهندية حيث لا يزدحم الزوار والناس.

يطلق على المجتمعين من الهنود فى مصب نهر «غنج» وموقع «جمنة» حجاج، ولما ثبت يقينًا ظهور الطاعون بينهم فتعبير «يظهر الطاعون فى الحجاج» نشأ من هنا وبهذه القرينة قد أطلق على البلاد الحجازية المباركة «مولد الطاعون».

فالذين يتذكرون بعد المسافة بين نهر غنج والبلاد الحجازية والذين يعرفون أن مدينة الله آباد[2] حيث يلتقى النهر المذكور بنهر جمنة تبعد عن ميناء «جدة» ألف وخمسين ميلاً جغرافيًا فمن المحال ألا يعتقدون أن ما يدعيه أطباء أوربا ما هو إلا وهم مطلق ومن هنا لزم مد القراء ببعض المعلومات عن ذلك النهر المذكور، إن نهر «غنج» على وزن «كنج» نهر يستغنى عن تعريفه لدى أربابه، ينبع من جبال

(١) إن هذه الأماكن بسبب رطوبة المجرى تظل فى حالة المستنقعات.

(٢) تقع مدينة الله آباد فى الجهة الغربية الشمالية من مدينة «قالكوته» وعلى بعد ٤٧٠ ميلاً منها وعلى ٢٨ درجة طولية شرقية و٢٥ درجة وعلى ٤٥ دقيقة فى العرض الشمالى.

«هيمالايا» المستورة بالثلوج فى صورة دائمة وينصب فى خليج «البنغال» وهو نهر غاية فى العظمة والكبر، ويرتفع منبعه عن سطح البحر بـ «١٣٨٠٠» قدمًا فهو أعظم أنهار الهند وأهمها سواء أكان من الناحية التجارية أو من حيث الاتساع، وبما أن منبعه ومصبه فى بلاد واحدة أى فى داخل الهند فهو مرجح على الأنهار الأخرى التى تنبع من بلد وتصب فى بلد آخر، فمجرى ذلك النهر على العموم من البنجاب الذى يقع فى الجهة الشرقية الشمالية إلى «البنغال» والمياه الجارية التى فى أطرافها وأكنافها تتحد مع بعضها مثل عروف الأشجار وأوراقها ثم تلتقى كلها بنهر غنج ويشكل منظرها هيئة غريبة على شكل أوراق الأشجار، وإلى أن ينزل مجرى نهر الغنج من منبعه إلى هضبة مستوية شديدة الانحدار ومن مبدأ هذه الهضبة إلى خليج «البنغال» ١٣٠٠ ميل.

وعندما يصل هذا النهر للهضبة المذكورة المستوية، يساعد على سير الفلائك المحلية وبعدها بمائة ميل على سير مراكب كبيرة نوعا ما، وفى داخل مصبه بأربعمائة وسبعين ميلاً عند مدينة «الله أباد» يتحد بنهر «جمنة» على وزن عمرة ويكون اتساعه ما يقرب من ميل إلا أن اتساعه فيما بعد وعمقه يختلفان درجة بعد درجة، وفى داخل مصب هذين النهرين اللذين يكتسبان الضخامة باتحادهما بـ ٢٨٠ ميلا وفى الجهة اليمنى منها تتشعب مياه صغيرة وتكون نهر «هولى» الذى يقع عند مدينة» قالكوته «ولكن مجراه القديم يتحد بنهر براهمة بوتره» الذى يقع فى الجهة السفلى من قالكوتة وكلما آقترب من البحر انقسم إلى شعب متعددة وصَبَّ فى البحر من عشرين مصبـــًّا تقريبًا.

والجزر التى تتكون بين هذه المصبَّات تكون فى كل المواسم فى حالة المستنقعات هواؤها ردئ مهلك ومضر للإقامة وغير صالحة للحياة.

وتقع مدينة الله أباد عند نقطة التقاء نهرى غنج وجمنة ولما كان هذا الموقع مكانًا غاية فى السعد والقداسة بناء على اعتقاد الهندوس، فمن المستحيل تعيين الزوار الذين يأتون ويذهبون إلى المدينة، ويطلق الهندوس على الذين يزورون نقطة التقاء النهرين «الحجاج» والذين يدينون بمذهب «البراهمة» يعدون من يزور

نهر «براهمه بوترا» من أعزة الناس، والهندوس الذين يعتقدون فى هذا ولاسيما من يتبعون مذهب البراهمة يزيد احترامهم لتلك الأنهار المذكورة ويقدمون مدينة الله آباد ونهر براهمة بوتره حتى إنهم يعبدونها كمعبود مطلق ويرمون جنازاتهم فيها بعد أن يربطوها بأشياء ثقيلة.

مطالعة

إن ما يطلق عليهم أطباء أوربا «الحجاج» هم بعض الهنود الذين يزورون مدينة الله آباد، ولما كان هؤلاء الناس يميلون إلى القذارة بطبيعتهم ولما كانت الأماكن التى يزورونها فى حالة من القذارة ومستنقعات، فلا يحتاج إلى إقامة دليل أنها ستكون مواطن أمراض، والجدير بالدقة والانتباه أن الزوار الذين يجتمعون فى مصب نهر غنج وأراضى جمنه ينقلون أمراضهم إلى أوطانهم الأصلية عند عودتهم، وبعضهم ينقلونها إلى البلاد الحجازية المستورة.

إن تحول حكم مرض البلد عند عودة الزوار يعنى اشتداد المرض وظهور الأمراض المعدية عند وجود الزوار يفهم من الفرق الذى يلاحظ كل سنة.

وإن كان أثر السم الذى يولد الطاعون يظهر عقب إصابته ببضع ساعات إلا أن تفريخه «أى ظهوره تدريجيًا فى حكم مرض مخيف» يمتد من ثلاثة أيام إلى خمسة أيام فالشخص الذى يصاب بذلك السم ينقله من مكان إصابته إلى مكان آخر فى أثناء انفراخ المرض وعندما تنتهى المدة المعينة يتبين بأنه أصيب بالمرض إذ تظهر آثاره عليه، وفى بعض الحالات فإن العدوى لا تؤثر فى المريض بحيث تمنعه من الحركة فى الحياة اليومية، إلا أنه يرى بعض الأعراض وحسب وإن هاتين الحالتين المضرتين تجعل القافلة تظن أنها عادت سالمة من إقليم المرض ولكن أفراد القبيلة ينقلون العدوى من مكان ظهورها إلى أماكن أخرى وبلاد مختلفة، إن انتشار الطاعون على الوجه المحرر يعنى انتقال العلة بواسطة الوسائل المشروحة هنا وهناك أصبح منبعًا جديدًا لعدوى ذلك السم إذ يهاجر المرض من موقعه الأصلى إلى أماكن أخرى مع القافلة التى تتحرك وإن ظن ملأ القافلة أنهم تركوا الطاعون فى مكانه:

شكر الخاتمة

هذا الكتاب الذى تزدان ديباجته بصفات السلطان عبد الحميد الثانى ـ الذى لازال محفوفا بالتوفيق الصمدانى استوجب أن تتضمن خاتمته نبذة عن حميد صفاته وهذا ما أراه سعادة لى وفخرا وإبراء للذمة.

ما كان من سلطان مثله فى عدله

ها هى آثاره البديعة وتلك آثار السلف

بنور عدل هذا السلطان العظيم المنشور

أصبحت مرآة العالم من الظلم محرر

ولا ريب أن صفات السلطان الملكية مجتلى حكمة الله بديعة التدبير. وكيف يرتاب فى ذلك؟! وقد اعتلى العرش العثمانى وجسم الدولة الجسيمة قد أوشك على الانهيار ولكنه استطاع بمنة الله أن يضع يده على نقطة الداء بتدابيره الحكيمة وهمته الملكية وأن يشفيه ويبرئه فى مدة وجيزة فرفعت الدولة رأسها قائمة على رجليها مما جعل كبار رجال الدولة يلهجون بالشكر والحمد أمام هذه الأعمال الفجائية العظيمة فضلا على الأجانب الذين وقفوا مبهوتين مستغربين مما حدث.

وبفضل هذه التدابير الحكيمة ونتائجها المثمرة كسبت عاصمة ملكه إستانبول الأهمية السياسية وأصبحت مركزاً موازنًا لأوربا كلها. ونظم الجيش على نحو لم يسبق له مثيل قبل هذا. واستطاعت خزانة الدولة التى كانت تمر بأزمة مالية نتيجة للظروف السيئة أن تتخلص قليلا من مشاكلها وأن تمد يد العون لرفاهية الرعايا فى أنحاء المملكة الشاسعة كما أن بذل الجهود لتطبيق أحكام العدل فى الممالك السلطانية فى جميع أرجائها زاد من الأمن والاستقرار مما ألهج الألسنة بالشكر والعرفان وانتشرت العلوم والفنون فى جميع أطراف السلطنة وبهذا نجا أفراد الرعايا من ظلام الجهل والأمية.

ولما رأى أصحاب الفضل والكمال وأرباب القلوب الزكية والأدباء وأرباب الفنون ما في دار الخلافة من مأمن واستقرار اتخذوها ملجئًا وملاذًا.

وطبعت فى العصر السلطانى كتب كثيرة تتضمن موضوعات مادية ومعنوية وتجمع بين فوائد عظيمة دينية ودنيوية وآثار ممتازة أخرى.

وأراد هذا العبد العاجز[1] أن يسعد بالاشتراك فى أفكار السلطان التى تشجع الرقى فى المعارف والعلوم فألفت مرآة الحرمين حيث أسست الكعبة فتحدثت عن المناسك والمعاملات وما تحملت البلدتان المباركتان من صدمات منذ مطلع النور كذلك ما تحمل أهالى حوالى تلك المنطقة من المصاعب وضمنت كتابى كل ما يديم الطمأنينة فى قلوب الموحدين، وفصلت كل شئ ومستمدا العون من شمس السلطان التى تنير دنيا العالم الإسلامى.

إقرار النعمة:

أليس التوفيق فى استجلاب الدعاء من ألسنة المؤمنين للعبد المخلص الصادق السلطان الذى كان سببا فى الدنيا والآخرة شرف عظيم ومجلبة شكر وثناء وحمد؟!.

وبما أننى منذ أن أمسكت القلم بيدى وقفت نفسى لخدمة النبى ﷺ وإن كان كل ما نشرت من آثار كانت مختارات فريدة فى الدين والرسائل الشرعية.

إلا أن كتابى مرآة الحرمين يحتوى على الأسرار المجلية والأحكام الخفية التى لم يطلع عليها حتى المتبحرون من علماء الإسلام وعرضت كل الأحداث بأدلة متقنة يستطيع حتى الأطفال استيعابها، لذا فالكتاب مستجلب الدعاء لأمير المؤمنين من المسلمين فى جميع أنحاء العالم. وجاءتنى بهذا الخصوص رسائل كثيرة وهذا يبشر بأن للسلطان أمير المسلمين منزلة عظيمة عزيزة لدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعند رسول الله ﷺ وبما أن المؤلف كان واسطة لإظهار هذه المكانة فهو يفتخر بذلك ويشكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ على توفيقه. «المنة لله تعالى وفقط»

(١) يعنى المؤلف بكلمة العاجز نفسه تواضعًا منه لله عز وجل.

عرض العذر:

وإن لسانى ليعجز عن تعبير الشكر لحضرة السلطان ولو جزء من الألف لما رأيته بعينى من عطفه على كما أن قدرتى تعجز فى التعبير عما أشعر به من الشكر والامتنان نحو جلالة السلطان، وأمام هذا العجز لم أستطع إلا أن أتوجه إلى الله - سبحانه وتعالى - أن يوفق السلطان فى قيادة الدولة العثمانية وأن يشترك فى رجائى هذا أفراد مملكة الدولة العثمانية المعظمة.

دعاء مفروض الأداء

يا مليك ملك الاستغناء.. مليك الحقيقة والمناء
يا أحكم الحاكمين ومالك من أشباه يا حاكما يحكم بعدل الإله
يا مالك ملك قباب الفلك ويا نافذ الأمر فى الأنس والجن والملك
أعز ملك السلام بالنصر وسهل له كل أمر
اللهم اجعل مليك الزمان السلطان عبد الحميد خان
اجعل له على الأعداء النصر المطلق ولدولته على الدوام الرونق
ما أعظم ما له من بر وإحسان وما رأى أحد مثله فى ملوك الزمان
له طالع المشترى ومن القمر طلعة ومن الفلك رتبة ومن الملك خصلة
الفارس المغوار حارس الأوطان ذو الفضل وعظيم الشان
مسعود الطالع حكيم التدبير ولا مع التنوير
اللهم أطِلْ عمره واجعل ملكه المعمور وأدم على رعيته الرضا والسرور
ألق عليه ظل الأمان واجعل الأمن للعباد فى كل آن
مُنّ على وزرائه بالتوفيق.. ومُنّ على آماله بالتحقيق
وليجد الناس فى عصره كل الرخاء ولتلهج له الألسنة بالدعاء
اجعل من يضمر له السوء ذليلا.. واجعل عدو دينه مخذولا
ومد ظله على الأيام.. واغمر بالرخاء كل الأنام
اللهم خلصنى من حبائل الشيطان.. واجعلنى لك خيرة العبدان..
واجعل الشيطان قاطعا منى الأمل..

واجعل آخر كلامى كلمة التوحيد حين يأتينى الأجل..
مِن شره وكيده يا رحمن..
صُنْ مالى مَن إيمان..
اللهم جد علينا برضوانك..
واجعلنا فى حرزك وأمانك..
وتفضل علينا بجودك وإحسانك.. بمجاورة حبيبك المصطفى فى الدارين..
والفوز من اتباع سنته بما تقرُّ به العين..
وثبت قلوبنا على الهدى.. وسلمنا من الزيغ والردى..
ونجنا من الفتن.. وخلصنا من كدورات هذه الحياة الدنيا.
ووفقنا للقيام بما أمرتنا قولا وفعلا.. وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم
وسامحنا وأساتذتنا وإخواننا أخواتنا وأحبابنا وجميع المسلمين
ولاسيما من اشتغل بهذا الكتاب ورغب به من الطلاب والكتاب.

«آمين بحرمة من جاء رحمة للعالمين»

فرغت من ترتيب هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب فى اليوم المبارك الرابع والعشرين من الربيع الأول سنة تسعة وتسعين ومائتين بعد الألف من أعوام هجرة صاحب أكمل الوصف وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا وسيد العالمين محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل أجمعين والحمد لله رب العالمين.

تقديم ٧

الوجهة الأولى

فى تعريف الأحوال الجغرافية للمدينة المنورة، وعادات أهلها ١١

الصورة الأولى: فى ذكر أحوال المدينة الجغرافية، وأوضاع أسوارها وطرزها ١٣

موقع المدينة المنورة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض ١٣

سورها وأبوابه ١٤

درب المصلى ١٤

الدرب الصغير ١٥

الدرب الشامى ١٥

درب البقيع ١٥

الصورة الثانية: وجوب مراعاة حق جيران رسول الله ﷺ ٢٢

الصورة الثالثة: كيفية دفن من أدركه الأجل فى المدينة ٢٥

الصورة الرابعة: كيف يستقبل شهر رمضان وكيف يكون بالمدينة ٢٨

أداء صلاة التراويح ٢٩

موكب الشموع ٢٩

الصورة الخامسة: موكب الشموع بعد صلاة التراويح ٣١

الصورة السادسة: صلاة الفجر وصلاة عيد الفطر ٣٣

الصورة السابعة: الهيئة الكاملة لمسجد السعادة ٣٥

الصورة الثامنة: فى بيان أبواب حجرة السعادة وقناديلها وشمعداناتها وخدمها ومعنى الفراشة.. الخ ٤١

سبب وتاريخ استخدام الأغوات فى الحجرة المنيفة ٤٣

تعريف مقدار خدمة الفراشة الشريفة ٤٥
مقام أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ٤٦
صورة غسل حجرة السعادة ٤٧
الخدمة الدائمة للخدم ٤٧
تأديب الأغوات ٤٨
تسكين الأغوات ٥٢
خدمات مسجد السعادة الدائمة والمؤقتة ٥٤
الخطباء والأئمة فى الحرم النبوى الشريف ٥٤
مكبرو الحرم الشريف ٥٥
سقاء والحرم الشريف ٥٦

الوجهة الثانية

فى شد الرحال إلى المدينة وزيارة المسجد الشريف

وفضل المجاورة بالمدينةوفضل المنبر والروضة الشريفة ٦٣

الصورة الأولى: فى ذكر الأحاديث الواردة فى شد الرحال إلى مسجد الرسول ﷺ، وتفصيل ذلك ٦٤
الصورة الثانية: فى فضائل مسجده ومنبره وروضته ﷺ ٧٣
مواقع يتضاعف الأجر والثواب فيها فى المدينة المنورة ٧٧
المصلى النبوى وبيان حدوده ٧٩

الوجهة الثالثة

فى تعريف أسماء المدينة، وفضائلها وبعض أحكامها ٨٥

الصورة الأولى: فى بيان أسماء المدينة وألقابها ٨٧
الصورة الثانية: فى فضل المدينة على سائر الممالك ٩٥
الصورة الثالثة: ماورد فى الذين اختاروا المدينة دارًا لهم، ومَنْ أبدعوا البدع فيها ١٠٠

الوجهة الرابعة

فى أوائل حال المدينة المنورة وسكانها وما كان بينهم

من حروب قبل الإسلام ١١١

الصورة الأولى: فى أحوال المدينة الأولى وسكانها القدماء ١١٣

الصورة الثانية: فى ذكر من كان بالمدينة وقت أن هاجر إليها الأوس والخزرج ١١٨

ظهور مالك بن عجلان على يهود المدينة ١٢٤

الصورة الثالثة: قرى ومجال قبائل الأوس بالمدينة ١٢٧

الصورة الرابعة: قرى ومنازل الخزرج بالمدينة ١٣٠

الصورة الخامسة: ما كان من ملاحم وحروب بين قبائل الأنصار قبل الإسلام ١٣٣

وقعة سمير ١٣٣

يوم الرحابة ١٣٤

سلمى ١٣٦

يوم حرب حصين ١٣٨

يوم ربيع الظفرى ١٣٨

يوم فارع ١٣٩

يوم الجسر ١٣٩

يوم الربيع ١٤٠

حرب الفجار ١٤١

يوم الحدائق ١٤١

يوم المعبس والمضرس ١٤٢

يوم الفجار الثانى ١٤٣

يوم بعاث ١٤٤

الوجهة الخامسة

في إرسال مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ
إلى المدينة ووقائع الهجرة النبوية ١٤٧
الصورة الأولى: في ذكر بيعة السابقين من الأنصار ودعوة مصعب أهل
المدينة إلى الإسلام ١٤٩
حكمة كون النبي ﷺ أنصاريًا من الخزرج ١٥٥
الصورة الثانية: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ١٥٧
الصورة الثالثة: في بيان وقائع سنين الهجرة إجمالاً ١٧٥
السنة الأولى للهجرة ١٧٦
السنة الثانية للهجرة ١٨٠
السنة الثالثة للهجرة ١٨٢
السنة الرابعة ١٨٣
السنة الخامسة ١٨٣
السنة السادسة ١٨٤
السنة السابعة ١٨٥
السنة الثامنة ١٨٦
السنة التاسعة ١٨٧
السنة العاشرة الهجرية ١٨٨
السنة الحادية عشرة ١٨٨

الوجهة السادسة

في توسيع وتجديد المسجد الشريف ودار فاطمة ـ رضي الله عنها ـ
ومحراب النبي ﷺ وصفة اصحاب النبي ١٨٩
الصورة الأولى: في تأسيس مسجد السعادة وكيف بني أولاً ١٩١
الصورة الثانية: توسيع مسجد السعادة وتحويل المحراب ١٩٦
الصورة الثالثة: الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ وموقعها من المسجد
الشريف ١٩٨

مؤسس محراب المسجد الشريف ١٩٩
الصورة الرابعة: تعريف جزعة مسجد السعادة ٢٠٢
الصورة الخامسة: سبب تأسيس المنبر وصورته وحنين الجزع ٢١٢
الصورة السادسة: عدد المرات التى عمر فيها المنبر أو جدد ٢١٩
السورة السابعة: أساطين المسجد فى عصر السعادة ٢٣٠
ـ الأسطوانات المختلفة ٢٣٠
ـ أسطوانة عائشة ٢٣٠
ـ أسطوانة التوبة ٢٣٢
ـ أسطوانة السرير ٢٣٥
ـ أسطوانة المحرس ٢٣٦
ـ أسطوانة الوفود ٢٣٦
ـ أسطوانة مربعة القبر ٢٣٨
ـ أسطوانة التهجد ٢٣٩
ـ محراب باب الجنائز ٢٣٩
الصورة الثامنة: الصفة وأهل الصفة ٢٤٧
كيفية إعاشتهم ٢٥٦
الصورة التاسعة: فى تعريف الحجرة النبوية الشريفة ٢٥٩
الصورة العاشرة: دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ٢٦٢
الصورة الحادية عشرة: إغلاق الأبواب التى كانت تواجه مسجد السعادة
فى عصر السعادة ٢٦٤

الوجهة السابعة

فى عدد مرات تجديد مسجد السعادة ومَنْ جدده والزيادة
فى حدوده وكذلك الحجرة الشريفة ٢٦٧
الصورة الأولى: توسيع مسجد الرسول ﷺ لأول مرة ٢٦٩
الصورة الثانية: توسيع وتجديد المسجد للمرة الثانية ٢٧٢

مقصورة المسجد ٢٧٧
الصورة الثالثة: توسيع وتجديد المسجد للمرة الثالثة ٢٧٩
ـ أداء صلاة الجنازة فى المسجد وسبب منعها زمن عمر بن عبد العزيز ٢٩١
ـ موازنة تاريخية بين معاملة سلاطين آل عثمان لأهل البيت ومعاملة سابقيهم من الأمراء والخلفاء ٢٩٧
الصورة الرابعة: تجديد وتوسيع المسجد للمرة الرابعة ٣١٠
الصورة الخامسة: فى تعريف الحجرة المعطرة والقبور الثلاثة ٣١٣
ـ مواقع القبور الثلاثة ٣٢٥
ـ الهيئة المرئية للقبور الثلاث فوق الأرض ٣٢٧
ـ شبكة قبر السعادة ٣٢٧
الوجهة الثامنة
تذكر علامات الرأس الشريف، ومقام جبريل وكيفية حفظ وتعليق الهدايا الواردة، وتاريخ تأسيس القبة الخضراء والمقصورة ٣٢٩
الصورة الأولى: فى ذكر العلامة الدالة على جهة رأس الرسول ﷺ ٣٣١
الصورة الثانية: علامة جهة وجه النبى ﷺ ٣٣٥
الصورة الثالثة: تعريف مقام جبريل وتعيينه ٣٣٧
الصورة الرابعة: مربع القبر الجليل وتجديد فرش حجرة السعادة ٣٣٨
الصورة الخامسة: فى تعريف ستارة الحجرة المعطرة ٣٤١
ـ أصول تعليق ستارة القبر وتجديدها ٣٤٣
ـ الجوهر الشريف ٣٤٣
ـ تعريف حجرة السعادة إجمالاً ٣٤٤
ـ الحجرة المعطرة ٣٤٤
الصورة السادسة: تَخْلِيق(*) حجرة السعادة وكيفيته ٣٤٧

(*) يعنى تطييبها بالخَلُوق، وهو خليط من أنواع الطيب المختلفة.

الصورة السابعة: قناديل الحجرة الشريفة ٣٤٨
الصورة الثامنة: الشبكة الشريفة التى تحيط بالحجرة المعطرة ودار فاطمة رضى الله عنها ٣٦٠
شكل الشبكة وما عليها من خطوط ٣٦٤
الصورة التاسعة: قبة حجرة السعادة ٣٦٨

الوجهة التاسعة

فى ذكر المعلقات والأشياء النفيسة الخاصة بالمسجد والحجرة النبوية والتى حفظت فى أماكن مخصوصة لاستخدامها وقت الأقتضاء وأسماء من أهدوها أو وقفوها ٣٧١

الصورة الأولى: المصاحف والأجزاء والأدعية الموجودة فى الخزينة النبوية ٣٧٣
الصورة الثانية: تفصيل الأشياء النفيسة المحفوظة داخل حجرة السعادة ٣٩٦
الصورة الثالثة: جنس ومقدار الأشياء التى تبرع بها وعلّقت داخل الحجرة المعطرة
الصورة الرابعة: أطقم البُخُور والمسكوكات من الذهب والفضه المحفوظة داخل الحجرة المعطرة ٤١٢
الصورة الخامسة: الشمعدانات والأشياء الأخرى ٤٢٠
الصورة السادسة: الأشياء الفضية النفيسة ٤٣٠
الصورة السابعة: الستائر والأغطية التى تغطى أبواب حجرة السعادة والمقامات الأخرى ٤٣٥
الصورة الثامنة: الشمعدانات والتعليقات والثريات وأسماء من أهداها الموضوعة فى المحاريب الشريفة ومواجهة الروضة الشريفة وحجرة السعادة ٤٣٧

الوجهة الحادية عشر

فى تحويل سقف حجرة السعادة إلى قبة، وتجديد مربع القبر الشريف وجناية محاولة نقل النعوش الثلاثة ٤٤٧

الصورة الأولى: فى تعريف هيئة الحجرة المعطرة ٤٤٩
الأثارات المخصوصة داخل مسجد السعادة ٤٥٦
إحاطة حجرة السعادة بجدار من الرصاص ٤٦١
ماذا لو تعرضت الحجرة الشريفة لسوء قصد ٤٦٧
محاولة إخراج نعش أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) ٤٦٨

الوجهة الثانية عشرة

فى ذكر احتراق المسجد النبوى وتجديده ٤٧٥
الصورة الأولى: فى كيفية احتراق مسجد السعادة وكيف جدد للمرة الأولى ٤٧٧
الصورة الثانية: احتراق المسجد للمرة الثانية وكيفية تجديده ٤٨٣
معجزة باهرة ٤٨٥
ظهور السيل بجوار المسجد ٤٨٦
تجديد المسجد ٤٨٦
عرض خدمات سلاطين آل عثمان للمسجد النبوى الشريف ٤٩١
نص كتاب السلطان إلى محافظ مصر والخاص بنظارة الدشيشة المبعوثة إلى أهالى الحرمين من مصر ٥٠٦
انعقاد مجالس الاحتفالات بالمولد النبوى ٥١٣
إنشاء مديرية الخزانة الخاصة بالمدينة المنورة ٥٢٧
خارقة ٥٣٤
دخول السلطان عبد المجيد فى حجرة السعادة ٥٣٥
الصورة الرابعة: فى تعريف كيفية تعمير حرم السعادة وتجديدة فى المرة السابقة ٥٤٠
الحوادث المحلية ٥٤٠
حال مسجد السعادة والمواقع التى أنشأها محمد رائف

باشا ٥٥٥
تفصيلات مهمة فى أثناء تعمير الحجرة الشريفة ٥٨٢
صورة الأمر السلطانى فى كيفية إعمار الأبنية العالية
المشرفة ٥٩١
صورة الفرمان العالى الصادر بخصوص تعيين عريانى
زاده مشرفًا على الأبنية العالية المشرفة ٥٩٦
الوجهة الثالثة عشر ٦٠١
الصورة الأولى: فى ذكر حجرات مسجد السعادة ٦٠٣
ظهور المذهب الحنفى ٦٠٨
الصورة الثانية: فرش مسجد السعادة وتعليق القناديل فيه ٦١٢
الصورة الثالثة: فيمن عطروا المسجد الشريف ٦١٥
مساحة حرم السعادة ٦١٧
الوجهة الرابعة عشرة
فى ذكر الأبواب العتيقة والجديدة، والأماكن القديمة
حوله وأصحابها، والمكان الذى اتخذ سوقًا فى عصر النبوة ٦٢١
الصورة الأولى: فى تعريف أبواب المسجد القيمة والجديدة ٦٢٣
ـ الباب العثمانى ٦٢٣
ـ باب ريطة (النساء) ٦٢٨
ـ باب عاتكة (الرحمة) ٦٣٠
ـ باب السلام ٦٣٢
ـ باب مروان ٦٤٢
ـ باب بيت زيت الفناديل ٦٤٢
ـ باب المقصورة ٦٤٢
ـ باب خوخة آل عمر ٦٤٢
ـ باب على ٦٤٢

- باب النبى ﷺ ٦٤٣
- باب أسماء ٦٤٣
- باب خالد بن الوليد ٦٤٣
- باب زفاق دار المناصع ٦٤٣
- باب أبيات الصوافى ٦٤٣
- باب دار الضيافة ٦٤٤
- باب دار الحميد ٦٤٤
- باب أبيات خالصة ٦٤٤
- باب بقية أبيات خالصة ٦٤٤
- باب دار منيرة ٦٤٥
- باب بقية دار منيرة ٦٤٥

الصورة الثانية: فى ذكر المنازل القديمة المحيطة بالمسجد النبوى من جهاته الأربعة ٦٤٦

الصورة الثالثة: فى ذكر الأرصفة التى كانت تحيط المسجد النبوى، وبيوت الصحابة رضى الله عنهم ٦٥٦

الصورة الرابعة: السوق التى أرادها النبى ﷺ لأهل المدينة ٦٥٩

أسواق أهل المدينة ٦٦٠

الوجهة الخامسة عشرة

فى ذكر مصلى العيد والمساجد والمنازل القائمة فى ممرات بهذه المساجد ومسجد قباء، والضرار، والمعابد النبوية المعلومة وغير المعلومة ٦٦٣

الصورة الأولى: فى الأماكن التى صلى فيها النبى ﷺ العيد، ومنازل الصحابة التى فى طريقها ٦٦٥

الصورة الثانيـة: مسجد قباء ٦٧٠

مسجد الضرار ٦٨٠

الصورة الثالثة: مواقع المساجد النبوية التى تزار اليوم ٦٨٧

١- مسجد الجمعة ٦٨٧
٢- مسجد الفضيح ٦٨٨
٣- مسجد بنى قريظة ٦٨٩
٤- مسجد مشربة أم أبراهيم ٦٩٠
٥- مسجد بنى ظفر ٦٩٠
٦- مسجد الإجابة ٦٩٢
٧- كيف سلع ٦٩٥
٨- مسجد القبلتين ٦٩٧
٩- مسجد السقيا ٦٩٨
١٠- مسجد الذبابة ٦٩٨
١١- مسجد أحد ٦٩٩
١٢- ركن جبل عينين ٧٠٠
١٣- مسجد الوادى ٧٠٠
١٤- مسجد السافلة ٧٠٢
١٥- مسجد البقيع ٧٠٣
الصورة الرابعة: فى المسجد التى تعرف جهاتها ولا تعرف مواضعها
١- مسجد جديله ٧٠٤
٢- مسجد بنى حرام ٧٠٤
٣- مسجد الخربة ٧٠٤
٤- مسجد جهينة ٧٠٤
٥- مسجد بيوت المطر ٧٠٥
٦- مسجد بنى زريق ٧٠٥
٧- مسجد بنى ساعدة ٧٠٦
٨- مسجد بنى ساعدة الآخر ٧٠٦
٩- مسجد بنى خذارة ٧٠٦

١٠- مسجد راتج ٧٠٦
١١- مسجد بنى عبد الأشهل ٧٠٧
١٢- مسجد القرصة ٧٠٧
١٣- مسجد بنى حارثة ٧٠٧
١٤- مسجد الشيخين ٧٠٧
١٥- مسجد بنى دينار ٧٠٨
١٦- مسجد بنى عدى بن النجار ٧٠٨
١٧- مسجد دار نابغة ٧٠٨
١٨- مسجد بنى مازن بن النجار ٧٠٩
١٩- مسجد بنى عمرو بن مبذول البَّحَّارى ٧٠٩
٢٠- مسجد بقيع الزبير ٧٠٩
٢١- مسجد صدقة الزبير ٧٠٩
٢٢- مسجد بنى خذرة الخزرجية ٧٠٩
٢٣- مسجد بنى الحارث بن الخزرج ومسجد السخ ٧٠٩
٢٤- مسجد بنى الحبلى ٧١٠
٢٥- مسجد بنى بياضة ٧١٠
٢٦- مسجد بنى فاطمة ومسجد العجوز أوس ٧١٠
٢٧- مسجد بنى أمية بن زيد الأوس ٧١٠
٢٨- مسجد بنى وائل الأوس ٧١٠
٢٩- مسجد بنى واقف ٧١٠
٣٠- مسجد بنى أنيف ٧١١
٣١- مسجد دار سعد بن خيثمة ٧١١
٣٢- مسجد التوبة ٧١١
٣٣- مسجد النور ٧١١
٣٤- مسجد عتبان بن مالك ٧١٢

٣٥- مسجد مثيب ٧١٢

٣٦- مسجد المنارتين ٧١٢

٣٧- مسجد فيفاء الجنادر ٧١٢

٣٨- مسجد بني جنجاثة، وبئر شداد ٧١٣

الوجهة السادسة عشرة

فى فضائل البقيع والمدفونين بها من شهداء أحد ٧١٥

الصورة الأولى: فى فضائل مقبرة بقيع الغرقد ٧١٧

الصورة الثانية: فى من دفن فى البقيع من الصحابة وآل البيت وكبار التابعين ٧١٩

الصورة الثالثة: مشهد النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رضى الله عنه ٧٣٨

الصورة الرابعة: فى ذكر جبل أحد وشهداء غزوة أحد ٧٤٦

الوجهة السابعة عشرة

مواسم المدينة وأسواقها وآبارها وعيونها المنسوبة إلى النبى ﷺ ٧٥٩

الصورة الأولى: أسواق المدينة ومواسمها على مدى ١٢ شهرًا ومحاسن أهلها ٧٦١

الصورة الثانية: فى تعريف الآبار التى تنسب إلى النبى ﷺ ٧٧٢

١- بئر أريس ٧٧٢

٢- بئر الأعواق ٧٧٥

٣- بئر أناء ٧٧٥

٤- بئر مالك بن النضر ٧٧٥

٥- بئر إهاب ٧٧٦

٦- بئر البصة ٧٧٦

٧- بئر بضاعة ٧٧٧

٨- بئر جاسوم ٧٧٨

٩- بئر جمل ٧٧٨
١٠- بئر حساء ٧٧٨
١١- بئر حلوة ٧٧٩
١٢- بئر ذرع ٧٧٩
١٣- بئر رومة ٧٧٩
١٤- بئر سفيا ٧٨١
١٥- بئر العقبة ٧٨١
١٦- بئر عتبة ٧٨١
١٧- بئر العهن ٧٨٢
١٨- بئر غرس ٧٨٢
١٩- بئر القراضة ٧٨٣
٢٠- بئر القريضة ٧٨٣
٢١- بئر اليسيرة ٧٨٣
الصورة الثالثة: فى ذكر العيون المنسوبة إلى النبى ﷺ ٧٨٧
١- عين كهف حرام ٧٨٨
٢- عين الخفيف ٧٨٨
٣- عين الأزرق ٧٨٩
٤- عين النبى ٧٨٩
٥- مسير العين ٧٩٠
٦- عين الوادى ٧٩٠
الأسبلة فى المدينة ٧٩٤
المياه المرة ٧٩٥
المياه التى فى الجهة القبلية من المدينة ٧٩٥
عين الأغوات ٧٩٧
عين سيد هاشم ٧٩٧

عين الصدقة ٧٩٧
العين الجديدة ٧٩٧
عين عامرة ٧٩٧
عين الحازمية ٧٩٨
عين مصرع ٧٩٨
عين شربونى ٧٩٩
عين الثنايا ٧٩٩
عين السلامة ٧٩٩
عين مشرابية ٧٩٩

الوجهة الثامنة عشرة

فيما ينسب إلى النبى ﷺ من الأوقاف الشريفة والمساجد التى بين الحرمين والمساجد التى أدى فيها الصلاة فى أثناء الغزوات ٨٠٣

الصورة الأولى: ما ينسب إلى النبى ﷺ من صدقات ٨٠٥

الصورة الثانية: المسجد النبوية التى بين الحرمين ٨١١

١- مسجد الشجرة ٨١١
٢- مسجد المعرس ٨١٢
٣- مسجد شرف الروحاء ٨١٢
٤- مسجد عرق الظبية ٨١٣
٥- مسجد الروحاء ٨١٤
٦- مسجد المنصرف ٨١٤
٧- مسجةد الروينة ٨١٥
٨- مسجد ثنية ركوبة ٨١٥
٩- مسجد الإقابة ٨١٥
١٠- مسجد الغرس ٨١٥
١١- مسجد طرف تلعة ٨١٥

١٢- مسجد حى جمل ٨١٦
١٣- مسجد القيا ٨١٦
١٤- مسجد مدلجة تعهن ٨١٦
١٥- مسجد الرمادة ٨١٦
١٦- مسجد الأبواء ٨١٦
١٧- مسجد البيضة ٨١٧
١٨- مسجد عقبة الهرش ٨١٧
١٩- مسجد الجحفة ٨١٧
٢٠- مسجد القديد ٨١٧
٢١- مسجد حرة ٨١٨
٢٢- مسجد خليص ٨١٨
٢٣- مسجد بطن مر الظهران ٨١٨
٢٤- مسجد سرف ٨١٨
٢٥- مسجد التنعيم ٨١٩
٢٦- مسجد ذى طوى ٨١٩
الصورة الثالثة: فى تعريف المساجد التى فى طريق الحجاج ٨٢٠
١- مسجد ذات أجدال ٨٢٠
٢- مسجد بدر ٨٢١
٣- مسجد العشيرة ٨٢٢
٤- مسجد الفرع ٨٢٢
الصورة الرابعة: فى ذكر المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ فى غزواته ٨٢٣
١- مسجد عامرة ٨٢٣
٢- مسجد صهباء ٨٢٣
٣- مسجد منزلة ٨٢٣
٤- مسجد شمران ٨٢٤

٥- مساجد تبوك ٨٢٤
٦- مسجد الحديبية ٨٢٦
٧- مسجد ذات عرق ٨٢٦
٨- مسجد جعرانة ٨٢٦
٩- مسجد ليه ٨٢٦
١٠- مسجد الطائف ٨٢٧
الوجهة التاسعة عشرة
فى ذكر أودية وأحراش وجبال وأماكن تنسب إلى المدينة ٨٢٩
الصورة الأولى: أودية المدينة ٨٣١
١- وادى العقيق ٨٣١
٢- وادى بطحان ٨٣٣
٣- وادى رانوناء ٨٣٣
٤- وادى قناة ٨٣٣
٥- وادى مذينب ٨٣٦
الصورة الثانية: فى ذكر أحراش المدينة ٨٣٨
١- حمى النَّقيع ٨٣٨
٢- مرعى حمى الرندة ٨٣٩
٣- مرعى حمى الشرف ٨٣٩
٤- مرعى حمى الضربة ٨٤٠
٥- مرعى حمى فيد ٨٤٢
الصورة الثالثة: فى ذكر الجبال والأماكن والقرى التى تنسب إلى المدينة مرتبة على حروف الهجاء (الفبائيًا) ٨٤٤
مناجاة وقصيدة ودعاء ٩٥٧
القصيدة التى يقرأها أهل المدينة فى حضرة السعادة ٩٦٧
فضائل المدينة وخواص ترابها وفاكهتها ٩٦٩

نجاة أهل المدينة من الطاعون والدجال ٩٧٧
نقل علة الحمى خارج المدينة ٩٧٩
شكر الخاتمة ٩٩١
الفهرس ٩٩٥